الشيخ عرفات العشا حسونة الدمشقي





دار الفكر


لا تحزن
إن الله معنا

بسم الله الرحمن الرحيم



تأليف

الشيخ عرفان العشا حسونة الدمشقي

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٨ - ١٤٢٩ هـ

٢٠٠٨ م

Email: darelfkr@cyberia.net.lb
E-mail: darlfikr@cyberia.net.lb
Home Page: www.darelfikr.com.lb



حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١
تلفون: ٥٥٩٩٠٠ - ٥٥٩٩٠١ - ٥٥٩٩٠٢ - ٥٥٩٩٠٣
فاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٩٩٠٤

بيروت
لبنان

رموز الكتاب

الإمام ابن الجوزي ـ (ج)

الإمام ابن قيم الجوزية ـ (ق)

الإمام العز عبد السلام ـ (س)

الإمام ابن العربي المالكي ـ (ع)

الإمام الحليمي ـ (ح)

الخطيب الإسكافي ـ (خ)

د. شمسي باشا ـ (ش)

د. حامد ـ (ن)

كامل عبد الصمد ـ (ك)

أحمد شوقي ـ (أ)

الجماني ـ (غ)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالى

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس ـ 26].

وقال رسول الله ﷺ

«ما يُصيب المُؤمن من وصبٍ، ولا نصبٍ، ولا سقمٍ، ولا حزنٍ، حتى الهمّ يهمّه، إلا كُفّر به من سيّئاته».

قال الشاعر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم   وعلى قدر الكرام تأتي المكارم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين اللهم أعن ويسر يا كريم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضِلَّ له. ومن يُضلِلْ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70 ـ 71].

أما بعد

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمَّد ﷺ. وشر الأمور مُحدثاتها. وكُلَّ مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالةٍ في النَّارِ.

إذا ضاقت الأرض عليك بما رحبت، فمن لك غير الله؟ إذا أظلم النهار أمام ناظريك، وأُدْلجت في ظلمة الأحزان، فمن لك غير الله؟ إذا أدلهمت الخطوب، واحترقت وجنتاك بدمعة الألم، فمن لك غير الله؟ إذا دهمتك الأمراض، وتخللت في مسام جسدك، فمن لك غير الله؟ إذا جرت الرياح بخلاف سيرك، وانقلب شراعك في لُجّة الهلاك، فمن لك غير الله؟ إذا أحاطت بك الآلام من كل حدب وصوب، فمن لك غير الله؟

نعم، إنه ليس لك إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، القادر المقتدر، الحكيم

الخبير، والعالم بحالك وبمآلك. ليس لك إلا السميع القريب المجيب ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: 62 ـ 64].

تذكر دائماً أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، وتذكر دائماً أن الله العليم معك، فهو مُطّلعٌ عليك، ولا تغيب عنه لمحة بصر، ولا طرفة عين. تذكر أنه جل وعلا رقيب حفيظ. تذكّر بأنك لست وحدك، وأن ملائكة الرحمن تصحبك، تحفظك، تحصي عليك أقوالك وأفعالك، وتصعد بها كل يوم إلى رب السماء والأرض ـ وهو أعلم بها ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: 52]

تذكر دائماً بأنك تُمتحن، وأن سر الوجود متعلق بالبلاء ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [سورة محمد: 31]. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: 2].

فإذا ابتلاك مولاك، فمن ذا الذي يصرف هذا البلاء عنك؟ ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: 106 ـ 107].

تذكر دائماً، بأنه عليك أن تنجح بالامتحان، وتفوز بالجائزة، فلا تنحني أمام الصعاب، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف. استعن بالله ولا تعجز. واستمسك بحبله المتين، فمن تمسك به نجا، ومن تركه غرق وهلك.

تذكر دائماً؛ بأن كل النعم التي أكرمك بها الله تعالى، وحباك بها عن سائر خلقه، إنما هي منحة مهداة إليك، فإن أحسنت التصرف بها، وعملت بها بما يحب واهبك، نمت وازدهرت وترعرعت، وإن عملت بها بغير ذلك، كانت نقمة عليك وحجة، مع خسرانك لها. ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: 7]. فمن شكر النعمة حفظها، ومن كفرها ذهبت عنه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 53].

توجه إلى الله تعالى بقلب خاشع سليم، وبصوت منكسرٍ أوّاه، وبجسد خاضع

مستكين. واعلم بأنك إن استجبت لأمره، استجاب لك. فهو جل وعلا قريب سميع مـجيـب ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِى وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

كن من أهل التقوى، واجتنب المعاصي بالطاعة، تكن محبوباً عند الله الجليل. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 7]، وأكثر من الصالحات، تكن عنده من المقربين «... وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به... ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأُعيذنّه...».

كن مستسلماً لقضاء الله تعالى وقدره، مع المثابرة والعمل الجاد. واطرح نفسك في سُبُحاتِ الليل قائماً وساجداً، تحذر الآخرة، وترجو رحمة ربك. ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: 9]. وكن على يقين بأن الله تعالى يتجلى على عباده المؤمنين كل ليلة، في وقت السحر فيقول: **«من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»** فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر.

كن واثقاً بالله العظيم ولا تيأس من رحمته جل وعلا ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 87]. واعلم أن الفرج مع الصبر، وأنه جل وعلا، ما ابتلاك إلا ليرفعك، وما حرمك إلا ليعطيك، وما منعك إلا ليمنحك، وما أذلّك إلا ليعزّك، وما خفضك إلا ليرفعك... فإن مقام الأولياء عند الله تعالى لمقام عزيز رفيع، لا يناله إلا ذوو الهمم العالية، والنوايا الصادقة، والعزائم الماضية.. وعلى قدر على أهل العزم تأتي العزائم.

إلتمس مرضاة الله تعالى بالخضوع لأوامره، راضياً بها قلبك، مستسلمة لها نفسك، مذعنة لها جوارحك، فإن العبد ليلتمس مرضاة الله، ولا يزال كذلك فيقول الله ﷻ لجبريل: **«إن فلاناً عبدي يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي عليه. فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، ويقولها حملة العرش، ويقولها من حولهم، حتى يقولها أهل السماوات السبع، ثم تهبط إلى الأرض»**.

كن عزيزاً عظيماً قوياً جلداً. وتَمثَّل بأسماء الله تعالى وصفاته، فإن حققتها في ذاتك، وأتت حقيقتها في قلبك، وتجلّت ظاهرة على لسانك وجوارحك، لا تبتغي بذلك إلا مرضاة الله تعالى، تكن قد أحصينها. **«إن لله تعالى تسعة وتسعين إسماً من**

أحصاها دخل الجنة». جعلنا الله تعالى ممن يتصف بتلك الصفات الحميدة المجيدة، إنه سميع قريب مجيب.

وبعد أخي الكريم، فهذا كتابي أضعه بين يديك، ليكون لك حافزاً على تجاوز صعاب الدنيا بسلامة وأمان، وبرضى الرب الرحمن، وبلوغ مرامي الرضى والرضوان، وجنات النعيم بصحبة سيد المرسلين سيدنا ورسولنا الكريم محمد بن عبد الله النبي الأمي، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في عملي هذا، راجياً منه سبحانه وتعالى القبول وأن ينفع به، إنه خير مسؤول، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن قال فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: 62 ـ 64].

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين والحمد لله رب العالمين

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 286].

عرفــان

بيروت 01/472079

صباح يوم الخميس ـ 26 ذو القعدة ـ 1428هـ

6 كانون الأول/ديسمبر 2007م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اللَّهُمَّ أعن ويسر يا كريم



البداية والنهاية

كان الله العظيم ولم يكن شيء.... وكان عرشه جل وعلا على الماء... ومن الماء خُلق كل شيء حي. وللحي كانت الحياة. وبعد الحياة كان الممات. وهكذا انحصر سر الوجود بين الحياة والممات، ولا فناء، وإنما هو انتقال من عالم إلى آخر، طور بعد طور، ومرحلة تلو أخرى حتى المنتهى، إما إلى جنة أو إلى نار. وتستقر الحياة في نعيم مقيم، أو في جحيم مستديم. ويؤتى بالموت فيذبح، وينتهي عالم الموت لتبدأ مرحلة الخلود الأبدي، إما في روضات الجنات أو في دركات النيران والعذاب. وها أنت الآن على مفترق الجنة والنار، وليس عليك إلا أن تختار، والهداية بيد الواحد الجبار. نسأله جل وعلا أن يوفقنا لحسن الاختيار.

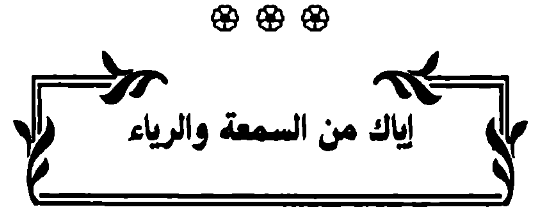
عرفـان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

خطبة وثناء

الحمد لله الذي بيده الإيجاد والإنشاء، والإنجاد والإعطاء، والإماتة والإحياء، والإعادة والإبداء، والإنعام والآلاء، والحطّ والعلاء، والرخص والغلاء، والعافية والبلاء، والداء والدواء، خلق الإنسان وخُلقت له الأشياء، وكانت الأرض والسماء، وهبّت الريح وجرى الماء، وتكوّن الصباح والمساء، وعَلَّمه الخط فجاء الهجاء، الألف والباء، والتاء والثاء، والجيم والحاء والخاء، والدال والذال والراء والزاء، والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء، والعين والغين والفاء والقاف والكاف والميم والنون والواو والهاء، واللام الألف، والياء، ولقّنه الإقرارُ بالقدر فالمنعُ منه والعطاء ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: 26]. يا لها من كلماتٍ ما اهتدى إليها الفصحاء، تأثيرها عند الحُسّاد الأسى والبرحاء والصعداء، وأين هم وقع فيهم يا ابن جلا الجلاء. (ج)

❀ ❀ ❀



إياك من السمعة والرياء

الإخلاص من دأب الصالحين، وعنوان المتقين، ودرب المصلحين. فبه ـ بإذن الله تعالى ـ النجاة، وبه ـ بعون الله تعالى ـ المنجاة. و«**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله؛ ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**» متفق عليه.

وأما من أراد الشهرة والسمعة والرياء، والمجد والفخار، فسوف يسمع الله تعالى، ويفضحه على رؤوس الأشهاد و(من سمّع سمّع الله به، ومن راءى راءى الله

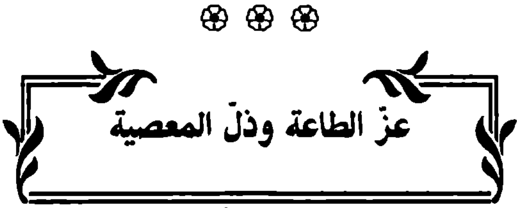
به). وخاتمة الأمر كله تندرج تحت قول الله السميع البصير: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: 40].

روى الإمام أحمد (11) والبخاري (3653) ومسلم (2381)، وغيرهم من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حدّثه، قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه! فقال: **«يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»**؟

وفي هذا يتجلى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128].

❀ ❀ ❀



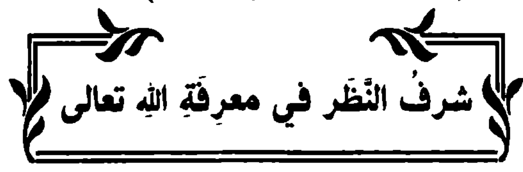
عزّ الطاعة وذلّ المعصية

ـ من عظَّم وقار الله في قلبه أن يعصيه وقَّره الله في قلوب الخلق أن يذلوه.

ـ ليس العَجَب من مملوك يتذلل لله، ويتعبد له، ولا يمل من خدمته، مع حاجته وفقره إليه؛ إنما العجب من مالك يتحبب إلى مملوكه بصنوف إنعامه، ويتودد إليه بأنواع إحسانه مع غناه عنه!.

ـ كفى بك عِزّاً أنك له عبدٌ، وكفى بك فخراً أنه لك ربٌّ. (ق)

ـ ومن انتسب إلى العزيز بطاعته، أعزّه الله، ومن انتسب إلى الذلّ بمعصيته، أذلّه الله.
وفي هذا يتجلى قول الله عز وجل: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26].



شرفُ النّظر في معرِفَةِ الله تعالى

قال اللّهُ تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: 101]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: 185].

يَشْرُفُ النَّظرُ بشرفِ المَنْظُورِ فيه، فالنَّظرُ في معرفةِ اللهِ أفضلُ مِنْ كُلِّ نَظَر، لإفضائِهِ إلى أفضلِ المقاصِد. (ز)

❀ ❀ ❀

في إهمال النظر، والجهل بما يجب عليه معرفته

قال اللهُ تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [الغاشية: 17 ـ 20].

وقال الله تعالى لنبيِّنا محمد ﷺ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35]، وقال لِنُوح: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: 46]، وقال مُوسى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: 67].

والجهلُ بالله وصفاتِه ضَرْبان:

أحدُهما: مَعْفُوٌّ عنه كجهلِ مَنْ لم تَبْلُغْه الدعوةُ أوْ بَلَغتْهُ فَنَظرَ على الفور. فَجَهْلُه في مُدّة النَّظر مَعْفُوٌّ عنه.

الثاني: الجهلُ الممْكِنُ إزالته بالنظر مع تقصيرِ النَّاظِر في إزالتِه. وهذا الجهلُ يَنْبُوعُ كُلِّ شرّ إذ لا تُقبَلُ معه حَسَنة ولا يُتَجاوزُ بسببِه عن سيئة؛ وكذلك حُكْمُ الشكّ.

قال اللهُ تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾ [إبراهيم: 10]، وقال: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ﴾ [هود: 17]، وقال: ﴿فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: 61]، وقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ﴾ [فصلت: 54].

والجهل بالفروع ضربان:

ضرب تجب إزالته على كُلِّ مُكَلَّفٍ، وهو الجهلُ بما يُبَاشِرُه من العبادات والمعاملات.

وضرب إزالته فرضُ كفاية؛ وهو ما زاد على المُتَعَيِّنِ من الأحكام. (ز)

❀ ❀ ❀

أسباب الغفلة

ـ روى الإمام أحمد (17621) ومسلم (2750) الأزواج والأولاد والأموال... متعلقات رئيسية لغفلة المرء، وبعده عن خالقه جل وعلا، ولو كان من ذوي القوة والإيمان. وفي هذا خاطب الله جل وعلا عباده المؤمنون بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9].

وفي «الصحيح» من حديث حنظلة الأسدي ـ رضي الله عنه ـ (وكان من كتّاب رسول الله ﷺ)، قال:

لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله ما تقول؟! قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافَسْنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك»؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكِّرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا. فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة! ساعةً وساعةً»**، ثلاث مرات.

قال ابن الجوزي: قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة، فإذا انفصل عن مجلس الذكر عادت القسوة والغفلة! فتدبرت السبب في ذلك، فعرفته... ثم رأيت الناس يتفاوتون في ذلك، فالحالة العامة أن القلب لا يكون على صفة واحدة من اليقظة عند سماع الموعظة وبعدها، لسببين: أحدهما: أن المواعظ كالسياط، والسياط لا تؤلم بعد انقضائها إيلامَها وقت وقوعها.

والثاني: أن حالة سماع المواعظ يكون الإنسان فيها مزاح العلة، قد تخلى بجسمه وفكره عن أسباب الدنيا، وأنصت بحضور قلبه، فإذا عاد إلى الشواغل اجتذبته بآفاتها، وكيف يصح مع تلك الجواذب أن يبقى كما كان؟!.

وهذه حالة تعم الخلق، إلا أن أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر. فمنهم من

يعزم بلا تردد، ويمضي من غير التفات، فلو توقف بهم ركب الطبع لضجوا كما قال حنظلة عن نفسه: نافق حنظلة! ومنهم أقوام يميل بهم الطبع إلى الغفلة أحياناً، ويدعوهم ما تقدم من المواعظ إلى العمل أحياناً، فهم كالسنبلة تميلها الرياح! وأقوام لا يؤثر فيهم إلا بمقدار سماعه، كماء دحرجته على صفوان[1]. . . !!

حق الجار والوصية به

لله تعالى عليك حقوق، ومن حقوقه عليك الوصاية بالجار مؤمناً كان أم كافراً، قريباً كان أم بعيداً.

قَـالَ تـعَـالَـى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36].

وفي «الصحيح» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحسِن إِلَى جَارِهِ وَمَن كَانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيوم الآخِرِ فَلْيَقُل خَيراً أَوْ لِيَسكُتْ»**.

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا زَالَ جِبرِيلُ يُوصِينِي بالْجَارِ حَتَّى ظَنَنتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»**.

وَعَنْ أَبِي ذَرّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا أَبَا ذَر إِذَا طبخْتَ مَرَقَةً فَأكثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَك»**.

وَقَالَ ﷺ: **«لا يَدْخُلُ الْجَنةَ مَن لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»**.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«وَاللَّهِ لا يُؤمِنُ، وَاللَّهِ لا يُؤمِنُ، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوائِقَهُ»**.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا نِسَاءَ الْمُسلِمَاتِ لاَ تُحقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَو فِرْسِنَ شَاةٍ»**.

وَفي «إِحْيَاءِ عُلُوم الدِّين»: وَاعلَمْ! أنهُ لَيْسَ حَقُّ الْجِوَارِ كَفَّ الأذى فَقَطْ بَلِ احْتِمَالُ الأذى بَلْ لا بُدّ فَوْقَهُ مِنَ الرِّفْقِ وَإِسْدَاءِ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ. وَحُكِيَ أَن ابْنَ الْمُقَفَّعِ

(1) الصفوان: الحجر الأملس.

بَلَغَهُ أَنَّ جَاراً لَهُ يَبِيعُ دَارَهُ فِي دَيْنٍ رَكِبَهُ وَكَانَ يَجْلِسُ فِي ظِلِّ دَارِهِ فَقَالَ: مَا قُمْتُ إِذاً بِحُرْمَةِ ظِلِّ دَارِهِ إِنْ بَاعَهَا مُعدِماً فَدَفَعَ إِلَيهِ ثَمَنَ الدَّارِ وَقَالَ، لا تَبِعْهَا.

❀ ❀ ❀

«إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»

الحياء شعبة من شعب الإيمان، فمن فقدها عليه الولوج في المعاصي، فما الحياء إلا حارساً لإيمان المرء وسلامته.

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»**. وفي معنى هذا قولان: أحدهما أن المراد به الدلالة على أن عدم الحياء يدل على أن الأشد بأن الذي لا يؤمن أن الاستحياء فتنة، وإن أعظم الموانع من القبائح عند العقلاء الذم وهو فوق عقوبة البدن، فمن طاب نفساً بالذم ولم يخشه، لم يردعه عن قبيح ما هو رادع فلا نال شيئاً حتى ترك نفسه مهتوك الستر، مثلوب العرض، ذاهب ماء الوجه لا وزر له ولا قدر، قد ألحقه الناس بالبهائم وأدخلوه في عدادها، بل صار عندهم أسوأ حالاً بهذا القول، على ما في ترك الاستيحاء من الضرر ولينته عيبه، ويستشعر من الحياء ما يردع عن إتيان القبيح فهو من يعنيه.

والآخر: إن معناه إذا لم يفعل ما يستحي من مثله فلا حرج بعد ذلك فاصنع ما شئت وكلاهما حسن وحق، والله أعلم بما أراد رسوله ﷺ. (ح)

❀ ❀ ❀



حقيقة الصبر

الفتنة والصبر. عنصران متلازمان، ولا يكاد يفترق أحدهما عن الآخر، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: 20].

وقال جل وعلا: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: 126 ـ 128].

قال ابن الجوزي: ليس في التكليف أصعب من الصبر على القضاء، ولا فيه أفضل من الرضا به.

فأما الصبر: فهو فرض، وأما الرضا فهو فضل.

وإنما صعب الصبر لأن القدر يجري في الأغلب بمكروه النفس، وليس مكروه النفس يقف على المرض والأذى في البدن، بل هو يتنوع حتى يتحير العقل في حكمة جريان القدر.

فمن ذلك أنك إذا رأيت مغموراً بالدنيا قد سالت له أوديتها حتى لا يدري ما يصنع بالمال، فهو يصوغه أواني يستعملها. ومعلوم أن البلور والعقيق والشبة قد يكون أحسن منها صورة، غير أن قلة مبالاته بالشريعة جعلت عنده وجود النهي كعدمه. ويلبس الحرير، ويظلم الناس، والدنيا مُنْصبة عليه. ثم يرى خلقاً من أهل الدين، وطلاب العلم، مغمورين بالفقر والبلاء، مقهورين تحت ولاية ذلك الظالم، فحينئذ يجد الشيطان طريقاً للوسواس ويبتدئ بالقدح في حكمة القدر.

فيحتاج المؤمن إلى صبر على ما يلقى من الضر في الدنيا، وعلى جدال إبليس في ذلك. وكذلك في تسليط الكفار على المسلمين والفساق على أهل الدين.

وأبلغ من هذا إيلام الحيوان، وتعذيب الأطفال، ففي مثل هذه المواطن يتمحص الإيمان.

ومما يقوي الصبر على الحالتين: النقل والعقل:

أما النقلُ فالقرآن والسنَّة، أما القرآن فمنقسم إلى قسمين:

أحدهما: بيان سبب إعطاء الكافر والعاصي، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا إِثْمًا﴾ [آل عمران: 178] ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: 33]، ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ [الإسراء: 16] وفي القرآن من هذا كثير.

والقسم الثاني: ابتلاء المؤمن بما يلقى كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: 142] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة: 214].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [التوبة: 16]، وفي القرآن من هذا كثير.

وأما السُّنَّة فمنقسمة إلى قول وحال؛ أما الحال فإنه ﷺ كان يتقلب على رمال حصير تؤثر في جنبه، فبكى عمر ـ ﷺ ـ وقال: كسرى وقيصر في الحرير والديباج، فقال له ﷺ: **«أفي شك أنت يا عمر؟ ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟»**. وأما القول فكقوله عليه الصلاة والسلام: **«لو أن الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»**.

وأما العقل فإنه يقوي عساكر الصبر بجنود، منها أن يقول: قد ثبتت عندي الأدلة القاطعة حكمة المقدر. فلا أترك الأصل الثابت لما يظنه الجاهل خللاً.

ومنها أن يقول: ما قد استهولْتَهُ أيها الناظر من بسط يد العاصي هي قبض في المعنى، وما قد أثر عندك من قبض يد الطائع بسط في المعنى؛ لأن ذلك البسط يوجب عقاباً طويلاً، وهذا القبض يؤثر انبساطاً في الأجر جزيلاً، فزمان الرجلين ينقضي عن قريب، والمراحل تطوى، والركبان في السير الحثيث.

ومنها أن يقول: قد ثبت أن المؤمن بالله كالأجير، وأن زمن التكليف كبياض نهار، ولا ينبغي للمستعمل في الطين أن يلبس نظيف الثياب، بل ينبغي أن يصابر ساعات العمل، فإذا فرغ تنظف ولبس أجود ثيابه. فمن ترفه وقت العمل ندم وقت تفريق الأجرة وعوقب على التواني فيما كلف، فهذه النبذة تقوي أزر الصبر.

وأزيدها بسطاً فأقول: أترى إذا أريد اتخاذ شهداء، فكيف لا يخلق أقوام يبسطون أيديهم لقتل المؤمنين، أفيجوز أن يفتك بعمر إلا مثل أبي لؤلؤة؟ وبعلي إلا مثل ابن ملجم؟ أفيصح أن يقتل يحيى بن زكريا إلا جبار كافر؟ ولو أن عين الفهم زال عنها غشاء العشا لرأيت المسبب لا الأسباب، والمقدر لا الأقدار، فصبرت على بلائه إيثاراً لما يريد، ومن ههنا ينشأ الرضا.

كما قيل لبعض أهل البلاء: ادع الله بالعافية، فقال: أَحَبُّهُ إلي أحبه إلى الله ﷻ.

إن كان رضاكم في سهري ... فسلام الله على وسني

❁ ❁ ❁

الغنى الأكبر

لما أنهيت كتابة الفصل المتقدم، هتف بي هاتف من باطني: دعني من شرح الصبر على الأقدار، فإني قد اكتفيت بأنموذج ما شرحت. وصفْ حال الرضا. فإني أجد نسيماً من ذكره فيه رَوْح للروح.

فقلت: أيها الهاتف، إسمع الجواب، وافهم الصواب. إن الرضا من جملة ثمرات المعرفة، فإذا عرفته رضيت بقضائه، وقد يجري في ضمن القضاء مرارات يجد بعض طعمها الراضي.

أما العارف؛ فتقل عنده المرارات لقوة حلاوة المعرفة. فإذا ترقى بالمعرفة إلى المحبة، صارت مرارة الأقدار حلاوة كما قال القائل:

عذابه فيك عذب ... وبعده فيك قرب

وأنت عندي كروحي ... بل أنت منها أحب

حسبي من الحب أني ... لما تحب أحب

وقال بعض المحبين في هذا المعنى:

ويقبح من سواك الفعل عندي ... فتفعله فيحسن منك ذاكا

فصاح بي الهاتف: حدثني بماذا أرضى؟ قدر أني أرضى في أقداره بالمرض والفقر، أفأرضى بالكسل عن خدمته، والبعد عن أهل محبته؟ فبيِّن لي ما الذي يدخل تحت الرضا، مما لا يدخل.

فقلت له: نِعْم ما سألت، فاسمع الفرق سماع من ألقى السمع وهو شهيد.

ارض بما منه صدر. فأما الكسل والتخلف فذاك منسوب إليك، فلا ترض به من فعلك. وكن مستوفياً حقه عليك، مناقشاً نفسك في ما يقربك منه، غير راض منها بالتواني في المجاهدة.

فأما ما يصدر من أقضيته المجردة التي لا كسب لك فيها فكن راضياً بها كما قالت رابعة العدوية رحمة الله عليها ـ وقد ذكر عندها رجل من العباد يلتقط من مزبلة فيأكل، فقيل: هلا سأل الله تعالى أن يجعل رزقه من غير هذا؟ ـ فقالت: إن الراضي لا يتخير، ومن ذاق طعم المعرفة وجد فيه طعم المحبة، فوقع الرضا عنده ضرورة.

فينبغي الاجتهاد في طلب المعرفة بالأدلة، ثم العمل بمقتضى المعرفة بالجد في الخدمة، لعل ذلك يورث المحبة. فقد قال سبحانه وتعالى: «**لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به**». ذلك الغنى الأكبر. ووافقراه!.

❁ ❁ ❁



الإصلاح بين الناس

الإصلاح بين الناس، عنوان المجتمع الصالح، والسعي لذلك من أفضل القرباتِ عند الله جل وعلا.

قال تعالى ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114]، وقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: 1]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: 10]، وقال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 128]، وقال: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 182]، وقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: 40].

- روى البخاري (2707)، ومسلم (1009) وغيرهما، من حديث أَبي هريرة ﷺ، قال: قَالَ رَسول الله ﷺ: «**كُلُّ سُلاَمَى مِنَ الناسِ عَلَيهِ صَدَقَةٌ كُل يَوم تَطلُعُ فِيهِ الشَّمسُ**»، قَالَ: «**تَعدِلُ بَينَ الاثنَينِ صدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحمِلُهُ عَلَيهَا أَو تَرفَعُ لَهُ عَلَيهَا مَتَاعَهُ، صدَقَةٌ**»، قَالَ: «**وَالكَلِمَةُ الطَّيبَةُ صدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطوَة تَمشِيهَا إلى الصلاة صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**» لفظ مسلم.

والمراد بالسلامىٰ: المفاصل.

- وروى البخاري (2692)، ومسلم (2605) وغيرهما، من طريق حميد بن عبد الرحمن أن أُمَّهُ أُم كلثوم بنت عقبة، أخبرته أنها سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**ليسَ الكذابُ الذي يُصلح بين الناس، فيَنْمِي خيراً أو يقول خيراً**». لفظ البخاري. وزاد مسلم في روايته: قالت: ولم أسمعهُ ﷺ يُرخص في شيءٍ مما يقوله الناس، إلا في ثلاثٍ: تعني: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث المرأةِ زوجها.

ـ وروى البخاري (2693)، وغيره من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ؛ أن أهل قُباءَ اقتتلوا، حتى تراموا بالحجارة. فأُخبر رسولُ الله ﷺ بذلك، فقال: «اذهبوا بنَا نُصلح بينهم».

❁ ❁ ❁



الزنا وكذب اليهود

إن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء. وقعوا فيهن بالحرام، فنشأ منهم جيلاً جلّهم أبناء حرام. وقد حذرنا رسول الله من هذا الأمر لئلا نقع كما وقعوا، ونهلك كما هلكوا. فعند الإمام أحمد (1169) ومسلم (2742)، وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري ـ ﷺ ـ عن رسول الله أنه قال: **«إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله ﷻ** مستخلفكم فيها، لينظر كيف تعلمون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

وهكذا استمر الزنى في بني اسرائيل إلى زمانه صلى الله عليه وسلم وكان الرجم في كتابهم، فحرَّفوه بما يناسب أهوائهم، وليكذبوا على الله تعالى، فيما شرع لهم، علمهم بذلك، وإصرارهم عليه.

قال الله العزيز الحكيم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146].

وفي البخاري (3635)، ومسلم (1699) وغيرهما، من حديث عبدِ الله بنِ عمرَ ﷺ: **«أن اليهودَ جاؤُوا إلى رسولِ الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأةً زنَيا. فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «ما تجدون في التَّوراةِ في شأنِ الرجم؟» فقالوا: نفضَحُهم ويُجلَدون. فقال عبدُ الله بن سلام: كذبتم، إن فيها الرَّجم. فأتوا بالتوراةِ فنَشروها، فوضعَ أحدُهم يدَهُ على آية الرَّجم، فقرأ ما قبلَها وما بعدَها فقال له عبدُ الله بن سَلام: ارفَع يدَك، فرفعَ يدَهُ، فإذا فيها آيةُ الرَّجم؛ فقالوا: صدَقتَ يا محمد، فيها آية الرجم. فأمرَ بهما رسولُ الله ﷺ فرُجما.**

قال عبدُ الله: فرأيتُ الرجلَ يَجنَأ على المرأةِ يَقيها الحجارةِ، أي: ينحني عليها.

❁ ❁ ❁



عاقبة الهوى

من أحب تصفية الأحوال، فليجتهد في تصفية الأعمال.

قال ﷻ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾ [الجن: 16].

وقال أبو سليمان الداراني: من صفا صُفي له ومن كدر كدر عليه، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله.

وكان شيخ يدور في المجالس، ويقول: مَن سَرَّه أن تدوم له العافية، فليتقِّ الله ﷻ. وكان الفضيل بن عياض، يقول: إني لأعصي الله، فأعرف ذلك في خلق دابتي، وجاريتي.

واعلم ـ وفقك الله ـ أنه لا يحس بضربة مُبَنج، وإنما يعرف الزيادة من النقصان المحاسب لنفسه، ومتى رأيت تكديراً في حال فاذكر نعمةً ما شكرت، أو زلة قد فعلت، واحذر من نفار النعم، ومفاجأة النقم، ولا تغتر بسعة بساط الحلم، فربما عجل انقباضه. وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: 11].

وكان أبو علي الروذباري يقول: من الاغترار أن تسيء، فيحسن إليك، فتترك التوبة، توهماً أنك تسامح في الهفوات...!!!. (ج)



أقبل على التوبة ولا تتردد

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 104].

وروى الإمام أحمد (10088) والترمذي (662) وابن خزيمة (2427) وغيرهم، بإسناد حسن، من طريق وكيع، قال: حدثنا عبَّاد بن منصور، وإسماعيل، قال أخبرنا عبّاد ـ المَعنَى ـ عن القاسم بن محمد، قال: سمعت أَبا هريرة ـ يقول: قال إسماعيل ـ عن أَبي هريرة ﷺ ـ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «إن الله ﷻ يَقْبَلُ الصدقات، ويأخُذُها

بيمينه، فيربيها لأحدكم كما يُربِّي أحدكم مُهْرَهُ ـ أو ـ فَلُوَّهُ، حتى إن اللقمة لتصيرُ مثلَ أُحُدٍ».

❀ ❀ ❀

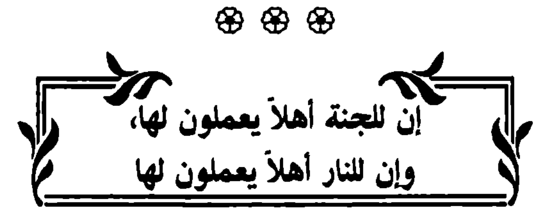


العفو عن القصاص

العفو من شيم الكرام، ومكرمة من مكارم الفضلاء، ومنقبة من مناقب العقلاء. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ﴾ [المائدة: 45]، وقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: 40]، وقال: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عمران: 134]، وقال: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: 149]، وقال: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ﴾ [النور: 22].

قال العز بن عبد السلام: من أفضل الصدقات العفوُ عن القَصَاص، لأنه تصدُّق بالحياة أو ببعض الأعضاء والصفات. وتشرُفُ الصدقَاتُ بشرف المتصدَّق به؛ وأي شيءٍ أشرف من الحياة بعد سلامة الأديان!.

❀ ❀ ❀



إن للجنة أهلاً يعملون لها، وإن للنار أهلاً يعملون لها

روى الإمام أحمد (25742) ومسلم (2662) وغيرهما من حديث السيدة عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ

قالت: دُعِيَ النَّبيُّ ﷺ إلى جِنازَةِ غُلام من الأنصار، فقلتُ: يا رسولَ الله، طوبى لهذا، عصفورٌ من عصافير الجنَّة، لم يُدْرِكِ الشَّرَّ، ولم يَعْمَلْه، قال: «أَوْ غَيْرَ ذلك، يا عائشة، إنَّ الله عزَّ وجلَّ خَلَقَ للجَنَّةِ أَهْلاً خَلَقَها لهمْ، وهم في أَصْلابِ آبائِهِمْ، وخَلَقَ للنَّارِ أَهْلاً خَلَقَها لهم وَهُمْ في أصلابِ آبائِهِمْ»

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ:

والمنع، والخفض والرفع، والرحمة والانتقام.

فاقتضت حكمتُه تعالى أن خلق داراً لطالبي رضاه، العاملين بطاعته، المؤثرين لأمره، القائمين بمحابّه؛ وهي الجنة، وجعل فيها كُل شيئ مرضيٍّ، وملأها من كُل محبوب ومرغوب ومشتَهَى ولذيذ، وجَعَل الخيرَ بحذافيره فيها، وجعلها محل كل طيّبٍ من الذوات والصفات والأقوال والأعمال.

وخلق داراً أخرى لطالبي أسباب غضبه وسخطه، المؤثرين لأغراضهم وحظوظهم على مَرْضاته، العاملين بأنواع مخالفته، القائمين بما يَكرهُ من الأعمال والأقوال، الواصفينَ له بما لا يليق به، الجاحدين لما أخبرت به رسله من صفات كماله ونعوت جلاله؛ وهي جهنم. وأودعها كُل شيء مكروه، وسجنها مليء من كُلّ شيء مؤذٍ ومؤلم. وجعل الشرَّ بحذافيره فيها، وجعلها محلّ كلّ خبيثٍ من الذوات والصفات والأقوال والأعمال.

فهاتان الداران هما دارا القرار.

وخلق داراً ثالثة هي كالميناء لهاتين الدارين، ومنها يتزوَّدُ المسافرون إليهما؛ وهي: دار الدنيا. ثم أخرج إليها من أثمار الدارين بعضَ ما اقتضته أعمالُ أربابهما وما يستدلُّ به عليهما، حتّى كأنّهما رأي عَين؛ ليصير للإيمان بالدارين - وإن كان غيباً - وجهُ شهادةٍ تستأنس به النفوس وتستدلُّ به. فأخرج سبحانه إلى هذه الدار من آثار رحمته من الثمار والفواكه، والطيِّبات، والملابس الفاخرة، والصُّوَر الجميلة، وسائر ملاذ النفوس ومشتهياتها، ما هو نفحة من نفحات الدَّار التي جعل ذلك كُلّه فيها على وجه الكمال. فإذا رآه المؤمنون ذكَّرهم بما هناك من الخير والسرور والعيش الرَّخيّ؛ كما قيل:

فَـإذا رآك الـمـسـلـمـونَ تـيـقَّـنـوا   حُـورَ الـجِـنَـان لـدى الـنَّـعـيـمِ الـخَـالِـدِ

فشمَّروا إليه وقالوا: «اللَّهُمَّ لا عيشَ إلاَّ عيشُ الآخرة». وأحدثت لهم رؤيتُه عزماتٍ وهِمَماً وجِدّاً وتشميراً؛ لأن النعيمَ يُذَكر بالنعيم، والشيئ يُذكِّر بجنسه. فإذا رأى أحدُهم ما يعجبه ويروقه ولا سبيلَ له إليه قال: موعدك الجنة، وإنما هي عشية أو ضحاها.

❁ ❁ ❁

غفران الإساءة والصبر عليها

من أنواع الصبر، صبر على من يسيء إليك من إخوانك، مع مغفرة الإساءة ونسيانها. فقد يتوقع من ذلك رجوع المسيء عن ذنبه، وتلك صفة الرجال أولي العزم والحزم.

قال اللّهُ تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: 43]، وقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل: 10]، وقال: ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ﴾ [الأنعام: 34]، وقال: ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186].

وقد جاء في «مسند الإمام أحمد» (7210) وصحيح مسلم (2588)، وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: **«ما نقصت صدقة من مالٍ، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً. وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»**.

جواذب الطبع إلى الدنيا

جواذب الطبع إلى الدنيا كثيرة، ثم هي من داخل، وذكر الآخرة أمر خارج عن الطبع، ثم هي غيب. وربما ظن من لا علم له أن جواذب الآخرة أقوى، لما يسمع من الوعيد في القرآن. وليس كذلك؛ لأن مثل الطبع في ميله إلى الدنيا، كالماء الجاري يطلب الهبوط، وإنما رفعه إلى فوق يحتاج إلى التكلف. ولهذا أجاب معاون الشرع: بالترغيب والترهيب يقوى جند العقل. فأما الطبع فجواذبه كثيرة، وليس العجب أن يُغلَب، إنما العجب أن يَغلِب. (ج)

الإنابة ودرجاتها

الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة والإنابة إليه، من أهم الأمور التي يوفق إليها المرء في دينه ودنياه. ولا يكون ذلك إلا بتوبة الله العلي القدير على عبده. وفي التنزيل: في خبر الثلاثة الذين خلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 118].

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ:

كثيراً ما يتكرر في القرآن ذكر الإنابة والأمر بها؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: 54].

وقوله حكاية عن شعيب أنه قال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88].

وقوله: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: 8].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: 27].

وقوله عن نبيّه داود: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: 24].

والإنابة: الرجوعُ إلى الله، وانصراف دواعي القلب وجواذبه إليه. وهي تتضمَّن المحبّة والخشية، فإن المنيب محبٌّ لمن أناب إليه، خاضع له، خاشع ذليل.

والناس في إنابتهم على درجاتٍ متفاوتةٍ:

فمنهم المنيب إلى الله بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي. وهذه الإنابة مصدرُها مطالعةُ الوعيد، والحاملُ عليها العلم والخشية والحذر.

ومنهم المنيب إليه بالدخول في أنواع العبادات والقُرُبات. فهو ساعٍ فيها بجهده، وقد حُبِّبَ إليه فِعلُ الطّاعات وأنواع القربات. وهذه الإنابة مصدرُها الرَّجاءُ ومطالعة الوعد والثواب، ومحبّة الكرامة من الله. وهؤلاء أبسطُ نفوساً من أهل القسم الأول، وأشرَحُ صدوراً، وجانب الرجاءِ ومطالعة الرحمة والمنّة أغلبُ عليهم. وإلاّ فكلّ واحدٍ من الفريقين منيبٌ بالأمرين جميعاً، ولكن خوف هؤلاء اندرجَ في رجائهم فأنابوا بالعبادات، ورجاء الأولين اندرج تحت خوفهم فكانت إنابتهم بِتَرك المخالفات.

ومنهم المنيب إلى الله بالتضرّع والدعاءِ، والافتقار إليه، والرغبة، وسؤال الحاجات كلّها منه. ومصدر هذه الإنابة شهودُ الفضل والمنّة والغنى والكرم والقدرة. فأنزَلوا به حوائجهم، وعلّقوا به آمالهم. فإنابتُهم إليه من هذه الجهة مع قيامهم بالأمر والنهي، ولكن إنابتهم الخاصة إنّما من هذه الجهة. وأمّا الأعمال فلم يُرزقوا فيها الإنابة الخاصة، وأملهم المنيب عند الشدائد والضرَّاءِ فقط إنابة اضطرار لا إنابة اختيار؛ كحال الذين قال الله في حقهم: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 67]. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: 65].

وهؤلاء كلهم قد تكون نفس أرواحهم ملتفتةً عن الله، معرضةً عنه إلى مألوفٍ طبيعي نفساني، قد حال بينها وبين إنابتها بذاتها إلى معبودها وإلهها الحقّ فهي ملتفتةً إلى غيره، ولها إليه إنابةٌ ما بحسب إيمانها به ومعرفتها له. فأعلى أنواع الإنابات إنابة الروح بجملتها إليه لشدة المحبّة الخالصة المغنية لهم عمّا سوى محبوبهم ومعبودهم. وحين أنابتْ إليه أرواحُهم لم يتخلّف منهم شيءٌ عن الإنابة، فإنَّ الأعضاءَ كلّها رعيّتها، وملكها تبعٌ للروح. فلما أنابت الروحُ بذاتها إليه إنابة محبٍّ صادق المحبّة ليس فيه عِرقٌ ولا مفصل إلا وفيه حُبٌّ ساكنٍ لمحبوبه، أنابت جميع القوى والجوارح؛ فأناب القلبُ أيضاً بالمحبّة والتضرُّع والذُّلّ والانكسار؛ وأناب العقل بانفعاله لأوامر المحبوب ونواهيه، وتسليمه لها، وتحكيمه إياها دون غيرها، فلم يَبق فيه منازعةُ شبهةٍ معترضة دونها؛ وأنابت النفس بالانقياد والانخلاع عن العوائد النفسانية، والأخلاق الذميمة، والإرادات الفاسدة، وانقادت لأوامره خاضعةً له، داعية فيه، مؤثرة إيّاه على غيره. فلم يَبقَ فيها منازعةُ شهوة تعترضها دون الأمر، وخرجت عن تدبيرها واختيارها تفويضاً إلى مولاها ورضىً بقضائه وتسليماً لحكمه. وقد قيل: «إن تدبير العبد لنفسه هو آخر الصفات المذمومة في النفس»؛ وأناب الجسد بالأعمال والقيام بها فرضها وسننها على أكمل الوجوه؛ وأنابت كل جارحة وعضو إنابتها الخاصة.

فلم يَبْق من هذا العبد المنيب عِرق ولا مفصل إلاّ وله إنابة ورجوع إلى الحبيب الحق الذي كلُّ محبّةٍ سوى محبّته عذابَ على صاحبها، وإن كانت عَذبة في مباديها، فإنّها عَذَابٌ في عواقبها. فإنابة العبد ـ ولو ساعةً من عمره ـ هذه الإنابةَ الخاصة أنفعُ له وأعظم ثمرةً من إنابة سنين كثيرة من غيره. فأين إنابةُ هذا مِن إنابة مَن قبلَه؟ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاءُ؛ بل هذه روحُه منيبة أبداً، وإن توارى عنه شهود إنابتها باشتغالٍ، فهي كامنةٌ فيها كمونَ النار في الزناد.

وأمّا أصحاب الإنابات المتقدّمة، فإن أناب أحدُهم ساعةً بالدعاءِ والذكر والابتهال، فلنفسه وروحه وقلبه وعقله التفاتاتٌ عمَّن قد أناب إليه. فهو ينيبُ ببعضه ساعة، ثم يتركُ ذلك مقبلاً على دواعي نفسه وطبعه. والله الموفق المعين، لا ربَّ غيره ولا إله سواه.

* قاعدة: في ذكر طريقٍ قريب يُوصِل إلى الاستقامة في الأحوال والأقوال والأعمال.

وهي شيئان:

ـ أحدهما: حراسة الخواطر وحفظها، والحذر من إهمالها والاسترسال معها.

فإنَّ أصل الفساد كله من قِبَلها يجيء، لأنّها هي بذر الشيطان والنفس في أرض القلب. فإذا تمكن بذرُها، تعاهدها الشيطان بسقيها مرّةً بعد أخرى حتى تصير إراداتٍ، ثم يسقيها بسقيه حتى تكونَ عزائم، ثم لا يَزال بها حتى تثمر الأعمال. ولا ريبَ أن دَفْعَ الخواطر أيْسرُ من دفع الإرادات والعزائم، فيجد العبد نفسَه عاجزاً أو كالعاجز عن دفعها بعد أن صارت إرادةً جازمة، وهو المفرط إذا لم يدفعها وهي خاطر ضعيف؛ كمن تهاون بشرارة من نار وقعت في حطبٍ يابسٍ فلمَّا تمكنت منه عجز عن إطفائها.

فإن قلتَ: فما الطريق إلى حفظ الخواطر؟ قلتُ: أسبابٌ عدة:

ـ **أحدها**: العلم الجازم باطلاع الربِّ تعالى، ونظره إلى قلبك، وعلمه بتفاصيل خواطرك.

ـ **الثاني**: حياؤك منه.

ـ **الثالث**: إجلالك له أن يَرَى مثلَ تلك الخواطر في بيته الذي خلق لمعرفته ومحبّته.

ـ **الرابع**: خوفك منه أن تسقط من عينه بتلك الخواطر.

ـ **الخامس**: إيثارك له أن تساكن قلبَكَ غيرُ محبّته.

ـ **السادس**: خشيتك أن تتولَّد تلك الخواطر، ويستعر شرارها، فتأكل ما في القلب من الإيمان ومحبة الله، فتذهب به جملةً وأنت لا تشعر.

ـ **السابع**: أنْ تَعلَمَ أن تلك الخواطر بمنزلة الحَبِّ الذي يُلقى للطائر لِيُصاد به. فاعلم أن كُلَّ خاطرٍ منها فهو حبّة في فخٍّ منصوب لصيدك وأنت لا تشعر.

ـ **الثامن**: أن تَعلَمَ أن تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هي وخواطر الإيمان ودواعي المحبّة والإنابة أصلاً. بل هي ضدها من كُل وجه، وما اجتمعا في قلب إلاَّ وغلب أحدهما صاحبه وأخرجه، واستوطن مكانه. فما الظنّ بقلب غلبت خواطرُ النفس والشيطان فيه خواطرَ الإيمان والمحبة والمعرفة، فأخرجتها واستوطنت مكانها؟ لكن لو كان للقلب حياة لشعر بألم ذلك وأحسَّ بمصابه.

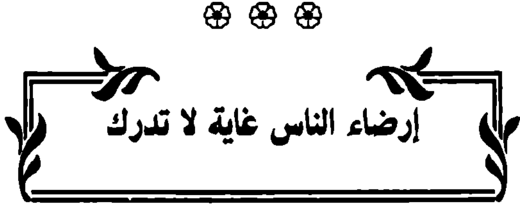
ـ **التاسع**: أن تَعلَمَ أنَّ تلك الخواطر بحرٌ من بحور الخيال لا ساحل له. فإذا دخل القلب في غمراته غرق فيه وتاه في ظلماته، فيطلب الخلاص منه فلا يجد إليه سبيلاً. فقلبٌ تملكه الخواطرُ: بعيدٌ من الفلاح، معذّب، مشغولٌ بما لا يفيد.

ـ العاشر: أن تلك الخواطر هي وادي الحمقى وأماني الجاهلين. فلا تثمر

لصاحبها إلاَّ الندامة والخزي، وإذا غلبت على القلب أورثَته الوساوس، وعَزَلَته عن سلطانها، وأفسدَت عليه رعيّته، وألقته في الأسر الطويل. كما أن هذا معلوم في الخواطر النفسانية، فهكذا الخواطر الإيمانية الرحمانية هي أصل الخير كلِّه. فإن أرض القلب إذا بذر فيها خواطر الإيمان والخشية والمحبّة والإنابة والتصديق بالوعد ورجاءِ الثواب، وسُقيَت مرة بعد مرّة، وتعاهدها صاحبها بحفظها ومراعاتها والقيام عليها، أثمرَت له كُل فعلٍ جميل، وملأت قلبه من الخيرات، واستعملت جوارحه في الطاعات، واستقرَّ بها المَلِك في سلطانه، واستقامت له رعيته. ولهذا لما تحققت طائفة من السَّالكين ذلك، عملت على حفظِ الخواطر؛ فكان ذلك هو سيرَها وجلَّ أعمالها. وهذا نافعٌ لصاحبه بشرطين: أحدهما: ألاّ يترك به واجباً ولا سُنَّة. والثاني: ألاّ يجعلَ مجرّد حفظها هو المقصود، بل لا يتم ذلك إلاَّ بأن يجعل موضعها خواطر الإيمان والمحبة والإنابة والتوكل والخشية، فيفرّغ قلبه من تلك الخواطر ويعمره بأضدادها. وإلاّ فمتى عمل على تفريقه منها معاً كان خاسراً؛ فلا بدَّ من التفطن لهذا.

ومن هنا غلط أقوامٌ من أرباب السلوك، وعملوا على إلقاء الخواطر وإزالتها جملةً، فبذر فيها الشيطانُ أنواعَ الشبَه والخيالات. فظنُّوها تحقيقاً وفتحاً رحمانياً، وهم فيها غالطون، وإنما هي خيالات وفتوحات شيطانية، والميزانُ هو الكتابُ الناطقُ، والفطرة السليمة، والعقل المؤيّد بنور النبوَّة، والله المستعان!

❀ ❀ ❀



إرضاء الناس غاية لا تدرك

إرضاء الناس غاية لا تدرك، وإن رضوا فسوف يطلبون المزيد والمزيد. وإن أرضيت الله ـ بتوفيق منه ـ رضي عنك، وأجذل لك المثوبة، واسبغ عليك نعمة ظاهرة وباطنة، عاجلة وآجلة.

فإياك أخي الكريم، أن ترضي الناس بسخط الله العزيز. فتخسر بذلك دنياك وآخرتك. وفي الحديث: «**من التمس رضى الله بسخط الناس، ﷺ، وأرضى الناس عنه، ومن التمس رضي الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس**[1]».

---

(1) رواه الترمذي (2414) وابن حيان (276) والبغوي (4213) وغيرهم، بإسناد حسن، من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ.

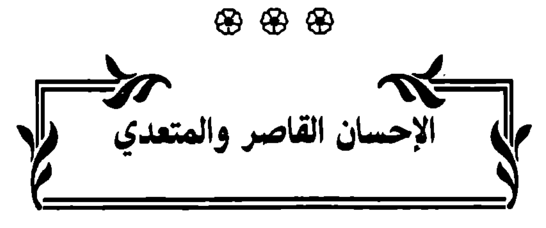
قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى:

ما أقل من يعمل لله تعالى خالصاً لأن أكثر الناس يحبون ظهور عباداتهم. وسفيان الثوري كان يقول: لا أعتد بما ظهر من عملي. وكانوا يسترون أنفسهم، واليوم ثياب القوم تشهرهم. وقد كان أيوب السختياني يطول قميصه حتى يقع على قدميه، ويقول كانت الشهرة في التطويل، واليوم الشهرة في التقصير. فاعلم أن ترك النظر إلى الخلق ومحو الجاه من قلوبهم بالعمل وإخلاص القصد وستر الحال هو الذي رفع من رفع.

فقد كان أحمد بن حنبل يمشي حافياً في وقت ونعلاه في يديه ويخرج للقاط، وبشر الحافي يمشي حافياً على الدوام وحده، ومعروف يلتقط النوى. واليوم صارت الرياسات أكثر من كل حاجة، وما تتمكن الرياسات حتى تتمكن من القلب الغفلة، ورؤية الخلق، ونسيان الحق، فحينئذ تطلب الرياسة على أهل الدنيا. ولقد رأيت من الناس عجباً، حتى من يتزيّا بالعلم، إن رآني أمشي وحدي أنكر علي، وإن رآني أزور فقيراً عظّم ذلك، وإن رآني أنبسط بتبسم نقصت من عينه. فقلت: فواعجبا! هذه كانت طريق الرسول ﷺ والصحابة ﷺ.

فصارت أحوال الخلق نواميس لإقامة الجاه. لا جرم والله سقطتم من عين الحق فأسقطكم من عين الخلق. فكم ممن يتعب في تربية ناموس ولا يلتفت إليه ولا يحظى بمراده، ويفوته المراد الأكبر. فالتفتوا إخواني إلى إصلاح النيات، وترك التزين للخلق ولتكن عمدتكم الاستقامة مع الحق، فبذلك صعد السلف وسعدوا. وإياكم وما الناس عليه اليوم، فإنه بالإضافة إلى يقظة السلف نوم.

❀ ❀ ❀



الإحسان القاصر والمتعدي

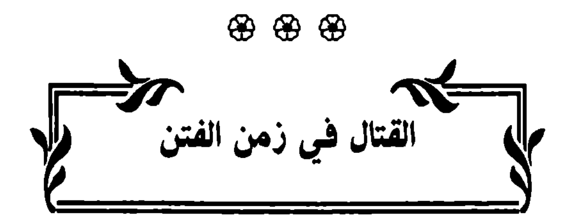
كُلُّ منْ أطاع اللّهَ فهو محسِن إلى نفسِه بطاعتِه. فإن كان في طاعتِه نفعٌ لغيرِه فهو محسِنٌ إلى نفسِه وإلى غيرِه. وإحسانُه إلى غيرِه قد يكونُ عامّاً، وقد يكونُ خاصاً. والإحسانُ عبارة عن جَلْب مصالح الدَّارَيْن أو إحداهما، ودفع مفاسدِهما أو مفاسدِ إحداهما. والمصلحة لَذَّةٌ أو سببها أو فرحةٌ أو سببها. والمفسدةُ ألَمٌ أو سببه أو غمٌّ أو سببه. فإرادةُ النفعِ إحسانٌ لكونِها سبباً فيه. وإرادةُ الضَّرِّ إساءة لأنها سببٌ فيه. وقطعُ

اليد المتآكلة إحسان لأنه سبب في حفظِ الحياة. وتحمُّلُ مشاقّ التكاليف القاصرة والمتعدية إحسان لأنها سبب لصلاحِ الدَّارَيْن. وتأديبُ الصبيَان بالضَّرب والرجالِ بالتعزيرات والحدود إحسان لكَوْنه سبباً في الحثّ على الخير، والزجْرِ عن الشر.

والإحسانُ ينقسمُ إلى خَفِي وجَلِي، وقليل وكثير، وجليلٍ وخَطير، ونبيلٍ وحقير، و«كُلُّ مَعْروفٍ صَدَقَة» و«في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجرٌ»، «تَصَدَّقُوا ولو بشِقِّ تَمرة، فإن لم تجدُوا فَبِكَلِمَةٍ طيّبة»، فـ«لا تَحقرنَّ من المعروفِ شيئاً ولو أنْ تَلْقَى أخاك وأنت منبسطٌ إليه وجهك»، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: 7]، ولا فرقَ في الشرِّ بين قليله وكثيرِه فلا تحقِرَنَّ منه شيئاً: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: 8]، ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: 123]، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18]، ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر: 52]، ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: 49]، وقد «دَخَلَتِ النّارَ امرأةٌ في هِرَّة رَبَطَتْهَا ولَمْ تُطْعِمهَا حتى ماتت» وغفر لِبَغِيٍّ بِسَقْيَة كلب، ولآخر بإزالة غصنِ شوكٍ عن طريق المسلمين، ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47]. قال العز بن عبد السلام ـ رحمه الله تعالى ـ لطيفة في قوله تعالى ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: 147].

روى الإمام أحمد (22085)، وغيره بإسناد قابل للتحسين من طريق أبي منيب الأحدب، قال: خطب معاذٌ بالشام فذَكَرَ الطاعونَ، فقال: إنها رحمةُ رَبّكم، ودعوةُ نَبيّكم، وقَبضُ الصالحينَ قَبلَكُم، اللّهم أدخِل على آل مُعاذ نَصيبَهم مِن هذه الرحمةِ، ثم نَزَل مِن مَقامِه ذلك، فدَخَلَ على عبد الرحمن بن معاذ، فقال عبد الرحمن: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: 147]، فقال معاذ: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: 102].

❀ ❀ ❀



القتال في زمن الفتن

«كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»، و«إذا التقى المسلمان بسيفهما، فالقاتل والمقتول في النار»، و«لا يحلّ دم امرىءٍ مسلم إلا بإحدى ثلاثٍ؛ رَجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً فيقتل بها» وفي التنزيل:

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الأنفال: 39].

وفي ذلك روى البخاري (4021) ومسلم (96)، وغيرهما، من حديث أُسامة بن زيد رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحنا الْحُرُقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فأدركْتُ رَجُلاً، فَقَالَ: لا إِلهَ إِلا الله. فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذلِكَ. فَذَكَرْتُهُ لِلنبِيِّ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَقَالَ: لا إِلهَ إِلا الله وَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: قُلتُ: يا رَسول الله! إِنَّمَا قَالَهَا خوفاً مِنَ السلاح. قالَ: «أفلاَ شَققت عن قَلبِهِ حتَّى تَعلَمَ أقالها أمْ لا؟»، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنيتُ أني أسلَمتُ يَومَئِذٍ.

قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: وَأَنَا وَالله لا أَقْتُلُ مُسلِماً حَتّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبُطَينِ ـ يَعْنِي أُسَامَةَ ـ. قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَلَم يَقُلِ الله ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الأنفال: 39]. فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَأنتَ وَأصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أن تُقَاتِلُوا حَتَّى تكون فِتْنَةٌ.

ـ وروى البخاري (4650)، وغيره من طريق بَكْرِ بنِ عَمْرو، عَنْ بُكَيرٍ عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنهُمَا أن رَجُلاً جَاءَهُ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرحْمنِ، ألا تَسمَعُ مَا ذَكَرَ الله فِي كِتَابِهِ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: 9] إلى آخِرِ الآيَةِ، فَمَا يَمنَعُكَ أنْ لا تُقَاتِلَ كَمَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ أخِي أغْتَرُّ بِهذِهِ الآيَةِ وَلا أُقَاتِلُ أحبُّ إِلَيَّ مِنْ أنْ أغْتَرَّ بِهذِهِ الآيَةِ التي يَقُولُ الله تَعالَى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: 93].

نماذج في العفة والعفاف

«من يستعفف يعفّه الله، ومن يتصبّر يصبّره الله، ومن يستغن يُغنه الله، ولن تعطوا عطاءً خيراً وأوسع من الصبر[1]». العفة سياج للمؤمن من التردي في الهوى، ومن فقد العفة والعفاف، فقد فقد الحماية لدينه وعرضه.

(1) جزء من حديث رواه البخاري (6470)، وغيره من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ به.

والعفة مطلوب رسول الله ﷺ، ومن جملة دعائه ﷺ، كما ثبت في الحديث الصحيح، عن عبدالله بن مسعود ـ ﷺ ـ أن النبي ﷺ كان يقول: **«اللهم إني أسألك الهُدى والتُقى، والعفة ـ وفي لفظ والعفاف ـ والغنى»**[1].

وقد جاء عن عوانة بن الحكم، قال: كان عبد المطلب لا يسافر سفراً إلا ومعه ابنه الحارث، وكان أكبر أولاده، وكان شبيهاً به جمالاً وحسناً، فأتى اليمن وكان يجالس عظيماً من عظمائها. فقال له: لو أمرت ابنك هذا يجالسني وينادمني.

فعشقت امرأته الحارثَ، فراسلته فأبى عليها، فألَحّت عليه، فبعث إليها:

لا تطمعي فيما لديَّ فإنني ... كَرَمٌ منادَمتي عفيفٌ مئزري

أسعى لأدرك مجدَ قوم شادَه ... عمروٌ قطينُ البيت عند المشعَرِ

فاقنَيْ حياءَك واعلمي أني امرؤ ... آبى لنفسِيَ أن يُعيَّر معشري

أني أُزَنُّ بجارتي أو كنَّتي ... أو أن يقال صَبَا بعِرْسِ الحِمْيَرِي

وأخبر بذلك أباه، فلما يئست منه سقته السم شهراً، فارتحل عبد المطلب، حتى إذا كان بمكة مات الحارث.

ومن طريق هشام بن محمد، عن أبيه، قال: كان عبد المطلب ابن هاشم إذا أتى اليمن نزل على بعض ملوكها، وإنه أتى مرة فنزل على بعض ملوكها كما كان يفعل، فأرسل إليه ذلك الملك لينادمه ويتحدث معه، وكان عبد المطلب لا يشرب الشراب، فأرسل إليه ذلك الملك أن ابعث إلينا بالحارث يتحدث معنا، فأرسله عبد المطلب، فلما جاء رأته امرأة الملك فعشقته وراسلته تريده نفسها، فأبى أن يفعل ذلك وكَرُم، فسقَتْه شربة فيها سم شهراً.

قال الكلبي: ويكون عند الملوك السم لسنة، ولشهر، وليوم، ولساعة.

فسقط لذلك الحارث، فانصرف به عبد المطلب إلى مكة، فلما كان قبل دخوله مكة مات الحارث، فدخل به مكة فدفنه، ورثاه عبد المطلب في قصيدة:

والحارث الفيَّاضُ ولَّى ماجداً ... أيامَ نازعه الهُمامُ الكاسا

---

(1) رواه الإمام أحمد (2692) والطبراني في «الكبير» (10096)، وغيرهما، بإسناد صحيح على شرط مسلم واللفظ لأحمد.

وقد جاء عن أبي سفيان بن الحارث وهو الذي سُقْت حكايته، أنه لما حضرته الوفاة قال لأهله: لا تبكوا عليَّ فإني لم أتنطَّف بخطيئة منذ أسلمت.

العفة في الجاهلية

جاء عن محمد بن سيرين، عن عبيدة السلماني، قال: كان في الجاهلية أخوان من حي يُدْعون بني كُنَّة، أحدهما متزوج، والآخر أعزب، فقضي أن المتزوج خرج في بعض ما يخرج الناس فيه، وبقي الآخر مع امرأة أخيه.

فخرجت ذات يوم حاسرة، فإذا أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس شعراً، فلما علمت أن قد رآها ولولت وصاحت، وقالت بمعصمها فغطت وجهها، فزاده ذلك فتنة، فحمل الشوقُ على بدنه حتى لم يبق إلا رأسُه وعيناه يدوران في رأسه.

وقدِم الأخ فقال: يا أخي ما الذي أرى بك؟ فاعتلَّ عليه، فقال: الشوصة، قال: الشوصة تسميها العرب اللَّوى وذات الجنب، فقال له ابن عم له: لا تكْذِبنه ابعث إلى الحارث بن كلدة، فإنه من أطبّ العرب، فجيء به فلمس عروقَه فإذا ساكنها ساكن وضاربها ضارب، فقال: ما بأخيك إلا العشق، فقال: سبحان الله تقول هذا لرجل ميت! قال: هو ذاك، هل عندكم شيء من شراب؟ فجيء به ودعا بمُسْعطٍ فصب فيه، وحلَّ صرة من صراره فذرَّ فيه ثم سقاه، ثم سقاه الثانية، ثم سقاه الثالثة، فانتشى يغني سَكِراً فقال:

ألِمَّا بي على الأبيا ... تِ من خيفِ أزْرُهنَّهْ
غزالاً ما رأيت اليو ... مَ في دور بني كُنَّه
غزال أحور العين ... وفي منطقه كُنَّه

فقال الرجل: دور قومنا، فليت شعري من؟

فقال: الحارث ليس فيه مُسْتَمع غير هذا اليوم، ولكن أغدو عليكم من الغد. ففعل كفعله بالأمس فانتشى يغني سكراً، وكانت امرأة أخيه اسمها ريَّا فقال:

أيها الحي اسلموا ... كي تُحيُّوا وتسلَمُوا
خرجت مُزنة من الـ ... ـجحر ريا تُحَمحمُ
هي ما كَنَّتي ... وتزعم أني لها حَمُو

فقال الرجل لمن حضر: فأشهدكم أنها طالق ثلاثاً ليرجع إلى أخي فؤادُه، فإن المرأة توجد والأخ لا يوجد.

فجاء الناس يسمعَوْن: هنيئاً لك أبا فلان فإن فلاناً قد نزل لك عن فلانة، فقال لمن حضر: أشهدكم أنها عليّ مثل أمي إن تزوجتها.

قال عبيدة: ما أدري أي الرجّلين أكرم؟ الأول أم الآخر!

❀ ❀ ❀



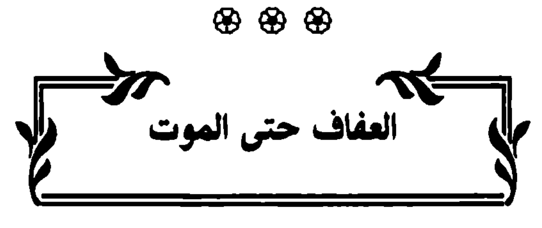
عفاف عروة بن الزبير

جاء في الخبر عن الوليد بن عبد الله بن نافع بنْ دريد، عن أبيه، قال: قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك، فخرجتْ برجله قرحة الآكلة، فاجتمع رأي الأطباء على نشرها، وأنه إن لم يفعل قتلته، فأرسل إلى الوليد يسأله أن يبعث إليه بالأطباء، فأرسلني بهم إليه، فقالوا: نسقيك مرقِّداً قال: ولم؟ فقالوا: لئلا تُحِسَّ بما يُصنع بك، قال: بل شأنكم بها.

قال: فنشروا ساقه بالمنشار، قال: فما زال عضو من عضو حتى فرغوا منها، ثم حسموها، فلما نظر إليها في أيديهم تناولها، وقال: الحمد لله، أمّا والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام قط.

وفي رواية أخرى أنه قال: إن مما يطيِّب نفسي عنك أني لم أنقلك إلى معصية الله قط.

❀ ❀ ❀



العفاف حتى الموت

وقد جاء عن أبي عبد الرحمن العجلاني، عن ابن سهل بن سعد الساعدي، قال: كنت بالشام فقال لي قائل: هل لك في جميل، فإنه لِمَا به، قال: فدخلتُ عليه وهو يجود بنفسه، ما تخيل لي أن الموت يكربه، فقال لي: يا بن سعد ما تقول في رَجل لم يسفك دماً حراماً قط، ولم يشرب خمراً قط، ولم يزْن قط، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله منذ خمسين سنة؟

الصبر على المصائب وعما تميل إليه النفس من لذة وشهوة

«عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له. وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له[1]». هنيئاً لمن شكر مولاه على ما أنعم، ولمن صبر على بلواه، من غير تذمر ولا تضجر. ففي شكره لله جل وعلا على نعمه، يتجلى فيه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7]. ومن صبر على الإبتلاء، محتسباً أجره على الله تعالى، تجلى فيه قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 156-157].

وقد أمر الله جل وعلا، بالصبر والصلاة، لمجابهة الشدائد، ومقاومة المصائب. قال الله ﷻ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45]. قال الإمام الحليمي ـ رحمه الله تعالى ـ قيل:

أراد بالصبر الصوم. لأن فيه صبراً عن الطعام والشراب المعتادين كالنهار مع تحرك الطبع نحوهما، ونزوع النفس إليهما. ولهذا قيل لشهر رمضان شهر الصبر.

وقيل: أريد بالصبر على ما يعرض من المسلمين من قبل أعدائهم المشركين ثم قال جل اسمه ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ فقيل رجعت الكناية إلى الصلاة وحدها، وقيل رجعت إلى كل واحد منهما بمعنى الخصلة أو بمعنى الطاعة، أو بمعنى القربة، أو بمعنى العبادة، أو بمعنى الفعلة. كأنه قال: وإن كل واحدة من الخصلتين أو الطاعتين أو القربتين أو العبادتين أو الفعلتين لكبيرة، أي لشاقة، **إلا على الخاشعين الذين يظنون في كل وقت، أنهم ملاقوا ربهم في ذلك الوقت. فهم يحبون أنهم يردون على الله صائمين مصلين، ولا يدعون طول الأمد إلى المدافعة بالعبادات واستقبالها في حيث ما هو أحب إليهم وآثر عليهم من اتباع الشهوات وغيرها والله أعلم.**

وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153]. والأشبه بالصبر في هذه الآية، الصبر على الشدائد، لأنه ﷻ اتبع مدح

(1) رواه الإمام أحمد (18956) ومسلم (2999)، وغيرهما من حديث صُهيب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ/ به.

الـصـابـريـن بـقـولـه: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 154 ـ 157].

فضرب الأمر بالصبر بالنهي عن أن يقال للشهداء إنهم أموات. وليس المراد القول وحده لأنهم لو كانوا أمواتاً بالحقيقة لم ينهوا عن أن يسموا بأسمائهم: يوصفوا بأوصافهم ولكن المراد، لا تعلموهم أمواتاً. أي لا تعتقدوا فيهم أنهم أموات وأنهم أحياء حيث أصارهم الله إليه وأعده لهم. والمعنى أنهم ليسوا بموتى فلا تجزعوا عليهم كما يجزع على الموتى. على أن الجزع على الموت ليس مما ينبغي بل الصبر على المصيبة لهم ألزم وأولى، فإن الله مع الصابرين، أن يوفقهم للصبر لينبئهم به خيراً، من المعاني التي سلبوها بقبض من قبضه من بينهم. وقد يتموها ما كانت من نفقة كانوا ينفقونها عليهم، أو معونة في النوائب كانوا يبذلونها، أو أنس وبهجة كانا لهم في لقائهم، أو قوة وكثرة كانتا لهم بمكانهم، أو علم وتبصرة كانوا يستفيدونها منهم، وانقطعت مادتها عنهم بموتهم، فالله تعالى ينسيهم بما أخذه منهم إذا صبروا ما يجبر كثيرهم ويزيدهم درجات فيما أعد لهم من الكرامة في الجنّة، ثم قال ﷻ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: 155] أي من قبل الأعداء، والجوع أي نبتليكم بالقحط، ونقص من الأموال أي الآفات التي تجتاح الأموال وهي كثيرة. وتحتمل الأنفس والأمراض والأحزان، وما يعرض للناس في أعضائهم وجوارحهم من العمي والصم والتألم وذهاب الأطراف.

والثمرات، قيل: أراد بها الثمرات التي هي دون الأقوات، وقيل: أولاد الأولاد. وأولاد الأولاد بمنزلة الثمرات من وجهين: أحدهما أن الثمرة من زوائد الأصل، فكذلك الولد من زوائد الوالدين. والآخر أن الثمرة يُستأنس بها وتقر العين برؤيتها إلى أن تبلغ فتكون منها العوائد المقصودة بابتغائها والله أعلم.

ثـم قـال ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: 155 و156]. وأكثر الإشارة في ذلك إلى أن يقولوا في نفوسهم أو يخطروا بقلوبهم. وإذا كانوا له، كان ما ينسبونه إلى أنفسهم من المال والولد أيضاً لله. فإن أخذ عنهم شيئاً فإنما أخذ ما كان له، فليس لهم أن يصابوا بذلك درعاً. فإن المعير إذا استرجع عاريته لم يكن للمستعير أن يتأسف ويحزن ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ أي أنه نازل

بهم في أنفسهم ما نزل بمن يهتمون له، فأولى بهم أن يهتموا لأنفسهم، ويقدموا قبلهم ما يفرحون به إذا وردوا عليه. فإن رجلين لو خرج أحدهما إلى بلد متنقلاً إليه، وأراد الآخر الخروج بعده للانتقال إليه، وهو يعلم أن ذلك نازل، لا يجد القادم فيه إلا ما قدم، فكان اهتمامه لنفسه، وتقديمه إلى ذلك البلد ما يكون معداً فيه حتى إذا قدم وجده فيه، أولى به عند العقلاء من أن يصرف جميع همه إلى التفكر في مفارقة الآخر إياه.

ثم قال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني: القائلين بما حكينا، والمعتقدين لما بيّنا، عليهم صلوات من ربهم للانبيه الحسنة والمدائح الفخمة التي يعظمون لأجلها في عباد الله ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ يعني: كشف الكربة وقضاء الحاجة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ هم المستبصرون بالأحق والألزم المجتنبون للأطغى والأظلم.

جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ في هذا: نعم العدلان، ونعمت العلاوة. يعني بالعدلين: الصلاة والرحمة والعلاوة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾. وقال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: 35] وقال ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: 126 ـ 127]. فأمره أن يصبر على أذى قومه، كما صبر أخوانه من النبيين الذين تقدموه، وكانوا أولي حد في أمر الله، ويوهن القلب على احتمال ما يستقبلهم من قومهم. وأن يستعجل بما لهم عند الله من الجزاء بكفرهم وشقاقهم وأبدانهم، أتاهم وزادهم توصية في الآية الأخرى على الإمرة بالتصبر أن اذكره أنه لا يستطيع الصبر إلا بإعانة الله تعالى إياه عليه، وتوفيقه له، ليرجع إليه ﷻ، فيسلمه إياه أن يصبره وينبئه.

ثم قال: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي فلا تحسر على ما يفوتك كثرة، ووفور عدة بهم لو كثروا بل فإن الله تعالى ناصرك ومكثرك بغيرهم، ومبدل أترابك فيهم خيراً منهم وهذا على أن المراد بالآية، الذين كانوا يؤذونه من قريش، ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي لا تستشعر من الحزن ما يضيق به صدرك لأجل ما تسمعه، أو تظن أنهم يمكرونه بمكانك، فإن الله تعالى ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128] وأنت رأسهم والذين اتبعوك كلهم بهذه الصفة ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: 43]. ومكرهم بشيئ فهو عائد عليهم وغير متجاوزهم إلى غيرهم.

وأما قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: 126]. فقد قيل نزلت في قتل حمزة ﷺ. قال النبي ﷺ لما رآه قد مثل به

قال: «لئن أظهرني الله عليهم لأصنعن بثلاثين منهم مثل الذي صنعوا بحمزة»، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: 126][1].

ثم قال: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عن المجازاة والمماثلة ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ ولم يقل: فهو خير لكم. لأن الصبر ليس بمستحب لهم، ولكن لكل مصاب بظلم، فالصبر على الانتقام والتشفي من ظالمه في الدنيا، فذلك أشفى لصدر المظلوم، من أن يفعل في الدنيا به مثل ما فعل. لأن أدنى ما يمسه من وهج النار أعظم وأكثر من كل ما يمكن أن يفعل بالظالم، ويأتيه بمكافئة في الدنيا.

ـ توبة الظالم وتعويض المظلوم

وأما أن يكون الظالم وقد صار إلى ما يوجب له مغفرة الله تعالى في الآخرة فالله تعالى يعوض المظلوم ما أصابه من الظلم الذي لحقه، ما هو أعلى قدراً وأجل

(1) روى الإمام أحمد (21288) والنسائي في «الكبرى» (6/11279) والحاكم (2/3368) وغيرهم، بإسناد حسن، واللفظ للنسائي، من طريق أبي العَالِيَةِ، عن أُبَي بنِ كَعب ﷺ. قَالَ: لَما كَانَ يوْمُ أُحد، أُصِيبَ مِنَ الأنصَارِ أَرْبَعَة وَسِتونَ رَجُلاً، وَمِنَ المُهَاجِرِينَ سِتةٌ: مِنْهُمْ حَمْزَةُ، فَمَثلُوا بِهِ، فَقَالَتِ الأَنصَارُ: لَئِنْ أَصَبنَا مِنهُمْ يَوْماً مِثْلَ هَذَا لَنُرْبِيَنَّ عَلَيهِم، فَلَما أَنْ كَانَ يَوْمُ فَتْح مَكةَ، فَأَنزَلَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾، فَقَالَ رَجُل: لا قُرَيْشَ بَعدَ اليَوم، فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كُفُّوا عَنِ القَومِ غَيرَ أَربَعَةٍ» والأربعة: هم: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح. أما عكرمة بن أبي جهل، فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمنه. فخرجت في طلبه إلى اليمن، حتى أتت به رسول الله ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه.

وأما عبد الله بن خطل، فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو بزرة الأسلمي، اشتركا في دمه. وابن خطل، رجل من بني تميم بن غالب. وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله، لأنه كان مسلماً ـ فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى من المسلمين يخدمه فنزلا منزلاً، وأمر ابن خطل المولى أن يذبح له تيساً فيصنع له طعاماً، فنام فاستيقظ ولم يصنع المولى له شيئاً، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً.

وكانت له قينتان ـ فرتنى وسارة ـ وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه. فقتلت فرتنى، وهربت صاحبتها، وبقيت حتى أوطأها رجل فرسه فقتلها في زمن عمر. ويقال: إن فرتنى أسلمت، وإن سارة أمنها رسول الله ﷺ.

وأما مقيس بن صبابة، فقتله نميلة بن عبد الله، رجل من قومه بني ليث، حي من بني كعب.

خطراً وأعظم نفعاً منه. فإذا كان كذلك، بان بأن الصبر خير للمظلوم من التشفي والانتقام، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]. وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: 22 ـ 23]. فأخبر ﷻ أن ما يصيب الناس من زوال نعمة عنهم، فإنما سببه حادث وقع منهم. إما ترك الشكر، وإما ارتكاب معصية بعد إحسان الله تعالى بالخوف. وقد يجوز أن يكون هذا الكلام خارجاً عن الأغلب الأكثر، أي فإذا كان هكذا، فلا تحزنوا من المصيبة إذا وقعت، وارجعوا باللوم على أنفسكم، واحفظوا من الأسباب المؤدية إلى المصائب قبل أن تقع لئلا تقع. وهذا فإن المصيبة بما يمكن بحكم العادة أن تدوم كالصحة والثروة والذكر الحسن والعلم والحكمة ونحوها والله أعلم.

المصيبة العامة والخاصة

وأما قول الله ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ يحتمل ـ والله أعلم ـ ما أصاب من مصيبة عامة ولا خاصة إلا وقد كتبها الله في اللوح المحفوظ من قبل أن يرفعها وينزلها، فقد أعلمكم ذلك، وبينه لكم لكيلا تأسوا على ما فاتكم، وتعلموا أن الغبطة كانت مقدرة بالوقت الذي جاوزتكم فيه. ومن أعطى شيئاً إلى وقت لم يمنع له إذا استرجع منه بعد ذلك أن يحزن. ولا تفرحوا بما أتاكم، أي لا تسروا به وتنظروا به وتتكبروا به، على من لم يؤت مثل ما أوتيتم، لأنه عارية عندكم وليست بملك. فإن حقيقة الملك لله ﷻ، وليس للمستعير أن يتبذخ بالعارية، لأنه لا يأمن في كل لحظة أن يسترجعها منه صاحبها، فنعم الدنيا هكذا والله أعلم.

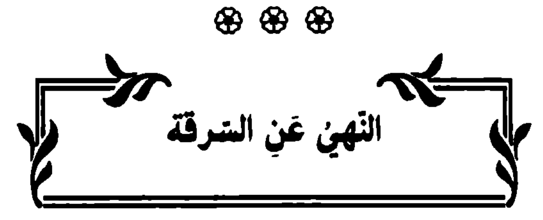
وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: 20] إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الرعد: 22]. وقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10]. وقال: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: 58 ـ 59]. والصبر في هذه الآيات ينتظم معاني: أحدها: الصبر على كلف العبادات، وما يلحق النفس في إقامتها من المشقة. والآخر: الصبر على المصائب المؤلمة الكارثة. والثالث: الصبر على أذى المخالفين وما يفرغ للأسماع من قولهم السوء، واستهزائهم وسبهم وما يتصل بذلك من أمرهم. والرابع: الصبر على

الشهوات ومجاهدة النفس في وقعها عما يهم به منها حلالها وحرامها. وجملة ذلك الصبر عما لا ضرورة إليه ونزل عليه. وقد يجوز أن تكون هذه الوجوه كلها مرادة بهذه الآيات، لأنه لا ينافي بينها حتى إذا كان أحدها من إذا امتنع أن يكون للآخر مراداً.

ـ معنى الصبر والمصابرة

وقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]. فقيل معنى قوله ﷻ ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ أي على ما كُلِّفتم، ولا تُخِلّوا بشيء منه ولا تقصروا فيه. ومعنى قوله ﴿وَصَابِرُواْ﴾ أي صابروا العدو واثبتوا لهم كما يثبتون لكم. وقال قبل هذا ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186] فأخبركم ﷻ أن نسخ الشرائع المتقدمة وانبعاث نبي فله جريده، والأمر مع ذلك بقتال من خالف. فعرضهم لأن يبتلوا في أموالهم وأنفسهم. أما في أموالهم بأن ينفقوها في نصرة دين الله، وبأن يذهب منهم إن ظهر أمر العدو عليهم، والأنفس بأن يمتهن ويبتذل ويجوع ويعطش وينصب ويجهد في نصرة دين الله. وأن يعرض للقتل، فيطاب نفساً عنها ويعوضهم أن لا يسمعوا من أهل الملل المرفوعة، ومن المشركين أذى كثيراً. فإن هم ضاقوا صدراً بكل مكروه يلحقهم فليعلموا أن لا قوام لدينهم في التضجر بما يصيب فيه ولأجله. وإن وطّنوا قلوبهم على الصبر واتقوا عذاب الله تبارك وتعالى فلم يعرضوا دينهم للذهاب، باستشعار القلق والضجر ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾. أي من فعل الحازم العازم، وهو الثابت في الأمر الجاد فيه. وهكذا حكمه ﷻ عن لقمان بعدما وصفه بالحكمة أنه قال فيما وعظ به ابنه: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: 17]. وبالله التوفيق.

❀ ❀ ❀



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 38، 39].

وفي «الصحيحين» من حديث عبد الله بن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَن النَّبِيَّ ﷺ قَطَعَ في مجن قِيمَتُهُ ثَلاَثة دَرَاهِمَ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِق الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ». (متفق عليه)

وعن السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَتْ مَخْزُومِيَّةٌ تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ وَتَجْحَدُهُ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَطْعِ يَدِهَا. (متفق عليه)

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِقطعُوا فِي رُبْعِ دينَارٍ وَلاَ تَقْطَعوا فِيمَا دُونَ ذَلِكَ». رواه أحمد.

وفي التنزيل المبارك: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179].

العبودية الكاملة

العبادة: إظهار التذلل. ولا تصح إلا لله تعالى الواحد الأحد، الفرد الصمد. والعبد: المتذلل الخاضع، وطريق تعبده: يعني مذللة للمشي عليها. أما الطاعة: فهي فعل المأمورات، ولو ندباً، وترك المنهيات، ولو كرهاً. وتجوز الطاعة لغير الله تعالى في غير المعصية، ولا تجوز العبادة لغير الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23] وفي «الفوائد»: لله سبحانه على عبده أمرٌ أمره به، وقضاءٌ يقضيه عليه، ونعمة ينعم بها عليه، فلا ينفك من هذه الثلاثة. والقضاء نوعان: إما مَصائب، وإما مَعايب. وله عليه عبودية في هذه المراتب كلها. فأحَبُّ الخلق إليه من عرف عبوديته في هذه المراتب ووفاها حقها، فهذا أقرب الخلق إليه. وأبعدهم منه مَنْ جهل عبوديته في هذه المراتب، فعطلها علماً وعملاً.

فعبوديته في الأمر امتثاله إخلاصاً واقتداءً برسول الله ﷺ. وفي النهاية اجتنابه خوفاً منه وإجلالاً ومحبة.

وعبوديته في قضاء المصائب الصبر عليها، ثم الرضا بها، وهو أعلى منه. ثم الشكر عليها، وهو أعلى من الرضا. وهذا إنما يتأتى منه إذا تمكّن حبُّه من قلبه عَلِمَ حسن اختياره له وبرّه له ولطفه به وإحسانه إليه بالمصيبة وإن كره المصيبة.

وعبوديته في قضاء المعايب المبادرة إلى التوبة منها والتنصّل، والوقوف في مقام الاعتذار والانكسار، عالماً بأنه لا يرفعها عنه إلا هو، ولا يقيه شرّها سواه، وأنها إن استمرّت أبعدته من قربه وطردته من بابه؛ فيراها من الضرِّ الذي لا يكشفه غيره، حتى إنه ليراها أعظم من ضرِّ البدن. فهو عائذ برضاه من سخطه، وبعفوه من عقوبته، وبه منه مستجير، وملتجئ منه إليه، يعلم أنه إذا تخلى عنه وخلى بينه وبين نفسه فعنده أمثالها وشر منها، وأنه لا سبيل له إلى الإقلاع والتوبة إلا بتوفيقه وإعانته، وأن ذلك بيده سبحانه لا بيد العبد، فهو أعجز وأضعف وأقل من أن يوفق نفسه أو يأتي بمرضاة سيده بدون إذنه ومشيئته وإعانته، فهو ملتجئ إليه متضرع ذليل مسكين، مُلقٍ نفسه بين يديه، طريحٌ ببابه، مُستَخذٍ له، أذلّ شيء وكسره له، وأفقره وأحوجُه إليه، وأرغبه فيه، وأحبه له، بدنُه متصرف في أشغاله، وقلبُه ساجد بين يديه، يعلم يقيناً أنه لا خير فيه ولا له ولا به ولا منه، وأن الخير كله لله وفي يديه وبه ومنه؛ فهو وليُّ نعمته، ومبتدئه بها من غير استحقاق، ومُجريها عليه مع تَمَقُّتِهِ إليه بإعراضه وغفلته ومعصيته.

فحظه سبحانه الحمد والشكر والثناء، وحظ العبد الذمّ والنقص والعيب. قد استأثر بالمحامد والمدح والثناء، وولى العبدَ الملامة والنقائص والعيوب؛ فالحمد كله له، والخير كله في يديه، والفضل كله له، والثناء كله له، والمِنّة كلها له؛ فمنه الإحسان، ومن العبد الإساءة، ومنه التودُّد إلى العبد بنِعَمه، ومن العبد التبغض إليه بمعاصيه، ومنه النصح لعبده، ومن العبد الغش له في معاملته.

وأما عبودية النعم، فمعرفتها والاعتراف بها أولاً، ثم العياذ به أن يقع في قلبه نسبتها وإضافتها إلى سواه، وإن كان سبباً من الأسباب فهو مسببه ومقيمه؛ فالنعمة منه وحده بكل وجه واعتبار، ثم الثناء بها عليه، ومحبته عليها، وشكره بأن يستعملها في طاعته.

ومن لطائف التعبُّد بالنعم أن يستكثر قليلها عليه، ويستقلّ كثير شكره عليها، ويعلم. أنها وصلت إليه من سيده عن غير ثمن بذله فيها ولا وسيلة منه توسل بها إليه ولا استحقاق منه لها، وأنها لله في الحقيقة لا للعبد؛ فلا تزيده النعم إلا انكساراً وذلاً وتواضعاً ومحبة للمنعم. وكلما جدَّدَ له نعمةً أحدث لها عبودية ومحبة وخضوعاً وذلاً، وكلما أحدث له قبضاً أحدث له رضى، وكلما أحدث ذنباً أحدث له توبة وانكساراً واعتذاراً. فهذا هو العبد الكيِّس، والعاجز بمعزل عن ذلك. وبالله التوفيق.

❀ ❀ ❀

تحت أطباق الثرى

عجباً لعينِي كيف يَطْرقها الكَرى ... ولحيلتي وقد انجلَى عنِّي المرَا

ألهو وأعلَمُ أنه قد فُوِّقَت ... نَحوي سهامُ الَحتْف أم حَيني كَرى[1]

وإذا هَمَمْتُ بتوبةٍ وإنابةٍ ... عرضَتْ لي الدنيا فعُدت القَهقرَى

كم قد سمعتُ وقد رأيت مَواعظاً ... لو كنت أعقِل حين أسمع أو أرَى

أين الذين طَغوا وجارُوا واعتَدَوا ... وعتَوْا وطالُوا واستخفوا بالورَى

أو ليس أعطتهم مقاليدُ العُلاَ ... حتى لقد خضعتْ لهم أُسد الشَّرَى

وتمسَّكوا بحِبالَها لكنَّها ... فصمتْ لهم منها وَثِيقات العُرَى

ما أخلدَتهم بعد سالفِ رِفعةٍ ... بل أنزلتهم من شَماريخ الذُّرَى

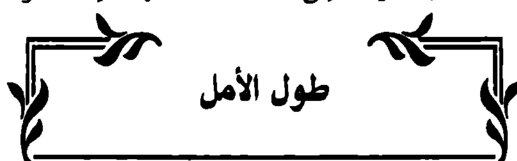
وإلى البِلَى قد نقّلوا وتشوَّهت ... تلك المحاسنُ تحتْ أطَباق الثُّرى

لو أخبروك بحالِهم ومآلهم ... أبكاك دَهْرَك ما عليهم قد جَرى

أفناهُم مَن ليس يَفْنى مُلكه ... ذو البَطشةِ الكبْرَى إذا أخذ القُرَى

فاصرفْ عن الدنيا طِماعك إنما ... ميعادها أبداً حديثٌ يُفترَى

وصِلِ السَّرَى عنها فما ينجيك مِنْ ... آفاتها إلا مُواصلة السُّرَى



طول الأمل

التسويف وطول الأمل ـ صنفان لمبدأ واحد. فللشيطان عليك مداخل. منها «سوف» ومنها «الركون إلى الدنيا، وطول الأمل» والله جل وعلا يحذرنا من اتباع وساوس الشيطان وخطواته فيقول لنا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 208 ـ 209]. ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا

(1) في «اللسان وكرى الرجل: عدا عدواً شديداً. قال ابن دريد وليس باللغة العالية. وتكون «أم» هنا إضرابية بمعنى بل.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 21].

يقول الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ:

من تفكر في عواقب الدنيا، أخذ الحذر، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر.

ما أعجب أمرك يا من يوقن بأمر ثم ينساه، ويتحقق ضرر حال ثم يغشاه! ﴿مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: 37]. تغلبك نفسك على ما تظن، ولا تغلبها على ما تستيقن. أعجب العجائب سرورك بغرورك، وسهوك في لهوك، عما قد خبئ لك. تغتر بصحتك وتنسى دنو السقم، وتفرح بعافيتك غافلاً عن قرب الألم.

لقد أراك مصرع غيرك مصرعك، وأبدى مضجع سواك ـ قبل الممات ـ مضجعك. وقد شغلك نيل لذّاتك، عن ذكر خراب ذاتك:

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى ولم ترَ في الباقين ما يصنع الدهر

فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم محاها مجال الريح بعدك والقبر

كم رأيت صاحب منزل ما نزل لحده، حتى نزل! وكم شاهدت والي قصر، وليه عدوه لما عزل! فيا من كل لحظة إلى هذا يسرى، وفعله فعل من لا يفهم ولا يدري...

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر من أي المحلين تنزل؟

❀ ❀ ❀

ذكر أقسام حال النفس

يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: 7 ـ 10].

ويقول جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: 53].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: 2].

ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: 27 ـ 30].

عَاقِبَةٌ جَمِيلَةٌ لِخُلُوصِ التَّوْبَةِ، وَهِيَ حَالَةُ أَكْثَرِ الْخَلْقِ[1].

وَلِفَضْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ، أَقْسَمَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ بِهَا فقَالَ: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: 2].

وَقِيلَ: التِي أَقْسَمَ اللهُ بِهَا هِيَ الَّتِي تَلُومُ عَلَى التَقْصِيرِ فِي الطَّاعَةْ.

وَقِيلَ: لَمْ يُقْسِم اللهُ قَطُّ بِنَفْسٍ، وَإِنَّمَا نَفَى الْقَسَمَ بِهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ أَصْلِيَّةٌ فِي النَّفْي.

وَقِيلَ: هِيَ زَائِدَةٌ وَلَكِن الْقَسَمَ عَلَى تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ كَأَنَّهُ قَالَ: أُقْسِمُ بِرَبِّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَنَحْوِهِ.

وَأَمَّا النَفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ[2]: فَهِيَ الَّتِي اسْتَقَرتْ وَتَمَكَنَتْ، وَلَهَا فِي الاسْتِقْرَارِ مَنَازِلُ لَمْ يُحِطْ بِهَا الْعلَمَاءُ.

الْمَنْزِلَةُ الأولَى: الطُّمَأْنِينَةُ بِالتَّوْحِيدِ، حَتَّى لا يَكُونَ بِهَا انْزِعَاجٌ بِرَيْبٍ.

الْمَنْزِلَةُ الثانِيةُ: الطُّمَأْنِينَةُ بِذِكْرِ اللهِ، حَتَّى لا يَكُونَ لِغَيْرِهِ عِنْدَهَا قَدْرٌ، قَال النَبِيُّ ﷺ: «**هَذَا جُمْدَانُ، سِيرُوا، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ، قِيلَ: يَا رَسولَ الله مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الَّذِينَ يُهْتَدونَ بِذِكْرِ اللهِ**»[3]، والذين يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُم أَوْزَارَهُمْ.

الْمَنْزِلَةُ الثَّالِثَة: الطمَأْنِينَةُ بِالْيَقِينِ حَتَى لا يَجْرِي عَلَيْهَا وَسْواسٌ، وَهَذَا لَيْسَ لأحَدٍ[4]، قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾

---

(1) عرّفها ـ ابن العربي ـ رحمه الله تعالى ـ أيضاً في كتابه «سراج المريدين»: (75/أ) فقال: هي التي إذا عثرت استقلت، وإذا طغت رجعت، وإذا عصت استغفرت، وهي أبداً في اضطراب.

(2) عرّفها ابن العربي في «السراج» (75/أ)، فقال: هي التي سارت على الجادة، واستقرت في موطن الطاعة.

(3) رواه الإمام أحمد (8297) وغيره، ومعنى قوله ﷺ: «**يهترون في ذكر الله**» أي يولعون بذكره تعالى. قيل: هم الذين كبروا في طاعته جل وعلا، وهلكت أقرانهم. من قولهم: أهتر الرجل، فهو مهتر، إذا سقط في كلامه من الكبر، والله أعلم. والحديث رواه مسلم (2676)، وفيه: قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**»، وجمدان: جبل من جبال المدينة.

(4) قال في «السراج» (76/ب): وهذا للأنبياء، فإن تطرق دفعه بالتوحيد، وهذا للأولياء، فإن تطرّق دفعه بالمجاهدة، وهذا للمؤمنين. أهـ.

[فصلت: 36]. وَقَالَ الصَّحَابَةُ يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا شَيْئاً لأنْ نَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفَنَا الطَّيْر أخفُّ عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَلِكَ صَرِيحُ الإيمَانِ»[1].

يَعْنِي: مُجَاهَدَةَ دَفْعِهِ، إِذْ لا بُدَّ مِنْ وَقْعِهِ، فَرَحِمَ اللهُ الْخَلْقَ حِينَ ابْتَلاهُمْ بِهِ بِأَنْ جَعَلَ مُجَاهَدَتَهُمْ في دَفْعِهِ إِيمَاناً صَرِيحاً.

الْمَنْزِلَةُ الرَّابِعَةُ: الطُّمَأنِينَةُ بِطَاعَةِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ، حَتَّى لاَ يَكُونَ لَهُ فِي الْمَعْصِيَةِ حَظ، وَهَذَا مُمْكِن فِي الْكَبَائِرِ لِكُلِّ أحَدٍ، وَفِي الصَّغَائِرِ لِلأنْبِيَاءِ ـ صَلَواتُ الله عَلَيهِمْ ـ وَالأوْلِيَاءِ.

الْمَنْزِلَةُ الْخَامِسَةُ: الطُّمَأنِينَةُ بِالتَّوْبَةِ، حَتَى لا يَبْقَى لِلْمَعْصِيَةِ فِي النَفْسِ أثَرٌ.

الْمَنْزِلَةُ السَّادِسَةُ: الطُّمَأنِينَةُ بِالْبِشَارَةِ، كَقَوْلِ الصَّادِقِ ﷺ: «فُلانٌ فِي الْجَنَةِ» أَوْ «قدْ غُفِرَ لَهُ».

الْمَنْزِلَةُ السَّابِعَةُ: الطُّمَأنِينَةُ بِالْبُشْرَى عِنْدَ الْمَوْتِ، كَقَوْلِ المَلَكِ لِلْمَيِّتِ «اخْرُجِي أيَّتُهَا الرُّوحُ الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ»[2] وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: 64].

وَتُرَتَّبُ عَلَيْهِ سَائِرَ الْبِشَارَاتِ الْمُتَرَادِفَةِ فِي القبْرِ وَالنَّشْرِ وَالْعَرَصَاتِ، عِنْدَ نُزُولِ الْمَخَاوِفِ بِمَا يُشاهَدُ مِنْ عَظِيمِ الْهَوْلِ وَشِدَّةِ الْكَرْبِ، وَجَوَازِ الصِّرَاطِ وَتَطَايُرِ الصُّحُفِ،

---

(1) رواه الإمام أحمد (9883) ومسلم (132) وأبو داود (5111) والنسائي في «اليوم والليلة» (669) و(670) والطيالسي (2401)، وغيرهم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، بألفاظ متقاربة.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ تعالى: قوله ﷺ: «ذلك صريح الإيمان» معناه، استعظامكم الكلام به، هو صريح الإيمان. فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به، فضلاً عن اعتقاده، إنما يكون ممن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً، وانتفت عنه الريبة والشكوك، والله أعلم. انتهى مختصراً.

(2) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (8769) ومسلم (2872) والحاكم (1304)، وغيرهم بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن المؤمن إذا احتضر، أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: أخرجي راضية مرضية عنك، إلى روح وريحان، ورب غير غضبان» الحديث وانظره أخي الكريم بتمامه في كتابنا «الأحاديث القدسية» (140/ 142). دار الفكر.

وَنَصْبِ الْمِيزَانِ وَزَفْرَةِ جَهَنَّمَ، وَنِدَاءِ الرَّبِّ الْمُتَحَابِّينَ وَالْمُقْسِطِينَ. فَهَذِهِ أَقْسَامُ النَّفْسِ وَأَحْوَالُهَا، وَأُصُولُ مَرَاتِبِ كُلِّ قِسْمٍ مِنْهَا، وَوَجْهُ تَرْتِيبِهَا فِي الْعِلْمِ، وَذِكْرُهَا عِنْدَ التَّعْلِيمِ وَمَا يَرْتَبِطُ بِهَا، وَسَوْقُهَا عِنْدَ التَّعْبِيرِ وَالتَّأْوِيلِ، وَتَرْكِيبُهَا عَلَى الآيَاتِ حَيْثُ مَا وَرَدَتْ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَضَمُّ نَشْرِهَا بِذِكْرِ مَا يَتَّصِلُ بِهَا وَيَنْفَصِلُ عَنْهَا، وَإِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى النَّفْسِ وَحَالَهَا، وَانْقِسَامَهَا فِي صِفَاتِهَا، وَنُقْصَانَهَا أَوْ كَمَالَهَا، وَتَصَرُّفَهَا فِي أَفْعَالِهَا، وَأَحْكَامَهَا فِي انْكِفَافِهَا وَاسْتِرْسَالِهَا، وَتَوَصُّلِهَا إِلَى بَارِئِهَا بِاسْتِدْلالِهَا، فَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ ـ كَمَا قَدَّمْنَا ـ فِي الْقَسَمِ بِهَا:

وَتَحْقِيقُ ذَلِكَ: أنَّ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْهَا مَا عَظَّمَ اللهُ، ـ وَكُلٌّ عَظِيمٌ ـ، لأنَّ اللهَ خَلَقَهُ، وَمِنْهَا مَا صَغَّرَهُ لأنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ ذَمَّهُ وَحَقَّرَهُ، أَوْ يُقَالُ فِيهِ: إنه صَغِيرٌ بِمَعْنَى أنَّ قُدْرَةَ اللهِ أَعْظَمَ مِنْهُ.

وَلَقَدْ كُنْتُ يَوْماً فِي جَامِعِ الْخَلِيفَةِ بِبَغْدَادَ لِصَلاةِ الْجُمُعَةِ، وَإِذَا بِصَبِيٍّ وَاقِفٍ عِنْدَ حَائِطِ الْمَقْصُورَةِ لَمْ يَبْلُغْ ثَمَانِيَةَ أَعْوَامٍ بِحَالٍ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ فِي التَّوْحِيدِ وَيُورِدُ فِيهِ مَسْطُوراً بَدِيعاً، تَعْجَزُ الْمَشْيَخَةُ عَنْهُ قَدْ كَانَ لُقِّنَهُ، فَذَكَرَ أنَّ عَبْدَ اللهِ ابنَ الْمُبَارَكِ سُئِلَ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ: هُوَ تَرْكُ التَّعَجُّبِ، وَمَعْنَى هَذَا: ألاَّ تَرَى شَيْئاً بَدِيعاً مُتْقَناً فَتَعْجَبَ مِنْهُ لأنَّ قُدْرَةَ اللهِ أَعْظَمَ مِنْهُ، فَجَعَلْتُ أَنَا أَعْجَبُ وَأَطْرِقُ مُدَّةً مُتَفَكِّراً فِي جَوْدَةِ حِفْظِهِ، وَحُسْنِ إِيرَادِهِ عَلَى فَرْطِ صِغَرِ سِنِّهِ. فَلَنَا نَحْنُ أَنْ نُعَظِّمَ مَا عَظَّمَ اللهُ لأنَّهُ خَلْقُ اللهِ، وَلَنَا أَنْ نُصَغِّرَهُ لأن اللهَ ـ تَعَالَى ـ أَعْظَمُ مِنْهُ، أَوْ بِإِضَافَتِهِ إِلَى غَيْرِهِ. وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى خَرَجَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»[1].

لَيْسَ لَنَا نَحْنُ تَصَرُّفٌ فِي الاعْتِقَادِ وَالْقَوْلُ فِي هَذَا إِلاَّ هَكَذَا.

فَأَمَّا الرَّبُّ ـ سُبْحَانَهُ ـ فَلَهُ أَنْ يُعَظِّمَ مَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ تَعْظِيمِهَا عِنْدَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِهَا، ألا تَرَى أَنَّهُ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِكْرَاماً لَهُ وَتَشْرِيفاً فَقَالَ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: 72].

ثُمَّ زَادَهُ تَشْرِيفاً بِأَنْ أَقْسَمَ بِخَيْلِهِ وَضُبَاحِهَا، وَضَرْبِهَا فِي الأَرْضِ وَانْقِدَاحِهَا،

(1) رواه الإمام أحمد (12137) ومسلم (2150) والطيالسي (2147)، وغيرهم. من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، بألفاظ متقاربة. والنغير: تصغير نغر وهو البلبل، أو فرخ العصفور.

وَغَارَاتِها فِي صَبَاحِهَا، وَإِذَا قَالَ ذَلِكَ سُبْحَانَهُ وَعَنهمَ وَأَقْسَمَ بِهَا وَتَكَلَّمَ فَيَكُونُ هَذَا مَخْصُوصاً بِالْبَارِىءِ عَلَى قَوْلٍ، وَفِي آخَرَ يَكُونُ لَنَا أَنْ نُقْسِمَ بِمَا أَقْسَمَ بِهِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَذَلِكَ لأنَّ الْقَسَمَ بِغَيْرِ اللهِ كَانَ مَمْنُوعاً فِي صَدْرِ الإِسْلامِ قَطْعاً، لِذَرِيعَةِ تَعْظِيمِ الْخَلْقِ لِغَيْرِ اللهِ - تَعَالَى - وَاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ لَهُمْ أَثَراً فِي نَفْعٍ أَوْ ضُرٍّ، فَنهُوا عَنْ ذَلِكَ حَسْماً لِلْبَابِ، حَتَّى اسْتَقَرَّ التَّوْحِيدُ فِي الْقُلُوبِ وَقَدَّرَ الْكُلُّ اللهَ - تَعَالَى - حَقَّ قَدْرِهِ، وَلِذَلِكَ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ» «دخَلَ الجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ»[1].

وَقِيلَ: إِنَّمَا اقْسَمَ بِهَا لِمَا فِيهَا مِنْ عَظِيمِ الْقُدْرَةِ لله - تَعَالَى -، وَكُل قَسَمٍ أقسَمَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ فَإِنَهُ بِمَخْلُوقَاتِهِ، إِلاّ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ فَإِنَهُ أَقْسَمَ فِيهَا بِنفسِهِ.

الأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: 23].

الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: 53].

الثالِثُ: قَوْلُهُ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: 65].

الرَّابعُ: قَوْلُهُ ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: 7].

الْخَامِسُ: قَوْلُهُ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: 40].

وَالنُّكْتَة الْعُظْمَى وَالْفَائِدَةُ الْكُبْرَى فِي ذِكْرِهِ لِهَذَا الْقَسَمِ الْخَامِسِ بِإدْخَال حَرْفِ «لا» فِيهِ أَنْ يَكُونَ مسَاقُ قَسَمِهِ فِيهِ بِنَفْسِهِ مَسَاقَ قَسَمِهِ بِمَخْلُوقَاتِهِ، لِئَلاً يَظُنَّ مُقَصِّرٌ أَنَّهَا زَائِدَةٌ، وَذِكْرُ القَوْلِ فِي تِلْكَ الأقْسَام عَلَى تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ كَمَا تَقَدَّمَ، فَإن هَذَا كُلَّهُ مُمْتَنِعٌ فِي قَوْلهِ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ وَهُوَ شَافٍ كَافٍ لِكُلِّ مُتَكَلِّفٍ رَمَى بِالْقَوْلِ فِي تِلْكَ الآيَاتِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمْ، فَافْهَمُوهُ تَرْشُدُوا، وَتَيَقَّنُوا أنها لَيْسَتْ بِنَفْيٍ، وَلا بِرَادَّةٍ لِكَلاَم مُتَقَدِّم، فَقَدْ رَدَّهُ قَوْلُهُ ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج: 39].

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾.

وَأَنَا أَقُولُ إِنَّهُ لَوْ أَقْسَمَ بِهَا مُقْسِمٌ لَمَا أَقْسَمَ بِهَا إِلاَّ بِالصِّيغَةِ التِي ذَكَرَ اللهُ - تَعَالَى -، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: لا أَحْلِفُ بِمَوَاقِعِ النجُومِ إِنَّهُ لَقَدْ كَانَ كَذَا وَكَذَا... وَالصَّحِيحُ

(1) جزء من حديث رواه الإمام مالك في «موطئه» (425) وأحمد (1390) والبخاري (46) ومسلم (11) وأبو داود (392)، وغيرهم من طريق مالك بن أنس (فيما قرئ عليه) عن أبي سهل الساعدي، عن أبيه، عن النبي ﷺ، به.

الاقتِداءُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ» ـ رواه البخاري ـ.

فَقَدْ أَقْسَمَ الله بِمَا أَقْسَمَ، فَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَأَمَرَ النبيِّ ﷺ بِمَا أَمَرَ، وَشَرْعُهُ مُتَّبَع، ويحِقُّ لِلنفْسِ أنْ تُعَظَّمَ فَإِنَ لَهَا خِصَالاً وَصِفَاتٍ، وَهِيَ جَادّةُ الْمَعْرِفَةِ وَطَرِيقُ التَّوْحِيدِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجَسَدِ مُنَازَعَاتٌ.

❁ ❁ ❁



أنواع الغيرة

ـ الغيرة غيرتان: غيرة على الشيء، وغيرة من الشيء.

فالغيرة على المحبوب حرصك عليه، والغيرة من المكروه أن يزاحمك عليه.

فالغيرة على المحبوب لا تتم إلاّ بالغيرة من المزاحم، وهذه تحمد حيث يكون المحبوب تقبح المشاركة في حبه كالمخلوق. وأما من تحسن المشاركة في حبه كالرسول والعالم، بل الحبيب القريب سبحانه، فلا يتصوّر غيرة المزاحمة عليه، بل هو حسد.

والغيرة المحمودة في حقه: أن يغار المحب على محبته له أن يصرفها إلى غيره، أو يغار عليها أن يطلع عليها الغير فيفسدها عليه، أو يغار على أعماله أن يكون فيها شيء لغير محبوبه، أو يغار عليها أن يشوبها ما يكره محبوبه من رياء أو إعجاب أو محبة لإشراف غيره عليها أو غيبته عن شهود مِنَّته عليه فيها.

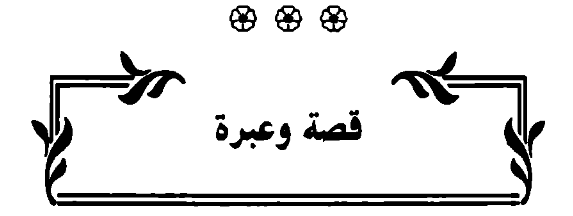
وبالجملة، فغيرته تقتضي أن تكون أحواله وأعماله وأفعاله كلها لله. وكذلك يغار على أوقاته أن يذهب منها وقت في غير رضى محبوبه، فهذه الغيرة من جهة العبد، وهي غيرة من المزاحم له المعوق القاطع له عن مرضاة محبوبه.

وأما غيرة محبوبه عليه، فهي كراهية أن ينصرف قلبه عن محبته إلى محبة غيره، حيث يشاركه في حبه؛ ولهذا كان غيرة الله أن يأتي العبد ما حرم عليه. ولأجل غيرته سبحانه حرَّم الفاحشة ما ظهَرَ منها وما بَطَنَ؛ لأن الخلق عبيده وإماؤه، فهو يغار على إمائه كما يغار السيد على جواريه، ولله المثل الأعلى. ويغار على عبيده أن تكون محبتهم لغيره، بحيث تحملهم تلك المحبة على عشق الصور ونيل الفاحشة منها. (ق)

❁ ❁ ❁

لـطـيـفـة ـ أول مـنـازل الـقـوم ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: 41 ـ 42]، وأوسطها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: 43]، وآخرها: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: 44]. (ق)

❀ ❀ ❀



روى أبو عبد الله الحسين بن محمد الدَّامَغاني، أن بعض ملوك الأعاجم خرج يتصيد وانفرد عن أصحابه، فمرّ بقرية فرأى امرأة جميلة فراودها عن نفسها، فقالت: إني غير طاهرة، فأتطهر وآتي.

فدخلت بيتاً لها فأخرجت منه كتاباً، فقالت: انظر في هذا حتى آتي، فنظر فيه، فإذا فيه ذكر العقوبة على الزنا، فلها عن المرأة وخرج فركب.

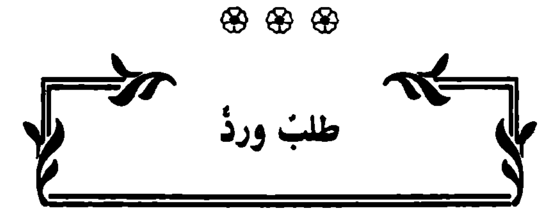
فلما جاء زوجها أخبرته الخبر، فكره أن يقربها مخافة أن يكون للملك فيها حاجة، فاعتزلها، فاستَعْدى عليها أهلها إلى الملك، فقالوا أعز الله الملك، إن لنا أرضاً في يد هذا الرجل فلا هو يَعْمُرها ولا هو يردُّها علينا، فقد عطلها!

فقال له الملك: ما تقول؟

قال: إني رأيت في هذه الأرض أثر الأسد وأنا أتخوَّف الدخولَ منه. ففهم الملك الأمر.

فقال: عمِّر أرضك فإن الأسد لا يدخلها. ونِعْمَ الأرض أرضك. (ج)

❀ ❀ ❀



كتب أسبهد ودست الديلمي الشاعر إلى امرأة في صباه:

مـا تـقـولـيـن فـي فـتـى يـهـواكِ ... ومُـنَـاهُ فـي كـل وقـت يـراكِ

قـد تـخـلّـى بـالـهـم فـيـك ومـا يـفـ ... ـتُـر مـنـه الـلـسـان عـن ذكـراكِ

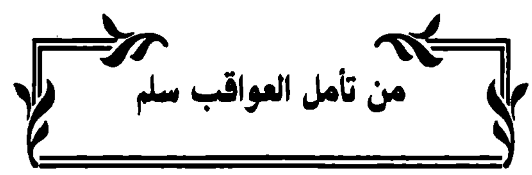
فأجابته:

لستُ ممن يبغي الوصال حراماً إنّ فعل الحرام كالإشراكِ

إن طلبْتَ الحلال منا أطعناك وإلا فاعدل إلى الإمساك

إن خيرَ الأعمال ما كان عقبا ه نجاةً من الأذى والهلاك

❀ ❀ ❀



من تأمل العواقب سلم

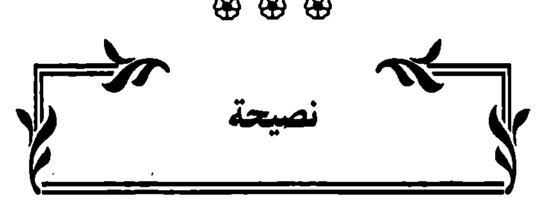
من عاين بعين بصيرته تناهي الأمور في بداياتها، نال خيرها ونجا من شرها.

ومن لم ير العواقب غلب عليه الحس، فعاد عليه بالألم ما طلب منه السلامة، وبالنصب ما رجا منه الراحة. وبيان هذا في المستقبل، يتبين بذكر الماضي، وهو أنك لا تخلو، أن تكون عصيت الله في عمرك، أو أطعته. فأين لذة معصيتك؟ وأين تعب طاعتك؟ هيهات رحل كل بما فيه! فليت الذنوب إذ تخلّت خَلَت!

وأزيدك في هذا بياناً: تَمَثَّل ساعة الموت، وانظر إلى مرارة الحسرات على التفريط، ولا أقول: أين ذهبت حلاوة اللذات؛ لأن حلاوة اللذات استحالت حنظلاً، فبقيت مرارة الأسى بلا مقاوم. أتراك ما علمت أن الأمر بعواقبه؟

فراقب العواقب تسلم، ولا تَمَلْ مع هوى الحس فتندم. (ج)

❀ ❀ ❀



نصيحة

إرجع إلى الله، واطلبه من عينك وسمعك وقلبك ولسانك، ولا تشرد عنه من هذه الأربعة؛ فما رجع مَن رجع إليه بتوفيقه إلاً منها، وما شرد ما شرد عنه بخذلانه إلا منها، فالموفق يسمع ويبصر ويتكلم ويبطش بمولاه، والمخذول يَصدُر ذلك عنه بنفسه وهواه. (ق).

❀ ❀ ❀

القوة الرمي

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [الأنفال: 60].

- روى الإمام أحمد (17437).. ومسلم (1917) وأبو داود (2514)، وغيرهم من حديث عقبة بن عامرٍ رضي الله عنه، قال: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: 60] **ألاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّميُ، ألاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّميُ، ألاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّميُ**» لفظ مسلم.

الاستعداد للموت

يا حاملاً من الدنيا أثقالاً ثِقالا، يا مطمئنًاً لا بدَّ أن تنتقل انتقالاً، يا مُرسلاً عِنانَ لهْوه في ميدان زَهوه إرسالاً؛ كأنك بجفنيك حين عُرِض الكتابُ عليك قد سالاً.

أين المعترِف بما جناه، أين المعتذِر إلى مولاه، أين التائب من خطاياه، أين الآيب مِن سَفر هواه. نيران الاعتراف تأكل خطايا الاقتراف، مَجَانيق الزَّفَرات تَهدم حصونَ السيئات، مياه الحسَرات تغسل أنجاسَ الخطيئات.

يا طالبَ النجاة دُمْ على قرْعْ الباب، وزاحمْ أهلَ التُّقَى أولي الألباب، ولا تَبْرح وإنْ لم يُفتح فرب نجاح بعد اليأس، ورُبَّ غنىً بعد الإفلاس.

صبراً فما يظْفر إلا من صَبَرْ ... إنّ الليالي واعداتٌ بالظَّفَرْ
وربّماَ يَنهض جدٌّ مَنْ عثر ... ورُبَّ عظم هِيضَ حيناً وانجبرْ

إذا تبتَ من ذنوبك فاندم على عيوبك، وامحُ بدموعك قبيحَ مكتوبك، والبس جلبابَ الفرَق، وتضرَّع على باب القلَق، وقل بلسان المحترِق:

قد فعلتُ القبيحَ وهو شبيهي ... خطَأً فافعل الجميلَ بعفوكْ
وَفَدَتْ رَغبتي إليك وما زِلتَ ... تحيِّي بالنَّجاح أوجُهَ وَفْدِكْ

قف وقوف المنكسرين، وتبتل تبتّلَ المعتذرين، واستشعر الخضوع، واسْتجلب الدموع، واحتَل واحذر سهم الغضب أن يصيب المقْتَل.

يا سيدي ما هفْوتي بغريبةٍ — منّي ولا غُفْرانها بطريف
فإنْ تقبل العبدَ الضعيف تطوُّلاً — فإنّ رجائي فيك غيرُ ضعيف

كم أتيتُ ذَنباً فسترتَ، وكم جنيتُ جنايةً فنظرت، فبالحلم والكرمَ إلاّ غفرت.

فقد طالما أنقذَتني يداكَ — وقد قَلْقَلتني حِبالُ الردَى
فو الله لا شِمْتُ غيثاً سِواكَ — فإمّا نَداك وإمّا الصدى. (ج)

❁ ❁ ❁



مرض القلوب

إخواني: إنما مرضُ القلوب من الذنوب، وأصل الغافية أن تتوب، دوام التخليط يوقِع في صِعَاب العِلل، أسمعت يا مريض الشَّره، كم رأيتَ صريعاً للهوى! اقرع بابَ الطبيب يصف لمرضك نسخة، قبل أن تسْري سكتة التفريط إلى موت الهلاك.

تلاوةُ القرآن تعمل في أمراض الفؤاد ما يعمله العسل في عِلَل الأجساد، مواعظُ القرآن لأمراض القلوب شافية، وأدلَّة القرآن لطلَب الهُدَى كافية، أين السالكون طريق السلامة والعافية، ما لي أرى السُّبل من القوم عافية.

إن السعيد لَمُدرك دركاً — وأخوا الشقاوةِ فهو في الدَّركِ
وإلى الخمول مآل ذي لَعِبٍ — وإلى السكونِ مصير ذي حَركِ
طار الحمَامُ وغاص مُقتدراً — فأماتَ حتى الطير والسمك
إن الزمان إذا غدا وعَدا — قَتلَ الملوكَ بكلِّ مُعترَك
والعين تُبصر أين حَبَّتُها — لكنها تعمى عن الشَّركِ
أنكرتُ هذا الموتَ ما ارتبكت — نفسي هناك أشدَّ مُرتبكِ
ما ضَرَّ ذاكره وناظره — أن لا ينام على سِوَى الحَسكِ (ج)

❁ ❁ ❁

صحبة رسول الله ﷺ لا يعدلها شيء

ـ روى الإمام أحمد (12608) ومسلم (1059) والنسائي في «الكبرى» (8636)، من طريق السُّمَيْط السدوسي، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: فَتَحْنا مكةَ، ثم إنَّا غَزَوْنا حُنَيناً، فجاءَ المشركونَ بأحسنِ صفوفٍ رُئِيَتْ ـ أو رَأَيتُ ـ فصُفَّ الخيلُ، ثُمَّ صُفَّتِ المقَاتِلَةُ، ثُمَّ صُفَّتِ النّساءُ مِنْ وَرَاءِ ذلِكَ، ثُمَّ صُفَّتِ الغَنَمُ، ثُمَّ صُفَّتِ النَّعَمُ، قال: ونحن بشرٌ كثير قد بلَغْنا ستةَ آلافٍ، وعلى مُجَنِّبَةِ خيلِنا خالدُ بن الوليدِ، قال: فجعَلَتْ خيولُنا تَلُوذُ خلفَ ظُهورِنا، قال: فلم نَلْبَثْ أنْ انكَشَفَتْ خَيْلُنا، وفَرَّتِ الأعرابُ ومن تَعْلَمُ من الناسِ.

قال: فنادَى رسولُ الله ﷺ: **«يا لَلْمُهاجِرينَ، يا لَلْمُهاجِرينَ»** ثم قال: **«يا لَلأنصارِ، يا لَلأنصارِ»**. قال أنسٌ: هذا حديثُ عِمِّيَّة. قال: قُلْنا: لَبَّيْكَ يا رسولَ الله. قال: فَتَقَدَّم رسولُ الله ﷺ، قال: **وَايْمُ اللهِ، ما أَتَيْناهم حتَّى هَزَمَهم الله**، قال: فَقَبَضْنا ذلك المالَ.

قال: ثم انطَلَقْنا إلى الطائفِ، فحاصَرْناهم أربعينَ ليلةً، ثم رَجَعْنا إلى مكّة، قال: فَنَزَلنا، فجَعَلَ رسولُ الله ﷺ يُعطِي الرجلَ المئةَ، ويُعطِي الرجلَ المئةَ، قال: فتحدَّثَتِ الأنصارُ بينها: أَمَّا من قاتَلَه فيُعطِيهِ، وأَمَّا مَن لم يقاتِله فلا يُعطِيه!

قال: فَرُفِع الحديثُ إلى رسول الله ﷺ، ثم أَمَرَ بسَرَاةِ المُهاجِرينَ والأنصارِ أن يَدخُلُوا عليه، ثم قال: **«لا يَدْخلُ عليَّ إلا أنصاريٌّ ـ أو الأنصارُ»** قال: فَدَخَلْنا القُبّة حتى مَلأْنا القبةَ.

قال نبيُّ الله ﷺ: **«يا مَعْشَرَ الأنصارِ ـ أو كما قال ـ ما حَديثٌ أتاني؟»**

قالوا: ما أتاكَ يا رسولَ اللّه؟ قال: **«ما حَديثٌ أتاني؟»**

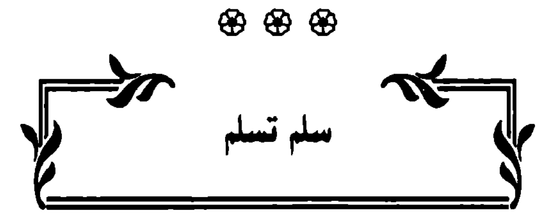
قالوا: ما أَتاكَ يا رسولَ الله؟

قال: **«ألا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالأمْوالِ وتَذْهَبُونَ برسولِ الله، حتَّى تَدْخُلُوا بُيُوتكُم؟»**

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أَخَذَ النَّاسُ شِعْباً، وَأَخَذَتِ الأنصارُ شِعْباً، لأخَذْتُ شِعْبَ الأنصارِ».

قالوا: رَضينا يا رسولَ الله قال: «فارْضَوْا» أو كما قالَ.

❀ ❀ ❀



الاستسلام لقضاء الله تعالى وقدره، والإذعان لشريعته، والانقياد لأمره، والوقوف عند حدوده، وبذل الغالي والنفيس في سبيل مرضاته، واتباع سنّة رسوله ﷺ، والسير على نهجه وخطاه، صفات من وُفِّق إلى استكمال أعلى درجات الإيمان.

قال الله تعالى إخباراً عن قول اليهود والنصارى، في المؤمنين: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (111) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 111 ـ 112].

وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125].

وقال جل وعلا: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 22].

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ:

تفكرت يوماً في التكليف، فرأيته ينقسم إلى سهل، وصعب.

فأما السهل، فهو أعمال الجوارح، إلا أن منه ما هو أصعب من بعض، فالوضوء والصلاة أسهل من الصوم، والصوم ربما كان عند قوم أسهل من الزكاة.

وأما الصعب: فيتفاوت، فبعضه أصعب من بعض، فمن المستصعب، النظر، والاستدلال، الموصلان إلى معرفة الخالق، فهذا صعب عند من غلبت عليه أمور الحس، سهل عند أهل العقل، ومن المستصعب غلبة الهوى، وقهر النفوس، وكف أكف الطباع عن التصرف فيما يؤثره، وكل هذا يسهل على العاقل النظر في ثوابه،

ورجاء عاقبته، وإن شق عاجلاً، ولنا أصعب التكاليف وأعجبها، أنه قد ثبتت حكمة الخالق عند العقل، ثم نراه يُفقر المتشاغل بالعلم، المقبل على العبادة، حتى يعضه الفقر بناجذيه، فيُذَل الجاهل في طلب القوت، وَيُغْنى الفاسق مع الجهل، حتى تفيض الدنيا عليه، ثم تراه ينشئ الأجسام ويحكمها، ثم ينقض بناء الشباب في مبدأ أمره، وعند استكمال بنائه، فإذا به قد عاد هشيماً، ثم تراه يؤلم الأطفال، حتى يرحمهم كل طبع.

ثم يقال له: إياك أن تشك في أنه أرحم الراحمين.

ثم يسمع بإرسال موسى إلى فرعون، ويقال له: اعتقد أن الله تعالى أضل فرعون واعلم أنه ما كان لآدم بد من أكل الشجرة وقد قال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: 121].

وفي مثل هذه الأشياء تحير خلق، حتى خرجوا إلى الكفر والتكذيب.

ولو فتشوا على سر هذه الأشياء، لعلموا أن تسليم هذه الأمور، تكليف العقل ليذعن، وهذا أصل، إذا فهم، حصلت السلامة والتسليم. نسأل الله ﷻ أن يكشف لنا الغوامض، التي حيرت من ضل، إنه قريب مجيب.

❁ ❁ ❁

تَحْرِيمُ الْغِيبَةِ وَسَمَاعِهَا

قَـالَ الـلَّـهُ تَـعَـالَـى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [القصص: 55].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ على المُسلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ». رواه «الصحيح».

وَقَالَ ﷺ: «مَن رَدَّ عَن عِرضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النارَ يَومَ الْقِيَامَةِ». رواه الترمذي وغيره.

وَعَنْهُ عَلَيْهِ الصلاةُ وَالسَّلامُ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَومٍ لَهم أَظفَارٌ مِن نُحَاسٍ

يَخمِشونَ وُجُوهَهُم وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هؤُلاَءِ الَّذينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِم». ـ رواه أبو داود ـ.

وَيُسْتَثْنَى مِنَ الْغِيْبَةِ الْمُحَرَّمَةِ سَبعَةُ أُمُورٍ نَظَمَهَا بَعْضُهُم بِقَولِهِ مِنْ بحْرِ الْوَافِرِ.

تَظَلَّمْ وَٱستَغِث وَاسْتَفْتِ حَذِّر وَعَرِّفْ بِدْعَةً فِسْقَ الْمُجَاهِرْ

وَمَا أَلْطفَ قَوْلُ بَعضِهِمْ مِنْ بَحْرِ الْمُتَقَارِب:

وَسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ الْخَنَا كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النطْقِ بِهْ

فَإنكَ عِنْدَ سَمَاعِ الْخَنَا شَرِيكٌ لِقَائِلِهِ فَانْتَبِهْ

❀ ❀ ❀

حكم ومواعظ

ـ الذنوب جراحات، ورُبَّ جرحٍ وقع في مقتل.

ـ لو خرج عقلك من سلطان هواك عادت الدولة له.

ـ دخلت دار الهوى فقامرت بعمرك.

ـ إذا عرضت نظرة لا تحل، فاعلم أنها مِسعَر حرب، فاستتر منها بحجاب ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 30]، فقد سلمت من الأثر، وكفى الله المؤمنين القتال.

ـ بحر الهوى إذا مدَّ أغرق، وأخوف المنافذ على السابح فسح البصر في الماء.

ما أحد أكرم من مفردٍ في قبره أعماله تُؤنِسُه

منعّماً في القبر في روضةٍ ليس كعبدٍ قبره محبسه

على قدر فضل المرء تأتي خطوبُهُ ويعرف عند الصبر فيما يصيبه

ومَن قلّ فيما يتّقيه اصطبارُه فقد قلَّ مما يرتجيه نصيبه

ـ كم قُطع زرع قبل التمام فما ظن الزرع المستحصد[1].

ـ اشترِ نفسك، فالسوق قائمة والثمن موجود.

(1) المستحصد: الذي حان أوان حصاد.

ـ لا بدّ من سِنَةٍ[1] الغفلة ورقاد الهوى، ولكن كُنْ خفيف النوم فحرّاس البلد يصيحون: دنا الصباح.

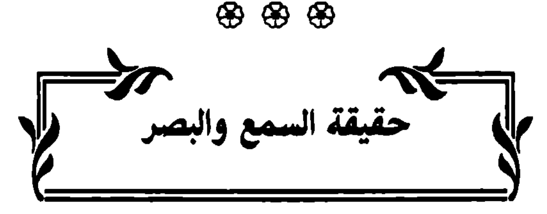
ـ نور العقل يضيء في ليل الهوى، فتلوح جادة الصواب، فيتلمح البصير في ذلك النور عواقب الأمور.

ـ أخرج بالعزم من هذا الفَنَاء الضيِّق، المحشو بالآفات، إلى ذلك الفناء الرحب، الذي فيه ما لا عينٌ رأت؛ فهناك لا يتعذر مطلوب، ولا يفقد محبوب.

ـ يا بائعاً نفسَه بهوى مَن حُبُّه ضنى[2]، ووصله أذى، وحسنه إلى فناء، لقد بعتَ أنفس الأشياء بثمن بخس كأنك لم تعرف قدر السلعة ولا خِسَّة الثمن، حتى إذا قدمت يوم التغابن[3]، تبيَّن لك الغبن في عقد التبايع: لا إله إلا الله سلعةٌ، الله مشتريها، وثمنُها الجنة، والدلاّل الرسول؛ ترضى ببيعها بجزء يسير مما لا يساوي كله جناح بعوضة:

إذا كان شيء لا يساوي جميعُه ... جَناحَ بعوضٍ عند مَن صرت عبده
ويملكُ جُزءٌ منه كُلَّكَ ما الذي ... يكون على ذي الحال قدرك عنده
وبعت به نفساً قد استامها بما ... لديه من الحسنى وقد زال ودُّه (ق)

❀ ❀ ❀



قرأت هذه الآية: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ [الأنعام: 46] فلاحت لي فيها إشارة كدت أطيش منها. وذلك أنه إن كان عنى بالآية نفس السمع والبصر فإن السمع آلة لإدراك المسموعات، والبصر آلة لإدراك المبصرات، فهما يعرضان ذلك على القلب، فيتدبر، ويعتبر.

فإذا عرضت المخلوقات على السمع والبصر، أوصلا إلى القلب أخبارها من أنها

---

(1) السِّنَة: النوم والنعاس.

(2) الضنى: الهزال والعذاب.

(3) يوم التغابن: يوم يغبن الناس بعضهم بعضاً وهو يوم القيامة.

تدل على الخالق، وتحمل على طاعة الصانع، وتحذر من بطشه عند مخالفته كان ذلك تحقيقاً لفائدتها، وإلا فقد انعكس المراد منها.

وإن عنى معنى السمع والبصر، فذلك يكون بذهولهما عن حقائق ما أدركا، شغلاً بالهوى، فيعاقب الإنسان بسلب معاني تلك الآلات، فيرى وكأنه ما رأى ويسمع وكأنه ما سمع، والقلب ذاهل عن ما يتأدب به، فيبقى الإنسان خاطئاً على نفسه ولا يدري ما يراد به، لا يؤثر عنده أنه يبلى، ولا تنفعه موعظة ﴿تَجَلَّىٰ﴾ [الأعراف: 143]، ولا يدري أين هو، ولا ما المراد منه، ولا إلى أين يحمل، وإنما يلاحظ بالطبع مصالح عاجلته ولا يتفكر في خسران آجلته، لا يعتبر برفيقه، ولا يتعظ بصديقه، ولا يتزود لطريقه كما قال الشاعر:

النـاسُ في غفلةٍ والموتُ يوقظهم ... ومـا يفيقون حتى ينفدَ العُمر

يشيِّعون أهاليهم بجمعهم ... وينظرون إلى ما فيه قد قبروا

ويرجعون إلى أحلام غفلتهم ... كأنهم ما رأوا شيئاً ولا نظروا

وهذه حالة أكثر الناس. فنعوذ بالله من سلب فوائد الآلات، فإنها أقبح الحالات. (ج)

الحمية للدين

الحمية للدين صفة أهل العزائم من أهل الإيمان والإسلام. وفي ذلك روي في «الصحيح» من حديث أنس ـ ﷺ ـ قال: قيل للنبيِّ ﷺ: لو أتيتَ عبدَ الله بن أُبَيّ، فانطلق إليه نبيُّ الله ﷺ وركِبَ حماراً، وانطَلَقَ المسلمونَ يَمْشُونَ، وهي أرضٌ سَبِخَة، فلما انطلقَ إليه النبيُّ ﷺ قال: إليكَ عنّي، فوالله لقد آذاني ريحُ حمارِك.

فقال رجل من الأنصارِ: واللهِ لَحِمارُ رسولِ الله ﷺ أطيبُ ريحاً منكَ.

قال: فَغَضِبَ لعبدِ الله رجل من قومِه، قال: فغَضِبَ لكلٍّ واحدٍ منهما أصحابُه، قال: وكان بينهم ضربٌ بالجَرِيدِ وبالأيدِي والنِّعالِ، فبَلَغنا أنها نَزَلَتْ فيهم ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9][1].

❀ ❀ ❀

(1) رواه الإمام أحمد (12607) والبخاري (2691) ومسلم (1799)، وغيرهم. والأرض السبخة: المالحة.

سجع على قول الله تعالى

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: 30].

يا من بين يديه يومٌ لا شك فيه ولا مِرَا، يقع فيه الفراق وتنفصم العُرَى، تدبَّر أمرك قبل أن تحضر فترى، وانظر لنفسك نظرَ من قد فهم ما جرى، قبل أن يغضب الحاكم والحاكم رَبُّ الورَى، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾.

يومٌ تشيب فيه الأطفال، يومٌ تسير فيه الجبال، يوم يظهر فيه الوبال، يوم تنطق فيه الأعضاء بالخِصال، يوم لا تُقال فيه الأعثار، وكم من أعذار تقال فترى من قد افترى، يقدِّم قَدَماً ويؤخر أخرى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾. [آل عمران: 30].

فيُنْصَب الصِّراط فناج وواقع، ويوضع الميزان فتكثر الفظائع، وتُنشر الكتب وتسيل المدامع، وتظهر القبائح بين تلك المجامع، ويُؤلم العقابُ وتملى المسامع، ويخسر العاصي ويربح الطائع، فكم غنيٍّ قد عاد من الخير مفتقِراً ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾.

وفي «الصحيح» من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [المطففين: 6]، «**يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**»[1].

وعن عدي بن حاتم - رضي الله عنه -

قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «**ما منكم من أحد إلا سيكلِّمه ربه عز وجل ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن أيمن منه فلا يرى شيئاً قدَّامه، وينظر عن أشأم منه فلا يرى شيئاً قُدَّامه، وينظر أمامه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشتى عمره فليفعل**»[2].

---

(1) رواه الإمام أحمد (4613) والبخاري (4938) ومسلم (2862) وغيرهم.

(2) متفق عليه.

يا له من يوم يقتص للمظلوم من الظالم، وتحيط بالظالم المظالم، وتصعد القلوب الغلاصم[1]، وليس لمن لا يرحمه الله عاصم.

قال عليه السلام **«لَتؤدُّن الحقوق إلى أهلها يومَ القيامة حتى يُقاد للشاة الجمَّاء[2] الشاة القرْناء»**.

وقال صلى الله عليه وسلم: **«يُحبَس المؤمنون على قنطرة بين الجنة والنار فيُقتصُّ لبعضهم من بعض، مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذن لهم في دخول الجنة»**.

كم من وعيد يخرق الآذانا كأنما يُغْنَى به سِوانا
أصمَّنا الإهمالُ بَل أعمانا

يا كثير السيئاتِ غداً ترى عملكَ، يا هاتِك الحرمات، إلى متى تديم زللك

تيقَّظ فإنكَ في غفلةٍ يَميدُ بك السُّكرُ فيمن يميدْ
وأيّ مَنِيع يَفُوت البَلى إذا كان يَبْلَي الصَّفا والحديدْ
إذا الموتُ دبَّت له حِيلةٌ فتلك التي كنتَ منها تَحيدْ
أراك تُؤمِّل والشيبُ قد أتاك بنَعْيك منه بَرِيدْ
وتَنقص في كل تنفيسة وعندك أنك فيها تزيدْ

أما تعلم أن الموت يسعى في تبديد شمْلك، أما تخاف أن تُؤخذ على قبيح فعْلك، واعجباً لك من راحلٍ تركت الزاد في غير رَحلك، أين فِطنتك ويقظتك وتدبيرُ عقلك، أماَ بارزت بالقبيح فأين الحزَن، أماَ علمت أن الحق يَعْلم السرَّ والعلَن، ستعرفُ خبرَك يوم تَرْحل عن الوطن، وستنتبه من رقادك ويزول هذا الوسن.

إلى الله تُبْ قبل انقضاءِ من العُمر أخي ولا تأمن مُساَورة الدهرِ
فقد حدَّثتك الحادثاتُ نزولها ونادَتك إلا أنّ سمعك ذو وقْر
تنوح وتبكي للأحبة إن مضوا ونفسَك لا تبكي وأنت على الإثر. (ج)

❀ ❀ ❀

---

(1) الغلاصم: جمع غلصمة، وهي اللحم بين الرأس والعنق.
(2) قوله ﷺ: «الجماء» هي التي لا قرن لها.

حوار العقل والعلم

اختلَفَ الْعَقْلُ وَالعِلمُ فَقَالَ الْعَقْلُ: أَنَا أَفْضَلُ لأن اللَّهَ عُرِفَ بِي. وَقَالَ الْعِلْمُ: أَنَا أَفْضَلُ لأن اللهَ اتَّصَفَ بِي فِي الْكِتَابِ. فَوَافَقَهُ الْعَقْلُ وَأَعْتَرَفَ لَهُ بِالْفَضْلِ. وَنَظَمَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ مِنْ بَحْرِ الْبَسِيطِ فَقَالَ:

عِلْمُ الْعَلِيمِ وَعَقْلُ الْعَاقِلِ اخْتَلَفَا ... مَنْ ذَا الَّذِي مِنْهُمَا قَدْ أَحْرَزَ الشرَفَا

فَالْعِلْمُ قَالَ أَنَا أَحْرَزْتُ غَايَتَهُ ... وَالْعَقْلُ قَالَ أَنَا الرَّحْمٰنُ بِي عُرِفَا

فَأَفصَحَ العِلْمُ إِفْصَاحاً وَقَالَ لَهُ ... بِأَيِّنَا اللهُ فِي فُرْقَانِهِ اتَّصَفَا

فَبَانَ لِلْعَقْلِ أَنَّ العِلْمَ سَيِّدُهُ ... فَقَبَّلَ الْعَقْلَ رَأسَ الْعِلمِ وَانْصرَفَا

وقال آخر:

مَا الْعَقلُ إلا لأهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ ... عَلَى الْهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلاَّءُ

❀ ❀ ❀

فضل الكسب والحث عليه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 10] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: 11].

وَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ «لأن يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيرٌ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلاً أَعْطَاهُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ». متفق عليه.

وَقَالَ ﷺ: «مَا أكلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِن عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيهِ الصَّلاة وَالسَّلاَمُ: كَانَ يَأكُلُ مِن عَمَلِ يَدِهِ». رواه البخاري.

وَقَال ﷺ: «خَيرُ الْكَسبِ كَسْبُ الْعَامِلِ إِذا نَصَحَ». رواه أحمد في المسند من حديث أبي هريرة.

وَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ قَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُل بَيعٍ مَبرُور». رواه أحمد.

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لا يَقعُد أَحَدُكُمْ عَنْ طَلَبِ الرِّزقِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ السَّمَاءَ لا تُمْطِرُ ذَهَباً وَلا فضَّةً.

وقِيلَ لأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ جَلَسَ: فِي بَيتِهِ أَوْ مَسْجِدِهِ وَقَالَ لا أَعمَلُ شَيْئاً حَتَّى يَأْتِيَنِي رِزْقِي! فَقَالَ أَحمَدُ: هَذَا رَجُلٌ جَهِلَ الْعِلْمَ، أَمَا سَمِعَ قَوْلَ النبِيِّ ﷺ «إِنَّ اللهَ جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رمْحِي» وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السلامُ حِينَ ذَكَرَ الطَّيْرَ فَقَالَ: «تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً» فَذَكَرَ أَنَّهَا تَغْدُو فِي طَلَبِ الرِّزقِ.

❀ ❀ ❀



المُتحابّون في الله تعالى

المحبة في الله تعالى، من أسمى معاني الإلفة بين المسلمين وتوادهم. قال الله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: 63].

ـ روى النسائي في «الكبرى» (11210/ 6) والبزار (2215) والحاكم (3322/ 3)، بإسناد جيد، من طريق فضيل بن غزوان قال: ضمَّني إليه أبو إسحاق، فقال: إني لأحبُّكَ في الله.

حدثني أبو الأحوص، عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: لما أُنزلَت هذه الآية: ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: 63]، قال: هم المُتَحَابُّونَ في الله. لفظ النسائي.

وفي رواية البزار والحاكم قال: نزلت في المتحابين في الله.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (11031) وعزاه للبزار، وقال: ورجاله رجال الصحيح، غير سلم بن جنادة، وهو ثقة.

❀ ❀ ❀

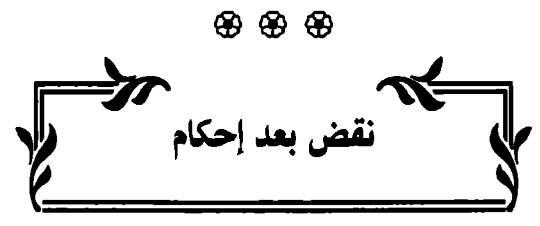


زواج وحياء

روى الإمام أحمد (12669) ومسلم (1428) والنسائي في «الكبرى» (11416)، وغيرهم، من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: لما تزوّج النبي صلى الله عليه وسلم زينب، أهدت إليه أمُّ سُلَيم حَيْساً في تَوْرٍ من حِجارَةٍ، قال أنس: فقال النبيُّ ﷺ: «فَاذْهَبْ فَادْعُ مَن لَقِيتَ» فدَعَوْتُ له من لَقِيتُ، فجعَلُوا يَدْخُلون، يَأْكُلون ويَخْرُجونَ، ووَضَع النبيُّ ﷺ يَدَه على الطعام، فدعا فيه، وقال ما شاءَ اللهُ أن يقولَ، ولم أَدَعْ أحداً لَقِيتُه إلا دَعَوتُه، فأكَلوا حتَّى شَبِعُوا، وخَرَجوا.

فبَقِيَت طائفة منهم، فأَطالوا عليه الحديثَ، فجَعَلَ النبيّ ﷺ يَسْتَحْيي منهم أن يقولَ لهم شيئاً، فخَرَجَ وتَرَكَهم في البيت، فأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟﴾ حتَّى بَلَغَ ﴿لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 53].

❀ ❀ ❀



نقض بعد إحكام

رأيت كثيراً من المغفلين يظهر عليهم السخط بالأقدار. وفيهم من قل إيمانه، فأخذ يعترض. وفيهم من خرج إلى الكفر، ورأى أن ما يجري كالعبث، وقال ما فائدة الإعدام بعد الإيجاد، والابتلاء ممن هو غني عن أذانا. فقلت لبعض من كان يرمز إلى هذا: إن حضر عقلك وقلبك حدثتك. وإن كنت تتكلم بمجرد واقعك من غير نظر وإنصاف فالحديث معك ضائع. ويحك، أحضر عقلك، واسمع ما أقول: أليس قد ثبت أن الحق سبحانه مالك، وللمالك الحق أن يتصرف كيف يشاء!. أليس قد ثبت أنه حكيم والحكيم لا يعبث!. وأنا أعلم أن في نفسك من هذه الكلمة شيئاً فإنه قد سمعنا عن جالينوس أنه قال: ما أدري؟ أحكيم هو أم لا. والسبب في قوله هذا، أنه رأى نقضاً بعد إحكام، فقاس الحال على أحوال الخلق وهو أن من بنى ثم نقض لا لمعنى فليس بحكيم. وجوابه لو كان حاضراً أن يقال: بماذا بان لك أن النقض ليس بحكمة؟ أليس بعقلك الذي وهبه الصانع لك؟ وكيف يهب لك الذهن الكامل ويفوته هو الكمال؟.

وهذه هي المحنة التي جرت لإبليس. فإنه أخذ يعيب الحكمة بعقله، فلو تفكر علم أن واهب العقل أعلى من العقل، وأن حكمته أوفى من كل حكيم؛ لأنه بحكمته التامة أنشأ العقول. فهذا إذا تأمله المنصف زال عنه الشك. وقد أشار سبحانه إلى نحو هذا في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور: 39] أي أجعل لنفسه الناقصات وأعطاكم الكاملين؟. فلم يبق إلا أن نضيف العجز عن فهم ما يجري إلى أنفسنا. ونقول هذا فعل عالم حكيم، ولكن ما يبين لنا معناه. وليس هذا بعجب، فإن موسى عليه السلام خفي عليه وجه الحكمة في نقض السفينة الصحيحة، وقتل الغلام الجميل، فلما بيَّن له الخضر وجه الحكمة أذعن. فليكن المرء مع الخالق كموسى مع الخضر.

أولسنا نرى المائدة المستحسنة بما عليها من فنون الطعام الظريف يقطع ويمضغ ويصير إلى ما نعلم. ولسنا نملك ترك تلك الأفعال ولا ننكر الإفساد له، لعلمنا بالمصلحة الباطنة فيه. فما المانع أن يكون فعل الحق سبحانه له باطن لا نعلمه؟ ومن أجهل الجهال العبد المملوك إذا طلب أن يطلع على سر مولاه، فإن فرضه التسليم لا الاعتراض. ولو لم يكن في الابتلاء بما تنكره الطباع إلا أن يقصد إذعان العقل وتسليمه لكفى.

فلو أنه لم ينقض هذه البنية لتخايل للإنسان أنه صنع لا بصانع. فإذا وقع الموت عرفت النفس نفسها التي كانت لا تعرفها لكونها في الجسد وتدرك عجائب الأمور بعد رحيلها. فإذا ردت إلى البدن عرفت ضرورة أنها مخلوقة لمن أعادها. وتذكرت حالها في الدنيا فإن الذكريات تعاد كما تعاد الأبدان فيقول قائلهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: 26].

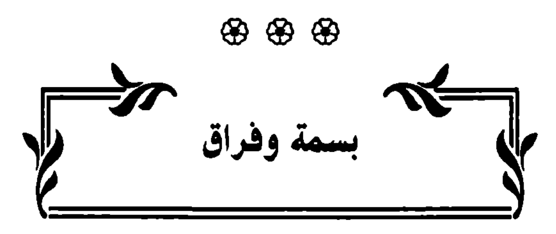
ومتى رأت ما قد وعدت به من أمور الآخرة، أيقنت يقيناً لا شك معه، ولا يحصل هذا بإعادة ميت سواها، وإنما يحصل برؤية هذا الأمر فيها، فتبنى بنية تقبل البقاء وتسكن جنة لا ينقضي دوامها، فيصلح بذلك اليقين أن تجاور الحق، لأنها آمنت بما وعد، وصبرت بما ابتلى، وسلمت لأقداره، فلم تعترض، ورأت في غيرها العبر، ثم في نفسها. فهذه هي التي يقال لها: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ [الفجر: 28 ـ 29].

فأما الشاك والكافر فيحق لهما الدخول إلى النار واللبث فيها؛ لأنهما رأيا الأدلة ولم يستفيدا ونازعا الحكيم واعترضا عليه، فعاد شؤم كفرهما يطمس قلوبهما، فبقيت نفوسهما على ما كانت عليه. فلما لم تنتفع بالدليل في الدنيا لم تنتفع بالموت والإعادة.

ودليل بقاء الخبث في القلوب قوله تعالى: ﴿قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: 28].

فنسأل الله ﷻ عقلاً مسلماً يقف على حده، ولا يعترض على خالقه وموجده. ثم الويل للمعترض، أيرد اعتراضه الأقدار؟. فما يستفيد إلا الخزي، نعوذ بالله ممن خذل. (ج)

❀ ❀ ❀

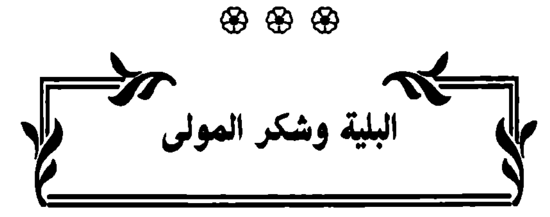


بسمة وفراق

روى «الصحيح» من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -

أنَّه قال: آخِرُ نَظْرةٍ نَظَرْتُها إلى رسولِ الله ﷺ أنّه اشْتكى، فأَمَرَ أبا بكرٍ فصَلَّى لِلناسِ، فكَشَفَ رسولُ الله ﷺ سُتْرةَ حُجْرَةِ عائشةَ، فنَظَرَ إلى النَّاسِ، فنَظَرْتُ إلى وَجْهه كأنَّه ورَقَةُ مُصْحَفٍ، حتى نَكَصَ أبو بكرٍ على عَقِبَيه لِيَصِلَ إلى الصفِّ، وظَنَّ أَنَّ رسولَ الله ﷺ يُرِيدُ أَنْ يُصَلّيَ بالناس، فتبَسَّمَ حين رآهم صُفُوفاً وأَشارَ بِيَدِه إليهم: أن أَتِمُّوا صلاتكمَ، وأَرْخَى السِّتْرَ بينَه وبينَهم، فتُوُفِّيَ مِن يَوْمِه ذلك.

❀ ❀ ❀



البلية وشكر المولى

لا ينبغي للمؤمن أن ينزعج من مرض أو نزول موت، وإن كان الطبع لا يملك. إلا أنه ينبغي له التصبر مهما أمكن، إما لطلب الأجر بما يعانى، أو لبيان أثر الرضا بالقضاء، وما هي إلا لحظات ثم تنقضي. وليتفكر المعاني من المرض في الساعات التي كان يقلق فيها أين هي في زمان العافية؟ ذهب البلاء وحصل الثواب. كما تذهب حلاوة اللذات المحرمة ويبقى الوزر. ويمضي زمان التسخط بالأقدار، ويبقى العتاب.

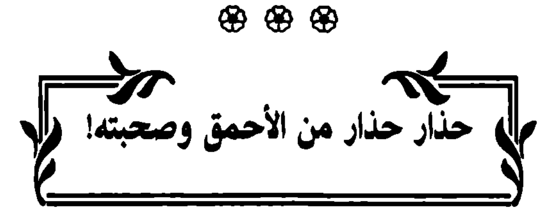
وهل الموت إلا آلام تزيد فتعجز النفس عن حملها فتذهب. فليتصور المريض وجود الراحة بعد رحيل النفس، وقد هان ما يلقى كما يتصور العافية بعد شرب الشربة المرة. ولا ينبغي أن يقع جزع بذكر البلى، فإن ذلك شأن المركب، أما الراكب ففي

الجنة أو في النار. وإنما ينبغي أن يقع الاهتمام الكلي بما يزيد في درجات الفضائل قبل نزول المعوق عنها. فالسعيد من وفق لاغتنام العافية، ثم يختار تحصيل الأفضل فالأفضل في زمن الاغتنام. وليعلم أن زيادة المنازل في الجنة على قدر التزيد من الفضائل ههنا. والعمر قصير، والفضائل كثيرة فليبالغ في البدار. فيا طول راحة التعب، ويا فرحة المغموم، ويا سرور المحزون. ومتى تخايل دوام اللذة في الجنة من غير منغص ولا قاطع، هان عليه كل بلاء وشدة. (ج)

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾

يا أيّها المسرى به شرفاً إلى	ما لا تنال الشمس والجوزاء
يتساءلون وأنت أطهر هيكل	بالروح أم بالهيكل الإسراء
بهما سموت مطهّريْن كلاهما	نور وروحانيّة وبهاء
فضلٌ عليك لذي الجلال ومنّة	والله يفعل ما يرى ويشاء
تغشى الغيوب من العوالم كلّما	طويت سماء قلّدتك سماء
في كلّ منطقة حواشي نورها	نون وأنت النقطة الزهراء
أنت الجمال بها وأنت المجتلى	والكفّ والمرآة والحسناء
الله هيّأ من حظيرة قدسه	نُزُلاً لذاتك لم يجزه علاء
العرشُ تحتكَ سدّةً وقوائماً	ومناكب الروح الأمين وطاء
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم	حاشى لغيرك موعد ولقاء

❀ ❀ ❀



حذار حذار من الأحمق وصحبته!

صفات الأحمق تقسم إلى قسمين: أحدهما من حيث الصورة، والثاني من حيث الخصال والأفعال.

ذكر القسم الأول: قال الحكماء: إذا كان الرأس صغيراً رديء الشكل دل على رداءة في هيئة الدماغ.

قال جالينوس: لا يخلو صغر الرأس البتة من دلالة على رداءة هيئة الدماغ، وإذا قصرت الرقبة دلت على ضعف الدماغ وقلته، ومن كانت بنيته غير متناسبة كان رديئاً حتى في همته وعقله مثل الرجل العظيم البطن، القصير الأصابع، المستدير الوجه، العظيم القامة، الصغير الهامة، اللحيم الجبهة والوجه والعنق والرجلين، فكأنما وجهه نصف دائرة، كذلك إذا كان مستدير الرأس واللحية، ولكن وجهه شديد الغلظ وفي عينيه بلادة وحركة فهو أيضاً من أبعد الناس عن الخير، فإن جحظتا فهو وقح مهذار، فإن كانت العين ذاهبة في طول البدن فصاحبها مكار لص، وإذا كانت العين عظيمة مرتعدة فصاحبها كسلان بطال أحمق محب للنساء. والعين الزرقاء التي في زرقتها صفرة كأنها زعفران، تدل على رداءة الأخلاق جداً، والعين المشبهة لأعين البقر تدل على الحمق، وإذا كانت العين كأنها ناتئة وسائر الجفن لاطىء فصاحبها أحمق، وإذا كان الجفن من العين منكسراً أو متلوناً من غير علة، فصاحبها كذاب مكار أحمق، والشعر على الكتفين والعنق يدل على الحمق والجرأة؛ وعلى الصدر والبطن يدل على قلة الفطنة، ومن طالت عنقه ورقَّت، فهو صيّاح أحمق جبان، ومن كان أنفه غليظاً ممتلئاً فهو قليل الفهم، ومن كان غليظ الشفة، فهو أحمق غليظ الطبع. ومن كان شديد استدارة الوجه فهو جاهل، ومن عظمت أذنه فهو جاهل طويل العمر. وحسن الصوت دليل على الحمق وقلة الفطنة، واللحم الكثير الصلب دليل على غلظ الحس والفهم، والغباوة والجهل في الطول أكثر. ومن العلامات التي لا تخطئ طول اللحية فإن صاحبها لا يخلو من الحمق.

وقيل: إن اللحية مخرجها من الدماغ، فمن أفرط عليه طولها قل دماغه، ومن قل دماغه قل عقله، ومن قل عقله كان أحمق.

قال بعض الحكماء: الحمق سماد اللحية، فمن طالت لحيته كثر حمقه. ورأى بعض الناس لرجل لحية طويلة فقال: والله لو خرجت هذه من نهر لَيَبِسَ.

وقال الأحنف بن قيس: إذا رأيت الرجل عظيم الهامة طويل اللحية فاحكم عليه بالرقاعة ولو كان أمية بن عبد شمس.

وقال معاوية لرجل عتب عليه: كفانا في الشهادة عليك في حماقتك وسخافة عقلك ما نراه من طول لحيتك.

وقال عبد الملك بن مروان: من طالت لحيته فهو كوسج في عقله. وقال غيره: من قصرت قامته وصغرت هامته وطالت لحيته فحقيقاً على المسلمين أن يغزوه في عقله.

وقال بعض الحكماء: موضع العقل الدماغ، وطريق الروح الأنف، وموضع الرعونة طول اللحية. وعن سعيد بن منصور أنه قال: قلت لابن إدريس: أرأيت سلام بن أبي حفصة؟ قال: نعم، رأيته طويل اللحية وكان أحمق.

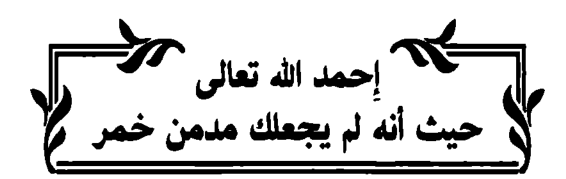
وعن ابن سيرين أنه قال: إذا رأيت الرجل طويل اللحية، فاعلم ذلك في عقله. قال زياد ابن أبيه: ما زادت لحية رجل على قبضته، إلا كان ما زاد فيها نقصاً من عقله.

قال بعض الشعراء:

إذا عَرِضَتْ لِلْفَتَى لِحْيَةٌ ... وطَالَتْ فَصَارَتْ إلى سُرّتِهْ

فَنُقْصَانُ عَقْلِ الفَتَى عِنْدَنَا ... بِمِقْدَارِ مَا زَادَ فِي لِحْيَتِهْ

❁ ❁ ❁



حقائق مذهلة:

نشرت مجلة اللانست (Lancet) البريطانية ـ وهي من أشهر المجلات البريطانية الطبية في العالم ـ مقالاً عام (1987) بعنوان «الشوق إلى شرب الخمر» استهل المؤلف مقاله بالقول «إذا كنت مشتاقاً إلى الكحول[1] فإنك حقاً تموت بسببه.

---

(1) كلمة «الكحول» مشتقة من الغول. وهي كلمة عربية جاء ذكرها في كتاب الله تعالى حيث قال جل وعلا في وصف حال أهل الجنة: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: 45 ـ 47]، وسميت الغول بهذا الإسم، لأنها تغتال العقول.

وذكر المؤلف أن (200) ألف شخص يموتون سنوياً في إنجلترا بسبب الكحول، وأن استهلاك الكحول قد تضاعف في بريطانيا خلال الثلاثين عاماً الماضية وارتفعت نسبة الوفيات والاختلاطات الناجمة عنه بنسبة مماثلة.

وذكرت المجلة البريطانية للإدمان «British Journal of Addiction» عام (1987) أن الخسائر التي نجمت عن المشاكل التي يسببها الكحول قد بلغت (640) مليون جنيه إسترليني في عام (1983) وحده. وإن 69 مليون جنيه إسترليني قد أنفق على معالجة المرضى الكحوليين في المستشفيات، وأنفق 16 مليون جنيه على مصاريف المحاكم التي جرت بسبب قضايا متعلقة بالكحول.

وفي تقرير آخر نشرته المجلة البريطانية للإدمان أن الخسارة الإجمالية الناجمة عن شرب الكحول تقدر بـ (2000) مليون جنيه إسترليني في العام الواحد.

وذكرت مجلة لانست في عددها الصادر عام (1986) أن (12%) من المرضى الذين يدخلون المستشفى عن طريق قسم الطوارئ يشكون من علة سببها الكحول.

وينبه كاتب المقال المنشور في المجلة المذكورة إلى تخاذل الأطباء في التحذير من الكحول بالدرجة نفسها التي يحذرون فيها المرضى من التدخين.

وقد نشرت الكليات الملكية للأطباء الداخليين والنفسيين والأطباء الممارسين تقارير أجمعت كلها على خطر الكحول وأن الكحول لا تترك عضواً من أعضاء الجسم إلا أصابه. وإلى ازدياد حوادث السيارات نتيجة الكحول، وإلى فقدان العمل والمشاكل العائلية والعنف الناجم عن شرب الخمر.

الأطباء والكحول:

وفي مقالة أخرى نشرتها مجلة لانست عام (1987) ذكر الكاتب أن تسع كليات ملكية طبية ومنظمات طبية تعنى بحظر الكحول، أكدت على ضرورة اهتمام الأطباء بهذه المشكلة والتنبيه إلى خطرها الداهم.

وأشارت المقالة ذاتها إلى أنه قد تبين أخيراً أن معظم الوفيات والاختلاطات الناجمة عن الكحول تحدث عند الذين يظنون أنهم لا يشربون الكثير من الخمر وعند أولئك الذين كان يظن أطباؤهم أن ما يتناولونه من المسكرات مقداراً ليس بالكثير، وهو في حدود المقبول.

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**». فحتى القليل منه ـ أو ما يظن شاربه أنه قليل ـ كان سبباً للكثير من الأمراض الناجمة عن الكحول.

ويقول كاتب المقال في مجلة لانست (عام 1987): لقد أدرك الأطباء خطورة التدخين فانخفض عدد المدخنين من الأطباء، فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا يترك الأطباء الكحول ويكونوا قدوة للناس مثلما كانوا في ترك التدخين؟

ويتابع الكاتب في مقالته: إن ما يدَّعيه بعض الأطباء من أن الكحول قد يكون مفيداً إذا ما أخذ بجرعات صغيرة إنما هو محض كذب وهراء. ويقول: إن الدراسة التي يستند إليها هؤلاء دراسة غير موثوقة ولا يعتَّد بها.. ويتابع الكاتب فيقول: خلاصة القول هي إن على الأطباء أن يبلغوا رسالة واحدة للناس وهي أن الكحول ضارة بالصحة.

وتشير الإحصائيات أن كثيراً من الأطباء في بريطانيا قد انتبه إلى خطورة الكحول. ففي أوائل السبعينات كانت نسبة تشمع الكبد عند الأطباء في بريطانيا ثلاثة أضعاف ما هي عليه عند الآخرين، أما الآن فقد انخفضت نسبة الوفاة من تشمع الكبد عند الأطباء إلى الضعف فقط!! (مجلة Medicine International عام 1989).

استهلاك الخمر في العالم:

ذكرت مجلة (Medicine International الصادرة في شهر شباط/فبراير عام 1989):

إن استهلاك الخمر في الخمسينات والستينات والسبعينات قد تزايد في العالم تزايداً مريعاً. فقد تضاعف استهلاك الخمر في بريطانيا ما بين عام 1949 و1979، وبلغ أكثر من الضعف في ألمانيا الغربية وبلغاريا في عام 1983 بالمقارنة مع (عام 1950).

وفي هولندا بلغ استهلاك الكحول ثلاثة أضعاف ما كان عليه في أوائل الخمسينات وفي ألمانيا الشرقية بلغ استهلاك الخمر في الفترة الزمنية نفسها إلى ثمانية أضعاف إلا أنه خلال العشر سنوات الماضية بدأ استهلاك الخمر في الهبوط قليلاً في فرنسا وإيطاليا.

ومع تزايد شرب الخمر منذ الحرب العالمية الثانية تكاثرت الأمراض والمشاكل

التي يسببها الخمر، فهناك علاقة وثيقة بين معدل شرب الخمر ونسبة الوفيات الناجمة عن تشمع الكبد.

وورد في المجلة المذكورة أن الرجال يشربون الخمر أكثر من النساء (على الأقل ضعف ما تشربه النساء) ولهذا فإن المشاكل المتعلقة بالكحول هي أكثر بكثير عند الرجال من النساء. ولكن وللأسف ـ فإن النساء يزاحمن الرجال حتى على الخمر، فقد بدأت مشاكل الخمر عند النساء تعادل في شيوعها ما هي عليه عند الرجال في بعض الدول. ولأسباب عديدة فإن النساء هن أكثر حساسية للكحول من الرجال.

ماذا تفعل الحكومات في الغرب؟

وفي مقالة نشرت في مجلة لانست الطبية (1987) طالب كاتبها الحكومة البريطانية بأن تنفق مبالغ أكثر من أجل توعية الناس لخطر الكحول إقتداء بما تفعله بشأن التدخين.

وطالب الدولة أن تمنع الدعايات المروجة للخمر وأن يوضع على زجاجات المسكرات تحذير يشير إلى خطر الكحول على الصحة.

ففي السويد انخفضت نسبة مبيعات الكحول ما بين عامي (1978 و1983) ويعزى ذلك جزئياً إلى منع الدعاية للكحول هناك.

ودعا كاتب المقال إلى زيادة الضرائب على الكحول، وفرض القيود والعقوبات الشديدة على السائقين الذين يضبطون متلبسين بجريمة شرب الخمر.

ويقول البروفسور شاكيت (بروفسور الأمراض النفسية في جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية ومدير مركز الأبحاث المتعلقة بالكحول) إن (93%) من الناس في الولايات المتحدة يشربون الكحول، وإن (40 ـ 50%) من الرجال هناك يصابون بأمراض عابرة ناجمة عن الكحول وإن (10%) من الرجال و(3 ـ 5%) من النساء يعانون مشاكل وأمراض مزمنة سببها الخمر (عن كتاب هاريسون الطبي الشهير 1987).

وهناك في الولايات المتحدة حملة شديدة في المجلات الطبية ووسائل الأعلام تكشف للناس عن حقيقة الخمر وتبين لهم مدى خطورة هذه المشكلة على صحة وحياة المواطنين.

ما هو الغول (الكحول)؟

توجد مادة الغول (الكحول) أو الإيثانول (Ethanol) في كثير من المشروبات الكحولية التي تستخلص بتخمير النشاء أو السكر أو غيرها من التحولات، وهي وإن اختلفت في أسمائها كالبيرة والويسكي والشمبانيا والشيري وغيرها، فإنها كلها ذات أصل واحد.

وقد أنبأنا رسول الله عليه الصلاة والسلام بذلك فقال: **«ليشربنَّ أناسٌ من أمتي الخمر يسَموُّنها بغير إسمها، يُعزفُ على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير»**[1].

ويقول صلى الله عليه وسلم: **«من الحنطة خمر ومن التمر خمر ومن الشعير خمر ومن الزبيب خمر ومن العسل خمر»**[2].

ويقول البروفسور شاكيت من جامعة كاليفورنيا: تحتوي الكحول على مواد Congeners تؤدي إلى تخريب في الجسم بتناول الخمر المديد، وهذه المواد هي الميثانول، والبوتانول والألدهايد والفينول والتانين والحديد والرصاص والكوبالت.

ويقول: تحدث في الجسم تغييرات في السلوك وفي الجهاز الحركي النفسي حتى في مستويات لا تتجاوز (20 ـ 30 ملجم%) (أي بعد تناول كوب أو اثنين من البيرة أو ما يعادلها وهذه النسبة هي أقل بكثير من النسبة التي تعتبر قانونية في الولايات المتحدة وبريطانيا وهي (80 ملجم%)، وقد يحدث الموت في مستوى الكحول في الدم ما بين (300 ـ 400 ملجم%) (عن كتاب هاريسون في الطب 1987).

ويطرح الجسم ما بين (2 ـ 10%) من الكحول مباشرة من الرئتين والبول والجلد، أما القسم الأعظم منه فيتحول إلى مادة الأسيتالدهايد Acetaldehyde في الكبد.

---

(1) رواه ابن ماجه في الفتن (4020)، من حديث أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، به. وهو حديث صحيح.

(2) رواه الإمام أحمد (5992) والنسائي (5595) بإسناد حسن، من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ. ورواه عبد الرزاق (17049) والبخاري (5589) وغيرهما، موقوفاً على ابن عمر، قال: الخمر تصنع من خمسةٍ، من الزبيب، والتمر، والحنطة، والشعير، والعسل، لفظ البخاري.

الكحول والغذاء:

يعطي الجرام الواحد من الكحول ما يعادل 7 حريرات، ويحتوي الكأس من المشروب الكحولي على ما بين (70 ـ 100) حريرة، فإذا ما تناول شارب الخمر ما بين 8 ـ 10 كؤوس يومياً فإن ذلك يعطيه (1000) حريرة باليوم. وقد يقول قائل: إن هذا أمر عظيم فهو مصدر جيد للحريرات وللطاقة، ولكن نقول له إن هذا المصدر خال من أي من العناصر الغذائية الأخرى كالبروتينات والمعادن والفيتامينات.

لأن تناول الكحول يسبب نقصاً في عناصر أساسية في الدم وهي البوتاسيوم والكالسيوم والمغنزيوم والزنك والفوسفات، فنقص البوتاسيوم يمكن أن يؤدي إلى شلل دوري في العضلات وإلى انعدام المنعكسات.

ونقص الكالسيوم يمكن أن يؤدي إلى الضعف العام والتكزز في العضلات، ونقص المغنزيوم يعطي اضطرابات عصبية واضطراب في نظم القلب. وإذا ما نقص الزنك فإن ذلك يؤدي إلى خلل في وظيفة الخصيتين ونقص في الشهية، وتأخر في شفاء الجروح واضطراب في مناعة الجسم. ولو نقص الفوسفات لأدى إلى ضعف في العضلات واسترخاء في القلب واضطراب في الدماغ وخلل في وظيفة صفيحات الدم.

ويؤدي تناول الكحول دون طعام إلى نقص في سكر الدم خلال (6 ـ 36 ساعة) وحتى لو كان الجسم سليماً من الأمراض، وحين ينغمس مدمن الكحول في الشراب ويسهو عن تناول الطعام فإن نقص السكر أمر وشيك الوقوع. (عن هاريسون 1987).

ويقول الباحثون إن تناول الكثير من كؤوس الخمر في سهرة واحدة يمكن أن يؤدي إلى فقدان الذاكرة وفقد الوعي، فلا يذكر شارب الخمر ما حدث خلال تناوله الخمر. وتشير الإحصائيات إلى أن 30 ـ 40% من الشباب في الولايات المتحدة في سن العشرين من العمر قد أصيبوا في فترة من الفترات بتلك الأعراض.

وحتى بعد تناول عدد قليل من الكؤوس فإن شاربي الخمر يميلون إلى النوم بشدة ولكن هل هو النوم المريح والسكون والهدوء... كلا، إنه نوم متأرجح متقطع كثيراً ما يترافق بالأحلام المزعجة.

قال الشاعر:

أرى كل قومٍ يحفظون حريمهم ... وليس لاصحاب النبيذ حريم

إذا جـئـتـهـم حـيـوك ألـفـاً ورحـبـوا   وإن غـبـت عـنـهـم سـاعـة فـذمـيـم
إخـائـهـم مـا دامـت الـكـأس بـيـنـهـم   وكــلــهــم رث الــوصــال ســؤوم
فـهـذا بـيـانـي لـم أقـل بـجـهـالـة   ولـكـنـنـي بـالـفـاسـقـيـن عـلـيـم

تأثيرات الكحول السمية:

تختلف تأثيرات الكحول السمية باختلاف مستوى الكحول في الدم، فكلما أكثر شارب الخمر من تناوله للمسكر كلما ارتفع مستواه في الدم، وحين يبلغ مستوى الكحول في الدم (20 ـ 99 ملجم%) فإنه يسبب تغيرات في المزاج والشعور، وعدم توازن في العضلات، واضطراب في حس اللمس، وتغيرات في الشخصية والسلوك.

وإذا بلغ مستوى الكحول (100 ـ 199 ملجم%) حدث اضطراب شديد في القوة العقلية وعدم انسجام في الحركات وفقد شارب الخمر توازنه في الوقوف والمشي. ومتى بلغ مستوى الكحول (200 ـ 299 ملجم%) ظهر الغثيان والإعياء وازدواج النظر واضطراب التوازن الشديد Ataxia.

ولو وصل مستوى الكحول إلى (300 ـ 399 ملجم%) لحدث هبوط في حرارة الجسم Hypothermia وصعوبة شديدة في التكلم، وفُقدت الذاكرة، ودخل شارب الخمر في الدرجة الأولى من درجات التخدير العام.

وإن بلغ مستوى الكحول ما بين (400 ـ 700 ملجم%) دخل المريض حالة سبات عميق وقصور في التنفس Respiratory Failure وقد يليه الموت.

ورغم أن كل أعضاء الجسم تتأثر بشرب الخمر إلا أن الجهاز العصبي هو أكثر الأجهزة في البدن تأثراً به، وأول ما يتبط بالخمر تلك المناطق الدماغية التي تقوم بأكثر الأعمال العقلية تعقيداً. وبالتالي تفقد قشر الدماغ قدرتها على تحليل الأمور وتصاب عمليات التفكير المختلفة بالاضطراب.

ومن أول ما يتأثر بالخمر تلك العمليات العقلية التي تعتمد على التدريب والخبرة السابقة. أما الأعمال الاعتيادية الميكانيكية التي تحتاج إلى مهارة فإنها تتأثر بدرجة أقل.

وتتناسب تأثيرات الكحول على الجهاز العصبي مع مستواه في الدم، وحيث إن الدماغ عضو غني بالتروية الدموية، فإنه يتأثر بسرعة بارتفاع مستوى الكحول في الدم.

ويؤثر الخمر على مناطق الدماغ المسؤولة عن التنفس، ولذلك فإن شرب كميات كبيرة من الخمر يمكن أن يثبط التنفس تماماً، وقد يؤدي إلى الموت.

ويحدث الدفء في الجلد بعد شرب الخمر نتيجة توسع الأوعية في الجلد. (عن كتاب Alcoholism 1985).

الأمراض الناجمة عن شرب الخمر:

جاء في كتاب Alcoholism:

«يعتبر الإدمان على الخمر واحداً من أقدم وأكثر الأمراض شيوعاً في أوروبا وأمريكا. ويمارس الكحول تأثيراته السمية على كل أعضاء الجسم تقريباً، فهو يعبر الحاجز الدماغي للدماغ، ويدخل عبر المشيمة إلى الجنين، ويصل إلى كل الأنسجة في الجسم بتراكيز متساوية تقريباً إلا أنه يتموضع بشكل خاص في الأنسجة الشحمية. وكلما كانت أعضاء الجسم أكثر تخصصاً وتعقيداً في وظائفها كلما كانت أكثر عرضة لتأثيرات الكحول السمية».

ولا عجب حين نرى الدماغ والكبد والبنكرياس والغدد الصم من أوائل الأعضاء التي تتأثر بالكحول محدثاً اضطراباً خطيراً في وظائفها.

ويرتبط التخريب الحاصل في وظائف الأعضاء هذه بمستوى الكحول في الدم وبتكرار تناول المرء للخمر.

ولا يعرف حتى الآن بدقة كمية الخمر التي يحصل معها الإدمان، ولكن من المؤكد أنه كلما تناول شارب الخمر المسكرات كلما أصبحت أعضاء الجسم تتأثر بكميات أقل من الكحول. ويعتقد بعض العلماء أنه ليس هناك كمية معينة إذا ما تناول المرء دونها كان آمناً من خطر المسكرات.

ويؤكد كتاب Alcoholism أن التخريب الحاصل في الأنسجة من جراء شرب الخمر مرة واحدة يمكن أن يكون تخريباً دائماً لا يتراجع.

ومع توالي شرب المسكرات فإن هذا التخريب يتراكم، ومن المتفق عليه أن مدى التخريب الحاصل في الجسم وانتشاره يتناسب مع كمية الخمر التي شربها الإنسان في حياته.

إن شرب الخمر مرة واحدة فقط قد يؤدي إل تخريب دائم، فما بالك بمن يدمن على المسكرات؟ ولهذا فقد حرَّم الرسول عليه الصلاة والسلام حتى الكمية القليلة من الخمر فقال «**ما أسكر كثيرة فقليله حرامٌ**»[1].

وقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن الجلوس على موائد الخمر لأن ذلك قد يعرض صاحبها لمجاراة الجالسين فيذوق للمرة الأولى وقد تتبعها كؤوس وكؤوس.

تأثيرات الخمر على الجهاز الهضمي:

الفم والبلعوم والمريء:

جاء في كتاب Alcoholism:

على الرغم من أن تأثيرات الكحول على الفم والمريء تأثير عابر إلا أن نسبة حدوث سرطان المريء تزيد حين يزداد تناول المسكرات عن 40 جم من الكحول باليوم (هذه تعادل كأسين ونصف كأس من البيرة).

وتقول مجلة مديسين Medicine في العدد الصادر في شهر شباط/ فبراير (1989):

«إن تناول الكحول المزمن كثيراً ما يترافق بالتهاب في الغدة النكافية، وإن سرطان البلعوم والحنجرة أكثر حدوثاً عند شاربي الخمر من غيرهم، وكذلك يشيع عند هؤلاء التهاب المريء لأن الكحول يرخي معصرة المريء السفلية وبالتالي يعود الحمض من المعدة إلى المريء مما يؤدي إلى التهاب المريء ويكثر عندهم سرطان المريء أيضاً وقد يحدث نزف في المريء نتيجة التهاب المريء أو نتيجة القيء الشديد الذي يحدث عند شاربي المسكرات!.

المعدة والأمعاء:

وجد الباحثون أن كميات معتدلة من الكحول يمكن أن تسبب اضطراباً في الوظيفة الطبيعية للمعدة والأمعاء، إذ إن الكحول يمنع حركة تقلص الأمعاء Peristalsis (وهي الحركة التي تدفع الطعام عبر الجهاز الهضمي) مما يسبب اضطراباً في وظيفتها.

(1) تقدم بتمامه من رواية الإمام أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهم، بإسناد صحيح.

ويزيد الكحول في إفراز حمض كلور الماء وخميرة الببسين Pepsin (وهاتان المادتان تخرشان أغشية المعدة في غياب الطعام) وبذلك تنتفخ الأغشية المخاطية للمعدة وتحتقن وتظهر التقرحات في جدار المعدة وقد يحدث نزف من هذه التقرحات.

ولا توجد أدلة كافية تشير إلى أن الكحول يسبب قرحة المعدة إلا عند المصابين بتشمع الكبد، إلا أن تناول الكحول يمكن أن يفاقم قرحة موجودة بالأصل.

وقد يحدث نزف دموي بسبب دوالي المريء (توسعات في الأوردة التي في أسفل المريء وأعلى المعدة) نتيجة تشمع الكبد وفرط التوتر البابي Portal Hypertension وتكثر الإسهالات عند مدمني الخمر بسبب تأثير سمي وتكثر أيضاً البواسير. كما أن سرطان المستقيم عندهم أكثر شيوعاً من غيرهم.

مرض الكبد الكحولي Alcoholic Liver

يقوم الكبد بوظائف عديدة ومعقدة، فهو مسؤول عن تفكيك النفايات ونواتج الإستقلاب وتعديل المواد السامة. ويصنع البروتينات الأساسية ومن ضمنها عوامل تخثر الدم (والتي بدونها ينزف المرء حتى الموت).

وكذلك ينتج الصفراء التي تتولى هضم الدسم في الأمعاء. ويخزن بعض الفيتامينات كالفيتامين ب 12 (12B) الضروري لتشكل الكريات الحمر. ويخزن الغليكوجين (وهو نوع من السكر) ليساعد على تنظيم مستوى سكر الدم ويطلقه على شكل غلوكوز إلى الدم عند الحاجة. ويدخِّر الشحوم ويساعد على إحراقها ولهذا فإن أي اضطراب في وظائف الكبد يمكن أن يسبب تأثيرات واسعة المدى على وظائف الجسم.

وحين يتناول شارب الخمر المسكرات، ويصل الكحول إلى الدم فإن الكبد ينشغل عن وظائفه الطبيعية ويصبح همه الأول التخلص من الكحول، فالكبد يعلم أن الكحول مادة سامة ولهذا يعطي الكبد الأولوية للتخلص من هذه المادة. وهو بذلك ينصرف عن القيام بمهماته الأخرى، وحين يدمن شارب الخمر على شرب المسكرات، يحدث اضطراب مزمن في وظائف الكبد الاستقلالية. وهناك ثلاثة أنواع من مرض الكبد الكحولي:

الأثني عشري (وهو القسم الأول من الأمعاء الدقيقة الذي يلي المعدة مباشرة). وكثيراً ما يحدث التهاب البنكرياس عند مدمني الخمر، وهو إما أن يظهر بشكل التهاب حاد (يشكو فيه المريض من ألم شديد في البطن ينتشر إلى الظهر وقد يترافق بغثيان أو قيء) أو التهاب مزمن حين تستمر آثار التخريب الحاصل في وظيفة وبنية البنكرياس.

ويقول الدكتور كلارك: «إن 75% منَ المرضى المصابين بالتهاب البنكرياس المزمن في الولايات المتحدة هم من مدمني الخمر».

تأثيرات الكحول على الجهاز الهضمي:

تظهر تأثيرات الكحول فوراً على الدماغ، بعضها عابر والآخر غير قابل للتراجع. ويقول مؤلف كتاب Alcoholism «بعض العلماء يقول بأن تناول كأس واحدة أو اثنتين من أي نوع من أنواع الخمر قد يسبب موتاً في بعض خلايا الدماغ».

والرسول عليه السلام يحذر من شرب حتى القليل من الخمر **«ما أُسكر كثيرُهُ فقليله حرام»**.

ولا نعلم بالضبط كم يستغرق من الوقت حدوث تخريب غير قابل للتراجع في الدماغ. إلا أنه من المؤكد بأن الخلايا العصبية هي أكثر الخلايا عرضة لتأثيرات الكحول السمية لأنها أكثر الخلايا تطوراً في الجسم.

وقد يقول البعض إن الكحول يحرِّض الدماغ وينشطه حينما يلاحظ الناس كثرة الكلام عند شاربي الخمر وازدياد حركتهم. ويرد على ذلك مؤلف كتاب Alcoholism الشهير فيقول:

إن ما يلاحظه الناس من النشوة العابرة وكثرة الكلام وحركة أولئك الذين يشربون الخمر أثناء تناولهم للمسكرات إنما هو في الحقيقة ناجم عن تأثير مثبط لوظائف قشر الدماغ العليا، وحين تتثبط مراكز القيادة هذه، فإن بعض المناطق البدائية في جذع الدماغ تتحرر من سيطرة المراكز العليا في قشر الدماغ مما ينجم عنه هذه التصرفات اللامسؤولة، وإن التأثرات الناجمة عن شرب الخمر ليوم أو يومين على الدماغ تستمر عدة أسابيع بعد التوقف عن شرب الخمر.

وأكثر ما يتأثر بالخمر ذاكرة الأحداث القريبة، فلا يذكرُ شارب الخمر ما حدث **بالأمس، والتوازن البصري الحركي والبصري ـ الفضائي، فيفقد توازنه.**

وكلما تكرر شرب الخمر كلما كانت هذه التأثيرات أكثر عناداً فلا تراجع.

وإذا ما استمر شارب الخمر في تناول المسكرات فقد يحدث ما يسمى بتناذر فيرينكه وتناذر كورساكوف.

ما هو تناذر فيرينكه؟ «Wernicke»

يظهر المصاب بهذا التناذر مختلط الذهن، خائفاً، هاذياً وتظهر في عينيه حركات متواترة تسمى الرأرأة. وقد يحدث شلل في عضلات العين ويفقد المريض توازنه حين تصاب الأعصاب المحيطية والمخ بالدمار.

ما هو تناذر كورساكوف؟ «Korsakoffs»

يصاب المريض حينئذ بفقد الذاكرة ويختلق الأحداث، وحين يحدث اختلال شديد في وظيفة الدماغ يصبح المريض غير قادر على خزن المعلومات، ولكي يملأ المريض الفراغات الحادثة في ذاكرته، فإنه يختلق قصصاً وهمية. ويفقد المريض حس التوجه، ويصاب باختلاط في الذهن، ومتى أصيب شارب الخمر بهذه الحالة فإن احتمال الشفاء أمر نادر.

القلب والمسكرات:

يؤثر الكحول على القلب بعدة طرق:

1) اعتلال العضلة القلبية الكحولي:

وهو ضعف واسترخاء في القلب ينجم عن تناول الكحول، وفيه تضعف العضلة ويتوسع حجر القلب، ويحدث عادة عند من هم دون الخمسين من العمر.

ويشعر المريض بهذا المرض بضيق في التنفس وإعياء عام، وقد لا يستطيع القيام حتى بخدمة نفسه في البيت.

وقد يصاب المريض باضطراب في ضربات قلبه، وقد تتجمع السوائل في رئتيه ويتضخم كبده وتنتفخ قدماه.

والمرض مميت إذا استمر المريض بتناول المسكرات، إلا أنه يمكن أن يتحسن

ويعود القلب شيئاً فشيئاً إلى ما كانِ عليه إذا ما امتنع شارب الخمر عن المسكرات امتناعاً تاماً ﴿فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

2) ارتفاع ضغط الدم:

وجد الباحثون علاقة بين ارتفاع ضغط الدم وتناول المسكرات بغض النظر عن العوامل الأخرى كالتدخين والسمنة.

وقد يعود ضغط الدم إلى ما كان عليه إذا ما توقف المريض عن شرب الخمر.

3) مرض البري بري القلبي:

وفيه يحدث استرخاء وضعف في القلب ناجم عن نقص فيتامين الثيامين، ويستجيب هذا المرض لجرعات كبيرة من هذا الفيتامين.

4) مرض الشرايين الإكليلية في القلب:

ينجم هذا المرض عن تضيق في شرايين القلب نتيجة تصلّبها. في تلك الشرايين وحين يقوم المريض بمجهود عضلي أو ينفعل ويغضب فإن ذلك يؤدي إلى نقص في كمية الدم التي تغذي القلب مما يُحدث أزمة في القلب (ذبحة قلبية) يشكو فيها المريض من ألم شديد في منتصف صدره. وليس هناك من شك في أن شاربي الخمر هم أكثر عرضة للإصابة بأمراض الشرايين.

5) اضطراب نظم القلب:

وفيه يشكو المريض من الخفقان، وقد تبطئ ضربات القلب أو تسرع أو تصبح غير منتظمة. وقد تنجم هذه الاضطرابات عن تناول كمية قليلة من الكحول لا تتجاوز كأسين من البيرة أو ما يعادلها. «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»[1] ولا تعرف بدقة الآلية التي يمارس بها الكحول هذا التأثير.

---

(1) رواه الإمام أحمد (14709) وأبو داود (3681)، وغيرها، بإسناد صحيح من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ، به.

وقد سُئِلَ رسول الله ﷺ عن البتع ـ وهو نبيذ العسل ـ وكان أهل اليمن يشربونه، فقال ﷺ: «**كل شراب أسكر فهو حرام**»[1].

وروى مسلم (2003)، وغيره من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام**».

وقد يشعر شارب المسكرات بخفقان لمدة مختلفة، وقد يحس بأن قلبه قد توقف لخفقة واحدة أو أكثر ثم يعود القلب لضرباته الطبيعية.

ويزول هذا المرض عادة إذا ما امتنع شارب الخمر عن ذلك، هذا ما قد يحدث عند الأصحاء، أما إذا كان شارب الخمر مصاباً بالأصل بمرض في شرايين القلب فإن الكحول قد تؤدي إلى اضطرابات مميتة في نظم القلب، وهذا أحد أسباب الموت الفجائي عند شاربي الخمر.

روى الإمام أحمد (15496) وأبو داود (3110) وغيرهما، بإسناد صحيح، عن عبيد بن خالد ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**موت الفجاءةِ أخذةُ أسِفٍ**».

المسكرات والسرطان:

من الثابت علمياً أن للكحول علاقة بسرطان الفم والمريء والبلعوم والرغامي والكبد. فقد أظهرت الدراسات العلمية أن الكحول مادة مسرطنة. ودلت الدراسات على أن التعرض المزمن للكحول يزيد من معدلات حدوث السرطانات وعلى الأخص سرطان المريء والكبد. وتزداد نسبة حدوث سرطان الجهاز الهضمي بدءاً بالفم والبلعوم وانتهاءً بالمستقيم.

المسكرات والتشوه الحلقي:

أثبت الباحثون أن للكحول فعلاً مشوهاً للأجنة، إذ تحدث اختلالات عقلية وجسدية في الوليدين من أمهات يشربن الخمر.

وقد أجريت تجارب على الفئران فتبين أن شرب الخمر يسبب تشوهات في تكوين

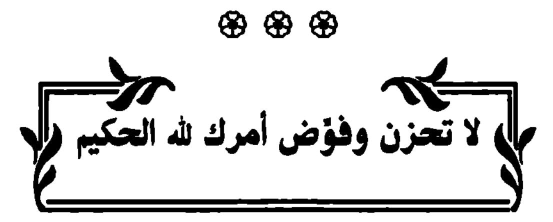
---

(1) رواه البخاري (5586) ومسلم (2001)، وغيرها، من حديث السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

الفئران، كما أنه يسبب تخرباً في الصبغيات عند الإنسان، وحين يستقلب الكحول في الكبد تنتج عنه مادة تسمى أسيت ألدهايد Acetaldehyde، وتعتبر هذه المادة مشوهة للصبغيات وتؤدي إلى تشوه خلقي عند الوليد، وتسبب السرطان.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90] (ش) بتصرف.

❀ ❀ ❀



لا تحزن وفوّض أمرك لله الحكيم

قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]. قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ:

في هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد: فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرَّة من جانب المسرَّة، ولم ييأس أن تأتيه المسرَّة من جانب المضرَّة لعدم علمه بالعواقب؛ فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد.

وأوجب له ذلك أموراً:

منها: أنه لا أنفع له من امتثال الأمر وإن شقَّ عليه في الابتداء؛ لأن عواقبه كلها خيرات ومسرّات ولذَّات وأفراح، وإن كرهته نفسه فهو خير لها وأنفع. وكذلك لا شيء أضرّ عليه من ارتكاب النهي لأن هويَتهُ نفسُه ومالت إليه؛ فإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب، وخاصيَّة العقل تحمُّل الألم اليسير لِما يعقبه من اللذة العظيمة والخير الكثير، واجتنابُ اللذة اليسيرة لِما يعقبها من الألم العظيم والشرّ الطويل. فنَظَرُ الجاهل لا يجاوز المبادئ إلى غاياتها، والعاقل الكَيِّس دائماً ينظر إلى الغايات من وراء ستور مبادئها، فيرى ما وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة؛ فيرى المناهي كطعام لذيذ قد خُلِطَ فيه سُمٌّ قاتل، فكلما دعته لذته إلى تناوله نهاه ما فيه من السم. ويرى الأوامر كدواء كريه المذاق مُفْضٍ إلى العافية والشفاء، وكلما نهاه كراهة مذاقه عن تناوله أمَرَهُ نفعُه بالتناول. ولكن هذا يحتاج إلى فضل علم تدرك به الغايات من

مبادئها، وقوة صبرٍ يوَطّن به نفسه على تحمُّل مشقة الطريق لِما يؤمِّل عند الغاية، فإذا فقدَ اليقين والصبر تعذَّر عليه ذلك، وإذا قوِيَ يقينُه وصبرُه هان عليه كل مشقة يتحمّلها في طلب الخير الدائم واللذة الدائمة.

ومن أسرار هذه الآية: أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له ويقضيه له؛ لما يرجو فيه من حسن العاقبة.

ومنها: أنهَ لا يقترح على ربه، ولا يختار عليه، ولا يسأله ما ليس له به علم؛ فلعلَّ مضرَّته وهلاكه فيه وهو لا يعلم؛ فلا يختار على ربه شيئاً، بل يسأله حسن الاختيار له، وأن يرضيه بما يختاره، فلا أنفع له من ذلك.



فصاحة وبلاغة

الحمد لله القاسم المرزق والجالب للقوت، القادر فلا يعجزه شيءٌ ولا يفوت، الموصوف بالقِدم وبالكرم منعوت، العالم بما فوق الفوق وتحت التحوت، له العزّ والكبرياء والملكوت، وإليه المرجع والقصد والرغبوت، ومنه الخوف والحذر والرهبوت، إذا حَدَّق الفكرُ نحو عظمته رجع وهو مبهوت، صرعَتْ أقدارُه العتاةَ فهلك إبليسُ وماروت، ورفع إنعامُه المحتقرين فملك على ضعفه طالوت، وقوَّت إعانتُه المنكسرين فقتل داود جالوت، ينفخ في الصور فيقوم من القبور الأموات الخفوت، ويناقش في السؤال فإذا الفصيحُ صموت، واعجباً لهذا العظيم يُعبد معه صنم منحوت، موصوف بالكلام وقد جلّ عن وصف السكوت، ولقد قالوا في كلامه ما لا يقال في «أَلَمُوت»[1]، جاء «جهم»[2] ذو النظام و«المرِيسيّ»[3] فخربوا البيوت، كلٌّ منهم كان محنةً وكلٌّ طاغوت، أيقال إنّ القرآن ليس بمسموع ما قال رأس المشبّه ولا رأس الجالوت، كلاّ بل هو المسموع المتلوّ في البيوت، يا أئمة السلف جُحِدت السكينةُ وسُرِق التابوت، أتراهم ابتدعوا النبل الحطام سمٌّ وخشوت[4]، احذرهم ودع انسهم ثم لا تنسهم في دعاء القنوت، وجاهد أعداء السُنّة أهل الغيّ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا

---

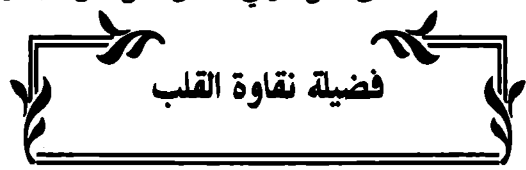
(1) قلعة جبلية في شمال غربي قزوين، كانت مقراً لزعيم الإسماعيلية من عام 483 ـ 654 هـ. ومعنى (ألموت) وكر النسر، شيَّدها حسن الداعي إلى الحق العلوي عام 246 هـ، وظلت قائمة إلى ما بعد غزوة المغول، واستخدمها الصفويون سجناً، وبقيت أطلالها إلى القرن الماضي. أنظر دائرة المعارف الإسلامية 4/ 371 ـ 375.

(2) هو أبو محرز جهم بن صفوان الراسبي، رأس الجهمية القائل بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، والزاعم أن الجنة والنار تفنيان. أنظر تذكرة الحفاظ رقم 1584، وميزان الاعتدال رقم الترجمة 1482.

(3) هو بِشر بن غياث المريسيّ، كان فقيهاً حنفياً على رأي أبي يوسف القاضي ثم ادعى خلق القرآن، صار جهمياً، وأخذ في أيام الرشيد وأوذي ومات سنة 218 هـ. أنظر ميزان الاعتدال 1214، وتاريخ بغداد 7/ 56.

(4) جمع خِشت: لفظة فارسية لنوع من السلاح الحربي كالنبل أو السهام الصغيرة.

يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58] نسجتُ ثوب السنة فدار المنوال وتمّ المشتوت، يا لكلامي أحسن من دُرٍّ وأصفى من ياقوت، أعمل في القلوب بصرفها إليه من سحر ماروت، مليح ولا غمرة بدين ولا قنوت، ظرفٌ مملوء ظرفاً لا كقول مكبوت، أيماثل نسج دود القزّ ونسج بيت العنكبوت، أيشبّه الدرُّ بالبعر من مثل هذا أموت، بينه وبين غيره كما بين العرش والبَهَموت، لا يقدر على مثل قولي ولكن سل عن البخوت.



فضيلة نقاوة القلب

لنقاوة القلب وصفائه، فضيلة لا يعد لها فضيلة، إنها الجنة ونعيمها، والتمتع بدار الخلود بلا نهاية. فإن سريرة المرء لترسم معالم حياته الدنيوية والأخروية. فإن طهُرت واستقامت عاش صاحبها بسلام وأمان، ومات على ذلك، وبُعث على ذلك.

فإن الإنسان يموت على ما عاش عليه، ويُبعث على ما مات عليه.

ففي مسند الإمام أحمد (12697)، وغيره بإسناد صحيح على شرط الشيخين، من طريق عبد الرازق، قال: حدّثنا معمرٌ الزُّهْري، قال:

أخبرني أنسُ بن مالك قال: كُنَّا جُلوساً مع رسولِ الله ﷺ، فقال: «**يَطْلُعُ عَليكُم الآنَ رجلٌ مِن أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَطَلَعَ رجلٌ من الأنصار، تَنْطِفُ لِحْيتُه من وَضُوئِه، قد تَعَلَّقَ نَعْلَيه في يدِه الشمالِ، فلمَّا كان الغَدُ، قال النبيُّ ﷺ مِثلَ ذلك، فطَلَعَ ذلك الرجلُ مِثلَ المَرَّةِ الأُولى، فلمَّا كان اليومُ الثالثُ، قال النبيُّ ﷺ مثلَ مَقالَتِه أيضاً، فطَلَعَ ذلك الرجلُ على مِثْلِ حالِه الأُولى، فلمَّا قام النبيُّ ﷺ، تَبِعَه عبدُ الله بن عَمْرو بن العاص، فقال: إني لاَحَيْتُ أَبي، فأَقْسَمْتُ أن لا أدخُلَ عليه ثلاثاً، فإنْ رأيتَ أن تُؤْوِيَني إليكَ حتى تَمضِيَ، فعلتُ. قال: نَعَم.

قال أنسٌ: وكان عبدُ الله يُحدِّث أنه باتَ معه تلك اللَّياليَ الثلاثَ، فلم يَرَه يقومُ مِن الليل شيئاً، غيرَ أنَّه إذا تَعَارَّ وتَقَلَّبَ على فِراشِه ذَكَرَ اللهَ ﷻ، وَكَبَّرَ، حتى يَقُومَ لصلاةِ الفجرِ.

قال عبد الله: غير أني لم أسمَعْهُ يقولُ إلا خيراً، فلما مَضَتِ الثلاثُ ليالٍ، وكِدتُ أنْ أَحْقِر عَمَلَه، قلت: يا عبدَ الله، إني لم يكُنْ بيني وبينَ أبي غَضَب ولا هَجْر ثَمَّ، ولكن سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لك ثلاثَ مِرارٍ: «**يَطْلُعُ عَليكُم الآنَ رجل من أهلِ الجَنَةِ**» فطَلَعْتَ أنت الثلاثَ مِرارٍ، فأردتُ أنْ آوِيَ إليكَ، لأنظُرَ ما عَمَلُك، فأقتدِيَ

به، فلم أَرَكَ تعملُ كَثيرَ عَمَلٍ، فما الذي بَلَغَ بِك ما قالَ رسولُ الله ﷺ؟

فقال: ما هو إلا ما رَأَيْتَ. قال: فلمَا وَلَّيْتُ دعاني، فقال ما هو إلا ما رأيتَ، غيرَ أني لا أَجِدُ في نَفْسي لأحدٍ من المُسلِمينَ غِشّاً، ولا أَحْسُدُ أحداً على خَيرٍ أعطاهُ اللهُ إيَّاه. فقال عبدُ الله: هذه التي بَلَغَتْ بك، وهي التي لا نُطيقُ.

❀ ❀ ❀



ثمرة الإخلاص

هل تستطيع القول، بأن المخلص قد نجا من براثن الشيطان؟ وأن لا سلطان للشيطان على قلبه، بل على جوارحه فقط؟ فلقد أخذ الشيطان عهداً على نفسه، بأن يضل البشر، مهما كلفه ذلك الأمر من عذاب مؤلم في جهنم وسعيرها!

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: 28 ـ 44].

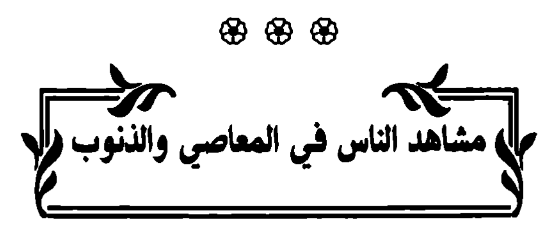
وهكذا يتبين لنا، كيف أن سلطان الشيطان، إنما هو على من اتبعه من الغاوين. وأما من كان مخلصاً لمولاه، يعيش لطاعته وعبادته، متوجهاً إليه بكل جوارحه، ولا يلتفت إلى غيره، فإنه قد برأ من براثن الشيطان وإغوائه، ومن تبعات طاعته وعواقبها.

وفي ذلك يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: أعظم المعاقبة أن لا يحس المعاقب بالعقوبة. وأشد من ذلك (أن) يقع السرور بما هو العقوبة، كالفرح بالمال الحرام، والتمكن من الذنوب. ومن هذه حاله، لا يفوز بطاعة. وإني تدبرت أحوال أكثر العلماء والمتزهدين فرأيتهم في عقوبات لا يحسون بها، ومعظمها من قبل طلبهم

للرياسة. فالعالم منهم، يغضب إن رد عليه خطؤه، والواعظ متصنع بوعظه، والمتزهد منافق أو مراء. فأول عقوباتهم: إعراضهم عن الحق شغلاً بالخلق. ومن خفي عقوباتهم: سلب حلاوة المناجاة، ولذة التعبد.

إلا رجال مؤمنون، ونساء مؤمنات، يحفظ الله بهم الأرض، بواطنهم كظواهرهم، بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم، بل أحلى، وهممهم عند الثريا بل أعلى. إن عرفوا تنكروا، وإن رئيت لهم كرامة، أنكروا. فالناس في غفلاتهم، وهم في قطع فلاتهم، تحبهم بقاع الأرض، وتفرح بهم أملاك السماء. نسأل الله ﷻ التوفيق لاتباعهم، وأن يجعلنا من أتباعهم.

❁ ❁ ❁



مشاهد الناس في المعاصي والذنوب

الناس في البلوى التي تجري عليهم أحكامها بإرادتهم وشهواتهم متفاوتون ـ بحسب شهودهم لأسبابها وغايتها ـ أعظمَ تفاوت. وجماع ذلك ثمانية مشاهد:

ـ **أحدها**: شهود السبب الموصل إليها، والغاية المطلوبة منها فقط. وهو شهود الحيوانات، إذ لا تَشهد إلاّ طريقَ قضاء وطرها، وبرد النفس بعد تناولها. وهذا الضربُ من الناس ليس بينه وبين الحيوان البهيم في ذلك فرقٌ إلاَّ بدقيق الحيلة في الوصول إليها، وربما زاد غيره من الحيوانات عليه مع تناولها ولذّته بها.

ـ **المشهد الثاني**: من يشهد مع ذلك مجرّد الحكم القَدَريّ وجريانه عليه، ولا يجوز شهوده ذلك. وربما رأى أن الحقيقة هي توفية هذا المشهدِ حقَّه، ولا يتمّ له ذلك إلاَّ بالفناءِ عن شهود فعله هو جملةً. فيشهد الفاعل فيه غيره والمحرّك له سواه، فلا ينسب إلى نفسه فعلاً ولا يرى لها إساءة، ويزعم أنَّ هذا هو التحقيق والتوحيد. وربما زاد على ذلك أنه يشهد نفسه مطيعاً من وجهٍ، وإن كان عاصياً من وجه آخر؛ فيقول: أنا مطيعُ الإرادة والمشيئة وإن كنتُ عاصياً للأمر. فإن كان مِمَّن يرى الأمر تلبيساً وضَبطاً للرّعاع عن الخبط والحرمان مع حكم الطبيعة الحيوانية، فقد رأى نفسه مُطيعاً لا عاصياً، كما قال قائلُهم في هذا المعنى:

أصبحتُ مُنفَعِلاً لما يختارُه ... مِنّي، ففعلي كُلّه طَاعَاتُ

وأصحابُ المشهد الأول أقرب إلى السلامة من هؤلاء وخيرٌ منهم. وهذا المشهد بعينه هو المشهد الذي يشهده المشركون عُبّاد الأصنام، ووقفوا عنده؛ كما قالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ﴾ [الزخرف: 20] وقالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: 148]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ [يس: 47]. فهذا مشهد من أشرك بالله وردّ أمره، وهو مشهدُ إبليس الذي انتهى إليه، إذ يقول لربه: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الحجر: 39].

ـ **المشهد الثالث:** مشهد الفعل الكسبي القائم بالعبد فقط. ولا يشهد إلاّ صدوره عنه وقيامه به، ولا يشهد مع ذلك مشيئة الرب له، ولا جريان حكمه القدريّ به ولا عزّة الربّ في قضائه ونفوذ أمره. بل قد فني بشهود معصيته بذنبه وقبح ما اجترمه عن شهود المشيئة النافذة والقدر السابق: إمّا لعدم اتساع قلبه لشهود الأمرين، فقد امتلأ من شهود ذنبه وجرمه وفعله ـ مع أنه مؤمنٌ بقضاء الرّب وقَدَره، وأنّ العبدَ أقل قدراً من أن يحدثَ في نفسه ما لم يسبقْ به مشيئة بارئه وخالقه ـ.

ـ **المشهد الرابع:** مشهد التوحيد والأمر، فيَشهَد انفراد الربّ بالخلق، ونفوذَ مشيئته وتعلّق الموجودات بأسرها به، وجريانَ حكمه على الخليقة، وانتهاءَها إلى ما سبق لها في علمه وجرى به قلمه. ويشهد في ذلك أمرَه ونهيه وثوابه وعقابه، وارتباط الجزاءِ بالأعمال، واقتضاءَها له ارتباط المسبّبات بأسبابها التي جعلت أسباباً مقتضيةَ لها شرعاً وقدراً وحِكمة. فشهوده توحيدَ الرّب، وانفراده بالخلق، ونفوذ مشيئته، وجريان قضائه وقدره، يفتح له بابَ الاستعاذة ودوامَ الالتجاءِ إليه والافتقار إليه. وذلك يدنيه من عتبة العبودية، ويطرحه بالباب فقيراً عاجزاً مسكيناً لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. وشهودُه أمرَه تعالى ونهيَه وثوابه وعقابه، يوجب له الحمد، والتَّشمير، وبذل الوسع، والقيام بالأمر، والرجوع على نفسه باللوم والاعتراف بالتقصير. فيكون سيرُه بين شهود العزّة والحكمة والقدرة الكاملة والعلم السَّابق والمِنّة العظيمة، وبين شهود التقصير والإساءة منه وتطلب عيوب نفسه وأعمالها.

فهذا هو العبد الموفّق المعان، الملطوف به المصنوع له، الذي أقيم مقام العبوديّة، وضمن له التوفيق. وهذا هو مشهد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فهو مشهدُ أبيهم آدم إذ يقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]. ومشهد أوّل الرسل نوح إذ يقول: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ

لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: 47]. ومشهد إمام الحنفاءِ وشيخ الأنبياءِ إبراهيم ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ـ إذ يقول: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: 78 ـ 82]. وقال في دعائه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35]. فعلم أن الذي يحول بين العبد وبين الشرك وعبادة الأصنام هو الله لا ربّ غيره، فسأله أن يُجنبه وبنيه عبادة الأصنام.

وهذا هو مشهد موسى إذ يقول في خطابه لربّي: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 155] أي: إن ذلك إلاَّ امتحانك واختبارك، كما يقال: «فتنتُ الذهب» إذا امتحنته واختبرته؛ وليس من الفتنة التي هي الفعل المسيء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [البروج: 10]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: 193]. فإن تلك فتنة المخلوق، وموسى أعلمُ بالله بأن يضيف إليه هذه الفتنة؛ وإنما هي كالفتنة في قوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: 40] أي: ابتليناك واختبرناك وصرفتاك في الأحوال التي قصّها الله سبحانه علينا من لدن ولادته إلى وقت خطابه له وإنزاله عليه كتابه.

***والمقصود**: أنّ موسى شهد توحيدَ الربِّ وانفراده بالخلق والحكم وفعل السفهاء ومباشرتهم الشرك، فتضرّع إليه بعزّته وسلطانه، وأضافَ الذنب إلى فاعله وجانيه، ومن هذا قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: 16].

وهذا مشهد ذي النون إذ يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]. فوجد ربّه ونزّهه عن كُل عيبٍ، وأضاف الظّلم إلى نفسه.

وهذا مشهد صاحب سيد الاستغفار إذ يقول في دعائه: «اللهمَ أنْتَ رَبّي لا إلهَ إلاّ أنتَ، خَلَقتَنِي وَأنا عَبدُك، وأنا عَلَى عَهدكَ وَوَعدِكَ مَا استَطَعتُ، أعوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا صنَعتُ، أَبُوءُ لَكَ بنِعمَتكَ عَلَيّ، وَأبوءُ بذَنبِي، فَاغفِر لي، فإنَّهُ لا يَغفِرُ الذنُوبَ إلاّ أَنتَ». (ق)

❀ ❀ ❀

فعن أبي هريرة ـ ﷺ ـ أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إن الرجُلَ لَيَعمَلُ الزمَنَ الطّوِيلَ بِعَمَلِ أهلِ الجَنّةِ، ثُمَّ يُختَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أهلِ النّارِ. وَإن الرجُلَ لَيَعمَلُ الزمَنَ الطّوِيلَ بِعَمَلِ أَهلِ النّارِ، ثُم يُختَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَل أَهل الجَنّةِ»[1].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث سهل بن سعود الساعدي ـ ﷺ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرّجل ليعمل عمل أهل النار، فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنّة».

وها هي قصّة إسلام المغني البريطاني «كات ستيفنز» الذي بلغت شهرته الآفاق والذي تخلى عن مجد الشهرة المزيفة، وشهوتها، وما فيها من هالة عارمة، وتشوق وأموال!

لقد بدّل الإسلام حياته رأساً على عقب. فبدّل إسمه إلى «يوسف إسلام» وبدّل حياته، من حياة ترف ومجون وقرف، إلى حياة إسلامية فاضلة شريفة، رفيعة المستوى.

وصدق الله تعالى، إذ يقول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ﴾ [الرعد: 11]، وهكذا تغيرت حال هذا المغني، إلى حال إيمانية ومطمئنة، بهداية الله تعالى وفضله. وها هو يروي بنفسه قصة إسلامية، بكلمات مؤثرة بليغة معبّرة، لتكون موعظة لمن يطلع عليها، وعبرة لغيره من أهل المهن الساقطة الفاجرة ـ وممن يسمونهم: أهل الوسط الفني ـ العفن.

قال حفظه الله تعالى:

وُلِدت في لندن قلب العالم الغربي.. ولدت في عصر التلفزيون وارتياد الفضاء.. ولدت في عصر وصلت فيه التكنولوجيا إلى القمة في بلد معروف بحضارته في بريطانيا.. ترعرعت في هذا المجتمع، وتعلمت في مدرسة «كاثوليكية»، حيث علمتني المفهوم المسيحي (النصراني)، للحياة والعقيدة، وعرفت ما يفترض أن أعرفه عن الله، وعن المسيح (عليه السلام)، والقدر والخير والشر.

حدّثوني كثيراً عن الله، وقليلاً عن المسيح، وأقلّ من ذلك عن الروح القدس.

(1) رواه الإمام أحمد (10290) ومسلم (2651) وابن حيان (6176) وغيرهم.
(2) رواه الإمام مالك في «موطئه» (1660) والإمام أحمد (7391) والبخاري (3409) ومسلم (112)، وغيرهم.

كانت الحياة حولي مادّية تنصبُّ من كل أجهزة الإعلام، حيث كانوا يعلموننا بأن الغنى هو الثروة الحقيقية، والفقر هو الضياع الحقيقي، وأن الأمريكي هو المثل للغني، والعالم الثالث هو المثل للفقر والمجاعة والجهل والضياع!

ولذلك لا بد أن أختار طريق الغنى، وأسلك مسلكه، لأعيش حياة سعيدة، وأفوز بنعيم الحياة، ولهذا فقد بنيت فلسفة الحياة على ألاَّ علاقة لها بالدين، وانتهجت هذه الفلسفة، لأدرك سعادة النفس.

وبدأت أنظر إلى وسائل النجاح، وكانت أسهل طريقة أن أشتري (جيتاراً)، وأؤلف بعض الأغاني، وألحنها، وأنطلق بين الناس، وهذا ما فعلته بالفعل باسم (كات ستيفنز).

وخلال فترة قصيرة، حيث كنت في الثامنة عشرة من عمري، كان لي ثمانية شرائط مسجلة، وبدأت أقدم الكثير من العروض، وأجمع الكثير من المال حتى وصلت إلى القمة!

وعندما كنت في القمة، كنت أنظر إلى أسفل، خوفاً من السقوط!! وبدأ القلق ينتابني، وبدأت أشرب زجاجة كاملة في كل يوم، لأستجمع الشجاعة كي أغني، كنت أشعر أن الناس حولي يلبسون أقنعة، ولا أحد يكشف عن وجهه القناع ـ قناع الحقيقة!!

كان لا بد من النفاق، حتى تبيع وتكسب ـ وحتى تعيش!!

وشعرت أن هذا ضلال، وبدأت أكره حياتي واعتزلت الناس وأصابني المرض، فنقلت إلى المستشفى مريضاً بالسلّ، وكانت فترة المستشفى خيراً لي حيث إنها قادتني إلى التفكير.

كان عندي إيمان بالله، ولكن الكنيسة لم تعرّفني ما هو الإله، وعجزت عن إيصال حقيقة هذا الإله الذي تتحدث عنه!!.

كانت الفكرة غامضة وبدأت أفكر في طريقي إلى حياة جديدة، وكان معي كتب عن العقيدة والشرق، وكنت أبحث عن السلام والحقيقة، وانتابني شعور أن أتجه إلى غاية ما، ولكن لا أدرك كنهها ولا مفهومها.. ولم أقتنع أن أظل جالساً خالي الذهن، بل بدأت أفكر وأبحث عن السعادة التي لم أجدها في الغنى، ولا في الشهرة، ولا في القمة، ولا في الكنيسة، فطرقت باب (البوذية والفلسفة الصينية)، فدرستها، وظننت أن

السعادة هي أن تتنبأ بما يحدث في الغد حتى تتجنب شروره، فصرت قدرياً، وآمنت بالنجوم، والتنبؤ بالطالع، ولكنني وجدت ذلك كله هُراء.

ثم انتقلت إلى الشيوعية، ظناً منّي أن الخير هو أن نقسم ثروات هذا العالم على كل الناس، ولكنّي شعرت أن الشيوعية لا تتفق مع الفطرة، فالعدل أن تحصل على عائد مجهودك، ولا يعود إلى جيب شخص آخر.

ثم اتجهت إلى تعاطي العقاقير المهدئة، لأقطع هذه السلسلة القاسية من التفكير والحيرة.

وبعد فترة أدركت أنه ليست هناك عقيدة تعطيني الإجابة، وتوضح لي الحقيقة التي أبحث عنها، ويئست حيث لم أكن آنذاك أعرف شيئاً عن الإسلام، فبقيت على معتقدي، وفهمي الأول، الذي تعلمته من الكنيسة حيث أيقنت أن هذه المعتقدات هراء، وأن الكنيسة أفضل قليلا منها.

عُدت إليها ثانية وعكفت من جديد على تأليف الموسيقى، وشعرت أنّها هي ديني، ولا دين لي سواها!

وحاولت الإخلاص لهذا الدين، حيث حاولت إجادة التأليف الموسيقي، وانطلاقاً من الفكر الغربي المستمد من تعاليم الكنيسة الذي يوحي للإنسان أنه قد يكون كاملاً كالإله إذا أتقن عمله أو أخلص له وأحبه!

وفي عام 1975م حدثت المعجزة، بعد أن قدم لي شقيقي الأكبر نسخة من القرآن الكريم هدية، وبقيت معي هذه النسخة حتى زرت القدس في فلسطين، ومن تلك الزيارة بدأت أهتم بذلك الكتاب الذي أهدانيه أخي، والذي لا أعرف ما بداخله وماذا يتحدث عنه، ثم بحثت عن ترجمة للقرآن الكريم بعد زيارتي للقدس، وكانت المرة الأولى التي أفكر فيها عن الإسلام، فالإسلام في نظر الغرب يُعتبر عنصرياً، عِرْقياً، والمسلمون أغراب أجانب سواء كانوا عرباً أو أتراكاً، ووالديَّ كانا من أصل يوناني، واليوناني يكره التركي المسلم، لذلك كان المفروض أن أكره القرآن الذي يدين به الأتراك بدافع الوراثة، ولكني رأيت أن أطلع عليه - أي على ترجمته - فلا مانع من أن أرى ما فيه.

ومن أول وهلة شعرت أن القرآن يبدأ بـ(بسم الله) وليس باسم غير الله، وعبارة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفَاتِحَة: 1] كانت مؤثرة في نفسي، ثم تستمر الفاتحة

فاتحة الكتاب: ﴿ٱلْحَـمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: 2]، كل الحمد لله خالق العالمين، ورب المخلوقات.

وحتى ذلك الوقت كانت فكرتي ضئيلة عن الإله، حيث كانوا يقولون لي: إن الله الواحد، مقسم إلى ثلاثة كيف؟!! لا أدري.

وكانوا يقولون لي إن إلهنا ليس إله اليهود..!

أما القرآن الكريم، فقد بدأ بعبادة الله الواحد رب العالمين جميعاً، مؤكداً وحدانية الخالق، فليس له شريك يقتسم معه القوة، وهذا أيضاً مفهوم جديد، ثم كنت أفهم قبل معرفتي بالقرآن الكريم، أن هناك مفهوم الملاءمة والقوى القادرة على المعجزات، أما الآن فبمفهوم الإسلام، الله وحده هو القادر على كل شيء.

واقترن ذلك بالإيمان باليوم الآخر وأن الحياة الآخرة خالدة، فالإنسان ليس كتلة من اللحم تتحول يوماً ما إلى رماد كما يقول علماء الحياة. بل ما تفعله في هذه الحياة يحدد الحالة التي ستكون عليها في الحياة الآخرة.

القرآن هو الذي دعاني للإسلام، فأجبت دعوته، أما الكنيسة التي حطمتني وجلبت لي التعاسة والعناء فهي التي أرسلتني لهذا القرآن، عندما عجزت عن الإجابة على تساؤلات النفس والروح.

ولقد لاحظت في القرآن، شيئاً غريباً، هو أنه لا يشبه باقي الكتب، ولا يتكوّن من مقاطع وأوصاف تتوافر في الكتب الدينية التي قرأتها، ولم يكن على غلاف القرآن الكريم اسم مؤلف، ولهذا أيقنت بمفهوم الوحي الذي أوحى الله به إلى هذا النبي المرسل.

لقد تبين لي الفارق بينه وبين الإنجيل الذي كتب على أيدي مؤلفين مختلفين من قصص متعددة.

حاولت أن أبحث عن أخطاء في القرآن الكريم، ولكني لم أجد، كان كله منسجماً مع فكرة الوحدانية الخالصة[1].

---

(1) إن الأخ يوسف إسلام، قرأ ترجمة لمعاني القرآن الكريم وآياته، وكان رأيه فيها ما كان. فكيف لو قرأ القرآن الكريم بلغته التي نزل بها! فكيف سيكون رأيه حينها؟

أما الملايين التي اكتسبتها من عملي السابق (وهو الغناء)، فوهبتها كلها للدعوة الإسلامية.

هذه هي قصة المغني البريطاني المشهور، كات ستيفنز، (يوسف إسلام) الذي رفض الشُّهرة والملايين، بعد أن هداه الله إلى طريق الحق، نهديها إلى جميع الفنانين والمغنيين في عالمنا العربي والإسلامي، بل في العالم أجمع، لعلها تكون عبرة للمعتبرين، وذكرى للذاكرين.

وفي ذلك يتجلى لنا حديث رسول الله ﷺ: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يُصرِّفه حيث يشاء**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم يا مصرِّف القلوب، صرِّف قلوبنا على طاعتك**»[1].

سبحان من وَسِعَ سَمعُهُ الأصوات كُلَّها

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: 61].

لقد جاءت خولة بنت ثعلبة، تشكو زوجها لرسول الله ﷺ والسيدة عائشة في ناحية من نواحي البيت، لا تسمع شكايتها، حتى نزل فيها وفي زوجها قرآن يُتلى إلى ما شاء الله جل وعلا.

روى الإمام أحمد (24195) وابن ماجه (188) وغيرهما، بإسناد صحيح على شرط مسلم، من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: الحمد لله الذي وسع سمعُهُ الأصواتَ، لَقَدْ جَاءَتِ المُجادِلة إلى النبيِّ ﷺ تكلّمه، وَأنا في ناحيةِ البَيتِ مَا أسمعُ ما تَقول، فأنزَلَ الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: 1].

---

(1) الحديث رواه الإمام أحمد (6580) ومسلم (2654) والنسائي في «الكبرى» (7739)، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ، به. وهو من أحاديث الصفات، والتي نمررها كما هي من غير تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل. كما قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

ورواه البخاري في «التوحيد باب (9) تعليقاً، من طريق الأعمش عن تميم، عن عُروةَ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: الحمد للهِ الذي وَسِعَ سَمعه الأصواتَ. فأنزلَ الله تعالى على النبيِّ ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: 1].

وبأتم منه، رواه الإمام أحمد (27319) وأبو داود (2214) وابن الجارود في «المنتقى» (746)، وغيرهم، واللفظ لأحمد. من طريق يوسف بن عبدالله بن سلام.

عن خولةَ بنتِ ثعلبة، قالت: فِيَّ ـ واللهِ ـ وفي أوس بنِ صامت أنزلَ اللهُ ﷻ صَدْرَ سورةِ المُجادِلة. قالت: كنتُ عندَه، وكانَ شيخاً كبيراً قد ساءَ خُلُقُه وضجِرَ، قالت: فدخلَ عليّ يوماً، فراجعتُه بشيءٍ، فغَضِبَ، فقال: أنتِ عليّ كَظَهرِ أمّي.

قالت: ثم خرجَ، فجلسَ في نادي قومه ساعةً، ثم دخلَ عليّ، فإذا هو يُريدني على نفسي. قالت: فقلتُ: كلاّ والذي نفسُ خُوَيلَةَ بيده، لا تَخْلُصُ إليّ، وقد قلتَ ما قلتَ، حتّى يحكمَ اللهُ ورسولُه فينا بِحُكمه.

قالت: فواثَبَني وامتنعتُ منه، فغلبتُه بما تَغلِبُ به المرأةُ الشيخَ الضعيفَ، فألقيتُه عنّي. قالت: ثم خرجتُ إلى بعض جاراتي، فاستعرتُ منها ثيابَها، ثم خرجتُ ـ حتى جئتُ رسولَ الله ﷺ، فجلستُ بين يَدَيه، فذكرتُ له ما لَقِيتُ منه، فجَعَلْتُ أشكو إليه ﷺ ما ألقَى من سُوءِ خُلُقِه.

قالت: فجعلَ رسولُ الله ﷺ يقول: «يا خُوَيلَةُ، ابْنُ عَمّك شيْخ كبِير، فاتّقِي الله فِيهِ». قالت: فواللهِ ما بَرِحْتُ حتى نزلَ فيّ القرآنُ، فَتَغَشّى رسولَ الله ﷺ ما كان يتغشّاه، ثم سُرّيَ عنه.

فقال لي: «يا خُوَيلَةُ، قَدْ أَنْزَلَ الله فِيكِ وَفِي صاحِبِكِ». ثم قرأ عليّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 1 ـ 4].

فقال لي رسولُ الله ﷺ: «مُرِيهِ، فَلْيُعتِق رَقَبَةً». قالت: فقلتُ: واللهِ يا رسولَ الله، ما عندَه ما يُعْتِقُ، قال: «فَلْيَصُم شَهرَين مُتَتَابِعَينِ». قالت: فقلتُ: واللهِ يا رسولَ اللهِ، إنه شيخ كبير، ما به من صيام.

قال: «فَلْيُطْعِم سِتينَ مِسكيناً وَسقاً مِن تَمرٍ». قالت: فقلتُ: واللهِ يا رسولَ الله، ما ذاك عنده.

قالت: فقال رسولُ الله ﷺ: «فَإِنّا سَنُعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ»، قالت: فقلتُ: وأنا يا رسولَ اللهِ، سأعينُه بِعَرَقٍ آخرَ، قال: «قد أصبتِ وأحسنتِ، فَاذهَبِي، فتصَدّقِي عَنه، ثُمّ اسْتَوصِي بِابنِ عَمّكِ خيراً».

فسبحان من لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وسبحان من أودع هذه الرحمة بقلب رسول الله ﷺ. وصدق الله العظيم، إذ قال فيه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

❁ ❁ ❁

لا تحزن...
فإن في القرآن شفاء لكل داء

لا تحزن أخي المؤمن مهما أصابك من هم أو غم أو ألم أو مُصيبة، فإن بين يديك قرآناً، فيه علاجاً لكل ما يمكن أن يعترضك من آلام وأحزان ومتاعب ومصائب في حياتك الدنيا، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء: 82].

القرآن الكريم، هو الكتاب الأوحد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يمكن أن يطرأ عليه التحريف والتبديل أبد الدهر، فإنه محفوظ بحفظ الله تعالى إلى يوم القيامة ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت: 41 ـ 44].

ـ القرآن يفعل المعجزات:

نشرت مجلة «الإعتصام» في عددها لشهر محرم، (1406 هـ)، ـ تحت عنوان: طبيب مسلم يكتشف سراً هاماً في لندن، لعلاج مريض من سرطان الدم ـ خبراً جاء فيه:

إن أحد مرضى السرطان في بريطانيا كشفت التحليلات المختلفة انتشار مرض سرطان الدم في جسمه بشكل ملحوظ، مما دعا الاستشاري البريطاني في المركز العالمي إلى استبقاء المريض وإعطائه العلاج المناسب للحد من انتشار المرض، ومحاولة السيطرة عليه.

وعندما علم المريض ـ وهو باكستاني الجنسية ـ بحقيقة مرضه ومدى خطورته التي تكمن في عدم إمكان السيطرة على المرض والوفاة خلال فترة محدودة.. عندما علم بهذه التفاصيل اتجه إلى الله ﷻ بالدعاء وتلاوة القرآن والصلاة، مؤمناً أن القرآن.. هو ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: 44]، وأن الله تعالى يذكر في كتابه الكريم: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82].

ومن العجيب ـ والكلام للدكتور سالم اليافعي مساعد الاستشارى الإنكليزي ـ أن أحد المرضى وهو بريطاني الجنسية كانت لديه نفس الحالة تقريباً.. وعندما علم بتفاصيلها انهار تماماً، ونقص وزنه وضعف حتى مات بعد ستة أشهر، في حين أن المريض المسلم المؤمن بربه، كانت التحليلات الأسبوعية تثبت وقف انتشار المرض وانتهاءه بعد أقل من ستة أشهر.. خرج بعدها من المستشفى متوجهاً إلى بيت الله الحرام ليؤدى عمرة الشكر لله.

ولذا نجد أن الإيمان بالله وقدرته ـ له تأثير عظيم في نفسية المريض، ويساعده على الشفاء؛ حيث إن الدعاء واللجوء إلى الله يثير ويفجر قوى سرية في جسم الإنسان تقوى بها مناعته، وذلك بفرز هرمونات ومواد كيميائية داخلية تضفي عليه حيوية عجيبة، لاسيما وأن مرض السرطان من الأمراض المستعصية التي تخضع لثلاثة أنواع من العلاج: وهى الجراحة، والأشعة (الكوبالت) والمواد الكيميائية... ولكن التأثير النفسي المنبثق من الإيمان الكامل، واليقين الصادق، بأنّ الله تعالى هو الشافي كان وراء شفاء المريض الباكستاني الذي تغلغل في روحه قول الله تعالى:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82].

وهذا يذكرنا بما قاله الإمام ابن قيم الجوزية: إن شروط الشفاء بالقرآن ألا يوجد دواء غيره، إضافة إلى الإيمان الصادق واليقين الكامل، الذي لا تشوبه شائبة بأن الله تعالى هو الشافي.

وهذا مما دفع الدكتور سالم اليافعي إلى تقديم بحث عن «القرآن والسرطان» في

«المؤتمر العالمي الثالث للطب الإسلامي»[1] تناول فيه تأثير القرآن في المعالجات الطبية للأمراض، ولاسيما مرض السرطان.

من هنا نرى أن التفسير الطبي للشفاء بالقرآن لا يأتى من منطلق إسلامي فحسب وإنما من منطلق شفاء نفسي ينعكس على الكيان الإنساني برُمَّته.

وهذا في حدّ ذاته إعجاز علمي قد أخبر به الله تعالى حين قال:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82].

وهذا ما أثبته العلم الحديث، فضلاً عن المشاهدات الدينية التي لا تترك مجالاً للشك والجدال.

* يسرية شفيت من قرحة قرمزية في عينها اليسرى بعد استعمالها ماء زمزم:

يذكر أحد الإخوة المسلمين بعد عودته من أداء فريضة الحج فيقول:

حدثتني سيدة فاضلة اسمها «يسرية عبد الرحمن حراز» كانت تؤدي معنا فريضة الحج ضمن وزارة الأوقاف عن المعجزة التي حدثت لها ببركات ماء زمزم فقال: إنها أصيبت منذ سنوات بقرحة قرمزية في عينها اليسرى نتج عنها صداع نصفي لا يفارقها ليل نهار، ولا تهدئ منه المسكنات.. كما أنها كادت تفقد الرؤية تماماً بالعين المصابة لوجود غشاوة بيضاء عليها.. وذهبت إلى أحد كبار أطباء العيون فأكد أنه لا سبيل إلى وقف الصداع إلاَّ بإعطائها حقنة تقضي عليه، وفي نفس الوقت تقضي على العين المصابة فلا ترى إلى الأبد.

وفزعت السيدة «يسرية» لهذا النبأ القاسي، ولكنها كانت واثقة برحمة الله تعالى ومطمئنة إلى أنه سيهيئ لها أسباب الشفاء رغم جزم الطب والأطباء بتضاؤل الأمل في ذلك.. ففكرت في أداء عمرة؛ كي تتمكن من التماس الشفاء مباشرة من الله عند بيته المحرم.

وجاءت إلى مكة وطافت بالكعبة، ولم يكن عدد الطائفين كبيراً وقتئذ، مما أتاح

---

(1) عقد المؤتمر في «تركيا» عام 1984م.

لها ـ كما تقول ـ أن تقبل الحجر الأسود، وتمس عينها المريضة به.. ثم اتجهت إلى ماء زمزم لتملأ كوباً منه وتغسل به عينها.. وبعد ذلك أتمت السعي، وعادت إلى الفندق الذي تنزل به.

فوجئت بعد عودتها إلى الفندق أن عينها المريضة أصبحت سليمة تماماً، وأن أعراض القرحة القرمزية توارت ولم يعد لها أثر يذكر!!

أية معجزة هذه التي حدثت وقلبت تقارير الأطباء رأساً عقب؟!!

.. كيف تم استئصال قرحة بدون جراحة؟!.. كيف تعود عين ميئوس من شفائها إلى حالتها الطبيعية بدون علاج؟!

وعلم الطبيب المعالج بما حدث، فلم يملك إلا أن يصبح من أعماق قلبه ـ الله أكبر ـ فلقد شفى الله تعالى هذه المريضة ببركة ماء زمزم. والذي قال فيه رسول الله ﷺ فيما يرويه عنه عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ: **«ماء زمزم لما شرب له، فإن شربته تستشفي به، شفاك الله، وإن شربته مستعيذاً، عاذك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك، قطعه»**.

وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال: اللهم أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء[1].

ـ إخراج حصاة بدون جراحة:

ومثل هذه الحكاية وحكايات أخرى نسمع عنها من أصحابها أو نقرؤها، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على صدق ما قاله الرسول ﷺ عن هذه البئر المباركة «زمزم».

فيروي صاحب هذه الحكاية الدكتور فاروق عنتر فيقول:

لقد أُصِبْتُ منذ سنوات بحصاة في الحالب، وقرر الأطباء استحالة إخراجها إلا بعملية جراحية، ولكنني أجلت إجراء العملية مرتين.. ثم عنَّ لي أن أؤدي عمرة، وأسأل الله أن يمن عليّ بنعمة الشفاء وإخراج هذه الحصاة بدون جراحة.

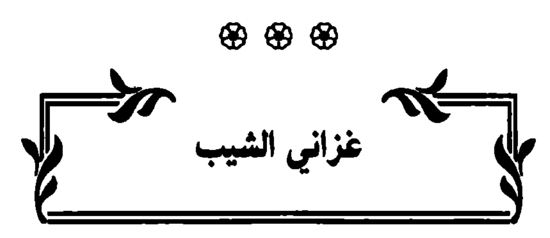
وبالفعل سافر الدكتور فاروق إلى مكة، وأدى العمرة وشرب من ماء زمزم، وقبّل الحجر الأسود، ثم صلى ركعتين قبل خروجه من الحرم، فأحس بشيء يحترق في

(1) رواه الدارقطني في «سننه» (2/ 289) والحاكم في «مستدركه» (1782) وفي إسناده فقال ولكن معناه صحيح.

الحالب، فأسرع إلى دورة المياه، فإذا بالمعجزة تحدث، وتخرج الحصاة الكبيرة، ويشفى دون أن يدخل غرفة العمليات.

لقد كان خروج هذه الحصاة مفاجأة له وللأطباء الذين كانوا يقومون على علاجه، ويتابعون حالته.

❁ ❁ ❁



غزاني الشيب

أبعد بياض الشعر أعمر مسكناً ... سوى القبر أني إن فعلت لأحمق

يخبرني شيبي بأني ميت ... وشيكاً وينعاني إليّ فيصدق

يخرق عمري كل يوم وليلة ... فهل مستطيع رفو ما يتمزق

كأني بجسمي فوق نعش ممدد ... فمن ساكت أو معول يتحرق

إذا سألوا عني أجابوا وأعولوا ... وأدمعهم تنهل هذا الموفق

وغيبت في صدع من الأرض ضيق ... وأودعت لحداً فوقه الصخر مطبق

ويحثو عليّ التراب أوثق صاحب ... ويسلمني القبر من هو مشفق

فيا رب كن لي مؤنساً يوم وحشتي ... فإني بما أنزلته مصدق

وما ضرّني أني إلى الله صائر ... ومن هو من أهلي أبر وأوثق[1]

❁ ❁ ❁

---

(1) الأبيات لموفق الدين بن قدامة المقدسي - رحمه الله تعالى -

قال عنه الضياء المقدسي: وكان - رحمه الله - إماماً في القرآن وتفسيره، إماماً في علم الحديث ومشكلاته، إماماً في الفقه؛ بل أوحد زمانه فيه، إماماً في علم الخلاف، أوحد زمانه في الفرائض، إماماً في أصول الفقه، إماماً في النحو، إماماً في الحساب، إماماً في النجوم السيارة، والمنازل.

وقال شيخه ابن المَنيّ: إذا خرج هذا الفتى من بغداد احتاجت إليه.

وقال الشيخ أبو بكر محمد بن معالي بن غنيمة: ما أعرف أحداً في زماننا أدرك درجة الاجتهاد إلا الموفق.

سبحان غفار الذنوب

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 104]. سبحانه وتعالى من رب رحيم، جعلنا بين الخطيئة والمغفرة، وبين الرذيلة والرحمة.

لم نُخلق كالملائكة، طاعة من غير معصية ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]. ولم نُخلق كالشياطين معصية من غير طاعة. ملعونين مخلدين في نار جهنم، بل خُلقنا بين بين، وكل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التّوّابون.

ففي «الصحيح» من حديث أبي هريرة - ﷺ - عن النبيّ ﷺ، فِيمَا يَحكِي عَن رَبهِ عَزّ وَجَل قَالَ: **«أَذنَبَ عَبدٌ ذَنباً. فَقالَ: اللهُمَّ اغفِز لِي ذَنبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذنَبَ عَبدِي ذَنباً، فَعَلِمَ أَن لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنبَ، وَيَأخُذُ بِالذنبِ. ثُم عَادَ فَأَذنَبَ. فَقَالَ: أَي رَبّ، اغفِز لِي ذَنبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبدِي أَذنَبَ ذَنباً. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغفِرُ الذنبَ، وَيَأخُذُ بِالذنبِ. ثُم عَادَ فَأَذنَبَ فَقَالَ: أَي رَبّ، اغفِر لِي ذَنبِي. فقَال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذنَبَ عَبدِي ذَنباً. فَعَلِمَ أَنّ لَهُ رَبّاً يَغفِرُ الذنبَ، وَيَأخُذُ بَالذنبِ اعمَل مَا شِئتَ فَقَد غفرت لك»**.

وفي لفظ في «الصحيح» أيضاً: **«قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء»**.

وفي «صحيح» مسلم (2759)، وغيره من حديث أبي موسى الأشعري - ﷺ - عن النبي ﷺ قال: **«إن الله عزَّ وجل يبسط يده باللَّيلِ، ليتوب مسيء النَّهارِ، ويبسط يدهُ بالنهار، ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»**.

وكل ذلك أخي الكريم دلالة على عظيم سعة رحمة الله تعالى بعباده المذنبين. وإنه جل وعلا يغفر ويغفر ويغفر. ولو تكررت الذنوب مرات ومرات ومرات، وتاب العبد من بعد ذلك، قُبلت توبته، وسقطت ذنوبه. وسبحان قابل التوب شديد العقاب، القائل في كتابه العزيز: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 53].

❁ ❁ ❁

اطلب حاجتك من الله الواحد الأحد

لا تـجـلـسـن بـبـاب مـن ... يـأبـى عـلـيـك دخـول داره
وتـقـول حـاجـاتـي ... وقـعـهـا إن لـم أداره
أتـركـه واقـصـد ربـهـا ... تـقـضـي ورب الـدار كـاره[1]

نزول آية

روى الإمام أحمد (8831)... ومسلم (2797) والنسائي في «الكبرى» (1183/ 6)، واللفظ لأحمد من حديث أبي حازم، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال أبو جهلٍ: هل يُعَفِّرُ محمدٌ وَجْهَه بين أظهُرِكم؟ قَالَ: فقيل: نعم. فقال: واللاّتِ والعُزَّى ـ يميناً يُحلَفُ بها ـ لَئِنْ رأيتُه يفعلُ ذلك، لأطأنَّ على رقبتِه، ولأُعَفِّرَنَّ[2] وجهَه في التراب.

قَالَ: فَأتى رسولَ الله ﷺ وهو يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رقبتِه، قَالَ: فَما فَجِئَهم منه إلا وهو يَنكِصُ[3] عَلَى عَقِبَيه وَيتقي بيديهِ، قال: فقالوا له: ما لكَ؟ قَالَ: إن بيني وبينَه لَخندقاً مِن نارٍ وَهَولاً وأَجنِحَةً. قَالَ: فَقَال رَسول الله ﷺ: **«لو دَنَا مِنِّي لَخَطَفَتهُ الملائكةُ عُضواً عُضواً»**.

قال: فأنزلَ الله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، يعني أبا جهلٍ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾، قال: يدعو قومَهُ: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾، قال: يعني الملائكة: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾ [العلق: 6 ـ 19].

ـ وروى الإمام أحمد (2321) والترمذي (3349) والنسائي في «الكبرى» (11684)/ 6)، وغيرهم، بإسناد قوي، واللفظ لأحمد، من حديث ابن عباس ﷺ، قال: كان النبي ﷺ يصلي، فجاء أبو جهل فقال: ألم أنْهَكَ عن هذا؟ إنك لتعلم أن

---

(1) الأبيات لموفق الدين المقدسي.
(2) قوله: ولأعفرن وجهه في التراب: من التعفير، وهو التمريغ في التراب.
(3) قوله: ينكص على عقبيه: أي يرجع القهقرى.

ما بها رجل أكثر نادياً مني، فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ [العلق: 17 و18]، فقيل لأبي جهل: ما يمنعك؟ فقال: قد اسودّ ما بيني وبينه. قال ابن عباس والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه.

❁ ❁ ❁



تجليات الله تعالى في القرآن

القرآن كلام الله، وقد تجلَّى الله فيه لعباده بصفاته، فتارة يتجلى في جلباب الهيبة والعظمة والجلال؛ فتخضع الأعناق، وتنكسر النفوس، وتخشع الأصوات، ويذوب الكبر كما يذوب الملح في الماء. وتارة يتجلى في صفات الجمال والكمال، وهو كمال الأسماء، وجمال الصفات، وجمال الأفعال الدالّ على كمال الذات؛ فيستنفِد حُبُّه من قلب العبد قُوّةَ الحب كلِّها، بحسب ما عرفه من صفات جماله ونعوت كماله؛ فيصبح فؤاد عبده فارغاً إلاَّ من محبته، فإذا أراد منه الغير أن يعلق تلك المحبة به أبى قلبُه وأحشاؤه ذلك كل الإباء، كما قيل:

يُرادُ من القلبِ نسيانكم ... وتأبى الطباعُ على النّاقلِ[1]

فتبقى المحبة له طبعاً لا تكلفاً.

وإذا تجلى بصفات الرحمة والبر واللطف والإحسان، انبعثت قوة الرجاء من العبد، وانبسط أمله، وقويَ طمعُه، وسار إلى ربه وحادي الرجاء يحدو ركابَ سيره.

وكلما قويَ الرجاء جدَّ في العمل، كما أن الباذر كلما قويَ طمعُه في المَغَلّ غلق أرضه بالبذر، وإذا ضعف رجاؤه قصر في البذر.

وإذا تجلى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة، انقمعت[2] النفس الأمّارة، وبطلت أو ضعفت قواها: من الشهوة، والغضب، واللهو، واللعب، والحرص على المحرمات، وانقبضت أعِنَّة رعوناتها[3]؛ فأحضَرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر.

---

(1) قائلة: المتنبي.

(2) انقمعت: ذلت.

(3) الرّعونة: التصرُّف الطائش.

وإذا تجلى بصفات الأمر والنهي والعهد والوصية وإرسال الرسل وإنزال الكتب وشرع الشرائع، انبعثت منها قوّةُ الامتثال والتنفيذ لأوامره، والتبليغ لها، والتواصي بها، وذِكرها، وتَذَكُّرِها، والتصديق بالخبر، والامتثال للطلب، والاجتناب للنهي.

وإذا تجلى بصفات السمع والبصر والعلم، انبعثت من العبد قوّةُ الحياء؛ فيستحيي من ربه أن يراه على ما يكره، أو يسمع منه ما يكره، أو يخفي في سريرته ما يمقته عليه؛ فتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشرع، غير مهملة ولا مرسلة تحت حكم الطبيعة والهوى.

وإذا تجلى بصفات الكفاية والحسب، والقيام بمصالح العباد، وسَوْق أرزاقهم إليهم، ودفع المصائب عنهم، ونَصْره لأوليائه، وحمايته لهم، ومعيته الخاصة لهم، انبعثت من العبد قوة التوكل عليه، والتفويض إليه، والرضا به وبكل ما يُجريه على عبده ويقيمه فيه مما يرضى به هو سبحانه. والتوكل معنى يلتئم من علم العبد بكفاية الله وحسن اختياره لعبده وثقته به ورضاه بما يفعله به ويختاره له.

وإذا تجلّى بصفات العزّ والكبرياء، أعطت نفسه المطمئنة ما وصلت إليه من الذلّ لعظمته، والانكسار لعِزّته، والخضوع لكبريائه، وخشوع القلب والجوارح له؛ فتعلوه السكينة والوَقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته[1]، ويذهب طيشه وقوّتُه وحدّتُه.

وجماع ذلك: أنه سبحانه يتعرّف إلى العبد بصفات إلهيته تارة، وبصفات ربوبيته تارة، فيوجب له شهودُ صفاتِ الإلهية المحبةَ الخاصة، والشوقَ إلى لقائه، والأنسَ والفرحَ به، والسرورَ بخدمته، والمنافسة في قربه، والتودّد إليه بطاعته، واللهج بذكره، والفرار من الخلق إليه، ويصير هو وحده هَمَّهُ دون ما سواه. ويوجب له شهودُ صفاتِ الربوبية التوكلَ عليه، والافتقارَ إليه، والاستعانة به، والذلّ والخضوع والانكسار له.

وكمالُ ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته، وإلهيته في ربوبيته، وحمده في ملكه، وعِزَّه في عفوه، وحكمته في قضائه وقدره، ونعمته في بلائه، وعطاءَه في منعه، وبِرَّه ولطفه وإحسانه ورحمته في قيُّوميَّته، وعَدلَه في انتقامه، وجودَه وكرمَه في مغفرته وسترِه وتجاوزِه. ويشهد حكمتَه ونعمته في أمره ونهيه، وعزّه في رضاه وغضبه، وحِلمَه في إمهاله، وكرمَه في إقباله، وغِناه في إعراضه.

---

(1) سمته: هيئته.

وأنتَ إذا تدبّرتَ القرآن، وأجَرتَه من التحريف، وأن تقضي عليه بآراء المتكلمين وأفكار المتكلفين، أشهد مَلِكاً قَيُّوماً فوق سمواته على عرشه، يدبّر أمرَ عباده، يأمر وينهى، ويرسل الرسل، وينزل الكتب، ويرضى ويغضب، ويُثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويُعزّ ويُذِلّ، ويخفض ويرفع، يرى من فوق سبع ويسمع، ويعلم السرّ والعلانية، فعّالٌ لِما يريد، موصوف بكل كمال، منزه عن كل عيب، لا تتحرّك ذرّة فما فوقها إلاّ بإذنه، ولا تسقط ورقة إلاّ بعلمه، ولا يشفع أحد عنده إلاّ بإذنه، ليس لعباده من دونه وليّ ولا شفيع. (ق)

❁ ❁ ❁

لا تحزن ولا تيأس... فإن باب التوبة مفتوح

القنوط: يعني اليأس. واليأس يعني انقطاع الرجاء والمعونة. وباب الله تعالى مفتوح للتائبين، في الليل والنهار، وفي كل لحظة من لحظات الحياة. ما لم يغرغر العبد أو تطلع الشمس من مغربها! إنه باب الله المفتوح، ليغفر لمن أذنب، ويُعطي من حُرم، إنه الله المجيد، والذي خلق الخلق ليسعدهم، لا لكي يشقيهم. إنه الغفور الرحيم، إنه السميع العليم، إذا قال للشيء «كن فيكون».

كم كان خليل الرحمن ـ عليه السلام ـ يتوق إلى الولد، مع ما بلغ من العمر. وعلى ما كانت عليه زوجته ـ سارة ـ من عقم، ولكنه مع كل ذلك، لم يقنط من رحمة الله تعالى ومن استجابة طلبه. قال الله تعالى ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: 51-56].

ولم يَطُل الزمان حتى رُزق إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ بإسحاق، ومن قبل إسحاق، رُزق بإسماعيل من هاجر، وامتدت به الحياة حتى رأى يعقوب ولد إسحاق ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ومضى إبراهيم إلى ربه جل وعلا، ولم يعرف على مدى عمره المديد معنى القنوط، بالرغم من كل ما اعترضه من محن وفتن واختبارات!

وها هو كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ وصاحبيه، كانوا يتوقون إلى عفو الله عنهم، بعدما تخلّفوا عن غزوة تبوك، مع رسول الله ﷺ. ولم يقنطوا من رحمة الله تعالى،

وعفوه عنهم، إنه الأمل الذي يصحب المؤمن، فيجعله يسير قُدُماً نحو مرضاة الله تعالى، والقرب منه أكثر وأكثر.

وها هو كعب ـ ﷺ ـ يروي لنا قصتهم مع الرجاء والأمل المرجو من الله العفو القدير.

ـ روى الإمام أحمد (15789). والبخاري (3889). . ومسلم(2769) وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن كَعْب بن مالك أن عبدَ الله بن كَعْبِ بنِ مالك ـ وكان قائدَ كعب من بَنِيه حين عَمِيَ ـ قال: سَمِعتُ كعبَ بنَ مالك يُحدّثُ حديثَهُ حين تخلَّف عن رَسولِ الله ﷺ في غزوة تَبُوك. فقال كعبُ بنُ مالك: لم أتَخَلف عن رسولِ الله ﷺ في غَزْوَةٍ غزاها قَط إلاَّ في غَزْوَةِ تَبُوك، غيرَ أني كنتُ تَخَلَّفْتُ في غَزْوَةِ بَدْرٍ، ولم يُعَاتِبْ أحداً تخلَّفَ عنها، إنَّمَا خَرَجَ رسولُ الله ﷺ يريدُ عِيْرَ قُرَيشٍ، حتى جَمَعَ الله بينهم وبين عَدُوّهم على غير مِيعادٍ، ولقد شَهِدْتُ مع رَسُولِ الله ﷺ ليلَةَ العَقَبَة حين توافَقْنا على الإِسلام، وما أُحِبّ أنَّ لي بها مَشْهَدَ بَدْرٍ، وإن كانَتْ بَدرٌ أذكَرَ في النّاس منها وأَشْهَرَ.

وكان من خَبَري حين تَخَلَّفْتُ عن رَسُولِ الله ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوك لأني لم أكُنْ قَط أقوى ولا أيسَرَ مِني حين تَخَلَّفْت عنه في تلكَ الغَزَاة، والله ما جَمَعْتُ قَبلَها راحِلَتَين قَط، حتى جَمَعتُهما في تلك الغَزَاة، وكان رَسُولُ الله ﷺ قَلَّما يريدُ غَزَاةً يَغْزُوها إلاَّ ورَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغَزَاة، فغزاها رَسُولُ الله ﷺ في حَرّ شديد، واستقبل سَفَراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عَدُّواً كثيراً، فَجَلا للمسلمين أمْرُه، فتأهَّبُوا أُهْبَةَ عَدوّهم[1]، فأَخبرَهُمْ بوجهه الذي يريد، والمسلمونَ مع رسولِ الله ﷺ كثير، لا يَجْمَعُهُمْ كتاب حافِظ ـ يريد الديوان ـ.

فقال كعبٌ: فَقَلَّ رجلٌ يريدُ يتغيّب إلاَّ ظَن أن ذلك سَيَخْفَى له، ما لم يَنْزِلْ فيه وحي من الله وغزا رَسُولُ الله ﷺ تلك الغَزوَةَ حين طابتِ الثّمار والظِّلُّ، وأنا إليها أصعَرُ[2] فتجهّزَ إليها رَسُولُ الله ﷺ والمؤمنونَ معه، وطَفِقْتُ أغدو لكي أتجهّزَ معه، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقولُ في نَفْسِي: أنا قادر على ذلك إذا أَرَدتُ. فلم يَزَلْ كذلك يتمادى بي حتى شَمَّرَ بالناسِ الجِدُّ، فأصبحَ رَسُولُ الله ﷺ غادياً والمسلمون معه،

(1) الأهبة: هو ما يحتاج إليه في السفر والحرب من متاعٍ وعدّة.

(2) قوله: وأنا إليها أصعر: أي وأنا إلى الغزوة أميل.

ولم أقضِ من جَهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعد يومٍ أو يومين، ثُمّ ألحقُهم، فغدوتُ بعدما فَصَلُوا لأتَجهّزَ، فرجعت ولم أقضِ شيئاً من جَهازي، ثم غدوت فرجعت، ولم أقضِ شيئاً.

فلم يَزَلْ ذلك يَتَمَادى بي حتى أسْرَعُوا، وتفارطَ الغزو، فَهَمَمْتُ أن أرتَحِلَ فأُدرِكَهُم وليت أنّي فَعَلتُ، ثمَّ لم يُقَدَّرْ ذلك لي، فَطَفِقْتُ، إذا خَرَجتُ في النّاسِ بعدَ خروجِ رسولِ الله ﷺ، فطُفتُ فيهم يُحزِنُني أن لا أرى إلاّ رجلاً مَغْمُوصاً عليه في النفاق، أو رَجُلاً ممّن عَذَرَه الله.

ولم يَذْكُرني رَسُولُ الله ﷺ حتى بَلَغَ تَبُوك. فقال وهو جالِس في القَوم بِتَبُوك: «ما فَعَلَ كَعبُ بن مالك؟» قال رجل من بني سَلمَةَ: حَبَسَه يا رسولَ الله بُرْداه والنَّظَرُ في عِطْفَيه، فقال له معاذُ بنُ جبل: بِئسَما قُلْتَ، والله يا رسولَ الله ما عَلِمنا عليه إلاّ خيراً. فسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ.

فقال كعبُ بنُ مالك: فلمّا بلَغني أن رَسُولَ الله ﷺ قد تَوَجّهَ قافلاً من تَبُوك حَضَرَني بَثّي، فَطَفِقْتُ أتفكر الكَذِبَ، وأقول بماذا أخْرُجُ من سَخَطِهِ غداً؟ أستعينُ على ذلك كلّ ذي رأي من أهلي، فلمّا قيل: إن رَسُولَ الله ﷺ قد أظَلَّ قادماً، زاحَ عني الباطل، وعَرَفْتُ أني لن أنجُوَ منه بشيءٍ أبداً، فأجْمَعْتُ صِدْقَهُ.

وصَبَّحَ رَسُولُ الله ﷺ قادماً، وكان إذا قَدِمَ من سَفَرٍ بدأ بالمسجِدِ، فركع فيه رَكْعَتَينِ، ثم جَلَسَ للنّاس. فلما فَعَلَ ذلك، جاءه المُتَخَلِّفون، فَطَفِقُوا يعتذرون إليه، ويَحلِفُون له، وكانوا بضعةً وثمانين رَجُلاً، فَقَبِلَ منهم رَسولُ الله ﷺ علانِيَتَهُم، ويستغفرُ لهم، ويكِلُ سَرَائِرَهُمْ إلى الله تبارك وتعالى، حتى جِئْتُ، فلما سَلَّمتُ عليه تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَب، ثم قالَ لي: «تعالَ» فجِئتُ أمشي حتى جَلَستُ بين يديه، فقال لي: «ما خَلّفَكَ، ألَم تكن قَدِ استَمَرَّ ظَهرُكَ»[1].

قال: فقلت: يا رسولَ الله، إني لو جَلَستُ عند غيرِك مِنْ أهلِ الدّنيا لرأيتُ أني أخرجُ من سَخْطَتِهِ بعُذْر، لقد أعطِيتُ جَدَلاً، ولكنه والله لقد عَلِمتُ لئن حَدّثتك اليومَ حديثَ كَذِبٍ تَرْضَى عني به لَيُوشِكَن الله تعالى يُسخِطُكَ عليّ، ولئن حَدّثْتُكَ اليوم بِصِدْقٍ

(1) الظهر هنا بمعنى الإبل. واستمر: أي ثبت لك بطريق التمليك. وقد جاء عند البخاري ومسلم، بلفظ: «اتبعت ظهرك».

تَجِدُ عليّ فيه، إني لأرجو قرّةَ عيني عفواً من الله تبارك وتعالى، والله ما كان لي عذْرٌ، والله ما كنتُ قَط أفْرَغَ ولا أيسَرَ مني حين تَخَلَّفتُ عنك.

قال رَسُول الله ﷺ: «أمّا هذا فقد صَدَقَ، فَقم حتى يَقضِيَ الله تعالى فيكَ». فقمتُ، وبادَرَت رجالٌ من بني سَلمَة، فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما عَلِمناك كنتَ أذنبتَ ذنباً قَبلَ هذا، ولقد عَجَزتَ أن لا تكون اعتَذَرتَ إلى رَسُولِ الله ﷺ بما اعتذَر به المُتخلِّفون، لقد كان كافِيكَ من ذنبك استغفار رَسُولِ الله ﷺ لك.

قال: فوالله ما زالوا يُؤَنِّبوني حتى أَرَدتُ أن أَرْجِعَ، فأُكَذِّبَ نَفْسي. قال: ثم قلت لهم: هل لَقِيَ هذا معي أحد؟ قالوا: نَعَمْ، لَقِيَهُ معك رجلانِ قالا ما قلتَ، فقيل لهما مِثْلَ ما قِيل لك. قال: فقلتُ لهم: مَنْ هما؟ قالوا: مُرَارة بنُ الرَّبيع العامرِي، وهِلالُ بنُ أُمية الواقِفي، قال: فذكروا لي رَجُلَينِ صالِحَينِ قد شَهدا بدراً، لي فيهما أسْوَةٌ. قال: فَمَضَيْت حين ذكروهما لي.

قال: ونهى رَسُولُ الله ﷺ المسلِمِينَ عن كلامِنا أيّهَا الثلاثةُ مِنْ بينِ مَنْ تَخَلَّفَ عنه، فاجْتَنَبَنا النّاسُ، قال: وتَغَيّروا لنا حتى تَنَكَّرَتْ لي مِنْ نَفْسِي الأرضُ، فما هي بالأرضِ التي كنتُ أعْرِفُ، فَلَبِثْنا على ذلك خمسينَ ليلةً، فأما صاحباي فاستَكَنَّا، وقَعَدا في بيوتهما يبكيان. وأما أنا فكنتُ أشَبّ القوم وأَجلَدَهُم، فكنتُ أشهد الصلاةَ مع المسلمينَ، وأطوف بالأسْواق ولا يكلِّمُني أَحَد، وآتي رَسولَ الله ﷺ وهو في مَجلِسِهِ بعد الصلاة، فأُسَلِّمُ عليه، فأقول في نَفْسي: حَرَّك شَفَتَيه بِرَدّ السلام أم لا؟ ثُمّ أُصَلّي قريباً منه، وأُسارِقُه النّظَر، فإذا أقبَلْتُ على صلاتي نَظَرَ إليّ، فإذا التفَتُّ نحوه أعرَضَ، حتى إذا طال عليّ ذلك من هَجرِ المسلمين، مَشَيْتُ حتى تسوّرْتُ حائطَ أبي قَتَادة، وهو ابنُ عَمي وأَحَبُّ الناسِ إليّ، فَسَلّمتُ عليه، فوالله ما رَدّ عليّ السَّلام، فقلتُ له: يا أبا قَتَادة، أنشُدُك الله، هل تَعلَم أني أُحِبّ الله ورسولَهُ؟ قال: فسكتَ، قال: فَعُدْتُ فَنَشَدْتُه، فسكتَ، فَعُدْتُ فَنَشَدْتُهُ، فقال: الله ورسولُهُ أعلَمُ. ففاضَتْ عيناي، وتولّيتُ، حتى تَسَوّرْتُ الجِدار.

فبينا أنا أَمشي بسُوق المدينةِ، إذا نَبَطِيٌّ من أنباطِ أهل الشام، ممن قَدِمَ بطعام يبيعُهُ بالمدينة، يقول: مَنْ يَدُلّني على كَعبِ بن مالك. قال: فَطَفِقَ النَّاسُ يُشيرونَ له إليّ حتى جاء، فَدَفَعَ إليَّ كتاباً من مَلِكِ غَسَّانَ، وكنتُ كاتباً، فإذا فيه: أما بعد، فقد بَلَغَنا أن صاحِبَك قد جَفَاك، ولم يَجعَلْكَ الله بدارِ هَوانٍ ولا مَضْيَعَةٍ، فالْحَق بنا نُواسِكَ!

قال: فقلت حينَ قَرَأْتُها: وهذا أيضاً من البلاء. قال: فتيمّمتُ بها التَّنُورَ، فَسَجَرْتُه بها، حتى إذا مَضَتْ أربعونَ ليلةً من الخمسين، إذا برسولِ رسولِ الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسولَ الله ﷺ يأمُركَ أنْ تَعْتَزِلَ امرأتك. قال: فقلتُ: أُطَلِّقُهَا أم ماذا أفعل؟ قال: بل اعْتَزِلها فلا تَقْرَبْها. قال: وأَرْسَلَ إلى صاحِبَيَّ بمثلِ ذلك. قال: فقلتُ لامرأتي: الْحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يَقْضِيَ الله في هذا الأمر.

قال: فجاءتْ امرأةُ هلالِ بن أمية رَسُولَ الله ﷺ فقالتْ له: يا رسولَ الله، إن هلالاً شيخٌ ضائعٌ، ليس له خادم، فهل تَكْرَهُ أنْ أَخْدُمَهُ؟ قال: «لا وَلكِنْ لا يَقْرَبَنَّكِ» قالت: فإنّه والله ما به حَرَكَةٌ إلى شيء، والله ما زال يبكي مِنْ لَدُنْ أنْ كانَ من أمرِكَ ما كان إلى يومِه هذا.

قال: فقال لي بعضُ أهلي: لو استَأْذَنتَ رَسُولَ الله ﷺ في امرأتك، فقد أَذِنَ لامرأةِ هلال بنِ أمية أن تَخْدُمَه. قال: فقلتُ: والله لا أَستأْذِنُ فيها رَسُولَ الله ﷺ، وما أدري ما يقولُ رَسُولُ الله ﷺ إذا استأذنتُه، وأنا رَجل شابّ، قال: فَلَبِثنا بعدَ ذلك عَشْرَ ليَال كَمَالَ خمسينَ ليلة حين نَهَى عن كلامنا.

قال: ثم صَليتُ صلاةَ الفَجْرِ صباحَ خمسين ليلة على ظهر بيتٍ من بيوتنا، فبينا أنا جالسٌ على الحالِ التي ذَكَرَ الله تبارك وتعالى مِنا، قد ضاقَتْ عليَّ نَفْسِي، وضاقَتْ عليّ الأَرْضُ بما رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صارخاً أَوْفَى على جبلِ سَلْع، يقول بأَعلى صوته: يا كعبَ بنَ مالك، أَبشِرْ. قال: فَخَرَرْتُ ساجداً، وعَرَفْتُ أنه قد جاءَ فَرَجٌ.

وآذنَ رَسُولُ الله ﷺ بتوبةِ الله تبارك وتعالى علينا حين صَلّى صلاةَ الفَجر، فَذَهَبَ يُبَشِرُوننا، وذَهَبَ قِبَلَ صاحبَيَّ يُبَشّرون، وركضَ إليّ رَجُلٌ فَرَساً، وسعى ساعٍ مِن أَسلَمَ، وأوفى الجَبَلَ، فكان الصوتُ أسرَعَ من الفَرَس، فلمّا جاءني الذي سمعتُ صوتَه يُبَشرُني، نَزَعتُ له ثوبَي، فكسوتُهُما إيّاه ببشارَتِهِ، والله ما أَملِكُ غيرَهُما يومئذٍ، فاستَعَرت ثوبين، فَلَبِستُهُما، فانطلقت أَؤُمُّ رَسُول الله ﷺ، يلقاني الناس فَوجاً فوجاً يهنئوني بالتَّوبة، يقولون: لِتهنِك تَوبَةُ الله عليك، حتى دَخَلتُ المسجِدَ، فإذا رَسُولُ الله ﷺ جالِسٌ في المسجِدِ حَوْلَهُ النّاس فقام إليّ طَلحةُ بنُ عُبيد الله يُهرولُ حتى صافَحَني وهنّأني، والله ما قامَ إليَّ رَجلٌ من المهاجرينَ غَيرُه. قال: فكان كَعبٌ لا ينساها لطلحة.

قال كعبٌ: فلمّا سَلَّمتُ على رَسُولِ الله ﷺ، قال وهو يَبْرُقُ وَجْهُه من السّرور:

غَـدَّارة فـكـل مـن حـلَّـتْ لـه ... لا بـد أن تـذيـقـه الـعَـلاقِـمـا

وإنّـهـا تَـخْـدُم مـن أهـانـهـا ... كـمـا تـهـين مـن أتـاهـا خـادمـا

فـكـنْ بـهـا مـثـلَ غـريـب مُـصلـحٍ ... أزْوادَه عـلـى الـرحـيـل عـازِمـا

فـإنـمـا عـمـر الـفـتـى سـوقٌ لـه ... يـروح عـنـهـا خـاسـراً وغـانِـمـا

يـا عـجـبـاً لـمـعـشـر أتَـتـهـم ... الـدنـيـا فـلـم يَبْـنـوا بـهـا الـمـكـارمـا

ولا شـروا مـع عـلـمـهـم زوالـهـا ... بـهـا جِـنـانَـاً ونـعـيـمـاً دائـمـا

إيّـاكَ والـتـسـويـف فـالـعـاقـل مـن ... يـنـجـز مـا كـان عـلـيـه عـازمـاً

وإنـمـا الـمـوت مُـغِـيـر هـائـل ... أَعْـظِـم بـه عـلـى الـنـفـوس هـاجِـمـا

والـقـبـر إمّـا روضـة لـلـمـتّـقـي ... أو حـفـرة الـنـار تـصـيـب الـظـالـمـا

يـا لَـهْـفـتـي مـن اشـتـقـاق حـفـرتـي ... ومـحـشـري إلـى الـحـسـابِ راغـمـا

ومـوقـفـي أُسْـأل عـمـا قـد جـنـت يـداي ... مـن سـوءٍ فـأبـقـى واجـمـا

وحـيـن يـأتـيـنـي كـتـابـي فـأرى ... فـيـه الـذي أتـيـتـه مُـكـاتـمـا

فـإن يـنـاقِـشْـنـي فـعـبـد هـالـكٌ ... وإن عـفـا نـجـوتُ مـنـهـا سـالـمـا (ج)

❀ ❀ ❀



فُزْتُ وربِّ الكعبةِ

ـ روى الإمام أحمد (19555) ومسلم (1902) وغيرها واللفظ لمسلم، من طريق ثابت، عَن أنَسِ بن مَالِك قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: أَنِ ابعَث مَعَنَا رِجَالاً يُعلِّمُونَا القُرآنَ وَالسنَّةَ. فَبَعَثَ إِلَيهِم سَبعِينَ رَجُلاً مِنَ الأنصَارِ يقالُ لَهُم القُرَّاءُ. فِيهِم خَالي حَرَامٌ. يَقرَؤُونَ القُرآنَ. وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيلِ يَتَعَلَّمُونَ. وَكَانُوا بِالنهَار يَجِيئُونَ بالمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي المسجِدِ. وَيَحتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ. ويشتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأهلِ الصُّفَّةِ، وَلِلفُقَرَاءِ[1]. فَبَعَثَهُمُ النَّبِيّ ﷺ إِلَيهِم. فَعَرَضُوا لَهُم فَقَتَلُوهُم. قَبلَ أن يَبلُغُوا المَكَانَ. فَقَالُوا:

---

(1) قوله: (ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة) أصحاب الصفة هم الفقراء الغرباء الذين كانوا يأوون إلى مسجد النبي ﷺ وكانت لهم في آخره صفة وهو مكان منقطع من =

اللهُمَّ بَلِّغ عَنَّا نَبِيّنا؛ أنَّا قَد لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ. وَرَضِيتَ عَنَّا. قَالَ: وَأَتَى رَجُلٌ حَرَاماً، خَالَ أَنَسٍ، مِن خَلفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمحٍ حَتّى أَنْفَذَهُ. فقالَ حَرَامٌ: فُزتُ، وَرَبِّ الكَعبَةِ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأصحَابِهِ: «إِنَّ إِخوَانَكم قَد قُتِلُوا. وَإِنَّهمْ قَالُوا: اللهمَّ بَلِّغْ عنا نَبِيّنا؛ أَنَّا قَد لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ. وَرَضِيتَ عَنّا».

قال الإمام النووي ﷺ: قوله: «اللهم بلِّغ عنا نبيّنا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا» فيه فضيلة ظاهرة للشهداء وثبوت الرضا منهم ولهم وهو موافق لقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: 119]، قال العلماء أي ﷺ بطاعتهم ورضوا عنه بما أكرمهم به وأعطاهم إياه من الخيرات والرضى من الله تعالى إفاضة الخير والإحسان والرحمة فيكون من صفات الأفعال وهو أيضاً بمعنى إرادته فيكون من صفات الذات.

❁ ❁ ❁

لا تحزن... إذا كان الشرع الحنيف قد جعل بضع زوجتك ملكٌ لك

هل للمرأة خيار في أن تمتنع عن زوجها ـ بغير عذر شرعي ـ ؟ وإذا فَعَلَتْ وامتنعتْ فماذا عليها؟ وهل يغضب الله جل وعلا عليها، إن هي حرمت زوجها من التمتع بها؟ وبما له من الحقِّ عليها. ففي «الصحيحين» من حديث أبي هُرَيرَةَ رَضيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَالذِي نَفسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ رَجُلٍ يدعو امرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا. فَتَأبى عَلَيهِ، إلاَّ كَانَ الذي في السَّمَاءِ سَاخِطاً عَلَيهَا، حتى يَرضَى عَنهَا».[1] [متفق عليه].

= المسجد مظلل عليه يبيتون فيه، قاله إبراهيم الحربي والقاضي: وأصله من صفة البيت وهي شيء كالظلة قدامه فيه فضيلة الصدقة وفضيلة الاكتساب من الحلال لها، وفيه جواز الصفة في المسجد وجواز المبيت فيه بلا كراهة وهو مذهبنا ومذهب الجمهور ـ ذكره النووي في «شرح صحيح مسلم» (6 ـ 528).

(1) رواه البخاري (5193) ومسلم (1436) وأبو داود (2141) وغيرهم. والحديث رواه الطبراني في «الأوسط» (8072/ 8) بإسناد جيد، بلفظ: «مَا منْ امرأة يطلبُ منها زوجُها حاجة فَتَأبى، فَتَبِيت وهُوَ عليها غَضبانٌ، إلاَّ بَاتَت تَلعنها الملائكةُ حتى تصبح» وأورده الهيثمي في «المجمع» (7572/ 4) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات.

وفي لفظ: «إِذَا بَاتَت المَرأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوجِهَا، لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتى تُصبِحَ».

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في «المُفهم» (4/ 160، 161): فيه دليل على تحريم امتناع المرأة على زوجها إذا أرادها. ولا خلاف فيه. وإليه الإشارةُ بقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: 228].

والمرأة في ذلك بخلاف الرجل، فلو دعت المرأة زوجها إلى ذلك، لم يجب عليه إجابتها، إلاَّ أن يقصدَ بالامتناع مضارّتها، فيحرمُ عليه ذلك.

والفرق بينهما؛ أن الرّجُلَ هو الذي ابتغى بماله، فهو المالكُ للبُضع. والدرجةُ التي له عليها، هي السلطنةُ التي له بسبب ملكه. وأيضاً، فقد لا ينشطُ الرّجُل في وقت تدعوه، فلا ينتشر، ولا يتهيأ له ذلك، بخلاف المرأة. والله تعالى أعلم.

وعن ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اثنَانِ لاَ تُجَاوِزُ صَلاتهُمَا رُؤُوسَهُمَا، عَبْدٌ أَبِقَ مِن مَوَالِيهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيهِم، وَامرَأَة عَصَت زَوجَهَا حَتى تَرجِعَ»[1].

وروى الإمام أحمد (16288) والترمذي (1160) والطيالسي (1097)، وغيرهم، بإسناد صحيح، من حديث قيس بن طَلقٍ، قَالَ: حَدّثَني أبي قَالَ: سَمِعتُ نَبِيَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ زوجَتَهُ لِحَاجَتِهِ، فَلْتُجِبْهُ وَإِن كَانَتْ عَلَى التَّنُّورِ».

وفي لفظ عند أحمد: «إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُم مِن امْرَأَتِهِ حَاجَة، فَليَأتِهَا وَلَو كَانَت عَلَى تَنُّورٍ».

في هذه الأحاديث يتبين لنا، أن على المرأة إجابة زوجها في أي وقت أرادها لحاجته، ولا يختص ذلك بليل أو نهار، وإن عليها أن لا تمتنع عليه ولو كانت قائمة على مهنة بيتها، ما لم يكن هناك عذر شرعي يمنعها من ذلك. وقد أخرج ابن خزيمة (940) وابن حبان (5355)، بإسناد فيه مقال، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يقبلُ الله لهم صلاةً، ولا يرفع لهم إلى السماء حسنة، العبدُ الآبقُ حتَّى يرجعَ إلى مَوالِيهِ، فيضَعُ يدهُ في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجُها حتى يرضى، والسّكرانُ حتى يَصحُو».

---

(1) رواه الطبراني في «الأوسط» (3628) وفي «الصغير» (478) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (7668/ 4) وعزاه للطبراني في «الأوسط» و«الصغير» وقال: ورجاله ثقات.

فائدة مهمة:

قال ابن أبي جمرة ـ رحمه الله تعالى ـ: في هذه الأحاديث إرشادٌ إلى مساعدة الزوج وطلب مرضاته. وفيه أنّ صبر الرجل على ترك الجماع، أضعف من صبر المرأة. وفيه، أن أقوى التشويشات على الرجل، داعية النكاح، ولذلك حضّ الشارع النساء على مساعدة الرجل في ذلك. قال: وفيه إشارة إلى ملازمة طاعة الله والصبر على عبادته جزاءً على مراعاته لعبده حيث لم يترك شيئاً من حقوقه، إلاَّ جعل له من يقوم به حتى جعل ملائكته تلعن من أغضب عبده بمنع شهوة من شهواته. فعلى العبد أن يوفي حقوق ربه التي طلبها منه، وإلا فما أقبح الجفاء من الفقير المحتاج إلى الغني الكثير الإحسان. انتهى ملخصاً. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

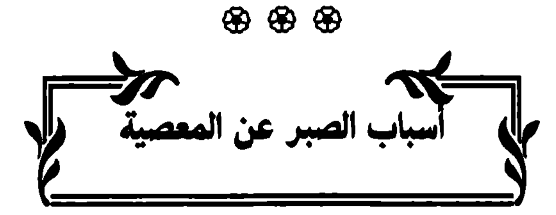


قصة زاهد

روى ابن عساكر في «تاريخه» (51/ 174)، بإسناده من طريق أبي الحارث الفيض بن الخَضر قال: رأيت على رأس جبل رجلاً كأنه الشن البالي، شاخص ببصره نحو السماء، ما يفترّ من الذكر، وجرى بيني وبينه كلام، وسألته المقام معه، فقال: إن أطعت ما طوقت فَأَقِم ترى ما تحبّ، وإلاَّ فما أسرع فراقك إياي، فقلت: وما هو؟ قال: يكون الذهب والفضة عندك بمنزلة الحصى والمدر، والسباع والهوام بمنزلة الطير والأنعام، فَرَقَك من ولد جنسك كَفَرَقك من السباع الضارية، وخوفك على تلف دينك بينهم كخوفك عليه من الشيطان، حينئذ تنال ما تريد، وتثبت على ما تروم، ومتى كان الذهب والفضة أكبر في قلبك فإنك يوماً ما ستميل إلى الأكبر، ومتى كان للسباع في قلبك هيبة يوشك ألاَّ تأمن، ومتى كانت مؤانسة المخلوقين قائمة في قلبك فيوشك ألاّ تخرج إلى حال الأنس، واعلم يا فيض أن ثلاثة أشياء هي ملاك ذا الأمر تمامه: تعلم أنّ لك رزق مقسوم من كلّ شيء معلوم، ولذلك كلّه أجل معلوم بقدر الله محتوم فلا تشتغل بطلب ولا بتوقيت ولا بتمييز حتى يردّ عليك في وقته ما كان رزقك إباحة لك، فتناله بشكرٍ وتفتقد على الصبر، وأخرى قصر الأمل لا يكون فيك فضل لهم يعترض على همك حتى تكون بهم واحداً قائماً وأخرى تعلم أنّك ميت لا محالة، ولذلك وقت مُوَقَّت لا تدري أنت متى هو، فلا تبالي متى وافاك فهنالك لا تبالي أين

حللتَ من البلاد ولا من شاهدت من العباد، فتقدّم إن أردتّ على بصيرةٍ وإلا فتأخر على علم بضعف وعجز، قلت: رحمك الله، فَصِف لي حالاً يزيد في صبري، ويشدّ عزمي في احتمال المؤن ويزيل عنّي الجزع، فقال: تعلم أن الله جل ثناؤه ناظر إليك، وأنت بعينه أو ما بلغك أن الله يقول: بعيني ما يتحمل المتحمّلون من أجلي، وما يكابد المكابدون في طلب مرضاتي، قلت له: زدني بما أتقوّى به على الصبر؟ قال: إذا علمتَ أن صبرك لمولاك ما يرضى عنك مولاك فاصبر.

❀ ❀ ❀



أسباب الصبر عن المعصية

معرفة الله تعالى، وخشيته في السر والعلن، هي من أهم الأسباب الدافعة للمعصية ـ إن قُرنت بتوفيق وعصمة من الله تعالى ـ فإن مبدأ الخشية من العزيز الجبار، معرفته لقول جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]، والكفّ عن المعاصي ـ بالرغم من الشهواني لها ـ إنما هو من الله تعالى، كما حصل في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ عندما عُرضت عليه الفتنة، بأجمل حُلّة وأقواها، حين طلبت منه امرأة العزيز، وصويحباتها ـ الفاحشة ـ كما أخبر سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، حيث قال: ﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: 30 ـ 34].

ففي قوله تعالى ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ دلالة واضحة بينة على أن صرف العبد عن ارتكاب المعاصي، إنما هو بتوفيق من الله تعالى، وحسب ما يجول في سريرة العبد، وتتجه إليه نيته. وفي هذا يرجع إلى قول النبي ﷺ: «ولكل امرىءٍ ما نوى» فإن كانت نية العبد، متوجهة إلى العصمة من ارتكاب الفواحش، كان له ذلك. فمن صدق الله تعالى، صدقه. وإن كانت نيته متوجهة إلى المعصية ـ مع إظهاره للعفة

القلب، كان اقتضاؤه للطاعة وتَركِ المخالفة أقوى، وإنّما تَصدُر المعصية والمخالفة مِن ضعف المحبَّة وسلطانها، وفَرقٌ بين مَنْ يَحمِلُه على ترك معصية سَيّده خوفُه من سوطه وعقوبته، وبين مَن يَحمِله على ذلك حُبّه لسيِّده، وفي هذا قال عمر: نِعمَ العبدُ صُهَيب، لو لم يَخَفِ الله لم يَعصِهِ، يعني أنّه لو لم يَخَف مِنَ الله لكان في قلبه من مَحَبّة الله وإجلاله ما يمنعه من معصيته. فالمحبّ الصادق عليه رقيبٌ من محبوبه يَرعى قلبَه وجوارحَه، وعلامةُ صدق المحبّة شُهودُ هذا الرّقيب ودوامُه.

وها هنا لطيفةٌ يجب التنبّه لها، وهي: إن المحبّة المجرّدَة لا توجب هذا الأثَرَ ما لم تقترن بإجلال المحبوب وتعظيمه. فإذا قارنها بالإجلال والتعظيم أوجبت هذا الحياءَ والطاعةَ، وإلاّ فالمحبّةِ الخالية عنهما إنما توجِب نوعَ أُنسٍ وانبساطٍ وتَذَكُّرٍ واشتياقٍ؛ ولهذا يتخلّف عنها أَثَرُها وموجِبها، ويُفَتّش العبدُ قَلْبَه فيرى نوعَ محبّةٍ لله، ولكن لا تحمله على ترك معاصيه، وسبب ذلك تجرّدها عن الإجلال والتعظيم، فما عَمَرَ القلبَ شيءٌ كالمحبة المقترنة بإجلال الله وتعظيمه، وتلك من أفضل مواهب الله لعبيده أو أفضلها، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء.

ـ السبب السادس: شَرف النفس وزكاؤها وفَضلُها، وأنَفَتها وحَمِيّتُها أن تختار الأسبابَ التي تحطّها وتضَعُ قَدْرَها، وتخفض منزلتَها وتحَقّرها، وتُسوّي بينها وبين السّفلة.

ـ السبب السابع: قوّة العلم بسوء عاقبة المعصية وقُبْح أثرها والضَّررِ الناشئ منها، مِن سواد الوجه، وضيقِه وغمّه، وحزنه وألمه وانحصاره، وشدّة قلقه واضطرابه، وتمزق شمله، وضعفه عن مقاومة عدوّه، وتعَرّيه من زينته، والحيرة في أمره، وتخلي وليّه وناصره عنه، وتولّي عَدوِّه المبين له وتواري العلم الذي كان مستعداً له عنه، ونسيانِ ما كان حاصلاً له أو ضعفِه ولا بُدَّ، ومرضِه الذي إذا استحكم به فهو الموتُ ولا بُدّ، فإنّ الذنوب تُميت القلوبَ.

ـ ومنها: ذلّة بعد عزّة، ومنها: أنّه يصير أسيراً في يد أعدائه بعد أن كان مَلكاً متصرفاً يخافه أعداؤه. ومنها: أنه يضيع تأثيره، فلا يبقى له نفوذ في رَعِيّته ولا في الخارج؛ فلا رعيّته تطيعه إذا أمرَها، ولا ينفذ في غيرهم. ومنها: زوالُ أمنه وتبدّله به مخافةً، فأخوفُ الناس أشدّهم إساءةً.

ـ ومنها زوال الأُنس والاستبدال به وحشةً، وكلّما ازداد إساءةً ازداد وحشةً.

ومنها: زوال الرضى واستبداله بالسخط. ومنها: زوالُ الطمأنينةِ بالله والسّكونِ إليه والإيواء عنده، واستبدال الطرد والبعد منه.

ومنها: وقوعه في بئر الحسرات، فلا يزال في حسرةٍ دائمةٍ، كلّما نال لذّةً نازعَته نفسُه إلى نظيرها إن لم يقضِ منها وطراً، أو إلى غيرها إن قضى وطره منها، وما يعجز عنها مِنْ ذلك أضعافُ أضعافِ ما يَقدِر عليه، وكلّما اشتد نزوعه وعَرَف عَجْزَه اشتدت حسرتُه وحزنُه. فيا لها ناراً قد عُذّب بها القلبُ في هذه الدار قبل نار الله الموقَدة التي تطّلع على الأفئدة!

ومنها: فقره بعد غناه، فإنّه كان غنيّاً بما معه من رأس مال الإيمان وهو يَتّجِرُ به بتحصيل رأس مالٍ آخَر بالتوبة النّصوح والجدّ والتشمير، وإلا فقد فاته ربح كثير بما أضاعه مِن رأس ماله.

ومنها: نقصان رزقه، فإنَّ العبد يُحرَمُ الرزقَ بالذنبِ يُصِيبُه. ومنها: ضعف بَدَنِه. ومنها: زوالُ المهابة والحلاوة التي لبسها بالطاعة، فتبدّل بها مهانةً وحقارةً. ومنها: حصولُ البغضة والنّفرة منه في قلوب النّاس.

ومنها: ضَياعُ أعَزّ الأشياء عليه وأنفَسِها وأعلاها، وهو الوقتُ الذي لا عِوَضَ منه، ولا يعود إليه أبداً. ومنها: طَمَعُ عَدُوّه فيه وظَفَرُه به، فإنه إذا رآه منقاداً مستجيباً لما يأمره اشتدّ طمعه فيه وحَدّث نفسَه بالظّفر به وجَعلِه من حِزبه حتّى يصيرَ هو وَلِيّه دون مولاه الحَقّ.

ومنها: الطّبعُ والرَّينُ على قلبه، فإن العبد إذا أذنب نُكِتَ في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب منها صُقِلَ قلبُه، وإن أذنبَ ذنباً آخَرَ نُكِتَ فيه نكتة أخرى، ولا تزال حتى تعلو قلبَه؛ فذلك هو الرَّانُ، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14].

- ومنها: أنه يُحرَمُ حلاوةَ الطاعة، فإذا فعلها لم يَجِد أثرَها في قلبه من الحلاوة والقوّة ومزيد الإيمان والعقل والرغبة في الآخرة؛ فإن الطّاعة تُثمِر هذه الثمرات ولا بُدَّ.

- ومنها: أن تَمنَعَ قلبَه مِن تَرَحُّله من الدنيا ونزوله بساحة القيامة. فإن القلب لا يَزال مُشتّتاً مضيّعاً حتى يرحل من الدنيا وينزلَ في الآخرة، فإذا نَزَلَ فيها أقبلت إليه وفودُ التوفيق والعناية من كُلِّ جهةٍ، واجتمع على جمع أطرافه وقضاء جهازه وتعبئة زاده

ليوم مَعاده. وما لم يَتَرحّل إلى الآخرة ويُحضِرهاً، فالتعب والعناء والتشتت والكسل والبطالة لازمةٌ له لا محالة.

ـ ومنها: إعراضُ الله وملائكته وعباده عنه، فإن العبد إذا أَعْرَضَ عن طاعة الله واشتغل بمعاصيه أَعرَض الله عنه، فأعرضت عنه ملائكتُه وعبادُه؛ كما أنّه إذا أَقْبَلَ على الله أَقبلَ الله عليه وأَقْبَلَ بقلوب خَلقِه إليه.

ـ ومنها: أنَّ الذنب يستدعي ذَنباً آخر، ثم يقوى أحدهما بالآخر فيستدعيان ثالثاً، ثم تجتمع الثلاثةُ فتستدعي رابعاً، وهلمّ جَرّا. حتى تغمره ذنوبُه وتحيط به خطيئته. قال بعضُ السلف: إن مِنْ ثواب الحسنة الحسنةُ بَعدَها، ومن عقوبة السيِّئةِ السَّيِّئةُ بَعدَها.

ـ ومنها: عِلْمُه بفوات ما هو أحبّ إليه وخيرٌ له منها من جنسها وغير جنسها. فإنّه لا يجمع اللهُ لعبده بين لذَّة المحرَّمات في الدنيا ولذةِ ما في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: 20]. فالمؤمن لا يُذهِبُ طَيِّباته في الدنيا، بل لا بدّ أن يَترك بعضَ طيّباته للآخرة. وأمّا الكافر فإنه لا يؤمن بالآخرة، فهو حريصٌ على تناول حظوظه كلّها وطيباته في الدنيا.

ـ ومنها: عِلْمُه بأنَّ أعماله هي زادُه ووسيلتُه إلى دار إقامته، فإن تَزَوّد من معصية الله، أوصَلَه ذلك الزادُ إلى دار العصاة والجُناة، وإن تزوّد من طاعته، وصل إلى دار أهل طاعته وولايته.

ـ ومنها: عِلْمُه بأن عمله هو وَلِيُّه في قبره وأنيسُه فيه، وشفيعُه عند رَبّه، والمخاصِمُ والمُحَامي عنه؛ فإنّ شاء جَعَلَه له، وإن شاء جَعَلَه عليه.

ـ ومنها: عِلْمُه بأن أعمال البِرّ تَنهض بالعبد وتقوم به وتَصعَد إلى الله به، فبحسب قُوّة تَعَلّقِه بها يكون صعودُه مع صعودها، وأعمال الفجور تهوي به وتجذبه إلى الهاوية وتَجُرُّه إلى أسفل سافلين، وبحسب قُوّةِ تعَلّقِه بها يكون هبوطُه معها ونزوله إلى حيث يستقرّ به قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: 40]. فلمّا لم تُفتَح أبوابُ السماء لأعمالهم بل أُغلِقَت عنها، لم تُفتَح لأرواحهم عند المفارقة بل أغلِقَت عنها. وأهلُ الإيمان والعمل الصالح لمّا كانت أبوابُ السماء مفتوحةَ لأعمالهم

حتى وصلَتْ إلى الله سبحانه، فُتِحَت لأرواحهم حتّى وصلت إليه تعالى وقامت بين يديه، فرَحِمَها وأَمَرَ بكتابة اسمها في عِلِّيِّين.

ـ ومنها: خروجه من حِصْن الله الذي لا ضَيعةَ على مَن دَخَلَه، فيخرج بمعصيته منه إلى حيث يصير نَهباً لِلّصوص وقُطّاع الطريق. فما الظن بمن خرج من حِصْنٍ حَصينٍ لا تُدرِكه فيه آفة إلى خربةٍ موحشة هي مأوى اللّصوص وقُطاع الطريق، فهل يَتركون معه شيئاً مِن مَتاعه؟!

ـ ومنها: أنه بالمعصية قد تعرّض لِمَحْقِ بركته.

وبالجملة: فآثار المعصية القبيحة أكثرُ من أن يحيط بها العبدُ عِلماً، وآثارُ الطاعة الحَسَنَةِ أكثرُ من أن يحيط بها عِلماً، فخيرُ الدنيا والآخرة بحذافيره في طاعة الله، وشَرّ الدنيا والآخرة بحذافيره في معصيته. وفي بعض الآثار يقول الله سبحانه وتعالى: (مَن ذا الَّذِي أَطَاعَنِي فَشَقِيَ بِطَاعَتي؟! ومَن ذَا الذِي عَصَانِي فَسَعِدَ بِمَعصِيَتِي؟!).

السبب الثامن: قِصَرُ الأمل، وعلمُه بسرعة انتقاله، وأنه كمسافر دَخَل قريةً وهو مُزمِع على الخروج منها، أو كراكب قال في ظِلّ شجرةٍ ثم سار وتَرَكَها. فهو لعلمه بقِلّة مقامه وسرعة انتقاله حريصٌ علَى تَرك ما يُثقِلُ حملَه ويضرّه ولا ينفعُه، حريصٌ على الانتقال بخير ما بحضرته، فليس للعبد أنفع من قِصَرِ الأمل، ولا أضرّ من التَّسْوِيف وطُولِ الأمل.

ـ السبب التاسع: مُجانَبةُ الفضول في مَطعَمه ومَشرَبه وملبسه ومنامه واجتماعه بالناس. فإن قُوّةَ الداعي إلى المعاصي إنَّما تنشأُ من هذه الفضلات، فإنّها تطلب لها مصرفاً، فيضيق عليها المباحُ، فتتعدّاه إلى الحرام. ومن أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالتُه وفراغُه، فإنَّ النفس لا تَقعُدُ فارغةً، بل إن لم يشغلها بما ينفعها شَغَلَته بما يضرّه ولا بُدَّ.

ـ السبب العاشر: وهو الجامع لهذه الأسباب كلّها ثباتُ شجرة الإيمان في القلب. فَصَبرُ العبد عن المعاصي إنّما هو بحسب قُوّة إيمانه، فكُلّما كان إيمانُه أقوى كان صبرُه أَتَمّ، وإذا ضَعفَ الإيمانُ ضَعُفَ الصّبر. فإن مَن بَاشَرَ قلبَه الإيمانُ بقيام الله عليه ورؤيته له، وتحريمه لما حَرّم عليه، وبغضه له، ومَقته لفاعله، وباشَر قلبَه الإيمانُ بالثواب والعِقاب ـ والجنة والنار، امتنع من ألاً يعمل بموجب هذا العلم، ومن ظَنَّ أنّه يقوى على ترك المخالفات والمعاصي بدون الإيمان الرّاسخ الثابت، فقد غلط.

فذا قوي سراجُ الإيمان في القلب، وأضاءت جهاته كلّها به، وأشرق نورُه في أرجائه، سرى ذلك النورُ إلى الأعضاء، وانبعث إليها، فأسرعت الإجابةُ لداعي الإيمان، وانقادت له طائعةً مذلّلَةً غير متثاقلةٍ ولا كارهةٍ؛ بل تفرح بدعوته حين يدعوها كما يفرح الرجلُ بدعوة حبيبه المحسِن إليه إلى محل كرامته، فهو كُل وقتٍ يَتَرَقَّبُ داعيه، ويتأهّبُ لموافاته، والله يختصّ برحمته من يَشاءُ، والله ذو الفضل العظيم.

❀ ❀ ❀

صفات مجدك تلهيني عن الغَزَل

صفات مجدك تلهيني عن الغَزَل ... فلستُ أبكي على رسمٍ ولا طَلَلِ

ولا أقول إذا ما خلّة صَرَمَت ... حبالها من حبالي: راجعي وصلي

حسبي مديحك تسبيحاً أؤمّله ... يوم القيامة عند الله يشفعُ لي

ملكتني بأياديك التي غمرت ... فعُدتُ في وجل منها وفي جَذَلِ

ما خاب حائز آمالٍ بعثتُ بها ... إليك إلا بما يوفي على مهل

وافتك غراء أنظمِ بنت ساعتها ... تشكو تباريح وجهٍ غير منتحل

ما إن لها في الورى كُفءٌ يماثلها ... من بعد سلطان إلا شافع من علي

صنوا البدور إماما كل مكرمة ... عما توالى لا لمن في السهل والجبل(1)



محبة رسول الله للسيدة عائشة رضي الله عنها

روى البخاري (3662)... ومسلم (2384) وغيرهما، من طريق أبي عثمان، قال: حدثني عمرو بن العاص رَضِيَ الله عَنهُ، أن النبيّ ﷺ، بَعَثَه عَلَى جَيش ذَاتِ السَلاَسلِ. فَأَتيتهُ، فقلتُ: أيّ الناسِ أحب إليك؟

---

(1) الأبيات لمرشد بن علي بن المقلد بن نصر.

قال: «عَائشَةَ».

فَقُلتُ من الرجَالِ؟ قال: «أَبُوهَا».

قلتُ: ثُم مَنْ؟ قال: «ثُم عُمرُ بن الخَطابِ» فعدّ رجالاً.

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ عقب ذكره لهذا الحديث في كتابه «سير أعلام النبلاء»: وهذا خبر ثابت على رغم أُنوف الرّوافض، وما كان عليه السلام، ليُحِبّ إلاّ طيباً. وقد قال ﷺ: «لو كنتُ مُتخذاً خليلاً من هذه الأُمّة، لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً، ولكن أُخوّة الإسلام أفضل»[1] فأحبَّ أفضل رجل من أمته، وأفضل امرأة من أمته.

فمن أبغض حَبيبَيْ رسول الله ﷺ، فهو حريٌّ أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله، وحُبّه عليه السلام للسيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ كان أمراً مستفيضاً، ألا تراهُم كيف كانوا يَتَحرّون بهداياهم يومها تقرباً إلى مرضاته. عليه الصلاة والسلام.

قال حمادُ بن زيد، عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت عائشة: فاجتمعَ صواحبي[2] إلى أم سلمة ـ زوج النبي ﷺ ـ فقلن:

يا أمّ سلمة، والله إن النَّاسَ يتحرّون لهداياهم يوم عائشة، وإنا نريدُ الخيرَ كما تريدُهُ عائشة. كَلِّمي رسول الله ﷺ أن يأمر الناسَ أن يُهدوا إليه حيثُ كان، أو حيثما دار.

قالت: فذكرت ذلك أم سَلَمَةَ ـ رضي الله عنها ـ للنبي ﷺ. قالت: فأعرَضَ عني. فلما عادَ إليّ ذكرتُ له ذلك. فأعرَضَ عني. فلما كان في الثالثة[3]، ذكرتُ له فقال:

«يَا أُمّ سلمةَ، لا تُؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نَزَلَ عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأةٍ منكن غيرها». متفق عليه[4].

---

(1) رواه البخاري(467)... ومسلم (2383)... وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(2) تريد زوجات النبي ﷺ رضي الله عنهن.

(3) أي في يومها وذلك في المرة الثالثة.

(4) رواه البخاري (3775) ومسلم (2442) والنسائي في «المجتبى» (3954)... وفي «الكبرى» (5 /8382) والترمذي (3879) وغيرهم. واللفظ للبخاري. وقد تقدم بأطول منه بلفظ قريب.

قال الذهبي: وهذا الجواب منه ﷺ دالّ على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين، بأمر إلهي وراء حبه ﷺ لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حُبّهِ لها. أ هـ.

وروى الترمذي (3888) بإسناد حسن، من طريق أبي إسحاق عن عمرو بن غالبٍ، أن رجُلاً نال[1] من السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ عند عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ فقال:

أُغرب مَقبُوحاً مَنبُوحاً، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ.

وروى أحمد (26595/ 10) بإسناد جيد، من طريق موسى بن علي عن أبيه عن أبي قيس قال: أرسلني عبد الله بن عمرو إلى أمّ سَلَمةَ ـ رضي الله عنها ـ أسألها: هل كان رسول الله ﷺ يُقبّل وهو صائم؟ فإن قالت لا، فقل لها: إن عائشة تُخبر النّاسَ؛ أن رسول الله ﷺ كان يُقبّل وهو صائم؟

قال: فسألها: أكانَ رسولُ الله ﷺ يُقبّل وهو صائم؟

قالت: لا.

قلتُ: إن عائشة تُخبرُ الناس؛ أن رسولَ الله ﷺ كانَ يُقبّلُ وهو صائمٌ!

قالت: لعلهُ إياها. كان ﷺ لا يتمالك عنها حُباً. أما إيايَ، فلا.

وروى أبو داود (4999) بإسناد قوي، من طريق النعمان بن بشير، قال: استأذن أبو بكرٍ ـ رحمة الله عليه ـ على النبيّ ﷺ فَسَمِعَ صوتَ عائشة ـ رضي الله عنها ـ عَالياً!

فلمّا دخلَ تناولها ليلطُمهَا، وقال: ألا أراكِ تَرفعينَ صَوتَكِ على رسولِ الله ﷺ. فجعل النبي ﷺ يحجزه. وخرج أبو بكرٍ مغضباً.

فقالَ النبيُّ ﷺ حينَ خرَجَ أبو بكر: «كَيفَ رَأَيتني أنقَذتُكِ مِنَ الرّجُلِ؟» قال: فمكث أبو بكرٍ أياماً. ثم استأذنَ على رسول الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا فقال لهما: أدخلاني في سِلْمِكُمَا كَمَا أدخلتماني في حَرْبِكُمَا.

فقال النبي ﷺ: «قَد فَعَلنَا، قَد فَعَلنَا».

وروى البزار (2658) والطبراني (2/ 230) بإسناد جيد، من طريق عروة، عن السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت:

لَمّا رأيتُ من النبيّ ﷺ طَيّبَ نفسٍ، قلتُ: يا رسول الله، أُدْعُ الله لي.

---

(1) وذلك بعد موقعة الجمل. وكان عمار بن ياسر في صفوف علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

قال ﷺ: «اللهم اغفِر لعائشة ما تقدَّمَ من ذَنبها وما تَأخر، وَمَا أسرّت، وما أعلنت».

فَضَحِكَت عَائِشَةُ حَتى سَقَطَ رأسها في حِجْرِ رسولِ الله ﷺ مِنَ الضَحكِ.

فقَال ﷺ: «أَيَسُرّكِ دُعَائي؟»

فَقَالت: ومَالي لا يسُرني دُعاؤُكَ؟

فقال ﷺ: «والله إِنها لَدَعوتي لأُمتي في كُل صَلاَةٍ»[1].

وروى أبو يعلى (4955) والبزار (2661)، من طريق مجالد، عن عامر، عن مسروق، عن السيدة عائشة ﵂، قَالَت: دَخَلَ عليّ رسولُ الله ﷺ وأنا أبكي! فقال: «ما يُبكيكِ؟»

قُلتُ: سبتني فَاطِمةُ.

فَدعَا فَاطمةَ فقال: «يا فَاطِمة سَبَبّتِ عائشةَ؟»

قَالت: نَعَم يا رسولَ الله!

قَالَ: «يا فَاطِمة، أَلَيسَ تُحبّينَ من أُحِبّ؟»

قَالَت: نَعَم.

«وَتُبغِضينَ مَن أُبغِضُ؟»

قالت: بَلَى.

قال: «فإِني أُحِبُّ عَائِشةَ، فأَحبِّيها!».

قَالَت فَاطِمةُ: لا أقولُ لِعَائِشَةَ شيئاً يُؤذِيها أَبَداً.

وروى أحمد (26105/ 10) بإسناد صحيح، من طريق عبد الله بن شقيق قال: قلتُ لعائشة ـ ﵂ ـ: أيّ الناسِ كَانَ أحبّ إلى رسولِ الله ﷺ؟ قَالَت: عَائِشَةَ. قُلتُ: فَمِنَ الرّجالِ؟ قَالَت: أَبُوها.

---

(1) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (15327/ 9) وعزاه للبزار، وقال: ورجاله رجال الصحيح، غير أحمد بن منصور الرمادي، وهو ثقة.

وروى الطبراني بإسناد صحيح، عنها رضي الله عنها، قَالَت: قُلتُ يا رسولَ الله، مَن أَحبّ الناسِ إليكَ؟

قال ﷺ: «ولِمَ؟»

قُلتُ: لأُحبَّ ما تُحبّ. قَالَ: «عَائِشَةُ».

وروى الطبراني في «الكبير» (23/ 317) بإسناده، عن أُمّ سَلَمَة رَضِيَ الله عنها، أنها قالت يَومَ مَاتَت عَائِشَةَ - رضي الله عنها -:

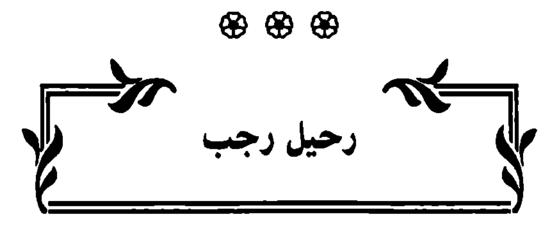
اليوم ماتَ أحبّ شخص كَانَ في الدّنيَا إلى رَسُولِ الله ﷺ. ثُمّ قَالت: أَستَغفِرُ الله، مَا خَلاَ أَباها[1].

وروى البخاري (5218) وغيره من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه، دَخَلَ على حَفصَةَ فقال: يَا بُنيّةُ، لا يَغُرَّنَّكِ هذهِ التي أعجَبَها حُسنُها حُبّ رَسُولِ الله ﷺ إيّاها - يُرِيدُ عائشةَ - رضي الله عنها.

فَقَصَصتُ على رَسُولِ الله ﷺ، فَتَبَسّمَ.

وروى البخاري (5212)... وغيره من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، أَن سَودَةَ بنتَ زَمعَةَ وَهَبَت يَومها لِعائشةَ، وكان النبيّ ﷺ يَقسِم لِعائشة بيومها ويوم سَودَة.

❁ ❁ ❁



رحيل رجب

إخواني: هذا شهر رجب قد رحَل أكثره وبان، ونور شعبان قد لاح وبان، وقد سار إلى ديار الفوز رُكْبان، وأقْدَم الشجاع ولّى الجبان، هذا الشهر الأصَم يؤذنكم بإقلاعه ويخبركم برحيله ووداعه، فأيكم ودّعه وقد أودَعه ما ينفعه غدا، وأيكم داوم المعاصي فلم يُقلع حتى غدا، ويل لمن ذهب عنه شهر رجب وانصَرم وهو في عِدَاد من هجر الهدَى وصَرم، كيف يرجو الفضل والكرم من اجترم وما احترم.

---

(1) والحديث أورده الهيثمي في «المجمع» (15311/ 9) وقال: رواه أبو يعلى والبزار باختصار، وفيه مجالد، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح. ا. هـ. أقول وإن كان في مجاهد كلام، فإن للحديث شاهداً عند البخاري تقدم ثمة. فيصح به. والله أعلم.

أكثر هذا الشهر قد مضى وتولى عنكم معرضا، وباقيه قد نادى التوبة معْرِضا، حذروا أن يفوتكم الغفران مع الرضا. أين من استدرك باقي ساعاته وقضى، وطالب نفسه بالإنابة واقتضى، أين من خاف لهبَ السعير وحرّ لظى، فبادر إلى ما يُؤثر من الخير ويُرتضَى، أين من جرَّد سيف التوبة على الخطايا وانتضى، قبل أن يعود بعد التحريض حَرَضا[1].

آه لأوقات مضت من رجب لا سبيل إلى رجوعها، وأهلاً بنفوس صَبرت فيه على عَطشها وجوعها، ويا أسفاً لأعمال ماً يقْبَل شيء من مرفوعها، ولأصوات رُدَّت لعدم صِدْق مَسْموعها.

إخواني: فارقوا خطاياكم قبل مفارقته، وسابقوا بالتوبة رحيله قبل مسابقته، واعلموا أن الأوقات عليكم شاهدة بما هي منكم مُشاهِدة، فالحذار الحذار أن يفوت وقت الاقتدار، فما زالت الدنيا تخدع وتغر ثم ترحل وتمرّ.

غَـنَّـتْـك دنـيـاك الـخـلـوب　　　وحُـبُّـهـا فـي الـكـفّ عُـود
أمـا إسـاءتـهـا فـقـد　　　كـانـت وحُـسْـنـاهـا وعـود

لغربان الموت على ديارنا نَعِيب، ونحن نحرص على ما لطالبه نَعِيب، الخلق بأسرهم في قبضة التلَف أسرى، وما يعدّونه إرباحاً يعود غداً خُسرا، سيف المنون ما يَنبو ولا يقنع، وبطن الأرض يأكل الخلائق وما يشبع.

إخواني: لا للموت بالاستعداد تنتظرون، ولا بالقلوب في الذِّكر تحضرون، وكأنكم للتلف تأمنون أو بالوعيد ما تؤمنون، أما علمتم أنكم ترحلون؟ أما ترون الأقران أين ينقلبون؟ كأننا والله بنا إذ قدمنا وقد ندِمْنا، ووضع الحساب وقدِّمنا، وطلبنا ما يرضي من العمل فعدِمْنا، وربح المتقون بالتقى وحُرِمنا، وأقمنا لقراءة الصحف فلما فَهِمْنا همنا، فرحم الله عبداً استدرك بقية هذا الشهر فربما لا يرى مثله في الدهر، قبل أن يؤخذ بشدة القهر، ويحاسب على فعل السر والجهر. (ج).

❁ ❁ ❁

(1) الحرض: ما لا يعتد به، ولا خير فيه. ولذلك يقال لمن أشرف على الهلاك: حرض.

محاذير النظر

النظر. بريد الزنى. كلمة حق وصدق. والنظر إلى ما حرّم الله تعالى، سهم مسموم من سهام إبليس، يقذفه في قلب العبد المؤمن، ليصيب مقتله. قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾ [النور: 30 ـ 31].

وفي الآية تنبيه وإشارة، إلى حفظ الفروج، عقب غض النظر، سواء كان الأمر متعلقاً بالرجال أم بالنساء، فالأمر واحد. والشهوة قد رُكِّبَتْ في الرجال، كما هي في النساء، لا وبل في النساء أكثر!

فمن وفَّقهُ الله تعالى، إلى غضّ بصره عمَّا حرَّمه عليه، وُفِّق إلى ما هو أهم من ذلك وحفظ فرجه، ونجا بنفسه. وفي الحديث «من ضمن لي ما بين لحييه ورجليه، ضمنت له الجنة».

وفي معالجة الهم والفكر المتولد عن النظر، قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ:

اعلم وفقك الله، أنك إذا امتثلت المأمور به، من غض البصر عند أول نظرة، سلِمْت من آفات لا تحصى، فإذا كررت النظر لم تأمن أن يزرع في قلبك زرعاً يصعب قلعه، فإن كان قد حصل ذلك فعلاجه الحِمْية بالغض فيما بعد، وقطع مراد الفكر بسد باب النظر، فحينئذ يسهل علاج الحاصل في القلب، لأنه إذا اجتمع سيل فسُدَّ مجراه، سَهُل نزف الحاصل، ولا علاج للحاصل في القلب أقوى من قطع أسبابه، ثم زجْر الاهتمام به خوفاً من عقوبة الله ﷻ؛ فمتى شرعت في استعمال هذا الدواء رُجي لك قرب السلامة، وإن ساكَنْت الهمَّ ترقى إلى درجة العزم، ثم حرك الجوارح.

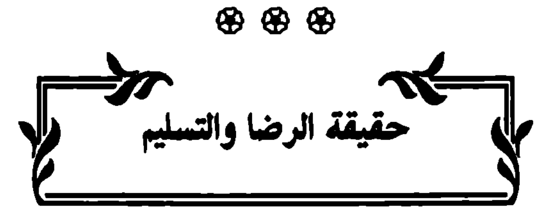
وبإسناده رحمه الله تعالى ـ من طريق علي بن الحسين التميمي، قال: سمعت أبا تراب النخشبي يقول: احفظ همك، فإنه مقدمة الأشياء، فمن صح له همه صح له ما بعد ذلك من أفعاله وأحواله.

وبإسناده أيضاً، من طريق محمد بن عبدالله الأصبهاني، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: قيل لبعض الحكماء: ما سبب الذنب؟ قال: الخطرة، فإن تداركت

الخطرة بالرجوع إلى الله ذهبت، وإن لم تفعل تولدت عنها الفكرة، فإن تداركتها بالرجوع إلى الله بطلت، وإلا فعند ذلك تخالط الوسوسة الفكرة، فتولد عنها الشهوة، وكل ذلك بعد باطن في القلب لم يظهر على الجوارح، فإن استدركت الشهوة، وإلا تولَّد منها الطلب، فإن تداركت الطلب وإلا تولد منه الفعل. انتهى.

فاسمع أخي الكريم، سماع المتيقظ لما ينفعك، ويهمك في أمر دينك ودنياك. فإن العبرة في العمل، لا بالعلم. فربما كان العلم بالشيء، حجة لك، لا عليك. وردد معي قول الله عزَّ وجل: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 286].

❀ ❀ ❀



حقيقة الرضا والتسليم

من استسلم لقضاء الله تعالى، ورضي بقدره، عاش سعيداً، ومات حميداً، ولا يلزمه لذلك إلا الصبر والتحمل، ومجالدة أعباء الحياة. وفي الحديث: «اعملوا ما شئتم، فكل ميسرٌ لما خُلق له».

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ:

ومن شأن القوم أن تنسلخ نفوسُهم من التّدبير والاختيار الذي يخالف تدبير الله تعالى واختياره؛ بل قد سلّموا إليه سبحانه التدبيرَ كُلّه. فلا يزاحم تدبيرُهم تدبيرَه ولا اختيارُهم اختيارَه، لتَيَقّنهم أنه الملِك القاهر القابض على نواصي الخلق، المتولي تدبيرَ أمر العالَم كله، وتَيَقنهم مع ذلك أنه الحكيم في أفعاله الذي لا تخرج أفعالُه عن الحكمة والمصلحة والرحمة. فلم يُدخلوا أنفسَهم معه في تدبيره لملكه وتصريفه أُمورَ عباده بـ «لو كان كذا وكذا»، ولا بـ «عسى» و«لعلّ»، ولا بـ «لَيتَ»؛ بل ربّهم أجلّ وأعظمُ في قلوبهم من أن يعترضوا عليه، أو يتسخّطوا تدبيرَه، أو يتمنوا سواه. وهم أعلمُ به وأعرف بأسمائه وصفاته من أن يتّهمُوه في تدبيره، أو يظنوا به الإخلالَ بمقتضى حكمته وعدله؛ بل هو ناظر بعين قلبه إلى بارئ الأشياءِ وفاطرها، ناظَر إلى إتقان صنعه، مشاهد لحكمته فيه، وإن لم يخرج ذلك على مكاييل عقول البشر وعوائدهم ومألوفاتهم.

قال بعضُ السلف: لو قُرِضَ جسمي بالمقاريض أحبّ إليّ من أن أقول لشيء قضاه الله: ليته لم يَقْضِه.

❁ ❁ ❁



مَحبَّةُ لِقَاءِ الله ﷻ

قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَحَبّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لقاءَهُ»[1].

مَنْ حَسُنَتْ حَالُهُ عِنْدَ الله أحبّ لقاءَهُ لما يرجُوه من رحمتِه، ومَنْ قَبُحَتْ أحوالُه عند مولاه كَرِهَ لقاءَهُ لِمَا يخشاهُ من نِقْمَتِه.

بِأيِّ وَجْهٍ أتَلَقَّاهُمْ ... إذا رَأَوْنِي بَعْدَهُمْ حَيَّا

واخَجْلَتَا مِنْهُمْ ومِنْ قَوْلِهِمْ ... ما ضَرَّكَ العقْدُ لَنا شيَّا (س)

إن السعيد الذي ينجو من النار

قد آنَ بعد ظلام الجهل إبصاري ... الشيبُ صُبْحٌ يناجيني بإسفارِ

ليلُ الشباب قصيرٌ فاسْرِ مبْتدراً ... إنّ الصباح قُصَارَى المدْلج السارِي

كم اغتراري بالدنيا وزُخرفها ... أبني بِناَها على جُرْفٍ لها هاري

ووعدِ زُورٍ وعَهْدٍ لا وفاء له ... تعلّم الغَدرَ منها كلُّ غدَّارِ

دارٌ مآثمها تَبقى ولذَّتُها ... تفنى ألا قُبِّحَتْ هاتيك من دارِ

فليت إذا صفِرتْ مما كسبتُ يدي ... لم تعتلق من خطاياها بأوزارِ

ليس السعيدُ الذي دنياه تُسْعده ... إنّ السعيد الذي ينجو من النار (ج).

❁ ❁ ❁

---

(1) الحديث بتمامه رواه البخاري (6507) ومسلم (2683)، وغيرها، من حديث عباده بن الصامت - ﷺ - عن النبي ﷺ، وتمامه: «ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه».

حرمة أكل أموال الناس بالباطل وخطر المال الحرام في الدنيا والآخرة

ـ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: 29].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188].

وفي معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: الخطاب بهذه الآية يتضمن جميع أمة محمد ﷺ. والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق، فيدخل في هذا: القمار، والخداع، والغصوب، وجحد الحقوق وما لا تطيب به نفس مالكه، أو حَرَّمتهُ الشريعة وإن طابت به نفس مالكه، كمهر البغي، وحلوان الكاهن، وأثمان الخمور والخنازير وغير ذلك. قال: وقال قوم: المراد بالآية ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي في الملاهي والمعازف والشرب والبطالة، فيجيء على هذا إضافة المال إلى ضمير المالكين. والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي لا يأكل بعضكم أموال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى: ﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ أي تدفعوها إلى الحكام رشوة ﴿لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾ أي ليعينوكم على أخذ طائفة من أموال الناس بالباطل ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون تأكلون الحرام. وهذه مبالغة في الجرأة والمعصية.

قال الإمام القرطبي في «تفسيره»: اتفق أهل السنة على أن من أخذ ما وقع عليه اسم «مال» قل أو كثر، أنه يُفَسَّقُ بذلك، وأنه مُحرَّم عليه أخذه.

وفي حرمة أموال المسلمين، روى الإمام أحمد (4447) ومسلم (1218)، وغيرهما، من حديث جَابِرِ بنِ عَبدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ـ في حَديثِهِ الطويل في وصف حِجَّةِ النبيِّ ﷺ ـ وفيه قولهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إِنَّ دِمَاءَكُم وَأَموالكُم حَرامٌ عَلَيكُم كَحُرْمَةِ يَومِكُم هذا، في شَهرِكُم هذا، في بلَدِكُم هذا...» الحديث.

وفي «صحيح» البخاري (6920)، وغيره من حديث عَبدِ اللهِ بن عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنهُما، قَالَ: جَاءَ أَعرَابِي إِلَى النبيِّ ﷺ فَقالَ: يَا رَسُولَ الله ما الكَبائِرُ؟ قالَ «الإِشْرَاكُ

بِالله» قَالَ: ثُمّ مَاذا؟ قَالَ: «ثمّ عُقُوقُ الوالِدَينِ» قَالَ: ثُمّ ماذا؟ قالَ: «اليَمينُ الغَمُوسُ» قُلتُ: وَمَا اليَمينُ الغَمُوسُ؟ قال: «الَّذي يَقْتَطِعُ مالَ امرِىءٍ مُسْلِمٍ هُوَ فيها كاذِبٌ».

وفي قوله ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا» ذلك أن رسول الله ﷺ خطب هذا بالناس في عرفة في حجة الوداع، وكان هذا الخطاب بمثابة الوصية للمسلمين من بعده حيث إنه عليه الصلاة والسلام لم يعش بعدها سوى بضعة أشهر ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى.

وفي قوله ﷺ: «في شهركم هذا، في بلدكم هذا...» مبالغة في التبليغ ذلك أن الزمان زمان حج والبلد بلد حرام، واليوم يوم مشهود وفي كل ذلك زيادة في حرمة دماء المسلمين بعضهم على بعض وكذا أموالهم. والله تعالى أعلم.

وأما في حرمان من أصاب مالاً حراماً من استجابة دعائه، وعقوبته عاجلاً وآجلاً، فقد روى الإمام أحمد (8356) ومسلم (1015)، وغيرهما من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّهَا الناسُ! إنَّ اللهَ طَيبٌ لا يَقبَلُ إلاَّ طَيِّباً. وَإنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرسَلِينَ. فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: 172]. ثمّ ذَكَرَ الرّجُلَ يُطِيلُ السّفَرَ، أَشعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدّ يَدَيهِ إلَى السّمَاءِ. يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ. فَأَنّى يُستَجَابُ لِذلِكَ؟» (رواه مسلم).

ـ وَعَنْ ابْنِ عَبَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهما، قَالَ: تُلِيتْ هذِهِ الآيَةُ عِندَ رَسُول اللهِ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: 168]، فَقَامَ سَعْدُ بْنِ أَبي وَقَّاصٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أنْ يَجعَلَنِي مُستَجَابَ الدَّعوَةِ، فَقَال لَهُ النبيّ ﷺ: «يا سَعدُ أَطِب مَطعَمَكَ تكُن مُستَجَابَ الدّعوةِ، وَالذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إن العَبدَ لَيَقذِفَ اللّقمَةَ الحَرامَ في جَوفِهِ مَا يُتَقَبّلُ مِنهُ عَمَلَ اربَعين يَوماً، وَأَيُما عَبدٍ نَبَتَ لَحمُهُ مِن السُّحتِ وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَولى بِهِ»[1].

والسحت: هو الحرام الذي لا يحلّ كسبه، لأنه يُسْحِتُ البركة، أي يذهبها. وأصل السحت: الإهلاك والاستئصال. وقيل: سمي الحرام سحتاً لأنه يسحت مروءة

(1) رواه الطبراني في «الأوسط» (6/6495) وهو حديث حسن بشواهده.

الإنسان. وهو صفة ملازمة لأبناء القردة والخنازير ـ اليهود ـ الذين نزل فيهم قول الله تعالى ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: 42].

وتوجهه ﷺ بالخطاب لكل الناس، يشمل البر والفاجر، بأن الله تعالى طيب، أي منزّه عن النقائص والخبائث. فيكون بمعنى القدوس. وأصل الطيب: الزكاة والطهارة، والسلامة من الخبث. والله أعلم.

وقوله ﷺ: «**لا يقبل**» من الصدقات، ونحوها من الأعمال «**إلا طيباً**» أي إلا حلالاً خالصاً لوجهه الكريم «**وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**» يعني أنه تعالى سوّى بينهم في الخطاب بوجوب أكل الحلال.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عونٌ على العمل الصالح، فقام الأنبياء عليهم السلام بهذا أتمّ القيام، وجمعوا بين كل خير قولاً وعملاً ودلالة ونصحاً. فجزاهم الله عن العباد خير الجزاء.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ يقول تبارك وتعالى آمراً عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم تعالى. ذلك أن الأكل من الحلال سبب بتقبل الدعاء والعبادة، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة. والله أعلم.

وقوله ﷺ: «**ثم ذكر الرجل يطيل السفر**» معناه والله أعلم أنه يطيل السفر في وجوه الطاعات، كالحج والجهاد، وصلة رحم، وما أشبه ذلك من وجوه الطاعات. وقوله ﷺ: «**أشعث أغبر**» يدل على المحرم، والأشعث هو المغبر الرأس، والغبرة في سائر الجسد، واللفظ بهذا السياق يفيد عن حالين متداخلين.

وقوله ﷺ: «**يمد يديه إلى السماء**» أي عند الدعاء متوجهاً به إلى الله تعالى. وهذا يدل على مشروعية مد اليدين عند الدعاء إلى السماء لأنها قبلة الدعاء.

وقوله ﷺ: «**يا رب يا رب**» أي يدعو قائلاً: يا رب كذا... يا رب كذا، يطلب حاجته من الله تعالى، وفيه إشارة إلى أن الدعاء بلفظ: الرّب، مؤثرٌ في الإجابة، لإيذانه بالاعتراف بأن وجوده فائض عن تربيته وإحسانه وجوده وامتنانه، والله أعلم.

في بحره للسابحين به على — أدب الحياة وعلمها إرساء

أتت الدهور على سلافته ولم — تفن السلاف ولا سلا الندماء[1] (شوقي)

❀ ❀ ❀

علاج القلب ودواؤهُ

«... ألا وإنّ في الجسد مُضْغَةً[2]، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فَسَدت، فَسَد الجسدُ كله، ألا وهي القلب».

فمناط الأمر كُله متعلق على صلاح القلب. ونور البصيرة. قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]، وقد جاء في الحديث: **«وإن أبعد الناس عن الله، القلب القاسي»**.

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ:

ـ ما ضُرِبَ عبد بعقوبة، أعظم من قسوة القلب، والبعد عن الله.

ـ خُلِقت النار لإذابة القلوب القاسية.

ـ أبعد القلوب من الله القلب القاسي.

ـ إذا قسا القلب قحطت العين.

ـ قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل، والنوم، والكلام، والمخالطة. كما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب، فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ.

ـ مَن أراد صفاءَ قلبه فليؤثر الله على شهوته.

ـ القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلّقها بها.

ـ القلوب آنية الله في أرضه، فأحَبّها إليه أرقُّها وأصلبها وأصفاها.

(1) السلافة: الخمرة المعتقة.

(2) مُضغة: قطعة من اللحم.

ـ شغلوا قلوبهم بالدنيا، ولو شغلوها بالله والدار الآخرة، لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة، ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحِكَم وطُرَف الفوائد.

ـ إذا غُذّيَ القلبُ بالتذكر، وسُقي بالتفكُّر، ونُقي من الدغل[1] رأى العجائب، وألهم الحكمة.

ـ ليس كل مَن تحلّى بالمعرفة والحكمة وانتحلها كان من أهلها، بل أهل المعرفة والحكمة الذين أحيوا قلوبهم بقتل الهوى. وأما مَن قتل قلبه فأحيى الهوى، فالمعرفة والحكمة عارِية على لسانه.

ـ خراب القلب من الأمن والغفلة، وعمارته من الخشية والذكر.

ـ إذا زَهِدَتِ القلوبُ في موائد الدنيا، قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة، وإذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها تلك الموائد.

لا تحزن فإن الدواء معك، وبين يديك

مهما بلغ مرضك، واشتد سقَمُك، وآلَمَك وَجَعُك، فاعلم أن الدواء بين يديك. قد جعله الله تعالى هدية لعباده، يتداوون به علاجاً ناجحاً بإذنه وتقديره جل وعلا.

فقد روى البخاري (2276).. ومسلم (2201) وغيرهما، واللفظ للبخاري، من حديث أبي سعيدٍ رضيَ الله عنه قال: انطَلَقَ نَفرٌ من أَصحاب النبيّ فِي سَفْرةٍ سافَروها، حتَى نزَلوا على حيّ من أَحياءِ العرب فاستَضافوهم فأَبَوا أَنَ يُضيّفوهم، فلُدِغَ سَيّدُ ذَلِكَ الحيّ، فسَعَوا لَهُ بكل شيءٍ، لا يَنفعُهُ شيء. فقال بعضهم: لو أَتيتُم هؤُلاءِ الرّهطَ الذينَ نزَلوا لعلّهُ أَن يكونَ عندَ بعضهم شيء.

فأَتَوْهم فقالوأ: يا أَيّها الرَّهطُ إِن سيِّدَنا لُدغَ، وسَعينا لهُ بكل شيءٍ لا يَنفعُه، فهل عندَ أَحدٍ منكم مِن شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله، إِني لأَرقِي، ولكِنْ والله لقدِ استَضَفْناكم فلم تُضيّفونا، فما أَنا بِراقٍ لكم حتَّى تَجعلوا لنا جُعلاً. فصالَحوهم على قطيع من الغنم. فانطلق يتفل عليه ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ فكأَنّما نُشِطَ من عقال، فانطَلَقَ يَمشي وما بِهِ قَلَبة.

---

(1) الدغل: الفساد.

قال: فأوفوهم جُعلَهمُ الذي صالَحوهم عليه. فقال بعضُهم: اقسِموا. فقال الذي رَقَى: لا تفعلوا حتَّى نأتيَ النبيّ ﷺ فنذكُرَ لهُ الذي كان فننظُرَ ما يأمُرنا. فقدِموا على رسولِ الله فذَكروا له، فقال: «وما يُدريكَ أنها رُقية؟» ثمّ قال: «قد أصبتم، اقسِموا واضربوا لي معكم سَهماً»، فضَحِكَ النبيُّ ﷺ.

ـ وفي «صحيح البخاري» (5737)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن نَفَراً مِن أصحَابِ النبيّ ﷺ مَرّوا بمَاءٍ فَيهِم لَدِيغٌ أو سَلِيمٌ فَعَرَضَ لَهم رَجُلٌ مِن أهلِ المَاءِ فَقَالَ: هَل فِيكُم مِن رَاقٍ؟ إنَّ فِي المَاءِ رَجُلاً لَدِيغاً أو سَلِيماً فَانطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُم فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الكِتَاب عَلَى شَاءٍ فَبَرَأَ فَجَاءَ بِالشَاءِ إِلَى أصحَابِهِ فَكَرِهُوا ذَلِكَ وَقَالُوا أَخَذتَ عَلَى كِتَاب الله أجراً؟ حَتَّى قَدِمُوا المَدِينَةَ فقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَخَذَ عَلَى كِتَاب اللهِ أجراً فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إن أَحَقَّ مَا أَخَذتُم عَلَيهِ أجراً كِتَابُ اللهِ».

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «زاد المعاد» (4/ 177 ـ 178): إذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع فما الظن بكلام رب العالمين ثم بالفاتحة التي لم ينزل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلها لتضمنها جميع معاني الكتاب، فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله ومجامعها وإثبات المعاد وذكر التوحيد والافتقار إلى الرب في طلب الإعانة به والهداية منه، وذكر أفضل الدعاء وهو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه والاستقامة عليه، ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق وقسمتهم إلى منعم عليه لمعرفته بالحق والعمل به، ومغضوب عليه لعدوله عن الحق بعد معرفته، وضال لعدم معرفته له، مع ما تضمنته من إثبات القدر والشرع والأسماء والمعاد والتوبة وتزكية النفس وإصلاح القلب والرد على جميع أهل البدع، وحقيق بسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من كل داء، والله تعالى أعلم.

ـ الشوق إلى الله ولقائه نسيم يهبّ على القلب يُرَوِّح عنه وَهَجَ الدنيا.

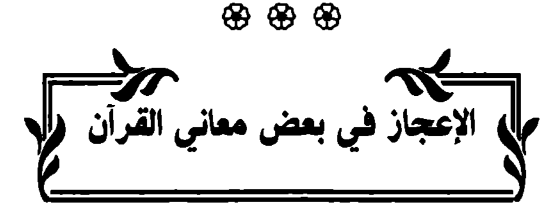
ـ مَن وَطَّنَ قلبه عند ربه سكن واستراح، ومَن أرسله في الناس اضطرب واشتدَّ به القلق.

ـ لا تدخل محبةُ الله في قلب فيه حب الدنيا إلاَّ كما يدخل الجمل في سم الإبرة. (أي: ثقبها).

ـ إذا أحبَّ الله عبداً، اصطنعه لنفسه، واجتباه لمحبته، واستخلصه لعبادته؛ فشغل همَّهُ به، ولسانَه بذكره، وجوارحه بخدمته.

ـ القلب يمرض كما يمرض البدن، وشفاؤه في التوبة والحمية؛ ويصدأ كما تصدأ المرآة، وجلاؤه بالذكر؛ ويَعرَى كما يعرى الجسم، وزينته التقوى؛ ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن، وطعامُه وشرابه المعرفةُ والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة.

❀ ❀ ❀



الإعجاز في بعض معاني القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: 66].

وقال تعالى في الجنة: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾ [سورة محمد: 15].

وذكر رسول الله ﷺ فَضل اللبن (الحليب) على غيره من الطعام؟ فقال: **«من أطعمه الله طعاماً، فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه، ومن سقاه الله لبناً، فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شيء يجزئ من الطعام والشراب غير اللبن»**[1].

وقد اختار رسول الله ﷺ اللبن لأمته ليلة أسريَ به ورفض الخمر.

جاء في «الصحيحين» أن رسول الله أتي ليلة الإسراء بقدح من خمر، وقدح من لبن، فنظر إليهما ثم أخذ اللبن، فقال جبرائيل عليه السلام: «الحمد لله الذي هداك إلى الفطرة، لو أخذت الخمر غوت أمّتك».

الاكتشافات العلمية الحديثة

اللبن (الحليب) وقاية من السرطان:

نشرت مجلة لانست الطبية عام 1985 دراسة قام بها الدكتور غارلاند من جامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة، حيث درس الغذاء الذي يتناوله 2000 رجل على مدى

(1) رواه الإمام أحمد (1978) وأبو داود (3730) والترمذي (3455) وغيرهم، من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ إسناد حسن، وفيه قصة.

عشرين عاماً، فوجد أن أولئك الذين كانوا يشربون كأسين ونصف من الحليب يومياً كانوا أقل عرضة بكثير لسرطان القولون من أولئك الذين لم يتناولوا الحليب، إذ بلغ معدل سرطان القولون عند شاربي الحليب ثلث ما كان عليه عند من لم يشرب الحليب. ولهذا كانت نصيحة الدكتور غارلاند أن يشرب الناس ما بين كوبين إلى ثلاثة أكواب من الحليب القليل الدسم للوقاية من سرطان القولون.

وقد عزا ذلك إلى غنى الحليب بالكالسيوم وفيتامين (د) إلاَّ أنه قد تكون هناك آليات أخرى تعطي الجسم وقاية من هذا السرطان.

وفي دراسة حديثة نشرت عام 1987 في استراليا ـ حيث يكثر سرطان القولون ـ وجد الاستراليون أن أولئك الذين كانوا يشربون أقل من 600 مل من الحليب (كوبين ونصف) في الأسبوع كانوا أكثر عرضة للإصابة بسرطان المستقيم والقولون.

وهناك دراسات أخرى من اليابان تشير إلى أن تناول الحليب يقلل من الإصابة بسرطان المعدة. ألم يقل عليه الصلاة والسلام: «عليكم بألبان البقر فإنها ترمّ من كل الشجر، وهو شفاءٌ من كل داء»[1].

اللبن (الحليب) وقرحة المعدة:

من المعروف لدى عامة الناس أن تناول الحليب عند المصابين بقرحة المعدة يخفف ألم القرحة. وقد اكتشف العلماء في جامعة نيويورك بالولايات المتحدة أن الحليب يحتوي على مادة تسمى البروستاغلاندين Prostaglandin وهي التي تقي من القرحة.

وقام هؤلاء الباحثون بإعطاء الحليب كامل الدسم للفئران ثم عُرِّضت هذه الفئران لعوامل الشدة (Stress) فوجدوا أن 50% من الفئران أصيبت بالقرحة في حين أصيبت

---

(1) رواه ابن حبان (6075) والحاكم (8274) وأبو داود الطيالسي (368) والبيهقي في «الكبرى» (9/ 345)، وغيرهم، بإسناد حسن، من حديث عبدالله بن مسعود ـ ﷺ ـ.
وأرسله الإمام أحمد (18831) والنسائي في «الكبرى» (6864) و(7567) وعبد بن حميد في «المنتخب» (560)، وغيرهم من طريق طارق بن شهاب، أن النبي ﷺ قال: «إن الله ﷻ لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً، فعليكم بألبان البقر، فإنها ترُمُّ من كل الشجر» أي تأكل من الشجر.

90% من الفئران التي لم تعط الحليب بقرحة المعدة، ومن العجيب جداً أن مادة البروستاغلاندين الموجودة في الحليب تماثل في تركيبها البروستاغلاندين الموجود في دواء أنتج حديثاً عام 1986 لمعالجة القرحة.

ويبدو أن هذه المادة تحث خلايا المعدة على تشكيل حاجز من مادة مخاطية تقي غشاء المعدة من تخريش المواد الكيميائية.

تتواجد هذه المادة في دسم الحليب، ولذلك فإن قشدة الحليب والحليب كاملِ الدسم أغنى ما يكون بهذه المادة، في حين يكون الحليب الخالي من الدسم فقيراً بها.

ونتساءل هنا: هل يشفي الحليب قرحة المعدة؟

من المعروف أن الحليب كان يستعمل في علاج القرحة في الماضي، إلاَّ أن هذه العادة قد توارت عن الظهور، وسبب ذلك أن الأبحاث قد دلت على أن شرب الحليب يحث على إفراز حمض المعدة ولهذا فإن الحليب لا يشفي القرحة بل يخفف من آلامها.

ويعتقد بعض الباحثين أن الحليب يقي من حدوث القرحة، رغم أنه لا يشفي قرحة موجودة سابقاً. ومهما يكن فإن اكتشاف مادة البروستاغلاندين في الحليب، تلك المادة التي تماثل في تركيبها الدواء الحديث للقرحة يجعل في الحليب سراً غامضاً، لا بد أن تكشفه الأيام.

اللبن (الحليب) والإسهالات الانتانية:

تعتبر الإسهالات الانتانية أحد أهم أسباب الوفيات عند الأطفال في العالم الثالث إذ تشكل 30 ـ 40% من أسباب الموت في هذا السن.

وحتى في الولايات المتحدة نفسها فإن الإسهالات الانتانية تسبب دخول أكثر من خمسين ألف طفل سنوياً إلى المستشفيات.

ومن أهم هذه الأسباب فيروس يسمى «روتافيرُس» Rotavirus. ولهذا انصب اهتمام الباحثين في جامعة «جون هوبكينز» في الولايات المتحدة (وهي من أشهر الجامعات الأمريكية) على إيجاد دواء يقي ضد هذا الفيروس.

كان في تفكير هؤلاء دوماً الحقيقة التي تقول: إن الأجسام المضادة للفيروسات

أو للجراثيم تدخل الجسم عن طريقين: الأولى أن يصنعها الجسم حين يدخل فيروس معيناً، فيصنع الجهاز المناعي أجساماً مضادة لها، فإذا ما دخل الفيروس إلى الجسم مرة أخرى يتذكره الجسم فيهاجمه بتلك الأسلحة الفتاكة ويقضي عليه.

ويحدث الأمر ذاته حين نأخذ اللقاح Vaccine فتشكل أجسامنا مضادات أجسام للفيروس الذي هو في اللقاح. وهذا ما يسمى بالمناعة الفعّالة (Active Immunity) والطريقة الأخرى للحصول على مضادات الأجسام هذه هي أن نأخذها جاهزة من كائن حي آخر بعد أن يكون هذا الكائن قد حضرها لنا في جسمه. وهذا ما يسمى بالمناعة السلبية (Passive Immunity).

فلو دخل فيروس الرشح (الزكام) مثلاً إلى أجسامنا، تصدت له الأجسام المضادة وحاصرته، وأعطت أوامرها إلى أجهزة الدفاع الأخرى بالتصدي لهذا المعتدي، فإذا بالكريات البيض والبالعات تنقض على هذا الجسم الغريب.

كان هذا الفريق الطبي من جامعة جون هوبكنز الأمريكية، برئاسة البروفسور روبرت يولكن ـ أستاذ ورئيس قسم أمراض الأطفال الانتانية في تلك الجامعة، يبحث عن أبقار لا تحتوي أجسامها على مضادات لفيروس الإسهال المسمى روتافيرُس Rotavirus فلاحظوا أن هذه المضادات كانت موجودة عند معظم الأبقار التي درسوها، وهذا يعني أن تلك الأبقار كانت قد أصيبت في وقت من الأوقات بهذا الفيروس، فشكلت له أجساماً مضادة.

وخطرت ببال الباحثين فكرة: إن كانت هذه الأجسام المضادة للفيروس موجودة في الدم، فلماذا لا تكون موجودة في حليب هذه الأبقار؟

ولو وجدت هذه المضادات في لبن البقر، فهل تقضي بَسْترة الحليب (تسخينه إلى حرارة 46° م للحصول على حليب مبستر) على هذه المضادات المفيدة؟

وانطلق هؤلاء يبحثون، فأخذوا الحليب من البقر فور الحصول عليه، وأخذوا الحليب من علب الحليب المبستر وأخرى من حليب معقم (تم تسخينه إلى درجة الغليان 100 م) وأخذوا أيضاً الحليب الاصطناعي الجاف.

ودرسوا وجود الأجسام المضادة لهذه الفيروس في كل هذه الأنواع من الحليب، فوجدوا أن الحليب الطازج غير المبستر أو المعقم غني جداً بهذه المضادات.

ولكن الذي فاجأ هؤلاء العلماء أن اللبن (الحليب) المبستر رغم تعرضه للحرارة ما زال يحتوي على 77% من هذه الأجسام المضادة. وهذا أمر عظيم معناه أننا نتناول هذه المضادات مع كل قطرة حليب نشربه من الحليب المبستر.

إلاَّ أن الحليب المعقم Sterilized الذي تم تسخينه لدرجة الغليان قد فقد كل هذه المضادات النافعة. وكذلك الأمر بالنسبة للحليب البودرة (مسحوق الحليب الجاف) فإن عملية تجفيفه وجعله على شكل مسحوق (بودرة) يزيل كل هذه المضادات المفيدة منه.

الحليب والتهاب المعدة والأمعاء:

من الملاحظ كثرة التهاب المعدة والأمعاء عند الأطفال، إلاَّ أن هذا المرض يمكن الوقاية منه إذا ما أعطينا أطفالنا حليباً كامل الدسم.

ولا بد هنا من أن نشير إلى أن أكاديمية الأطفال الأمريكية في تقريرها عام 1986 قد أكدت على ضرورة إعطاء الأطفال الصغار حمية غذائية حاوية على كمية مناسبة من الدسم، وعلى ضرورة تجنب استعمال منتجات الحليب القليلة الدسم في هذا السن، وذلك لأن الأطفال وخاصة تحت سن السادسة بحاجة إلى الدسم لمدِّهم بالطاقة الكافية اللازمة للنمو.

وفي دراسة أجريت على 1200 طفل في الولايات المتحدة (تراوحت أعمارهم بين السنة وال 16 سنة) تبيّن أن الأطفال الذين كانوا يتناولون الحليب قليل الدسم كانوا أكثر عرضة للإصابة بالتهاب المعدة والأمعاء بخمسة أضعاف من أولئك الذين كانوا يشربون حليباً كامل الدسم. ويلقي الدكتور كوبمان من جامعة ميتشيغان بالولايات المتحدة اللوم على الحليب القليل الدسم كمسبب لما لا يقل عن 14% من حالات التهاب المعدة والأمعاء. وأكثر الأطفال عرضة لهذا هم أولئك الذين هم في عمر السنة أو السنتين.

ويعتقد البعض أن الإسهال المزمن عند الأطفال الصغار الذين يشربون حليباً خالياً من الدسم يمكن شفاؤه بامتناعهم عن شرب هذا الحليب واستبدالهم بحليب كامل الدسم.

ولا يعرف العلماء بالضبط الآلية التي يمارسها الحليب في هذا المجال.

الحليب وتناذر الصدمة السمية: Toxic Shock Syndrome

تنجم حالة الصدمة السمية عن ذيفان سميّ تنتجه الجراثيم العنقودية. ويحدث هذا المرض عادةً عند النساء تحت سن الثلاثين اللواتي يستعملن الشاش ـ المدور (Tampon) أثناء فترة الطمث. إلاَّ أن المرض قد يحدث أيضاً عند الرجال والأطفال.

ويتميز المرض بحدوث ارتفاع مفاجئ في الحرارة مع طفح جلدي محمرّ واقياءات وإسهالات وآلام عضلية يتبعه انخفاض في ضغط الدم وحالة الصدمة.

ويستجيب المرض للعلاج بالمضادات الحيوية.

وقد استطاع الباحثون من جامعة ويسكونسين في الولايات المتحدة عام 1986 عزل مضادات أجسام لذيفان هذا المرض من 14 نوعاً من أنواع حليب البقر المبستر الذي اشتروه من مطاعم ومحلات مختلفة من ست ولايات أمريكية.

لبن البقر وجرثومة أخرى:

ماذا يفعل لبن البقر أمام جرثومة أخرى تسمى الإيشريشيا القولونية؟ E. Coli، تلك الجرثومة التي تسبب بشكل خاص إسهالات عند الأطفال وخصوصاً في العالم الثالث، كما أنها تسبب التهابات في الرئة والمجاري البولية والبريتوان (داخل جوف البطن). قام العلماء في جامعة روهر في ألمانيا الغربية بتلقيح البقر لكي تنتج مضادات أجسام لهذا النوع من الجراثيم، ثم أخذوا لبن تلك الأبقار (وقد امتلأ بمضادات الأجسام لهذه الجرثومة) وأعطوها لأطفال مصابين بالإسهالات. فكانت النتائج مشجعة للغاية، فقد شفي 84% من هؤلاء الأطفال(43 من أصل 51 طفلاً) ولم يعد هناك أثر للالتهاب خلال أسبوعين.

أما الأطفال الذين لم يعطوا هذا اللبن فقد زالت مظاهر الالتهاب عند طفل واحد فقط من أصل تسعة أطفال خلال المدة نفسها.

وهكذا يتجلى قول النبي ﷺ: «**عليكم بألبان البقر، فإنها ترُمُّ من الشجر، وهو شفاء من كل داء**».

قصة إنتاج الحليب:

حتى منتصف القرن التاسع عشر لم يكن هناك حليب خال من الجراثيم، ولم تكن

هناك في أوروبا قوانين تحظر بيع الحليب الذي لم تتوفر فيه الشروط الصحيحة. وكانت كميات الحليب المنتجة قليلة جداً. وكان البقر يصاب من حين لآخر بأوبئة مختلفة كطاعون المواشي ومرض الفم والقدم وغيرها.

وقد بيع الحليب لأول مرة في زجاجات في عام 1884، وفي عام 1894 اعتُمد غَلْي الحليب كوسيلة لتعقيمه إلاَّ أن الناس في بريطانيا لم يستسيغوا ذلك.

وقد مهدت تجارب لويس باستور في أواخر القرن التاسع عشر الطريق لإنتاج حليب صحي مبستر على نطاق واسع.

عملية تكوين الحليب:

1 ـ يتشكل الحليب من الماء والأغذية الموجودة في الأعشاب والأطعمة الأخرى التي تأكلها البقر وبعض هذه الأغذية تستعمل في بناء جسم البقر والباقي في إنتاج الحليب. وتستطيع البقرة الواحدة أن تأكل حتى 70 كلغ من الأعشاب في اليوم الواحد. وتختلف المواد الغذائية من الأعشاب حسب فصول السنة.

2 ـ تمرر زجاجات الحليب فوق شريط عبر أوعية كبيرة تحتوي على ماء ساخن، ثم تدخل غرفة البخار التي تبلغ درجة حرارتها 113م، وتبقى زجاجات الحليب هناك لمدة 15 ـ 40 دقيقة.

الحليب المعرّض لحرارة عالية: Ultra Heat Treated Milk (U.H.T)

قد تجد على علب الحليب تلك الأحرف الثلاثة. U.H.T وهذه ترمز إلى أن الحليب قد عُرض لدرجة حرارة تبلغ 132 مْ ولكن لمدة لا تزيد عن ثانية واحدة فقط. ثم يبرد الحليب بسرعة وبعدها يحفظ في تلك العلب (الكرتونية) التي تجدها في الأسواق.

وهذه الطريقة لا تؤثر على لون أو فوائد الحليب الغذائية، كما أنه يمكن خزنه لعدة أشهر بدرجة حرارة الغرفة ما لم تفتح علبة الحليب.

الحليب المجفف (مسحوق الحليب):

يحصل على الحليب المجفف بإزالة الماء منه، ويتم ذلك بأن يرش الحليب من خلال فوهة رفيعة جداً إلى غرفة يدور فيها الهواء الساخن، فيتبخر الماء بسرعة وتتساقط

قطرات الحليب إلى القاع على شكل مسحوق. ومعظم أنواع الحليب تحضر بهذه الطريقة.

ويجب التنبيه إلى أن الحليب المجفف الذي تبلغ نسبة الدهن فيه أقل من 6، 2 % يجب أن لا يعطى للرضّع.

الحليب المركز:

يمكن حفظ الحليب بإضافة السكر إليه وإزالة الماء منه. ويتم الحصول على الحليب المركز بتسخين الحليب المتجانس لحرارة تبلغ 80 مْ ولمدة 15 دقيقة. ثم يضاف إليه السكر ثم يسخن بوجود شافطة لكي يتبخر الماء منه حتى يصبح تركيز الحليب 5، 2، تركيزه الطبيعي.

الحليب المجمد:

يمكن أن يجمد الحليب المتجانس في أكياس من البولثين لمدة تصل إلى السنة، أما الحليب المبستر العادي فلا يصلح للتجميد حيث ينفصل عند إذابته.

يكثر الفيتامين (أ) في الأعشاب الصيفية، وحسب خصوبة التربة ونوع الأعشاب. وتختلف كمية ونوع الحليب حسب نوعية وكمية الغذاء المأخوذ، ونوع البقر وصحة البقر الجسدية. ومعظم الحليب تنتجه البقر بعد الولادة، ويتناقص إنتاج الحليب تدريجياً حتى يتوقف في الشهر العاشر. ويمكن أن تنتج البقرة الواحدة أكثر من 20 ليتراً من الحليب في اليوم الواحد.

إن الحليب المأخوذ من بقر سليم يحتوي على عدد قليل من الجراثيم، إلاَّ أن البقر قد يصاب ببعض الأمراض التي قد تنتقل إلى الإنسان مثل السل والحمى المالطية Brucellosis، ولهذا وجب تعريض الحليب للحرارة للقضاء على أية جراثيم ممرضة في الحليب.

بسترة الحليب:

اعتقد باستور أن الحليب يتغير طعمه ويصبح حامضاً نتيجة وجود الجراثيم. وقد وجد بالتجربة أن تسخين الحليب يؤخر عملية التحمض وأن ذلك يجعل الحليب أكثر سلامة بعد تحطيم الجراثيم المِمرضة. وتهدف بسترة الحليب إلى قتل هذه الجراثيم دون أن يفقد الحليب شيئاً من فوائده.

وهناك طريقتان لعملية البسترة:

الأولى: أن يسخن الحليب لحرارة لا تزيد على 27° م لمدة لا تقل عن 15 ثانية، ثم يبرد بسرعة إلى درجة لا تزيد عن 10 درجات مئوية.

الثانية: أن يسخن الحليب لدرجة حرارة تبلغ 46° م ولمدة نصف ساعة، ثم يبرد بسرعة كما في الطريقة الأولى. وهذه الطريقة أقل استعمالاً من الأولى.

ويجب التأكيد على أنه يجب تبريد الحليب بسرعة حتى لا يضيع شيء من فوائده الغذائية.

تعقيم الحليب:

تقتل عملية التعقيم الجراثيم الممرضة بطريقة أكمل من البسترة، ويمكن بذلك حفظ الحليب لعدة أسابيع ما لم تفتح العلبة أو القارورة. وتتم عملية التعقيم بعد تعبئته بزجاجات.

الكريم المجفف الصناعي المستخدم مع القهوة:

يتركب هذا الكريم من دهن نباتي مع محلول سكر الغلوكوز ومادة كازينات الصوديوم. وتجفف هذه المواد على شكل حبيبات وتضاف للقهوة.

أهمية الحليب كغذاء:

جاء في «كتاب الأطعمة والتغذية» طبعة 1989:

يعتبر الحليب أكثر غذاءٍ متكامل وجد على سطح الأرض، حيث إنه قد صمم ليكون غذاءً لكل مولود للحيوانات اللبونة (كالبقر والمعز والغنم) والإنسان، وبذلك فإنه يؤمن كميات كافية من الغذاء.

ومع ذلك فإن الحليب فقير بالفيتامين (سي) والحديد. إلاَّ أن الأطفال يولدون وفي أجسامهم كمية من الحديد والفيتامين (سي) تكفيهم لعدة أسابيع.

وما يثير العجب أن عناصر الحليب الغذائية تكون بحالة جاهزة للهضم، ولا يضيع منها أثناء الامتصاص في الأمعاء إلاَّ النزر القليل. والحليب ليس غذاء مفيداً للأطفال

تركيب الحليب:

البروتين: تمتاز البروتينات الموجودة في الحليب بأنها ذات حيوية عالية وأهم هذه البروتينات:

1) الكازينوجين Caseinogens

ويشكل حوالي 80% من بروتين الحليب. ويتحد في الحليب الطازج بالكالسيوم والفوسفور على شكل كازينات الكالسيوم. وإذا ما أضيف حمض إلى الحليب أو ترك الحليب ليتحمض تلقائياً بواسطة جرثومة حمض اللبن، فإن الجبنين تتخثر وينفصل عن الكالسيوم والفوسفور، وهذا ما يحدث أثناء صناعة الجبنة.

2) لاكتالبونين Lactalbunin

وهذه تشكل 8% من بروتين الحليب.

3) لاكتاغلوبولين Lactaglobulin

وتشكل 3، 5% من البروتين، وحين يسخن الحليب فإن هاتين المادتين (الأخيرتين) تتخثران لتشكلا طبقة القشدة على سطح الحليب.

الكربوهيدرات:

لا يحتوي الحليب إلاّ على نوع واحد من الكربوهيدرات وهو سكر اللاكتوز. ويحتوي حليب البقر على 5% من سكر اللاكتوز، بينما يحتوي حليب الأم على أكثر من 7% من هذا السكر. ويمتاز سكر اللاكتوز بأنه أقل حلاوة من السكر العادي الذي نتناوله في الطعام (سكر السكروز) وتقوم جراثيم حمض اللبن بتخمير سكر اللاكتوز إلى حمض اللبن مما يسبب في تحميض الحليب وتخثره.

الدهن:

يقتضي القانون البريطاني أن لا تنقص نسبة الدهن في الحليب عن 3%، فإن كمية الدهن في الحليب هي التي تحدد نوعية الحليب. ويتواجد الدهن على شكل قطيرات

أخف من الماء، ولهذا تطفو على سطح الحليب مشكلة طبقة من الكريمة (إلا إذا كان الحليب متجانساً) ودهن الحليب هو من النوع المشبع واللامشبع، وتختلف نسبتهما باختلاف غذاء البقر.

الفيتامينات في الحليب:

الفيتامينات المذابة في الدهون:

يحتوي الحليب على كمية صغيرة من الفيتامين (أ) وتختلف كمية هذا الفيتامين باختلاف الفصول، ففي الصيف وحين يتغذى البقر على حشائش وأعشاب طازجة، فإن الحليب يحتوي على كمية أكبر من الفيتامين(أ). والحليب الخالي من الدسم فقير بالفيتامين (أ). ويحتوي الحليب في فصل الصيف على كمية أكبر من الفيتامين (د) حيث يتعرض البقر لفترة أطول لضوء الشمس.

الفيتامينات المذابة في الماء:

يعتبر الحليب مصدراً هاماً للريبوفلافين (إلا أن هذا الفيتامين ـ وهو نوع من الفيتامين ب، يتخرب إذا ما ترك الحليب معرضاً لضوء الشمس). والحليب غني جداً بالفيتامين ب 1 (ثيامن) إلا أنه فقير بالفيتامين (سي).

المعادن في الحليب:

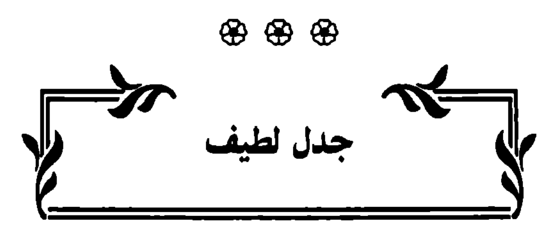
ما من شك في أن الحليب مصدر ممتاز جداً للكالسيوم، ويعتبر الحليب ومشتقاته أحد أهم مصادر هذا المعدن في الغذاء. والحليب أيضاً غني بالفوسفور، (وبدون الفوسفور والكالسيوم لا تتشكل العظام) وفيه كميات أقل من الصوديوم والكلور والبوتاسيوم، إلاَّ أنه فقير بالحديد.

كيف تؤثر الحرارة على القيمة الغذائية للحليب:

تؤدي بسترة الحليب إلى فقدان 10% من فيتامين ب 1 (ثيامين) و25% من الفيتامين (سي)، وأما الحليب المعرّض للحرَارة العالية لمدة ثانية واحدة فقط (U.H.T) والذي يمكن خزنه لعدة أشهر، فلا تزيد خسائره أبداً عن خسائر الحليب المبستر، فهو

إذن يحافظ على جودته كالحليب المبستر. إلاَّ أن تعقيم الحليب يؤدي إلى فقدان 20% من الفيتامين ب 1 وإلى فقدان 60% من الفيتامين (سي)، وأكثر ما تكون خسارة الفيتامينات هي في الحليب المجفف، حيث يفقد الحليب 40% من الفيتامين ب 1 و60% من الفيتامين (سي). (ش).

❁ ❁ ❁



جدل لطيف

- روى الإمام أحمد (1610).. والبخاري (1127).. ومسلم (775)، وغيرهم من حديث عليّ بن أبي طالب ﷺ؛ أن النبيّ ﷺ طَرَقَهُ وفَاطَمةَ، فقالَ: «أَلا تصلُّونَ»؟ فقُلت: يا رسُولَ الله، إنمَا أنفُسنَا بِيَدِ الله، فَإذَا شَاءَ أَن يَبعَثنَا بَعَثَنا!!! فَانصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ قُلتُ لَهُ ذلك. ثُمّ سَمعتُهُ وَهُو مُدبر يَضربُ فَخِذَهُ ويقُولُ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54]. لفظ مسلم.

ومعنى قوله: «طرقه وفاطمة» أي أتاهما في الليل، والطروق لا يكون إلاَّ ليلاً.

❁ ❁ ❁



آهات عاشق

لنا منك يا سلمى عذابٌ وتعذيب ... وجفنٌ قريحٌ دَمْعُه فيكِ مسكوبُ

ووعد كوعدِ الدهر يوشك بالغنى ... ولكنه باليمين والمَطلِ مقطوب

تجدّين لي هجراً وفعلكِ مازحٌ ... وتبدين لي زهداً ولي فيك ترغيبُ

وتبدي سُلَيمى بالصُّدودِ تأدّباً ... رويدك يا بالموت يا سلمُ تأديب[1]

❁ ❁ ❁

(1) الأبيات لمرشد بن علي بن المقلد بن نصر.

حذار من فتنة الأغيار

إن من أخطر ما يواجه المسلم في زماننا الحاضر، هو هذه الهجمة الشرسة على الإسلام، إعلامياً وفكرياً وعسكرياً، وبكل الوسائل المتاحة، لدى أعداء الله تعالى. ومما يؤسف له أن بعض المسلمين، أخذوا بالتحلل من دين الله تعالى، رويداً رويداً بحجة السير في ركب الحضارة الغربية المزيفة، والمخلة بالقيَم والأخلاق الفاضلة.

وقد حذر المولى جل وعلا من تولي غير المسلمين، أشد ما يكون التحذير، وتَوَعَّد على ذلك، عذابه الأليم، وعقابه الشديد.

فقال سبحانه وتعالى: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 51 ـ 57].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جُحر ضبٍّ لا تبعتموهم»** قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: **«فمن؟»**[1]

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم السَّاعة حتى تأخذ أمتي مآخذ الأمم والقرون قبلها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع»**، قالوا: يا رسول الله، كما فعلت فارس والرُّوم؟ قال: **«وهل الناس إلا أولئك؟»**[2] والمراد بالاتباع هنا، الموافقة في المعاصي والمخالفات، لا في الكفر ـ والله أعلم ـ. وقد وقع ما أخبر به النَّبي ﷺ

---

(1) رواه البخاري (3456) ومسلم (2669)، وغيرهما.

(2) رواه الإمام أحمد (8308) والبخاري (7319)، وغيرهما.

والله المستعان. وفي ذلك يقول فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ:

إن من الأسباب التي أدت إلى انهيار الأخلاق الإسلامية في هذا العصر الحاضر خطط أعداء الإسلام والمسلمين التي تنفذ وتنشر بصفة مباشرة وغير مباشرة في العالم الإسلامي.

فقد تبنت الماسونية[1] واليهودية مذهب فرويد الذي فسر كل شيء في سلوك الإنسان بالإباحة والانطلاق في طريق الغريزة الجنسية والشهوة واللذة.

---

(1) **الماسونية**: جمعية سرية يهودية يُسمونها ـ بالقوة الخفية ـ أسسوها بادئ الأمر ضد النصارى لتعمل على تحريف أناجيلهم، وإفساد عقائدهم وأفكارهم، وتشتت أمرهم بأنواع الخلاف والشقاق، ووسعوا دائرتها ليحيطوا الإسلام بأشراكها.
واليهودية العالمية تمد الجمعيات الماسونية برجال الفكر والدهاء والمكر، ويلبسون لكل عصر لبوسه الملائم، بل يلبسون لكل أمة وشعب وبلد لبوسها الملائم، بل يدخلون إلى كل رجل من مداخله وأذواقه الخاصة، حتى يستطيعوا فتنته.
وقد حصلت اعترافات كثيرة في أوقات متفرقة علماً بأن الماسونية أُوجدت لخدمة أهداف اليهود الشريرة، وتسهيل عملية استيلائهم على عقول القادة، وتحطيم نفوسهم وتحويلهم إلى عبيد يؤمنون بالماسونية وذلك لقوة انطلاء المكر الماسوني وشدة تأثيره على القلوب، بحيث كسبت أعظم وأكثر القادة من الشرق والغرب.
وتغلغلت الماسونية في الأُسَر المالكة والطبقات الحاكمة في أوروبا، ومن دار في فلكها في البلاد العربية. ولهم طرق في خداع الشعوب إذا لمسوا فيهم الإحساس بخطر الماسونية، أو الامتعاض من حكامها المتهمين بها، فإنهم يوعزون إليها بإغلاق أي مؤسسة افتضحت بالماسونية ليقيموا على أنقاضها مؤسسة تحمل اسماً آخر، وهي في الباطن عين الماسونية، ليبرئ المسؤول نفسه من وصمتها، ويكسب سمعة جديدة لخدمة اليهود.
وقد جاء في قرار المؤتمر الماسوني المنعقد عام 1900 ـ م ـ في باريس: إن غاية الماسونية تأسيس جمهوريات علمانية تتخذ الوصولية والنفعية أساساً للاتحاد الماسوني، ومن نتائجها القديمة:
تحريف الكتب المقدسة، والعبث بتفريق الأديان والجماعات، وإضرام نيران الحروب والعداوة بين الأمم.
ومن نتائجها في أول عهد الإسلام.
1 ـ عمل المؤامرات لقتل الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وأرضاهم.
2 ـ اختلاق الأكاذيب على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه.
3 ـ تزوير المكاتيب، وقلب الحقائق حتى جرى ما جرى لسيدنا عثمان رضي الله عنه.

وآراء كارل ماركس الذي دعا إلى إلغاء الأديان السماوية وهاجم عقيدة الألوهية، ونادى إلى المسرح كبديل عنها، قائلاً: اشغلوهم عن عقيدة الألوهية بالمسرح.

ولبّوا آراء نيتشه الذي ألغى الأخلاق وأباح لكل أحد أن يفعل ما تميله إليه ميوله من كل ما يؤدي إلى استمتاعه، فهؤلاء يجتهدون دائماً لتنهار الأخلاق في كل مكان بجميع الطرق والوسائل، وقد قالوا في «بروتوكولاتهم»: يجب علينا أن نكسب المرأة المسلمة، فأي يوم مدت إلينا يدها نفوز بالحرام، وتتبدد جيوش المنتصرين للدين.

= 4 ـ العبث بعقول الأحزاب حتى أنشؤوا فيهم الخوارج والنواصب.
5 ـ نشر التجهم بفروعه المختلفة من جهمية، ومعتزلة، وقدرية وغيرهم، هذا إلى جانب القرامطة والباطنية في نواح أخرى.
6 ـ أكاذيبهم على الأمويين، والتعاون مع الأعاجم على الإطاحة بهم حتى تسنى لهم ترويج هذه المذاهب.
7 ـ العمل على إضرام نيران الحروب المفترية والصليبية، وإبراز من يخدمها، ويمهد للغزاة سبيل الفتك، كالنصير الطوسي وابن العلقمي، وغيرهما على نصارى الشرق، وإثارة النعرة فيهم ليتعاونوا مع إخوانهم الغزاة، ضد المسلمين، ويتجسسوا لهم، ويدلوهم على كل طريق، كما قرره قادة الغزو في ثنائهم على نصارى العرب.

ـ رأي المجمع الفقهي الإسلامي ـ المنعقد بمكة المكرمة ـ بالماسونية:

1 ـ إن الماسونية ذات أهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغيرات الخطيرة أصابع ظاهرة وخفية وإنّها ـ في أصلها ـ تنظيماً يهودياً سرياً وصهيوني النشاط.

كما أنها في أهدافها السرية الحقيقية ضد الأديان جميعاً لتهديمها بصورة عامة وهدم الإسلام في نفوس أبنائه بصورة خاصة.

2 ـ وقد تبين للمجمع الفقهي بصورة واضحة: العلامة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية، وبذلك استطاعت أن تسيطر على أنشطة كثيرة من المسؤولين في البلاد العربية وغيرها في موضوع قضية فلسطين وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية.

(المراجع: كتاب «الأجوبة المفيدة» للشيخ عبد الرحمن الدوسري، بتصرف يسير. وانظر أخي الكريم:

كتاب «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة في الإسلام» وكتابنا «جامع المهلكات من الكبائر والمحرمات».

ـ جريدة العالم الإسلامي ـ الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي ـ بمكة المكرمة ـ العدد (1376) الاثنين 26 ربيع الآخر ـ 1415 ـ الموافق ـ 3 أكتوبر/تشرين الأول ـ 1994.

وتبنوا آراء داروين الخبيثة الذي أعلن نظرية التطور المرفوضة وقالوا إن فرويد منا ـ نحن اليهود ـ وسيظل دومًا يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر وشغله الشاغل إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق..

وقال زويمر أحد القساوس المبشرين في مؤتمر المبشرين في القدس ما يلي: إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله.. وبالتالي جاء النشء طبقاً لما أراد له الاستعمار، فلا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، فلا يصرف همه في الدنيا إلاَّ في الشهوات فإن تعلم فللشهوات، وإن جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراتب والمراكز ففي سبيل الشهوات.

وقال أحد أقطاب المستعمرين كأس وغانية تعملان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرِقوها في حب المادة والشهوات...

ونقل الأستاذ محمود العقاد في كتابه «الإسلام والشيوعية» عن وثيقة من الوثائق الشيوعية ما خلاصته: نجحنا في المجتمعات الدينية في تعميم ما يهدم الدين، من القصص، والمسرحيات والمحاضرات، والصحف والمجلات، والمؤلفات التي تدعو وتروج الإلحاد وتهزأ بالدين ورجاله، وتدعو للعلم وحده، وتجعله الإله المسيطر.

وهذا نزر قليل من مخططات أعداء الإسلام، اتخذوها لهدم حصون الإسلام والمسلمين ويتسللوها إليهم ويغيروا كل ما لديهم من خلق ودين وعقيدة. وها قد نالوا مرادهم من كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام.

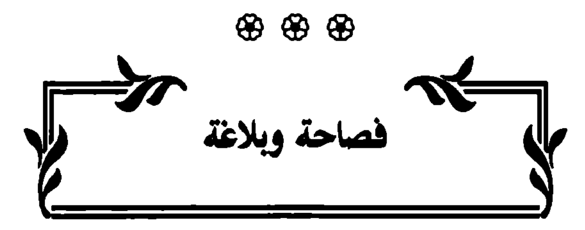
وقد اتضح لنا من هذا القليل الذي نقلناه منهم أن كلاً من اليهودية والماسونية والشيوعية، والصليبية، والمستعمرين وقوى الشر كلها متعاونون ومتساندون على إفساد الأمة إلى عن طريق الخمر والمسرح والأغاني الماجنة، والتبرج الخليع، والاختلاط الفاحش، وترويج القصص الغرامية، والأفلام الوقحة، والصُور العارية، على صورة ترويج بعض البضائع، أو على صورة التجمل والتزين والصحف والمجلات، وقد وصلوا بعض مراميهم من شبابنا بهذه الوسائل..

فعلى المسلمين أن يتنبهوا إلى ذلك. وأن ينتهوا عن هذا التقليد الأعمى لهؤلاء المضلين، من الناحية الخلقية والسلوكية.. كالاختلاط بين الجنسين والتبرج الجاهلي والخمر والغناء،... وكممارسة الملاهي المحرمة من كل ما يصد عن ذكر الله، أو يغري

بينهم البغضاء، أو يثير الغريزة الجنسية أو يميت الغيرة.. وأن يتميزوا عن غيرهم في العقيدة والعبادة والسلوك، وأن يغيروا ما بهم من الميوعة والخلاعة والانحلال، لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن يزيلوا هذا الجهل المطبق.

وفي الحديث الشريف قولة ﷺ: «**لا يكن أحدكم إمعة يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطّنوا أنفسكم: إنْ أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم..**» رواه الترمذي.

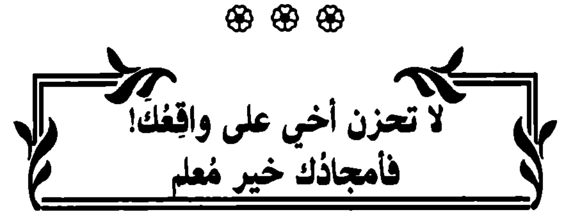
❀ ❀ ❀



فصاحة وبلاغة

الحمد لله الذي لانت لهيبته العتاة الشُّرُس، وذلّت لسطوته الطغاةُ الجُبُس، ونفذ حكمُه فبحكمته المآتم والعُرس، ولم يدفع قضاءَهُ درعٌ ولا تُرس، يُرى في الجنة كما روى وكيع بن عرس، متكلم وقد جلّ عن صفات الخُرس، كلامه مسموع بالأسماع مكتوب في الطرس، تعالى عمَّا يعتقده فيه الغواة النُجس، أنزله على رسله الكرام الفضلاء النُّدس، منهم من كلّم الله ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: 253]. (ج).

❀ ❀ ❀



لا تحزن أخي على واقِعُك! فأمجادُك خير مُعلم

لقد أثنى الله تعالى على المهاجرين والأنصار، بسبب ما كانوا عليه من تعاضد ومحبة وتعاون وإيثار في الله تعالى، وفي سبيل مرضاته. قال جل وعلا ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 8 ـ 9].

لقد تآخى المهاجرون والأنصار مؤاخاة لم يسبق لها مثيل فيمن مضى، ولن يكون

مثلها إلى يوم الدين. ذلك أن الذي رعى تلك المؤاخاة وحث عليها وباركها، هو رسول الله ﷺ، حتى جعلهم هذا الأمر، يبذلون أغلى ما عندهم في سبيل إرضاء بعضهم بعضاً. قال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ:

قالت المهاجرون: يا رسولَ الله، ما رَأَينا مِثْلَ قوم قَدِمْنا عليهم أحسنَ بَذْلاً مِن كثيرٍ، ولا أحسنَ مُوَاساةً في قليلٍ، قد كَفَوْنا المُؤْنَةَ، وأَشْرَكُونا في المَهْنَأ، فقد خَشيا أن يَذْهَبُوا بالأَجْرِ كُلّه. قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «كلاَّ ما أثْنَيْتُم عَليهِم به، ودَعَوْتُم اللهَ لهم»[1].

قال أنس: ولمَّا قَدِمَ عبدُ الرحمن بن عَوْفٍ مُهاجراً، آخَى النبيُّ ﷺ بينه وبين سَعدِ بن الرَّبيعِ، فقال له سعدٌ: لي مالٌ، فنِصْفُه لك، وليَ امرأتانِ، فانظُرْ أَحبَّهما إليك حتى أُطَلِّقَها، فإذا انْقَضَت عِدَّتُها تَزَوَّجْتَها. قال: فقال له عبدُ الرحمن: بارَكَ الله لكَ في أَهلِك، ومالِك، دُلُوني على السُّوقِ. قال: فما رَجَعَ يومئذٍ حتّى رَجَعَ بشيءٍ قد أصابَه مِن السُّوقِ.

قال: وفَقَدَه رسولُ الله ﷺ أيّاماً، ثمّ أتاه وعليه وَضَرُ صُفْرَةٍ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «مَهْيَمْ؟» قال: تزوّجتُ امرأةً من الأنصارِ. قال: «ما سُقْتَ إليها؟» قال: نَواةً مِن ذَهَبٍ ـ أو قال: وَزْنَ نواةٍ مِن ذَهَبٍ ـ. قال: فقال رسول الله ﷺ: «أَوْلِمْ ولو بشاةٍ»[2].

قال ابن الجوزي: لا عيش في الدنيا إلاَّ للقنوع باليسير، فإنه كلما زاد الحرص على فضول العيش زاد الهم وتشتت القلب، واستعبد العبد. وأما القنوع فلا يحتاج إلى مخالطة من فوقه، ولا يبالي بمن هو مثله، إذ عنده ما عنده. وإن أقواماً لم يقنعوا وطلبوا لذيذ العيش فأزروا بدينهم وذلوا لغيرهم، وخصوصاً أرباب العلم فإنهم ترددوا إلى الأمراء فاستعبدوهم ورأوا المنكرات، فلم يقدروا على إنكارها، وربما مدحوا الظالم اتقاء لشره. فالذي نالهم من الذل وقلة الدين أضعاف ما نالوا من الدنيا.

ومن أقبح الناس حالاً من تعرض للقضاء والشهادة، ولقد كانتا مرتبتين حسنتين.

---

(1) رواه الإمام أحمد (13122) وابن أبي شيبة (9/ 18)، وغيرهما، بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

(2) رواه الإمام أحمد (13123) وأبو يعلى (3781) والبيهقي (7/ 236/ 237) وغيرهم، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

وكان عبد الحميد القاضي لا يحابى، فبعث إلى المعتضد وقال له: قد استأجرت وقوفاً فأدِّ أجرتها، ففعل.

وقال له المعتضد: قد مات فلان ولنا عليه مال، فقال: أنت تذكر لما ولّيتني قلت لي: قد أخرجت هذا الأمر من عنقي ووضعته في عنقك، ولا أقبل هذا الذي تقول إلاَّ بشاهدين. وكذلك كان الشهود، دخل جماعة على بعض الخلفاء فقال الخادم: اشهدوا على مولانا بكذا، فشهدوا، فتقدم المجزوعي إلى الستر فقال: يا أمير المؤمنين، أشهد عليك بما في هذا الكتاب، فقال: اشهد. قال: إنه لا يكفي في ذلك، لا أشهد حتى تقول نعم، قال: نعم. فأما في زماننا فتغيرت تلك القواعد من الكل، خصوصاً من يتقرب إليه بالمال ليستشهد فتراه يسحب ليشهد على ما لا يرى.

قال لي أبو المعالي بن شافع: كنت أحمل إلى بعض أهل السواد، وهو محبوس وأشهد عليه. وأنا أستغفر الله من ذلك. وليس للشهود جراية فيحملون ذلك لأجلها، وإنما الذي يحصل جر الطيلسان، وطرق الباب، وقول المعرف: حرس الله نعمتك شهادة. ولما قيل لإبراهيم النخعي: تكون قاضياً، لبس قميصاً أحمر وجلس في السوق. فقالوا: هذا لا يصلح. ودخل بعض الكبار على الرشيد ـ وقد أحضره ليوليه القضاء ـ فسلم وقال له: كيف أنت وكيف الصبيان؟ فقيل: هذا مجنون، فيالله جنون هو العقل. وما أظن الإيمان بالآخرة إلاَّ متزلزلاً في أكثر القلوب. نسأل الله سبحانه سلامة للدِّين، فإنه قادر.



فصاحة وبلاغة

سبحانك نوّعت المخلوقات وجَنَّسْتَ، وتعاليت عن نظير ووزير وتقدَّست، احرُسْ عقائدنا عن الزيغ كمن قد حرست، ثم تمارا إيماننا فأنت الذي غرست، آنس قلوبنا بالإيمان ولا توحش من آنست، ورفعتنا بالإقرار بالقرآن وكم قد وكست، أتقول ألسنة الجاهلية إنه شعر لو شئت لأخرست، أتدّعي يا مسيلمةُ[1] قولَ مثله أفلستَ فلست، أتعارض ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ [النازعات ـ 1] بالآكلات أكْلاً أنْحَسْت، أتدّعي يا بِدَعيّ أنه مخلوق مَرْك جُسْت[2]، ما لنبينا معجز كالقرآن ثم تمحوه نِيكَسْت[3]، ما يسلم من يدي قَدَحُ البدَعيّ في نَيْ بشْكست[4]، يا لها من كلمات كالنبال الصائبَات «﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ﴾ [الأنعام ـ 105]. (ج)



الإعجاز النبوي في الإفطار على التمر

«إذا فطر أحدكم فليفطر على تمر، فإن لم يجد فليفطر على الماء فإنه طهور»[5].

قولٌ قاله رسول الله ليرشد أمته لما فيه مصلحتها، ومنفعتها الطبية والصحية.

فالتمر يحتوي على 20,8% ماء، و4,4% بروتين، و65,7% سكريات، 5، 5% سيلليوز ـ ألياف ـ.

---

(1) مُسيلمة: هو مسيلمة الكذاب الذي ادّعى النبوة أيام الردة.

(2) مرك جست: لفظة فارسية معناها: قابل للغناء.

(3) لفظة فارسية معناها: أيَحْسُنُ هذا؟.

(4) لفظة فارسية معناها: سينكسر.

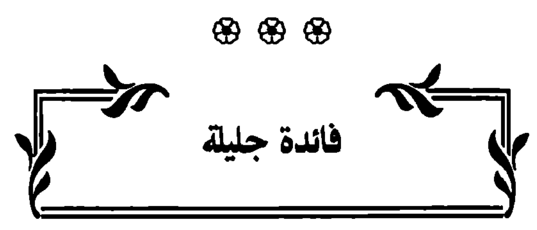
(5) رواه الإمام أحمد (16225) وغيره من حديث سلمان بن عامر الضبي ـ رضي الله عنه ـ.

قصة إسلام
ضمام بن ثعلبة وحلم النبي ﷺ

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم ـ 4] صلى الله تعالى عليك يا سيد البشر، يا من أوتيت خلقاً، لم يكن لغيرك من الأولين، ولن يكون كذلك للآخرين. وصدّق من سمّاك ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

ففي مسند الإمام أحمد (12719) و«صحيح البخاري» (63) و«سنن أبي داود» (486)، وغيرهم من طريق شريك بن عبدالله بن أبي نمير؛ أنه سمع أَنَسَ بن مالكٍ يقول: بينما نحنُ مع رسول الله ﷺ جُلوساً في المسجد، دخَلَ رجل على جَمَلٍ، فأناخه في المسجدِ، فعَقَلَه، ثم قال: أَيكُّم محمدٌ رسولُ الله؟ ورسولُ الله ﷺ مُتكِئٌ بين ظَهْرانَيْهِم، قال: فقلنا: هذا الرجلُ الأبيضُ المتكئُ، فقال الرجلُ: يا ابنَ عبدِ المُطّلب. فقال له رسولُ الله ﷺ: «**قد أَجَبْتُكَ**» فقال الرجلُ: إني يا مُحَمَّدُ، سائِلُك، فمُشَدِّدٌ عليك في المسألةِ، فلا تَجِدْ عليَّ في نَفْسِك. فقال: «**سَلْ ما بَدَا لَك**» فقال الرجل: نَشَدْتُك بربِّك وربِّ مَن كان قَبْلَك، أَاللهُ أرسَلَكَ إلى الناس كُلِّهم؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**» قال: فأَنْشُدُكَ الله، أَاللهُ أَمَرَك أن نُصَلِّيَ الصلواتِ الخَمْسَ في اليومِ والليلةِ؟ قال: «**اللهُمَّ نَعَمْ**» قال: فأَنْشُدُكَ الله، أَالله أَمَرَك أَنْ نصومَ هذا الشهرَ مِن السَّنَةِ؟ قال رسول الله ﷺ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**» قال: أَنْشُدُكَ الله، أَاللهُ أَمَرَكَ أن تأخُذَ هذه الصدقةَ مِن أَغْنيائِنا فتَقْسِمَها على فُقَرائِنا؟ قال رسول الله ﷺ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**» قال الرجلُ: آمَنْتُ بما جِئْتَ به، وأَنا رسولُ مَن وَرائِي مِن قَوْمي. قال: وأنا ضِمامُ بن ثَعْلبَةَ، أخو بَني سَعْد بن بكرٍ. لفظ أحمد.

❀ ❀ ❀



في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: 15].

أخبر سبحانه أنه جعل الأرض ذلولاً منقادة للوطء عليها، وحفرها، وشقِّها، والبناء عليها؛ ولم يجعلها مستصعبة ممتنعة على مَن أراد ذلك منها.

وأخبر سبحانه أنه جعلها مِهاداً، وفراشاً، وبساطاً، وقراراً، وكفاتاً.

وأخبر أنه دَحاها[1]، وطَحاها[2]، وأخرج منها ماءَها ومرعاها، وثبّتها بالجبال، ونهج فيها الفجاج[3] والطرق، وأجرى فيها الأنهار والعيون، وبارك فيها وقدَّر فيها أقواتها.

ومن بركتها أن الحيوانات كلها وأرزاقها وأقواتها تخرج منها.

ومن بركتها أنك تودع فيها الحب فتخرجه لك أضعاف أضعاف ما كان.

ومن بركتها أنها تحمل الأذى على ظهرها، وتخرج لك من بطنها أحسن الأشياء وأنفعها؛ فتواري منه كل قبيح، وتخرج له كل مليح.

ومن بركتها أنها تستر قبائح العبد، وفضلات بدنه، وتواريها، وتضمّه، وتؤويه، وتخرج له طعامه وشرابه؛ فهي أحمل شيء للأذى، وأعوده بالنفع؛ فلا كان من التراب خير منه وأبعد من الأذى وأقرب إلى الخير.

والمقصود: أنه سبحانه جعل لنا الأرض كالجمل الذلول الذي كيفما يُقاد ينقاد.

وحَسُنَ التعبير بمناكبها عن طرقها وفجاجها لما تقدم من وصفها بكونها ذلولاً؛ فالماشي عليها يطأ على مناكبها وهو أعلى شيء فيها؛ ولهذا فُسِّرت المناكب بالجبال كمناكب الإنسان وهي أعاليه. قالوا: وذلك تنبيه على أن المشي في سهولها أيسر. وقالت طائفة: بل المناكب الجوانب والنواحي، ومنه مناكب الإنسان لجوانبه.

والذي يظهر أن المراد بالمناكب الأعالي. وهذا الوجه الذي يمشي عليه الحيوان هو العالي من الأرض دون الوجه المقابل له؛ فإن سطح الكرة أعلاها، والمشي إنما يقع في سطحها، وحسن التعبير عنه بالمناكب لما تقدم من وصفها بأنها ذلول.

ثم أمرهم أن يأكلوا من رزقه الذي أودعه فيها؛ فذلّلها لهم، ووطّأها، وفتق فيها السُّبُل والطرق التي يمشون فيها، وأودعها رزقهم؛ فذكر تهيئة المسكن للانتفاع والتقلب فيه بالذهاب والمجيء والأكل مما أودع فيه للساكن. ثم نبّه بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ على

---

(1) دحاها: بسطها ومهّدها.

(2) طحاها: بمعنى دحاها.

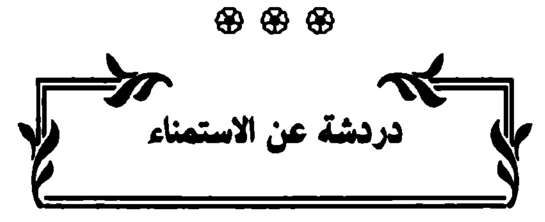
(3) الفجاج: الطرق الواسعة.

أنّا في هذا المسكن غير مستوطنين ولا مقيمين، بل دخلناه عابري سبيل، فلا يحسن أن نتخذه وطناً ومستقرّاً، وإنَّما دخلناه لنتزوّد منه إلى دار القرار؛ فهو منزل عبور لا مستقرّ حبور[1]، ومعبر وممرّ لا وطن ومُستقَرّ.

فتضمّنت الآية الدلالة على ربوبيته، ووحدانيته، وقدرته، وحكمته، ولطفه، والتذكير بنِعَمِهِ وإحسانه، والتحذير من الركون إلى الدنيا واتخاذها وطناً ومستقرّاً، بل نسرع فيها السير إلى داره وجنته.

فللّه ما في ضمن هذه الآية من معرفته، وتوحيده، والتذكير بنعَمِه، والحثّ على السير إليه والاستعداد للقائه والقدوم عليه، وإعلام بأنه سبحانه يطوي هذه الدار كأن لم تكن، وأنه يحيي أهلها بعدما أماتهم وإليه النشور. (ق)

❁ ❁ ❁



دردشة عن الاستمناء

روى البيهقي في «سننه» (7/ 199)، نقلاً عن الإمام الشافعي رحمه الله، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: 5 ـ 7]، قال الشافعي: فلا يحل العمل بالذَّكرِ إلا في زوجة، أو ملك يمين: فلا يحل الاستمناء، والله أعلم.

وروى أيضاً (7/ 199)، بإسناده، عن مسلم البطين، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه سُئِلَ عن الخضخضة؟

قال: نكاح الأَمَةُ خير منه، وهو خير من الزنا[2]

قال ابن الأثير رحمه الله: الخضخضة: الاستمناء، وهو استنزال المني في غير الفرج. وأصل الخضخضة: التحريك.

وروى أيضاً (7/ 199)، بإسناده من طريق أبي الزبير عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن

---

(1) الحبور: السرور.

(2) وأخرجه عبد الرزاق (7/ 3590) والبغوي في «شرح السنة» (9/ 107).

غلاماً أتاه، فجعل القوم يقومون، والغلام جالس! فقال له بعض القوم: قم يا غلام!

فقال ابن عباس: دعوه، شيء ما أجلسه.

فلما خلا، قال: يا ابن عباس، إني غلام شاب، أجد غلمة ـ أي: شهوة ـ شديدة، فأدلُك ذَكَري حتى أُنزل.

فقال ابن عباس: خير من الزنا، ونكاح الأَمَة خير منه[1].

وروى عبد الرزاق في «مصنفه» (13587)، بإسناده عن مُجاهد، قال: سُئِلَ ابن عمر رضي الله عنهما، عن الاستمناء، فَقَالَ: ذلِكَ نَائِكٌ نَفْسَهُ.

قال بعض الأطباء: يقوم الاستمناء مقام الجماع في بعض الظروف، غير أنه لا يؤدي إلى اللذة الجنسية الحقيقة. وعلينا أن لا ننسى أن الجماع هو حدث هام، إذ يعتبره الإنسان المتدين كاتحاد كلي يستسلم فيه كائنان لبعضهما، ويتبادلان المتعة طيلة فترة معينة. فالجماع هو تقدمة الذات، وهذه التقدمة تنشط وتطهر وتشرف فاعلها.

وليست الأجهزة التناسلية وحدها التي تأخذ نصيبها من المقارنة الجنسية، بل الجسم بكامله، والنَّفسُ أيضاً تكسب نصيبها من المقاربة الجنسية، بل الجسم بكامله. وبعكس ذلك، فالاستمناء هو حدث غير هام، لأنه يجري في الوحدة، ولا يمكن اعتباره غير هياج للأعضاء التناسلية كي تفرغ محتوياتها. ومن يُفضل الاستمناء على المقاربة الجنسية، يشبه شخصاً يُؤثر على كرمه عناقيد عنب صناعية أو مرسومة.

قال: وكلما تملكت الشهوة المستمني، كلما تناسى ضلاله، حتى تعود إليه إحساساته فيفتح عينيه فوراً، ويشعر بمرارة الوحدة وفي النهاية يقلِّبه الاستمناء في ألم مُمض. فهذا الألم الوحشي، وتلك الشراسة، ووخز الضمير، وفقدان الفرح، وعدم القدرة على العمل، مع ضيق الصدر، وسيطرة السوداء على سلوكه، كلها أضرار ناجمة عن الاستمناء.



---

(1) وأخرجه عبد الرازق في «وصفه» (7/13588).

ترك الأوامر أعظم من ارتكاب المناهي

قال سهل بن عبد الله[1]: ترك الأمر عند الله أعظم من ارتكاب النهي؛ لأن آدم نُهي عن أكل الشجرة فأكل منها فتاب عليه، وإبليس أُمِرَ أن يسجد لآدم فلم يسجد فلم يتب عليه.

قلت: هذه مسألة عظيمة لها شأن، وهي أن ترك الأوامر أعظم عند الله من ارتكاب المناهي، وذلك من وجوه عديدة:

أحدها: ما ذكره سهل من شأن آدم وعدو الله إبليس.

الثاني: أن ذنب ارتكاب النهي مصدره في الغالب الشهوة والحاجة، وذنب ترك الأمر مصدره في الغالب الكبر والعزة، ولا يدخل الجنة مَن في قلبه مثقال ذرّة من كبر، ويدخلها مَن مات على التوحيد وإن زنى وسرق.

الثالث: أن فعل المأمور أحَبّ إلى الله من ترك المنهي، كما دلَّت على ذلك النصوص كقوله ﷺ: «**أحَبُّ الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها**»[2]، وقوله: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله**»[3]، وقوله: «**واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة**»[4]، وغير ذلك من النصوص.

وتَركُ المناهي عمل، فإنه كفّ النفس عن الفعل، ولهذا علق سبحانه المحبة بفعل الأوامر كقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ [الصف: 4].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134].

وقوله: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146].

---

(1) هو أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، له كتاب «تفسير القرآن» (ت 283 هـ.).

(2) متفق عليه.

(3) رواه الإمام أحمد وأهل السنن بإسناد جيد.

(4) رواه أحمد وغيره بإسناد قوي.

وأما في جانب المناهي، فكثر ما جاء النفي للمحبة كقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: 205].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 23].

وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190].

وقوله: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: 148].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36]. ونظائره.

وأخبر في موضع آخر أنه يكرهها ويسخطها، كقوله:

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: 38].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: 28].

إذا عُرِفَ هذا ففِعلُ ما يحبه سبحانه مقصود بالذات. ولهذا يقدِّرُ ما يكرهه ويسخطه لإفضائه إلى ما يحب، كما قدّر المعاصي والكفر والفسوق؛ لما ترتب على تقديرها مما يحبه من لوازمها من الجهاد، واتخاذ الشهداء، وحصول التوبة من العبد والتضرُّع إليه والاستكانة، وإظهار عدله وعفوه وانتقامه وعزِّه، وحصول الموالاة والمعاداة لأجله، وغير ذلك من الآثار التي وجودُها بسبب تقديره ما يكره أحب إليه من ارتفاعها بارتفاع أسبابها. وهو سبحانه لا يقدِّر ما يحب لإفضائه إلى حصول ما يكرهه ويُسخِطه، كما يقدِّر ما يكرهه لإفضائه إلى ما يحبه؛ فعلم أن فعل ما يحبه أحب إليه مما يكرهه. (ق) مختصراً.

❀ ❀ ❀

خاطبوا الناس على قدر عقولهم

عقول الناس متفاوتة، ومفاهيمهم متضاربة، وأرائهم مختلفة، ومخاطبتهم يجب أن تكون بحكمة ودراية، وخاصة في الأمور العقائدية، لئلا يشكل فهمها على بعض العامة، فتسبب لهم وساوس يصعب التخلص منها بسهولة. وفي ذلك يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ:

من أضر الأشياء على العوام كلام المتأوِّلين، والنفاة للصفات والإضافات. فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالغوا في الإثبات ليتقرر في أنفس العوام وجود الخالق؛

فإن النفوس تأنس بالإثبات. فإذا سمع العامي ما يوجب النفي طرد عن قلبه الإثبات، فكان أعظم ضرر عليه، وكان هذا المنزه من العلماء على زعمه، مقاوماً لإثبات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالمحو، وشارعاً في إبطال ما يفتون به. وبيان هذا أن الله تعالى أخبر باستوائه على العرش، فأنست النفوس إلى إثبات الإله ووجوده، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: 27] وقال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64] وقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: 6] ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المجادلة: 22] وأخبر الرسول ﷺ أنه ينزل إلى السماء الدنيا[1]، وقال «**قلوب العباد بين أصبعين**»[2]، وقال: «**كتب التوراة بيده**»[3]، و«**كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش**»[4]، إلى غير ذلك مما يطول ذكره. فإذا امتلأ العامي والصبي من الإثبات، وكاد يأنس من الأوصاف بما يفهمه الحس، قيل له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11] فمحا من قلبه ما نقشه الخيال، وتبقى ألفاظ الإثبات متمكنة.

ولهذا أقر الشارع مثل هذا، فسمع منشداً يقول: وفوق العرش رب العالمينا، فضحك وقال له آخر: أو يضحك ربنا؟ فقال: نعم، قال: إنه على عرشه هكذا. كل هذا ليقرر الإثبات في النفوس، وأكثر الخلق لا يعرفون الإثبات إلا على ما يعلمون من الشاهد، فيقنع منهم بذلك إلى أن يفهموا التنزيه.

---

(1) رواه البخاري (1145) ومسلم (758)، وغيرها من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حتى يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له**» لفظ مسلم.

(2) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (24604) والنسائي في «الكبرى» (7737)، وغيرهما، وهو حديث صحيح لغيره من طرائق الحسن البصري، أن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: دعواتٌ كان رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ يَدعُو بها: «**يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ**»، قالت: فقلتُ: يا رسولَ الله، إنَّك تُكثِرُ تَدْعُو بهذا الدُّعاء؟ فقال: «**إنَّ قَلْبَ الآدَمِيِّ بين أُصْبُعَيْنِ مِنْ أصابع الله عَزَّ وجَلَّ، فإذا شاءَ أزاغهُ، وإذا شاء أقامَهُ**».

(3) **هو حديث حجاج آدم وموسى عليهما السلام، أخرجه البخاري في «القدر»، (6614)، وفي غير موضع، ومسلم (2652)، وفيه: «وخط لك التوراة بيده».**

(4) أخرجه البخاري في «بدء الخلق»، (3194)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم (2751)، ولفظه: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي**».

فأما العالِم فإنا قد أَمِنَّاه لأنه لا يخفى عليه استحالة تجدد صفة الله تعالى، وأنه لا يجوز أن يكون استوى كما يُعلم، ولا يجوز أن يكون محمولاً، ولا أن يوصف بملاصقة ومسّ، ولا أن ينتقل. ولا يخفى عليه أن المراد بتقليب القلوب بين أصبعين: الإعلام بالتحكم في القلوب فإن ما يدبره الإنسان بين أصبعين هو متحكم فيه إلى الغاية. ولا يحتاج إلى تأويل من قال: الأصبع: الأثر الحسن، فالقلوب بين أثرين من آثار الربوبية، وهما: الإقامة، والإزاغة. ولا إلى تأويل من قال: يداه: نعمتاه، لأنه إذا فهم أن المقصود الإثبات. وقد حدثنا بما نعقل. وضربت لنا الأمثال بما نعلم، وقد ثبت عندنا بالأصل المقطوع به أنه لا يجوز عليه ما يعرفه الحس علمنا المقصود بذكر ذلك. وأصلح ما نقول للعوام: أَمِرُّوا هذه الأشياء كما جاءت، ولا تتعرضوا لتأويلها، وكل ذلك يقصد به حفظ الإثبات وهذا الذي قصده السلف. وكان أحمد يمنع من أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق كل ذلك ليحمل على الاتباع، وتبقى ألفاظ الإثبات على حالها. وأجهل الناس من جاء إلى ما قصد النبي ﷺ تعظيمه، فأضعف في النفوس قوى التعظيم.

قال النبي ﷺ: **«لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو»**[1] يشير إلى المصحف ومنع الشافعي أن يحمله المحدث بعلّاقته[2] تعظيماً له.

فإذا جاء متحذلق فقال: الكلام صفة قائمة بذات المتكلم، فمعنى قوله هذا أن ما ههنا شيء يحترم، فهذا قد ضاد بما أتى به مقصود الشرع. وينبغي أن يفهم أوضاع الشرع ومقاصد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد منعوا من كشف ما قد قنَّع الشرع، فنهى رسول الله ﷺ عن الكلام في القدر ونهى عن الاختلاف، لأن المجادلات في هذه الأشياء تخرج إلى ما يؤذي. ولا شك أن الباحث عن القدر إذا بلغ فهمه إلى أن يقول: قضى وعاقب، تزلزل إيمانه بالعدل. وإن قال: لم يقدر ولم يقض تزلزل إيمانه بالقدرة، والملك، فكان الأولى ترك الخوض في هذه الأشياء.

---

(1) رواه الإمام مالك في «موطنه» (979) والإمام أحمد (4507) والبخاري (2990) ومسلم (1869)، وغيرهم من حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ وقد جاء في لفظ عند مسلم (1869/ 94) بلفظ: **«لا تسافروا بالقرآن، فإني لا آمن أن يناله العدو»** قال أيوب (وهو أحد رواة الحديث): فقد ناله العدو وخاصموكم به.

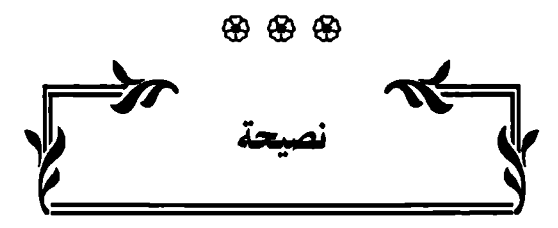
(2) العلاّقة ـ بالتشديد ـ ما يُعلق به الشيء.

ولعل قائلاً يقول: هذا منع لنا عن الاطلاع على الحقائق، وأمر بالوقوف مع التقليد.

فأقول: لا، إنما أعلمك أن المراد منك الإيمان بالجمل، وما أمرت بالتنقير لمعرفة الكنه مع أن قوى فهمك تعجز عن إدراك الحقائق. فإن الخليل عليه الصلاة والسلام قال: أرني كيف تحيي، فأراه ميتاً حيي، ولم يره كيف أحياه، لأن قواه تعجز عن إدراك ذلك.

وقد كان النبي ﷺ وهو الذي بُعث ليبين للناس ما نزل إليهم، يقنع من الناس بنفس الإقرار واعتقاد الجمل. وكذلك كانت الصحابة، فما نقل عنهم أنهم تكلموا في تلاوة ومتلو، وقراءة ومقروء ولا أنهم قالوا استوى بمعنى استولى ويتنزل بمعنى يرحم. بل قنعوا بإثبات الجمل التي تثبت التعظيم عند النفوس، وكفوا كفَّ الخيال بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]. ثم هذا منكر ونكير إنما يسألان عن الأصول المجملة فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟. ومن فهم هذا الفصل سلم من تشبيه المجسمة، وتعطيل المعطلة، ووقف على جادة السلف الأول، والله الموفق.

❀ ❀ ❀



نصيحة

عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، قال:

أوصاني مَروَان: قال: لا تجعل لداعي الله عليك حجة، وإذا وعدتَ ميعاداً، فانزل عنده، وإن ضُرِبت به على حد السيف. وإذا رأيت أمراً فاستشر فيه أهل العلم بالله ﷻ، وأهل مودتك، فأمّا أهل العلم فيهديهم الله، إن شاء، وأما أهل مودتك فلا يألونك نصيحة. أهـ.

أقول: ويجمع ذلك كله، وأكثر منه، ما رواه «الصحيح» من حديث تميم الداري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1].

❀ ❀ ❀

---

(1) رواه الإمام أحمد (16938) ومسلم (55) وأبو داود (4944)، وغيرهم.

آهات سجين

صاحبت بالحبس ليلاً لا انقضاء له	كـأنَّـمـا صُـبـحـه قـد ضَـلَّ أو عـدمـا
مـكـلـمـاً مـن بـراغـيـثٍ أظـلُّ بـهـا	أعـضُّ كـفـي مـن ذُلِّـي بـهـا نـدمـا
لبست منها قميصاً لو تَقَمَّصه	أيُّوبُ لحظةَ عينٍ لاشتكى الألما
وجـاءنـي الـبـقُّ لا أبـقـاه خـالـقـه	مـغـرِّداً بـطـنـيـنٍ يُـعـقـب الـصَّـمَـمـا
فـقـلـت: لا تـقـربَّـنـي إنَّـنـي رجـلٌ	لـم تُـبـقِ فـيَّ بـراغـيـث الـبـريـح دَمـا[1]

❀ ❀ ❀

قصة صابرٍ شاكرٍ زاهدٍ

الحمد لله الذي لا يُحمد على ضراء إلا هو. فرُبَّ ضارة نافعة. وفي التنزيل: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: 216].

ومن القصص التي يُستخلص منها العظات والعبر في ذلك، ما رواه ابن عساكر في «تاريخه» (51/ 114/ 115)، بإسناده، من طريق الوليد بن مسلم، عن الإمام الأوزاعي ـ رحمه الله تعالى ـ قال:

حَدَّثَني بعض الحكماء قال: خرجت وأنا أريد الرباط حتى إذا كنت بعريش مصر ـ أو دون عريش مصر ـ إذا أنا بمظلة وإذا فيها رجل قد ذهبت يداه ورجلاه وبصره، وإذا هو يقول: اللَّهمَّ إنِّي أَحْمَدك حمداً يوافي محامد خلقك إذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً، فقلت: والله لأسألنه أعلمه أم إلهاماً؟ قال: فدنوتُ منه، فسلَّمتُ عليه، فردّ عليّ السلام، فقلت: إنّي سائلك عن شيءٍ أتخبرني به.

قال: إن كان عندي منه علم أخبرتك به.

فقلت: على أيّ نعمةٍ من نعمه تحمده عليها، أم على أي فضيلةٍ من فضائله تشكره عليها؟

---

(1) الأبيات لمرشد بن علي بن المقلد بن نصر.

قال: أليس ترى ما قد صنع بي؟

قال: قلتُ: نعم، قال: فوالله لو أن الله صبَّ عليَّ السماء ناراً، فأحرقتني، وأمر الجبال فدمّرتني، وأمر البحار فغرّقتني، وأمر الأرض فَخُسِفت بي ما ازددتُ له إلاّ حباً، وما ازددت له إلاّ شكراً، وإن لي إليك حاجة، فتىً كان لي يتعاهدني لوقت صلاتي، ويطعمني عند إفطاري، وقد فقدته منذ أمس، انظر هل تحسه لي؟

قال: فقلت: إنّ في قضاء حاجة هذا العبد لقربة إلى الله.

قال: فخرجت في طلبه حتى إذا كنت بين كثبانٍ من رمال، إذا أنا بسبع قد افترس الغلام فأكله.

قال: فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. كيف آتي هذا العبد الصالح، أتيه من وجه رفق فأخبره الخبر لا يموت.

قال: فأتيته، فسلّمت عليه، فردّ عليَّ السلام، فقلت له: إنّي سائلك عن شيخ أتخبرني، قال: إن كان عندي من شيءٍ أخبرتك، قلت: أنت أكرم على الله منزلةً أم أيوب؟

قال: بل أيوب أكرم على الله مني وأعظم عنده منزلة مني.

قلت: أليس ابتلاه الله فصبر حتى استوحش منه من كان يأنس به، وصار غرضاً لمارٍّ الطريق.

قال: بلى.

فقلت: إن ابنك الذي أخبرتني من قصته ما أخبرتني، إنّي خرجت في طلبه حتى إذا كنت بين كثبانٍ من رمال إذا بسبعٍ قد افترس الغلام، فأكله.

فقال: الحمد لله الذي لم يجعل في قلبي حسرة من الدنيا، قال: ثم شهق شهقة فمات، قال: فقلت: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، من يعينني على غسله وكفنه وحفر قبره ودفنه؟ قال: فبينا أنا كذلك إذا أنا بركب قد بعثوا رواحلهم يريدون الرباط، قال: فأشرتُ إليهم فأقبلوا إليَّ، فقالوا: ما أنت وهذا؟ فأخبرتهم الذي كان من أمره.

قال: فثنوا أرجلهم فغسلناه بماء البحر، وكفناه بأثواب كانت معهم، ووليت الصلاة عليه من بينهم، ودفنّاه في مظلته، ومضى القوم إلى رباطهم، قال: وبتّ في مظلته تلك الليلة أنساً به.

قال: فلما مضى من الليل مثل ما بقي إذا أنا بصاحبي في روضةٍ خضراء، عليه ثياب خضر قائم يتلو الوحي، فقلت: ألستَ صاحبي؟

قال: بلى.

قلتُ: فما الذي صيرك إلى ما أرى؟

قال: إنّي وردت من الصابرين على درجة لم ينالوها إلاَّ بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء.

قال لي الأوزاعي: قال لي الحكيم: يا أبا عمرو ما تنكر من هذا الولي، والاه وابتلاه فَصَبَر، وأعطاه فشكر، والله لو أن ما خفت عليه أقطار الجبال، وصمت عليه أصداف البحار، وأتى عليه الليل والنهار أعطاه أدنى خلق من خلقه ما نقص ذلك من ملكه شيئاً.

❀ ❀ ❀



الإتصاف بصفات الله الحسنى

أن تتخلق بصفات الله تعالى، وأن تتجسد فيك أسماؤه الحسنى، فذلك من أعلى مراتب الإيمان، والتي وصل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتجسدت في خُلقه. وفي الحديث: «**إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة**» أي من جاء تعدادها في خُلقه، وتخلّق بها، كان من الجنة ولا ريب فقد نطق بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ:

ولمحبَّته لأسمائه وصفاته أَمَرَ عباده بموجبها ومقتضاها، فأمرهم بالعدل والإحسان والبرّ والعفو والجود والصبر والمغفرة والرحمة والصّدق والعلم والشكر والحلم والأناةَ والتَّثبُّت.

ولمّا كان سبحانه يُحِبُّ أسماءه وصفاته كان أحبُّ الخلق إليه مَن اتَّصف بالصِّفات التي يُحِبُّها، وأبغضهم إليه مَن اتَّصف بالصفات التي يكرهها، فإنما أبغض من اتصف بالكِبر والعظمة والجبروت لأن اتصافه بها ظلم؛ إذ لا تليقُ به هذه الصِّفاتُ

ولا تحسنُ منه؛ لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج مَنِ اتَّصَفَ بها من ربقة العبودية، ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعدِّيه طوره وحَدَّه. وهذا بخلاف ما تقدَّم من الصِّفات كالعلم والعدل، والرحمة والإحسان، والصَّبر والشكر؛ فإنها لا تُنافي العبودية، بل اتصاف العبد بها من كمال عبوديته، إذ المتصفُ بها من العبيد لم يتعدَّ طوره ولم يخرج بها من دائرة العبودية.

* **والمقصود:** أنه سبحانه لكمال أسمائه وصفاته موصوفٌ بِكُلِّ صفة كمال، مُنزّه عن كُلِّ نقص، له كُل ثناءٍ حسن، ولا يصدر عنه إلاّ كل فعلٍ جميل، ولا يُسمَّى إلاَّ بأحسن الأسماءِ، ولا يُثنى عليه إلاَّ بأكمل الثناءِ، وهو المحمودُ المحبوبُ المعظَّم، ذو الجلال والإكرام على كُل ما قدّره وخلقه، وعلى كُل ما أَمَرَ به وشَرَعَهُ.

ومَن كان له نصيبٌ من معرفة أسمائه الحسنى واستقراء آثارها في الخلق والأمر، رأى الخلق والأمر منتظمين بها أكملَ انتظام، ورأى سريان آثارها فيهما، وعلم بحسب معرفته ما يليق بكماله وجلاله أن يفعله وما لا يليق. فاستدلَّ بأسمائه على ما يفعلُه وما لا يفعلُه؛ فإنَّه لا يفعل خلافَ موجب حمده وحكمته، وكذلك يعلم ما يليق به أن يأمر به ويشرعه مِمَّا لا يليق به، فيعلم أنه لا يأمر بخلاف موجب حمده وحكمته.

فإذا رأى في بعض الأحكام جُوراً وظلماً، أو سفهاً وعبثاً، أو مفسدة، أو ما لا يُوجب حمداً وثناءً، فليعلم أنه ليس من أحكامه ولا دينه، وأنه بريءٌ منه ورسوله. فإنه إنما أمرَ بالعدل لا بالظلم، وبالمصلحة لا بالمفسدة، وبالحكمة لا بالعبث والسّفه. وإنما بعث رسولَه بالحنيفيّة السَّمحة لا بالغلظة والشدَّة، وبَعَثَهُ بالرَّحمة لا بالقسوة. فإنه أرحمُ الرَّاحمين، ورسولُه رحمة مُهداةٌ إلى العالمين، ودينُه كُلُّه رحمة، وهو نبيُّ الرَّحمة، وأُمّته الأمّةُ المرحومة. وذلك كُلّه موجبُ أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الحميدة؛ فلا يخبر عنه إلاَّ بحمده، ولا يثنى عليه إلاَّ بأحسن الثناء، كما لا يسمَّى إلاَّ بأحسن الأسماء.

وقد نبَّه سبحانه على شمول حمده لخلقه وأمره بأن حمد نفسه في أول الخلق وآخره، وعنده الأمر والشرع، وحمد نفسه على ربوبيته للعالمين، وحمد نفسه على تفرُّده بالإلهية وعلى حياته. وحمد نفسه على امتناع اتصافه بما لا يليقُ بكماله من اتخاذ الوَلد والشَّريك وموالاة أحَدٍ من خَلقِه لحاجته إليه، وحمد نفسه على علوّه وكبريائه، وحمد

نفسه في الأولى والآخرة، وأخبر عن سريان حمده في العالم العلويّ والسّفلي، ونبَّه على هذا كله في كتابه وحمد نفسه عليه.

فنوّع حمده وأسباب حمده، وجمعها تارة وفرّقها أخرى ليتعرَّف إلى عباده ويُعرِّفهم كيف يحمدونه وكيف يثنون عليه، وليتحبَّب إليهم بذلك ويحبّهم إذا عرفوه وأحبوه وحمدوه.

- قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: 2 ـ 4].

- وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1].

- وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: 1 ـ 2].

- وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ: 1].

- وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: 1].

- وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 70].

- وقال الله جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: 65].

- وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: 17 ـ 18].

- وأخبر عن حمد خلقه له بعد فصله بينهم، والحكم لأهل طاعته بثوابه وكرامته، والحكم لأهل معصيته بعقابه وإهانته: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: 75].

وأخبر عن حمد أهل الجنة له وأنهم لم يدخلوها إلاَّ بحمده، كما أن أهل النار

لم يدخلوها إلاَّ بحمده، فقال عن أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: 43]، و﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: 10].

وقال عن أهل النار: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: 74 ـ 75].

ـ وقال تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: 11].

وشهدوا على أنفسهم بالكفر والظُّلم وعلموا أنهم كاذبين في الدُّنيا، مكذّبين بآيات ربهم، مشركين به، جاحدين لإلَهيته، مُفترين عليه. وهذا اعترافٌ منهم بعدله فيهم، وأخذهم ببعض حقّه عليهم، وأنه غيرُ ظالم لهم، وأنهم إنما دخلوا النار بعدله وحمده، وإنما عُوقبوا بأفعالهم، وبما كانوا قادرين على فعله وتركه؛ لا كما تقول الجبرية.

وتفصيل هذه الحكمة مِمَّا لا سبيلَ للعقول البشرية إلى الإحاطة به ولا إلى التَّعبير عنه. ولكن بالجملة: فكلُّ عُليا واسم حسن وثناءٍ جميل وكل حمد نوم ومدح وتسبيح وتنزيه وتقديس وجلال وإكرام، فهو لله ﷻ على أكمل الوجوه وأتمِّها وأدومها. وجميعُ ما يُوصفُ به ويُذكر به ويُخبَر عنه به، فهو محامد له وثناءٌ وتسبيح وتقديس. فسبحانه وبحمده لا يُحصي أحدٌ مِن خَلْقِه ثناءً عليه؛ بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني به عليه خلقه. فله الحمدُ أولاً وآخراً، حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه، كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ورفيع مجده وعلو جدّه. فهذا تنبيهٌ على أحد نوعي حمده، وهو: حمدُ الصِّفات والأسماء.

والنوع الثاني: حمدُ النعم والآلاء. وهذا مشهودٌ للخليقة بَرِّها وفاجرِها، مؤمنها وكافرها، من جزيل مواهبه وسعة عطاياه، وكريم أياديه، وجميل صنائعه، وحسن معاملته لعباده، وسعة رحمته لهم، وبرِّه ولطفه وحنانه، وإجابته لدعوات المضطرين، وكشف كربات المكروبين، وإغاثة الملهوفين، ورحمته للعالمين، وابتدائه بالنعم قبل السؤال ومن غير استحقاق؛ بل ابتداءً منه بمجرد فضله وكرمه وإحسانه، ودفع المحن والبلايا، بعد انقضاء أسبابها، وصرفها بعد وقوعها. والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

عبرة وكرامة

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 4]، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194].

والتقوى: هي اجتناب سخط الله تعالى، بطاعته. وكلما اتّقى العبد مولاه، كلما كانت كرامته عنده أجلّ وأعظم. ففي «مسند الإمام أحمد» (12704) و«صحيح البخاري»، (2703)، وغيرهما، من حديث أنسَ بن مالك: أنَّ الرُّبَيِّع بنتَ النَّضْر عَمَّةَ أنسِ بن مالك كَسَرَت ثَنِيَّةَ جاريةٍ، فَعَرَضوا عليهم الأَرْشَ، فأَبَوْا، وطَلَبُوا العَفْوَ، فأَبَوْا، فأَتَوُا النبيَّ ﷺ فأَمَرَ بالقِصاصِ، فجاءَ أخوها أنسُ ابن النَّضْرِ، عمّ أنسِ بن مالكٍ، فقال: يا رسولَ الله، أتُكسَرُ ثنيةُ الرُّبَيِّع؟ لا والذي بَعَثَكَ بالحقِّ، لا تُكْسَرُ ثَنِيَّتها!

فقال رسول الله ﷺ: «يا أَنسُ، كتابُ الله القِصاصُ» قال: فعَفَا القومُ، قال: وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِن عِبادِ الله، مَن لَوْ أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّه».

❀ ❀ ❀

التوبة الفورية عن المحرمات

قال اللهُ تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النُّور: 31]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: 8]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: 11].

التوبةُ ندمٌ على ما فاتَ من الطاعات، وعَزْمٌ على تَرْكِ المعاصي في المستقبل، وإقلاعٌ في الحال.

والتوبةُ عن المحرّمات واجبةٌ على الْفَوْرِ إجماعاً. وقد تكون عن الشبهات، وهي الورع؛ وقد تكونُ عن فُضُولِ المباحات، وهي الزهد؛ لئلاّ تشغَلَ عن الطاعات؛ وقد تكونُ عن جميع الموجودات، شَغْلاً بِرَبِّ الأرض والسماوات. وللزُّهدِ هذه الرُّتبُ والدرجاتُ؛ فَزُهْدٌ في الحرام، وزهدٌ في الشُّبه، وزهدٌ في الفُضول، وزهدٌ فيما سِوَى الله. تعالى. (س)

❀ ❀ ❀

التفاح والكولسترول

أثبتت التجارب العلمية والطبية والمخبرية، أن التفاح ـ على اختلاف أنواعه ـ يحافظ على سلامة جهاز القلب والدورة الدموية ـ بشقيها: الصغرى والكبرى ـ وذلك بتأثيره على الكولسترول في الدم. وكان الباحثون الإيطاليون أول من أشار إلى تأثيراته على الكولسترول، وتبعهم الأيرلنديون، وأخيراً الفرنسيون. فقد قام فريق من الأطباء برئاسة الدكتور سابل أمبلي (Sable-Amplis) من جامعة بول ساباتير في مدينة تولوز في فرنسا بإجراء التجارب على التفاح.

وجد هؤلاء أن إعطاء التفاح لفئران سليمة قد أدى إلى انخفاض الكولسترول عندها بنسبة 28% في حين انخفض الكولسترول عند الفئران المصابة بارتفاع الكولسترول الوراثي بنسبة 52%.

ودفعت هذه النتائج الباحثين لتطبيقها على الإنسان فطلبوا من 30 رجلاً وامرأة في الجامعة أن لا يغيروا شيئاً من نظام طعامهم سوى أن يضيفوا لذلك تناول تفاحتين أو ثلاث يومياً لمدة شهر كامل.

وكانت النتيجة أن انخفض الكولسترول عند 80% منهم. وقد وصلت نسبة انخفاض الكولسترول عند نصف هؤلاء إلى أكثر من 10% من المستوى الأصلي قبل التجربة.

وارتفع عند هؤلاء النوع الجيد من الكولسترول (H.D.L).

ويعتقد الدكتور سامبل أمبلي أن سر التفاح يكمن في احتوائه على البكتين إلا أن أعطاء البكتين وحده لم يعط التأثير نفسه.

إذن لا بد من وجود عناصر أخرى في التفاح تقوم بهذا الفعل وربما كان تضافر جهود البكتين مع الفيتامين (ج) في التفاح هو المسؤول عن ذلك. ومما يثير العجب أن استفادة النساء من تناول التفاح كانت أكثر من استفادة الرجال، إذ كان انخفاض الكولسترول عندهن أكثر منه عند الرجال. ويجب أن لا نتوقع من التفاح أن يخفض الكولسترول عند كل الناس. وأشارت الدراسة الفرنسية إلى أن الكولسترول يمكن أن يرتفع في الأسابيع الثلاثة الأولى بعد تناول التفاح ثم يبدأ بالانخفاض إلى مستوى أقل مما كان عليه في البداية. (95/ 96).

التفاح والفيروسات:

أشارت البحوث إلى أن أولئك الذين يتناولون التفاح هم أقل عرضة للإصابة بالرشوحات من سواهم. وأظهرت دراسة من كندا أن عصير التفاح يوقف نشاط الفيروس المسؤول عن شلل الأطفال في أنابيب الاختبار.

وقد أجريت هذه التجربة على ثمانية عشر نوعاً من العصير، فكان في مقدمتها في القضاء على الفيروس هو عصير التفاح وعصير العنب.

التفاح والسكري:

ما من شك في أن التفاح فاكهة جيدة للمصابين بمرض السكري، فقد ثبت أن تناول التفاح يعطي أقل ارتفاع في سكر الدم بالمقارنة مع الفواكه الأخرى.

ورغم أن التفاح يحتوي على السكر بنسبة 12% إلاً أنه لا يسبب ارتفاعاً سريعاً في سكر الدم.

التفاح وارتفاع ضغط الدم:

للتفاح أريج فريد من نوعه لذيذ جداً، وهو يتكوّن من مزيج من العناصر الكيميائية المختلفة يزيد على 20 عنصر كيميائي، وأن هذا التمازج الفريد فيما بينها يعطي التفاح ذلك العطر اللذيذ.

فماذا في ذلك العطر من فوائد طبية؟

لقد وجد الباحثون من جامعة (ييل) (Yale) الأمريكية الشهيرة أن استنشاق أريج التفاح وحده يمكن أن يخفض الضغط الشرياني.

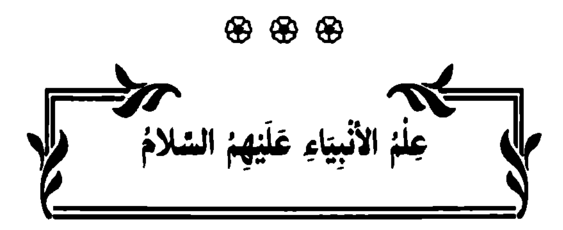
ويقول الدكتور غاري شوارتز رئيسِ قسم الفيسيولوجيا النفسية في جامعة ييل الأمريكية إن لأريج التفاح المعطر تأثيراً مهدئاً على العديد من الناس مما يخفض الضغط الشرياني. فسبحان من أودع في التفاح تلك العناصر الكيميائية العديدة لتعطي فيما بينها مزيجاً بديعاً في تكوينه، فريداً في رائحته يكون لذة لمن شم رائحته وتهدئة للنفس البشرية وسكينة للأعصاب.

وفي النهاية نود التأكيد على تناول التفاح بقشره، إذ إن قشر التفاح غني بمادة

البكتين التي تحدثنا عن فوائدها، أما عصير التفاح فلا يحتوي إلاّ على القليل من ألياف البكتين وبالتالي لا نتوقع منه أن يخفض الكولسترول.

وينصح الأطفال المصابين بالإسهالات المزمنة بتجنب عصير التفاح، فقد يزيد من الإسهال عند بعض هؤلاء. (ش)

❀ ❀ ❀



عِلْمُ الأنبياءِ عَلَيهِمُ السَّلامُ

إن علوم البشرية كلها مردها إلى علم الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وأولهم آدم ـ عليه السلام ـ. قال ﷻ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: 5].

وأما بالنسبة لعلوم الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فهي إما وحياً، وإما إلهاماً يقذف في قلوبهم. قال الإمام ابن عربي المالكي ـ رحمه الله تعالى ـ:

فَأمّا الأنْبِيَاءُ فَالَّذِي عَلِمَتْهُ لَيْسَ بِصَفَاءِ قَلْبٍ مِنْهُمْ قَابَلَهُ مَقَرُّ العُلُومِ فَتَجَلَّتْ فِيهِ، وإنَّمَا يَتَوَصَّلُونَ إلَى الْمَعرِفَةِ بِتَعْلِيمِ جِبْرِيلَ، وَهُوَ الْمُعَلِّمُ الثَّانِي.

وَقَدْ فَضَلَتِ الأنْبِيَاءُ الخَلِيقَةَ فِي عُلُومِهَا بِوَجْهَيْنِ:

الأولُ: أنهُمْ عِلمُوا عِلْمَهُمْ ضَرُورَةً بِمَا شَاهَدُوا مِنَ الْملَكُوتِ وَاطَّلَعُوا عَلَيْهِ مِنْ أمُورِ الآخرة.

الثانِي: تَوَالِي الأدِلَّةِ عَلَيْهِمْ بِاتِّصَالِ الْمَعَارِفِ وَتَتَابُعِ الطَّاعَاتِ، وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ إذَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَعَافَسَ أهْلَهُ:

«إنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي فَأسْتَغْفِرُ الله». فَكَانَ يَعْتَقِدُ أنَّ تِلْكَ الفَتْرَةَ لاَ يَجْبُرُهَا إلاَّ اسْتِغْفَارُهُ، وَهِيَ عِنْدَنَا نَحْنُ عِبَادَةٌ لِمَا فِيهَا لَنَا مِنَ الْعَوْنِ عَلَى الطَّاعَةِ، فَإن الراحَةَ بَيْنَ الْعِبَادَتَيْنِ طَاعَةٌ لَنَا لِعَجزِنَا عَن الْمُوَالاةِ فِي الطَّاعَةِ، وَضَعْفِ أبْدَانِنَا عَنْ تَوَالِي الْعِبَادَةِ، وَلِذَلِكَ نَهَانَا النبِي ﷺ فَقَالَ: **«إن هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ»**. وَقَالَ: **«إن الله لا يَمَلُّ حَتَى تَمَلُّوا»**.

فَأَمَّا نَحْنُ فَقَدْ دُعِينَا إِلَى النظَرِ وَالاعتِبَارِ عَلَى مَنَاهِجَ مَشْرُوعَةٍ، وَنَحْنُ مَأمُورُونَ بِهَا، فَمَنْ قَصدَ لَقَمَهَا فَهُوَ وَاصِلٌ، وَمَنْ حَادَ عَنْهَا فَهُوَ نَاصِلٌ.

وَأَمَّا الأَوْلِيَاءُ فَهُم أَمْثَالُنَا فِي الْمَعْرِفَةِ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ وَاصَلُوا الطاعَةَ فَوَصَلُوا، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ مُوَاصَفة الطاعَةِ سَبَبٌ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ. (ع).

❀ ❀ ❀

لا تخف ولا تحزن إن كنت في صف المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 13].

وقال جلّ وعلا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115].

يقول الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعال ـ:

إذا كان الله ورسوله في جانب، فاحذر أن تكون في الجانب الآخر؛ فإن ذلك يفضي إلى المشاقة والمحادة، وهذا أصلها ومنه اشتقاقها؛ فإن المشاقة أن يكون في شق ومَن يخالفه في شق، والمحادة أن يكون في حدّ وهو في حدّ.

ولا تستسهل هذا فإن مبادئه تجرُّ إلى غايته، وقليلَه يدعو إلى كثيرِه. وكُنْ في الجانب الذي فيه الله ورسولُه وإن كان الناسُ كلُّهم في الجانب الآخر؛ فإن لذلك عواقب هي أحمَدُ العواقب وأفضلُها، وليس للعبد أنفع من ذلك في دنياه قبل آخرته. وأكثر الخلق إنما يكونون في الجانب الآخر، ولا سيما إذا قويت الرغبة والرهبة؛ فهناك لا تكاد تجد أحداً في الجانب الذي فيه الله ورسولُه، بل يعدّه الناسُ ناقصَ العقل سيئ الاختيار لنفسه، وربما نسبوه إلى الجنون، وذلك من مواريث أعداء الرسل؛ فإنهم نسبوهم إلى الجنون لما كانوا في شق وجانب والناس في شق وجانب آخر.

ولكن مَن وَطَّنَ نفسه على ذلك، فإنه يحتاج إلى علم راسخ بما جاء به الرسول يكون يقيناً لَه لا ريب عنده فيه، وإلى صبر تام على معاداة من عاداه ولومة من لامه. ولا يتم له ذلك إلاَّ برغبة قوية في الله والدار الآخرة؛ بحيث تكون الآخرة أحَبَّ إليه من الدنيا وآثر عنده منها، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

وليس شيء أصعب على الإنسان من ذلك في مبادئ الأمر؛ فإن نفسه وهواه وطبعه وشيطانه وإخوانه ومعاشريه من ذلك الجانب يدعونه إلى العاجل، فإذا خالفهم تصدّوا لحربه، فإن صبَرَ وثبَتَ جاءه العون من الله وصار ذلك الصعب سهلاً، وذلك الألم لذة؛ فإن الرب شكور، فلا بد أن يذيقه لذة تحيُّزِه إلى الله وإلى رسوله، ويُرِيه كرامة ذلك؛ فيشتدُّ به سروره وغبطته، ويبتهج به قلبه، ويظفر بقوته وفرحه وسروره، ويبقى مَن كان محارباً له ـ على ذلك ـ بين هائب له ومسالم له ومساعد وتارك، ويقوي جنده ويضعف جند العدو.

ولا تستصعب مخالفة الناس والتحيُّز إلى الله ورسوله ولو كنت وحدك؛ فإن الله معك وأنت بعينه وكلاءته وحفظه لك، وإنما امتحن يقينك وصبرك.

وأعظم الأعوان لك على هذا، بعد عون الله، التجرد من الطمع والفزع. فمتى تجرّدتَ منهما هان عليك التحيُّز إلى الله ورسوله، وكنت دائماً في الجانب الذي فيه الله ورسوله. ومتى قام بك الطمع والفزع، فلا تطمع في هذا الأمر ولا تحدث نفسك به. فإن قلت: فبأي شيء أستعين على التجرُّد من الطمع ومن الفزع؟ قلت: بالتوحيد، والتوكل، والثقة بالله، وعلمك بأنه لا يأتي بالحسنات إلاَّ هو، ولا يذهب بالسيئات إلاَّ هو، وأن الأمر كله لله ليس لأحد مع الله شيء.



محبة الله تعالى لعبده، وعظيم فضلها وكرامتها على العبد

قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96].

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: 39].

وفي «الصحيحين» من حديث أَبي هُرَيرَة رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إن اللهَ، إِذَا أَحَبَّ عَبداً، دَعَا جِبرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبَّهُ. قَالَ فَيُحِبُّهُ جِبرِيلُ. ثُم يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إنَّ الله يُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهلُ السَّمَاءِ. قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأرضِ. وَإِذَا أَبغَضَ عَبداً دَعَا جِبرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبغِضُ فُلاَناً فَأَبغِضهُ. قَالَ فَيُبغِضُهُ جِبرِيل. ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهلِ السَّمَاءِ: إِنَّ الله يبغِضُ فُلاَناً فَأَبغِضُوهُ.

قَالَ فَيُبْغِضُونَهُ. ثُمَّ توضعُ لَهُ البَغضَاءُ فِي الأرضِ». (متفق عليه).

وفي لفظ للبخاري: «إن اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِذَا أَحَبَّ عَبداً نَادَى جِبرِيلَ؛ إن اللهَ قَد أَحَبَّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ. فَيُحِبُّهُ جِبرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبرِيلُ في السَّماءِ: إنَّ الله قد أحبَّ فُلاناً فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في أَهلِ الأرضِ».

وفي لفظ لأحمد: «إن اللهَ، إِذَا أَحَبَّ عَبداً، قال لِجِبرِيلَ؛ إِنِّي أُحِبُّ فُلَاناً فَأَحِبَّهُ». قَالَ: «فَيقول جِبرِيلُ لأهل السَّمَاءِ إنَّ ربَّكُم يُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبُّوهُ» قال: «فَيُحِبُّهُ أَهلُ السَّمَاءِ» قَالَ: «ويُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأرضِ» قَالَ: «وَإِذَا أَبغَضَ» فَمِثلُ ذلِكَ.

وفي لفظ عند الترمذي: «إِذَا أَحَبَّ الله عَبداً نَادَى جِبرِيلَ إِنِّي قَد أَحبَبتُ فُلاناً فَأَحِبَّهُ، قال: فَيُنَادِي في السَّماءِ، ثُمَّ تَنزِلُ لَهُ المَحَبَّةُ في أَهلِ الأرضِ، فَذلِكَ قَولُ الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96]، وَإِذَا أَبغَضَ اللهُ عَبداً، نَادى جِبرِيلُ: إِنِّي أَبغَضتُ فُلاناً، فَيُنَادِي في السَّمَاءِ، ثُمَّ تَنزِلُ لَهُ البَغضَاءُ في الأَرَضِ».

العبد بين البرّ والإثم

تكرّر في القرآن جَعْل الأعمال القائمة بالقلب والجوارح سبب الهداية، وأما مَن لا يؤمن بها ولا يرجوها ولا يخشاها، فلا تنفعه الآيات العيانية، ولا القرآنية. ولهذا لما ذكر سبحانه في سورة هود عقوبات الأمم المكذبين للرسل، وما حَلَّ بهم في الدنيا من الخزي، قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [هود: 103]؛ فأخبر أن في عقوباته للمكذبين عِبرة لمن خاف عذاب الآخرة.

وأما مَن لا يؤمن بها، ولا يخاف عذابها، فلا يكون ذلك عبرة وآية في حقه، وإذا سمع ذلك قال: لم يزل في الدهر الخير والشر والنعيم والبؤس والسعادة والشقاوة. وربما أحال ذلك إلى أسباب فلكية وقُوَى نفسانية. وإنَّما كان الصبر والشكر سبباً لانتفاع صاحبهما بالآيات؛ لأن الإيمان ينبني على الصبر والشكر؛ فنصفه صبر ونصفه شكر؛ فعلى حسب صبر العبد وشكره تكون قوة إيمانه. وآيات الله إنما ينتفع بها مَن آمن بالله وآياته، ولا يتم له الإيمان إلاَّ بالصبر والشكر؛ فإن رأس الشكر التوحيد، ورأس الصبر ترك إجابة داعي الهوى. فإذا كان مشركاً متبعاً هواه، لم يكن صابراً ولا شكوراً؛ فلا تكون الآيات نافعة له، ولا مؤثرة فيه إيماناً.

والإضلال، فيقوم بالقلب والجوارح أعمال تقتضي الهدى اقتضاء السبب لمسببه والمؤثر لأثره، وكذلك الضلال.

فأعمال البر تثمر الهدى، وكلما ازداد منها ازداد هدى. وأعمال الفجور بالضد؛ وذلك أن الله سبحانه يحب أعمال البر فيجازي عليها بالهدى والفلاح، ويبغض أعمال الفجور ويجازي عليها بالضلال والشقاء.

وأيضاً فإنه البَرُّ، ويحبُّ أهلَ البِرّ، فيقرب قلوبهم منه بحسب ما قاموا به من البرّ. ويبغض الفجور وأهله، فيبعد قلوبهم منه بحسب ما اتصفوا به من الفجور.

فمن الأصل الأول قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 1 ـ 2]، وهذا يتضمن أمرين:

أحدهما: أنه يهدي به مَن اتقى مساخطه قبل نزول الكتاب؛ فإن الناس على اختلاف مِلَلِهم ونِحَلِهم قد استقر عندهم أن الله سبحانه يكره الظلم والفواحش والفساد في الأرض ويحب فاعلَ ذلك، ويحب العدل والإحسان والجود والصدق والإصلاح في الأرض ويمقت فاعلَ ذلك. فلما نزل الكتاب أثاب سبحانه أهلَ البر بأن وفَّقهم للإيمان به جزاءً لهم على برِّهم وطاعتهم، وخذل أهلَ الفجور والفحش والظلم بأن حالَ بينهم وبين الاهتداء به.

والأمر الثاني: أن العبد إذا آمن بالكتاب، واهتدى به مجملاً، وقَبِلَ أوامره، وصدَّق بأخباره، كان ذلك سبباً لهداية أخرى تحصل له على التفصيل. فإن الهداية لا نهاية بها ولو بلغ العبدُ فيها ما بلغ؛ ففوق هدايته هداية أخرى، وفوق تلك الهداية هداية أخرى إلى غير غاية.

فكلما اتقى العبدُ ربَّه ارتقى إلى هداية أخرى، فهو في مزيد هداية ما دام في مزيد من التقوى. وكلما فوَّتَ حظاً من التقوى فاته حظ من الهداية بحسبه، فكلما اتقى زاد هداه، وكلما اهتدى زادت تقواه.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 15 ـ 16].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13].

وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: 10].

وقال: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: 13].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ﴾ [يونس: 9].

فهداهم أولاً للإيمان، فلما آمنوا هداهم للإيمان هداية بعد هداية، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ﴾ [مريم: 76].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29].

ومن الفرقان ما يعطيهم من النور الذي يفرقون به بين الحق والباطل والنصر والعزّ الذي يتمكنون به من إقامة الحق وكسر الباطل، فُسِّر القرآن بهذا وبهذا.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبأ: 9].

وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: 19]، في سورة لقمان وسورة إبراهيم وسبأ والشورى.

فأخبر عن آياته المشهودة العيانية أنها إنما ينتفع بها أهلُ الصبر والشكر، كما أخبر عن آياته الإيمانية القرآنية أنها إنما ينتفع بها أهل التقوى والخشية والإنابة ومَن كان قصده اتباع رضوانه، وأنها إنما يتذكر بها مَن يخشاه سبحانه، كما قال: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: 1 ـ 3]، وقال في الساعة: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: 45]. (ق)

❀ ❀ ❀

الجنة تحت ظلال السيوف

«ألا إن سلعة الله غالية. ألا إن سلعة الله الجنة».

قال الله العزيز الجبار: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: 142].

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن

دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: 16].

ـ وروى الإمام أحمد (19136) والبخاري (2818) ومسلم (1742)، واللفظ للبخاري من طريق موسى بن عُقبةَ عن سالم أبي النضرِ مولى عمرَ بنِ عُبَيدِ الله ـ وكان كاتباً ـ قال: كتبَ إليهِ عبد الله بنُ أَبي أوفىٰ ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**واعلموا أَنَّ الجنَّة تحتَ ظِلالِ السيوف**».

ـ وروى الإمام أحمد (19555) ومسلم (1902) والترمذي (1659) وغيرهم واللفظ لمسلم من طريق أَبِي بَكْرِ بنِ عَبدِ الله بنِ قَيسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعتُ أَبِي، وَهُوَ بِحَضرَةِ العدُوِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحتَ ظِلالِ السُّيُوفِ**». فَقَامَ رَجلٌ رَثُّ الهَيئَةِ. فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَنتَ سَمِعتَ رَسُولَ الله ﷺ يقُولُ هذَا؟ قَالَ: نَعَم. قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى أصحَابِهِ فَقَالَ: أَقْرَأ عَلَيكُمُ السَّلامَ. ثُمَّ كَسَرَ جَفنَ سَيفِهِ فَأَلقَاهُ. ثُمَّ مَشَى بِسَيفِهِ إِلَى العَدُوِّ، فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ.

وقوله: «**كسر جفن سيفه**» هو بفتح الجيم وإسكان الفاء وبالنون وهو غمده.

وقوله ﷺ: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**» قال العلماء: معناه إن الجهاد وحضور معركة القتال طريق إلى الجنة وسبب لدخولها.

قال الإمام القرطبي ﷺ: وهو من الكلام النفيس الجامع الموجز المشتمل على ضروب من البلاغة مع الوجازة وعذوبة اللفظ، فإنه أفاد الحضَّ على الجهاد والإخبار بالثواب عليه والحض على مقاربة العدو واستعمال السيوف والاجتماع حين الزحف حتى تصير السيوف تظلّ المتقاتلين. وقال ابن الجوزي، المراد أن الجنة تحصل بالجهاد. والظلال جمع ظل، وإذا تدانى الخصمان صار كل منهما تحت ظل صاحبه لحرصه على رفعه عليه ولا يكون ذلك إلا عند التحام القتال.

ـ وروى الإمام أحمد (19129) والبخاري (2933) ومسلم (1742)، وغيرهم من حديث عبد الله بن أبي أوْفَى ﷺ: أن رسول الله ﷺ ـ في بعضِ أيامِهِ التي لَقِيَ فيها الْعَدُوَّ انتَظَرَ، حتى إذا مالَت الشَّمسُ قَامَ فِيهِم، فقالَ: **أَيُّهَا النَّاسُ، لا تتمَنَّوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ. واسأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ. فإِذَا لَقِيتُمُوهُم فَاصبِرُوا. وَاعلَمُوا أَنَّ الجَنّة تَحْتَ ظِلالِ السيُوفِ**».

ثمَّ قالَ النبي ﷺ: **اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَاب، وَمُجْرِيَ السَّحَاب، وَهَازِمَ الأحْزَاب: اهزِمهُم وَانصُرْنَا عَلَيهِمْ**».

قال ابن دقيق العيد (رح): فيه دليل على استحباب القتال بعد زوال الشمس. وقد ورد فيه حديث أصرح من هذا[1]، أو أثرٌ عن بعض الصحابة. ولمّا كان لقاء الموت من أشقِّ الأشياء وأصعبها على النفوس من وجوه كثيرة، وكانت الأمور المقدرة عند النفس ليست كالأمور المحققة لها؛ خُشي أن لا تكون عند التحقيق كما ينبغي. فكُرِه تمني لقاء العدو لذلك، ولما فيه ـ إن وقع ـ من احتمال المخالفة لما وعدَ الإنسانُ من نفسه. ثم أمر الصبر عند وقوع الحقيقة. وقد ورد النهي عن تمنِّي الموت مطلقاً لضُرٍّ نزل[2]. وفي حديث: «لا تتمَنَّوا الموت؛ فإنَّ هَوْلَ المُطَّلعِ شديدٌ»[3] وفي الجهاد زيادة على مطلق الموت.

وقوله (ع): «واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» من باب المبالغة والمجاز الحسن. فإنَّ ظِلَّ الشيء لما كان ملازماً له، جعل ثواب الجنة واستحقاقها عن الجهاد وإعمال السيوف لازماً لذلك، كما يلزم الظل.

وهذا الدعاء: لعله أشار إلى ثلاثة أسباب، تُطلب بها الإجابة. أحدها: طلب النصر بالكتاب المنزل. وعليه يدل قوله (ع) «منزل الكتاب» كأنه قال: كما أنزلته،

---

(1) ذكره الحافظ في «الفتح» (6/ 120) عند سعيد بن منصور ـ من وجه آخر ـ عن ابن أبي أوفى (رض): كان رسول الله ﷺ يمهل إذا زالت الشمس ثم ينهض إلى عدوه. وروى البخاري في الجزية والموادعة (3160) من حديث النعمان بن مقرن (رض) قال: شهدت القتال مع رسول الله ﷺ، كان إذا لم يقاتل في أول النهار انتظر حتى تهب الأرواح، وتحضر الصلوات. قال الحافظ ابن حجر: فيظهر أن فائدة التأخير لكون أوقات الصلاة مظنة إجابة الدعاء، وهبوب الريح قد وقع النصر به في الأحزاب. فصار مظنة لذلك، والله أعلم.

(2) الحديث أخرجه أحمد في «مسنده» (11979/ 4) والبخاري في «الدعوات» (6351) ومسلم في «الذِّكر» (2680) والترمذي في «الجنائز» (2971) والنسائي في «الجنائز» (4/ 3) وفي «عمل اليوم والليلة» (1057) وأبو داود في «الجنائز» (3108) وابن حبان (968) وغيرهم من حديث أنس ابن مالك (رض) أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يتمنَّين أحدكم الموت لضرٍّ نزل به، فإن كان لا بد فاعلاً، فليقل: اللهمّ، أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً ليَ»**. لفظ ابن حبان.

(3) الحديث بتمامه ذكره المنذري في «الترغيب» (4/ 257) من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تتمنوا الموت، فإن هول المطلع شديد، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد، ويرزقه الله الإنابة»**. وعزاه لأحمد والبيهقي وقال: إسناده حسن. ومعنى قوله ﷺ: **«فإن هول المطلع شديد» أي يوم القيامة. والله تعالى أعلم.**

فانصره وأَعْلِهِ. وأشار إلى القدرة بقوله: «ومجري السحاب» وأشار إلى أمرين أحدهما: بقوله: «وهازم الأحزاب» إلى التفرُّد بالفعل، وتجريد التوكل، واطراح الأسباب، واعتقاد أن الله وحده هو الفاعل. والثاني: التوسل بالنعمة السابقة إلى النعمة اللاحقة. وقد ضَمَّن الشعراء هذا المعنى أشعارهم، بعدما أشار إليه كتاب الله تعالى، حكاية عن زكريا (ع) في قوله: ﴿شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ [مريم: 4] وعن إبراهيم (ع) في قوله: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم: 47].

وقال الشاعر:

كما أحسَنَ اللهُ فيما مَضَى ... كذلك يُحسِن فيما بَقِي

وقال الآخر:

لا والَّذِي قَدْ مَنَّ بالإ ... سلام يُثْلِجُ في فُؤادي

ما كانَ يَختِمُ بالإِساء ... ة وَهوَ بالإِحسَانِ بادي

❁ ❁ ❁

خاتمة الظالم

﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان ـ 27].

وفي «الصحيحين»[1] من حديث أَبي مُوسى رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إن اللهَ لَيُملِي لِلظَّالِم حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَم يُفلِتهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102].

وروى الإمام أحمد (6497)، بإسناد صحيح، من حديث.

ـ وعن عَبدِ اللهِ بن عَمْرو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الظُّلم ظُلُمات يَوْمَ القِيَامَةِ، وإِياكُمْ والفُحْش، فإن الله لا يحبّ الفُحْش، ولا التفحُّش، وإياكم والشُحَّ، فإن الشحَّ أَهلَكَ مَن كانَ قَبلَكُمْ، أَمرَهُم بالقطيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُم بالبُخلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهم بالفُجُورِ فَفَجَرُوا»، قال: فقام رجل فقال: يا رسول الله، أيُّ الإسلامِ أَفضَلُ؟ قال ﷺ «أَنْ يَسْلَمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِكَ وَيَدِكَ»، فقام ذاك أو آخرُ

(1) رواه البخاري (4686) ومسلم (2583) وغيرهما.

فقال: يا رسول الله، أيُّ الهِجْرَة أَفْضَلُ؟ قال: «أَن تَهجُرَ ما كَرِهَ رَبُّكَ، والهِجْرَةُ هِجرَتانِ: هِجرَةُ الحاضِرِ والبادِي، فهِجرَةُ البادي أن يُجيبَ إذا دُعِيَ، ويُطِيعَ إِذَا أُمِرَ، والحَاضِرُ أَعظَمُهما بليةً وأفضَلُهما أجراً» (رواه أحمد بإسناد صحيح).

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى؛ قال معمر، عن الحسن وقتادة، قالا: الظلم ثلاثة، ظُلم لا يُغفر، وظلم لا يترك، وظلم يُغفر. فأما الظلم الذي لا يُغفر، فالشرك بالله ﷻ، وأما الظلم الذي لا يُترك، فظلم الناس بعضهم بعضاً، وأما الظُلم الذي يُغفر، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه ﷻ. والله تعالى أعلم.

وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: الظلم يشتمل على معصيتين، أخذ مال الغير بغير حق، ومبارزة الرب بالمخالفة، والمعصية فيه أشد من غيرها لأنه لا يقع غالباً إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب، لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر. فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى، اكتنفت ظلمات الظالم، حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً. اهـ. والله تعالى أعلم.

فانتبه أخي الكريم من الظلم، واتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب كما جاء عند البخاري (2448) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال: «إتَّقِ دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب».

حقائق عن العشق والعاشقين

النظر والسمع هما بريدا العشق والهيام. والقلب مستقر الخواطر والأفكار. والعقل يزن ويختار. إلا إذا وقع القلب، وجعل صاحبه يقع ويحتار، وهنا يبدأ الصراع.

الشهوة من جهة، والعقل من جهة، والشرع من جهة، والناس والمجتمع من جهة أخرى. فما الضابط؟ وما الحل؟ ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: 43].

لقد ذُكر العشق في القرآن الكريم، في سورة يوسف عند قوله جل وعلا: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [الآية: 30]، أي وصل حبه إلى صميم قلبها، فأصاب مقتلها وتعلقت به حتى النهاية.

ولكن هل للعشق دواء؟ وهل للخلاص منه سبيل؟

يقول الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ:

نظرت فيما تكلم به الحكماء في العشق وأسبابه وأدويته، وصنفت في ذلك كتاباً سميته «ذم الهوى»، وذكرت فيه عن الحكماء أنهم قالوا: سبب العشق حركة نفس فارغة، وأنهم اختلفوا، فقال قوم منهم: لا يعرض العشق إلا لظِرَاف الناس، وقال آخرون: بل لأهل الغفلة منهم عن تأمل الحقائق.

إلا أنه خطر لي بعد ذلك معنى عجيب أشرحه ههنا، وهو أنه لا يتمكن العشق إلا مع واقف جامد، فأما أرباب صعود الهمم فإنهم كلما تخايلت لهم ما توجبه المحبة فلاحت عيوبها لهم، إما بالفكر في المحبوب أو بالمخالطة له، تسلت أنفسهم وتعلقت بمطلوب آخر، فلا يقف على درجة العشق الموجب للتمسك بتلك الصورة، العامي عن عيوبها، إلا جامد واقف.

وأما أرباب الأنفة من النقائص، فإنهم أبداً في الترقي، لا يصدهم صاد، فإذا علقت الطباع محبة شخص لم يبلغوا مرتبة العشق المستأثر، بل ربما مالوا ميلاً شديداً إما في البداية لقلة التفكر أو لقلة المخالطة والاطلاع على العيوب، وإما لتشبث بعض الخلال الممدوحة بالنفوس من جهة مناسبة وقعت بين الشخصين، كالظريف مع الظريف، والفطن مع الفطن، فيوجب ذلك المحبة.

فأما العشق فلا يفهم أبداً في سيرتهم، بل يوقفون إبل الطبع تتبع حادي الفهم، فإن للهمم متعلقاً لا تجده في الدنيا، لأنه يروم ما لا يصح وجوده من الكمال في الأشخاص، فإذا تلمح عيوبها نفر.

وأما متعلق القلوب من محبة الخالق البارئ، فهو مانع لها من الوقوف مع سواه، وإن كانت محبة لا تجانس محبة المخلوقين غير أن أرباب المعرفة وَلْهَى[1] قد شغلهم حبه عن حب غيره، وصارت الطباع مستغرقة لقوة معرفة القلوب ومحبتها كما قالت رابعة:

أحب حبيباً لا أعاب بِحُبِّه ... وأحببتم من في هواه عيوب

ولقد روي عن بعض فقراء الزهاد أنه مر بامرأة فأعجبته، فخطبها إلى أبيها، فزوجه وجاء به إلى المنزل وألبسه غير خلقانه، فلما جن الليل صاح الفقير: ثيابي

(1) الوله: ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد أو الحزن أو الخوف. اللسان (وله).

ثيابي، فقدت ما كنت أجده. فهذه عثرة في طريق هذا الفقير دلته على أنه منحرف عن الجادة.

وإنما تعتري هذه الحالات أرباب المعرفة بالله ﷻ وأهل الأنفة من الرذائل. وقد قال ابن مسعود: إذا أعجبت أحدكم امرأة فليتذكر مثنانتها. ومثال هذه الحال أن العقل يغيب عند استحلاء تناول المشتهى من الطعام، عن التفكير في تقلبه في الفم وبلعه، ويذهل عند الجماع عن ملاقاة القاذورات لقوة غلبة الشهوة، وينسى عند بلع الرضاب[1] استحالته عن الغذاء، وفي تغطية تلك الأحوال مصالح.

إلا أن أرباب اليقظة يعتريهم هذا الإحساس من غير طلب له في غالب أحوالهم، فينغص عليهم لذيذ العيش، ويوجب الأنفة من رذالة الهوى.

وعلى قدر النظر في العواقب يخف العشق عن قلب العاشق، وعلى قدر جمود الذهن يقوى القلق. قال المتنبي:

لـو فـكـر الـعـاشـق فـي مـنـتـهـى حُـسْـن الـذي يـسـبـيـه لـم يـسـبـه

ومجموع ما أردت شرحه: أن طباع المتيقظين تترقى فلا تقف مع شخص مستحسن. وسبب ترقيها: التفكر في نقص ذلك الشخص وعيوبه، أو في طلب ما هو أهم منه، وقلوب العارفين تترقى إلى معروفها، وتتنقل في معبر الاعتبار، فأما أهل الغفلة فجمودهم في الحالتين، وغفلتهم عن المقامين يوجب أسرهم وقسرهم وحيرتهم.

❀ ❀ ❀

انتبه قبل فوات الأوان

أما يكفي العاقلَ تجاربه، أما أيقظ الفَطِنَ نوائبه، غلَب الموت فمن ذا يغالبه، قهر الخلقَ فمن ذا يحاربه، كأنكم به قد دبَّت عقاربه، قل للمفرط وقد حانت مصائبه، القلب غائب فكيف نعاتبه، لقد قتل الهوى آلة بلا آلة فما لكم وما له، خلوا له ما له، كم طالبُ مرادٍ ما ناله، كم لذة أُفنيت وأبْقَت قاله، إياكم وإيا الدنيا فإنّها محتالة.

ومَـكَـاسـبُ الـدنـيـا وإن كَـثُـرَت فـمـا يـبـقـى سِـوى تـبـعـاتـهـا والـمـأثـم

---

(1) الرضاب: الريق.

فعليك بالفعل الجميل فإنه ... أُنس المقيم غداً وزادُ المغْدم (ج)

❀ ❀ ❀



ثمرات التقوى

يا من يُحدِّث نفسه ... بدخول جناتِ النعيمِ
إن كنت مُتَّقِياً فأنـ ... ـت على الصراط المستقيم
لا ترجوَنَّ سلامة ... من غير ما قَلبٍ سليمِ
فاسلك طريق المتَّقيـ ... ـنَ وظن خيراً بالكريمِ
واذكر وقوفك خائفاً ... والناسُ في أمرٍ عظيمِ
إمّا إلى ذل الشقا ... وة أو إلى العِز المقيمِ
فاجعل تُقَاك وقايةً ... في الحشر من نار السَّمُومِ
واغنم حياتك واجتهد ... وأنِبْ إلى الربِّ الرحيم (ج)

❀ ❀ ❀

كلام في الصبر والصابرين

تُرى كم نوع هو الصبر؟ أهو الصبر على الطاعة؟ أم صبر عن العصية؟ أم صبر على الهوى؟ أم صبر على البلاء؟ أم صبر على مجاراة الناس؟ أم صبر على مدارة النفس وترويضها؟ أم صبر عن الهوى؟ أم صبر على الدنيا ومتاعبها؟ أم صبر على الآخرة والاشتياق إليها؟ أم صبر عند لقاء العدو؟ أم صبر على عداوة الشيطان؟ أم صبر على الزوجة؟ أم صبر على الولد؟ أم صبر على الجار وأذاه؟ أم... وأم... وأم... وكأنه مسلسل لا يكاد ينتهي، وكأن الحياة قد جُبلت على الصبر، ولولاه ما كانت حياة! وكأن كل معاني الصبر وعواقبه تتجلى في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

قال الإمام الحليمي ـ رحمه الله تعالى ـ:

وأما الصبر على المصائب؛ فقد قال ﷻ فيما يتصل منه بالصبر عن مجازاة

الظالم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ۝٣٩ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: 39-40]. ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43]. فكان معنى قوله ﷻ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: 39] أي ينتصرون جميعاً أي يتناصرون، لا يخذل بعضهم بعضاً. وهذا مدح لهم بالتناصر إذا قصد المبغي عليه أن ينتصر. ثم بين بعده إن كان الانتصار مملوكاً، فالعفو خير له لأنه يستحق به إذا أراد وجه الله تعالى أجراً هو خير له، وأعود عليه من الانتصار. ثم زاد نعتاً على العفو وندباً إليه، فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43]. أي من فعل العازم وهو الثابت الجاد في الأمور.

وفي الصبر على البلاء: قال: وهذا ـ والله أعلم ـ إذا صبر فلم يجزع، ولم يقل بلسانه ما يقول المصاب مما يشتد عليه، ولم يضق ذرعاً بما يحس في نفسه من شهوة لا يستطيع قضاءها. ورغب فيما عند الله من ثوابه، فهوَّن المصيبة على قلبه واستخفَّها في حب ما يرجوه من فضل ربه ﷻ. فأما الصبر لا على هذا الوجه فصبر ومر وليس هذا المراد بالحديث والله أعلم.

وتحت عنوان: عاقبة الصبر جميلة، قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: من العجيب سلامة دين ذي العيال إذا ضاق به الكسب، فما مَثَلُهُ إلا كَمَثَلِ الماء إذا ضرب في وجهه سكر، فإنه يعمل باطناً ويبالغ حتى يفتح فتحة. فكذلك صاحب العيال إذا ضاق به الأمر لا يزال يحتال، فإذا لم يقدر على الحلال ترخص في تناول الشبهات، فإن ضعف دينه مد يده إلى الحرام. فالمؤمن إذا علم ضعفه عن الكسب اجتهد في التعفف عن النكاح، وتقليل النفقة إذا حصل الأولاد، والقناعة باليسير.

فأما من ليس له كسب كالعلماء والمتزهدين، فسلامتهم ظريفة، إذ قد انقطعت موارد السلاطين عنهم ومراعاة العوام لهم، فإذا كثرت عائلتهم لم يؤمن عليهم شر ما يجري على الجهال. فمن قدر منهم على كسب بالنسخ وغيره فليجتهد فيه مع تقليل النفقة والقناعة باليسير. فإنه من ترخص منهم اليوم أكل الحرام؛ لأنه يأخذ من الظلمة خصوصاً بحجة التنمس والتزهد. ومن كان له منهم مال فليجتهد في تنميته وحفظه، فما بقي من يؤثر ولا من يقرض.

وقد صار الجمهور بل الكل كأنهم يعبدون المال، فمن حفظه حفظ دينه. ولا يلتفت إلى قول الجهلة الذين يأمرون بإخراج المال، فما هذا وقته. واعلم أنه إذا لم يجتمع الهمّ، لم يحصل العلم ولا العمل ولا التشاغل بالفكر في عظمة الله.

وقد كان همّ القدماء يجتمع بأشياء جمهورها أنه كان لهم من بيت المال نصيب في كل عام. وكان يصلهم فيفضل عنهم. وفيهم من كان له مال يتجر به كسعيد بن المسيب وسفيان وابن المبارك وكان همه مجتمعاً، وقد قال سفيان في ماله: لولاك لتمندلوا بي.

وفقدت بضاعة لابن المبارك فبكى وقال: هو قوام ديني. وكان جماعة يسكنون إلى عطاء الإخوان الذين لا يمنون.

وكان ابن المبارك يبعث إلى الفضل وغيره، وكان الليث بن سعد يتفقد الأكابر، فبعث إلى مالك ألف دينار، وإلى ابن لهيعة ألف دينار، وأعطى منصور بن عمار ألف دينار وجارية بثلاثمائة دينار.

وما زال الزمان على هذا إلى أن آل الأمر إلى انمحاق ذلك، فقلت عطايا السلاطين، وقل من يؤثر من الإخوان. إلا أنه كان في ذلك القليل ما يدفع عض الزمان.

فأما زماننا هذا، فقد انقبضت الأيدي كلها، حتى قل من يخرج الزكاة الواجبة، فكيف يجتمع هم من يريد من العلماء والزهاد أن يعمل همه ليلاً ونهاراً في وجوه الكسب وليس من شأنه هذا ولا يهتدي له. فقد رأينا الأمر أحوج إلى التعرض للسلاطين والترخص في أخذ ما لا يصلح، وأحوج المتزهدين إلى التصنع لتحصيل الدنيا.

فالله الله يا منَ يريد حفظ دينه، قد كررت عليك الوصية بالتقليل جهدك، وخفف العلائق مهما أمكنك، واحتفظ بدرهم يكون معك فإنه دينك، وافهم ما قد شرحته، فإن ضجت النفس لمراداتها فقل لها: إن كان عندك إيمان فاصبري، وإن أردت التحصيل لما يفنى ببذل الدين فما ينفعك.

فتفكري في العلماء الذين جمعوا المال من غير وجهه وفي المنمسين ذهب دينهم، وزالت دنياهم.

وتفكري في العلماء الصادقين كأحمد وبشر اندفعت الأيام وبقي لهم حسن الذكر. وفي الجملة ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2 ـ 3]. ورزق الله قد يكون بتيسير الصبر على البلاء والأيام تندفع، وعاقبة الصبر الجميل حميدة.

وتحت عنوان: صبر الأكابر ـ قال ـ رحمه الله تعالى ـ: شكا لي رجل من بغضه لزوجته ثم قال: ما أقدر على فراقها لأمور، منها كثرة دينها عليَّ وصبري قليل، ولا أكاد أسلم من فلتات لساني في الشكوى، وفي كلمات تعلم بغضي لها.

فقلت له: هذا لا ينفع وإنما تؤتى البيوت من أبوابها، فينبغي أن تخلو بنفسك فتعلم أنها إنما سلطت عليك بذنوبك فتبالغ في الاعتذار والتوبة. فأما التضجر والأذى لها فما ينفع كما قال الحسن بن الحجاج: عقوبة من الله لكم فلا تقابلوا عقوبته بالسيف وقابلوها بالاستغفار.

واعلم أنك في مقام مبتلى ولك أجر بالصبر ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: 216] فعامل الله سبحانه بالصبر على ما قضى واسأله الفرج. فإذا جمعت بين الاستغفار وبين التوبة من الذنوب والصبر على القضاء وسؤال الفرج، حصلت ثلاثة أصناف من العبادة تثاب على كل منها.

ولا تضيع الزمان بشيء لا ينفع، ولا تحتل ظاناً منك أنك تدفع ما قدر: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الأنعام: 17].

وقد روينا أن جندياً نزل يوماً في دار أبي يزيد، فجاء أبو يزيد فرآه فوقف وقال لبعض أصحابه: ادخل إلى المكان الفلاني فاقلع الطين الطري فإنه من وجه فيه شبهة فقلعه، فخرج الجندي. وأما أذاك للمرأة فلا وجه له لأنها مسلطة فليكن شغلك بغير هذا.

وقد روي عن بعض السلف أن رجلاً شتمه فوضع خده على الأرض وقال: . اللهم اغفر لي الذنب الذي سلطت هذا به علي.

قال الرجل: وهذه المرأة تحبني زائداً في الحد، وتبالغ في خدمتي، غير أن البغض لها مركوز في طبعي.

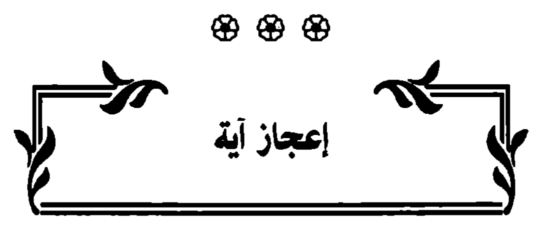
قلت له: فعامل الله سبحانه بالصبر عليها فإنك تثاب. وقد قيل لأبي عثمان النيسابوري: ما أرجى عملك عندك.

قال: كنت في صبوتي يجتهد أهلي أن أتزوج فآبي. فجاءتني امرأة، فقالت: يا أبا عثمان، إني قد هويتك، وأنا أسألك بالله أن تتزوجني. فأحضرت أباها وكان فقيراً، فزوجني منها وفرح بذلك. فلما دخلت إلي رأيتها عوراء عرجاء مشوهة. وكانت لمحبتها لي تمنعني من الخروج، فأقعد حفظاً لقلبها، ولا أظهر لها من البغض شيئاً وكأني على جمر الغضا من بغضها. فبقيت هكذا خمس عشرة سنة حتى ماتت، فما من عملي شيء وهو أرجى عندي من حفظي قلبها.

قلت له: فهذا عمل الرجال، وأي شيء ينفع ضجيج المبتلى بالتضجر وإظهار

البغض. وإنما طريقة ما ذكرته لك من التوبة والصبر وسؤال الفرج. وتذكر ذنوباً كانت هذه عقوبتها. وبالغ، فإن وقع فرج فشيء كأنه ليس في الحساب، وإلا فاستعمال الصبر على القضاء عبادة. وتكلف إظهار المودة لها وإن لم تكن في قلبك تثبت على هذا. وليس القيد ذنباً فيلام، إنما ينبغي التشاغل مع من قيدك به والسلام.

❀ ❀ ❀



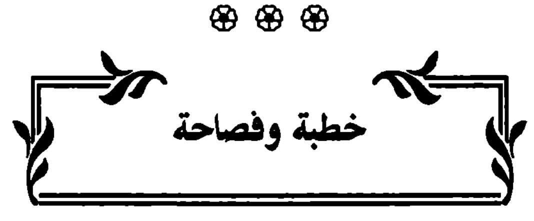
إعجاز آية

قال الله ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 104] وقال في سورة «النمل» في آخرها: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية ـ 91].

للسائل أن يسأل: عن اختصاص هذا المكان «بالمؤمنين» واختصاص آخر سورة النمل «بالمسلمين».

الجواب: إن قبل هذه الآية في سورة «يونس» قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 103] فقال بعده: وأمرت أن أكون منهم، أما في سورة «النمل» فإن قبل هذه الآية منها ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية: 81] فكأنه قال: أمرت أن أكون ممن إذا سمع بآياته آمن بها وكان من المسلمين الذين مدحوا بأن النبي ﷺ يسمعهم، أي: ينتفعون بما يستمعونه منه، فلما تقاربت اللفظتان وكانتا تستعملان لمعنى واحد حملت كل واحدة منهما على اللفظ الذي تقدمها ولاءمها. (خ)

❀ ❀ ❀



خطبة وفصاحة

الحمد لله ربّى عقائد الموحدين فعرفوه رَبّاً، وصفّى قلوب المحبين فصبّ معرفته في قلب الصَبِّ به صَبّاً، وابتعثَ محمداً فجعله خير من أَقَلَّتْهُ الغبراءُ وأظلته الجربا، وحفظ دينَه بخلافة الأربعة فكم ردّوا إليه من تأبى، ثم شرحه بأربعة أئمة بثُّوه شرقاً وغرباً، أبو حنيفة ومالك والشافعي وقد أربي، وأحمدُ الذي عَزّ ضريبُه لمّا حمل لنصر

القرآن ضربا، رفعوا الظلمة ونفعوا الأمة ودفعوا الغمة وكفّوا حربا ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: 79]. (ج).

❁ ❁ ❁



روى الإمام أحمد (12703) وابن خزيمة (1796) والنسائي في «الكبرى» (5873)، بإسناد صحيح، من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: أن رسولَ الله ﷺ قامَ فحَذَّرَ الناسَ، فقامَ رجل، فقال: متى السَّاعةُ يا رسولَ الله؟ فبَسَرَ رسولُ الله ﷺ في وجْهِه، فقلنا له: اقْعُدْ، فإنَّك قد سَأَلتَ رسولَ الله ما يَكْرَه، ثم قام الثانيةَ، فقال: يا رسولَ الله، متى السّاعةُ؟ قال: فبَسَرَ رسولُ الله ﷺ في وَجْهِهِ أَشَدَّ مِن الأُولى، قال: فأجْلَسْناه، قال: ثُمَّ قامَ الثالثةَ، فقال: يا رسولَ الله، متى السَّاعةُ؟ فقال له رسولُ الله ﷺ: «وَيْحَكَ، وما أَعْدَدْتَ لها؟» قال الرجلُ: أَعْدَدْتُ لها حُبَّ اللهِ ورسوله. فقال له رسولُ الله ﷺ: «اجْلِسْ، فإنكَ مَعَ مَن أَحْبَبْتَ». لفظ أحمد.

❁ ❁ ❁

الإعجاز الطبي والعلمي في الهدي النبوي في التنفس خارج الإناء ثلاثاً

التَّنَفُّسُ شهيقٌ وزفير؛ الشهيقُ يُدْخِلُ الهواءَ الصافي الْمُفْعَمَ بالأكسجين إلى الرئتين، ليمدَّ الجسمَ بما يحتاجه من الطاقة؛ والزفيرُ يُخْرِجُ من الرئتين الهواءَ الْمُفْعَمَ بغازِ الفحم CO2، مع قليل من الأكسجين وبعض فضلات الجسم الطيارة، التي تخرج عن طريق الرئتين بشكلٍ غازيٍّ، هذه الغازات تكثر نسبتها في هواء الزفير في بعض الأمراض، كما في التسمم البولي (الأوريميا) فتصبح رائحة النفس كريهة كرائحة النشادر (الأمونياك) وفي التسمم السكري فتصبح رائحة النَّفَسِ كرائحة الْخَلّون (الأسيتون). إذَنْ فهواءُ الزفير هو فضلاتُ الجسم الغازية مع قليل من الأكسجين؛ فكيف نُعيدُ هذه الفضلاتِ مرةً ثانية إلى الجسم عن طريق نفخها في الطعام والشراب؟! لذلك نهى النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) عن ذلك.

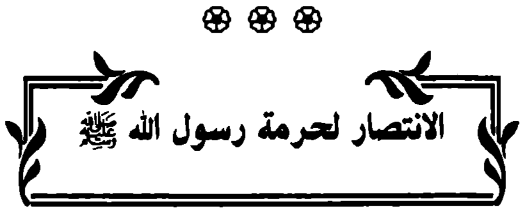
ففي «موطأ» الإمام مالك (1718) و«مسند الإمام أحمد» (11654) و«سنن الترمذي» (1894)، وغيرهم بإسناد صحيح، من حديث أبي سعيد الخدري ـ ﷺ ـ أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب، فقال رجل: القذاة أراها في الإناء؟ فقال: «إهرقها» قال: إني لا أروى من نفسٍ واحد؟

قال: «فأَبنِ القدح إذاً عن فيك».

وروى الإمام أحمد (1907) وأبو داود (3728) والترمذي (1895)، وغيرهم بإسناد صحيح، من حديث عبد الله بن عباس ـ ﷺ ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يُتنفس في الإناء، أو يُنفخ فيه.

وقد جمع علماء الأمة بين النهي عن النفخ في الأشربة، على الأطعمة، من أجل أنه قد يقع فيه شيء من ريق النافخ، فيعافه الآخر ويتقذره، ومما تقدم مما في النفس من أضرار صحية، قد تسبب من الإضرار بالآخرين. والقاعدة في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار» فقد ينفر الناس ممن ينفخ أو يتنفس في الشراب والطعام، ويبتعدون عنه، وكذا قد لا يسلمون من أذى نفسه أو نفخه.

❀ ❀ ❀



الانتصار لحرمة رسول الله ﷺ

من ذا الذي يجرؤ على أذِيّة رسول الله ﷺ، إلا أن يكون كافراً أو منافقاً؟ فهل يعقل أن مسلماً يؤمن بالله تعالى ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبرسول الله ﷺ نبياً ورسولاً أن يــؤذي رســول الله ﷺ؟ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: 57].

وقد حصل في زمن رسول الله ﷺ وهو بالمدينة المنورة، أن أبا رافع اليهودي، كان قد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً، فحينما اشتد آذاه لرسول الله ﷺ انتدب رسول الله ﷺ من يخلصه منه، وينهي أمره.

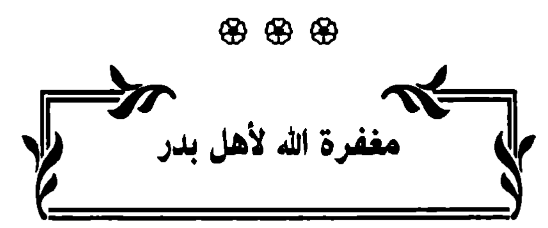
ففي «صحيح البخاري» (4039) ومسلم (1801)، وغيرهما من طريق، عُبَيْدُ الله بن موسى عن إسرائيل عَنْ أبي إسْحاقَ عَنِ الْبَراءِ بْنِ عازِبٍ قالَ: بَعَثَ رَسُول الله ﷺ إلى أبي رافِعٍ الْيَهودِيِّ رِجالاً مِنَ الأنْصارِ فَأمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الله بن عَتِيكٍ ـ وَكانَ أبُو رَافع

يُؤْذِي رَسُولَ الله ﷺ ويُعِينُ عَلَيْهِ ـ وَكانَ في حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجازِ فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غرَبَتِ الشَمْسُ وَراحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ، فَقالَ عَبْدُ الله لأصْحابِهِ: اجْلِسُوا مَكانَكُمْ، فَإنِّي مُنْطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ، لَعَلِّي أَنْ أدْخُلَ، فَأقْبَلَ حَتَّى دَنا مِنَ الْبابِ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بَثَوْبِهِ كَأنَّهُ يَقْضِي حاجَةً، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ يا عَبْدَ الله إنْ كُنْتَ تُرِيدُ أنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ فَإنِّي أُرِيدُ أنْ أغْلِقَ الْبابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أغْلَقَ الْبابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الأغالِيقَ عَلى وَدٍّ قالَ: فَقُمْتُ إلَى الأقالِيدِ فَأخَذْتُها فَفَتَحْتُ الْبابَ، وَكانَ أبُو رافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ، وَكانَ في عَلالِيَّ لَهُ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إلَيْهِ فَجَعَلْتُ كُلَّما فَتَحْتُ باباً أغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ داخِلٍ قُلْتُ إنِ الْقَوْمُ نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إلَيَّ حَتَّى أقْتُلَهُ، فَانْتَهَيْتُ إلَيْهِ فإذا هُوَ في بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيالِهِ، لا أدْرِي أيْنَ هُوَ مِنَ الْبَيْتِ، فَقُلْتُ: أبا رافِعٍ، قالَ: مَنْ هذا؟ فَأهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأضرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأنا دَهِشٌ فَما أغْنَيْتُ شَيْئاً، وَصاحَ فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ فَأمكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إلَيْهِ فَقُلْتُ ما هذا الصَّوْتُ يا أبا رافِعٍ؟ فَقالَ: لأُمِّكَ الْوَيْلُ إنَّ رَجُلاً في الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قالَ فَأضْرِبُهُ ضَرْبَةً أثْخَنَتْهُ وَلَمْ أقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ضَبِيبَ السيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أخذَ في ظَهْرِهِ فَعَرَفْتُ أنِّي قَتَلْتُهُ فَجَعَلْتُ أفْتَحُ الأبْوابَ باباً باباً حَتَّى انْتَهَيْتُ إلى دَرَجَةٍ لَهُ فَوَضَعْتُ رِجْلِي وَأنا أرى أنِّي قَدِ انْتَهَيْتُ إلى الأرْضِ فَوَقَعْتُ في لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ فَانْكَسَرَتْ ساقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمامَةٍ ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبابِ، فَقُلْت: لا أخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أعْلَمَ أقَتَلْتُهُ فَلَمَّا صاحَ الدِّيكُ قامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ، فَقالَ: أنْعى أبا رَافِعٍ. تاجِرَ أهْلِ الْحِجازِ فَانْطَلَقْتُ إلى أصْحابِي فَقُلْتُ النَّجاءَ فَقَدْ قَتَلَ الله أبا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ فَقالَ لي: «إبْسِطْ رِجْلَكَ» فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَها فَكَأنَّها لَمْ أشْتَكِها قَطُّ.

وقد جاء في لفظ آخر عند البخاري (4040)، من طريق شُريح بن مسلمة، قال: حَدَّثَنا إبْراهِيمُ بْنُ يُوسُفَ عَنْ أبِيهِ، عَنْ أبي إسْحاقَ قالَ: سَمِعْتُ الْبَراءَ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ إلى أبِي رافِعٍ عَبْدِ الله بْنَ عَتِيكٍ وَعَبْدِ الله بْنَ عُتْبَةَ في ناسٍ مَعَهُمْ فَانْطَلَقُوا حَتَّى دَنَوْا مِنَ الْحِصْنِ فَقالَ لَهُمْ عَبْدُ الله بْنُ عَتِيكٍ: امْكُثُوا أنْتُمْ حَتَّى أنْطَلِقَ أنَا فَأنظُرَ قالَ: فَتَلَطَّفْتُ أن أدْخُلَ الْحِصْنَ فَفَقَدُوا حِماراً لَهُمْ، قالَ: فَخَرَجُوا بِقَبَسٍ يَطْلُبُونَهُ قالَ: فَخَشِيتُ أنْ أُعْرَفَ قالَ: فَغَطَّيْتُ رَاسِي وَرِجْلِي كَأنِي أقْضِي حاجَةً ثُمَّ نادى صاحِبُ الْباب مَنْ أرادَ أنْ يَدْخُلَ فَلْيَدْخُلْ قَبْلَ أنْ أُغْلِقَهُ، فَدَخَلْتُ ثُمَّ اخْتَبَأْتُ فِي مَرْبِطِ حِمارٍ عِنْدَ بابِ الْحِصْنِ فَتَعَشَّوْا عِنْدَ أبي رافِعٍ وَتَحَدَّثُوا حَتَّى ذَهَبَتْ ساعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ رَجَعُوا إلى بُيُوتِهِمْ فَلَمَّا هَدَأَتِ الأصْواتُ وَلا أسْمَعُ حَرَكَةً خَرَجت قالَ: وَرَأيتُ

صاحِبَ الْبابِ حَيْثُ وَضَعَ مِفْتاحَ الْحِصْنِ في كَوَّةٍ فَأخذْتُهُ فَفَتَحْتُ بِهِ بابَ الْحِصْنِ، قالَ: قُلْتُ إنْ نَذِرَ بِي الْقَوْمُ انْطَلَقْتُ عَلى مَهْلٍ، ثُمَّ عَمَدْتُ إلى أبْوابِ بُيُوتِهِمْ فَغَلَّقْتُها عَلَيْهِمْ مِنْ ظاهِرٍ، ثُمَّ صَعِدْتُ إلى أبِي رافِعٍ فِي سُلَّمٍ فَإذا الْبَيْتُ مُظْلِمٌ قَدْ طُفِيءَ سِراجُهُ فَلَمْ أدرِ أينَ الرجُلُ، فَقُلْتُ: يا أبا رافِعٍ، قالَ: مَنْ هذا؟ قالَ: فَعَمَدْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ وَصاحَ فَلَمْ تُغْنِ شَيْئاً؟ قالَ: ثُمَّ جِئْتُ كأني أُغِيثُهُ فَقُلْتُ: ما لَكَ يا أبا رافِعٍ؟ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي، فَقالَ: ألا أُعجِبُكَ؟ لأُمِّكَ الْوَيْلُ، دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ فَضَرَبَنِي بِالسَّيْفِ، قالَ: فعَمَدْتُ لَهُ أيضاً فَأَضْرِبُهُ أُخْرى فَلَمْ تُغْنِ شَيْئاً فَصاحَ وَقامَ أهْلُهُ، قالَ: ثُمَّ جِئْتُ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي كَهَيْئَةِ الْمُغِيثِ، فَإذا هُوَ مُسْتَلْقٍ عَلى ظَهْرِهِ فَأَضَعُ السَّيْفَ فِي بَطْنِهِ ثُمَّ أنْكَفِيءُ عَلَيْهِ حَتّى سَمِعْتُ صَوْتَ الْعَظْمِ، ثُمَّ خَرَجْتُ دَهِشاً حَتّى أَتَيْتُ السُّلَّمَ أُرِيدُ أنْ أنزِلَ فَأَسْقُطُ مِنْهُ فَانْخَلَعَتْ رِجْلِي فَعَصَبْتُهَا ثُمَّ أتيْتُ أصْحابِي أحْجُلُ فَقُلْتُ انْطَلِقُوا فَبَشِّرُوا رَسُولَ الله ﷺ فَإنِّي لا أبرَحُ حَتّى أسْمَعَ النّاعِيَةَ، فَلَمَّا كانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ صَعِدَ النّاعِيَةُ فَقالَ: أَنعِي أبا رافِعٍ، قالَ: فَقُمْتُ أمْشِي ما بِي قَلَبَةٌ، فَأدْرَكْتُ أصْحابي قَبْلَ أنْ يَأتُوا النَبِيَّ ﷺ فَبَشَّرتُهُ.

❀ ❀ ❀



مغفرة الله لأهل بدر

قول النبيّ ﷺ لعمر: «**وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[1]، أشكل على كثير من الناس معناه؛ فإن ظاهره إباحة كل الأعمال لهم وتخييرهم فيما شاؤوا منها، وذلك ممتنع.

---

(1) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (600) والبخاري (4890) ومسلم (2492) وغيرهم، من حديث علي بن أبي طالب رضي اللهُ عنهُ، أنهُ قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أنا وَالزبَير وَالمِقدَادَ، فَقَالَ: «**انطَلِقُوا حَتَّى تَأتوا رَوضَةَ خاخٍ، فَإنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنهَا**». فَذَهَبنَا تَعَادَى بِنَا خَيلُنَا حَتَّى أَتَينَا الرَّوضَةَ، فَإذَا نَحنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلنَا: أَخرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَت: ما مَعِي مِن كِتَابٍ، فَقُلنَا: لَتُخرِجِنَّ الكِتَابَ أَو لَنُلقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخرَجَتهُ مِن عِقَاصِهَا.
فَأَتَينَا بِهِ النبِيَّ ﷺ فَإذَا فِيهِ: مِن حاطِبِ بنِ أَبِي بَلتَعَةَ إِلَى أُناسٍ مِنَ المُشرِكِينَ مِمَّن بِمَكَّةَ، يُخبِرُهُم بِبَعضِ أَمرِ النبيِّ ﷺ، فَقَالَ النبِيُّ ﷺ: «**ما هَذَا يَا حَاطِبُ**». =

فقالت طائفة، منهم ابن الجوزي: ليس المراد من قوله «اعملوا» الاستقبال، وإنما هو للماضي، وتقديره: أي عمل كان لكم فقد غفرته.

قال: ويدلُّ على ذلك شيئان:

أحدهما: أنه لو كان للمستقبل كان جوابه قوله: فسأغفر لكم.

والثاني: أنه كان يكون إطلاقاً في الذنوب ولا وجه لذلك. وحقيقة هذا الجواب: إني قد غفرت لكم بهذه الغزوة ما سلف من ذنوبكم.

لكنه ضعيف من وجهين:

أحدهما: أن لفظ «اعملوا» يأباه؛ فإنه للاستقبال دون الماضي. وقوله: «قد غفرت لكم» لا يوجب أن يكون اعملوا مثله؛ فإن قوله: «قد غفرت» تحقيق لوقوع المغفرة في المستقبل كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 1]، و﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: 22]، ونظائره.

الثاني: أن نفس الحديث يردّه؛ فإن سببه قصة حاطب وتجسُّسه على النبي ﷺ، وذلك ذنب واقع بعد غزوة بدر لا قبلها، وهو سبب الحديث، فهو مراد منه قطعاً.

فالذي نظن في ذلك، والله أعلم، أن هذا خطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم لا يفارقون دينهم، بل يموتون على الإسلام، وأنهم قد يقارفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مصرِّين عليها، بل يوفِّقهم لتوبة نصوح واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك. ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم لأنه قد تحقق ذلك فيهم،

= قَالَ: لا تَعجَل عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، إني كُنتُ امرأً مِنْ قُرَيشٍ، وَلَم أَكُنْ مِنْ أَنفسِهِمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُم قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهليهم وَأَموَالَهُم بِمَكَّةَ، فَأَحبَبْتُ إذ فاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِم، أَنْ أَصطَنِعَ إِلَيهِم يَداً يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلتُ ذَلِكَ كُفراً، وَلا ارْتِدَاداً عَنْ دِينِي.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّهُ قَد صَدَقَكُم»**. فَقَالَ عُمرُ: دَعنِي يَا رَسُولَ اللهِ فَأَضرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: **«إِنَّهُ شَهِدَ بَدراً، وَمَا يُدرِيكَ؟ لَعَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهلِ بَدرٍ فَقَالَ: اعمَلُوا ما شِئتُم فَقَد غَفَرتُ لَكُم»**. قَالَ عَمرو ـ وهو أحد رواة الحديث ـ: وَنَزَلَت فِيهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: 1] لفظ البخاري.

وقوله: فأخرجته من عقاصها: أي من خفيرتها. جمع عقيصة، وهي الشعر الذي يُلوى ويدخل أطرافه في أصله. وأما «روضة خاخ» فهي بلدة بقرب حمراء الأسد من المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

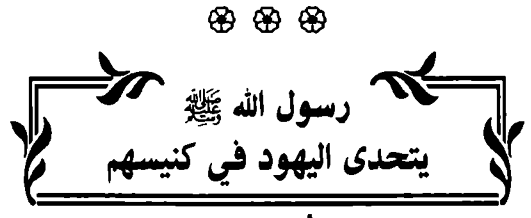
وأنهم مغفور لهم. ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم، كما لا يقتضي ذلك أن يعطلوا الفرائض وثوقاً بالمغفرة. فلو كانت قد حصلت بدون الاستمرار على القيام بالأوامر لِمَا احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة ولا جهاد، وهذا محال.

ومن أوجب الواجبات التوبة بعد الذنب؛ فضمان المغفرة لا يوجب تعطيل أسباب المغفرة، ونظير هذا قوله في الحديث الآخر: **«أذنب عبدٌ ذنباً فقال: أي رب، أذنبت ذنباً فاغفره لي، فغفر له، ثم مكث ما شاء الله أن يمكث، ثم أذنب ذنباً آخر فقال: أي رب، أصبت ذنباً فاغفره لي، فغفر له، ثم مكث ما شاء الله أن يمكث، ثم أذنب ذنباً آخر فقال: رب أصبت ذنباً فاغفره لي، فقال الله: علمَ عبدي أنَّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي فيعمل ما شاء»**.

فليس في هذا إطلاق وإذنٌ منه سبحانه له في المحرمات والجرائم، وإنما يدل على أنه يغفر له ما دام كذلك إذا أذنب تاب. واختصاص هذا العبد بهذا؛ لأنه قد علم أنه لا يصرُّ على ذنب، وأنه كلما أذنب تاب، حكم يعمّ كل ما كانت حاله حاله، لكن ذلك العبد مقطوع له بذلك كما قطع به لأهل بدر.

وكذلك كل مَن بشَّرَه رسول الله ﷺ بالجنة أو أخبره بأنه مغفور له، لم يفهم منه هو ولا غيره من الصحابة إطلاق الذنوب والمعاصي له ومسامحته بترك الواجبات، بل كان هؤلاء أشد اجتهاداً وحذراً وخوفاً بعد البشارة منهم قبلها، كالعشرة المشهود لهم بالجنة. وقد كان الصدّيق شديد الحذر والمخافة، وكذلك عمر. فإنهم علموا أن البشارة المطلقة مقيَّدة بشروطها والاستمرار عليها إلى الموت، ومقيّدة بانتفاء موانعها، ولم يفهم أحد منهم من ذلك الإطلاق الإذن فيما شاؤوا من الأعمال. (ق)

❀ ❀ ❀



رسول الله ﷺ يتحدى اليهود في كنيسهم

يا له من نبي عظيم. حمل ما أُمر بتبليغه إلى الناس كافة، من غير تمييز، ولا خوف ولا وجل. على اختلاف أجناسهم، وأشكالهم، وأديانهم، ومعتقداتهم، . . .

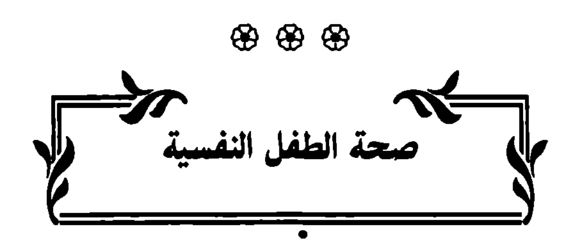
وها هو الآن يدخل أحد كنائس اليهود، وهم مجتمعون فيها يوم عيد لهم، ليدعوهم إلى الإسلام، واتباع ما نزل عليه.

ففي «مسند الإمام أحمد» (23984) وابن حبان (7162)، وغيرهما، بإسناد صحيح على شرط مسلم، من حديث عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال:

انطلق النبيُّ ﷺ يوماً وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيدٍ لهم. فكرهوا دخولنا عليهم. فقال لهم رسول الله ﷺ: **«يا معشر اليهود، أروني اثني عشر رجلاً يَشهَدُون أنَّه لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، يُحبطِ اللهُ عن كُلِّ يهوديّ تَحْتَ أَدِيمِ السَّماءِ الغَضَبَ الذي غَضِبَ عليه»** قال: فأَسكَتُوا ما أجابَه منهم أحدٌ، ثم رَدَّ عليهم فلم يُجِبْه أحد، ثم ثَلَّثَ فلم يُجِبْه أَحدٌ، فقال: **«أَبَيتُم! فوالله إنِّي لأنا الحاشِرُ، وأنا العاقِبُ، وأنا النَّبيُّ المُصطَفَى، آمَنتُم أو كَذَّبتُم»**.

ثم انصرف وأنا معه، حتى إذا كِدْنا أن نَخْرُج نادى رجلٌ من خلفِنا: كما أنت يا محمدُ. قال: فأَقبَلَ، فقال ذلك الرجل: أيَّ رجلٍ تَعلَمُوني فيكم يا معشرَ اليهود؟ قالوا: واللهِ ما نعلمُ أنه كان فينا رجلٌ أعلمَ بكتاب الله منكَ، ولا أفقهَ منكَ، ولا من أبيكَ قبلَك، ولا من جَدِّك قبل أبيكَ. قال: فإنِّي أشهَدُ له بالله أنه نبيُّ الله الذي تَجِدُونَه في التَّوراةِ. قالوا: كَذَبتَ. ثم رَدُّوا عليه قولَه، وقالوا فيه شرّاً، قال رسول الله ﷺ: **«كَذَبتُم، لَنْ يُقْبَلَ قَولُكُم، أَمَّا آنِفاً فتُثْنُونَ عليه من الخَيْر ما أَثْنَيتُم، ولمَّا آمَنَ أَكْذَبتمُوه وقُلتُم فيه ما قلتُم، فلَنْ يُقبَلَ قَولُكُم»**. قال: فخَرَجْنا ونحن ثلاثة: رسولُ الله ﷺ وأنا وعبدُ الله بن سَلام، وأنزَل الله عز وجل فيه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 10]. لفظ أحمد.

❀ ❀ ❀



غياب الأم عن الطفل:

قال ﷺ:

«المرأة أحق بولدها ما لم تزوج»[1].

---

(1) رواه الدارقطني في «سننه».

قد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن الطفل الملتصق بأمه يكون نموه الجسمي والعقلي والنفسي أسرع من غيره الذي لا يجد هذه الظروف، وبالتالي فإنه يكون بعيداً عن الأمراض بأنواعها.

وفي أمريكا توجد مدارس للمضطربين نفسياً، ليس فيها إلا أبناء الأغنياء؛ نظراً لارتفاع المصروفات المدفوعة للابن تعويضاً للرعاية الخاصة التي يتلقاها فيها.. وهؤلاء الأبناء دائمو الشكوى من قلة الحب والحنان الذي يحصلون عليه في البيت الذي تتوافر فيه كل إمكانات الحياة المادية المعاصرة.. وذلك لافتقادهم لأمهاتهم. كما قد أجريت دراسة نفسية في دور الحضانة بألمانيا الغربية.. وتبين أن ثلثي أطفال الحضانة مصابون بأمراض واضطرابات نفسية، سببها عدم وجودهم مع أمهاتهم اللاتي قد انشغلن في وظائفهن خارج البيت.

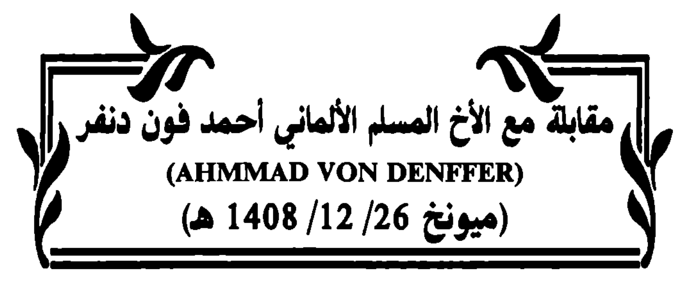
وتذكر الدراسة أن أكثر إصابة هؤلاء الأطفال بالأمراض النفسية تبدو في صورة عدم تركيز، وشرود دائم، وعصبية زائدة، وفشل في تكوين صداقات، فضلاً عن ظهور كثير من الحالات بينهم تعاني من صعوبات ومتاعب في النطق، ومصّ الأصابع، وقضم الأظافر، وربما التبول اللا إرادي.

وقد لاحظت الدكتورة إيدايلين إحدى عالمات الاجتماع أن سبب الأزمات العائلية في أمريكا، وسر كثرة الجرائم في المجتمع هو غياب الطفل عن أمه، ووجوده مع زوجة أب أو ما شابه ذلك. كما لاحظت أيضاً أن الزوجة التي تترك بيتها لتضاعف دخل الأسرة تجني على طفلها بصورة أو بأخرى.

وغير ذلك من دراسات أثبتت بالدليل القاطع وبالمشاهدات الواقعية الحكمة العلمية للحديث الشريف. (ك).



﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]



مقابلة مع الأخ المسلم الألماني أحمد فون دنفر
(AHMMAD VON DENFFER)
(ميونخ 26/ 12/ 1408 هـ)

ولد الأخ أحمد سنة 1949.

تخصصه: علم الشعوب.

ديانته قبل الإسلام: بروتستانتية.

أول ما سمع عن الإسلام سماعاً واعياً سنة 1966 م عندما سافر إلى تركيا. أما قبل ذلك فلم يكن على ذكر مما سمعه عن الإسلام.

وكان يسافر كثيراً لقضاء إجازاته في دول أوروبا. ثم سأل نفسه: ماذا يعمل بعد وإلى أين يسافر، فتقرر عنده أن يسافر إما إلى تركيا وإما إلى إفريقيا. وتعينت تركيا لغلاء نفقة السفر إلى إفريقيا. وقرأ عن تاريخ تركيا وحضارتها وديانتها ليعرف عنها كل شيء يمكنه معرفته، وتبين له الاختلاف بينها وبين أوروبا.

واشترى ترجمة معاني القرآن الكريم.

ثم اهتم بالقراءة عن الإسلام في أوقات فراغه، وكان عنده فراغ أكثر عندما التحق بالخدمة العسكرية سنة 1968 فقرأ عن الأديان وبخاصة الإسلام أكثر في هذه الفترة.

وكان عنده اقتناع بأن الإسلام ممتاز بالنسبة للمسلمين ولكنه لم يكن يفكر أنه سيصبح مسلماً على رغم فهمه للإسلام.

وفي تلك الفترة كان يصعب على الأوروبي التعرف على الإسلام في بلده.

وعندما عرف هو الإسلام، وقد وجد فيه أموراً كثيرة يرى أنها مناسبة سأل نفسه: لماذا لا أكون مسلماً؟ وكان مما لفت انتباهه في الإسلام قضيتان: الأولى: التوحيد، والثانية: العدل، ولم يجد ذلك في الكنيسة.

ثم وجد أن كل ما عرفه في الإسلام كان مقبولاً عنده ما عدا أمرين:

الأمر الأول: مفهوم القضاء والقدر.

الأمر الثاني: موقف الإسلام من المرأة، بحسب تفكير الأوروبيين. ولكنه بعد تأمل رأى أن هذين الأمرين لا يمنعانه من الدخول في الإسلام.

فبدأ بترك شرب الخمر وأكل لحم الخنزير.

وطلب كتاباً عن تعليم الصلاة، وحاول أن يصوم رمضان وكان ذلك كله يحدث في حياته بالتدريج، إذ حصلت هذه الأمور خلال أربع سنوات ولم تكن توجد مساجد يعلن فيها إسلامه ولكنه كان مقتنعاً بالإسلام (ثم قال معلِّقاً): إنه يوجد بعض الألمان اقتنعوا بالإسلام ولكنهم لا يحتكون بالمسلمين ولا يلتقون بهم.

وما زال الأخ أحمد ـ كما قال ـ يزداد في علمه وعمله وتغيرت عنده كثير من المفاهيم.

قلت له: ما الفرق بين حياتك قبل الإسلام وبين حياتك بعده؟

فقال: الفرق كبير، ولكنه بسبب تغير حياته بالتدريج لم يشعر بمشكلات بخلاف الذي يدخل في الإسلام فجأة فإنه يواجه مصاعب جمّة.

وسألت الأخ أحمد: هل توجد كتب جيدة تشرح مبادئ الإسلام باللغة الألمانية؟ وهل هي في متناول أيدي الناس؟

فقال: توجد كتب كثيرة عن الإسلام، وكانت قبل مائة سنة ترجمات حرفية، والكتب التي كتبت في بداية هذا القرن أغلبها ضد الإسلام من قِبَل المستشرقين. ومنذ خمسة عشر عاماً تقريباً وجدت كتب مؤلفة من قبل الألمان وهي جيدة وبعضها أجود من بعض. والكتب القديمة منها سيرة ابن هشام، وهي في مكتبات الجامعة وليست في متناول أيدي الناس، والدولة لا تعارض طبع الكتب.

وقال الأخ أحمد: إنه يحاول إعادة طبع هذه الكتب بأسلوب العصر الطباعي وأحرفه الجديدة، وتوجد كتب أخرى في المكتبات الجامعية. وقبل أربع سنوات كان المسلمون يطبعون بعض الكتب الإسلامية ويوزعونها على المراكز الإسلامية والمساجد وأماكن التجمعات الإسلامية. ثم نهجوا الآن نهجاً آخر، وهو تسجيل هذه الكتب في فهارس المكتبات التجارية العامة بحيث يتمكن أي شخص أن يطلب الكتاب الذي يريد، وإن كان لا يوجد الكتاب في بلده، فإنه يستطيع أن يطلبه من البلد الآخر على العنوان الذي كتب في الفهارس.

قلت للأخ أحمد: هل تغطي هذه الكتب موضوعات مبادئ الإسلام التي إذا اطلع عليها الإنسان قامت بها عليه الحجة؟

فقال: يصعب الجواب عن هذا السؤال، يوجد في ألمانيا ستون مليون شخص، وقد ترجمت خمسون مادة في موضوعات مختلفة، ومن كل مادة طبع عشرة آلاف نسخة (هكذا كان جواب الأخ والسبب في ذلك فيما يبدو لي عدم فهم السؤال وربما لأن الحوار كان عن طريق الترجمة) ثم قال: إن القرآن الكريم قد ترجمت معانيه عدة تراجم ومن قرأه ولم يسلم فقد قامت الحجة عليه، وكتاب محمد حميد الله «**الإسلام**» يشتمل على النقاط المهمة من مبادئ الإسلام والذي يطلع عليه يمكن أن تقوم به الحجة، ويبقى الأمر بين الإنسان وبين الله تعالى.

قلت: هل يظن الأخ أحمد أنه يوجد في أوروبا من لم يسمع عن الإسلام؟.

فقال: الإسلام سمع عنه الجميع ولكن كيف سمعوا؟ إن تسعة وتسعين من كل مائة سمعوا عن الإسلام أموراً محرّفة ومشوّهة تنفّر من الإسلام.

قلت: ما الموضوعات التي يرى البدء بها للتعريف بالإسلام؟

فقال: قبل مائة سنة كان الفكر في الدين والثقافة غير متشعب، أما الآن على ضوء الحرية الفكرية الموجودة فتوجد أفكار كثيرة واختلافات وأسئلة كثيرة. ولذلك تكون الأولوية حسب أسئلة الناس وفئاتهم للإجابة على أسئلتهم، وضرب مثالاً لذلك بالحياة بعد الموت، فالكبار لهم تصورات كنسية، والصغار لهم تصورات بوذية وغيرها.

ويوجد سؤال يومي تقريباً، وهو: كيف يكون العيش في المستقبل بعد عشرين أو ثلاثين عاماً في إطار ما هو موجود من مشكلات السلام والحروب الاقتصادية، والسياسية والعسكرية، والناس يسألون المسلمين هنا اعتقاداً منهم أنه يجب أن يكون عند المسلمين حل وإجابة على هذا السؤال، فإذا لم يجدوا عند المسلمين حلاً اعتقدوا أن المسلمين أسوأ حالاً منهم.

وهناك نقطة مهمة يجب على الباحث أن يتنبه لها، وهي أن الوضع في الغرب وفي أمريكا وضع حرج ومهم، فالناس يخافون على مستقبلهم ومستقبل أولادهم، فترى المرأة التي عندها أطفال تسأل عن مستقبلهم وقد تجد أجوبة مشابهة لما هو عند المسلمين، ولكن لا يعرف الناس أن حل مشكلاتهم في الإسلام.

وهناك مثالان ـ أنوه قبلهما بشيء، وهو أنه يجب علينا أن نسمع الناس ونصغي إلى أسئلتهم ونعطيهم الأجوبة السليمة، ويجب أن لا نكون عمياً لا ننظر إلى واقع الناس الذي يعيشون فيه ـ.

المثال الأول: الخمر؛ قبل عشر سنوات أو خمس عشرة سنة كانت الكحول هي الشراب الرئيسي في الحفلات، وكان المسلمون إذا أقاموا حفلات ودعَوا كبار رجال الدولة يحضر ممثلون عن اليهود والنصارى، وكان المسلمون يتحرجون من تقديم غير الكحول على عكس الحال في هذا الزمن، إذ يوجد اختيار بين الكحول وغيرها[1].

وقد نقص معدل استهلاك الكحول بين 1986 ـ 1987 2% وهذه النسبة مع قلتها يجب أن يهتم بها المسلمون، فعندما يجتمع المسلمون في حفلة مع غير المسلمين ويطلبون شراباً غير كحولي تجد بعض النصارى يطلبون شراباً غير كحولي لأسباب منها التأثير على الصحة، أو أن جار المسلم قد فقد ابنه في حادث سيارة نتيجة شرب الكحول أو ما شابه ذلك، ونحن المسلمون ننسى في مثل هذه المناسبات أن نبين لهم أن الذي يعملونه صحيح ولكن هذا العمل الصحيح في حد ذاته لا يقودهم إلى ما يرجون من الخير لعدم ارتكازه على الإيمان.

والنظام يقتضي سحب الرخصة من الذي تزيد نسبة الكحول في شرابه على 0,8 في الملي لتر، والمسلمون لا يستغلون في بيان محاسن دين الإسلام للناس وموقف الإسلام من الكحول.

والأطباء المسلمون يمكنهم أن يراسلوا الجهات الرسمية التي تقوم بمحاولات في هذا الموضوع وأشباهه، وقد يجدون منهم أذناً صاغية لنصيحتهم ولكن المسلمين لا يفعلون ذلك، وإنما يهتمون بمرتباتهم فقط. والواجب عليهم أن يبلغوا الجهات المسؤولة أنها لا تستطيع تجنب مشكلات الكحول إلا إذا منعت الخمر على الناس، وهذا لأن كان غير متوقع تأثيره في أول الأمر فإنه يفتح الباب.

وقال: إن الألمان عندهم استعداد للسماع أكثر من غيرهم.

---

(1) يعني بسبب فهم غير المسلمين أن الخمر حرام على المسلمين أصبح غير المسلمين يحترمون مشاعر المسلمين، ولكن مع الأسف كثير من المسلمين وبخاصة ممثلي الدول لا يتورعون عن تعاطي المحرمات ويجرحون مشاعر الصالحين من المسلمين أكثر من الكفار.

قلت للأخ أحمد: ما صفات الداعية الذي يمكن أن يؤثر في الألمان؟

فقال: أن يتصف بصفات الرسول ﷺ حسب الاستطاعة ويجب أن تكون صفات الداعية الحميدة معروفة عنه عند أهل بلده حتى يجد الناس فيه مثلاً حياً يتأثرون به.

ويجب أن يكن الداعية مُجِيداً للغة أهل البلد الذين يدعوهم إلى الإسلام حتى يتمكن من تفهيمهم معاني الإسلام على حقيقتها.

وقال: إنه لو طلب منه الإخوة أن يذهب إلى أي بلد كأمريكا اللاتينية للقيام بالدعوة هناك فسيلبي طلبهم ولكنه يفضل أن يتركوه للدعوة بين أهل بلده الذين يفهمهم ويفهمونه. وهذا الأمر هو الذي اختاره الله حيث لم يرسل رسولاً إلا بلسان قومه، وكذلك كان الرسول ﷺ يبعث إلى القوم شخصاً منهم إذا وجد. ولا بد من معرفة ثقافة أهل البلد الذي يدعو فيه ومعرفة الأسئلة الآتية المهمة وإجاباتِها ولا بد من الصبر والأمانة، وليس من الضروري أن يعلم الداعية فقه المذاهب الأربعة، ولكن من الضروري أن يعلم إجابات الأسئلة التي تهم المجتمع كدور المرأة في الإسلام ـ مثلاً ـ ولا بد أن يكون الداعية حكيماً رفيقاً ليناً...

وسألت الأخ عن العقبات التي تعترض الدعوة في ألمانيا؟

فقال: من أهم المشكلات القائمة أن الألمان سمعوا أموراً غير صحيحة عن الإسلام نفرتهم منه، وهذه عقبة كبيرة، ولو كانت عقولهم صافية لكان الأمر أسهل.

ثم إن الدعاة يصطدمون بالواقع الذي يسير عليه أكثر المسلمين مما يخالف الإسلام، ولذلك يصعب على الألماني أن يقتنع بالتوضيح النظري وهو يرى في الواقع ما يخالفه.

وقد تحدث مشكلات في المستقبل، مثلاً: إذا زاد عدد المسلمين في ألمانيا وأخذوا مراكز مرموقة في البلد يُشار إليها بالبنان، فإن الناس سيقفون ضدهم. وضرب الأخ أحمد مثالاً لذلك: بالخمرة، إذا قوي مركز المسلمين وكثر تجمعهم سيلحظ المجتمع الألماني أن هذه الفئة من الشعب فئة سليمة من الأمراض الناتجة عن الكحول وهي متفشية في غيرهم من المجتمع، وسيكون لهم مركز سياسي وتجمع أساسه الإسلام، وسيطرحون وجهات نظرهم من قضايا كثيرة منها وجوب منع الخمر، وعند ذلك ستحاربهم ثلاث فئات:

الفئة الأولى: أصحاب المصانع ومحلات الخمر التجارية.

والفئة الثانية: المزارعون.

والفئة الثالثة: الدولة التي تأخذ ضرائب باهظة على الخمور، لما تحس هذه الفئات الثلاث من الخطورة على الوضع الاقتصادي الذي أَلِفوه، وعندئذٍ فإن الواجب على المسلمين أن يوجدوا الحل الناجع قبل أن يطرحوا رأيهم في منع الخمور.

وسألت الأخ أحمد عن الجماعات الإسلامية الألمانية واتجاهاتهم فقال:

توجد مجموعتان كبيرتان:

المجموعة الأولى: ألمان مسلمون فقط.

المجموعة الثانية: ألمان مسلمون مع غيرهم.

المجموعة الأولى يوجد بين أفرادها وبين المسلمين غير الألمان اتصال في الجملة ولكن عندهم عصبية ضد الأجانب ولو كانوا مسلمين، من هذه المجموعة ـ وهم قليلون ـ مجموعة في مدينة هامبورج في الشمال وقد أسست سنة 1955 وتسمى رابطة الألمان المسلمين، وهم يتصلون بغيرهم ولا يحبون أن يُنظَر إليهم أنهم مرتبطون بمسلمين أجانب فتنحطّ درجاتهم في نظر المجتمع الألماني ولكنهم لا يفعلون شيئاً ضد المسلمين عملياً.

وتوجد جماعة على الطريقة البرهانية، وأغلبهم في الشمال ولهم فرع في مدينة ميونخ، وهم منكمشون ولكن لهم اتصال بالمسلمين غير الألمان، لأن شيخهم من السودان.

وفي برلين توجد مجموعات مهمة:

الأولى: لها وجهة صوفية والمسؤول عنها عبد الله خالص، وله اتصالات بالأتراك، ويقوم بشعائر الصوفية.

المجموعة الثانية: ليست مهمة، وهي مجموعة النساء الألمانيات، وهن يعملن بصفة جيدة مع المسلمين غير الألمان.

والمجموعة الثالثة: أصحاب دائرة الإسلام، وهذه المجموعة لها اتصال

بالمسلمين غير الألمان، ولكن فهمهم للإسلام مَشُوب بالثقافة الألمانية، فلا يرَون ـ مثلاً ـ تغطية رأس المرأة، وإن عملن بذلك في بلاد المسلمين.

وتوجد مجموعة في شمال غرب ألمانيا في مدينة زوست (Soest) وتسمي هذه المجموعة نفسها القسم الألماني من مؤتمر العالم الإسلامي الذي مركزه في كراتشي، وسكرتيرهم العام أنا ملاخان، وتدّعي هذه الجماعة أنها الجماعة الإسلامية الأولى، وأنها امتداد للجماعة الإسلامية الألمانية التي وجدت في مدينة برلين قبل الحرب العالمية الثانية، وقد حضر مؤسسوها المؤتمر الذي أسسه في مكة الملك عبد العزيز آل سعود.

والمعروف أن تلك الجماعة الأولى اختفى أمرها بعد الحرب العالمية الثانية. وهذه الجماعة التي تدّعي أنها الجماعة الأولى إنما ظهرت قبل أربع سنوات والمسؤول الحالي عنها يدعى محمد سالم عبد الله. والذي لا يعرف التاريخ قد يصدق دعوى هذه الجماعة، ولكن مما يدل على عدم صحة دعواها أنه لا يوجد واحد من أفراد هذه الجماعة ممن كان موجوداً قبل الحرب العالمية الثانية.

ولهذه الجماعة اتصالات وثيقة مع الحكومة الألمانية بزعم أن ذلك من أجل مصلحة الإسلام.

وقد كانوا قبل أربع سنوات منكمشين لا يتصلون بالمسلمين غير الألمان، ولكنهم شعروا بأن هدفهم من عملهم لا يتحقق وهم بعيدون عن المسلمين فبدأوا يتصلون ببعض المنظمات مثل جماعة السليمانية الأتراك، وقد اشتركت هذه الجماعة معهم في مجلس واحد لعدم فهمهم لحقيقتهم ولم تعترف الدولة بهذا المجلس. وبعد سنتين رأت جماعة السليمانية تركهم لمعرفتها أنه ليس هدفهم كما كانوا يقولون: إقامة دولة إسلامية. وقد حاولوا إرجاع السليمانية إلى صفهم وهددوهم في خطاب بأنهم إذا لم يعودوا إليهم فسيكشفون أمرهم، وهو تهديد لا معنى له، لأن نشاطات المسلمين في أوروبا واضحة ومعروفة عند الدولة.

وفي كولونيا يوجد تجمع نساء ألمانيات وهنّ يفهمنَ الإسلام أكثر من النساء المسلمات في برلين.

وتوجد دائرة ألمانية مسلمة في آخن وهي على صلة وثيقة بالطلائع وأفرادها جيدون وحسَنو الإسلام.

وفي قرب مدينة فرانكفورت يوجد تجمع باسم دار الإسلام وهم معروفون جيداً[1].

وفي مدينة شتوت جرت يوجد تجمع إسلامي ألماني جيد ولهم صلة وثيقة بالمركز الإسلامي في ميونخ، كما يوجد كذلك في مدينة ميونخ تجمع إسلامي ألماني وله صلة وثيقة بالمركز الإسلامي.

هذه هي أهم التجمعات الإسلامية الألمانية.

والتجمعات الإسلامية الأخرى، غير الألمانية أكثر.

وسألت الأخ أحمد عن عدد المسلمين الألمان؟

فقال: العدد بالضبط صعب، ويتوقع أن يظهر في الإحصاء الحكومي عند إعلان نتيجة تعداد السكان، فقد وضعوا في خانة التعداد قبل سنة الديانة وإن كان المتوقع أن تكون النتيجة غير صحيحة، لأن الشعب لم يكن يريد التعداد، فلما أصرت عليه الحكومة قال بعض السكان: إنهم سيعطون معلومات خاطئة. ولكن عدد المسلمين الألمان الذين نعرفهم نحن فوق الألف.

قلت: هل توجد خطط للدعوة إلى الله.

قال: لقد وقعنا من قبل في خطأ، وهو أن الخطط التي وضعناها كانت أكبر من حجمنا. والأفكار الجيدة موجودة ولكن الرجال العاملين الذين يمكن أن ينفذوها قليلون. والواجب أن نفكر في كيفية تقسيم الخطط الكبيرة إلى خطط صغيرة مرحلية، واختيار الأشخاص المناسبين الذين يمكنهم أن يقوموا بتحقيقها.

فقد كنا من قبل ـ منذ سنوات ـ نقوم بتجمعات إسلامية كيوم الإسلام، أو أسبوعية، ونقيم معارض ومؤتمرات فكانت الجهود مفرقة في كل ألمانيا. أما الآن فقد قُسِّم العمل في جنوب ألمانيا وشمالها، ولا بأس بالدعوة في الجنوب أما في الشمال فالرجال الذين يجب أن يقوموا بالدعوة غير موجودين.

وأهم شيء أن نعلم الآن ما خططنا ومن رجالنا الذين يمكن أن يحققوا تلك الخطط؟.

---

(1) وهي التي يديرها الأخ محمد صديق ومن كبار رجالها الأخ أحمد فون دنفر الذي يتحدث في هذه المقابلة.

وقد غيرت الخطط حيث كان كل واحد يعمل في ألمانيا كلها، أما الآن فكل واحد ومجموعة يقومون بالعمل في بلدهم مع التعاون المقدور عليه، والتجربة هي التي أقنعتهم بذلك.

قلت له: يقال: إن عدد الصوفيين كثير في ألمانيا؟

فقال: نسمع بذلك ولكن لا نرى تلك الكثرة في الواقع، كانت توجد دار شنيدي في شمال ألمانيا قبل سنتين وكانت لها دعاية كبيرة، ولما زارها بعض الإخوة لم يجدوا إلا أربعة أو خمسة أشخاص، وهم من البرهانية يكثرون من الدعاية التي ليس وراءها حقيقة. ويوجد ناس من الألمان مهتمون بالصوفية أكثر من غيرها.

ومنذ نهاية الستينات كان في الألمان تغير كبير حيث أخذ الناس يبحثون عن أمور تشبع حاجاتهم النفسية وسافروا إلى الشرق ـ بلاد الهند وغيرها ـ وتعرفوا على الديانات واعتنقها بعضهم وعادوا إلى ألمانيا، ولكنهم بعد فترة من الزمن عرفوا أن الذي اعتقدوه كان تافهاً، وانتقل بعضهم إلى الصوفية وليس إلى الإسلام الصافي الشامل، لأن الصوفية أخف عليهم وأقرب إلى مألوفهم.

قلت للأخ أحمد: ما سبب قلة الأوروبيين الذين يدخلون في الإسلام بخلاف أفريقيا وجنوب شرق آسيا ـ مثلاً ـ ؟

فقال:

1 ـ الاتصال بين المسلمين والأفريقيين وسكان جنوب شرق آسيا قديم ومستمر.

2 ـ الإنسان إذا أراد أن يغير شيئاً في حياته يرغب في التغير إلى الأحسن، والأوروبيون يظنون أنهم في القمة لا يحتاجون أن يغيروا أنفسهم إلى غير ما هم فيه. ولكنهم لا بد أن يفهموا أنهم ليسوا كذلك، وأن أوضاعهم سيئة جداً، ولهذا بدأوا الآن يسألون عن الإسلام، ويجب على المسلمين أن يستغلوا ذلك ويقوموا بواجبهم.

قلت للأخ أحمد: هل يوجد اهتمام من المسلمين الوافدين الذين استوطنوا أوروبا بالمسلمين الجُدُد؟

فقال: الوافدون ثلاثة أقسام:

1 ـ القسم الأول منهم: الذين وفدوا منذ 1945 إلى بداية الخمسينات، وهؤلاء كانوا يقدمون من يوغوسلافيا وغيرها وهدفهم كان المحافظة على دينهم في ذاتهم.

2 ـ والقسم الثاني هم الذين وفدوا من منتصف الخمسينات إلى بداية الستينات، وهؤلاء غالبهم من الأتراك، وكانوا يهدفون إلى الحصول على عمل، ويوجد قسم آخر وفد في هذه الفترة وهم الطلاب، وهم الذين أسسوا المراكز الإسلامية.

3 ـ وقسم آخر جاؤوا من الهند في عهد بوتو، وهؤلاء لا يوجد عندهم اهتمام بالإسلام.

القسم الثاني من هذه الأقسام الثلاثة يوجد منهم من يهتم بالمسلمين الجدد ولكنهم قليل، أما القسم الأول والثالث ـ الذي هو الأخير ـ فلا يهتمون بالمسلمين الجدد مطلقاً. ومشكلات المسلمين الجدد عويصة وكبيرة، والذي يريد مساعدتهم لا يستطيع ذلك إلا القليل.

قلت للأخ أحمد: هل الغالب في ألمانيا التفكك الأسري أو الترابط بين الأسرة؟

فقال: الأسر مفككة والناس الآن أدركوا أن هذا التفكك مشكلة يجب حلها، والحل الذي يحتاجونه موجود في الإسلام.

وقال الأخ أحمد: أنه قرأ (اليوم) في جريدة ألمانية أن أحد النواب اقترح على مجلس النواب أن يقر يوماً جديداً في ألمانيا يسمى (يوم العائلة) وقد عمل استفتاء لمعرفة رأي الشعب، فرأى أغلبهم أن ذلك ضروري لأن العلاقات الأسرية مفككة. وهذا الوضع يجب على المسلمين استغلاله في صالح الدعوة الإسلامية، لأن الألمان لا يمكن أن يعودوا إلى الترابط العائلي قبل مائة سنة وهم يريدون حلولاً جديدة تأتيهم، وهذا الأمر يشغلهم الآن وهو فرصة يجب أن يغتنمها المسلمون.

❀ ❀ ❀



موعظة مودّع

لقد بالغت المواعظ وبلّغت أيَّ إبلاغٍ وأيّ بلوغ، وأنت تتلون هكذا وهكذا ثم تَرُوغ إياك وسُؤْر الهوى فسُؤر الهوى ما يسُوغ، وقد رأيت غيرك أفلا يتعظ الملدوغ، يا مُمْحِلاً قد أجْدَب عامُه، يا مُغْرِقاً قد أهلَك قلبَه سامُه، يا مقتول الهوى قد قطعه حُسامُه. أما علمت أن الرأي لا تطيش سهامه، أين الظِّباءُ الكُنَّس، أين الكمّي

روى الإمام أحمد (23985) والبزار (2742)، وغيرهما، بإسناد صحيح على شرط مسلم، من طريق عبد الرحمن بن جُبَير بن نُفَير، عن أبيه عن عَوْف بن مالك الأشجَعي، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ فسَلَّمتُ عليه فقال: «عَوْفٌ؟» فقلتُ: نعم، فقال: «ادخلْ» قال: قلتُ: كُلِّي أو بَعْضي؟ قال: «بَلْ كُلُّكَ» قال: «اعدُدْ يا عوفُ سِتّاً بينَ يَدَي السَّاعةِ: أوَّلُهنَّ مَوْتي» قال: فاستَبْكيتُ حتى جعل رسول الله ﷺ يُسكِّتُني، قال: قلتُ: إحدى «والثانيةُ فتحُ بيتِ المَقدِس» قلتُ: اثنين «والثالثةُ مَوَتانٌ[1] يكون في أمَّتي يَأخذهم مِثلُ قُعَاصِ الغَنم، قُلْ: ثلاثاً، والرابعةُ فِتْنة تكونُ في أُمَّتي ـ وعَظَّمَها ـ قُلْ: أربعاً، والخامسةُ يَفِيضُ المالُ فيكم حتى إنَّ الرَّجلَ لَيُعْطى المئةَ دينارٍ فيَتَسخَّطُها، قُلْ: خمساً، والسادسةُ هُدْنة تكونُ بَينَكم وبينَ بَني الأصفَر فيَسيرونَ إليكُم على ثَمانِينَ غايَةً» قلتُ: وما الغايةُ؟ قال: «الرايةُ، تحتَ كُلِّ راية اثنا عَشَرَ ألفاً، فُسْطاط المسلمينَ[2]، يومئذٍ في أرضٍ يقال لها: الغوطة، في مدينة يقال لها: «دمشق»». لفظ أحمد.

❀ ❀ ❀

لا تخف من السرطان إن كنت مختوناً

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الفطرة خمس ـ أو: خمس من الفطرة، الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقصُّ الشارب».

وفي «الصحيحين» أيضاً من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اختتن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم».

وأخرج الطبري (1910) والحاكم (2/ 3055)، من طريق ابن طاووس عن أبيه، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: 124]،

---

(1) قوله ﷺ: «مَوَتان» بفتحتين ـ أي موت ذريع. ومُوْتان ـ بضم فسكون، فهو موت الماشية.

(2) الفسطاط: الخيمة تنصب على أطراف ساحات الحرب.

القلفة (Phimosis)، وهذه الأخيرة توجد عند 50 ـ 98% من المرضى المصابين بسرطان القضيب.

ولما كان الختان يزيل هذه القلفة من أساسها فإن المختونين لا يحدث لديهم تضيق في القلفة، كما أنه يندر جداً أن يحدث التهاب الحشفة عندهم، وبذلك فإن الختان يقي من حدوث سرطان القضيب. ويبدو أن تضيق القلفة ينجم عن احتباس اللخن (Smegma) (وهي مفرزات تتجمع بين حشفة القضيب والقلفة عند غير المختونين)، أما عند المختونين فلا مكان عندهم لتجمع أية مواد ضارة في ذلك المكان.

وقد ثبت أن لهذه المواد التي تتجمع ما بين الحشفة والقلفة والتي تدعى باللخن (Smegma) فعلاً مسرطناً. فقد أجريت تجارب على فئران وضع عندها مفرزات اللخن المأخوذة من الحصان ـ ومن المعلوم أن نسبة سرطان القضيب عالية عند الأحصنة ـ فتبيّن حدوث السرطان عند هذه الفئران. وقد أشارت دراسة أخرى إلى أن اللخن الإنساني يعتبر عاملاً مسرطناً، أيضاً.

ونشرت مجلة المعهد الوطني للسرطان دراسة أكدت فيها أن سرطان القضيب ينتقل عبر الاتصال الجنسي، وأشارت إلى أن الاتصال الجنسي المتعدد بالبغايا يؤدي إلى حدوث هذا السرطان.

ونشرت المجلة الأمريكية لأمراض الأطفال (Pediatrice) حديثاً مقالاً جاء فيه: إن الرجل غير المختون يعتبر معرضاً لسرطان القضيب، في حين أنه يمكن منع حدوث هذا السرطان إذا ما اتبع مبدأ الختان عند الوليدين.

نعم، هذا ما يقرره علماء الطب اليوم، وهذا ما قرره الإسلام، وما أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام. إنها فطرة الله ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾.

أجل، سرطان القضيب والذي هو من أشنع السرطانات يمكن أن يختفي من الوجود بمجرد أن يعود الإنسان إلى فطرته، ويسلم الفرد لحكم رب العالمين.

وقد أكد ذلك تقرير نشرته الأكاديمية لأمراض الأطفال جاء فيه: إن الختان هو الوسيلة الفعّالة للوقاية من سرطان القضيب. وقد ذكرت بعض الحالات النادرة من سرطان القضيب عند مختونين، والحالات المذكورة في الأدب الطبي حدثت نتيجة اتباع

طرق بدائية جداً وغير شرعية، حين يستأصل بعض الجهلة كافة الجلد المغطي للقضيب، والإسلام يأمر باستئصال الجلد المغطي للحشفة فقط.

وقد أثبتت دراسات أخرى أن سرطان القضيب يعزى إلى عدم إجراء الختان وقلة الاعتناء بنظافة القضيب، وبقاء مفرزات بين الحشفة والقلفة.

وأكدت المجلة الأمريكية لأمراض الأطفال. «إن العوامل الدينية عند المسلمين واليهود التي تقرر اتباع الختان تلعب عاملاً أساسياً في حث هؤلاء على الأخذ بهذه الفطرة».

❀ ❀ ❀

دع الأحزان وعش في مطلع الأنوار

مَلِكَ السماء بَهرتَ في الأنوار ... ففداك كلُّ مُتَوّجٍ من ساري
لما طلعتَ على المياهِ تُنيرها ... سكنت وقد كانت بغير قرار
وزهت لناظرها السماءُ وقرَّها ... في البحر من عُبُبٍ ومن تيار
وأهَلَّ للّهِ السُراةُ وأزلَفُوا ... لك في الكمالِ تحية الإكبار
وتأملوك فكل جارحةٍ لهم ... عَيْنٌ تسامر نورها وتُساري
والبدر منكَ على العوالمِ يَجْتلي ... بِشْرَ الوجوهِ وزَخمَةَ الأبصار
مُتقدّمٌ في النور محجوبٌ به ... مُوفٍ على الآفاق بالأسْفار
يا دُرّة الغوّاصِ أخْرَج ظافراً ... يُمناه يَجْلوها على النُظّار
متهلّلاً في الماء أبدَى نصفَه ... يَسْمو بها والنصفُ كاسٍ عار
وَافى بك الأفقُ السماءَ فأسفرتْ ... عن قَفْلِ ماسٍ في سِوَار نُضَار
وَنهضت يَزْهو الكونُ منكَ بمنظرٍ ... ضاحٍ ويحملُ منك تاجَ فَخَار
الماءُ والآفاقُ حولَك فِضّةٌ ... والشُهبْ دينارٌ لدى دينار
والفُلكُ مشرِقة الجوانبِ في الدُجى ... يَبدو لها ذَيلٌ من الأنوار
بَينَا تَخطّرُ فيَ لجين مائج ... إذ تَنْثَني في عَسْجدٍ زَخّار
وكأنَّها والموجُ منتظمٌ وقد ... أوفيتَ ثم دنوتَ كالمُحتار

غَـيـداءُ لاهـيـةٌ تَـخُـطُّ لأغـيـدٍ — شـعـراً لـيـقـرأه وأنـتَ الـقـاري
فـلـيـهُـنَ بـدرُ الأرض أنّـك صِـنـوه — ونـظـيـره قـربـاً وبُـعـدَ مَـزَار
وحَـلاكُـمـا مـا الـبـدرُ إلاّ أنـتـمـا — وسـواكـمـا قـمـرٌ مـن الأقـمـار
أنت الـكـريـمُ عـلـى الـوجود بـوجـهـه — وهـي الـضـنـيـنـةُ بـالـخـيـالِ الـسَّـاري
هـيـفـاء أهـواهـا وأعـشـق ذكـرهـا — لـكـن أُداري والـمـحـبُّ يُـداري
لـي فـي الـهـوى سـرٌ أبـيـت أصـونـه — والله مـطـلـع عـلـى الأسـرارِ (شـوقـي)

❀ ❀ ❀

لا تحزن إن كنت من أهل الإيمان

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: 62 ـ 64].

أن تكون مؤمناً صادقاً، وتعمل الصالحات كما أمر الله تعالى، وسنّ رسول الله ﷺ، فأنت في مأمن في حياتك الدنيا، وفي قبرك، وفي بعثك، وفي حشرك، وعلى الصراط، يكفي أن تُحقق معنى الإيمان الحقيقي في نفسك، ويتجلى ذلك على جوارحك، لتنال ولاية الله تعالى العامة. فإذا اجتهدت وضحيت، وقدمت الغالي والنفيس في سبيل دينك، وإعلاء كلمة الله تعالى، نلت الولاية الخاصة، وهي غاية ما يتمناه كل مؤمن، وفزت بحماية العظيم الجليل أصبحت في عداد أوليائه المقربين[1].

روى «الصحيح» من حديث: أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ قَالَ: مَن عَادَى لي وَلِيّاً فَقَد آذنتهُ بِالحَرْبِ، ومَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمّا افترضتُهُ عَلَيهِ، وَمَا يَزَالُ عَبدِي يَتَقَرَّبُ إِليَّ بِالنوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحبَبْتُهُ كُنتُ سَمعَهُ الذِي يَسمَعُ بِهِ، وَبَصَرَه الذِي يُبصِرَ بِهِ، وَيَدَهُ التي يَبطِشُ بِهَا، وَرِجلَهُ التي يَمشِي بِهَا، وَإِن سَأَلَني لأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِن استَعَاذَ بِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدتُ عَن شَيءٍ أَنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَن نَفسِ المُؤمِنِ يَكرَهُ الموتَ، وَأَنا أَكرَهُ مَسَاءَتَهُ».

---

(1) رواه البخاري (6502).

وعن السيدة عائشة ﵂، قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ ﷻ: مَن أَذَلَّ لي وَلياً فَقَد استَحلَّ مُحَارَبَتِي، وَمَا تَقَرَّبَ إِليَّ عَبدِي بِمِثلِ أَدَاءِ الفَرَائِضِ، وَمَا يَزَالُ العَبدُ يَتَقَرَّبُ إِليَّ بِالنَّوافلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، إِن سَأَلَني أَعطَيتُهُ، وَإِن دَعَانِي أَجَبتُهُ، مَا تَرَدَّدتُ عَن شَيءٍ أَنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَن وَفَاته لأَنَّهُ يَكرَهُ الموتَ، وَأَكرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1].

❁ ❁ ❁

وداع السيدة الفاضلة والتي أحبها رسول الله ﷺ أكثر من غيرها من نسائه

روى الإمام أحمد (2496) بإسناد على شرط مسلم، وكذا الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (2/ 179/ 180) وغيرهما من طريق عبدُ الله بنُ عثمان بن خُثَيم، عن ابنِ أبي مُلَيكة: أن ذكوان: أبا عمرو، حدثه قال: جاء ابنُ عباس ﵄. يَستأذِنُ على عائشة، وهي في الموت. قال: فجئتُ وعند رأسها عبدُ الله ابنُ أخيها عبد الرحمن، فقلتُ: هذا ابنُ عباسٍ يستأذن. قالت: دَعني مِن ابنِ عبّاس، لا حاجةَ لي به، ولا بتزكيته. فقال عبدُ اللّه: يا أمَّه، إن ابنَ عباس من صالحي بَنيك، يودِّعُك ويسلِّمُ عليك.

قالت: فائذن له إن شِئتَ. قال: فجاء ابنُ عباس، فلما قعد، قال: أبشري، فوالله ما بينك وبين أن تُفارقي كل نَصَب، وتَلقي مُحمداً ﷺ والأحبة، إلا أن تُفارِق روحُك جسدك.

قالت: إيهاً، يا ابنَ عبّاس! قال: كُنتُ أحبُّ نساءِ رسول الله ﷺ ـ يعني: إليه ـ ولم يكن يُحِبُّ إلاَّ طيِّباً، سقطتْ قِلادتُك ليلةَ الأبواء، وأصبح رسولُ الله ﷺ ليلقِطَها، فأصبح الناسُ ليس معهم ماء، فأنزل الله ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: 43]. فكان ذلك من سببك، وما أنزل الله بهذه الأمة من الرُّخصة. ثم أنزل الله تعالى براءَتك من فوق سبَع سماوات، فأصبح ليس مَسجِدٌ من مَساجِدَ يُذكَرُ فيها الله إلا براءَتُك تُتلى فيه

---

(1) رواه الإمام أحمد (26193) والبزار (3627) والطبراني في «الأوسط» (9348)، وهو حديث يصح بما قبله.

آناءَ الليل والنهار. قالت: دَعني عنك يا ابنَ عباس، فوالله لودِدتُ أني كنتُ نَسياً منسِيّاً. لفظ الذهبي[1].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: وفي هذه القصة، دلالةٌ على سعةِ علم ابن عباس، وعظيم منزلته بين الصحابة والتابعين، وتواضع عائشة وفضلها وتشديدها في أمر دينها، وأن الصحابة كانوا لا يدخلون على أمهات المؤمنين إلا بإذن. ومشورة الصغير على الكبير إذا رآه عَدَلَ إلى ما الأولى خلافه.

والتنبيه على رعاية جانب الأكابر من أهل العلم والدين، وأن لا يترك ما يستحقونه من ذلك لمعارض دون ذلك في المصلحة. ا هـ.

وحديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أورده ابن سعد في «الطبقات» (8/ 74) مختصراً من طريق محمد بن عبد الله الأسدي. قال:

حدّثني عمر بن سعيد بن أبي حسين عن ابن أبي مليكة أن ابن عبّاس دخل على عائشة قبل موتها فاثنى عليها قال: ابشري زوجة رسول الله ولم ينكح بكراً غيرك ونزل عُذرك من السماء. فدخل عليها ابن الزبير خلافه فقالت: أثنى عليَّ عبد الله بن عبّاس ولم أكن أحب أن أسمع أحداً اليوم يثني عليّ، لوددتُ أني كنت نسياً منسيّاً.

وقال ابن سعد:

أخبرنا أنس بن عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عائشة قالت: إذا كُفّنتُ وحُنّطتُ ثمَّ دلاّني ذكوان في حفرتي وسوّاها عليّ فهو حرّ. قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدّثني ابن أبي الزناد عن أبيه قال: دخل ابن أبي عتيق على عائشة وهي ثقيلة فقال: يا أمّه كيف تجدينك جُعلت فداك؟ قالت: هو والله الموت. قال: فلا إذاً. فقالت: لا تدع هذا على حال، تعني المزاح.

قال: أخبرنا يعلى بن عبيد، حدّثنا هارون البربري عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: أوصت عائشة أن لا تتبعوا سريري بنار ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء.

---

(1) في «سير أعلام النبلاء» (8/ 58). وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (75/ 8) والطبراني في «الكبير» (10783) وأبو نعيم في «الحلية» (45/ 2) والحاكم (6730/ 4) وأبو يعلى (2648) وغيرهم.

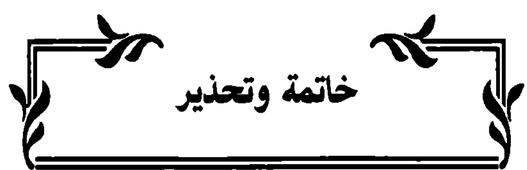
قال: أخبرنا محمد بن عمر، حدّثني ابن أبي سبرة عن موسى بن ميسرة عن سالم سبلان قال: ماتت عائشة ليلة سبع عشرة من شهر رمضان بعد الوتر فأمرت أن تُدفَن من ليلتها فاجتمع الناس وحضروا فلم نر ليلة أكثر ناساً منها نزل أهل العوالي فدفنت بالبقيع.

قال: أخبرنا محمد بن عمر، حدّثني ابن جريج عن نافع قال: شهدت أبا هريرة صلّى على عائشة بالبقيع وابن عمرو في الناس لا ينكره، وكان مروان اعتمر تلك السنة فاستخلف أبا هريرة.

قال: أخبرنا محمد بن عمر، حدّثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: صلّى أبو هريرة على عائشة في رمضان سنة ثماني وخمسين ودفنت بعد الإيتار.

قال: أخبرنا محمد بن عمر، حدّثنا عبد الله بن عروة بن الزبير عن عثمان بن أبي الوليد عن عروة قال: كنت خامس خمسة في قبر عائشة: عبد الله بن الزبير والقاسم بن محمد وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عبد الرحمن. وصلّى عليها أبو هريرة بعد الوتر في شهر رمضان. قال: أخبرنا محمد بن عمر، حدّثنا ابن أبي سبرة عن عثمان بن أبي عتيق عن القاسم بن محمّد قال: نزلت في قبر عائشة أنا وعبد الله بن الزبير وعروة بن الزبير وعبد الله بن محمّد بن عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر.

قال: أخبرنا محمد بن عمر، حدّثنا معمر عن الزهري عن عروة قال: دفنت عائشة ليلاً[1].



خاتمة وتحذير

روى الحاكم (6731/ 4) بإسناد صحيح، من حديث عبد الله بن عباس ﵄، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 23]، قال: نزلت في عائشة ـ ﵂ ـ خاصة[2].

وتمام الآية: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ

(1) «الطبقات الكبرى» (8/ 76/ 77).

(2) قال الذهبي في «التلخيص»: صحيح.

دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: 24 ـ 26].

ومعنى قوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: 26] قال مجاهد: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول.

قال الضحاك: وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا، هم الخبيثون، والطيبون: هم المبرَّؤون مما قال الخبيثون[1].

وقال ابن زيد في هذه الآية: نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفِرية، فبرَّأها الله من ذلك، وكان عبد الله بن أُبيَّ بن أبي سلول، وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكونَ لها.

وكان رسول الله ﷺ طيباً، وكان أولى أن تكون له الطيبة، وكانت عائشة الطيبة، وكان أولى أن يكون لها الطيب ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: 26] قال: ها هنا بُرِّئت عائشة ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: 26] قيل: أي لهم على ما نالهم من الأذى مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في جنات النعيم. قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: وفيه وعدٌ بأن تكون زوجة رسول الله ﷺ في الجنة. والله تعالى أعلم.

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ: وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية، قول من قال: عَنى بالخبيثات، الخبيثات من القول وذلك قبيحه وسيئه ـ للخبيثين من الرجال والنساء، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول، هم بها أولى، لأنهم أهلها.

والطيباتُ من القول ـ وذلك حسنه وجميله ـ للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول، لأنهم أهلها وأحقُّ بها.

وإنا قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية، لأن الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله تعالى للقائلين في عائشة الإفك، والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات، وإخبارهم ما خَصَّهم به على إفكهم. فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالإفك من الرامي والمرمي به أشبه من الخبر عن غيرهم. انتهى. والله تعالى أعلم.

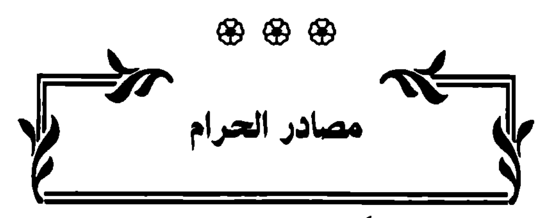
---

(1) «جامع البيان» للإمام الطبري (143/ 10) الأثر رقم (19602).

قال الإمام ابن القيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ في «زاد المعاد» (1/ 59) بتحقيقنا، ما نصه: واتفقت الأمَّةُ على كُفرِ قاذفها...

والقذف هنا: بمعنى رميها بالفاحشة. لعن الله تعالى من فعل ذلك. والله أكبر ولله الحمد.

❀ ❀ ❀



مصادر الحرام

ما أخذ العبد ما حرم عليه إلاَّ من جهتين:

إحداهما: سوء ظنه بربِّه، وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيراً منه حلالاً.

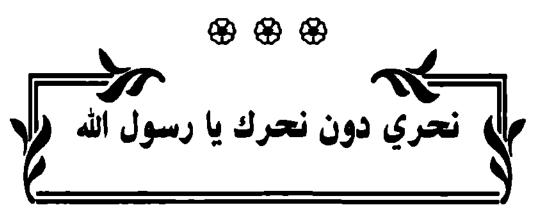
والثانية: أن يكون عالماً بذلك، وأن مَن ترك لله شيئاً أعاضه خيراً منه، ولكن تغلب شهوتُه صبرَه، وهواهُ عقلَه.

فالأول من ضعف علمه، والثاني من ضعف عقله وبصيرته.

قال يحيى بن معاذ[1]: مَن جمع الله عليه قلبه في الدعاء لم يردّه.

قلت: إذا اجتمع عليه قلبُه، وصدقت ضرورته وفاقته، وقويَ رجاؤه، فلا يكاد يُردُّ دعاؤه. (ق)

❀ ❀ ❀



نحري دون نحرك يا رسول الله

فداك أمي وأبي يا رسول الله، وكل المصاب دونك هي لا تقاس. هكذا كان ديدن صحابة رسول الله ﷺ، وهم يذودون عن رسول الله ﷺ، ويحمونه من ضربات العدو وهجماتهم. وهكذا يجب أن نكون مدافعين عن حرمة رسول الله ﷺ وعن كل ما جاءنا به. فهو ﷺ نبينا ورسولنا وقدوتنا وأسوتنا وحبيبنا وشفيعنا وقائدنا إلى رضوان الله تعالى وجنانه.

---

(1) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرّازي، من أئمة الزهد، كان واعظاً في بلاد فارس (ت 258 هـ).

روى «الصحيح» من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انهَزمَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ النبيِّ ﷺ. وَأَبُو طَلْحَةَ بَينَ يَدَي النبيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيهِ بِحَجَفَةٍ. قَالَ: وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجلاً رَامِياً شَدِيدَ النَّزعِ. وَكَسَرَ يَومَئِذٍ قَوسَينِ أَو ثَلاثاً. قَالَ: فَكَانَ الرَّجُل يَمُرُّ مَعَهُ الجَعبَةُ مِنَ النَّبلِ. فَيَقُولُ: انثُرهَا لأَبِي طَلحَةَ.

قَالَ: وَيشرِفُ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَنظُرُ إِلَى القَومِ. فَيَقُولُ أَبُو طَلحَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! بِأَبِي أَنتَ وَأُمي! لاَ تُشرِف لاَ يُصِبكَ سَهْمٌ مِن سِهَامِ القَومِ. نَحرِي دونَ نَحرِكَ.

قَالَ: وَلَقَد رَأَيتُ عَائِشَةَ بِنتَ أَبِي بَكرٍ وَأُمَّ سُلَيمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ. أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا. تَنقُلاَنِ القِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا. ثُمَّ تُفرِغَانِهِ فِي أَفوَاهِهِم. ثُمَّ تَرجِعَانِ فَتَملآنِهَا. ثُمَّ تَجِيئانِ تُفرِغَانِهِ فِي أَفوَاهِ القَومِ. وَلَقَد وَقَعَ السَّيفُ مِن يَدَي أَبِي طَلحَةَ إِمَّا مَرَّتَينِ وَإِمَّا ثَلاثاً، مِنَ النُّعَاسِ.

❀ ❀ ❀

لا تحزن واحمد الله تعالى حيث أنه لم يخلقك أحمقاً

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: 34]، ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: 40].

أن تشكر مولاك أن جعلك سوياً مستقيماً، صاحب فكر، وعقل، ورزانة، وفهم وحسن تدبير، وخُلق حسن، وسيرة طيبة عطرة، وحكمة أوتيتها. فاعلم أنها من النعم الجليلة، والصفات الحميدة التي أعطيتها من غير كسب ولا اجتهاد. ولكنه الكرم والجود الإلهي ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة: 269].

جاء الأشبح بن عبد قيس، يمشي حتى أخذ بيد النبي ﷺ فقبلها، فقال له النبي ﷺ: «**أما إن فيك لخُلقين يحبهما الله ورسوله**» قال: جبلاً جُبلت عليه، أو خُلقاً معي؟ قال ﷺ: «**لا بل جبلاً جبلت عليه**» قال: الحمد لله الذي جبلني على ما يُحب الله ورسوله[1]. وفي لفظ: «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله، الحُلم**

(1) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (587)، من طريق مزيدة العبدي، وهو حديث حسن بشواهده.

والأناة»[1] وفي لفظ: **«إن فيك خليتين يحبهما الله»** قال: قلت: ما هما؟ قال: **«الحلم والحياء»** قلت: أقديماً كانا فيّ أم حديثاً؟ قال: **«بل قديماً»** قلت: الحمد لله الذي جبلني على خليتين يحبهما[2].

فلنحمد الله تعالى على ما رزقنا من نعم لا تُعَدُّ ولا تُحصى، وإنه لم يخلقنا حمقى ومغفلين، أضحوكة بين أيدي الناس.

وقد روي عن معاوية أنه قال لأصحابه: بأي شيء تعرفون الأحمق من غير مجاورة؟ قال بعضهم: من قبل مشيته ونظره وتردده، وقال بعضهم: لا، بل يعرف حمق الرجل من كنيته ونقش خاتمه. فبينما هم يخوضون في حديث الحمقى إذ صاح رجل لرجل: يا أبا الياقوت؛ فدعا به معاوية، فإذا رجل عليه بزة، فحاوره ساعة ثم قال: ما الذي على فص خاتمك؟ فقال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل: 20]، فقالوا: يا أمير المؤمنين، الأمر كما قلت.

وعن الشافعي أنه قال: إذا رأيت الرجل خاتمه كبير وفَصُّه صغير فذاك رجل عاقل، وإذا رأيت فضته قليلة وفصه كبير فذاك عاجز، وإذا رأيت الكاتب دواته على يساره فليس بكاتب، وإذا كانت على يمينه وقلمه على أذنه فذاك كاتب.

وعن الأحنف بن قيس أنه قال: قال الخليل بن أحمد: الناس أربعة، رجل يدري ويدري أنه يدري، فذاك عالم فخذوا عنه، ورجل يدري وهو لا يدري أنه يدري، فذاك ناسٍ فذكّروه، ورجل لا يدري وهو يدري أنه لا يدري، فذاك طالب فعلِّموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذاك أحمق فارفضوه.

وقال أيضاً: الناس أربعة فكلِّم ثلاثة ولا تكلِّم واحداً، رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فكلمه، ورجل يعلم ودرى أنه لا يعلم فكلمه، ورجل لا يعلم ويرى أنه لا يعلم فكلمه، ورجل لا يعلم ويرى أنه يعلم فلا تكلمه.

قال جعفر بن محمد: الرجال أربعة: رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فذاك عالم فتعلموا منه، ورجل يعلم ولا يعلم أنه يعلم فذاك نائم فأنبهوه، ورجل لا يعلم ويعلم أنه لا يعلم

---

(1) رواه الإمام أحمد (11175) ومسلم (18) و(1996) والبخاري (585) في «الأدب المفرد» مطولاً ومختصراً.

(2) رواه الإمام أحمد (17828) والنسائي في «الكبرى» (8306) والبخاري في «الأدب المفرد» (584)، وغيرهم وإسناده صحيح.

فذاك جاهل فعلموه، ورجل لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم فذاك أحمق فاجتنبوه.

وعن أبي يوسف القاضي أنه قال: الناس ثلاثة: مجنون ونصف مجنون، وعاقل، فأما المجنون ونصف فأنت معهما في راحة، وأما العاقل فقد كفيت مؤنته. عن الأعمش أنه قال: معاتبة الأحمق نفخ في تليسه.

عن عبد الله بن داود الخريبي أنه قال: كل صديق ليس له عقل فهو أشد عليك من عدوك. عن بشر بن الحارث أنه قال: النظر إلى الأحمق سخنة عين. وسمعته يقول: يأتي على الناس زمان تكون الدولة فيه للحمقى. وعنه أنه قال: الأحمق سخنة عين غاب أو حضر. عن شعبة أنه قال: عقولنا قليلة، فإذا جلسنا مع من هو أقل عقلاً منا ذهب ذلك القليل، فإني لأرى الرجل يجلس مع من هو أقل عقلاً منه فأمقته.

قال بعض الحكماء: مؤنة العاقل على نفسه، ومؤنة الأحمق على الناس، ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة.

قال حكيم آخر: ليس كل أحد يحسن يعامل الأحمق وأنا أحسن أعامله، قيل له: كيف؟ قال: أبخسه حتى يطلب الحق بعينه، إذ متى أعطيته حقه طلب ما هو أكثر منه.

وأنشدوا:

إتّقِ الأحْمَقَ أن تصحَبَه ... إنّما الأحمق كالثّوب الخَلقِ

كلّما رَقَعْتَ مِنهُ جَانباً ... خرَقَتْهُ الرّيح وهْناً فانْخرقِ

أو كَصَدعٍ فِي زجاج فاحشٍ ... هَل تَرَى صدع زُجاج يُرتَتَقِ

كَحِمَارِ السُّوقِ إن أقْضَمْتَهُ ... رَمَحَ النّاسِ وَإنْ جَاع نَهقِ

أو غلامِ السُّوء إنْ أشْغَبْتَهُ ... سَرَقَ النّاسَ وَإن يَشْبع فَسِقِ

وإذا عَاتَبْتَه كي يَرْعوي ... أفْسَدَ المجلسَ مِنْهُ بالخَرَقِ

وقيل:

إذَا مَا كُنْتَ مُتَّخذاً خَليلاً ... فَلا تَثِقَنَّ بكُلِّ أخِي أخَاء

فإن خُيِّرت بَيْنَهُمُ فالْصَقْ ... بأهْلِ العَقلِ مِنْهُمْ وَالْحَيَاءِ

فإن العَقْلَ لَيْسَ لَهُ إذا مَا ... تَفَاضَلَتِ الْفَضَائِلُ مِنْ كفَاءِ

فـإن الـنَّـوْكَ لِـلأحْـسَـابِ غَـوْلٌ	وَأهْـوَنُ دَائِـهِ دَاءُ الـعَـيـاءِ
ومَـنْ تـرَكَ الْـعَـواقـبَ مُـهْـمَـلاتٍ	فـأيْـسَـرُ سَـعْـيِـهِ سَـعْـيُ الْـعَـنـاءِ
فَـلا تَـثِـقَـنَّ بِـالـنَّـوْكـىَ لِـشَـيْءٍ	وَلَـوْ كـانُـوا بَـنِـي مـاء الـسَّـمـاءِ
فَـلَـيْـسُـوا قَـابِـلِـي أدَبٍ فَـدَعْـهُـمْ	وكُـنْ مِـنْ ذَاكَ مُـنْـقَـطَـعَ الـرَّجـاءِ

ـ اجتناب الأحمق ومصاحبته:

وهكذا يتبين لنا، كم هي مؤذية مصاحبة الأحمق ومضرة في النفس والمال والأهل والولد، فاجتنابه غنيمة لا تقدّر بثمن[1]. فإنه لم يؤذيك، بحمقه، أضرّك بالسرقة من طبعه.

وتحت عنوان «الطبع يسرق» قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ:

ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح، فإن الطبع يسرق. فإن لم يتشبه بهم ولم يسرق منهم فتر عن عمله. وإن رؤية الدنيا تحث على طلبها، وقد رأى رسول الله ﷺ ستراً على بابه فهتكه وقال: **«ما لي وللدنيا»**[2]، ولبس ثوباً له طراز فرماه وقال: **«شغلتني أعلامه»**[3]. وكذلك رؤية أرباب الدنيا ودورهم وأحوالهم، خصوصاً لمن له نفس تطلب الرفعة. وكذا سماع الأغاني ومخالطة الصوفية الذين لا نظر لهم اليوم إلا في الرزق الحاصل. لو كان من أي مكان قبلوه، ولا يتورعون أن يأخذوا من ظالم، وليس عندهم خوف كما كان أوائلهم.

فقد كان سري السقطي يبكي طول الليل، وكان يبالغ في الورع، وهم ليس لهم

---

(1) رواه الترمذي (2378) وابن ماجه (4109)، وغيرهما.

(2) جزء من حديثٌ رواه الترمذي (2377) وابن ماجه (4109)، بإسناد صحيح، من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء؟ فقال ﷺ: **«ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها»**.

(3) الحديث بتمامه رواه البخاري (373) ومسلم (556)، وغيرهما من حديث السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ صلى في خميصة لها أعلام، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما انصرف قال: **«اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم، وائتوني بأنبجانية أبي جهم، فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي»** والخميصة: كساء مربع له علمان، والأنبجانية: كساء غليظ لا علم له.

ورع سري ولا لهم تعبد الجنيد. وإنما ثم أكل ورقص وبطالة وسماع أغاني من المردان، حتى قال بعض من يعتبر قوله: حضرت مع رجل كبير يوماً إليه من مشايخ الربط ومغنيهم أمرد، فقام الشيخ ونقطه بدينار على خده. وادعاؤهم أن سماع هذه الأشياء يدعو إلى الآخرة فوق الكذب. وليس العجب منهم، إنما العجب من جهال ينفقون عليهم فينفقون عليهم. ولقد كان جماعة من القدماء يرون أوائل الصوفية يتعبدون ويتورعون فيعجبهم حالهم، وهم معذورون في إعجابهم بهم. وإن كان أكثر القوم في تعبدهم على غير الجادة، كما ذكرت في كتابي المسمى بـ«تلبيس إبليس». فأما اليوم فقد برح الخفاء، أحدهم يتردد إلى الظلمة ويأكل أموالهم، ويصافحهم بقميص ليس فيه طراز، وهذا هو التصوف فحسب. أولا يستحي من الله من زهد في رفيع الأثواب لأجل الخلائق لا لأجل الحق. ولا يزهد في مطعم ولا شبهة! فالبعد عن هؤلاء لازم.

وينبغي للمنفرد لطاعة الله تعالى عن الخلق ألاّ يخرج إلى سوق جهده، فإن خرج ضرورة غض بصره، وألاّ يزور صاحب منصب ولا يلقاه، فإن اضطر دارى الأمر.

ولا يخالط عامياً إلا لضرورة مع التحرز. فإن كان يغلب عليه العلم انفرد بدراسته، وإن غلبت عليه العبادة، زاد في احترازه. وليجعل خلوته أنيسه، والنظر في سير السلف جليسه. وليكن له وظيفة من زيارة قبور الصالحين والخلوة بها.

ولا ينبغي أن يفوته ورد قيام الليل، وليكن بعد النصف الأول، فليطل مهما قدر، فإنه زمان بعيد المثل. وليمثل رحيله عن قرب ليقصر أمله، وليتزود في الطريق على قدر طول السفر. نسأل الله ﷻ يقظة من فضله، وإقبالاً على خدمته، وألاّ يخذلنا بالالتفات عنه، إنه قريب مجيب.

❀ ❀ ❀



معرفة الله والإعراض عنه

من أعجب الأشياء: أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته، وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشتاق إلى انشراح

الصدر بذكره ومناجاته، وأن تذوق العذاب عند تعلّق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه!.

وأعجب من هذا: علمك أنك لا بدّ لك منه، وأنك أحوج شيء إليه، وأنت عنه مُعرض، وفيما يبعدك عنه راغب!. (ق)

❀ ❀ ❀

لا تحزن إن لم تفلح في أمر تريده، والجأ إلى الله السميع القريب، ولا تتبع مضلات الفتن لتحقيقه

إن التعاطي مع الجان لتحقيق أمر ما ـ قد يتحقق وقد لا يتحقق ـ هو أمر موجوب لدخول النار، إن لم يتب فاعله قبل موته ويندم ويصلح ما فعله.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: 128 ـ 130].

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي واذكر يا محمد ﷺ فيما تقصه على الناس وتنذرهم به، يوم يجمع الله تعالى الثقلين الإنس والجن جميعاً للحساب قائلاً ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أي استكثرتم من إضلالهم وإغوائهم، قال ابن عباس: أضللتم منهم كثيراً، وهذا بطريق التوبيخ والتقريع ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي وقال الذين أطاعوهم من الإنس: ربنا انتفع بعضنا ببعض. قال القرطبي رحمه الله تعالى: وقيل: كان الرجل إذا مرّ بوادٍ في سفره وخاف على نفسه قال: أعوذ برب هذا الوادي من جميع ما أحذر. وفي التنزيل ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: 6]، فهذا استمتاع الإنس بالجن، وأما استمتاع الجن بالإنس فما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والكهانة والسحر.

وقال البيضاوي رحمه الله تعالى: انتفع الإنس بالجن بأن دلوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها، وانتفع الجن بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم. اهـ. وقال الحسن: وما كان استمتاع بعضهم ببعض، إلا أن الجن أمرت وعملت الإنس. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ أي وصلنا إلى الموت والقبر ووافينا الحساب، وهذا منهم اعتذار واعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتحسر على حالهم. ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ أي قال الله تعالى رداً عليهم: النار موضع مقامكم، والمثوى: المُقام ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ استثناء ليس من الأول، قال الزجّاج: يرجع إلى يوم القيامة، أي خالدين في النار إلى ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في الحساب، فالاستثناء منقطع.

وروي عن ابن عباس، أنه كان يتأول في هذا الاستثناء، أن الله جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابه إياهم إلى مشيئته. فقال: إن هذه الآية، آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه أن لا ينزلهم جنة ولا نار. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ أي في تدبيره في خلقه، وفي تصريفه إياهم في مشيئته من حال إلى حال، وغير ذلك من أفعاله ﴿عَلِيمٌ﴾ بعواقب تدبيره إياهم، وما إليه صائر أمرهم من خير وشر.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ المعنى: وكما فعلنا بهؤلاء مما وصفته لكم من استمتاع بعضهم ببعض، أن جعل بعض الظالمين أولياء بعض، ثم يتبرأ بعضهم من بعض غداً. ومعنى ﴿نُوَلِّى﴾ على هذا: نجعل ولياً. قال ابن زيد: نسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس. وعنه أيضاً: نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذلّه. وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع من ظلمه، سلّط الله عليه ظالماً آخر. ويدخل في هذه الآية جميع من يظلم نفسه، أو يظلم الرعية، أو التاجر يظلم الناس في تجارته، أو السارق وغيرهم.

وقال فضيل بن عياض رحمه الله تعالى: إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم، فقف، وانظر فيه متعجباً. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا رضي الله عن قوم، ولّى أمرهم خيارهم، وإذا سخط الله على قوم ولّى أمرهم شرارهم يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: 30].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أعان على خصومة بظلم (أو يعين على ظلم) لم يزل في سخط الله حتى ينزع»**[1].

ـ تعاطي السحر من الموبقات المهلكة:

قد ثبت عن رسول الله ﷺ أن السحر من الموبقات المهلكة، والتي توبق (تغمس) صاحبها في نار جهنم. فقد روى البخاري (5764)، وغيره، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رُسول اللهِ ﷺ قَال: **«اجتَنِبُوا المُوبِقَاتِ، الشَّركُ بِاللَّهِ والسِّحرُ»**.

قوله ﷺ: **«اجتنبوا الموبقات»** الاجتناب أكبر من التحريم، فالتحريم يكون تحريم عين ـ أي تحريم الفعل بالذات ـ، وأما الاجتناب، فهو أوسع بحيث إنه يشمل كل الطرق المؤدية إليه. ومثله في كتاب الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: 90].

وأما «الموبقات» فالمراد بها التي توبق صاحبها في النار، أو توجب له سخط الله تعالى، وأما «الشِّرك» فقد تقدم القول فيه في بابه. وأما قوله ﷺ: «والسحر» فالمراد اجتناب العمل بالسحر أو تعاطيه بأي شكل من الأشكال وقد تقدمت بعض مباحثه في باب «الكهانة» فارجع إليه أخي الكريم عصمك الله تعالى من الوقوع بما يسخط المولى سبحانه وتعالى.

فائدة: قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى: ومن أنفع علاجات السحر، الأدوية الإلهية، بل هي أدويته النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات، والدعوات التي تبطل فعلها وتأثيرها، وكلما كانت أقوى وأشد، كانت أبلغ في النُّشْر[2] وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحدٍ منهما عدته وسلاحه، فأيهما غلب الآخر قهره، وكان الحكم له، فالقلب إذا كان ممتلئاً من الله مغموراً بذكره، وله من التوجهات والدعوات

---

(1) رواه ابن ماجه (2320) بإسناد صحيح.

(2) قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: النشرة حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر. وقد سُئل الإمام أحمد عمن يفك المسحور ـ بالطرق المشروعة ـ فقال: لا بأس به. وانظر أخي الكريم الكلام عليه في «زاد المعاد» 4/ 100، 101، أثناء تحقيقنا له.

والأذكار والتعوذات، ورِدٌ لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه، كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه.

قال: وبالجملة؛ فسلطان تأثير السحر في القلوب الضعيفة المنفعلة التي يكون ميلها إلى السفليات. قالوا: والمسحور هو الذي يعين على نفسه، فإنا نجد قلبه متعلقاً بشيء كثير الالتفات إليه، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات، والأرواح الخبيثة إنما تتسلطُ على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها بميلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة، وبفراغها من القوة الإلهية، وعدم أخذها للعدة التي تحاربها بها، فتجدها فارغة لا عدة معها وفيها ميل إلى ما يناسبها، فتتسلط عليها، ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره. والله أعلم.

تنبيه: أخرج الترمذي في كتاب «الحدود» (1460) من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن، عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضربةٌ بالسيف**». قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يُضعف في الحديث، وإسماعيل بن مسلم العبدي بصري، قال وكيع: هو ثقة. ويروي عن الحسن أيضاً، والصحيح عن جندب موقوفٌ.

والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم. وهو قول مالك بن أنس. وقال الشافعي إنما يُقتلُ الساحر إذا كان يعملُ في سحره ما يبلغ به الكفر. فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم نَرَ عليه قتلاً. اهـ.

❀ ❀ ❀



شروط الانتفاع بالعلم

لا ينتفع بنعمة الله بالإيمان والعلم، إلاَّ مَن عرف نفسه، ووقف بها عند قدرها، ولم يتجاوزه إلى ما ليس له، ولم يتعدَّ طوره، ولم يقل هذا لي، وتيقن أنه لله ومن الله وبالله؛ فهو المانّ به ابتداءً وإدامةً بلا سبب من العبد ولا استحقاق منه، فتُذلُّهُ نِعَمُ الله عليه وتكسره كسرة مَن لا يرى لنفسه ولا فيها خيراً البتة، وأن الخير الذي وصل إليه فهو لله وبه ومنه، فتُحدِث له النعم ذلاً وانكساراً عجيباً لا يعبر عنه. فكلما جَدَّدَ له نعمة ازداد له ذلاً وانكساراً وخشوعاً ومحبة وخوفاً ورجاء.

وهذا نتيجة عِلمين شريفين:

علمه بربِّهِ، وكماله، وبرِّه، وغناه، وجُودِهِ، وإحسانه، ورحمته، وأن الخير كله في يديه، وهو ملكه يؤتي منه مَن يشاء ويمنع منه مَن يشاء، وله الحمد على هذا وهذا أكمل حمدٍ وأتَمَّه.

وعِلمه بنفسه، ووقوفه على حدها، وقدرها، ونقصها، وظلمها، وجهلها، وأنها لا خير فيها البتة، ولا لها ولا بها ولا منها، وأنها ليس لها من ذاتها إلاَّ العدم، فكذلك من صفاتها وكمالها ليس لها إلا العدم الذي لا شيء أحقر منه ولا أنقص، فما فيها من الخير تابع لوجودها الذي ليس إليها ولا بها.

فإذا صار هذان العِلمان صِبغةً لها، ولا صيغة على لسانها، عَلِمَت حينئذ أن الحمد كله لله، والأمر كله له، والخير كله في يديه، وأنه هو المستحق للحمد والثناء والمدح دونها، وأنها هي أولى بالذمِّ والعيب واللوم.

ومَن فاته التحقق بهذين العِلمين، تلوَّنت به أقواله وأعماله وأحواله، وتخبطت عليه، ولم يهتدِ إلى الصراط المستقيم الموصل له إلى الله.

فإيصال العبد بتحقيق هاتين المعرفتين علماً وحالاً، وانقطاعُه بفواتهما. وهذا معنى قولهم: مَن عرف نفسه عرف ربه؛ فإنه مَن عرف نفسه بالجهل والظلم والعيب والنقائص والحاجة والفقر والذل والمسكنة والعدم، عرف ربه بضد ذلك، فوقف بنفسه عند قدرها، ولم يتعدَّ بها طورها، وأثنى على ربه ببعض ما هو أهله، وانصرفت قوة حبه وخشيته ورجائه وإنابته وتوكله إليه وحده، وكان أحبَّ شيء إليه، وأخوَفَ شيء عنده وأرجاه له، وهذا هو حقيقة العبودية.. والله المستعان.

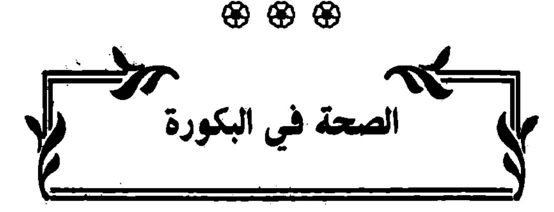
ويُحكى أن بعض الحكماء كتبَ على باب بيته: لن ينتفع بحكمتنا إلا مَن عرف نفسه، ووقف بها عند قدرها؛ لِمَن كان كذلك فليدخل، وإلاَّ فليرجع حتى يكون بهذه الصفة. (ق)

❀ ❀ ❀

سجع على حرف «الباء»

الحمد لله الذي خلق النوى والحبّ، وخلق الفاكهة والأبّ، وأبغض وكرهَ وأَحَبّ، وأمرض وداوى وطبّ، أنشأ الحيوان بقدرته فدبّ، ثم حامى عنه بلطفه وذبّ، وربّاه فأحسن تدبيره حين ربّ، فالعجب لمربوب ينكر الربّ، عمّ أنعامه في البحر الحوت وفي البرّ الضبّ، اختار محمداً فشرح صدره فلبّ، وصبّت المحبّة في قلبه فانصبّ الصبّ، وكان يسمّى بالأمين صغيراً وبعدما شبّ، ثم اجتمع له المراد بالنصر واستتب، وقهر الأعداء حتى ألبسَهم الزُنّار والقبّ، وقمع كل من على صَنَمٍ أكبّ، فلمّا عدم عدوّه حجة يلقاهُ بها سبّ، وأقبل يتجرع الخنق فاختنق حين عبّ، فقيل لنبيّنا يا حليم نحن نجيب عنك الخبّ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1] (ج)

❀ ❀ ❀



الصحة في البكورة

يقول الله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: 18]، وهل للصبح نفس؟ نعم، إن للصبح نفساً منعشاً، يُعطي للإنسان وللحيوان وللنبات، وللطبيعة بشكل عام القوة والطاقة والحيوية والانتعاش. إنه الأوزون، نفس الصبح اليومي حتى قيام الساعة. وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بالبركة لبواكير أمته.

فقد روى الإمام أحمد (1320) وأبو داود (2606) والترمذي (1212)، وغيرهم من طريق عمارة بن حديد، عن صخر الغامدي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»[1]

---

(1) الحديث صحيح بشواهده. ففي الباب من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ عند أحمد (1/ 153) وابن أبي شيبة (12/ 517)، ومن حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن ابن ماجه (2238) والطبراني (13390)، ومن حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن الطبراني (12966) ومن حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن الطبراني أيضاً (10490) وعن غيرهم كذلك.

قال عُمارة: وكان إذا بعث سرية أو جيشاً، بعثهم في أول النهار. وكان صخر رجلاً تاجراً، وكان يبعث تجارته في أول النهار فأثرى، وأصاب مالاً.

جاء في كتاب «الحقائق الطبية» (ص 208/ 210).

يدعو النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) الله (سبحانه وتعالى) أنْ يباركَ لأمته في بكورها، أي في عملها في أول النهار.. فهو أبْرَكُ أوْقَاتِ النهار، وأكثرُهَا ملاءمةً للعمل والإنتاج، يكونُ فيه الهواءُ أنعَشَ ما يكونُ في اليوم، وأصْفَى ما يكون في اليوم، ويكون أغْنَى ما يكون بغازِ الأوزون O3 الذي يُبيدُ الجراثيمَ المؤذية، فيكون الهواءُ أنظفَ ما يكون في اليوم، ويدخل مع هواء الشهيق إلى الرئتين.. فيصفي الدم.. وينعش النفس.

وقد استُخدِم الأوزون في تعقيم مياه الشرب.. وغرف العمليات الجراحية، وهو الّذي يشكل حلقة تحيط بالكرة الأرضية من جميع جهاتها.. فتحميها من نفوذِ أشعةِ الشمس المؤذية إليها، لأن ضَوْءَ الشمس يتألف من أنواع كثيرة من الأشعةِ، منها النافعُ ومنها الضارُّ، ومنها المرئي ومنها غير المرئي؛ والأوزونُ يَسمَحُ بنفوذ الأشعة النافعةِ إلى الأرض فقط.. ويحْجُزُ الأشعةَ الضارة؛ وقد اكتشف العلماء أخيراً وجودَ ثُقْبٍ في حَلَقَةِ الأوزون هذه، تِجَاه القطب الجنوبي من الأرض، سَبَبُهُ ازديادُ نسبة غاز (كلوروفلوريد الكاربون) في الجو، وهو يَنْتُجُ عن صناعة البرادات والمكيفات والبخاخات، وما إليها... وقد أخذت الأشعةُ الضارة تتَسَرَّبُ من هذا الثقب إلى جو الأرض، وإذا استمر الأمر على هذه الحال.. فستزيدُ نسبةُ الإصابةِ بالسرطان، وهذا من نتائج الحضارة المادية.. التي لا تُقِيمُ وزناً للأخلاق.

يَطلُبُ الدينُ الإسلامي من أبنائه أن ينهضوا باكراً، وأنْ يبادرُوا إلى ذكر الله تعالى ثم إلى الوضوء.. فتَطِيبُ نفوسُهُمْ.. وتتَطَهَّرُ أعضاؤهم... وتتَنَشَّطُ جسومُهم، بعد أن يكونَ قد استراح مُخُّهمْ وأعصابُهُم بالنوم، واستجَمَّت أجهزةُ أبدانهم؛ وبعد ذلك يذهبون إلى المساجدِ للصلاة.. سَاعِينَ على أقدامهم، وكلما بَعُدَ المسجدُ.. ازدادَ عَدَدُ الخُطَى.. وازْدَادَتَ الحسناتُ.. وحُطَّتِ السيئاتُ، ففي كل خطوة يخطوها المؤمن إلى المسجد تُكْتَبُ له حسنة وتُحَطُّ عنه سيئة.. فيَكْسَبُ الثوابَ... ويقوم برياضةِ المشي في الوقت نفسه.. في الصباح الباكر ذي الهواءِ المُنْعِش؛ وقد ثَبَتَ أن رياضةَ المشي مِنْ أنفَع الرياضاتِ للكهول والشيوخ، فَرَبَطَهَا الإسلامُ بالعبادة وبالثواب والجزاء.

يقول النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم): «يَعْقُدُ الشيطانُ على قافيةِ رَأسِ

أحدِكُم إذا نامَ ثلاثَ عُقَدٍ، يَضرِبُ على مكانِ كلِّ عُقْدَةٍ: عليكَ ليلٌ طويلٌ فارْقُدْ، فإنِ استيقَظَ فَذَكَرَ الله.. انحَلَّت عقدةٌ؛ فإنْ توَضَّأ.. انحلَّت عقدةٌ؛ فإنْ صَلَّى.. انحلَّت عقدةٌ، فأصبَحَ نشِيطاً طَيِّبَ النفس، وإلا أصْبَحَ خبيثَ النفسِ كسلان» والقافية: القَفَا. (رواه البخاري وغيره).

والصباحُ هو خَيْرُ الأوقاتِ للعمل والدرْسِ، لأن المخ يكون فيه مرتاحاً نشيطاً، والأعضاءُ مُسْتجِمَّةٌ.. ومُسْتَعِدَّةٌ للعمل، وقد كانوا في المدرسة يضعُون لنا دروسَ الرياضياتِ وما شاكلها من الدروسِ الصعبةِ في الصباح؛ ويا ليتَ حكام المسلمين يجعلون بَدْءَ عَمَلِ المدارس والدوائر الحكومية بَعْدَ صلاةِ الفجرِ مباشرةً.. إلى قبيل صلاة الظهرِ، ثم يتركون فَتْرَةَ 3 ـ 4 ساعات لِلْقَيْلُولَةِ بعد الظهر، ثم يعودون للعمل 2 ـ 3 ساعات فقط.. لِيُكَمِّلُوا إنجَازَ مَا لَم ينجِزُوه في الصباح؛ وبذلك يَضطَرُّ الناسُ إلى النوم باكراً والاستيقاظِ باكراً، فيكسبون صلاةَ الصبح حاضراً، ويكسبون معها صحةَ أبدانهم.. ورَوَاجَ تجارتهم.. وأعمالهم؛ ولكن أين المسلمون! لقد قَلَّدْنا الغربَ فَدَخَلْنَا جُحرَ الضَّبِّ خَلفهُم، فمن يُخْرِجُنا منه؟

على أنَّ الأمَمَ الصناعية الأكثر تقدماً في العالم هي الأم النشيطة التي تستيقظ باكراً، وتذهبُ إلى عملها باكراً، فقد رأيتُ الألمانَ بنفسي يذهبون ـ كل يوم ـ إلى عملهم قبْلَ شروق الشمس؛ وسَمِعْتُ عن اليابانيين الشيء نفسه، فلماذا نُقَلِّدُ الأمَمَ الكَسْلَى.. ولا نُقَلِّدُ الأمَمَ النشيطة، مع أن دينَنَا يُهِيبُ بنا أنْ ننهضَ باكراً.. ونَنَامَ باكراً.. ونذْهَبَ إلى أعمالنا باكراً؟!

ويا لَيتَ الَّذين يستيقظونَ ـ منا باكراً ـ ويتوضَّؤونَ.. ويذهبونَ إلى المسجدِ لصلاةِ الصبحِ، يا لَيْتهم يختارون مسجداً بعيداً، ويُسْرِعونَ الخُطَى في الذهاب والإياب، ويأخذون بين الحين والآخر شهيقاً عميقاً يتبِعُونهُ بزفيرٍ شديد، ليقوموا مع الصلاة برياضةِ المشي في الصباح.. فيكسَبُوا صِحَّة أبدانهم.. بالإضافة إلى ثوابِ ربهم.

ـ وروى الإمام أحمد (4059) والبخاري (1144)، وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: ذُكر عند النبي ﷺ رجل، فقيل: ما زال نائماً حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة! فقال ﷺ: «بالَ الشيطانُ في أذنه»[1] لفظ البخاري.

---

(1) قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في «فتح الباري» (3/ 338): قوله ﷺ: «في أذنه»، في رواية جرير «في أذنيه» بالتثنية. واختلف في بول الشيطان، فقيل هو على حقيقته. قال =

غار ثور واعتزال رسول الله ﷺ لأهل مكة يتحنث ويمجد خالقه العظيم

نعم لقد اعتزل رسول الله ﷺ أهل مكة، قبل مبعثه، بإلهام من الله تعالى. وبعد فترة زمنية قدّرها المولى جل وعلا نزل عليه الوحي، ونبئ وأصبح رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين، إلى يوم الدين.

ففي «صحيح البخاري» (3)، ومسلم (160)، من حديث السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي، الرؤيا الصالِحةُ في النَّومِ، فكانَ لا يَرَى رُؤْيا إلاَّ جاءتْ مِثلَ فَلَقِ الصُّبْح. ثُمَّ حُبِّبَ إليهِ الخَلاءُ، وكانَ يَخْلو بِغارِ حِراءٍ فَيَتَحَنَّثُ فيهِ ـ وهُوَ التَّعَبُّدُ ـ اللَّيالِيَ ذَواتِ العَدَدِ، قَبلَ أنْ يَنزِعَ إلى أهلِهِ ويتزوَّدُ لِذلِكَ، ثم يَرْجِعُ إلى خَدِيجةَ فَيَتَزَوَّدُ لمثلِها، حتَّى جاءهُ الحَق وهُوَ في غارِ حِراءٍ، فجاءَهُ المَلَكُ فقال: اقْرأ. قالَ: **«ما أنا بِقارئ»**. قال: **«فأخَذَني فغَطَّني حتى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثمَّ أرْسَلَني»** فقال: اقْرأ: **«قلتُ: ما أنا بقارئ. فأخَذَني فَغَطَّني الثانيةَ حتى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أرسَلَني»** فقال: اقْرأ **«فقلتُ: ما أنا بِقارئ. فأخَذَني فغطَّني الثالثةَ، ثُمَّ أرسَلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾»** [العلق: 1 ـ 3].

= القرطبي وغيره لا مانع من ذلك إذ لا إحالة فيه لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح فلا مانع من أن يبول. وقيل هو كناية عن سد الشيطان أذن الذي ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذِّكر. وقيل معناه أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذِّكر. وقيل هو كناية عن ازدراء الشيطان به. وقيل معناه أن الشيطان استولى عليه واستخف به حتى اتخذه كالكنيف المعد للبول، إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه. وقيل هو مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم كمن وقع البول في أذنه فثقل أذنه وأفسد حسه، والعرب تكني عن الفساد بالبول.

قال الراجز: بال سهيل في الفضيخ ففسد.

وكنى بذلك عن طلوعه لأنه وقت إفساد الفضيخ فعبر عنه بالبول. ووقع في رواية الحسن عن أبي هريرة في هذا الحديث عند أحمد «قال الحسن إن بوله والله لثقيل» وروى محمد بن نصر من طريق قيس بن أبي حازم عن ابن مسعود **«حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان في أذنه»** وهو موقوف صحيح الإسناد. وقال الطيبي: خص الأذن بالذكر وإن كانت العين أنسب بالنوم إشارة إلى ثقل النوم، فإن المسامع هي موارد الانتباه. وخص البول لأنه أسهل مدخلاً في التجاويف وأسرع نفوذاً في العروق فيورث الكسل في جميع الأعضاء.

وكثر ضجيجي من مرضي، وعجزت عن طب نفسي، فلجأت إلى قبور الصالحين، وتوسلت في صلاحي، فاجتذبني لطف مولاي بي إلى الخلوة على كراهة مني، ورد قلبي على بعد نفور عني، وأراني عيب ما كنت أؤثره.

فأفقت من مرض غفلتي! وقلت في مناجاة خلوتي: سيدي كيف أقدر على شكرك؟ وبأي لسان أنطق بمدحك؟ إذ لم تؤاخذني على غفلتي، ونبهتني من رقدتي وأصلحت حالي على كره من طبعي.

فما أربحني فيما سلب مني إذا كانت ثمرته اللجوء إليك! وما أوفر جمعي إذ ثمرته إقبالي على الخلوة بك، وما أغناني إذ أفقرتني إليك، وما آنسني إذ أوحشتني من خلقك.

آه على زمان أمان ضاع في غير خدمتك! أسفاً لوقت مضى في غير طاعتك.

قد كنت إذا انتبهت وقت الفجر لا يؤلمني نومي طول الليل، وإذا انسلخ عني النهار لا يوجعني ضياع ذلك اليوم، وما علمت أن عدم الإحساس لقوة المرض، فالآن قد هبَّت نسائم العافية، فأحسست بالألم فاستدللت على الصحة، فيا عظيم الإنعام تَمِّم لي العافية. آه من سكير لم يعلم قدر عربدته إلا في وقت الإفاقة؟

لقد فتقت ما يصعب رتقه، فوا أسفاً على بضاعة ضاعت، وعلى ملاّح تعب في موج الشمال مصاعداً مدة، ثم غلبه النوم فرد إلى مكانه الأول.

يا من يقرأ تحذيري من التخليط فإني ـ وإن كنت خنت نفسي بالفعل ـ نصيح لإخواني بالقول، احذروا إخواني من الترخص فيما لا يؤمن فساده. فإن الشيطان يزين المباح، في أول مرتبة، ثم يجر إلى الجناح فتلمحوا المآل، وافهموا الحال.

وربما أراكم الغاية الصالحة، وكان في الطريق إليها نوع مخالفة، فيكفي الاعتبار في تلك الحال، بأبيكم ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: 120].

إنما تأمل آدم الغاية وهي الخلد، ولكنه غلط في الطريق، وهذا أعجب مصايد إبليس التي يصيد بها العلماء، يتأولون لعواقب المصالح، فيستعجلون ضرر المفاسد.

مثاله: أن يقول للعالم: ادخل على هذا الظالم فاشفع في مظلوم، فيستعجل الداخل رؤية المنكرات، ويتزلزل دينه، وربما وقع في شركٍ صار به أظلم من ذلك الظالم. فمن لم يثق بدينه فليحذر من المصائد، فإنها خفية.

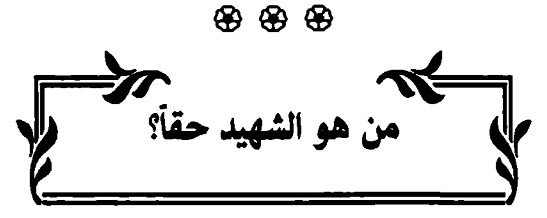
وأسلم ما للجبان العزلة، خصوصاً في زمان قد مات فيه المعروف، وعاش المنكر، ولم يبق لأهل العلم وقعٌ عند الولاة، فَمَنْ داخَلَهم دخل معهم فيما لا يجوز، ولم يقدر على جذبهم مما هم فيه، ثم مَنْ تأمل حال العلماء الذين يعملون لهم في الولايات يراهم منسلخين من نفع العلم قد صاروا كالشرطة.

فليس إلا العزلة عن الخلق، والإعراض عن كل تأويل فاسد في المخالطة، ولأن أنفع نفسي وحدي خير لي من أن أنفع غيري وأتضرر.

فالحذر الحذر من خوادع التأويلات، وفواسد الفتاوى، والصبر الصبر على ما توجبه العزلة.

فإنه إن انفردت بمولاك فتح لك باب معرفته، فهان كل صعب، وطاب كل مر، وتيسر كل عسر، وحصلت كل مطلوب، والله الموفق بفضله، ولا حول ولا قوة إلا به.

❀ ❀ ❀



من هو الشهيد حقاً؟

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 169 ـ 171].

ـ وروى البخاري (2803) ومسلم (1876) وغيرهما من حديث أبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ؛ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: «والَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لا يُكلَمُ أَحَدٌ في سَبِيلِ اللهِ، واللهُ أعلمُ بِمَن يُكلَمُ في سَبِيلِهِ، إلاَّ جَاءَ يَومَ القيامةِ، واللَّون لونُ الدَّمِ، والرِّيح رِيحُ مِسكٍ» لفظ البخاري.

ـ وروى البخاري (2898) ومسلم (112)، وغيرهما، واللفظ للبخاري، من طريق يَعقوبَ بنِ عبدِ الرّحمنِ عن أبي حازمٍ عن سهلِ بنِ سعدٍ الساعديِّ ﷺ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتَتلوا، فلمّا مالَ رسولُ الله ﷺ إلى عسكرِهِ ومالَ الآخَرون إلى عسكرِهم، وفي أصحاب رسولِ الله ﷺ رجُلٌ لا يَدَعُ لهم شاذَّةً ولا فاذَّة إلا اتَّبعَها يَضرِبُها بسيفِهِ، فقالوا: ما أَجْزَأَ منّا اليومَ أَحَدٌ كما أَجزَأَ فلانٌ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «أَما إِنهُ من أَهلِ النارِ»، فقال رجلٌ منَ القَومِ: أَنا صاحِبُهُ.

قال فخرَج معهُ كلَّما وَقَفَ وقَفَ معهُ، وإذا أَسرعَ أَسرَع معهُ، قال: فجُرِحَ الرجُلُ جرحاً شديداً، فاستعجَلَ الموتَ، فوَضَعَ نَصلَ سيفِهِ في الأرضِ وذُبابَهُ بينَ ثَديَيهِ، ثُمَّ تحامَلَ على سيفِهِ فقتلَ نَفسَه[1].

فخرَجَ الرجُلُ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: أشهدُ أنكَ رسولُ الله، قال: «وما ذاكَ؟» قال: الرجلُ الذي ذكرتَ آنِفاً أنَّهُ مِن أهلِ النار، فأعظمَ الناسُ ذلك.

فقلتُ: أنا لكم بهِ، فخرجتُ في طلبهِ، ثمَّ جُرِح جُرحاً شديداً، فاستعجَلَ الموتَ فوَضَعَ نَصلَ سيفهِ في الأرض وذُبابَهُ بينَ ثَدييهِ ثُمَّ تَحامَلَ عليهِ فقتَل نَفسَهُ.

فقال رسولُ الله ﷺ عندَ ذلك: **«إنَّ الرجُل ليَعملُ عملَ أهلِ الجنَّةِ فيما يَبدو للنَّاسِ وهو من أهلِ النار، وإنَّ الرجُلَ ليَعمل عملَ أهلِ النارِ فيما يَبدو للناس، وهو من أهل الجنة»**.

ـ وروى الإمام أحمد (8096) والبخاري (3062) ومسلم (111) من حديث أبي هريرة ﷺ، قَالَ **«شَهِدنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيناً، فَقَالَ مِمَّن يُدْعَى بالإسلام: هذَا مِن أهلِ النَّارِ فَلَمَّا حضرنَا القِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالاً شَدِيداً فَأَصَابَتهُ جِرَاحَة. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله، الرَّجُلُ الَّذِي قُلتَ لَهُ آنِفاً: إنَّهُ مِنْ أهلِ النَّارِ، فَإنهُ قَاتَلَ اليَومَ قِتَالاً شَدِيداً، وَقَد مَاتَ. فَقَالَ النبيّ ﷺ: «إِلَى النَّارِ». فَكادَ بَعضُ المُسلِمِينَ أَنْ يَرتَابَ. فَبَينَمَا هُم عَلَى ذلِكَ إِذ قِيلَ: إِنَّهُ لَم يَمُت، وَلكِنَّ بِهِ جِرَاحاً شَدِيداً. فَلَما كَانَ مِنَ اللَّيلِ لَم يَصبِر عَلَى الجِرَاح فَقَتَلَ نَفسَهُ، فَأُخبِرَ النبِيُّ ﷺ بِذلِكَ فَقَالَ: «اللهُ أكبَرُ، أَشهَدُ أَنِّي عَبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ» ثُمَّ أَمَرَ بِلالاً فَنَادَى فِي النَّاسِ: «إِنَّهُ لا يَدخُلُ الجَنَّةَ إِلا نَفسٌ مُسلِمَة، وَإِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ»** لفظ مسلم.

ـ وروى الإمام أحمد (340) وأبو داود (2106) والترمذي (1114) م ـ وغيرهم، بإسناد قوي، واللفظ لأحمد، من طريق أبي العجفاء، قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ، يقول: لا تُغْلوا صُدُقَ النساءِ، فإنها لو كانت مَكرُمةً في الدنيا، أو تقوى في الآخرة، لكان أولاكم بها النبيُّ ﷺ؛ ما أنكَحَ شيئاً من بَناتِه ولا نسائِه فوقَ اثنتي عشرةَ أُوقيَّةً.

وأُخرى تقولونها في مغازيكم: قُتِل فلانٌ شَهيداً، مات فلان شهيداً، ولعلَّه أن

---

(1) وقوله: وذبابه بين ثدييه: ذباب ـ بضم الذال ـ طرف السيف الأسفل، وأما طرفه الأعلى فقبضته، وبين ثدييه: في وسط صدره ناحية قلبه.

(51/ 216/ 217)، قصة من هذا النوع المشوق والمثير من طريق أبي عبد الله محمد بن مرشد، قال: مات عمي أبو المرهف نصر بن عَلي، وأوصى بَشزَر لوالدي فقال: لا وليتها ولا خرجت من الدنيا إلاّ كما دخلتُ إليها، فولاّها أخاه أبا العساكر سلطان بن عَلي، فاصطحبا العمل صحبة مدة من الزمان، وأنا قد نشأنا، ولم يكن لعمي أبي العساكر ولد، فلحقه الحسد على كون أخيه له عدة من الولد، ولم يكن له سوى بنات، ثم رُزق أولاداً صغاراً، فصار كلمّا رأى صغرهم ورأى أولاد أخيه قد سدُّوا مكان أبيهم تضاعف الحسد، فكتب إلى والدي شعراً، فأجابه بقصيدة منها:

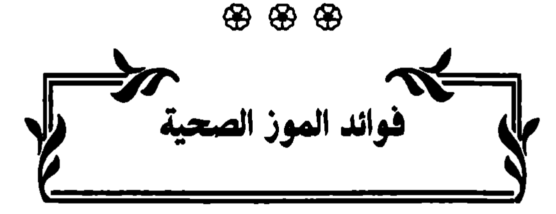
ظلومُ أَبَت في الظلم إلاّ تماديا ... وفي الصَّدِّ والهجران إلاّ تناهيا
ولا ناسياً ما أودعت من عهودها ... وإنْ هي أبدت جفوةً وتناسيا
شكت هجرنا والذنب في ذاك ذنبها ... فيا عَجباً من ظالمٍ جاءَ شاكيا
وطاوعت الواشين فِيَّ وطال ما ... عصيتُ عذولاً في هواها وواشيا
ومال بها تيهُ الجمال إلى القِلاَ ... وهيهات أن أمسي لها الدهر قاليا
ولما أتاني من قريضك جوهر ... جمعت المعاني فيه والمعاليا
وكنت هجرت الشعر حيناً لأنه ... تولى برغمي حين ولّى شبابيا
وأين من الستين لفظٌ مفوّق ... إذا رُمت أدنى القول منه عصانيا

ومنها:

وليت في الحرب الضروس بمهجتي ... على حرسٍ عمي يجيبُ المناديا
ورصعت في علياك دُرّ مدائح ... مَجَالُ نجومِ الأفق فيها قوافيا
وقلتُ أخي: ترعى بنيّ وأسرتي ... وتحفظ عهدي فيهم وذماميا
ويجزيهُمُ ما لم أكَلّفه فعله ... لنفسي فقد أعدته من تراثيا
فما لك لما أن حنى الدهر صعدتي ... وثلّمَ مني صارماً كان ماضيا
تنكرت حتى صار بِرُّك قسوةً ... وقربك منهم جفوةً وتناسيا
فأصبحت صفرَ الكفّ مما رجوته ... أرى اليأس قد عفا سبيل رجائيا
على أنّني قد حلتُ عما عهدته ... ولا غيّرت هذي الشؤون وداديا
ولا غرو عند الحادثات فإنّني ... أراك يميني والأنام شماليا
يهز بها عذراً لو قرنت بها ... نجوم السماء لم تعد دراريا

تحلت بدر من صفاتك زانها | كما زان منظوم اللآلىء الغوانيا
وعش بانياً للجود ما كان واهناً | مشيداً من الإحسان ما كان هاويا

❁ ❁ ❁



فوائد الموز الصحية

للموز فوائد صحية جمّة، وقد ذكر في القرآن الكريم عند قوله تعالى ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: 29]، والطلح في لغة العرب: الموز.

وتحتوي الموزة على الكربوهيدرات بنسبة 22% غير أن الموزة الواحدة لا تعطي أكثر من 79 حريرة (وعلى سبيل المقارنة فإن أصبع الشكولاته الواحد يحتوي ما بين 200 ـ 300 حريرة).

والموز غني بالبوتاسيوم (ولذا نوصي المرضى الذين يستعملون مدرات البول دون بوتاسيوم معها أن يكثروا من تناول الموز والبرتقال والبندورة).

كما أنه فقير بالبروتينات والدسم. (وهو مصدر غني للفيتامين ج والفيتامين أ. ويؤكل الموز طازجاً وقد يشوى أو يضاف إلى أنواع الكاتو والمعجنات).

الموز في الطب الحديث:

على الرغم من انتشار الموز في أمريكا الجنوبية وأفريقيا، إلا أنه لم يعرف له استعمالات طبية في تلك المناطق. غير أن الهنود عرفوا للموز فوائد عديدة منها استعماله في علاج قرحة المعدة والإثني عشر.

الموز والقرحة:

وتقول الموسوعة الصيدلانية الهندية: إذا ما أضيف نبات موز الجنة (Plantain) إلى الطحين وصنع منه الخبز الهندي المعروف (Chappatis) فإنه يفيد في حالات عسر الهضم ويخفف من الغازات. وقد أثارت هذه الملاحظات اهتمام الباحثين في الهند وبريطانيا لمعرفة التأثيرات التي يمارسها الموز على جدار الأمعاء عند الحيوان. واستنتج هؤلاء الباحثون أن للموز فعل شاف للقرحة مماثل لأحد أدوية القرحة (Carbenoxolone).

وأشارت التجارب العلمية في عدد من المراكز الطبية في الهند إلى أن استعمال مسحوق الموز غير الطازج يمكن أن يؤدي إلى شفاء قرحة الإثني عشر في 70% من المرضى.

وقد أجريت تجارب علمية في بريطانيا على الفئران، حيث أعطيت هذه الفئران شرائح من نبات موز الجنة لمدة أسبوع كامل قبل إعطائها حقنة من مادة تسبب القرحة عندها، فوجد الباحثون أنَّ إعطاء الموز لهذه الفئران قد منع من حدوث القرحة عندها.

واستطاع الباحثون عزل مادة كيميائية في الموز يمكنها أن تكبح إفراز الحمض من المعدة. وقد قام حديثاً فريق من الأطباء البريطانيين برئاسة الدكتور رالف بست (Best) من جامعة برمنغهام وفريق من الأطباء الهنود برئاسة البرفسور سانيال (Sanyal) من جامعة بانراس في الهند بإجراء التجارب على الفئران، ونشرت هذه الأبحاث في المجلة البريطانية لعلم الأدوية عام 1984. واستنتج هؤلاء الباحثون أن الموز يقوي خلايا جدار المعدة مما يحميها ضد إفرازات المعدة الحمضية، وقد لوحظ أن جدار المعدة كان أكثر سماكة عند الفئران التي أعطيت مسحوق الموز.

وقد أجرى هؤلاء الباحثون دراسة لمقارنة تأثير إعطاء الموز مع الأسبرين في وقت واحد فظهر أن الموز يعاكس تأثير الأسبرين المخرش لجدار المعدة عند الفئران.

ورغم أن استعمال الموز في معالجة القرحة قد بدأ في أوائل الثلاثينات من القرن العشرين فإن فائدته ما زالت قابلة للبحث. ويعتقد أن نبات موز الجنة الأخضر غير الناضج هو أكثر فعالية ضد القرحة، وقد يكون للموز العادي تأثير مماثل ضد القرحة. فمعظم التجارب التي أجريت استعملت نبات موز الجنة الأخضر غير الناضج (Plantains).

الموز والكولسترول:

وجد بعض الباحثين في الهند أن إعطاء ألياف نبات موز الجنة غير الناضج (Plantain) مع جرعات عالية من الكولسترول للفئران قد أدى إلى معاكسة تأثير

وفي تجربة أخرى أجريت عام 1986 تبينّ أن إعطاء موز الجنة غير الناضج قد أدى إلى خفض نسبة الكولسترول عند الفئران بنسبة 33%. وليس هذا فحسب بل إنه قد رفع مستوى الليبوبروتين العالي الكثافة بنسبة 30%. (99). وارتفاع مستوى هذا الأخير في الدم مفيد حيث يقي ضد حدوث احتشاء عضلة القلب (الجلطة).

ومن المحتمل أن يكون للموز العادي تأثير مماثل في خفض الكولسترول لاحتوائه على كمية عالية من البكتين.

وقد نشرت مجلة لانست الطبية الإنجليزية فائدة شرب عصير الموز كمضاد للدغات الأفاعي في مقال نشرته في 1/ 4/ 1916.

تركيب الموز
القيمة الغذائية لمائة غرام من الموز

ماء	70,7غ	الزنك	0,2 ملغ
الألياف	3,4غ	الكبريت	13 ملغ
الحريرات	79	الكلور	79 ملغ
البروتين	1,1غ	الكاروتين	200 مكغ
الدسم	0,3غ	الثيامين	0,04 ملغ
الكربوهيدرات	19,2غ	الريبوفلافين	0,7 ملغ
الصوديوم	1 ملغ	حمض النيكوتين	0,6 ملغ
البوتاسيوم	350 ملغ	فيتامين (ج)	10 ملغ
الكالسيوم	7 ملغ	فيتامين (أي)	0,2 ملغ
الماغنيزيوم	42 ملغ	فيتامين (ب6)	0,5 ملغ
الفوسفور	28 ملغ	حمض الفوليك	22 مكغ
الحديد	0,4	حمض الباتوثينك	0,26 ملغ
النحاس	0,16		

❁ ❁ ❁

هنيئاً لمن مات لا يشرك بالله تعالى شيئاً

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4]. وقال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١١٦ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ۝١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝١١٩ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء: 116 ـ 121].

وروى الإمام أحمد (24002) والطيالسي (998)، وغيرهما، بإسناد صحيح، من حديث عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ قال: عَرَّسَ بنا الرسول ﷺ ذاتَ ليلةٍ، فافتَرَش كلُّ رجل منَّا ذراعَ راحلتِه، قال: فانتهيتُ إلى بعض الليل فإذا ناقةُ رسول الله ﷺ ليس قُدَّامَها أحدٌ، قال: فانطلقتُ أطلُبُ رسولَ الله ﷺ، فإذا معاذُ بن جَبل وعبدُ الله بن قيسٍ قائمان، قلتُ: أينَ رسولُ الله؟ قالا: ما نَدْري، غيرَ أنَّا سَمِعْنا صوتاً بأعلى الوادي، فإذا مثلُ هَزِيز الرَّحل، قال: امكُثُوا يسيراً. ثم جاءَنا رسولُ الله ﷺ فقال: «**إنَّه أتانِي الليلةَ آتٍ مِن رَبِّي، فخَيَّرَني بينَ أنْ يَدخُلَ نِصفُ أُمَّتي الجَنَّة وبينَ الشَّفاعَةِ، فاختَرْتُ الشَّفاعَةَ**» فقلنا: نَنشُدُك اللهَ والصُّحبةَ لمَّا جَعَلْتَنا من أهل شَفاعتِك. قال: «**فإنَكمْ من أهلِ شَفاعَتِي**» قال: فأقبَلْنا مَعانِيقَ إلى الناس، فإذا هم قد فَزِعُوا وفَقَدُوا نبيَّهم، وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّه أتانِي الليلةَ من رَبِّي آتٍ فخَيَّرَني بينَ أن يَدخُلَ نِصفُ أُمَّتي الجَنّة وبينَ الشَّفاعَةِ، وإنِّي اختَرْتُ الشَّفاعةَ**» قالوا: يا رسول الله، نَنشُدُك اللهَ والصُّحبةَ لَمَّا جعلتَنا من أهل شفاعتِك. قال: فلمَّا أضَبُّوا عليه قال: «**فأنَا أُشهِدُكم أنَّ شَفاعَتِي لِمَنْ لا يُشرِكُ بِالله شيئاً من أُمَّتي**» لَفظ أحمد.

❀ ❀ ❀

الإنسان السعيد والإنسان الشقي

نجائبُ[1] النجاة مهيأة للمراد، وأقدام المطرود موثوقة بالقيود. هبَّت عواصف الأقدار في بيداء الأكوان فتقلب الوجود ونجم الخير[2]، فلما ركدت الريح إذا أبو طالب غريق في لجّة الهلاك، وسلمان[3] على ساحل السلامة، والوليد بن المغيرة[4]، يقدم قومه في التيه، وصهيب[5] قد قدم بقافلة الروم، والنجاشي في أرض الحبشة يقول: لبيك اللهم لبيك، وبلال ينادي: الصلاة خيرٌ من النوم، وأبو جهل في رقدة المخالفة.

لما قضى في القدم بسابقة سلمان عرج به دليل التوفيق عن طريق آبائه في التمجس[6]، فأقبل يناظر أباه في دين الشرك، فلما علاه بالحجة لم يكن له جواب إلا القيد. وهذا جواب يتداوله أهلُ الباطل من يوم حرّفوه، وبه أجاب فرعون موسى ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى﴾ [الشعراء: 29]، وبه أجاب الجهمية[7] الإمام أحمد لما عرضوه على السياط، وبه أجاب أهل البدع شيخ الإسلام[8] حين استودعوه السجن (وها نحن على الأثر)، فنزل به ضيف ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ [البقرة: 155]، فنال بإكرامه مرتبة «**سلمان منا أهل البيت**»[9]، فسمع أن ركباً على نية السفر، فسرق نفسه من أبيه ولا قَطع، فركب راحلة العزم يرجو إدراك مطلب السعادة، فغاص في بحر البحث ليقع بدرة الوجود، فوقف نفسه على خدمة الأدلاء وقوف الأذلاء، فلما أحسّ الرهبان بانقراض دولتهم سلموا إليه أعلام الإعلام على نبوّة نبينا وقالوا: إن زمانه قد أظل فاحذر أن تضل،

---

(1) النجائب: الإبل الكريمة.

(2) نجم الخير: ظهر.

(3) المراد به: سلمان الفارسي الصحابي المشهور.

(4) أحد عتاة الكفار كان مقدَّماً في قومه ذا مالٍ ذكره الله في القرآن في سورة المدثر.

(5) المراد به: صهيب بن سنان الرومي الصحابي.

(6) التمجّس: اتباع دين المجوس.

(7) هم فرقة من الجبرية من أتباع جهم بن صفوان، والمراد بهم عند ابن القيم المعتزلة لأنهم كانوا يشتركون مع أتباع جهم في نفي الصفات.

(8) يريد شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ.

(9) رواه الحاكم في «المستدرك» (6598)، من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، به.

فرحل مع رفقة لم يرفقوا به ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: 20]، فابتاعه يهودي بالمدينة، فلما رأى الحرّة[1] توقد حرّاً شوقه، ولم يعلم رب المنزل بوجْد النازل. بينما هو يكابد ساعات الانتظار قدم البشير بقدوم البشير[2]، وسلمان في رأس نخلة، وكاد القلق يلقيه لولا أن الحزم أمسكه كما جرى يوم ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: 10]، فعجل النزول لتلقي ركب البشارة ولسان حاله يقول:

خليليَّ من نجدٍ قِفا بي على الربا ... فقد هبَّ من تلك الديار نسيمُ

فصاح به سيده مالك: انصرفْ إلى شغلك. فقال:

كيف انصرافي ولي في داركم شُغُلُ؟

ثم أخذ لسان حاله يترنم لو سمع الأطروش[3]:

خليليَّ لا والله ما أنا منكما ... إذا عَلَمٌ من آل ليلى بدا ليا

فلما لقي الرسول عارض نسخة الرهبانْ بكتاب الأصل فوافقه: يا محمد أنت تريد أبا طالب ونحن نريد سلمان، أبو طالب إذا سُئل عن اسمه قال عبد مناف؛ وإذا انتسب افتخر بالآباء؛ وإذا ذكرت الأموال عدَّ الإبل. وسلمان إذا سئل عن اسمه، قال: عبد الله؛ وعن نسبه، قال: ابن الإسلام؛ وعن ماله، قال: الفقر؛ وعن حانوته، قال: المسجد؛ وعن كسبه، قال: الصبر؛ وعن لباسه، قال: التقوى والتواضع؛ وعن وساده، قال: السهر؛ وعن فخره، قال: سلمان منا؛ وعن قصده، قال: يريدون وجهه؛ وعن سيره، قال: إلى الجنة؛ وعن دليله في الطريق، قال: إمام الخلق وهادي الأئمة».

إذا نحن أدلجنا وأنت إمامنا ... كفى بالمطايا طيبُ ذكراك حاديا
وان نحنُ أضللنا الطريقَ ولم نَجِد ... دليلاً كفانا نورُ وجهكَ هاديا (ق)

❀ ❀ ❀

(1) الحرّة: أرض ذات حجارة سوداء مُدببة على أطراف المدينة المنورة.
(2) أنظر خبر إسلام سلمان ثمة.
(3) الأطروش: الأصم.

قصة إسلام سلمان الفارسي - ﷺ -
وتضحياته الجمة في سبيل إرضاء الله جلّ وعلا

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: 19]، هذا الإسلام والذي ارتضاه الله تعالى لنا ديناً، هو أغلى ما يملك المرء، وهو أحق أن يتبع، وأحق أن يُضحى لأجله، ويُبذل في سبيله الغالي والنفيس.

وهذا ما حصل لكثير من الصحابة الكرام - ﷺ - حيث أنهم ضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله تعالى. منهم سلمان الفارسي - ﷺ - حيث إنه أراد الحق، وبحث عنه، حتى أنه ترك أهله وبلاده، وساح في الأرض يفتش عن رسول الله ﷺ، ليكحل بمرآه عيناه، ويصدق برسالته ويناصره، ويؤمن به.

فقد روى الطبراني في «الكبير» (6065) والحاكم في «المستدرك» (6602)، وغيرهما من طريق حاتم بن أبي صغيرة، عن سماك بن حرب، عن زيد بن صوحان: أن رجلين من أهل الكوفة كانا صديقين لزيد بن صوحان أتياه ليكلّم لهما سلمان أن يحدثهما حديثه كيف كان إسلامه فأقبلا معه حتى لقوا سلمان وهو بالمدائن أميراً عليها، وإذا هو على كرسي قاعد وإذا خوص بين يديه وهو يسفه قالا فسلمنا وقعدنا، فقال له زيد: يا أبا عبد الله إن هذين لي صديقان ولهما أخ وقد أحبا أن يسمعا حديثك كيف كان بدء إسلامك.

قال: فقال سلمان: كنت يتيماً من رام هرمز، وكان ابن دهقان رام هرمز يختلف إلى معلم يعلمه فلزمته لأكون في كنفه وكان لي أخ أكبر مني وكان مستغنياً بنفسه وكنت غلاماً قصيراً وكان إذا قام من مجلسه تفرَّق من يحفظهم، فإذا تفرقوا خرج فيضع بثوبه ثم صعد الجبل وكان يفعل ذلك غير مرة متنكراً.

قال: فقلت له: إنك تفعل كذا وكذا، فلِمَ لا تذهب بي معك؟

قال: أنت غلام وأخاف أن يظهر منك شيء قال: قلت: لا تخف قال: فإن في هذا الجبل قوماً في برطيلهم لهم عبادة ولهم صلاح يذكرون الله تعالى ويذكرون الآخرة ويزعموننا عبدة النيران وعبدة الأوثان وأنا على دينهم.

قال: قلت: فاذهب بي معك إليهم، قال: لا أقدر على ذلك حتى أستأمرهم وأنا أخاف أن يظهر منك شيء فيعلم أبي فيقتل القوم فيكون هلاكهم على يدي.

قال: قلت لن يظهر مني ذلك فاستأمرهم فأتاهم فقال غلام عندي يتيم: فأحب أن يأتيكم ويسمع كلامكم.

قالوا: إن كنت تثق به قال: أرجو أن لا يجيء منه إلا ما أحبّ قالوا: فجيء به، فقال لي: قد استأذنت في إن تجيء معي، فإذا كانت الساعة التي رأيتني أخرج فيها فأتِني ولا يعلم بك أحد، فإن أبي إن علم بهم قتلهم قال: فلما كانت الساعة التي يخرج بيعته فصعدنا الجبل فانتهينا إليهم، فإذا هم في برطيلهم.

قال: علي وأراه قال: وهم ستة أو سبعة قال: وكان الروح قد خرج منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل ويأكلون عند السحر ما وجدوا فقعدنا إليهم، فأثنى الدهقان على حبر فتكلّموا فحمدوا الله وأثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل والأنبياء حتى خلصوا إلى ذكر عيسى ابن مريم عليهما السلام.

فقالوا: بعث الله تعالى عيسى عليه السلام رسولاً وسخر له ما كان يفعل من إحياء الموتى وخلق الطير وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى فكفر به قوم وتبعه قوم، وإنما كان عبد الله ورسوله ابتلي به خلقه.

قال: وقالوا قبل ذلك: يا غلام إن لك ربّاً وإن لك معاداً وإن بين يديك جنة وناراً إليها تصيرون وإن هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة لا يرضى الله ما يصنعون وليسوا على دين، فلما حضرت الساعة التي ينصرف فيها الغلام انصرف وانصرفت معه، ثم غدونا إليهم، فقالوا مثل ذلك وأحسن ولزمتهم.

فقالوا لي: يا سلمان إنك غلام وإنك لا تستطيع أن تصنع كما نصنع فصلِّ ونم وكُل واشرب قال: فاطلع الملك على صنيع ابنه فركب في الخيل حتى أتاهم في برطيلهم.

فقال: يا هؤلاء قد جاورتموني فأحسنت جواركم ولم تروا مني سوءاً فعمدتم إلى ابني فأفسدتموه علي قد أجلتكم ثلاثاً، فإن قدرت عليكم بعد ثلاث أحرقت عليكم برطيلكم هذا، فالحقوا ببلادكم فإني أكره أن يكون مني إليكم سوء.

قالوا: نعم ما تعمدنا مساءتك ولا أردنا إلا الخير فكف ابنه عن إتيانهم، فقلت له: اتّقِ الله فإنك تعرف أن هذا الدين دين الله وأن أباك ونحن على غير دين إنما هم عبدة النار لا يعبدون الله فلا تبع آخرتك بدين غيرك.

قال: يا سلمان هو كما تقول، وإنما أتخلف عن القوم بغياً عليهم إن تبعت القوم طلبني أبي في الجبل وقد خرج في إتياني إياهم حتى طردهم وقد أعرف أن الحق في أيديهم فأتيتهم في اليوم الذي أرادوا أن يرتحلوا فيه.

فقالوا: يا سلمان قد كنا نحذر مكان ما رأيت فاتقِ الله تعالى واعلم أن الدين ما أوصيناك به وإن هؤلاء عبدة النيران لا يعرفون الله تعالى ولا يذكرونه فلا يخدعنك أحد عن دينك، قلت: ما أنا بمفارقكم.

قالوا: أنت لا تقدر أن تكون معنا نحن نصوم النهار ونقوم الليل ونأكل عند السحر ما أصبنا وأنت لا تستطيع ذلك.

قال: فقلت: لا أفارقكم قالوا: أنت أعلم وقد أعلمناك حالنا، فإذا أتيت خذ مقدار حمل يكون معك شيء تأكله فإنك لا تستطيع ما نستطيع بحق.

قال: ففعلت ولقينا أخي فعرضت عليه ثم أتيتهم يمشون وأمشي معهم فرزق الله السلامة حتى قدمنا الموصل فأتينا بيعة بالموصل، فلما دخلوا احتفوا بهم وقالوا: أين كنتم؟ قالوا: كنا في بلاد لا يذكرون الله تعالى فيها عبدة النيران وكنا نعبد الله فطردونا، فقالوا: ما هذا الغلام فطفقوا يثنون علي.

وقالوا: صحبنا من تلك البلاد فلم نرَ منه إلا خيراً.

قال سلمان: فوالله إنهم لكذلك إذ طلع عليهم رجل من كهف جبل قال: فجاء حتى سلم وجلس فحفوا به وعظّموه أصحابي الذين كنت معهم وأحدقوا به، فقال: أين كنتم فأخبروه.

فقال: ما هذا الغلام معكم فأثنوا علي خيراً وأخبروه باتباعي إياهم ولم أرَ مثل إعظامهم إياه فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر من أرسل من رسله وأنبيائه وما لقوا وما صنع به وذكر مولد عيسى ابن مريم عليه السلام وإنه ولد بغير ذكر فبعثه الله ﷻ رسولاً وأحيى على يديه الموتى وإنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأنزل عليه الإنجيل وعلّمه التوراة وبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل فكفر به قوم وآمن به قوم.

وذكر بعض ما لقي عيسى ابن مريم وإنه كان عبد الله أنعم الله عليه فشكر ذلك له ورضي الله عنه حتى قبضه الله ﷻ وهو يعظهم ويقول: اتّقوا الله والزموا ما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام ولا تخالفوا فيخالف بكم.

ثم قال: من أراد أن يأخذ من هذا شيئاً فليأخذ فجعل الرجل يقوم فيأخذ الجرة من الماء والطعام، فقام أصحابي الذين جئت معهم فسلّموا عليه وعظّموه وقال لهم: الزموا هذا الدين وإياكم أن تفرقوا واستوصوا بهذا الغلام خيراً.

وقال لي: يا غلام هذا دين الله الذي تسمعني أقوله وما سواه الكفر.

قال: قلت: ما أنا بمفارقك قال: إنك لا تستطيع أن تكون معي إني لا أخرج من كهفي هذا إلا كل يوم أحد ولا تقدر على الكينونة معي، قال: وأقبل علي أصحابه فقالوا: يا غلام إنك لا تستطيع أن تكون معه.

قلت: ما أنا بمفارقك قال له أصحابه: يا فلان إن هذا غلام ويخاف عليه، فقال لي: أنت أعلم.

قلت: فإني لا أفارقك فبكى أصحابي الأولون الذين كنت معهم عند فراقهم إياي.

فقال: يا غلام خذ من هذا الطعام ما ترى أنه يكفيك إلى الأحد الآخر وخذ من الماء ما تكتفي به ففعلت فما رأيته نائماً ولا طاعماً إلا راكعاً وساجداً إلى الأحد الآخر، فلما أصبحنا قال لي: خذ جرتك هذه وانطلق، فخرجت معه أتبعه حتى انتهينا إلى الصخرة وإذا هم قد خرجوا من تلك الجبال ينتظرون خروجه فقعدوا وعاد في حديثه نحو المرة الأولى.

فقال: الزموا هذا الدين ولا تفرقوا واذكروا الله واعلموا أن عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام كان عبد الله تعالى أنعم الله عليه، ثم ذكرني.

فقالوا له: يا فلان كيف وجدت هذا الغلام فأثنى علي وقال خيراً، فحمدوا الله تعالى وإذا خبز كثير وماء كثير فأخذوا وجعل الرجل يأخذ ما يكتفي به وفعلت فتفرقوا في تلك الجبال، ورجع إلى كهفه ورجعت معه فلبثنا ما شاء الله يخرج في كل يوم أحد، ويخرجون معه. ويحفون به ويوصيهم بما كان يوصيهم به، فخرج في أحد، فلما اجتمعوا حمد الله تعالى ووعظهم وقال مثل ما كان يقول لهم.

ثم قال لهم آخر ذلك: يا هؤلاء إنه قد كبر سني ورق عظمي وقرب أجلي وإنه لا عهد لي بهذا البيت منذ كذا وكذا ولا بدَّ من إتيانه فاستوصوا بهذا الغلام خيراً فإني رأيته لا بأس به.

قال: فجزع القوم فما رأيت مثل جزعهم، وقالوا: يا فلان أنت كبير فأنت وحدك ولا نأمن أن يصيبك شيء يساعدك أحوج ما كنا إليك.

قال: لا تراجعوني لا بدّ من اتباعه ولكن استوصوا بهذا الغلام خيراً وافعلوا وافعلوا، قال: فقلت: ما أنا بمفارقك.

قال: يا سلمان قد رأيت حالي وما كنت عليه وليس هذا كذلك أنا أمشي أصوم النهار وأقوم الليل ولا أستطيع أن أحمل معي زاداً لا غيره وأنت لا تقدر على هذا.

قلت: ما أنا بمفارقك. قال: أنت أعلم. قال: فقالوا: يا فلان فإنا نخاف على هذا الغلام قال: فهو أعلم قد أعلمته الحال، وقد رأى ما كان قبل هذا، قلت: لا أفارقك.

قال: فبكوا وودعوه وقال لهم: اتقوا الله وكونوا على ما أوصيتكم به، فإن أعش فعلّي أرجع إليكم وإن مت فإن الله حي لا يموت فسلّم عليهم وخرج وخرجت معه.

وقال لي: احمل معك من هذا الخبز شيئاً تأكله فخرج وخرجت معه يمشي واتبعته يذكر الله تعالى ولا يلتفت ولا يقف على شيء حتى إذا أمسينا.

قال: يا سلمان صلِّ أنت ونم وكل واشرب، ثم قام وهو يصلي حتى انتهينا إلى بيت المقدس وكان لا يرفع طرفه إلى السماء حتى أتينا إلى باب المسجد وإذا على الباب مقعد.

فقال: يا عبد الله قد ترى حالي فتصدق علي بشيء فلم يلتفت إليه ودخل المسجد ودخلت معه فجعل يتبع أمكنة من المسجد فصلّى فيها، فقال: يا سلمان إني لم أنم منذ كذا وكذا ولم أجد طعم النوم، فإن فعلت أن توقظني إذا بلغ الظل مكان كذا وكذا نمت، فإني أحب أن أنام في هذا المسجد وإلا لم أنم، قال: قلت: فإني أفعل قال: فإذا بلغ الظل مكان كذا وكذا فأيقظني إذا غلبتني عيني.

فنام، فقلت في نفسي هذا لم ينم مذ كذا وكذا وقد رأيت بعض ذلك لأدعنه ينام حتى يشتفي من النوم، قال: وكان فيما يمشي وأنا معه يقبل علي فيعظني ويخبرني إن لي ربا وإن بين يدي جنة وناراً وحساباً ويعلمني ويذكرني نحو ما يذكر القوم يوم الأحد

حتى قال فيما يقول: يا سلمان إن الله ﷻ سوف يبعث رسولاً اسمه أحمد يخرج بتهمة وكان رجلاً عجمياً لا يحسن القول علامته إنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب، فأما أنا فإني شيخ كبير ولا أحسبني أدركه، فإن أدركته أنت فصدقه واتبعه.

قال: قلت: وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه، قال: اتركه فإن الحق فيما يأمر به ورضي الرحمن فيما قال فلم يمضِ إلا يسيراً حتى استيقظ فزعاً يذكر الله تعالى، فقال لي: يا سلمان مضى الفيء من هذا المكان ولم أذكر أين ما كنت جعلت على نفسك.

قال: أخبرتني أنك لم تنم منذ كذا وكذا، وقد رأيت بعض ذلك فأحببت أن تشتفي من النوم، فحمد الله تعالى وقام فخرج وتبعته فمر بالمقعد، فقال المقعد: يا عبد الله دخلت فسألتك فلم تعطِني وخرجت فسألتك فلم تعطِني، فقام ينظر هل يرى أحداً فلم يره فدنا منه، فقال له: ناولني يدك فناوله.

فقال: بسم الله فقام كأنه أنشط من عقال صحيحاً لا عيب به فخلا عن بعده فانطلق ذاهباً، فكان لا يلوي على أحد ولا يقوم عليه فقال لي المقعد: يا غلام احمل علي ثيابي حتى أنطلق فأسير إلى أهلي فحملت عليه ثيابه وانطلق لا يلوي علي، فخرجت في إثره أطلبه فكلما سألت عنه.

قالوا: أمامك حتى لقيني ركب من كلب فسألتهم فلما سمعوا لفتى أناخ رجل منهم لي بعيره فحملني خلفه حتى أتوا بلادهم فباعوني فاشترتني امرأة من الأنصار فجعلتني في حائط بها وقدم رسول الله ﷺ فأخبرت به فأخذت شيئاً من تمر حائطي فجعلته على شيء ثم أتيته فوجدت عنده ناساً وإذا أبو بكر أقرب الناس إليه فوضعته بين يديه، وقال: «ما هذا»؟

قلت: صدقة، قال للقوم: «كُلوا» ولم يأكل ثم لبثت ما شاء الله ثم أخذت مثل ذلك فجعلت على شيء ثم أتيته فوجدت عنده ناساً وإذا أبو بكر أقرب القوم منه فوضعته بين يديه، فقال لي: «ما هذا»؟ قلت: هدية، قال: «بِسمِ الله» وأكل وأكل القوم.

قلت في نفسي: هذه من آياته كان صاحبي رجل أعجمي لم يحسن أن يقول تهامة، فقال تهمة: وقال اسمه أحمد فدرت خلفه ففطن بي فأرخى ثوباً، فإذا الخاتم في ناحية كتفه الأيسر فتبينته، ثم درت حتى جلست بين يديه فقلت: أشهد

أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: «مَنْ أَنتَ»؟ قلت: مملوك.

قال: فحدّثته حديثي وحديث الرجل الذي كنت معه وما أمرني به قال: لمن أنت قلت لامرأة من الأنصار جعلتني في حائط لها قال: يا أبا بكر قال: لبّيك قال: «اشتَرِهِ» فاشتراني أبو بكر ﷺ، فاعتقني.

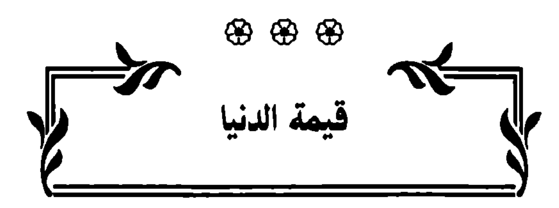
فلبثت ما شاء الله أن ألبث فسلّمت عليه وقعدت بين يديه، فقلت: يا رسول الله ما تقول في دين النصارى؟ قال: «لا خَيرَ فيهِم وَلا في دِينِهِم» فدخلني أمر عظيم، فقلت في نفسي: هذا الذي كنت معه ورأيت ما رأيته ثم رأيته أخذ بيد المقعد فأقامه الله على يديه.

وقال: «لا خَيرَ في هؤُلاءِ وَلا في دينِهِم» فانصرفت وفي نفسي ما شاء الله، فأنزل الله عزَّ وجلّ على النبيّ ﷺ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: 82 ـ 86].

فقال رسول الله ﷺ: «علي بسلمان» فأتى الرسول وأنا خائف فجئت حتى قعدت بين يديه، فقرأ: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: 82] إلى آخر الآية «يا سَلمانُ إنَّ أُولئِكَ الّذِين كنتَ مَعَهُم وَصاحِبَك لم يَكونوا نَصارى إنَّما كانوا مُسلِمِين».

فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لهو الذي أمرني باتباعك فقلت له: وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه، قال: فاتركه فإن الحق وما يجب فيما يأمرك به.

❀ ❀ ❀



قيمة الدنيا

«لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها جرعة ماء».

ما قيمة الدنيا بالنسبة للآخرة، إلا ظل زائل، وأمر عاجل، كاد أن ينتهي ويولي وينصرم. نام رسول الله ﷺ ذات يوم على حصير، فقام وقد أثر في جنبه. فقال بعض

الغيرة المحمودة، والغيرة المذمومة

«إن الله غيور يحب الغيور»[1]. ولكن هل كل أنواع الغيرة محمودة؟ أم منها ما هو مذموم ممقوت؟ فعن أبي هريرة ـ ﷺ ـ قَالَ: قَالَ سَعدُ بنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَو وَجَدتُ مَعَ أَهلِي رَجُلاً، لَم أَمَسَّهُ حَتى آتِيَ بِأَربَعَةِ شُهَدَاءَ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«نَعَم»** قَالَ: كَلاَّ، وَالذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ! إِنْ كُنتُ لأُعَاجِلُهُ بِالسَّيفِ قَبلَ ذَلِكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«اسمَعُوا إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُم. إِنَّهُ لَغَيُورٌ. وَأنا أَغيَرُ مِنهُ. وَاللهُ أَغيَرُ مِنِّي»**[2].

وفي «الصحيحين» عن الْمُغِيرَةِ بنِ شُعبَةَ. قَالَ: قال سَعدُ بنُ عُبَادَةَ: لَو رَأَيتُ رَجُلاً مَعَ امرَأَتِي لَضَرَبتُهُ بالسَّيفِ غَيرَ مُصفِحٍ عَنهُ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«أَتَعجَبُونَ مِنْ غَيرَةِ سَعدٍ؟ فَوَاللَّهِ، لأنا أَغيَرُ مِنهُ. وَاللهُ أَغيَرُ مِنِّي. مِنْ أَجلِ غَيرَةِ اللهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ. وَلاَ شَخصَ أَغيَرُ مِنَ اللهِ. وَلاَ شَخصَ أَحَبُّ إِلَيهِ العُذرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ المُرسَلِينَ مُبَشرينَ وَمُنذِرِينَ. وَلاَ شَخصَ أَحَبُّ إِلَيهِ المِدحَةُ مِنَ اللهِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الجَنَّةَ»**[3].

وهكذا يتضح لنا أن الغيرة المحمودة، هي الغيرة على ما حرّم الله تعالى، من صنوف الفواحش، ما ظهر منها وما بطن.

وقد جاء في الهدي النبوي الشريف، التحذير من الغيرة المفرطة. فقد روى الأئمة، من طريق أبي السَّائِبِ، مَولَى هِشَامِ بنِ زُهرَةَ؛ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ فِي بَيْتِهِ. قَالَ: فَوَجَدتُهُ يُصَلِّي. فَجَلَستُ أَنتَظِرُهُ حَتَّى يَقضِيَ صَلاتَهُ. فَسَمِعتُ تَحرِيكاً فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ البَيتِ فَالتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ. فَوَثَبتُ لأَقتُلَهَا. فَأَشَارَ إِلَيَّ: أن أجلِس. فَجَلَستُ. فَلَمَّا انصَرَف أَشَارَ إِلى بَيتٍ فِي الدَّارِ. فَقَالَ:

أَتَرَى هذَا البَيتَ؟ فَقُلتُ: نَعَم. قَالَ: كَانَ فيهِ فَتىً مِنَّا حَدِيثُ عَهدٍ بِعُرسٍ. قَالَ:

---

(1) أورده العجلوني في «كشف الخفا» (690) بأتم منه، وعزاه لرسته في كتاب «الإيمان» عن عبد الرحمن بن رافع بن خديج، مرسلاً.

(2) رواه مسلم (1498) وأبو داود (4532) وابن ماجه (2605).

(3) رواه الإمام أحمد (18192) والبخاري (6846) ومسلم (1499) والدارمي (2227)، وغيرهم. مطولاً ومختصراً. وقوله ﷺ: **«ولا شخص»** أي: لا أحد، وإنما قال ﷺ: **«ولا شخص»** استعارة.

فَخَرَجنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الخَندَقِ. فَكَانَ ذَلِكَ الفَتَى يَستَأذِنُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأَنصَافِ النَّهَارِ فَيَرجِعُ إِلَى أَهلِهِ. فَاستَأذَنَهُ يَوماً. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«خُذ عَلَيكَ سِلاَحَكَ. فَإِنِّي أَخشَى عَلَيكَ قُرَيظَةَ»**.

فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلاَحَهُ. ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امرَأَتُهُ بَينَ البَابَينِ قَائِمَةً. فَأَهوَى إِلَيْهَا الرُّمحَ لِيَطعَنَهَا بِهِ. وَأَصَابَتهُ غَيرَةٌ. فَقَالَتْ لَهُ: اكفُف عَلَيكَ رُمحَكَ، وَادخُل البَيتَ حَتى تَنظُرَ مَا الَّذِي أَخرَجَنِي. فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الفِرَاشِ. فَأَهوَى إِلَيهَا بِالرُّمحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ. ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ. فَاضطَرَبَت عَلَيهِ. فَمَا يُدرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسرَعَ مَوتاً. الحَيَّةُ أَمِ الفَتَى؟

قَالَ: فَجِئنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرنَا ذَلِكَ لَهُ. وَقُلْنَا: ادع اللهَ يُحيِيهِ لَنَا. فَقَالَ: **«استَغفِرُوا لِصَاحِبِكُم»**. ثُمَّ قَالَ: **«إِن بِالمَدِينَةِ جِنّاً قَد أَسلَمُوا. فَإِذَا رَأَيتُم مِنهُم شَيئاً فَآذِنُوهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ. فَإِن بَدَا لَكُم بَعدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ. فَإِنَّمَا هُوَ شَيطَانٌ»**.

وقوله: «فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت» أراد بالعراجين: الأعواد التي في سقف البيت. والعرجون في الأصل؛ هو العود الأصفر الذي فيه شماريخ العذق ـ وهو الذي يحمل البلح ـ وجمعه عراجين.

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ: ينبغي على الزوج مراعاة الاعتدال في الغيرة: وهو أن لا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها، ويبالغ في إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن، فقد نهى رسول الله ﷺ تتبع عورات النساء. وفي لفظ آخر: أن تبغت النساء. ولما قدم رسول الله ﷺ من سفره قال قبل دخول المدينة: **«لا تطرقوا النساء ليلاً»** فخالفه رجلان فسبقا، فرأى كل واحد في منزله ما يكره. وفي الخبر المشهور (المرأة كالضلع إن قوَّمته كسرته، فدعه تستمتع به على عوج) وهذا في تهذيب أخلاقها. وقال ﷺ: **«إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عزَّ وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة»** لأن ذلك من سوء الظن الذي نُهينا عنه، فإن بعض الظن إثم. وقال علي ﷺ: لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك. وأما الغيرة في محلها فلا بدَّ منها وهي محمودة.

وقال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرّم الله عليه»** وقال عليه السلام: **«أتعجبون من غيرة سعد! أنا والله أغير منه والله أغير مني، ولأجل غِيرة الله تعالى حرَّم الفواحش ما ظهر منها**

وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ولذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولأجل ذلك وعد الجنة» وقال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي في الجنة قصراً وبفنائه جارية؛ فقلت: لمن هذا القصر؟ فقيل: لعمر؛ فأردت أن أنظر إليه فذكرت غيرتك يا عمر» فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله. وكان الحسن يقول: أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج[1] في الأسواق. قبح الله من لا يغار.

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله، ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة، والاختيال الذي يحبه الله فاختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدَقَة، والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل».

والطريق المغني عن الغيرة، أن لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج إلى الأسواق. وقال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام: «أي شيء خير للمرأة؟» قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل، فضمها إليه وقال: «ذرّية بعضها من بعض» فاستحسن قولها. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسدّون الكوى والثقب في الحيطان لئلا تطلع النساء إلى الرجال. ورأى معاذ امرأته تطلع في الكوة فضربها، ورأى امرأته قد دفعت إلى غلامه تفاحة قد أكلت منها فضربها.

وكان قد أذن رسول الله ﷺ للنساء بحضور المسجد، والصواب الآن المنع إلا العجائز، بل استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها: لو علم النبي ﷺ ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج. ولما قال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» فقال بعض ولده: بلى والله لنمنعهن، فضربه وغضب عليه وقال: تسمعني أقول قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا» فتقول: بلى. وإنما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان، وإنما غضب عليه لإطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهراً من غير إظهار العذر.

وكذلك كان رسول الله ﷺ قد أذن لهن في الأعياد خاصة أن يخرجن ولكن لا يخرجن إلا برضا أزواجهن، والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ولكن

---

(1) العلوج: جمع علج. وهو الذي من كفار العجْم.

القعود أسلم. وينبغي أن لا تخرج إلا لمهم، فإن الخروج للنظارات والأمور التي ليست مهمة تقدح في المروءة وربما تفضي إلى الفساد.

فإذا خرجت فينبغي أن تغض بصرها عن الرجال، ولسنا نقول إن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حقه، بل هو كوجه الصبي الأمرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط، فإن لم تكن فتنة فلا: إذا لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن متنقّبات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالتنقب أو منعوا من الخروج إلا لضرورة. والله أعلم.

التنجيم ومعرفة الطالع وعلم الأبراج

لقد راج في الآونة الأخيرة، علم التنجيم، ومعرفة الطالع، وعلم الأبراج، وراح كثير من ضعاف العقول يأتون من له أدنى علم من هذه العلوم الشيطانية المحرمة.

ففي «الصحيح» من حديث صفية، عن بعضِ أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ، قَالَ: **«من أتى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عن شيءٍ لم تُقبل لَهُ صَلاةُ أربعينَ لَيلَةً»**.

وفي «الصحيح» أيضاً، عن معاوية بن الحكم السُّلميّ، قال: قلتُ يا رسولَ اللهِ، أُموراً كُنَّا نَصنعُها في الجاهليَّةِ، كُنَّا نأتي الكُهَّانَ، قال: **«فَلا تَأتُوا الكُهَّانَ»** قال: قلتُ: كُنَّا نَتَطَيَّرُ، قال: **«ذَاكَ شيءٌ يَجدُهُ أَحدُكُم في نفسِهِ، فلا يَصُدَّنَّكُم»**.

وروى الإمام أحمد (9541)؛ وغيره بإسناد حسن، من حديث أبي هريرة ـ ﷺ ـ، عن النبيِّ ﷺ قال: **«من أَتى كَاهِناً أو عَرَّافاً، فَصَدَّقَهُ بِمَا يقولُ، فقد كَفَر بما أُنْزِلَ على محمدٍ»**. قال ابن الأثير ـ رحمه الله تعالى ـ: العرّاف، المنجّم أو الحاذي هو الذي يدّعي علم الغيب. وقد استأثر الله تعالى به. اهـ. وهو من جملة الكهان. قال الخطابي رحمه الله تعالى: العراف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما.

قوله ﷺ: **«لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»** قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وأما عدم قبول صلاته فمعناه أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مُجزئة في سقوط الفرض عنه، ولا يحتاج معها إلى إعادة، ونظير هذه الصلاة في الأرض المغصوبة مجزئة مسقطة للقضاء. ولكن لا ثواب فيها. وقال: والعلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العرَّاف إعادة صلوات أربعين ليلة. والله تعالى أعلم.

وقوله ﷺ: **«فلا تأتوا الكُهّان»** قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب:

أحدها: يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء. وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبينا ﷺ.

الثاني: أن يخبره بما يطرأ، أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد. وهذا لا يبعد وجوده.

الثالث: المنجمون. وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوةً ما. لكن الكذب فيه أغلب. ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عرَّاف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات، يدعي معرفتها بها. وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم، وأسباب متعددة، وهذه الأضرب كلها تُسمى كهانة. وقد كذّبهم كلهم الشرع. ونهى عن تصديقهم وإتيانهم. والله أعلم.

وقوله ﷺ: **«من أتى كاهناً، أو عرافاً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد»** المراد بقوله عليه الصلاة والسلام: **«بما أنزل على محمد»** الكتاب والسنة. وقد جاء القرآن الكريم بالإخبار الصريح والقاطع بأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى. قال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: 65]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: 26]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: 179]. وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59] وقال تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: 20].

وعلى هذا فإن أكثر أهل يكفرون من سأل الكاهن أو العراف، معتقداً صدقه وأنه يعلم الغيب. قالوا: وأما إن اعتقد أن الجن تلقى إليه ما سمعته من الملائكة، ونحو ذلك. فقالوا إنه كفر دون كفر، أي أنه قارب الكفر. والله تعالى أعلم.

وروى الإمام أحمد (2000) وأبو داود (3905)، وغيرهما بإسناد صحيح، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: **«ما اقتبس رجلٌ علماً من النُّجومِ، إلا اقتبس بها شُعبة من السحر، ما زاد زاد»**.

قال العلماء: والمنهي عنه من علم النجوم هو علم التأثير، الذي يقول أصحابه: إن جميع أجزاء العالم السُّفلي صادر عن تأثير الكواكب والروحانيات، وهو حرام وهو ضربٌ من الجنون والأوهام. ومن ذلك علم الإبراج ومعرفة الطالع، وهو منتشر ورائج

في عصرنا هذا وعلى وجه الخصوص عبر أجهزة الأعلام المقروءة والمسموعة والمرئية. عصمنا الله تعالى من ذلك. وجنَّبنا الوقوع في الحرام.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: وأكثر الناس مستجيبون لهؤلاء، مؤمنون بهم، ولا سيما ضعفاء العقول، كالسفهاء، والجهال، والنساء، وأهل البوادي، ومن لا علم لهم بحقائق الإيمان. فهؤلاء هم المفتونون بهم، وكثيرٌ منهم يُحسن الظن بأحدهم، ولو كان مشركاً كافراً بالله مجاهراً بذلك، ويزوره، وينذر له، ويلتمس دعاءه. فقد رأينا وسمعنا من ذلك كثيراً. وسبب هذا كله خفاءُ ما بعث الله به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق على هؤلاء وأمثالهم ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40]. انتهى.

وأما تَعَلُّم علم الفلك والذي يُعرف به حركات الكوكب من طريق المشاهدة والذي يُعرف به الزوال، وجِهَة القبلة وغير ذلك، فإنه غير داخل فيما نُهي عنه. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: 97]. وقال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 16] فهذا إخبار من الله تعالى على أن النجوم طرق لمعرفة الأوقات والمسالك. والله تعالى أعلم.

ـ تحريم الكهانة والسحر:

وأما ما جاء في حرمة السحر، والكهانة، فهو قوله جل وعلا في سورة البقرة: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 102].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء: 51].

أخرج الطبري (7722/ 4) عن عمر رضي الله عنه، أنه قال: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان. وكذا أخرجه عن مجاهد وغيره.

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: 102].

وقال تعالى: ﴿وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: 102]. وهذا نص صريح في أن تعلم السحر وكذا تعاطيه كفر. وليس كما يظن كثير من الجهال بأن تعلم السحر أو تعاطيه حرام فقط. والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: 3].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قال الراغب وغيره: السحر يطلق على عدة معانٍ:

أحدها: ما لطف ودق. ومنه سحرت الصبي، خادعته واستملته. وكل من استمال شيئاً فقد سحره، ومنه إطلاق الشعراء سحر العيون لاستمالتها النفوس، ومنه قول الأطباء: الطبيعة ساحرة، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: 15]، أي مصروفون عن المعرفة. ومنه حديث: «**إن من البيان لسحراً**» (رواه البخاري وغيره).

الثاني: ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها، نحوها ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: 66]، وقوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: 116]، ومن هناك سموا موسى ساحراً، وقد يستعين في ذلك بما يكون فيه خاصية كالحجر الذي يجذب الحديد المسمى المغنطيس.

الثالث: ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: 102].

الرابع: ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانياتها بزعمهم، قال ابن حزم: ومنه ما يوجد من الطلسمات كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في العقرب فينفع إمساكه من لدغة العقرب، وكالمشاهد ببعض بلاد الغرب - وهي سرقسطة - فإنها لا يدخلها ثعبان قط إلا إن كان بغير إرادته، وقد يجمع بعضهم بين الأمرين الأخيرين كالاستعانة بالشياطين ومخاطبة الكواكب فيكون ذلك أقوى بزعمهم.

قال أبو بكر الرازي في الأحكام له: كان أهل بابل قوماً صابئيين يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة ويعتقدون أنها الفعالة لكل ما في العالم، وعملوا أوثاناً

على أسمائها، ولكل واحد هيكل فيه صنمه يتقرب إليه بما يوافقه بزعمهم من أدعية وبخور، وهم الذين بعث إليهم إبراهيم عليه السلام وكانت علومهم أحكام النجوم، ومع ذلك فكان السحرة منهم يستعملون سائر وجوه السحر وينسبونها إلى فعل الكواكب لئلا يبحث عنها وينكشف تمويههم. انتهى.

ثم السحر يطلق ويراد به الآلة التي يسحر بها، ويطلق ويراد به فعل الساحر. والآلة تارة تكون معنى من المعاني فقط كالرقي والنفث في العقد، وتارة تكون بالمحسوسات كتصوير الصورة على صورة المسحور. وتارة بجمع الأمرين الحسي والمعنوي وهو أبلغ.

واختُلف في السحر فقيل هو تخييل ولا حقيقة له، وهذا اختيار أبي جعفر الاستراباذي من الشافعية وأبي بكر الرازي من الحنفية وابن حزم الظاهري وطائفة.

قال النووي: والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة. انتهى.

لكن محل النزاع هو: هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا؟ فمن قال إنه تخييل فقط منع ذلك، ومن قال إن له حقيقة اختلفوا: هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعاً من الأمراض أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيواناً مثلاً وعكسه؟ فالذي عليه الجمهور هو الأول، وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني. فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمسلم، وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل الخلاف، فإن كثيراً ممن يدعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه. ونقل الخطابي أن قوماً أنكروا السحر مطلقاً وكأنه عنى القائلين بأنه تخييل فقط وإلا فهي مكابرة.

وقال المازري: أجمع جمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة، ونفى بعضهم حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة وهو مردود لورود النقل بإثبات السحر، ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص، ونظير ذلك ما يقع من حذاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده بالتركيب نافعاً، وقيل لا يزيد تأثير السحر على ما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ﴾ [البقرة: 102] لكون المقام مقام تهويل، فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك لذكره. قال المازري: والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك.

قال: والآية ليست نصاً في منع الزيادة، ولو قلنا إنها ظاهرة في ذلك. ثم قال: والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل إنما تقع غالباً اتفاقاً، وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي. ونقل إمام الحرمين الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق، وأن الكرامة لا تظهر على فاسق. ونقلَ النووي في زيادات الروضة عن المتولي نحو ذلك. وينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه، فإن كان متمسكاً بالشريعة متجنباً للموبقات فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة، وإلا فهو سحر، لأنه ينشأ عن أحد أنواعه كإعانة الشياطين.

وقال القرطبي: السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب، غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته، وأكثر تخييلات بغير حقيقة وإيهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 116] مع أن حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالاً وعصياً. ثم قال: والحق إن لبعض أصناف السحر تأثيراً في القلوب كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر، وفي الأبدان بالألم والسقم، وإنما المنكر أن الجماد ينقلب حيواناً أو عكسه بسحر الساحر أو نحو ذلك.

وقول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ الآية. في هذه الآية بيان أصل السحر الذي يعمل به اليهود، ثم هو مما وضعته الشياطين على سليمان ابن داود عليهما السلام ومما أنزل على هاروت وماروت بأرض بابل، والثاني متقدم العهد على الأول لأن قصة هاروت وماروت كانت من قبل زمن نوح عليه السلام على ما ذكر ابن إسحاق وغيره.

وكان السحر موجوداً في زمن نوح إذ أخبر الله عن قوم نوح أنهم زعموا أنه ساحر، وكان السحر أيضاً فاشياً في قوم فرعون وكل ذلك قبل سليمان.

واختلف في المراد بالآية فقيل: إن سليمان كان جمع كتب السحر والكهانة فدفنها تحت كرسيه فلم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي، فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين يعرفون الأمر جاءهم شيطان في صورة إنسان فقال لليهود: هل أدلكم على كنز لا نظير له؟ قالوا: نعم، قال: فاحفروا تحت الكرسي،

فحفروا ـ وهو متنح عنهم ـ فوجدوا تلك الكتب، فقال لهم: إن سليمان كان يضبط الإنس والجن بهذا، ففشا فيهم أن سليمان كان ساحراً، فلما نزل القرآن بذكر سليمان في الأنبياء أنكرت اليهود ذلك وقالوا إنما كان ساحراً، فنزلت هذه الآية. أخرجه الطبري وغيره من السدي.

ومن طريق سعيد بن جبير بسند صحيح نحوه، ومن طريق عمران بن الحارث عن ابن عباس موصولاً بمعناه، وأخرج من طريق الربيع بن أنس نحوه ولكن قال: إن الشياطين هي التي كتبت كتب السحر ودفنتها تحت كرسيه، ثم لما مات سليمان استخرجته وقالوا: هذا العلم الذي كان سليمان يكتمه الناس. وأخرجه من طريق محمد بن إسحاق وزاد أنهم نقشوا خاتماً على نقش خاتم سليمان وختموا به الكتاب وكتبوا به الكتاب وكتبوا عنوانه «هذا ما كتب آصف بن برخياء الصديق للملك سليمان ابن داود من ذخائر كنوز العلم» ثم دفنوه فذكر نحو ما تقدم.

وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس نحو ما تقدم عن السدي ولكن قال إنهم لما وجدوا الكتب قالوا هذا مما أنزل الله على سليمان فأخفاه منا. وأخرج بسند صحيح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: انطلقت الشياطين في الأيام التي ابتلي فيها سليمان، فكتبت كتباً فيها سحر وكفر، ثم دفنتها تحت كرسيه ثم أخرجوها بعده فقرؤوها على الناس.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ نفي الفلاح عن الساحر، وليس فيها دلالة على كفر الساحر، وان كثر في القرآن إثبات الفلاح للمؤمن، ونفيه عن الكافر، لكن ليس فيه ما ينفي نفي الفلاح عن الفاسق، وكذا العاصي. والله أعلم.



مكة المكرمة محور الأرض والكون

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: 96 ـ 97].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت يا رسول الله، أي مسجدٍ وضع في الأرض أوّل؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال:

«المسجد الأقصى» قلت: كم بينهما؟ قال: **«أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة، فصل فهو مسجد»**[1].

الاكتشاف العلمي الجديد الذي كان يشغل العلماء، والذي أعلن في يناير/كانون الثاني عام (1977 م) يقول: إن مكة المكرمة هي مركز اليابسة في العالم، وهذه الحقيقة الجديدة استغرقت سنوات عديدة من البحث العلمي للوصول إليها، واعتمدت على مجموعة من الجداول الرياضية المعقدة استعان فيها العلماء بالحاسب الآلي.

ويروي العالم المصري الدكتور حسين كمال الدين قصة الاكتشاف الغريب فيذكر أنه بدأ البحث وكان هدفه مختلفاً تماماً، حيث كان يجري بحثاً ليعدّ وسيلة تساعد كل شخص في أي مكان من العالم، على معرفة وتحديد مكان القبلة، لأنه شعر في رحلاته العديدة للخارج أن هذه هي مشكلة كل مسلم عندما يكون في مكان ليست فيه مساجد تحدد مكان القبلة، أو يكون في بلاد غريبة، كما يحدث لمئات الآلاف من طلاب البعثات في الخارج؛ لذلك فكر الدكتور حسين كمال الدين في عمل خريطة جديدة للكرة الأرضية لتحديد اتجاهات القبلة عليها.

وبعد أن وضع الخطوط الأولى في البحث التمهيدي لإعداد هذه الخريطة، ورسم عليها القارات الخمس، ظهر له فجأة هذا الاكتشاف الذي أثار دهشته.. فقد وجد العالم المصري أن موقع مكة المكرمة في وسط العالم.. وأمسك بيده «برْجلاً» وضع طرفه على مدينة مكة، ومر بالطرف الآخر على أطراف جمع القارات فتأكد له أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعاً منتظماً.. ووجد مكة ـ في هذه الحالة ـ هي مركز الأرض اليابسة.

وأعد خريطة العالم القديم قبل اكتشاف أمريكا وأستراليا ـ وكرر المحاولة ـ فإذا به يكتشف أن مكة هي أيضاً مركز الأرض اليابسة، حتى بالنسبة للعالم القديم يوم بدأت الدعوة للإسلام... ويضيف العالم الدكتور حسين كمال الدين:

لقد بدأت بحثي برسم خريطة تحسب أبعاد كل الأماكن على الأرض، عن مدينة مكة، ثم وصلت بين خطوط الطول المتساوية لأعرف كيف يكون إسقاط خطوط الطول وخطوط العرض بالنسبة لمدينة مكة، وبعد ذلك رسمت حدود القارات، وباقي التفاصيل

---

(1) رواه الإمام أحمد (231391) والبخاري (3366) ومسلم (520)، غيرهم.

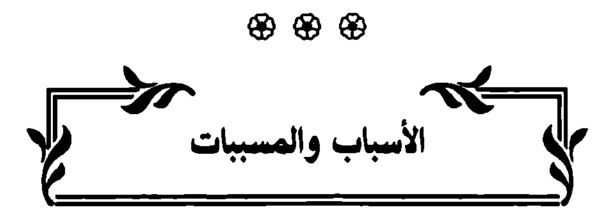
على هذه الشبكة من الخطوط، واحتاج الأمر إلى إجراء عدد من المحاولات والعمليات الرياضية المعقدة، بالاستعانة بالحاسب الآلي لتحديد المسافات والانحرافات المطلوبة، وكذلك احتاج الأمر إلى برنامج للحاسب الآلي لرسم خطوط الطول وخطوط العرض، لهذا الإسقاط الجديد.. وبتوفيق من الله وحده، اكتشفت أنني أستطيع أن أرسم دائرة يكون مركزها مدينة مكة وحدودها خارج القارات الأرضية الست، ويكون محيط هذه الدائرة يدور مع حدود القارات الخارجية.

مكة إذن ـ بتقدير الله ـ هي قلب الأرض، وهو بعض ما عبر عنه العلم في اكتشاف العلماء بأنه مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب المغناطيسي، يوائمه ظاهرة عجيبة قد تذوقها كل من زار مكة حاجّاً أو معتمراً بقلب منيب، فهو يحس أنه ينجذب فطرياً إلى كل ما فيها.. أرضها.. وجبالها وكل ركن فيها.. حتى ليكاد لو استطاع أن يذوب فى كيانها مندمجاً بقلبه وقالبه.. وهذا إحساس مستمر منذ بدء الوجود الأرضي. والله أعلم.

والأرض شأنها شأن أي كوكب آخر تتبادل مع الكواكب والنجوم قوة جذب تصدر من باطنها.. وهذا الباطن يتركز في مركز لها يصدر منه ما يمكن أن نسميه إشعاعاً.. ونقطة الالتقاء الباطنية هي التي وصل إليها عالم أمريكي في علم الطوبوغرافيا بتحقيق وجودها وموقعها جغرافياً، وهو غير مدفوع لذلك بعقيدة دينية، فقد قام في معمله بنشاط كبير مواصلاً ليله بنهاره وأمامه خرائط الأرض وغيرها من آلات وأدوات فإذا به يكتشف ـ عن غير قصد ـ أن مركز تلاقي الإشعاعات الكونية هو مكة.

وهكذا يتبين لنا بعضاً من الحكمة الإلهية في اختيار مكة بالذات ليكون فيها بيت الله الحرام، واختيار مكة بالذات لتكون نواة لنشر رسالة الإسلام للعالم كله.. وفي ذلك من الإعجاز العلمي في الحديث الذي أظهر أفضلية مكانها عن سائر البقاع. (ك) بتصرف.

❀ ❀ ❀



الأسباب والمسببات

ليس في الوجود الممكن سببٌ واحد مستقل بالتأثير، بل لا يؤثر سبب البتة إلاَّ بانضمام سبب آخر إليه وانتفاء مانع يمنع تأثيره. هذا في الأسباب المشهودة

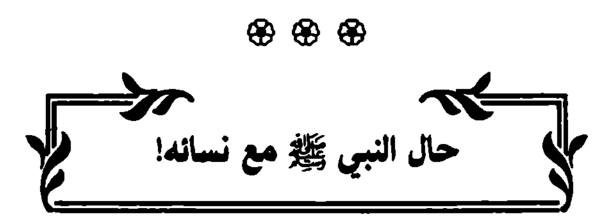
بالعيان، وفي الأسباب الغائبة والأسباب المعنوية، كتأثير الشمس في الحيوان والنبات؛ فإنه موقوف على أسباب أخَر، من وجودِ محل قابل، وأسباب أُخر تنضم إلى ذلك السبب. وكذلك حصول الولد موقوف على عدة أسباب غير وطء الفحل. وكذلك جميع الأسباب مع مسبباتها؛ فكل ما يُخاف ويُرجى من المخلوقات، فأعلى غاياته أن يكون جزء سبب غير مستقل بالتأثير.

ولا يستقل بالتأثير وحده، دون توقف تأثيره على غيره، إلا الله الواحد القهّار؛ فلا ينبغي أن يُرجى ولا يخاف غيره.

وهذا برهان قطعي على أن تعلُّق الرجاء والخوف بغيره باطل؛ فإنه لو فرض أن ذلك سبب مستقل وحده بالتأثير لكانت سببيته من غيره لا منه؛ فليس له من نفسه قوة يفعل بها؛ فإنه لا حولَ ولا قوَّة إلاَّ بالله؛ فهو الذي بيده الحول كله والقوة كلها.

فالحول والقوة التي يُرْجَى لأجلهما المخلوق ويُخاف، إنما هما لله وبيده في الحقيقة. فكيف يُخاف ويُرجى مَن لا حول له ولا قوة! بل خوف المخلوق ورجاؤه أحد أسباب الحرمان، ونزول المكروه بمن يرجوه ويخافه؛ فإنه على قدر خوفك من غير الله يسلط عليك، وعلى قدر رجائك لغيره يكون الحرمان. وهذا حال الخلق أجمعه، وإن ذهب عن أكثرهم علماً وحالاً؛ فما شاء الله كان ولا بد، وما لم يشأ لم يكن ولو اتفقت عليه الخليقة. (ق).

❁ ❁ ❁



حال النبي ﷺ مع نسائه!

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله، كم وكم تحملت في حياتك وفي دعوتك إلى دين ربك جلّ وعلا، من متاعب وآلام وشدائد، لا يعلمها إلا الله العظيم. فأنت الذي قلت: «**أوذيت في الله ولم يؤذَ أحد قبلي**»، حتى أنك لم تَسْلم من بعض المنغصات من أهل بيتك ـ رضوان الله تعالى عليهن ـ.

فقد روى الإمام أحمد (222) والبخاري (89) ومسلم (1479)، وغيرهم من أئمة الحديث الشريف، من طريق سماك بن زميل، قال: حَدَّثَنِي عَبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ.

حَدَّثَني عُمَرُ بنُ الخَطَاب قَال: لَما اعتَزَلَ نَبِيّ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسجِدَ. فَإِذَا النَّاسُ يَنكُتُونَ بِالحَصَىَ وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نسَاءَهُ. وَذلِكَ قَبلَ أَنْ يُؤمَرنَ بِالْحِجَاب. فَقَالَ عُمَرُ: فَقُلتُ: لأعلَمَنَّ ذلِكَ اليَومَ. قَالَ: فَدَخلتُ عَلَى عَائِشَةَ. فَقُلتُ: يَا بِنتَ أَبِي بَكرٍ! أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَت: مَالِي وَمَالَكَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ؟ عَلَيكَ بِعَيبَتِكَ. قَالَ: فَدَخلتُ عَلَى حَفصَةَ بِنتِ عُمَرَ. فَقُلتُ لَهَا: يَا حَفصَةُ! أَقَد بَلَغَ مِنْ شَأنكِ أَنْ تُؤذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ وَاللهِ، لَقَدْ عَلِمتِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لا يُحِبُّكِ. وَلَولاَ أَنا لَطَلَّقَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَبَكَتْ أَشَد البُكَاءِ. فَقُلتُ لَهَا: أَينَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَت: هُوَ فِي خِزَانَتِهِ فِي المَشرُبَةِ. فَدَخَلتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبَاحٍ غُلاَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قاعِداً عَلَى أُسكُفَّةِ المَشرُبَةِ. مُدَلٍّ رِجلَيهِ عَلَى نَقِيرٍ مِنْ خَشَبٍ. وَهُوَ جِذعٌ يَرقَى عَلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وينحَدِرُ. فَنَادَيتُ: يَا رَبَاحُ، استَأذِن لِي عِندَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الغُرفَةِ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَم يَقُل شَيئاً. ثُمَّ قُلتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتأذِنْ لِي عِندَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الغُرفَةِ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ. فَلَم يَقُل شَيئاً. ثُمَّ رَفَعتُ صَوتِي فَقُلتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتأذِنْ لِي عِندَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَإِنِي أَظُن أن رَسُولَ اللهِ ﷺ ظَن أَني جِئتُ مِنْ أجلِ حَفْصةَ. وَاللهِ، لَئِنْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِضَرب عُنُقِهَا لأَضرِبَنَّ عُنُقَهَا. وَرَفَعتُ صَوتِي. فَأَومَأَ إِلَيَّ أَنِ ارقَه. فَدَخَلتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ مُضَّطَجِع عَلَى حَصِيرٍ. فَجَلَستُ. فَأدنَى عَلَيهِ إِزَارَهُ. وَلَيس عَلَيهِ غَيرُهُ. وَإِذَا الحَصِيرُ قَد أَثرَ فِي جَنبِهِ. فَنَظَرتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَإِذَا أَنا بِقَبضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحوِ الصَّاعِ. وَمِثْلِهَا قَرَظاً فِي نَاحِيَةِ الغُرفَةِ. وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ. قَالَ: فَابتَدَرَت عَينَايَ. قَالَ: «مَا يُبكِيكَ يَا ابنَ الخَطاب؟» قُلتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ! وَمَالِي لاَ أَبكِي؟ وَهَذَا الحَصِيرُ قَد أَثرَ فِي جَنبِكَ. وَهذِهِ خِزَانَتُكَ لاَ أَرى فِيهَا إِلاَّ مَا أَرَى. وَذَاكَ قَيصَرُ وَكِسرَى فِي الثِمَارِ وَالأنهَارِ. وَأَنتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَفوَتُهُ. وَهذِهِ خِزَانَتُكَ. فَقَالَ: «يَا ابنَ الخَطابِ!. أَلاَ تَرضَى أَن تَكُونَ لنا الآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنيا؟» قُلتُ: بَلَى. قَالَ: وَدَخَلتُ عَلَيهِ حِينَ دَخَلتُ وَأَنَا أَرَى فِي وَجهِهِ الغَضَبَ. فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا يَشُقُّ عَلَيكَ مِنْ شَأنِ النسَاءِ؟ فَإِن كُنت طَلَّقتَهُنَّ فَإِن اللهَ مَعَكَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَجِبرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَأَنَا وَأَبُو بَكرٍ وَالمُؤمِنُونَ مَعَكَ. وَقَلَّمَا تَكَلَّمتُ، وَأَحمَدُ اللهَ، بِكَلاَم إِلاَّ رَجَوتُ أَنْ يَكُونَ اللهُ يُصَدِّقُ قَولِي الَّذِي أَقُولُ. وَنَزَلَت هذِهِ الآيَةُ. آيَةُ التَّخْيِيرِ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: 5] ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: 4] وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنتُ أَبِي بَكْرٍ وَحَفصَةُ تَظَاهَرَانِ عَلَى

سَائِرِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَطَلَّقْتَهُنَّ؟ قَالَ: «لاَ» قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي دَخلتُ المسجِدَ وَالمُسلِمُونَ يَنكُتُونَ بِالحَصَى. يَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ. أَفَأَنزِلُ فَأُخبِرَهُم أَنَّكَ لَم تُطَلِّقهُنَّ؟ قَالَ: «نَعم إِن شِئتَ» فَلَم أَزَل أُحَدِّثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الغَضَبُ عَنْ وَجهِهِ. وَحَتى كَشَرَ فَضَحِكَ. وَكَانَ مِنْ أَحسَنِ النَاسِ ثَغراً. ثُمَّ نَزَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَنَزَلتُ. فَنَزَلتُ أَتَشبَّثُ بِالجِذعِ وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَأَنَّمَا يَمْشِي عَلَى الأَرضِ مَا يَمَسُّهُ بِيَدِهِ. فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّمَا كُنتَ فِي الغُرفَةِ تِسعَةً وَعِشرِينَ. قَالَ: «إِنَّ الشهرَ يَكُونُ تِسعاً وَعِشرِينَ» فَقُمتُ عَلَى بَابِ المسجِدِ. فَنَادَيتُ بِأَعلَى صَوتِي: لَم يُطَلِّق رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ. وَنَزَلَت هذِهِ الآيَةُ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83] فَكُنتُ أَنَا استَنبَطتُ ذلِكَ الأَمرَ. وَأَنزَلَ اللهُ ﷻ آيَةَ التَخيِيرِ(1).

وروى الإمام أحمد (14522) ومسلم (1478)، وغيرهما، من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكرٍ يَستَأذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوساً بِبَابِهِ لم يُؤذنْ لأحدٍ مِنهُمْ. قَالَ: فَأُذِنَ لأَبِي بَكرٍ. فَدَخَلَ. ثُمَّ أَقبَلَ عُمَرُ فَاستَأذَنَ فَأُذِنَ لَهُ. فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جالِساً، حَولَهُ نِسَاؤُهُ. وَاجِماً سَاكِتاً. قَالَ: فَقَالَ: لأقولَنَّ شَيئاً أُضحِكُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَو رَأَيتَ بِنْتَ خَارِجَةَ! سَأَلَتنِي النَّفَقَةَ فَقُمتُ إِلَيهَا فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا. فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «هُنَّ حَولِي كَمَا تَرَى. يَسأَلنَنِي النَّفَقَةَ». فَقَامَ أَبُو بَكرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنقَهَا. فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفصَةَ يَجَأُ عُنقَهَا. كِلاهُمَا يَقُولُ:

---

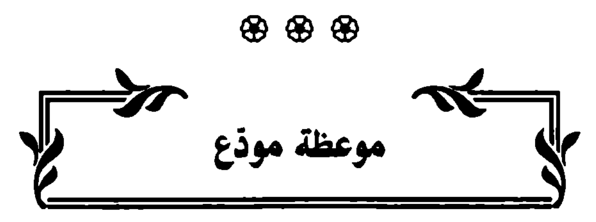
(1) يشير إلى قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 28 ـ 29].

وفي ذلك روى البخاري (4786).. ومسلم (1475)، وغيرهما من حديث السيدة عائشةَ زوج النبيِّ ﷺ قَالَت: لَما أُمِرَ رَسُولُ الله ﷺ بتَخيِيرِ أَزْوَاجِهِ بَدَأَ بِي فَقَالَ: «إِنِي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْراً، فَلا عَلَيكِ أَنْ لا تَعجَلِي حَتَّى تَستَأمِرِي أَبَوَيكِ». قَالَت: وَقَد عَلِمَ أَن أَبَويَّ لَم يَكُونَا يَأمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَت: ثُمَّ قَالَ: إِن الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ ـ إلى ـ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 28 ـ و29] قَالَت: فَقُلتُ: فَفِي أَيِّ هذَا أَستَأمِرُ أَبَوَيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ الله وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ. قَالَت: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِثلَ ما فَعَلْتُ. لفظ البخاري.

ومعنى قوله ﷺ: «حتى تستأمري أبويك» أي تستشيريهما.

تَسأَلنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا لَيسَ عِندَهُ. فَقُلنَ: وَاللهِ! لاَ نَسأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَيئاً أبداً لَيسَ عِندَهُ. ثُمَّ اعتَزَلَهُنَّ شَهراً أَو تِسعاً وَعِشرِينَ. ثُمَّ نَزَلَت عَلَيهِ هذِهِ الآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾، حَتَّى بَلَغَ، ﴿لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: 28 ـ 29]. قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ. فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعرِضَ عَلَيكِ أَمراً أُحِبُّ أَنْ لاَ تَعجَلِي فِيهِ حَتَّى تَستَشِيرِي أَبَوَيكِ» قَالَت: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَتَلاَ عَلَيهَا الآيَةَ. قَالَت: أَفِيكَ، يَا رَسُولَ اللهِ! أَستَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَل أَختَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ. وَأَسأَلُكَ أَنْ لاَ تُخبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلتُ. قَالَ: «لاَ تَسأَلُنِي امرَأَةٌ مِنهُنَّ إِلاَّ أَخبَرتُها. إِنَّ اللهَ لَم يَبعَثنِي مُعَنِّتاً وَلاَ مُتَعَنِّتاً. وَلَكِن بَعَثَنِي مُعَلِّماً مُيَسِّراً».

❁ ❁ ❁



موعظة مودّع

كان حبيب العجمي إذا أصبح بكى، وإذا أمسى بكى. فسألت زوجته عن بكائه، قالت: يخاف والله إذا أمسى أن لا يصبح، وإذا أصبح أن لا يمسي، يقول لي: إن مِتُّ فافعلي كذا واصنعي كذا.

وكان شُميط بن عَجْلان يقول: أيها المغترّ بصحته أما رأيت ميتاً من غير سقم؟ أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً من غير عِلَّة؟!

كان شيخ متعبد في تَيْم الله يجتمع إليه فتيان الحي فيعظهم فإذا أرادوا أن يتفرقوا قال: يا إخوتاه قوموا قيامَ قوم قد يئسوا من المعاودة لمجلسهم خوفاً من ورطات الذنوب وخوفاً من خطفات الموكَّل بالنفوس فيَبْكي. ويُبكِّي.

وكان يزيد الرَّقَاشِيّ يقول: إلى متى تقول غداً أفعل كذا وبعد غدٍ أفعل كذا؟ أأغْفلتَ سَفرك البعيد ونسيت الموتَ؟ أماَ علمت أن دون غدٍ ليلةً تُخْترم فيها أنفس؟ أما رأيت صريعاً بين أحبابه لا يقدر على رد جوابهم؟!

مضى أُناسٌ وأصبحنا على ثقة ... أنّا سنُتبعُ بالأشجان تُعتلجُ

إن أدلَجوا وتخلَّفنا وراءهم ... وما نسير فإنا سوف نَدَّلجُ

❁ ❁ ❁



من فوائد الزواج

﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: 3].

وفي «الصحيحين»[1] من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لنا رسول الله ﷺ: **«يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاءٌ»**.

وعن أَنَس بنَ مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنهُ قَالَ: جَاءَ ثَلاثةُ رَهطٍ إِلى بُيُوتِ أَزوَاجِ النبيِّ ﷺ يَسأَلُونَ عَن عِبَادَةِ النبيِّ ﷺ فَلَمّا أُخبِرُوا كَأَنَّهُم تَقَالُّوها، فَقَالُوا: وأَينَ نَحنُ مِنَ النبيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِهِ وما تأَخَّرَ.

قَالَ أَحَدُهُم: أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيلَ أَبَداً وَقَالَ الآخَرُ: وأَنَا أَصُومُ الدَّهرَ ولا أُفطِرُ. وَقَالَ الآخَرُ: وأَنَا أَعتَزِلُ النساءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَداً.

فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«أَنتُمُ الَّذِينَ قُلتم كَذَا وَكَذَا؟ أَما واللهِ إِنِّي لأَخشَاكُم للهِ وأَتقَاكُم لَهُ، لكِني أَصُومُ وأُفطِرُ، وَأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي»**[2].

لقد أباح الباري سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين أن يتزوجوا ما أَحَلَّ لهم من النساء، اثنتين، وثلاثاً وأربعاً. وجعل العدل بينهن شرطاً لدوام العشرة وعدم التأثم. وأمر الرجال إن خافوا عدم العدل بينهن، أن يقتصر أحدهم على زوجة واحدة، وذلك لئلا يقع في الجور والظلم.

والحقيقة التي ينبغي أن يعلمها كل إنسان عاقل، أن إباحة تعدد الزوجات مفخرة من مفاخر الإسلام، لأنه استطاع بتشريعه الخالد، أن يحل مشكلة عويصة، هي من أعقد المشكلات، التي تعاني منها الأُمم والمجتمعات، فلا تجد لها اليوم حلاً إلا بالرجوع إلى حكم الإسلام، والأخذ بنظامه السديد الرشيد.

إن هناك أسباباً قاهرة تجعل التعدد في الزوجات ضرورة لا مندوحة عنه، كعقم الزوجة، ومرضها مرضاً يمنع زوجها من التعفف، وبُعد الرجل عن أهله لسفر أو غيره.

---

(1) رواه الإمام أحمد (3592) والبخاري (1905) ومسلم (1400) وغيرهم.

(2) رواه الإمام أحمد (13539) والبخاري (5063) ومسلم (1401)، وغيرهم.

كذلك عدد النساء في العالم أكثر من عدد الرجال، كل ذلك جعل له الإسلام حلاً بتعدد الزوجات. وحث الرجل القادر على الزواج بأكثر من واحدة أن يفعل، ويكون ذلك قد رفع المرأة إلى شرف الحياة الزوجية، وأمان البيت، وضمانة الأسرة، ويحمي بذلك المجتمع عن لوثة الفوضى، واختلاط الأنساب، وجريمة الزنى.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: فوائد النكاح كثيرة، فمنها الولد الصالح، وكسر الشهوة، وتدبُّر المنزل، وكثرة العشيرة، وثواب المجاهدة في القيام لنفقتهم. فإن كان الولد صالحاً لحقه بركة دعائه. وإن توفي، كان له شفيعاً.

وآفات النكاح؛ أنه يعسر عليه الإنفاق من الحلال، وطلبه. وهو واجِب. ولعله أيضاً يقصر عن القيام بحقها، فلها حقوق، ويلزمه حسن الاحتمال، والرفق بهن، وهذا لا يقوى عليه إلا الأقوياء.

ومن الآفات العظيمة؛ أن يكون الأهل والولد شاغلين عن دوام ذكر الله تعالى، وسلوك طريق الآخرة، ولعله يورث البخل في الغالب، وهو من المهلكات.

وقد نبهناك على الفوائد والآفات، وهو يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال. فاختبر حالك، واختر لنفسك ما هو أقرب لك إلى طريق الآخرة.

وقال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ:

تأملت في فوائد النكاح ومعانيه وموضوعه، فرأيت أن الأصل الأكبر في وضعه وجود النسل؛ لأن هذا الحيوان لا يزال يتحلل ثم يخلف المتحلل الغذاء، ثم يتحلل من الأجزاء الأصلية ما لا يخلفه شيء، فإذا لم يكن بد من فنائه، وكان المراد امتداد أزمان الدنيا جعل النسل خلفاً عن الأصل.

ولما كانت صورة النكاح تأباها النفوس الشريفة من كشف العورة وملاقاة ما لا يستحسن لنفسه، جعلت الشهوة تحث عليه ليحصل المقصود.

ثم رأيت هذا المقصود الأصلي يتبعه شيء آخر، وهو استفراغ هذا الماء الذي يؤذي دوام احتقانه.

فإن المني ينفصل من الهضم الرابع، فهو من أصفى جوهر الغذاء وأجوده، ثم يجتمع، فهو أحد الذخائر للنفس؛ فإنها تدخر ـ لبقائها وقوتها ـ الدم ثم المني، ثم تدخر التفل الذي هو من أعمدة البدن كأنه لخوف عدم غيره.

فإذا زاد اجتماع المني أقلق على نحو إقلاق البول للحاقن، إلا أن إقلاقه من حيث المعنى أكثر من إقلاق البول من حيث الصورة، فتوجب كثرة اجتماعه، وطول احتباسه، أمراضاً صعبة، لأنه يترقى من بخاره إلى الدماغ فيؤذي، وربما أحدث سمية.

ومتى كان المزاج سليماً، فالطبع يطلب بروز المني إذا اجتمع كما يطلب بروز البول، وقد ينحرف بعض الأمزجة، فيقل اجتماعه عنده فيندر طلبه لإخراجه، وإنما نتكلم عن المزاج الصحيح، فأقول: قد بينت أنه إذا وقع به احتباسه أوجب أمراضاً وجدد أفكاراً رديئة، وجلب العشق والوسوسة إلى غير ذلك من الآفات.

وقد نجد صحيح المزاج يخرج ذلك إذا اجتمع وهو بعد متقلقل، فكأنه الآكل الذي لا يشبع.

فبحثت عن ذلك فرأيته وقوع الخلل في المنكوح، إما لدمامته، وقبح منظره، أو لآفة فيه، أو لأنه غير مطلوب للنفس فحينئذ يخرج منه ويبقى بعضه، فإذا أردت معرفة ما يدلك على ذلك، فقس مقدار خروج المني في المحل المشتهى، وفي المحل الذي هو دونه، كالوطء بين الفخذين بالإضافة إلى الوطء في محل النكاح، وكوطء البكر بالإضافة إلى وطء الثيب..

فعلم حينئذ أن تخير المنكوح يستقصي فضول المني، فيحصل للنفس كمال اللذة، لموضع كمال بروز الفضول.

ثم قد يؤثر هذا في الولد أيضاً، فإنه إذا كان من شابين قد حبسا أنفسهما عن النكاح مدة مديدة كان الولد أقوى منه من غيرهما، أو من المدمن على النكاح في الأغلب.

ولهذا كره نكاح الأقارب؛ لأنه مما يقبض النفس عن انبساطها، فيتخيل الإنسان أنه ينكح بعضه، ومدح نكاح الغرائب لهذا المعنى.

ومن هذا الفن يحصل كثير من المقصود من دفع هذه الفضول المؤذية بمنكوح مستجد، وإن كان مستقبح الصورة ما لا يحصل به في العادة.

ومثال هذا أن الطاعم إذا امتلأ خبزاً ولحماً حيث لم يبق فيه فضل لتناول لقمة، قدمت إليه الحلوى فيتناول، فلو قدم أعجب منها لتناول؛ لأن الجدة لها معنى عجيب.

وذلك أن النفس لا تميل إلى ما ألفت، وتطلب غير ما عرفت، ويتخايل لها في الجديد نوع مراد، فإذا لم تجد مرادها صدفت إلى جديد آخر، فكأنها قد علمت وجود غرض تام بلا كدر، وهي تتخايله فيما تراه.

وفي هذا المعنى دليل مدفون على البعث؛ لأن في خلق همته متعلقة بلا متعلق نوع عبث. فافهم هذا.

فإذا رأت النفس عيوب ما خالطت في الدنيا عادت تطلب جديداً.

ولذلك قال الحكماء: العشق: العمى عن عيوب المحبوب، فمن تأمل عيوبه سلا. ولذلك يستحب للمرأة أن لا تبعد عن زوجها بعداً تنسيه إياها، ولا تقرب منه قرباً يملها معه، وكذلك يستحب ذلك له؛ لئلا يملها أو تظهر لديه مكنونات عيوبها.

وينبغي له أن لا يطلع منها على عورة، ويجتهد في أن لا يشم منها إلا طيب ريح، إلى غير ذلك من الخصال التي تستعملها النساء الحكيمات، فإنهن يعلمن ذلك بفطرهن من غير احتياج إلى تعليم.

فأما الجاهلات فإنهن لا ينظرن في هذا فيتعجل التفات الأزواج عنهن.

فمن أراد نجابة الولد وقضاء الوطر فليتخير المنكوح، إن كان زوجة فلينظر إليها، فإذا وقعت في نفسه فليتزوجها، ولينظر في كيفية وقوعها في نفسه، فإن علامة تعلق حبها بالقلب أنه لا يكاد يصرف الطرف عنه، فإذا انصرف الطرف قلق القلب بتقاضي النظرة، فهذه الغاية، ودونها مراتب على مقاديرها يكون بلوغ الأغراض.

وإن كان جارية تشترى فلينظر إليها أبلغ من ذلك النظر، ومن قدر على مناطقة المرأة أو مكالمتها بما يوجب التنبيه، ثم ليرى ذلك منها، فإن الحُسنَ في الفم والعينين.

وقد نص أحمد: على جواز أن يبصر الرجل من المرأة التي يريد نكاحها ما هو عورة، يشير إلى ما يزيد على الوجه.

ومن أمكنه أن يؤخر العقد أو شراء الجارية لينظر كيف توقان قلبه، فإنه لا يخفى على العاقل توقان النفس لأجل المستجد، وتوقانها لأجل الحب، فإذا رأى قلق الحب أقدم، وإلا: فإن كل تزويج على غير هوى، حسرة وندامة.

ثم ينبغي للمتخير أن يتفرس في الأخلاق فإنها من الخفي، وإن الصورة إذا خلت من المعنى كانت كخضراء الدمن[1] ونجابة الولد مقصودة.

وفراغ النفس من الاهتمام بما حصلت من رغبات أصل عظيم، يوجب إقبال القلب على المهمات. ومن فرغ من المهمات العارضة أقبل على المهمات الأصلية؛ ولهذا جاء في الحديث: «**لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان**»[2].

«**وإذا وضع العشاء وحضرت العشاء فابدأوا بالعشاء**»[3].

فمن قدر على امرأة صالحة في الصورة والمعنى فليغمض عن عوراتها، ولتجتهد هي في مراضيه من غير قرب ممل، ولا بعد ينسى، ولتقدم على التصنع له يحصل الغرضان منها؛ الولد وقضاء الوطر.

ومع الاحتراز الذي أوصيت به، تدوم الصحبة، ويحصل الغناء بها عن غيرها.

فإن قدر على الاستكثار فأضاف إليها سواها عالماً أنه بذلك يبلغ الغرض الذي يفرغ قلبه زيادة تفريغ كان أفضل لحاله.

فإن خاف من وجود الغيرة ما يشغل القلب الذي قد اهتممنا بجمع همته، أو خاف وجود مستحسنة تشغل قلبه عن ذكر الآخرة، أو تطلب منه ما يوجب خروجه عن الورع فحسبه واحدة.

ويدخل فيما أوصيت به أنه يبعد في المستحسنات العفاف، فليبالغ الواجد لهن في حفظهن وسترهن.

فإن وجد ما لا يرضيه عجل الاستبدال، فإنه سبب السلو، وإن قدر على الاقتصار فإن الاقتصار على الواحدة أولى، فإن كانت على الغرض قنع، وإن لم تكن استبدل، ونكاح المرأة المحبوبة يستفرغ الماء المجتمع، فيوجب نجابة الولد وتمامه، وقضاء الوطر بكماله.

---

(1) خضراء الدمن: هي الفتاة الجميلة في المنبت السوء، وقد جاء في وصفها حديث شديد الضعف ولكنه صحيح بمعناه، ولفظه: «**إياكم وخضراء الدمن**» قيل: يا رسول الله، وما خضراء الدمن؟ قال: «**المرأة الحسناء، في المنبت السوء**».

(2) رواه البخاري (7158) ومسلم (1717) من حديث أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ.

(3) رواه البخاري (674) ومسلم (559) وغيرهما، من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بلفظ قريب.

ومن خاف وجود الغيرة فعليه بالسراري فإنهن أقل غيرة، والاستظراف لهن أمكن من استظراف الزوجات.

وقد كان جماعة يمكنهم الجمع، وكانت النساء يصبرن، فكان لداود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة، ولسليمان عليه الصلاة والسلام نحو ذلك، وقد علم حال نبينا ﷺ وأصحابه، وكان لأمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ أربع حرائر، وسبع عشرة سرية، وتزوج ابنه الحسن ـ رضي الله عنه ـ بنحو من أربعمائة، إلى غير هذا مما يطول ذكره. فافهم ما أشرت إليه تفز به إن شاء الله تعالى. (انتهى بتصرف).

❀ ❀ ❀



حنان جدّة

لِـي جَـدَّةٌ تَـرأَفُ بِـي ... أَحْـنَـى عَـلَـيَّ مِـنْ أَبِـي
وكُـلُّ شَـيءٍ سَـرَّنِـي ... تَـذْهَـبُ فِـيـهِ مَـذْهَـبِـي
إِنْ غَـضِـبَ الأَهْـلُ عَـلَـيَّ ... كُـلُّـهُـمْ لَـمْ تَـغْـضَـبِ
مَـشَـى أَبِـي يَـوْمـاً ... إِلَـيَّ مِـشْـيَـةَ الـمُـؤَدِّبِ
غَـضْـبَـانَ قَـدْ هَـدَّدَ بِـالـضَّـرْبِ ... وإن لَـمْ يَـضْـرِبِ
فَـلَـمْ أَجِـدْ لِـي مِـنْـهُ ... غَـيْـرَ جَـدَّتِـي مِـنْ مَـهْـرَبِ
فَـجَـعَـلَـتْـنِـي خَـلْـفَـهَـا ... أَنْـجُـو بِـهَـا وأَخْـتَـبِـي
وهْـيَ تَـقُـولُ لأَبِـي ... بِـلَـهْـجَـةِ الـمُـؤَنِّـبِ:
ويْـحٌ لَـهُ! ويْـحٌ لِـهٰـذا ... الـوَلَـدِ الـمُـعَـذِّبِ!
أَلَـمْ تَـكُـنْ تَـصْـنَـعُ مـا ... يَـصْـنَـعُ إِذْ أَنْـتَ صَـبِـي؟ (أ).

❀ ❀ ❀



أكل السفرجل يريح الفؤاد

يتألف السفرجل من 84,2% ماء، 6,3% سكر، 1,1% بروتين. وهو غني بالألياف إذ يحتوي الـ 100 غ منه على 6,4 من الألياف ويعطي الـ100 غ منه 106 حريرات فقط.

وهو غني بالبوتاسيوم (200 ملغ%) ويحتوي الـ 100 غ منه على المعادن التالية: صوديوم 3 ملغ، كالسيوم 14 ملغ، كبريت 5 ملغ، ماغنيزيوم 6 ملغ، فوسفور 19 ملغ، حديد 0,3 ملغ، نحاس 0,13 ملغ، كلور 2 ملغ.

وأما الفيتامينات فيحتوي على 0,02 ملغ من الثيامين، وكمية مماثلة من الريبوفلافين و15ملغ من الفيتامين (سي) ولا يحتوي إلا على كمية نادرة من طليعة الفيتامين (أ).

وقد جاء في السفرجل حديث ضعيف الإسناد، من حديث طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: دخلت على النبي ﷺ وبيده سفرجلة، فقال: **«دونكها يا طلحة، فإنها تُجِمُّ الفؤاد»** أي: تريحه، وقيل: تفتحه وتوسعه؛ من حجام الماء، وهو اتساعه وكثرته.

وقد جاء من طريق آخر بلفظ: أتيت النبي ﷺ وهو في جماعة من أصحابه، وبيده سفرجلة، فلما جلست إليه، دعا بها إلي، ثم قال: **«دونكها أبا ذرٍّ، فإنها تشدّ القلب، وتطيّب النفس، وتُذهب بطخاء الصدر»**.

والطَّخاء للقلب؛ مثل الغيم على السماء. قال أبو عبيد: الطخاء؛ ثِقْلٌ وغِشي، تقول: ما في السماء طخاء، أي: سحاب وظُلمة[1].

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ: والسفرجل بارد يابس، ويختلفُ في ذلك باختلاف طعمه، وكله بارد قابض، جيد للمعدة، والحلو منه أقل برودة ويُبساً، وأميل إلى الاعتدال، والحامِض أشدّ قبضاً ويُبساً وبرودة، وكلُّهُ يسكِّن العطش والقيء، ويُدِرُّ البول، وَيعقِلُ الطبع، وينفع من قرحة الأمعاء، ونفث الدم، والهيضة، وينفعُ من الغَثَيَان، ويمنع من تصاعُدِ الأبخرة إذا استُعمِلَ بعد الطعام، وحُراقة أغصانه وورقه المغسولة كالتوتياء في فعلها.

وهو قبل الطعام يقبض، وبعده يلين الطبع، ويسرع بانحدار الثفل، والإكثارُ منه مضر بالعصب، مولد للقُولَنج، ويطفئ المرة الصفراء المتولدة في المعدة.

وإن شُوِيَ كان أقل لخشونته، وأخفَّ، وإذا قُوِّرَ وسطُه، ونُزِعَ حبه، وجعل فيه العسل، وطُيِّنَ جُرمه بالعجين، وأودع الرماد الحارَّ، نفع نفعاً حسناً.

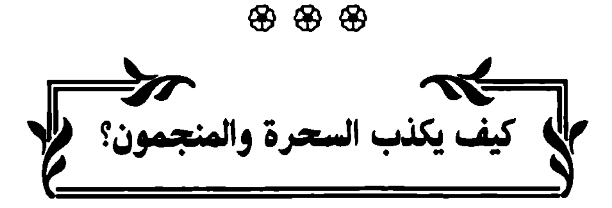
(1) رواه ابن ماجه (3369) والحاكم (4/8263)، وفي إسناده أكثر من مقال.

وأجودُ ما أكل مشوياً أو مطبوخاً بالعسل، وحبُّه ينفع من خشونة الحلق وقصبة الرئة، وكثير من الأمراض، ودهنه يمنع العرق، ويقوي المعدة، والمربَّى منه يقوي المعدة والكبد، ويشد القلب، ويطيب النفس. انتهى.

وقد أتى الأطباء المسلمون، على فوائد السفرجل، ووضعوه في علاج الإسهال المزمن، ووصفوا استعمال بذور زهر السفرجل في إيقاف تساقط الشعر.

وجاء في «موسوعة الأعشاب الطبية الإنكليزية» إن أفضل محلول طبيعي يستعمل لتجعيد الشعر يأتي من السفرجل: يؤخذ 50 غ من بذر السفرجل ويغلى في 280 مل من الماء لمدة 15 دقيقة. ثم يوضع في نسيج موسلين (نسيج قطني رقيق) ويعصر. وحين يبرد المحلول يصبح جيلاتينياً. ويمكن وضعه بعد ذلك على الشعر إما ساخناً أو بارداً فيجعده. والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀



كيف يكذب السحرة والمنجمون؟

التنجيم وكشف الطالع ومعرفة المستقبل، وما سيأتي! أمور أصبحت رائجة في زماننا الحاضر. وعلى وجه الخصوص، علم الأبراج والذي تتداوله معظم دور الصحافة المرئية والمسموعة والمكتوبة! حتى أصبح التنجيم مهنة مألوفة في أكثر مجتمعات العالم، وخاصة المجتمعات العربية.

وكل ذلك الذي يدعيه المنجمون والعرّافون والسحرة، ما هو إلا ضرب من ضروب الوهم والخيال، والكذب والخداع. وهو حرام محرّم، ولا يجوز تعاطيه، ولا السؤال عنه، لا بحجة الإصلاح ولا غير ذلك. وقد سبق وأتيت على الأدلة المحرمة لذلك، من كتاب الله تعالى وسنّة رسوله. وليس هذا مجال بحثنا، إنما هو معرفة كذب المنجّم أو (العرّاف) كما يزعمون.

فقد روى الإمام أحمد (1882) ومسلم (2229)، وغيرهما من طريق ابن شهاب، قال: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بنُ حُسَينٍ؛ أن عَبْدَ اللهِ بنَ عبَّاسٍ. قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُل مِنْ أصحَابِ النَّبِيّ ﷺ مِنَ الأنصَارِ؛ أَنَّهُم بَينَمَا هُم جُلُوسٌ لَيلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجمٍ فَاستَنَارَ. فَقَالَ لَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَاذَا كُنتُم تَقُولُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، إِذَا

رُمِيَ بِمثلِ هَذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ. كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ. وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنَّهَا لاَ يُرمَى بِهَا لِمَوتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ. وَلَكِنْ رَبُّنَا، تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسمُهُ، إِذَا قَضَى أَمراً سَبَّح حَمَلَةُ العَرشِ. ثُمَّ سَبَّحَ أَهلُ السَّماءِ الذِينَ يَلُونَهُم. حَتَّى يَبلُغَ التَسبِيحُ أَهلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنيَا. ثُمَّ قَالَ الذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ العَرشِ لِحَمَلَةِ العَرشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكم؟ فَيُخبِرُونَهُم مَاذَا قَالَ. قَالَ: فَيَستَخبِرُ بَعضُ أَهلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضاً. حَتى يَبلُغَ الخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنيَا فَتَخطَفُ الجِنُّ السَّمعَ فَيَقذِفُونَ إِلَى أَولِيَائِهِم. وَيُرمَونَ بِهِ. فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وَجهِهِ فَهُوَ حَقٌّ. وَلَكِنَّهُم يَقرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ».

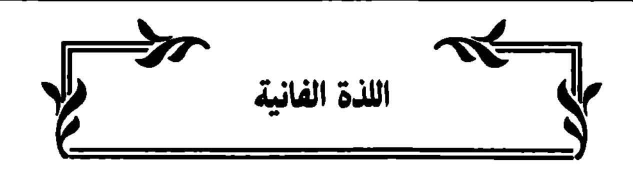
ومعنى قوله ﷺ: «ولكنهم يقرفون فيه» أي يخلطون فيه الكذب، وهو بمعنى: يقذفون. والله تعالى أعلم.

فاحذر يا أخي من سؤال هؤلاء المكذبون الدجّالون، واحفظ عليك دينك، وتوكل في جميع أمورك على الله تعالى، واعتمد عليه فإنه من توكل على الله جل وعلا، كفاهُ. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 3]، وردد عقب صلاتك، ما كان يردده رسول الله ﷺ، ويدعو به: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما اعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجدُّ»[1].

ولا يخفى ما في الحديث من حسن التوكل على الله تعالى، والثقة به، وأنه قادر على كل شيء. وإنه إذا أعطي، لا أحد يمنع، وإذا منع لا أحد يقدر على العطاء. وأنه لا يقدر على تجاوز قضاء الله تعالى، أصحاب الغنى والسلطة والعزم والجاه، مهما بلغ شأنهم وقوتهم.

❁ ❁ ❁

(1) رواه البخاري (6330) ومسلم (593) من حديث المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا انصرف من الصلاة، قال: كان يقول في دبر كل صلاته.. وذكره.



اللذة الفانية

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185].

مهما تمتعت من متاع الدنيا، وتنعمت بنعيمها، فلا بد لك من الكدر والهم والمرض والمفارقة، وغير ذلك مما هو معلوم من مكدرات العيش، ومنغصات الحياة. فما الحياة الدنيا إلا يوم لك ويوم عليك، وإن عظم شأنك، وساد سلطانك، وكثر خدمك ومالك، فسوف تبقى في حدود بشريتك، يجري عليك ما يجري لغيرك، وما جرى لمن سبقك، وما سيجري لمن سيأتي بعدك. فسُنَّة الله تعالى في خَلْقه باقية إلى قيام الساعة.

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: كنت أسمع علي بن الحسين الواعظ يقول على المنبر: والله لقد بكيت البارحة من يد نفسي.

فبقيت أنا أتفكر وأقول: أي شيء قد فعلت نفس هذا حتى يبكي؟ هذا رجل متنعم له الجواري التركيات. وقد بلغني أنه تزوج في السر بجملة من النساء، ولا يطعم إلا الغاية من الدجاج والحلوى. وله الدخل الكثير والمال الوافر والجاه العريض، والإفضال على الناس. وقد حصَّل طرفاً من العلم واستعبد كثيراً من العلماء بمعروفه، وراحته دائمة الندى، فما الذي يبكيه منها؟

فتفكرت فعلمت أن النفس لا تقف عند حد بل تروم من اللذات ما لا منتهى لها، وكلما حصل لها عرض برد عندها وطلبت سواه، ليفنى العمر ويضعف البدن ويقع النقص، ويرق الجاه، ولا يحصل المراد. وليس في الدنيا أبله ممن يطلب النهاية في لذات الدنيا، وليس في الدنيا على الحقيقة لذة، إنما هي راحة من مؤلم.

فالسعيد من إذا حصلت له امرأة أو جارية فمال إليها ومالت إليه، وعلم سترها ودينها أن يعقد الخنصر على صحبتها وأكثر أسباب دوام محبتها أن لا يطلق بصره، فمتى أطلق بصره أو أطمع نفسه في غيرها، فإن الطمع في الجديد ينغص الخلق وينقص المخالطة، ولا يستر عيوب الخارج، فتميل النفس إلى المشاهد الغريب، ويتكدر العيش مع الحاضر القريب، كما قال الشاعر:

والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين الحور موقوف على الخطرِ
يسر مقلته ما ضر مهجته ... لا مرحباً بسرور عاد بالضررِ

ثم تصير الثانية كالأولى، وتطلب النفس ثالثة وليس لهذا آخر، بل الغض عن المشتهيات، ويأس النفوس من طلب المستحسنات، يطيب العيش مع المعاشر. ومن لم يقبل هذا النصح تعثر في طرق الهوى وهلك على البارد، وربما سعى لنفسه في الهلاك العاجل، وفي العار الحاضر، فإن كثيراً من المستحسنات لسن بِصَيِّنات ولا يفي التمتع بهن بالعار الحاصل.

ومنهن المبذرات في المال، ومنهن المبغضة للزوج وهو يحبها كعابد صنم. وأبله البله الشيخ الذي يطلب صبية. . . ولعمري إن كمال المتعة إنما يكون بالصبا، كما قال القائل:

فَعلت بنفسي النِّساءُ الصِّغارَ

ومتى لم تكن الصبية بالغة لم يكمل الاستمتاع، فإذا بلغت أرادت كثرة الجماع والشيخ لا يقدر، فإن حمل على نفسه لم يبلغ مرادها، وهلك سريعاً. ولا ينبغي أن يغتر بشهوته الجماع، فإن شهوته كالفجر الكاذب. وقد رأينا شيخنا اشترى جارية فبات معها فانقلب عنها ميتاً.

وكان في المارستان شاب قد بقي شهرين بالقيام، فدخلت عليه زوجته فوطئها فانقلب عنها ميتاً. فبان أن النفس باقية بما عندها من الدم والمني، فإذا فرغا ولم تجد ما تعتمد عليه ذهبت. وإن قنع الشيخ بالاستمتاع من غير وطء فهي لا تقنع فتصير كالعدو له. فربما غلبها الهوى ففجرت أو احتالت على قتله، خصوصاً الجواري اللواتي أغلبهن قد جئن من بلاد الشرك ففيهن قسوة القلب.

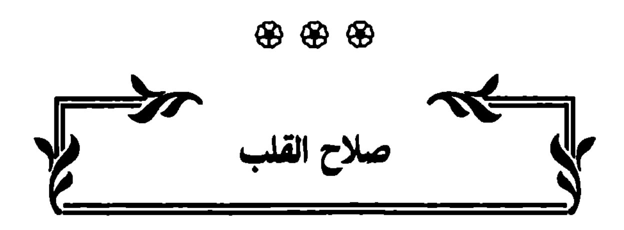
وقبيح بمن عبر الستين أن يتعرض بكثرة النساء، فإن اتفق معه صاحبة دين قبل ذلك فليرع لها معاشرتها، وليتمم نقصه عندها تارة بالإنفاق، وتارة بحسن الخلق. وليزد في تعريفها أحوال الصالحات والزاهدات، وليكثر من ذكر القيامة وذم الدنيا، وليعرض بذكر محبة العرب. فإن قدر أن يشغلها بحمل أو ولد عرقلها به، فاستبقى قوته في مدة اشتغالها بذلك. فإن وطئ فليصبر عن الإنزال حفظاً لقوته وقضاء لحقِّها.

وقد قيل لبشر: لِمَ لَمْ تتزوج؟ فقال: على ماذا أغر مسلمة، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [البقرة: 228].

والمسكين من دخل في أمر لم يتلمح عواقبه قبل الدخول ورأى حبة الفخ، فبادر طالباً لها ناسياً تعرقل الجناح والذبح. ومجموع ما قد بسطته حفظ البصر عن الإطلاق، ويأس النفس عن التحصيل، قنوعاً بالحاصل خصوصاً من قد علت سنه، وعلم أن

الصبية عدو له متمنية هلاكه، وهو يربيها لغيره. وفي بعض ما ذكرته ما يردع العاقل عن التعرض لهذه الآفات. نسأل الله ﷻ توفيقاً من فضله، وعملاً بمقتضى العقل والشرع، إنه مجيب قريب.

❁ ❁ ❁



صلاح القلب

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46].

قال أيوب بن القرية: الناس ثلاثة:

1 ـ عاقل؛

2 ـ وأحمق؛

3 ـ وفاجر.

فالعاقل، الدِّين شريعته، والحلم طبيعته، والرأي الحسن سَجِيَّتُهُ. إن سُئل أجاب، وإن نطق أصاب، وإن سمع وعى، وإن حدَّث روى.

وأما الأحمق، فإن تكلم عجَّل، وإن حدّث أخطأ، وإن استُنزل عن رأيه نزل، وإن حُمِلَ على القُبحِ حَمَل.

وأما الفاجر، فإنْ ائتمنته خانك، وإنْ حدَّثته عافك، وإن وثقت به لم يرعَكَ، وإن استُكْتِم لم يَكتُم.

إذا تملينا قول ابن القرية في ضوء علم النفس، فإننا واجدون أنه ينمّ عما يسمى بأنماط الأمزجة التي تدل عما يتمظهر لدى الناس من سلوك. والحياة العملية حافلة بنماذج من السلوكيات البشرية القائمة على الكياسة، والحماقة، والفجور.

وكان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قد قال:

حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا،

وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا،

فإنّ ما يخفف الحساب عليكم غداً،

أن تحاسبوا أنفسكم اليوم.

إن قول عمر هنا يصح أن يكون قاعدة نفسية يصدق عليه المصطلح السيكولوجي equilibrium أو اصطلاح homeostasis. واستخدام المصطلح هذا بمعناه السيكولوجي وليس بالمعنى البيولوجي. فهو اصطلاح يستخدم في الحالين. وبمعناه النفسي فإنه لا يعني الثبات من غير توتر. فهو يعني وجود قوى تتفاعل ضمن ذات الفرد، تكون بالغة النشاط، من شأنها أن تحمل الفرد على التفكير بالنزوع إلى الإقدام على سلوك يمكن أن يتساوق مع القيم المرضية المقبولة اجتماعياً وأخلاقياً، ولعله يكون سلوكاً منافياً للأعراف المرتضاة في النظام الاجتماعي والمعيار الإنساني. بمعنى أن التوازن هذا يمكن أن يفضي إلى اتزان محمود، ويمكن أن يؤدي إلى خلل سلوكي مردود غير مقبول. فهو يعني أن الفرد يضم في داخل إهابه قوى متعارضة بشكل بسيط، أو بشكل محتدم الأُوار. ولا بد لعقل الإنسان من أن يتدخل ولا بد للنفس من أن تستجيب لنداء القيم الأخلاقية. وفي حالة الرفض والعناد فإنّ مصير الإنسان إلى الهاوية التي تستجلب له الرفض الاجتماعي والغضب الإلهي، إلاّ من رحم رب العباد.

فالمسألة، إذن، تتوقف على سلامة القلب وإيمان النفس. وبخلاف ذلك، فإن القلب يمرض والنفس تنحرف. فكما أن لبدن الإنسان سلامة ومرضاً... فكذلك قلب الإنسان له سلامة ومرض. سلامة الجسم أن تكون تمام أجزائه صحيحة تؤدي دورها وتترتب عليها آثارها التي خلقت من أجلها. ومرضه في نقص عضو منه وذهاب خاصيته... ونتيجة ذلك الألم وصعوبة الحياة. (غ).

أقول: ويندرج كل ذلك تحت قول المصطفى ﷺ، والذي لا ينطق عن الهوى، والذي أوتي جوامع الكلم: **«ألا إن في الجسد مُضْغة، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسد كُلّه، وإذا فَسَدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»** والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀



كنيسةٌ صارت إلى مسجدِ ... هديّةُ السيّد للسيّدِ

كانت لعيسى حرماً فانتهت ... بنُصرة الرُّوح إلى أحمد

شيّدها الرومُ وأقيالهُم ... على مثالِ الهرم المُخلد

تُنبِئُ عن عزٍّ وعن صَولةٍ … وعن هوىً للدين لم يخمد[1]
مجامِرُ الياقوتِ في صَحْنها … تملؤهُ من نَدّها المُوقَد[2]
ومثل ما قد أودِعتْ من حُليً … لم تَتَّخذْ داراً ولم تُحشَد
كانت بها العذراءُ من فضّةٍ … وكان روحُ الله من عسجد
عيسى من الأمّ لدى هالةٍ … الأمُّ من عيسى لدى فرقد
جَلاَهُما فيها وحلاَّهما … مصوِّرُ الروم القديرُ اليد
وأودعَ الجدرانَ من نقشه … بدائع من فنِّه المفرد
فمن ملاك في الدّجى رائح … عند ملاكٍ في الضّحى مغتدي
ومن نبات عاش كالبَبَّغاً … وهو على الحائط غَضٌّ نَدي
فقل لمن شادَ فهدَّ القُوَى … قوَى الأجيرِ المُتْعَب المُجهد
كأنَّه فرعونُ لمّا بنى … لربّه بيتاً فلم يقصدِ
أيُعبدُ اللهُ بسومِ الورَى … ما لا يُسام العَيرُ في المقود[3]
كنيسةٌ كالفَدَن المعتلي … ومسجِدٌ كالقصر من أصيَدِ[4]
واللهُ عن هذا وذا في غنىً … لو يعقِلُ الإنسان أو يهتدي
قد جاءها (الفاتح) في عُصْبةٍ … من الأسُود الركَّع السُّجّد
رمى بهم بنيانَها مثلما … يصطدِمُ الجلْمُد بالجلْمَد
فكبَّروا فيها وصلَّى العِدا … واختلط المشهد بالمشهد
وما توانى الروم يَفْدُونها … والسيف في المفْديِّ والمفتدي
فخلتُها من قيصرٍ سعدَه … وأيِّدتْ بالقيصر الأسعد
بفاتح غازٍ عفيفِ القَنا … لا يحملُ الحقدَ ولا يعتدي

---

(1) الصولة: القوّة.

(2) الندّ، ضرب من العود يتبخّر به. والمجامر، جمع مجمرة، وهي الآلة التي تضم البخور المحترق.

(3) العير: الحمار.

(4) الفدن: القصر.

أجار من ألقى مقاليدَه ... منهم وأصفى الأمنَ للمرتدي
وناب عمّا كان من زُخرفٍ ... جلالةُ المعبودِ في المعبَد
فيا لثأرٍ بيننا بعده ... أقام لم يقربْ ولم يبعُدِ
باقٍ كثأر (القدس) من قبله ... لا ننتهي منه ولا يبتدي
فلا يغرّنْكَ سكونُ الملا ... فالشرُّ حول الصارم المُغْمَد
لن يترك الرومُ عِباداتِهم ... أو ينزل التركُ عن السُؤدَد
هذا لهم بيتٌ على بيتِهم ... ما أشبه المسجدَ بالمسجد
فإنْ يُعادوا في مفاتيحِه ... فيا ليومٍ للورى أسود
يَشيبُ فيه الطفلُ في مهدِه ... ويُزعج الميتُ من المرقَد
فَكُنْ لنا اللهمّ في أمسنا ... وكن لنا اليومَ وكنْ في غد
لولا ضَلالٌ سابقٌ لم يقم ... من أجلكَ الخلقُ ولم يقْعُد
فكلُّ شَرّ بينهم أو أذى ... أنت بَراءٌ منه طُهرُ اليد (شوقي)

❀ ❀ ❀

فائدة جليلة للإمام ابن قيّم الجوزية في أحكام النظر إلى الحرام، وغائلته وما يجني على صاحبه

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: 30 ـ 31].

قال: لمَّا كان غضُّ البصر أصلاً لحفظ الفرج بدأ بذكره، ولما كان تحريمُه تحريمَ الوسائل فيُباح للمصلحة الراجحة، ويحرم إذا خِيفَ منه الفسادُ ولم يعارضه مصلحةٌ أرجحُ من تلك المفسدة، لم يأمر سبحانه بغَضِّه مطلقاً بل أمر بالغضّ منه، وأما حفظ الفرج فواجبٌ بكل حال، لا يباح إلا بحقّه، فلذلك عمّ الأمر بحفظه.

وقد جعل الله سبحانه العينَ مِرآة القلب، فإذا غضّ العبدُ بصرَه غضّ القلب شهوتَه وإرادتَه، وإذا أطلق بصرَه أطلق القلب شهوتَه. وفي «الصحيح» أن الفضل بن عباس ﵄ كان رَدِيف رسول الله ﷺ يوم النحر من مُزدَلِفَةَ إلى مِنَى،

فمرت ظُعُن[1] يَجرِينَ فَطِفق الفضل ينظر إليهن فَحَوَّل رسول الله ﷺ رَأسَهُ إلى الشق الآخر [متفق عليه]، وهذا منعٌ وإنكار بالفعل. فلو كان النظر جائزاً لأقرّه عليه.

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله عَزّ وَجَل كَتَبَ على ابْنِ آدم حَظَّهُ مِنَ الزِّنَى أدرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَالعَينُ تَزْنِي وَزِنَاهَا النَّظَرُ، وَاللِّسَانُ يَزني وَزِنَاهُ النطقُ، وَالرِّجلُ تَزني وَزِنَاهَا الخُطَى، وَاليَدُ تَزني وَزِنَاهَا البَطشُ، وَالقَلبُ يهوَى وَيَتَمَنَّى، وَالفرجُ يُصَدِّقُ ذلِك أَو يُكَذِّبُه**» [متفق عليه].

فبدأ بزنى العينِ لأنه أصل زنى اليد والرِّجل والقلبِ والفَرج، ونبّه بزنى اللسان بالكلام على زنى الفم بالقُبَل، وجعل الفرج مصدقاً لذلك إن حقق الفعلَ، أو مكذباً له إن لم يُحَققهُ. وهذا الحديث من أبين الأشياء على أن العين تعصي بالنظر وأن ذلك زناها، ففيه ردّ على من أباح النظر مطلقاً.

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**يا عَلِيّ لا تُتبعِ النَّظْرَةَ النظْرَةَ فإن لك الأولى وَلَيسَت لَكَ الثَّانِيَة**»[2]

ووقعت مسألة: ما تقول السادة العلماء في رجل نظر إلى امرأة نظرةً فعلق حبُّها بقلبه واشتدّ عليه الأمر، فقالت له نفسه: هذا كله من أوّل نظرةٍ فلو أعَدتَ النظرَ إليها لرأيتَها دون ما في نفسك فسلوتَ عنها، فهل يجوز له تعمُّدُ النظر ثانياً لهذا المعنى؟

فكان الجواب: الحمد لله لا يجوز هذا، لعشرة أوجُهٍ:

أحدها: أن الله سبحانه أمر بغضّ البصر ولم يجعل شفاء القلب فيما حرّمه على العبد.

الثاني: أن النبي ﷺ سئل عن نظر الْفَجاة، وقد علم أنه يؤثر في القلب فأمر بمداواته بصرف البصر لا بتكرار النظر.

الثالث: أنه صرح بأن الأولى له وليست له الثانية، ومحالٌ أن يكون داؤه مما له، ودواؤه فيما ليس له.

---

(1) الظُعن: جمع ظعينة، والظعينة: الهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن. والظعينة أيضاً: المرأة ما دامت في الهودج. فإذا لم تكن فيه، فليست بظعينة.

(2) رواه أبو داود (2149) والترمذي (2777) وأحمد (23035) وغيرهم. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وهو كما قال.

الرابع: أن الظاهر قوةُ الأمر بالنظرة الثانية لا تناقُصُهُ، والتجربةُ شاهدة به، والظاهر أن الأمر كما رآه أولَ مرةٍ فلا تحسنُ المخاطرة بالإعادة.

الخامس: أنه ربما رأى ما هو فوق الذي في نفسه فزاد عذابُه.

السادس: أن إبليس عند قصده للنظرة الثانية يقوم في ركائبه فيزين له ما ليس بحسنٍ لِتتمَّ البلية.

السابع: أنه لا يُعَانُ على بليته إذا أعرض عن امتثال أوامر الشرع وتداوى بما حرّمه عليه، بل هو جديرٌ أن تتخلف عنه المعونة.

الثامن: أن النظرة الأولى سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس، ومعلومٌ أن الثانية أشد سَمّاً فكيف يتداوى من السمّ بالسمّ؟

التاسع: أن صاحب هذا المقام في مقام معاملة الحق ﷻ في ترك محبوبٍ كما زعم، وهو يريد بالنظرة الثانية أن يتبيّن حال المنظور إليه، فإن لم يكن مرضياً تركه، فإذاً يكون تركُهُ لأنه لا يلائم غرضَه لله تعالى، فأين معاملةُ الله سبحانَهُ بترك المحبوب لأجله.

العاشر: يتبين بضرب مثلٍ مطابقٍ للحال، وهو أنك إذا ركبتَ فرساً جديداً فمالت بك إلى دربٍ ضيق لا ينفذُ ولا يمكنها أن تستدير فيه للخروج، فإذا همَّت بالدُّخول فيه فَاكبحها لئلا تدخل، فإذا دخلت خطوةً أو خُطوتين فَصِح بها ورُدَّها إلى وراء عاجلاً قبل أن يتمكن دخولُها، فإن رَدَدتها إلى ورائها سَهُل الأمر، وإن توانيت حتى وَلَجَت وسُقتَهَا داخلاً ثم قمت تَجذِبها بذَنبها عَسُر عليك أو تعذر خروجُها، فهل يقول عاقل إن طريق تخليصها سَوْقها إلى داخل؟

فكذلك النظرة إذا أثّرت في القلب، فإن عَجِل الحازمُ وحَسَم المادَّة من أوَّلها سَهُل علاجُه، وإن كرَّر النظر ونَقَّبَ عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلبٍ فارغٍ فنقشها فيه تمكنت المحبة، وكلما تواصلت النظرات، كانت كالماء يسقي الشجَرة فلا تزال شجرة الحب تَنْمو حتى يفسد القلب، ويُعْرِضَ عن الفكر فيما أُمر به، فيخرج بصاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكابَ المحظورات والفتن، ويلقي القلب في التلف.

والسببُ في هذا أن الناظر التذَّت عينُه بأوَّل نظرة فطلبت المعاودة، كأكل الطعام

اللذيذ إذا تناول منه لقمة، ولو أنه غضَّ أولاً لاستراح قلبُه وسَلِم، وتأمَّل قول النبي ﷺ: «النظرةُ سهمٌ مَسْمُومٌ مِن سِهَام إِبْلِيسَ»[1] فإن السَّهم شأنُه أن يسريَ في القلب فيعمل فيه عمل السمّ الذي يُسقَاه المسمومُ، فإن بادر واسْتَفرَغه وإلا قتله ولا بدَّ.

قال المَروذِيُّ: قلت لأحمد: الرجل ينظر إلى المملوكة؟ قال: أخاف عليه الفتنة، كم نظرةٍ قد ألقت في قلب صاحبها البلابل. وقال ابن عباس: الشيطان من الرجل في ثلاثة: في نظره وقلبه وَذَكَرِهِ، وهو من المرأة في ثلاثة: في بصرها وقلبها وعَجُزها.

فصل: ولما كان النظرُ من أقرب الوسائل إلى المحرَّم اقتضت الشريعة تحريمَه، وأباحَته في موضع الحاجة، وهذا شأن كل ما حُرِّم تحريمَ الوسائل فإنه يباح للمصلحة الراجحة، كما حُرِّمت الصلاة في أوقات النهي لئلا تكون وسيلة إلى التشبُّه بالكفّار في سجودهم للشمس، وأبيحت للمصلحة الراجحة كقضاء الفوائت وصلاة الجنازة وفعل ذوات الأسباب على الصحيح.

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل، من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«ما من مسلمٍ ينظر إلى محاسن امرأةٍ أول مرةٍ، ثم يغضّ بصره إلا أحدث الله له عبادةً يجد حلاوتها»**[2].

وقال جريرُ بن عبد الله رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفَجْأة فأمرني أن أصرف بصري[3]. ونظرةُ الفَجْأة هي النظرةُ الأولى التي تقع بغير قصدٍ من الناظر، فما لم يَعتَمده القلبُ لا يُعاقَب عليه، فإذا نظر الثانيةَ تعمُّداً أَثِمَ، فأمره النبي ﷺ عند نظرة الفَجْأة أن يَصرِفَ بصره ولا يستديمَ النَّظَرَ فإن استدامته كتكريره، وأرشدَ من ابتُلِي بنظرة

---

(1) رواه الطبراني في «الكبير» (10362/ 8)، من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»**. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (12946/ 8) وعزاه للطبراني، وقال: وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي، وهو ضعيف.
أقول: وفي الباب من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ عند الحاكم في «مستدركه» (7875/ 4) بإسناد لا يخلو من مقال.

(2) رواه الإمام أحمد (22278) والطبراني في «الكبير» (7842) والبيهقي في «شعب الإيمان» (5431)، وفي إسناده علي بن يزيد ابن أبي هلال الألهاني، وهو واصي الحديث.

(3) رواه أحمد (19218) ومسلم (2159) وأبو داود (2148) والترمذي (2776) وغيرهم.

الفَجْأة أن يداويه بإتيان امرأته، وقال: «**إن معَهَا مِثلَ الَّذِي مَعَهَا**»[1] فإن في ذلك التسلّي عن المطلوب بجنسه.

والثاني أن النظر يثير قوّة الشهوة فأمره بتنقيصها بإتيان أهله، ففتنة النظر أصلُ كل فتنةٍ كما ثبت في الصحيحين من حديث أُسامة بن زيد ﷺ أن النبيّ ﷺ قال: «**مَا تَرَكتُ بَعدِي فِتنَةً أضرُّ عَلَى الرِّجَال مِنَ النِّسَاءِ**»[2].

وفي صحيح مسلم[3] من حديث أبي سعيد الخُدري ﷺ عن النبي ﷺ: «**اتَّقوا الدُّنيَا وَاتقُوا النساءَ**».

وفي مسند محمد بن إسحاق السّراج من حديث عليّ بن أبي طالب ﷺ عن النبي ﷺ: «**أخوَفُ ما أخافُ عَلَى أُمَّتِي النساءُ وَالخَمرُ**». وقال ابن عباس ﷺ: لم يكفر من كفر ممن مضى إلا من قِبَلِ النساءِ، وكفرُ من بقي من قِبَلِ النساء.



الرمان فاكهة الجنة

الرمان فاكهة الجنة والأرض، وهو على اختلاف أنواعه وألوانه، له من الفوائد الصحية ما له. وقد ذُكر في كثير من آيات الله تعالى في كتابه الكريم. قال جل وعلا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: 141]. وقال تعالى في وصف الجنة النعيم: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: 68].

يقول الدكتور شمسي باشا ـ حفظه الله تعالى ـ: فلماذا خصّ الله تعالى، الزيتون والرمان بالذكر؟ وماذا في الرمان من فوائد؟

---

(1) الحديث بتمامه رواه مسلم (1403) والترمذي (1158) وأبو داود (2151) وغيرهم من حديث جابر ﷺ، وقد تقدم.

(2) رواه البخاري (5096) ومسلم (2740) وغيرهما.

(3) برقم (2742).

ذكر الرمان في العديد من الكتابات القديمة، ووجد في رسومات الفراعنة.

وتعتبر آسيا الموطن الأساسي للرمان وخصوصاً في أفغانستان وإيران ومناطق جبال الهيمالايا. إلا أن زراعته قد انتشرت واستوطنت مناطق من البحر المتوسط والهند وأمريكا الجنوبية وجنوب الولايات المتحدة ومناطق من جنوب شرق آسيا. وشجرة الرمان قصيرة يبلغ ارتفاعها ما بين 1,5 ـ 5 أمتار، ويصل قطر الثمار إلى 18 سم وقد يصل وزنها إلى 300 ـ 600 غ. وهي تحتوي بذوراً كثيرة قد يبلغ عددها ما بين 400 ـ 500 بذرة. (12).

تركيب الرمان:

جاء في كتاب تركيب الأطعمة Food Composition لمؤلفيه «ماكين» و«يدوسون»:

«يبلغ وزن المادة الصالحة للأكل من الرمان 56% من وزن الثمرة وتبلغ كمية الماء فيها 85%. وتحتوي الـ 100غ من عصير الرمان على 11,6غ من السكر وتعطي 189 حريرة ولا تحتوي إلا على كميات زهيدة من الدسم. والرمان غني بالبوتاسيوم والكلور إذ تحتوي الـ 100 منه على 200 ملغ من البوتاسيوم و53 ملغ من الكلور، كما يحتوي أيضاً على كميات صغيرة من الكالسيوم والمغنيزيوم والفوسفور والحديد والنحاس والكبريت. وعصير الرمان غني بحمض الليمون أكثر من الليمون نفسه، كما يحتوي على فيتامين (C) وعلى حمض البوريك».

فوائد الرمان:

وجاء في دائرة المعارف للأعشاب Encyclopedia of Herbs طبعة 1987:

إن لقشر الرمان ولثمرة الرمان نفسها فعلاً قابضاً ويقال بأن لها فعلاً مضاداً للديدان ومضاداً للجراثيم. وقد استعمل قشر الرمان في معالجة الزحار (الديزنطاريا) والإسهالات الأخرى وكذلك كمسكن لآلام المعدة.

وجاء في كتاب النباتات الطبية للعودات ولحام:

«إن أهم فوائد عصير الرمان هي خواصه الهاضمة وخاصة بالنسبة للدهون. وأما قشرة جذور شجر الرمان فتستعمل طاردة للديدان وخاصة الدودة الوحيدة. ويعود تأثيرها لاحتوائها على مركبات البللترين. ويمكن أن يؤدي مغلي قشرة جذوره إلى عوارض

تسممية تترافق بضعف عام ودوار وغثيان وضعف البصر. أما قشرة الثمار فتستعمل مغليَّة بالماء في حالات الديزنطاريا والإسهالات واضطرابات الأمعاء.

ويقول البروفسور غريفث أستاذ الطب العائلي في جامعة أريزونا في الولايات المتحدة في كتابه «الفيتامين الحيوي» طبعة 1988:

من التأثيرات المعروفة لقشر الرمان: أنه يكمش الأنسجة Shrinks ويمنع إفراز السوائل ويقتل ديدان الأمعاء، ويتدخل في امتصاص الحديد، وغيره من المعادن عندما يؤخذ بالفم. ومن التأثيرات المفترضة له أنه يفيد في معالجة قروح الاضطجاع التي تحدث عند قعيدي الفراش.

وتحتوي قشرة جذوره على مواد كيميائية منها البللترين والايزوبللترين والميثابللترين كما يحتوي على قلويد بلوري وهو البسيدوبللترين.

يحذر البروفسور غريفث من تناول قشرة جذر الرمان عند الحوامل والمراضع والمصابين بأمراض الجهاز الهضمي المزمنة كالقرحة والتهاب القولون.

وأما ثمرة الرمان فهي منشطة ومغذية ولا ضرر من تناولها على الإطلاق.

قال شاعر في وصف رمانة:

طعم الوصال يصونه طعم النوى ... سبحان خالق ذا وذا من عود

فكأنها والخضْرُ من أوراقها ... خضرَ الثياب على نهود الغيد

❀ ❀ ❀



حِكمٌ وعظات

- إياك والغفلة عمن جعل لحياتك أجلاً، ولأيامك وأنفاسك أمداً، ومن كل ما سواه بُدّ ولا بُدّ لك منه.

- مَن ترك الاختيار والتدبير في طلب زيادة دنيا، أو جاه، أو في خوف نقصان، أو في التخلص من عدوّ؛ توكلاً على الله، وثقة بتدبيره له، وحسن اختياره له؛ فألقى كنفه بين يديه، وسلم الأمر إليه، ورضي بما يقضيه له، استراح من الهموم والغموم والأحزان. ومَن أبى إلا تدبيره لنفسه، وقع في النكد والنصَب وسوء الحال والتعب؛

فلا عيشَ يصفو، ولا قلب يفرح، ولا عمل يزكو، ولا أمل يقوم، ولا راحة تدوم. والله سبحانه سَهَّلَ لخَلْقِهِ السبيلَ إليه، وحَجَبَهم عنه بالتدبير؛ فمَن رضي بتدبير الله له، وسكن إلى اختياره، وسلم لحكمه، أزال ذلك الحجاب؛ فأفضى القلب إلى ربه، واطمأنّ إليه وسلكه.

ـ المتوكل لا يسأل غير الله، ولا يرد على الله، ولا يدخرَ مع الله.

ـ مَن شغل بنفسه شغل عن غيره، ومَن شغل بربه شغل عن نفسه.

ـ الإخلاص، هو ما لا يعلمه مَلَك فيكتبُه، ولا عدو فيُفسده، ولا يُعجَب به صاحبه فيبطله.

ـ الرضا سكون القلب تحت مجاري الأحكام.

ـ الناس في الدنيا معذَّبون على قدر هِمَمِهم بها.

ـ للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها، ثلاثة سافلة، وثلاثة عالية، فالسافلة: دنيا تتزين له، ونفس تحدثه، وعدو يوسوس له. فهذه مواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها. والثلاثة العالية: علم يتبين له، وعقل يرشده، وإله يعبده. والقلوب جوَّالة في هذه المواطن.

ـ اتباع الهوى، وطول الأمل، مادة كل فساد؛ فإن اتباع الهوى يعمي عن الحق معرفة وقصداً، وطول الأمل ينسي الآخرة ويصدّ عن الاستعداد لها.

ـ لا يشمُّ عبدٌ رائحةَ الصدق ويداهن نفسه أو يداهن غيره.

ـ إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعله معترفاً بذنبه، ممسكاً عن ذنب غيره، جواداً بما عنده، زاهداً فيما عند غيره، محتملاً لأذى غيره. وإن أراد به شراً عكس ذلك عليه.

ـ الهمّة العليّة لا تزال حائمة حول ثلاثة أشياء: تعرُّفٌ لصفة من الصفات العليا تزداد بمعرفتها محبةً وإرادة، وملاحظة لِمِنَّة تزداد بملاحظتها شكراً وطاعة، وتذكُّرٌ لذنب تزداد بتذكُّره توبة وخشية. فإذا تعلقت الهمّة بسوى هذه الثلاثة جالت في أودية الوساوس والخطرات.

ـ مَن عشق الدنيا نظَرَت إلى قدرها عنده فصيَّرته من خدمها وعبيدها وأذلَّته. ومَن أعرض عنها نظَرَت إلى كبر قدره فخدمته وذلَّت له.

- إنما يقطع السفر، ويصل المسافر، بلزوم الجادة، وسير الليل. فإذا حادَ المسافر عن الطريق، ونام الليل كله، فمتى يصل إلى مقصده؟. (ق).

❀ ❀ ❀

فضيلة الاعتراف بالتقصير

أن يُصارح الإنسان نفسه، ويواجهها بحقيقة ذاته، لهو أمر جلل. وأن يعترف المرء بتقصيره، وقلّة إدراكه للأمور، فهو معنى من معان الفضيلة، وفي ذلك يقول ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

عرض لي أمر يحتاج إلى سؤال الله ﷻ ودعائه، فدعوت وسألت، فأخذ بعض أهل الخير يدعو معي، فرأيت نوعاً من أثر الإجابة، فقالت لي نفسي: هذا بسؤال ذلك العبد لا بسؤالك، فقلت لها: أما أنا فإني أعرف من نفسي من الذنوب والتقصير ما يوجب منع الجواب، غير أنه يجوز أن يكون أنا الذي أجبت، لأن هذا الداعي الصالح سليم مما أظنه من نفسي، إذ معي انكسار تقصيري ومعه الفرح بمعاملته.

فما الذي ينفع طول الحياة؟.

فقلت له: يا أبله، لو فهمت ما تحت سؤالي علمت أنه ليس بعبث، أليس في كل يوم يزيد علمي ومعرفتي، فتكثر ثمار غرسي، فأشكر يوم حصادي؟

أفيسرني أنني مت منذ عشرين سنة؟ لا والله؛ لأني ما كنت أعرف الله تعالى عشر معرفتي به اليوم، وكل ذلك ثمرة الحياة التي فيها اجتنيت أدلة الوحدانية، وارتقيت عن حضيض التقليد إلى يفاع البصيرة، واطلعت على علوم زاد بها قدري، وتجوهرت بها نفسي، ثم زاد غرسي لآخرتي، وقويت تجارتي في إنقاذ المباضعين من المتعلمين، وقد قال الله لسيد المرسلين: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].

وفي صحيح مسلم[1] من حديث أبي هريرة ﷺ - عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً».

---

(1) في الذكر والدعاء برقم (2682).

وفي حديث جابر بن عبد الله - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله ﷻ الإنابة»**[1].

فيا ليتني قدرت على عمر نوح، فإن العلم كثير، وكلما حصل منه حاصل رفع ونفع.

❁ ❁ ❁

طوبى لمجاهدة كانت من أهل الجنة

هل الجهاد في سبيل الله تعالى، مقتصر على الرجال فقط. أم للمرأة المسلمة دور فيه؟ للإجابة على هذا السؤال سنستمع إلى قصة أم حرام - ﵂ - وما حصل معها. فقد روى الإمام مالك (1011) وأحمد (27100) والبخاري (6282 - 6283) ومسلم (1912)، وغيرهم، واللفظ للبخاري من طريق مَالِكٍ، عَن إسحاقَ بنِ عَبدِ اللهِ ابْنِ أَبِي طَلحَةَ، عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ ﵁ أَنَّهُ سَمِعَهُ يقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ إِلى قُباءٍ يَدخُل عَلى أمِّ حرَامٍ بنتِ مِلحَانَ فتُطعِمُهُ[2]، وَكَانَت تَحتَ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ.

فَدَخَلَ يوماً فَأطعَمَتهُ فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. ثُمَّ اَستيقَظَ يَضحَكُ قَالَت: فَقُلتُ مَا يُضحِكُكَ يَا رَسولَ اللهِ؟ فَقَالَ: **«نَاسٌ مِن أُمَّتي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً في سبِيلِ اللهِ يَركَبُونَ ثَبَجَ هذَا البَحرِ مُلُوكاً عَلَى الأَسِرَّةِ»** - أو قَالَ **«مِثلَ المُلُوكِ عَلَى الأسِرَّةِ»** يَشُكُّ إسحَاقُ.

قُلْتُ: اَدعُ اللهَ أنْ يَجعَلَني مِنهُم؟ فَدَعَا ثُمَّ وَضَعَ رَأسَهُ فَنَامَ، ثُمَّ استيقَظَ يَضحَكُ، فَقُلتُ: مَا يُضحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«نَاسٌ مِن أُمَّتي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً في سَبِيلِ اللهِ، يَركَبُونَ ثَبَجَ هذَا البَحْرِ مُلُوكاً عَلَى الأسِرَّةِ - أَو مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ»** -.

---

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (14564) والبزار (3240) والبخاري في «التاريخ الكبير» (2/ 285)، وغيرهم بإسناد محتمل للتحسين، بلفظ: **«لا تمنوا الموت، فإن هول المطّلع شديد، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد، ويرزقه الله الإنابة»** لفظ أحمد.

(2) اتفق العلماء على أن السيدة أم حرام - ﵂ - كانت إحدى خالات النبي ﷺ من الرضاعة. وقيل، بل كانت خالة لأبيه، أو لجده لأن عبد المطلب كانت أمه من بني النجار. والله تعالى أعلم.

فقلتُ: ادعُ الله أن يجعلني منهم؟ قال: «أنت من الأولين» فركبت البحر زمن معاوية، فَصُرِعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت.

وقد جاء عند البخاري ومسلم وغيرهما، . . . وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسولُ الله ﷺ يوماً فأطعمته. ثم جلسَت تفلي رأسه، فنام رسولُ الله ﷺ، ثم استيقظ هو يضحك. . الحديث لفظ مسلم.

وهكذا يتبين لنا أن للمرأة دور في الجهاد في سبيل الله تعالى، وعلى وجه التحديد إذا دخل العدو بلادنا، واستباح حرماتنا. والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

تعال لنتعرف على أصول المعاصي لتجنبها بعون الله تعالى

أصول المعاصي كلها، كبارها وصغارها، ثلاثة: تعلق القلب بغير الله، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية. وهي الشرك، والظلم، والفواحش. فغاية التعلّق بغير الله شرك وأن يُدعى معه إله آخر. وغاية طاعة القوة الغضبية القتل. وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا.

ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: 68].

وهذه الثلاثة يدعو بعضها إلى بعض؛ فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش، كما أن الإخلاص والتوحيد يصرفهما عن صاحبه، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]؛ فالسوء: العشق، والفحشاء: الزنا.

وكذلك الظلم يدعو إلى الشرك والفاحشة؛ فإن الشرك أظلم الظلم، كما أن أعدل العدل التوحيد. فالعدل قرين التوحيد، والظلم قرين الشرك؛ ولهذا يجمع سبحانه بينهما. أما الأول، ففي قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: 18]. وأما الثاني، فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13].

والفاحشة تدعو إلى الشرك والظلم، ولا سيما إذا قويت إرادتها ولم تحصل إلا بنوع من الظلم والاستعانة بالسحر والشيطان. وقد جمع سبحانه بين الزنا والشرك

في قوله: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور: 3].

فهذه الثلاثة يجرُّ بعضها إلى بعض، ويأمر بعضها ببعض. ولهذا كلما كان القلب أضعف توحيداً وأعظم شركاً كان أكثر فاحشة وأعظم تعلقاً بالصورة وعشقاً لها. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ [الشورى: 36 ـ 37]. فأخبر أن ما عنده خيرٌ لمن آمن به وتوكل عليه، وهذا هو التوحيد. ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾، فهذا اجتناب داعي القوة الشهوانية. ثم قال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾، فهذا مخالفة القوة الغضبية؛ فجمع بين التوحيد والعِفّة والعدل التي هي جماع الخير كله. (ق).

❁ ❁ ❁

لا تحزني إن جاءك خاطب وكنت حائضاً

هل من الجائز عقد النكاح، إذا كانت الفتاة حائضاً! وهل يُعتبر العقد حلالاً إن تمّ على هذه الصورة. سؤال تقدمت به إحداهن لفضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ فأجاب بقوله: إن عقد النكاح على المرأة وهي حائض عَقد جائز صحيح، ولا بأس به وذلك إن الأصل في العقود الحِل، والصحة إلا ما قام الدليل على تحريمه، ولم يقم دليل على تحريم الزواج في حال الحيض، وإذا كان كذلك فإن العقد المذكور يكون صحيحاً، ولا بأس به. وهناك يجب أن نعرف الفرق بين عقد النكاح وبين الطلاق، فالطلاق لا يحل في حال الحيض بل هو حرام، وقد تغيظ فيه رسول الله ﷺ حين بلغه أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما طلق امرأته وهي حائض، وأمر النبي ﷺ أن يراجعها وأن يدعها حتى تطْهر ثم تَحِيض ثم تطهُر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق، وذلك لقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ [الطلاق: 1] فلا يحل للرجل أن يطلق زوجته وهي حائض ولا أن يُطلِّقها في طهر جامعها فيه إلا أن يتبين حملها، فإذا تبين حملها فله أن يطلقها متى شاء، ويقع الطلاق.

جمال الله تعالى الذي يحب الجمال ـ يعد أساساً دعوة إلى إعلاء الغرائز.. كما قرر علم التربية الجمالية الحديثة ـ أنها تؤدي إلى السمو بالمشاعر الإنسانية التي تؤدي بالتالي إلى سمو الأخلاق والسلوكيات.

فقد ثبت أن الشيء الجميل هو الذي يريح نفس الإنسان، ويجعل النظر إليه محبباً، ويبعث على التخيل.. والتخيل لا يكون إلا عن طريق النظر والتأمل، فإدراك الجمال لموضوع ما معناه التأمل بعمق فيه وإدراك ما فيه من اتساق وانسجام أثناء التخيل، ويبصر الإنسان فيه معنى من المعاني التي ارتبطت بينه وبين نفسه.. وفي هذا إدراك لحقيقة الجمال.

ونحن ندرك القيمة الجمالية لموضوع معين بما تثيره أجزاؤه المتناسقة المنسجمة من التخيل.. فالإنسان يشعر بجمال المنظر المعين؛ لأنه يبعث على إثارة مكنونات نفسه، ويجد المرء فيه تزويداً لما تتجاوب به حوائج قلبه، وصدى ملحاً بين أصدائه النفسية.. والاستمتاع الجمالي يغذي الوجدان والرغبات المكبوتة داخل النفس؛ بذلك فإنه يعمل على تجديد طاقات المرء وتنويم مظاهرها واتزان نواحيها.

وفي الطبيعة والتأمل في بدائعها استمتاعات جمالية لا حصر لها، لأنها تجعل الإنسان يرى نفسه عنصراً من عناصر تلك الطبيعة مندمجاً بين أعضائها. والحديث الشريف الذي نحن بصدده له هدف سام في هذه الحياة، كما يقرر علماء التربية الجمالية، وهو الدعوة لأن يكون هدف الإنسان متجهاً لا إلى المصلحة الخاصة به وحدها، بل ولا حتى العامة أو المجتمع البشري فحسب.. وإنما يتجه به إلى الله الذي يحب الجمال في شتى صوره؛ ولذا كان حب الجمال عبادة لله، وهذا ما قرره الحديث الشريف بصورة ضمنية تحث على توخيه قلباً وقالباً.

ومن هنا يوصي الإسلام بأن يكون المرء حسن المنظر، كريم الهيئة.. بل إنه قد جعل التجمل واتخاذ الزينة من آداب الصلاة مصداقاً لقوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ﴾ [الأعراف: 31].

كما روت السُّنَّة المطهرة أن رجلاً دخل على النبي ﷺ وهو ثائر شعر الرأس واللحية، فأشار إليه الرسول الكريم يأمره بإصلاح شعره، ففعل الرجل ثم رجع في هيئة حسنة فقال الرسول الكريم: **«أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان»** ويهذا يريد الإسلام أن يغرس الإحساس بالجمال في نفس كل مسلم، ويجعله

فـإن ولـدت فـحـلاً فـلـلـه درّهـا … وإن ولـدت بـغـلاً فـجـاء بـه الـبـغـل

فانصرف الحجاج راجعاً ولم يدخل عليها، ولم تكن علمت به، فأراد الحجاج طلاقها، فأنفذ إليها عبد الله بن طاهر، وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم، وهي التي كانت لها عليه، وقال: يا ابن طاهر طلقها بكلمتين، ولا تزد عليهما، فدخل عبد الله بن طاهر عليها، فقال لها: يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت، وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله.

فقالت: إعلم يا ابن طاهر: أنا والله كنا فما حمدنا، وبنا فما ندمنا، وهذه المائتا ألف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كلب بني ثقيف.

بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها، فأرسل إليها يخطبها، فأرسلت إليه كتاباً تقول فيه بعد الثناء عليه: إعلم يا أمير المؤمنين، أن الإناء ولغ فيه الكلب، فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها، وكتب إليها يقول: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب، فاغسلي الإناء يحل الاستعمال.

فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة، فكتبت إليه بعد الثناء عليه، يا أمير المؤمنين، والله لا أحل العقد إلا بشرط، فإن قلت ما هو الشرط؟ قلت: أن يقود الحجاج محملي من المعرة إلى بلدك التي أنت فيها، ويكون ماشياً حافياً بحليته التي كان فيها أولاً.

فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكاً شديداً، وأنفذ إلى الحجاج وأمره بذلك، فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الأمر ولم يخالف، وأنفذ إلى هند يأمرها بالتجهز، فتجهزت.

وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند، فركبت هند في محمل الزفاف، وركب حولها جواريها وخدمها، وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تتواغد عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها، ثم إنها قالت للهيفاء: يا داية اكشفي لي سجف المحمل، فكشفته، فوقع وجهها في وجه الحجاج، فضحكت عليه، فأنشأ يقول:

فإن تـضـحـكي مـني فيـا طولَ لـيـلـةٍ … تـركـتـك فـيـهـا كـالـقـبـاءِ الـمـفـرّجِ

فأجابته هند تقول:

وما نبالي إذا أرواحنا سلمت ... بما فقدناه من مال ومن نشب[1]

فالمال مكتسبٌ والعز مرتجعٌ ... إذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب إلى أن قربت من بلد الخليفة، فرمت بدينار على الأرض، ونادت: يا جمال إنه قد سقط منا درهم، فارفعه إلينا، فنظر الحجاج إلى الأرض، فلم يجد إلا ديناراً، فقال: إنما هو دينار، فقالت: بل هو درهم قال: بل دينار، فقالت: الحمد لله سقط منا درهم، فعوضنا الله ديناراً، فخجل الحجاج وسكت، ولم يرد جواباً، ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان، فتزوج بها، وكان من أمرها ما كان. والله أعلم.

❁ ❁ ❁



التعرض للشهوات يميت القلب

تأملت أمر الدنيا والآخرة، فوجدت حوادث الدنيا حسية طبعية، وحوادث الآخرة إيمانية يقينية، والحسيات أقوى جذباً لمن لم يقو علمه ويقينه.

والحوادث إنما تبقى بكثرة أسبابها، فمخالطة الناس، ورؤية المستحسنات، والتعرض بالملذوذات، يقوي حوادث الحس، والعزلة، والفكر، والنظر في العلم يقوي حوادث الآخرة. ويبين هذا بأن الإنسان إذا خرج يمشي في الأسواق، ويبصر زينة الدنيا، ثم دخل إلى المقابر، فتفكر ورق قلبه فإنه يحس بين الحالتين فرقاً بيناً، وسبب ذلك، التعرض بأسباب الحوادث.

فعليك بالعزلة والذكر والنظر في العلم، فإن العزلة حمية، والفكر والعلم أدوية. والدواء مع التخليط لا ينفع، وقد تمكنت منك أخلاط المخالطة للخلق، والتخليط في الأفعال، فليس لك دواء إلا ما وصفت لك.

فأما إذا خالطت الخلق وتعرضت للشهوات، ثم رمت صلاح القلب رمت الممتنع. (ج).

❁ ❁ ❁

(1) النشب: الأموال غير النقدية.

فائدة جليلة
في معرفة حقيقة العلم والإيمان

أفضل ما اكتسبته النفوس، وحصَّلته القلوب، ونال به العبدُ الرفعةَ في الدنيا والآخرة، هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم: 56]. وقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: 11]. وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبُّه، والمؤهلون للمراتب العالية.

ولكن أكثر الناس مخطئون في حقيقة مسمى العلم والإيمان اللذين بهما السعادة والرفعة، وفي حقيقتهما. حتى إن كل طائفة تظن أن ما معها من العلم والإيمان هو هذا الذي به تُنال السعادة، وليس كذلك، بل أكثرهم ليس معهم إيمان ينجي ولا علم يرفع، بل قد سدُّوا على نفوسهم طرق العلم والإيمان اللذين جاء بهما الرسول ﷺ ودعا إليهما الأمة، وكان عليهما هو وأصحابه من بعده وتابعوهم على منهاجهم وآثارهم.

فكل طائفة اعتقدت أن العلم ما معها وفرحت به ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 53]. وأكثر ما عندهم كلام وآراء وخرص[1]، والعلم وراء الكلام كما قال حماد بن زيد[2]: قلت لأيوب[3]: العلم اليوم أكثر أو فيما تقدم؟ فقال: الكلام اليوم أكثر والعلم فيما تقدم. ففرَّق هذا الراسخُ بين العلم والكلام. فالكتب كثيرة جداً، والكلام والجدال والمقدرات الذهنية كثيرة، والعلم بمعزل عن أكثرها، وهو ما جاء به الرسول ﷺ عن الله سبحانه، قال تعالى:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 61].

وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: 120].

وقال في القرآن: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: 166] أي وفيه عِلمُه.

---

(1) الخرص: الكذب.

(2) هو أبو إسماعيل حماد بن زيد بن دهيم الأزدي البصري، محدّث أعمى، ولد ومات بالبصرة (ت 179هـ).

(3) هو أبو بكر أيوب السختياني البصري، تابعي، حافظ فقيه، من كبار الزهاد (ت 131 هـ).

ولما بَعُدَ العهدُ بهذا العلم آلَ الأمرُ بكثيرٍ من الناس إلى أن اتخذوا هواجس الأفكار وسوانح[1] الخواطر والآراء علماً، ووضعوا فيها الكتب، وأنفقوا فيها الأنفاس، فضيَّعوا فيها الزمان، وملأوا بها الصحف مداداً، والقلوب سواداً، حتى صرَّح كثيرٌ من الناس منهم أنه ليس في القرآن والسنّة علم، وأن أدلتهما لفظية لا تفيد يقيناً ولا علماً. وصرخ الشيطان بهذه الكلمة فيهم، وأذن بها بين أظهرهم حتى أسمعهم دانيهم لقاصيهم؛ فانسلخت بها القلوب من العلم والإيمان كانسلاخ الحيَّة من قشرها، والثوب عن لابسه.

قال الإمام العلاّمة شمس الدين بن القيم: ولقد أخبرني بعض أصحابنا عن بعض أتباع أتباع تلاميذ هؤلاء أنه رآه يشتغل في بعض كتبهم ولم يحفظ القرآن، فقال له: لو حفظت القرآن أولاً كان أولى، فقال: وهل في القرآن علم!.

قال ابن القيم: وقال لي بعضُ أئمة هؤلاء: إنما نسمع الحديث لأجل البركة لا لنستفيد منه العلم لأن غيرنا قد كفانا هذه المؤونة فعمدتنا على ما فهموه وقرروه، ولا شك أن مَن كان هذا مبلغه من العلم فهو كما قال القائل:

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ... ونزلت بالبطحاء أبعد منزلِ

قال: وقال لي شيخنا مرَّةً في وصف هؤلاء: إنهم طافوا على أرباب المذاهب ففازوا بأخسِّ المطالب، ويكفيك دليلاً على أن هذا الذي عندهم ليس من عند الله، ما ترى فيه من التناقض والاختلاف ومصادمة بعضه لبعض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]. وهذا يدلُّ على أن ما كان من عنده سبحانه لا يختلف، وأن ما اختلف وتناقض فليس من عنده، وكيف تكون الآراء والخيالات وسوانح الأفكار ديناً يُدان به ويُحكم به على الله ورسوله، سبحانك هذا بهتان عظيم!.

وقد كان علم الصحابة الذي يتذاكرون فيه غير علوم هؤلاء المختلفين الخراصين كما حكى الحاكم في ترجمة أبي عبد الله البخاري، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا إنما يتذاكرون كتاب ربهم وسُنَّة نبيهم، ليس بينهم رأي ولا قياس. ولقد أحسن القائل:

---

(1) السوانح: الأفكار التي تعرض عفو الخاطر.

العلمُ قال الله قال رسولُه — قال الصحابةُ ليس بالتمويهِ
ما العلمُ نَصبك للخلاف سفاهةً — بين الرسول وبين رأي فقيهِ
كلا ولا جَحْدَ الصفات ونَفيَها — حذراً من التمثيل والتشبيهِ

ـ حقيقة الإيمان:

وأما الإيمان فأكثرُ الناس، أو كلُّهم، يدَّعونه ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: 103] وأكثر المؤمنين إنما عندهم إيمان مجمل. وأما الإيمان المفصل بما جاء به الرسول ﷺ معرفة وعلماً وإقراراً ومحبة ومعرفة بضدِّه وكراهيته، فهذا إيمان خواصِّ الأمة وخاصة الرسول، وهو إيمان الصدِّيق وحزبه.

وكثير من الناس حظهم من الإيمان الإقرار بوجود الصانع، وأنه وحده هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، وهذا لم يكن ينكره عُبَّادُ الأصنام من قريش ونحوهم. وآخرون الإيمان عندهم، هو التكلم بالشهادتين، سواء كان معه عمل أو لم يكن، وسواء وافق تصديق القلب أو خالفه.

وآخرون عندهم الإيمان مجرَّدُ تصديق القلب بأن الله سبحانه خالق السموات والأرض، وأن محمداً عبده ورسوله، وإن لم يُقِر بلسانه ولم يعمل شيئاً، بل ولو سَبَّ الله ورسولَه وأتى بكل عظيمة، وهو يعتقد وحدانية الله ونبوة رسوله فهو مؤمن.

وآخرون عندهم الإيمان، هو جَحدُ صفاتِ الرب تعالى: من علوِّه على عرشه، وتكلمه بكلماته وكتبه، وسمعه، وبصره، ومشيئته، وقدرته، وإرادته، وحُبِّه، وبُغضه، وغير ذلك مما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله. فالإيمان عندهم إنكار حقائق ذلك كله وجحدُه، والوقوفُ مع ما تقتضيه آراء المتهوكين[1]، وأفكار المخرصين، الذين يردُّ بعضُهم على بعض، وينقضُ بعضُهم قولَ بعض، الذين هم كما قال عمر بن الخطاب والإمام أحمد: مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مفارقة الكتاب.

وآخرون عندهم الإيمان عبادة الله بحكم أذواقهم ومواجيدهم، وما تهواه نفوسهم، من غير تقييد بما جاء به الرسول.

وآخرون الإيمان عندهم ما وجدوا عليه آباءهم وأسلافهم بحكم الاتفاق كائناً

(1) المتهوكون: هم الذين يقعون في الشيء بغير مبالاة.

ما كان، بل إيمانهم مبني على مقدمتين، إحداهما: أن هذا قول أسلافنا وآبائنا. والثانية: أن ما قالوه فهو الحق.

وآخرون عندهم الإيمان مكارم الأخلاق، وحسن المعاملة، وطلاقة الوجه، وإحسان الظن بكل أحد، وتخلية الناس وغفلاتهم.

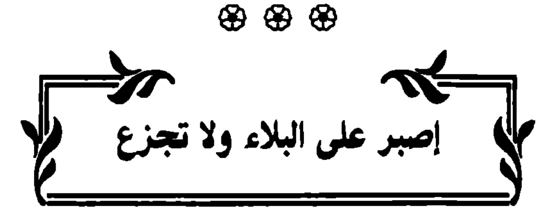
وآخرون عندهم الإيمان التجرُّد من الدنيا وعلائقها، وتفريغ القلب منها، والزهد فيها. فإذا رأوا رجلاً هكذا جعلوه من سادات أهل الإيمان، وإن كان منسلخاً من الإيمان علماً وعملاً.

وأعلى من هؤلاء مَن جعل الإيمان هو مجرد العلم وإن لم يقارنه عمل.

وكل هؤلاء لم يعرفوا حقيقة الإيمان، ولا قاموا به، ولا قام بهم، وهم أنواع: منهم مَن جعل الإيمان ما يضاد الإيمان، ومنهم مَن جعل الإيمان ما لا يعتبر في الإيمان، ومنهم مَن جعله ما هو شرط فيه ولا يكفي في حصوله، ومنهم مَن اشترط في ثبوته ما يناقضه ويضاده، ومنهم مَن اشترط فيه ما ليس منه بوجه.

والإيمان وراء ذلك كله، وهو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبةً وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان. وكماله في الحب في الله والبغض في الله، والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده. والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله. (ق).

❀ ❀ ❀



إصبر على البلاء ولا تجزع

قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: 10].

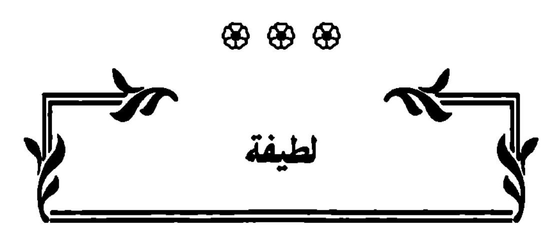
يقول الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: من نزلت به بلية، فأراد تمحيقها[1]، فليتصورها أكثر مما هي تهنْ. وليتخيل ثوابها وليتوهم نزول أعظم منها،

(1) تمحيقها: محوها وإزالتها. «لسان العرب» مادة (محق).

ير الربح في الاقتصار عليها. وليتلمح سرعة زوالها، فإنه لولا كرب الشدة، ما رجيت ساعات الراحة. وليعلم أن مدة مقامها عنده، كمدة مقام الضيف يتفقد حوائجه في كل لحظة، فيا سرعة انقضاء مقامه، ويا لذة مدائحه وبشره في المحافل، ووصف المضيف بالكرم.

فكذلك المؤمن في الشدة، ينبغي أن يراعي الساعات، ويتفقد فيها أحوال النفس، ويتلمح الجوارح، مخافة أن يبدو من اللسان كلمة، أو من القلب تسخط، فكأن قد لاح فجر الأجر، فانجاب ليل البلاء، ومدح الساري بقطع الدجى، فما طلعت شمس الجزاء، إلا وقد وصل إلى منزل السلامة.

❀ ❀ ❀



لطيفة

ـ قال بشر بن الحارث: أهل الآخرة ثلاثة: عابد، وزاهد، وصديق. فالعابد يعبد الله مع العلائق، والزاهد يعبده على ترك العلائق، والصديق يعبده على الرضا والموافقة، إنْ أراه أخذَ الدنيا أخذَها، وإن أراه تركَها تَرَكَها.

❀ ❀ ❀



السبيل إلى التوبة

هلمّ إلى الدخول على الله، ومجاورته في دار السلام، بلا نصب ولا تعب ولا عناء، بل من أقرب الطرق وأسهلها. وذلك أنك في وقت بين وقتين، وهو في الحقيقة عمرك، وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل. (ق).

❀ ❀ ❀

وقفة مع قول الله تعالى

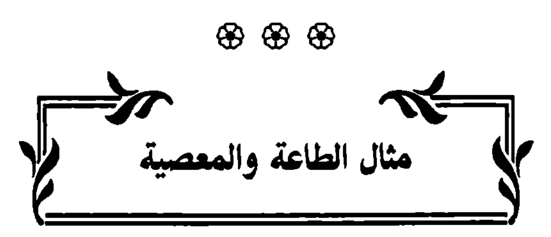
﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: 28]

يا مبارِزاً بالذنوب خُذ حذرك، وتوقَّ عِقابه بالتُّقى فقد أَنْذرِك، وخلِّ الهوى فإنه كما ترى صيَّرك، ة بل أن يغضب الإلهُ ويضيِّق حبسه، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾.

اجتهد في تَقْوية يقينك قبل خُسْر موازينك، وقُمْ بتضرعك وخِيفتك قبل نَشْر دواوينك، وابذُل قُواك في ضعفك ولينك، قبل أن يدنوَ العذابُ فتجدَ مَسَّه، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾.

لمَّا سَمِع المتيقظون هذا التحذير فتحوا أبواب القلوب لنزولِ الخوف، فأحزَنَ الأبدان وقلْقل الأرواح فعاشت اليقظةُ بموت الهوى، وارتفعت الغفلة بحلول الهَيْبة، وانهزم الكسَل بجيش الحذَر، فتهذَّبت الجوارح من الزَّلل والعزائم من الخلَل، فلا سكون للخائف ولا قرار للعارف، كلما ذكر العارف تقصيره ندِم على مُصابه، وإذا تصوَّر مصيرَه حَذِر مما في كتابه، وإذا خَطر العِتاب بِفنائه فالموت من عتابه، فهو رَهِين القَلق بمجموع أسبابه. (ج).

❁ ❁ ❁



مثال الطاعة والمعصية

مثال تولد الطاعة ونموّها وتزايدها، كمثل نواة غرستها، فصارت شجرة، ثم أثمرت، فأكلت ثمرها، وغرست نواها؛ فكلما أثمر منها شيء جنيت ثمره، وغرست نواه. وكذلك تداعي المعاصي. فليتدبر اللبيب هذا المثال؛ فمن ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها. (ق).

❁ ❁ ❁

النهي عن الزّنى

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 32]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ﴾ [الأنعام: 151] وَقَال تَعَالَى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: 68 ـ 70].

وروى البخاري (6782) ومسلم (57)، وغيرهما، من حديث عبد الله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا يَزنِي الزاني حِينَ يَزنِي وَهُوَ مُؤمِن، وَلا يَسرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسرِقُ وَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلا يَشرَبُ الخَمرَ حِينَ يَشرَبُهَا وَهُوَ مُؤمِن، وَلا يَنتَهِبُ نُهبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرفَعُ المُسلِمُونَ إِلَيهَا أَبصَارَهُم وَهُوَ حِينَ يَنتَهِبُهَا مُؤمِنٌ**».

وروى البخاري (6810) ومسلم (57/ 104)، وغيرهما، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**لا يَزني الزاني حِينَ يَزني وَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلا يَسرِقُ حِينَ يَسرِقُ وَهُوَ مُؤمِن، وَلا يَشرَبُ حِينَ يَشرَبُ وَهُوَ مُؤمِن، والتَّوبَةُ مَعرُوضَةٌ بَعدُ**».

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**» الحديث وفي رواية: «**ولا يغل أحدكم حين يغل وهو مؤمن**» وفي رواية: «**والتوبة معروضة بعد**». هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون إن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره، كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة.

وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر وغيره: «**ومن قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق**»، وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور أنهم بايعوه ﷺ على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا، إلى آخره، ثم قال لهم ﷺ: «**فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته، ومن**

فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى؛ إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه».

فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح، مع قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: 48] مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل، وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك، لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان، إن تابوا سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولاً، وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة. وكل هذه الأدلة تضطرنا إلى تأويل هذا الحديث وشبهه.

ثم إن هذا التأويل ظاهر سائغ في اللغة، مستعمل فيها كثيراً، وإذا ورد حديثان مختلفان ظاهراً وجب الجمع بينهما، وقد وردا هنا، فيجب الجمع، وقد جمعنا. وتأول بعض العلماء هذا الحديث على من فعل ذلك مستحلاً له، مع علمه بورود الشرع بتحريمه.

وقال الحسن وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري: ومعناه ينزع منه اسم المدح الذي يسمى به أولياء الله المؤمنين، ويستحق اسم الذم، فيقال سارق وزان وفاجر وفاسق. وحكي عن ابن عباس ﵄ أن معناه ينزع منه نور الإيمان، وفيه حديث مرفوع.

وقال المهلب: ينزع منه بصيرته في طاعة الله تعالى. وذهب الزهري إلى أن هذا الحديث وما أشبهه يؤمن بها ويمر على ما جاءت، ولا يخاض في معناها، وإنا لا نعلم معناها، وقال: أمّروها كما أمّرها من قبلكم. وقيل في معنى الحديث غير ما ذكرته مما ليس بظاهر، بل بعضها غلط، فتركتها، وهذه الأقوال التي ذكرتها في تأويله كلها محتملة. والصحيح في معنى الحديث ما قدمناه أولاً، والله أعلم.

وقوله ﷺ: «ولا ينتهب نهبة ذات شرف» النهبة، والنهبى: اسم لما ينتهب من المال، أي يؤخذ من غير قسمة ولا تقدير، يقول العرب: أنهب الرجل ماله فانتهبوه ونهبوه وناهبوه. قاله الجوهري: و«ذات شرف» أي ذات قدر ومالٍ ورفعةٍ. بخلاف التمرة والفلس وما لا خطر له.

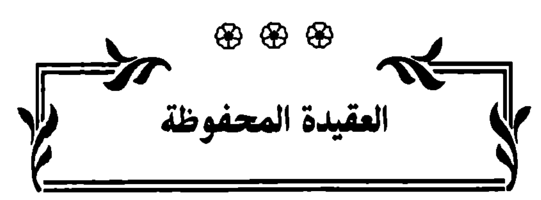
قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: ومقصود هذا الحديث: التنبيه على جميع أنواع المعاصي، والتحذير منها، فنبه بالزنى على جميع الشهوات المحرمة، كشهوة النظر، والكلام، والسمع، ولمس اليد، ونقل الخُطا إلى مثل تلك الشهوة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «زنى العينين النظر، وزنى اللسان الكلام، وزنى اليد

البطش، وزنى الرِّجل الخُطا، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»[1]، ونبه بالسرقة على اكتساب المال بالحيل الخفية، وبالنهب على اكتسابه على جهة الهجم والمغالبة، وبالغلول؛ على أخذه على جهة الخيانة، هذا ما أشار إليه بعض علمائنا.

قال: وهذا تنبيه لا يتمشى إلا بالمسامحة ـ يريد ما ذكره ثمة ـ قال: وأولى منه أن يقال: إن الحديث يتضمن التحذير عن ثلاثة أمور، وهي من أعظم أصول المفاسد، وأضدادها من أصول المصالح، وهي: استباحة الفُروج المحرَّمة، والأموال المحرّمة، وما يُؤدي إلى الإخلال بالعقول، وخصّ بالذكر أغلب الأوجه حرمةً التي يؤخذ بها مال الغير بغير الحق. . . والله تعالى أعلم.

وقوله ﷺ: **«والتوبة معروضة بعد»** قال القرطبي: هذا منه ﷺ إرشاد لمن وقع في كبيرة أو كبائر إلى الطريق التي بها يتخلص، وهي التوبة، ومعنى كونها **«معروضة»** أي عرضها الله تعالى على العباد، حيث أمرهم بها، وأوجبها عليهم، وأخبر عن نفسه أنه تعالى يقبلها، كل ذلك فضل من الله تعالى، ولُطفٌ بالعبد، لمَّا علم الله تعالى من ضعفه عن مقاومة الحوامل على المخالفات التي هي: النفس، والهوى، والشيطان الإنسي والجني، فلما عَلِمَ الله تعالى أنه يقع في المخالفات، رحمه بأدب أرشده إلى التوبة، فعرضها عليه، وأوجبها، وأخبر بقبولها. وأيضاً فإنه يجب على النُّصحاء أن يعرضوها على أهل المعاصي، ويُعرِّفونهم بها، ويوجبونهم عليها، وذلك كله لطفٌ متصل إلى طلوع الشمس من مغربها، أو إلى أن يغرغر العبد. واللّه تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀



العقيدة المحفوظة

اعلم أن شرعنا مضبوط الأصول، محروس القواعد، لا خلل فيه ولا دخل، وكذلك كل الشرائع، إنما الآفة تدخل من المبتدعين في الدين أو الجهال، مثل ما أثر عند النصارى حين رأوا إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام، فتأملوا! الفعل الخارق للعادة الذي لا يصلح للبشر، فنسبوا الفاعل إلى الإلهية، ولو تأملوا ذاته لعلموا أنها مركبة على النقائص والحاجات، وهذا القدر يكفي في عدم صلاح إلهيته، فيعلم حينئذ أن ما جرى على يديه فعل غيره.

---

(1) رواه البخاري (5509) ومسلم (1968).

-وقد يؤثر ذلك في الفروع، مثل ما روي أنه فرض على النصارى صوم شهر، فزادوا عشرين يوماً، ثم جعلوه في فصل من السنة بآرائهم.

ومن هذا الجنس تخبيط اليهود في الأصول والفروع، وقد قارب الضلال في أمتنا هذه المسالك، وإن كان عمومهم قد حفظ من الشرك والشك والخلاف الظاهر الشنيع، لأنهم أعقل الأمم وأفهمها، غير أن الشيطان قارب بهم، ولم يطمع في إغراقهم، وإن كان قد أغرق بعضهم في بحار الضلال، فمن ذلك أن الرسول ﷺ جاء بكتاب عزيز من الله ﷻ قيل في صفته: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]. وبين ما عساه يشكل مما يحتاج إلى بيانه بسنته كما قيل له: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44]. فقال بعد البيان: **«تركتكم على بيضاء نقية»**[1]، فجاء أقوام فلم يقنعوا بتبيينه، ولم يرضوا بطريقة أصحابه، فبحثوا ثم انقسموا.

فمنهم: من تعرض لما تعب الشرع في إثباته في القلوب فمحاه منها، فإن القرآن والحديث يثبتان الإله ﷻ بأوصاف تقرر وجوده في النفوس، كقوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64]، وقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: 39]، وقول النبي ﷺ: **«ينزل الله إلى السماء الدنيا»**[2] و**«يبسط يده لمسيء الليل والنهار»**[3] **ويضحك ويغضب**.

وكل هذه الأشياء وإن كان ظاهرها يوجب تخايل التشبيه فالمراد منها إثبات

---

(1) ـ جزء من حديث رواه الإمام أحمد (17141)، وغيره بإسناد حسن. من طريق عبد الرحمن بن عمرو السُّلمي أنه سمع العِرْباضَ بن سارية قال: وَعَظَنَا رسولُ اللّه ﷺ موعظةً ذَرَفَتْ منها العيونُ، وَوَجِلت منها القُلُوبُ، قلنا: يا رسول الله، إنَّ هذه لموعظةُ مُودعٍ، فماذا تعهدُ إلينا؟ قال: **«قَدْ تَرَكْتُكُم على البَيْضَاءِ لَيْلُها كَنَهَارِها لا يَزِيغُ عنها بَعْدِي إلا هالك، وَمَنْ يَعِشْ مِنكُم، فسَيَرى اخْتِلافاً كثِيراً، فَعَلَيْكُم بما عَرَفْتُم من سُنَّتِي وسُنَّةِ الخلفاءِ الرَّاشِدين المَهديين، وعَلَيْكُم بالطَاعَةِ، وإن عَبْداً حَبَشِيّاً عَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذ، فإنَّما المؤمِنُ كالجملِ الأنِفِ حَيْثُما انْقِيدَ انْقاد»**.

والجمل الأنف: هو الجمل مجروح الأنف، وهو لا يمتنع على قائده للوجع الذي به.

(2) قطعة من حديث متفق عليه. وسيأتي بتمامه.

(3) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد (19638) ومسلم (2759) من حديث أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«إن الله عزَّ وجل يبسط يده بالليل. ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»**.

موجود، فلما علم الشرع ما يطرق القلوب من التوهمات عند سماعها قطع ذلك بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11].

ثم إن هؤلاء القوم عادوا إلى القرآن الذي هو المعجز الأكبر. وقد قصد الشرع تقرير وجوده، فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر: 1]، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: 193]، ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [القلم: 44]، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنعام: 92] وأثبته في القلوب. بقوله تعالى: ﴿فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: 49] وفي المصاحف بقوله تعالى: ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: 22]، وقول الرسول ﷺ: **«لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو»**.

فقال قوم من هؤلاء: مخلوق، فأسقطوا حرمته من النفوس، وقالوا: لم ينزل ولا يتصور نزوله، وكيف تنفصل الصفة عن الموصوف، وليس في المصحف إلا حبر وورق؟ فعادوا على ما تحب الشارع في إثباته بالمحو، كما قالوا: إن الله ﷻ ليس في السماء، ولا يقال استوى على العرش، ولا ينزل إلى السماء الدنيا، بل ذاك رحمته، فمحوا من القلوب ما أريد إثباته فيها، وليس هذا مراد الشارع.

وجاء آخرون فلم يقفوا على ما حده الشارع، بل عملوا فيه بآرائهم فقالوا: الله على العرش، ولم يقنعوا بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54]. ودفن لهم أقوام من سلفهم دفائن، ووضعت لهم الملاحدة أحاديث، فلم يعلموا ما يجوز عليه مما لا يجوز، فأثبتوا بها صفات ـ جمهور الصحيح منها آت على توسع العرب ـ فأخذوا هم على الظاهر، فكانوا في ضرب المثل كجحا، فإن أمه قالت له: احفظ الباب، فقلعه ومشى به، فأخذ ما في الدار، فلامته أمه، فقال: إنما قلت احفظ الباب، وما قلت احفظ الدار.

ولما تخايلوا صورة عظيمة على العرش، أخذوا يتأولون ما ينافي وجودها على العرش، مثل قوله: **«ومن أتاني يمشي، أتيته هرولة»**[1]. فقالوا: ليس المراد به دنو الاقتراب، وإنما المراد قرب المنزل والحظ، . . . !

(1) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (7426) والبخاري (7405) ومسلم (2675) وغيرهم، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَقول اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنا عِندَ ظَنِّ عَبدِي بِي. وَأَنا مَعَهُ حِينَ يَذكُرُني. إِن ذَكَرَنِي فِي نَفسِهِ، ذَكَرتُهُ فِي نَفسِي. وَإِن ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ، ذَكَرتُهُ فِي مَلإٍ هُم خَيرٌ مِنهُم. وَإِن تَقَرَّبَ مِنِّي شِبراً، تَقَرَّبتُ إِلَيهِ ذِرَاعاً. وَإِن تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً، تَقَرَّبتُ مِنهُ بَاعاً. وَإِن أَتانِي يَمشِي، أَتَيتُهُ هَروَلَةً»**.

وإنما ذكرت بعض أقوالهم لئلا يسكن إلى شيء منها فالحذر من هؤلاء، فما لهم فقه ولا عبادة.

وإنما الطريق طريق السلف على أنني أقول لك: قد قال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه: من ضيق علم الرجل أن يقلد في دينه الرجال. فلا ينبغي أن تسمع من معظم في النفوس شيئاً في الأصول فتقلده فيه، ولو سمعت عن أحدهم ما لا يوافق الأصول الصحيحة فقل: هذا من الراوي، لأنه قد ثبت عن ذلك الإمام أنه لا يقول بشيء من رأيه، فلو قدرنا صحته عنه فإنه لا يقلد في الأصول ولا أبو بكر ولا عمر ـ رضي الله عنهما ـ فهذا أصل يجب البناء عليه فلا يهولنك ذكر معظم في النفوس.

وكان المقصود من شرح هذا أن ديننا سليم، وإنما أدخل أقوام فيه ما تأذينا به.

ولقد أدخل المتزهدون في الدين ما ينفر الناس منه، حتى إنهم يرون أفعالهم فيستبعدون الطريق، وأكثر أدلة هذا الطريق القصاص، فإن العامي إذا دخل إلى مجلسهم وهو لا يحسن الوضوء كلموه بدقائق الجنيد، وإشارات الشبلي، فرأى ذلك العامي أن الطريق الواضح لزوم زاوية، وترك الكسب للعائلة، ومناجاة الحق في خلوة على زعمه، مع كونه لا يعرف أركان الصلاة، ولا أدبه العلم، ولا قوم أخلاقه شيء من مخالطة العلماء، فلا يستفيد من خلوته إلا كما يستفيد الحمار من الاصطبل، فإن امتد عليه الزمان في تقلله زاد يبسه، فربما خايلت له الماليخوليا أشباحاً يظنهم الملائكة ثم يطأطئ رأسه، ويمد يده للتقبيل، فكم قد رأينا من أكار[1] ترك الزرع وقعد في زاوية، فصار إلى هذه الحالة فاستراح من تعبه، فلو قيل له عد مريضاً، قال: ما لي عادة. فلعن الله عادة تخالف الشريعة. فيرى العامة بما يورده هؤلاء القصاص أن طريق الشرع هذه، لا التي عليها الفقهاء، فيقعون في الضلال.

ومن المتزهدين من لا يبالي عمل بالشرع أم لا، ثم يتفاوت جهالهم، فمنهم من سلك مذهب الإباحة، ويقول: الشيخ لا يعارض، وينهمك في المعاصي.

ومنهم: من يحفظ ناموسه فيفتي بغير علم، لئلا يقال: الشيخ لا يدري.

ولقد حدثني الشيخ أبو حكيم رحمة الله عليه: أن الشريف الدحالي ـ وكان يقصد فيزار يتبرك به ـ حضر عنده يوماً فسئل أبو حكيم هل تحل المطلقة ثلاثاً إذا ولدت

(1) الأكار: الحرّاث.

ذكراً؟ قال: فقلت: لا والله. فقال لي الشريف: اسكت فوالله لقد أفتيت الناس بأنها تحل من ههنا إلى البصرة.

وحكى لي الشيخ أبو حكيم أن جد آذاد الحداد، وكان يتوسم بالعلم، جاءت إليه امرأة فزوجها من رجل ولم يسأل عن انقضاء العدة، فاعترضها الحاكم، وفرق بينها وبين الزوج، وأنكر على المزوج.

قال: فلقيته المرأة فقالت: يا سيدي، أنا امرأة لا أعلم فكيف زوجتني؟.

فقال: دعي حديثهم، ما أنت إلا طاهرة مطهرة.

وحدثني بعض الفقهاء عن رجل من العباد أنه كان يسجد للسهو سنين، ويقول: والله ما سهوت، ولكن أفعله احترازاً، فقال له الفقيه: قد بطلت صلاتك كلها لأنك زدت سجوداً غير مشروع.

ثم من الدخل الذي دخل ديننا طريق المتصوفة، فإنهم سلكوا طرقاً أكثرها تنافي الشريعة، وأهل التدين منهم يقللون ويخففون، وهذا ليس بشرع، حتى إن رجلاً كان قريباً من زماني يقال له كثير، دخل إلى جامع المنصور وقال: عاهدت الله عهداً ونقضته، فقد ألزمت نفسي أن لا تأكل أربعين يوماً، فحدثني من رآه أنه بقي عشرة أيام ثم في العشر الرابع، أشرف على الموت.

قال: فما انقضت حتى تفرغ، فصب في حلقه ماء فسمعنا له نشيشاً كنشيش المقلاة ثم مات بعد أيام. فانظروا إلى هذا المسكين وما فعله به جهله.

ومنهم من فسح لنفسه في كل ما يحب من التنعم واللذات، واقتنع من التصوف بالقميص والفوطة والعمامة اللطيفة، ولم ينظر من أين يأكل ولا من أين يشرب، وخالط الأمراء من أرباب الدنيا، ولبس الحرير، وشرب الخمور، حفظاً لماله وجاهه.

ومنهم أقوام عملوا سنناً لهم تلقوها من كلمات أكثرها لا يثبت، ومنهم من أكب على سماع الغناء والرقص واللعب ثم انقسم هؤلاء، فمنهم من يدعي العشق فيه، ومنهم من يقول بالحلول، ومنهم يسمع على وجه الهوى واللعب، وكلا الطريقين يفسد العوام الفساد العام، وهذا الشرح يطول. وقد صنفت كتباً ترى فيها البسط الحسن إن شاء الله تعالى، منها «تلبيس إبليس».

والمقصود أن تعلم أن الشرع تام كامل، فإن رزقت فهماً له فأنت تتبع الرسول ﷺ وأصحابه، وتترك بنيات الطريق، ولا تقلد في دينك الرجال، فإن فعلت فإنك لا تحتاج إلى وصية أخرى، واحذر جمود النقلة، وانبساط المتكلمين، وجموع المتزهدين، وشره

أهل الهوى، ووقوف العلماء على صورة العلم من غير عمل، وعمل المتعبدين بغير علم، ومن أيده الله تعالى بلطفه، رزقه الفهم، وأخرجه عن ربقة التقليد، وجعله أمة وحده في زمانه، لا يبالي بمن عبث، ولا يلتفت إلى من لام، قد سلم زمامه إلى دليل واضح السبيل. عصمنا الله وإياكم من تقليد المعظمين، وألهمنا اتباع الرسول ﷺ، فإنه درة الوجود، ومقصود الكون، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ورزقنا اتِّباعه مع أتباعه. (ابن الجوزي).

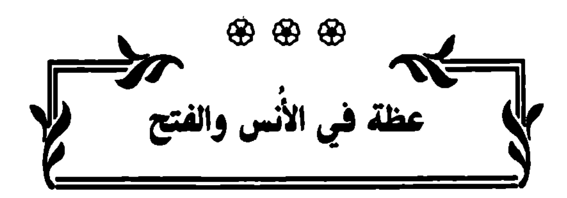
❀ ❀ ❀

مُعجزة نبوية

روى الإمام أحمد (13867) والبخاري (932) ومسلم (897)، وغيرهم من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ أنَّ الناسَ قالوا: يا رسولَ الله، هَلك المالُ، أَقْحَطْنا يا رسولَ الله، وهلَكَ المالُ، فَاسْتَسقِ لنا. فقام يومَ الجُمُعةِ وهو على المِنْبَر فَاسْتَسْقَى ـ ووَصَفَ حمادٌ: بَسَطَ يديهِ حِيَالَ صَدْرِه، وبَطْنُ كَفَّيه مما يَلِي الأرضَ ـ وما في السَّماءِ قَزَعَةٌ، فما انصرفَ حتى أَهمَّتِ الشابَّ القويَّ نفسُه أن يَرْجِعَ إلى أهلِه، فمُطِرْنا إلى الجمعةِ الأخرى، فقالوا: يا رسولَ الله، تَهَدَّمَ البُنْيانُ، وانْقَطَعَ الرُّكْبانُ، ادْعُ اللهَ أن يَكْشِطَها عنَّا. فضَحِكَ رسولُ الله ﷺ وقال: «اللهُمَّ حَوَالَيْنا ولا عَلَينا». فَانْجابَتْ حتى كانت المدينةُ كأنها في إكليلٍ. لفظ أحمد.

وحماد: أحد رواة الحديث. وقوله: فانجابت: أي انجمعت السُّحُب وتَقَبَّضَ بعضها إلى بعض، وانكشفت عن المدينة المنورة. «النهاية».

❀ ❀ ❀



عظة في الأُنس والفتح

مَن فقدَ أنسه بين الناس، ووجده في الوحدة، فهو صادق ضعيف.

ومَن وجده بين الناس، وفَقَدَه في الخلوة، فهو معلول.

ومَن فقده بين الناس، وفي الخلوة، فهو ميت مطرود.

ومَن وجده في الخلوة، وفي الناس، فهو المحب الصادق القوي في حاله.

ومَن كان فتحه في الخلوة لم يكن مزيده إلا منها.

ومَن كان فتحه بين الناس ونصحهم وإرشادهم كان مزيده معهم.

ومَن كان فتحه في وقوفه مع مراد الله حيث أقامه وفي أي شيء استعمله كان مزيده في خبرته ومع الناس.

فأشرف الأحوال أن لا تختار لنفسك حالة سوى ما يختاره لك ويقيمك فيه؛ فكن مع مراده منك، ولا تكن مع مرادك منه. (ابن القيم).

❀ ❀ ❀



أنواع الكِبرِ وعواقبه

إن من أقبح ما يتصف به المرء ـ مهما علَت رتبته، أو تدنّت منزلته ـ الكبر. فهي صفة يختص به المولى جل وعلا دون خَلْقِه. فمن نازعه عليها قصمه.

ففي «الصحيح» من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله عزَّ وجلّ؛ الكبرياءُ ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، قذفته في النار»**.

والكبر أنواعه كثيرة، وعواقبه وخيمة، فمن ابتلي به، فليس أمامه إلاَّ الهلاك في الدنيا. والنار في الآخرة. ـ عاذنا الله تعالى من كل ذلك ـ

يقول الشيخ العلامة أحمد بن حجر الهيثمي ـ رحمه الله تعالى ـ يُعدد أنواع الكبر: قال منها: الكبر إما على الله تعالى وهو أفحش أنواع الكبر: ككبر فرعون ونمرود حيث استنكفا أن يكونا عبدين له تعالى وادعيا الربوبية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أي صاغرين ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾ [النساء: 172] وإما على رسوله بأن يمتنع من الانقياد له تكبراً جهلاً وعناداً كما حكى الله ذلك عن كفار مكة وغيرهم من الأمم، وإما على العباد بأن يستعظم نفسه ويحتقر غيره ويزدريه فيأبى على الانقياد له أو يترفع عليه ويأنف من مساواته، وهذا وإن كان دون الأولين إلا أنه عظيم إثمه أيضاً لأن الكبرياء والعظمة إنما يلقيان بالملك القادر القوي المتين دون العبد العاجز الضعيف، فتكبُّره فيه منازعة لله في صفة لا تليق إلا بجلاله، فهو كعبد أخذ تاج ملك وجلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت وأقرب استعجال المخزي.

ومن ثم قال تعالى كما مر في الحديث: إن من نازعه العظمة والكبرياء أهلكه، أي لأنهما من صفاته الخاصة به تعالى، فالمنازع فيهما منازع في بعض صفاته تعالى؛ وأيضاً فالتكبر على عباده لا يليق إلا به تبارك وتعالى، فمن تكبر عليهم فقد جنى عليه إذ من استدل خواصّ غلمان الملك منازع له في بعض أمره وإن لم يبلغ قبح من أراد الجلوس على سريره، ومن لازم هذا الكبر بنوعيه مخالفة أوامر الحق، لأن المتكبر ـ ومنه المتجادلون في مسائل الدين بالهوى والتعصب ـ تأبى نفسه من قبول ما سمعه من غيره وإن اتضح سبيله، بل يدعوه كبره إلى المبالغة في تزييفه وإظهار إبطاله، فهو على حد قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: 206].

وقال ابن مسعود: كفى بالرجل إثماً إذا قيل له: اتق الله أن يقول؛ عليك بنفسك. وقال ﷺ لرجل: «كل بيمينك» فقال متكبراً لا أستطيع، فَشُلَّت يده فلم يرفعها بعد. فإذن التكبر على الخلق يدعو إلى التكبر على الخالق، ألا ترى أن إبليس لما تكبر على آدم وحسده بقوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [ص: 76] جره ذلك إلى التكبر على الله لمخالفة أمره فهلك هلاكاً مؤبداً، ومن ثم جعل ﷺ من علامة الكبر بطر الحق أي رده.

وغمط الناس: أي احتقارهم وازدراؤهم؛ ثم الحامل على التكبر هو اعتقاد كمال تميزه على الغير بعلم أو عمل أو نسب أو مال أو جمال أو جاه أو قوة أو كثرة أتباع، فالتكبر أسرع إلى العلماء الذين لم يمنحوا نور التوفيق منه إلى غيرهم، لأن الواحد منهم يرى غيره بالنسبة إليه كالبهيمة فيقصر في حقوقه التي طلبها الشارع منه كالسلام والعيادة والبشر، ويطلب منه أن لا يخل بشيء من حقوقه لمحبته الترفع عليه، وفاعل ذلك أجهل الجاهلين لأنه جهل مقدار نفسه وربه وخطر الخاتمة وعكس الموضوع، إذ من شأن العلم أن يوجب مزيد الخوف والتواضع لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في شكر نعمته، لكن سبب ذلك علمه إما يرجع إلى الدنيا أو لأنه لم يخلص النية فيه فخاض فيه على غير وجهه فأنتج له تلك القبائح، وكذلك العلماء الذين ظهرت عليهم سيماء الصالحين يسرع إليهم الكبر.

لكن الناس يترددون إليهم بقضاء مآربهم والمبالغة في إكرامهم فيرون حينئذٍ أنهم أرفع وأحق بأن يكون الناس دونهم لعدم وصولهم إلى صور أعمالهم، وما دروا أن ذلك ربما يكون سبباً لسلبهم.

فالجاهل العامي إذا تواضع وذل هيبة لله وخوفاً منه فقد أطاع بقلبه فهو أطوع من العالم المتكبر والعابد المعجب.

وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعض العباد إلى أنه إذا أوذي يتوعد مؤذيه ويقول سترون ما يحل به، وإذا نكب مؤذيه يعد ذلك من كراماته لعظم قدر نفسه عنده واستيلاء الجهل عليه لجمعه بين العجب والكبر والاغترار بالله تعالى. وقد قتل جماعة الأنبياء وماتوا من غير أن يعاجلوا بعقاب في الدنيا فما مرتبة هذا الجاهل؟ وإذا اتضح لك كبر هذين النوعين اللذين هما في الظاهر عليهما معوّل الدين والدنيا اتضح لك كبر البقية من ذوي الأموال والجاه وغيرهم.

فالمتكبر بالنسب قد يرى من ليس كنسبه مثل عبده، وكذا بالجَمال وأكثر ما يجري بين النساء ونحوهن، وكذا بالمال كما هو مشاهد بين أرباب الدنيا من المناصب والمتاجر وغيرها، وكذا بالأتباع والجند وأكثر ما يجري بين الملوك؛ ومما يهيج الكبر ويسعر ناره العجب والحقد والحسد والرياء إذ التكبر خلق باطني لأنه استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وموجبه الحقيقي هو العجب وحده كما يعلم مما يأتي في معناه: من أعجب بشيء من علمه أو عمله أو غيرهما مما مر استعظم نفسه وتكبر وتمرد وتجبر. وأما غير العجب مما ذكرنا فإنما هو سبب للتكبر الظاهر لأن باعثه على التكبر عليه هو الحقد والحسد وعلى غيره هو الرياء.

ومنها: يتعين على كل إنسان أراد الخلاص من ورطة الكبر وثمرته القبيحة ـ إن هو من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه، وإزالته فرض عين وهي لا تمكن بمجرد التمني بل بالمعالجة باستعمال أدويته النافعة في إزالته من أصله ـ أن يعرف نفسه حق المعرفة بأن يتأمل ما أشار إلى بدايته من أذل الأشياء وأحقرها وأقذرها وهو التراب ثم المني وسطه من التأهل لاكتساب العلوم والمعارف وحيازة المناصب والمراتب ونهايته إلى الزوال والفناء والعود إلى مثل بدايته ثم إعادته إلى ذلك الموقف الأكبر ثم إلى الجنة أو إلى النار.

ومن أظهر ما أشار لكل ذلك قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس: 17 ـ 24] إلى آخر السورة. وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: 1].

فمن تأمل ذلك ونظائره وما أشارت إليه الآيات علم أنه أذل وأحقر من كل ذليل وحقير، وأنه لا تليق به إلا الذلة والتواضع وأن يعرف ربه سبحانه ليعلم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا به تعالى، بخلاف نفسه فإنه لا يليق به الفرح لحظة واحدة، فكيف البطر والخيلاء بعد أن ظهر له مبدأ أمره ووسطه، ولو ظهر له آخره والعياذ بالله ربما اختار أن يكون بهيمة ولو كلباً، سِيَّما إن كان في علم الله أنه من أهل النار، ولو رأى أهل الدنيا صورة من صور أهل النار لصعقوا من قبحها وماتوا من نتنها، فمن هذا عاقبته ـ إلا أن يعفو الله عنه وهو على شك في العفو ـ كيف يتكبر ويرى نفسه شيئاً، وأي عبد لم يذنب ذنباً يستحق به عقوبة الله إلا أن يعفو عنه الكريم بفضله.

ومن تأمل ما ذكرناه حقيقة التأمل زال عنه النظر إلى علمه وعمله ومنصبه وجاهه، وماله، وفر إلى الله من كل شيء وتواضع له وعلم أنه أحقر وأذل من كل شيء، كيف وهو يجوز أن يكون عند الله شقياً؟

لطيفة: روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (22/ 199، 200) بإسناده، عن محمد بن بكر بن عبد الرزاق، قال: كان لأبي داود السجستاني ـ صاحب السنن ـ كم واسع وكم ضيق. فقيل له: يرحمك الله ما هذا؟ قال: الواسع للكتب، والآخر لا يحتاج إليه. اهـ.

أقول: فما شأن مشايخنا اليوم؟ فوالله ما أرى منهم إلا العجب العجاب! هدانا الله تعالى وإياهم.

❀ ❀ ❀

فيمن مات وفي قلبه شيء من الكبر

روى الإمام أحمد (7035)، بإسناد صحيح على شرط البخاري، من طريق إبراهيم بن أبي عَبلَة العُقَيلِي، من أهل بيت المقدس، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: قال التَقَى عبدُ الله بن عُمَر وعبد الله بن عمرو بن العاصي على المَروَة، فتحدثا، ثم مَضَى عبد الله بن عمرو، وبقي عبد الله بن عمر يبكي، فقال له رجل: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هذا ـ يعني: عبد الله بن عمرو ـ، زَعَم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَن كَانَ في قَلْبِهِ مثقالُ حبةٍ من خردلٍ من كِبْرٍ، أَكَبَّه الله على وجهه في النار».

❀ ❀ ❀

فضل «لا إله إلا الله» عند الموت

«لا إله إلا الله» كلمة أثقل في الميزان عند الله تعالى، من السموات السبع، والأراضين. وهنيئاً لمن عاش معها ولها، ومات عليها.

فهي مفتاح الجنة، وسر سعادة الدارين، لأجلها بعث الله عزَّ وجل النبيين والمرسلين، ولأجلها قامت السموات والأراضين. من مات على غيرها أبدً في النيران. ومن عانقها حتى مماته فُتحت له أبواب الجنان. ووجبت له جنة النعيم والخلود فيها.

وها هو معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ يقول وهو على فراش مرضه الأخير: قد سمعتُ من رسول الله ﷺ شيئاً كنت أكتمكموه. سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، وجبت له الجنّة»**.

قال ابن القيم: لشهادة **«أن لا إله إلا الله»** عند الموت تأثير عظيم في تكفير السيئات وإحباطها؛ لأنها شهادة من عبد موقن بها عارف بمضمونها، قد ماتت منه الشهوات، ولانت نفسُه المتمردة، وانقادت بعد إبائها واستعصائها، وأقبلت بعد إعراضها، وذلّت بعد عزِّها، وخرج منها حرصُها على الدنيا وفضولها، واستخذَت[1] بين يَدَيّ ربها وفاطرها ومولاها الحق أذلَّ ما كانت له، وأرْجَى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته، وتجرَّد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقق بطلانه؛ فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة بها، واجتمع همها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه؛ فوجَّه العبد وجهَهُ بكليته إليه، وأقبل بقلبه وروحه وهمه عليه؛ فاستسلم وحده ظاهراً وباطناً، واستوى سره وعلانيته فقال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه. وقد تخلّص قلبُه من التعلق بغيره والالتفات إلى ما سواه، قد خرجت الدنيا كلها من قلبه، وشارف القدوم على ربه، وخمدت نيرانُ شهوته، وامتلأ قلبه من الآخرة فصارت نصب عينيه، وصارت الدنيا وراء ظهره، فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله؛ فطهَّرَته من ذنوبه، وأدخلَتْهُ على ربِّه؛ لأنه لقي ربَّه بشهادة صادقة خالصة، وافق ظاهرها باطنَها، وسرُّها علانيتَها.

فلو حصلت له الشهادة على هذا الوجه في أيام الصحة، لاستوحش من الدنيا وأهلها، وفرَّ إلى الله من الناس، وأنِسَ به دون ما سواه، لكنه شهد بها بقلبٍ مشحونٍ

(1) استخذت: ذلّت وخضعت.

بالشهواتِ وحُبِّ الحياة وأسبابها، ونفسٍ مملوءةٍ بطلب الحظوظ والالتفات إلى غير الله. فلو تجرّدَت كتجرُّدها عند الموت، لكان لها نبأ آخر، وعيش آخر سوى عيش البهيمي. والله المستعان.

أقول: وقد روى الإمام أحمد (21998) والشاشي (1336) والبزار (2629)، وغيرهم، بإسناد حسن، من طريق إسماعيل بن علية، قال: حدثنا يونُس، عن حُميدِ بنِ هلال، عن هِصَّان بن الكاهِل، قال:

دخلتُ المَسجدَ الجامعَ بالبصرةِ، فجلستُ إلى شيخٍ أبيضِ الرأسِ واللحيةِ، فقال: حدثني معاذُ بن جبل، عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال: «**ما مِن نَفْسٍ تَموتُ وهي تَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله، وأنّي رسولُ الله، يرْجِعُ ذاكَ إلى قَلْبٍ مُوقِنٍ، إلا غَفَرَ الله لها**» قلت له: أنت سمعتَه مِن معاذ؟ فكأن القومَ عَنَّفوني، قال: لا تُعَنِّفُوه، ولا تُؤَنِّبوه، دعوه، نعم أنا سمعتُ ذاكَ مِن معاذٍ، يَذْبُرُه عن رسولِ اللهِ ﷺ - وقال إسماعيلُ مرةً: يأثُره عن رسولِ اللهِ ﷺ - قال: قلتُ لبَعضِهم: مَن هذا؟ قال: هذا عبد الرحمن بن سَمُرَةَ.

وقوله: يَذْبُره عن رسول الله ﷺ: أي: يُتقنه. والذابر: المُتقن.



الأمر كله أوله وآخره بيد الله العظيم. فماذا تمتلك من أمر نفسك

﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران: 128]، خطابٌ من الله تعالى، لأفضل الخلق، وأقربهم عند الله تعالى. رسول الله عليه من الله عزَّ وجلّ، أفضل الصلاة، وأتمُّ التسليم.

يقول ابن القيم: ماذا يملك مِن أمره من ناصيته بيد الله، ونفسه بيده، وقلبه بين إصبعين من أصابعه يقلبه كيف يشاء، وحياته بيده، وموته بيده، وسعادته بيده، وشقاوته بيده وحركاته وسكناته وأقواله وأفعاله بإذنه ومشيئته. فلا يتحرك إلا بإذنه، ولا يفعل إلا بمشيئته. إنْ وكله إلى نفسه وكله إلى عجز وضيعة وتفريط وذنب وخطيئة. وإن وكله إلى غيره وكله إلى مَنْ لا يملك له ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. وإن تخلى عنه استولى عليه عدوّه وجعله أسيراً له.

الجماع ومقدماته

قال ابن ميمون:

وَكَـونُـهُ بَـعـدَ نَـشـاطٍ يَـا فَـتـى ... وَخِـفَّـةَ الأعـضَـاءِ وهـم ثَـبَـتَـا

قال الإدريسي: أخبر رحمه الله؛ أن من آداب الجماع أن يكون بعد مقدماته، من ملاعبة، وتقبيل، حتى تنشط النفس إليه. لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يقع أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، وليكن بينهما رسول**» قيل: وما الرسول؟ قال: «**القبلة والكلام**».

ومن آدابه؛ أن يكون عقب خفة البطن والأعضاء، لأن في الجماع على الامتلاء ضرراً كثيراً، ويهيج أوجاع المفاصل، وغيرها. فليتق ذلك من أراد حفظ الصحة على نفسه. ويقال. ثلاثة ربما قتلت: الجماع على الجوع، وعلى الشبع وبعد أكل القديد اليابس ـ أي اللحم المملح والمجفف بالشمس ـ قال ابن ميمون:

واحذَر من الجِمَاعِ في حَالِ الظَّما ... والـجُـوعِ صَاحِ هَـاكَـهُ مـنَـظَّـمَـا

والـغَـيـظَ والـفَـرَحِ كَـذلِـكَ وَرَدَا ... والـشَـبـعِ والـسَّـهـرِ كَـذاك مُـسـنَـداً

والـقَـيءُ والإسـهَـالِ فـي الـنَّـظَـامِ ... كَـذا خـروجُـكَ مـن الـحـمَّـامِ

أو قَـبـلَـهُ كَـالـتَّـعـب والـحِـجَـامَـةِ ... فَـعُـوا وحَـقِّـقُـوا بـلا مَـلامَـة

قال الإدريسي: فأخبر رحمه الله؛ أن الجماع يحذر منه في حال العطش والجوع، والغيظ، لأنه يُسقط القوة كما قال الرازي. وفي حال الفرح المفرط لأنه يورث الغشا ـ أي الغشيان. وفي حال الشبع، لأنه يورث أوجاع المفاصل، وكذا عقب السهر، والهم، لأنه يُسقط القوة، وكذا يحذر أن يكون قبله قيءٌ، أو إسهالٌ، أو تعب، أو خروج دم، أو عَرَقٍ، أو بولٍ كثير، أو ضرب من ضروب الاستفراغات، لأنه مُضر، كما قاله الرازي أيضاً.

وكذا يحذر منه بعد الخروج من الحمام، لأنه يملأ الرأس ضرراً أو قبله، لأنه يسقط القوة. والله أعلم.

❀ ❀ ❀

رسول الله ﷺ وعشرته للسيدة عائشة رضي الله عنها

روى مسلم (305) وغيره، عن السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع فيَّ، فيشرب، وأتعرَّقُ العَرقَ وأنا حائض، ثم أناولهُ النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع فيَّ[1].

والعرق ـ بفتح العين، وإسكان الراء ـ: هو العظم الذي عليه بقية من لحم. يُقال: عرقت العظم، واعترقته: إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك.

وفي «الصحيح» أنها رضي الله عنها قالت: كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحدٍ، كلانا جنبٌ.

قالت: وكان يأمرني فأتَّزِر[2] فيباشرني وأنا حائض.

قالت: وكان يخرج رأسه إلي وهو معتكف، فأغسله، وأنا حائض.

وقالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضاً، فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها، أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها. قالت: وأيكم يملك إربه كما كان النبي ﷺ يملك إربه[3]؟

وقالت: إن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري، وأنا حائض ثم يقرأ القُرآن[4].
وقالت: كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إِنَاءٍ بيني وبينه واحد، فيبادرني حتى أقول: دع لي، دع لي[5]

وروى البخاري (5666) وغيره من طريق القاسم بن محمد قال: قالت عائشة: وارأساهُ.

---

(1) ورواه أبو داود (259) والنسائي (70) وابن ماجه (643) وغيرهم.
(2) فأتزر ـ أي ارتدي أزاري، والإزار ثوب معروف يستر السرة وما تحتها حتى الساقين.
(3) البخاري (299 ـ 300 ـ 301 ـ 302) مسلم (294) و(297) و(293).
(4) البخاري (297) مسلم (301).
(5) البخاري (261) مسلم (321/ 46). وروى أحمد (25045/ 9) بإسناد على شرطهما، عنها رضي الله عنها، قالت: أنها كانت تغتسل هي ورسول الله ﷺ من إناء واحد، يغرف قبلها، وتغرف قبله. وأخرجه البخاري (250) وغيره من طرق.

فقال رسول الله ﷺ: «ذاك لو كان وأنا حيٌّ فأستغفر لك وأدعو لك» فقالت عائشة: واثكلياه. والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذاك لظللتَ آخر يومك مُعرِّساً ببعض أزواجك!

فقال النبي ﷺ: «بل، أنا وارأساه. لقد هممت ـ أو ـ أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، فأعهد أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون».

ثم قلتُ: يأبى الله ويدفع المؤمنون ـ أو ـ يدفع الله ويأبى المؤمنون.

قال الحافظ في «الفتح»: وفي الحديث ما طبعت عليه المرأة من الغيرة، وفيه مداعبة الرجل أهله والإفضاء إليهم بما يستره عن غيرهم. وفيه أن ذكر الوجع ليس بشكاية، فكم من ساكت وهو ساخط، وكم من شاكٍ وهو راضٍ، فالمعول في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان. والله أعلم.

وروى البخاري (949 ـ 950)، عنها ﵂ قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ، وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاثٍ. فاضطجع على الفراش، وحوَّلَ وجهه.

ودخل أبو بكر، فانتهرني وقال: مِزمارة الشيطان عند النبي ﷺ! فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: «دعهما».

فلما غَفِلَ غمزتهما، فخرجتا.

قالت: وكان يوم عيد يلعب السودان، بالدَّرَقِ والحِراب. فإما سألتُ النبي ﷺ وإما قال: «أتشتهين تنظرين»؟

فقلت: نعم. فأقامني وراءه. خدي على خده، وهو يقول: «دُونكم يا بني أرفدة». حتى إذا مَلِلتُ قال: «حَسبُكِ»؟ قلت: نعم. قال: «فاذهبي».

والدرق ـ جمع درقة ـ وهي الترس.

قال الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم بعاث: يوم مشهور من أيام العرب، كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس على الخزرج.

وقد جاء في إحدى روايات البخاري (454) من طريق عروة بن الزبير، أن عائشة قالت: لقد رأيت رسول الله ﷺ يوماً على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه، أنظر إلى لعبهم.

وروى البخاري (5228) ومسلم (2439)، من طريق هشام، عن أبيه، عن عائشة ﵂، قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليَّ غضبى**»!

قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟

قال: «**أمَّا إذا كُنتِ عني راضيةً، فإنكِ تقولين: لا، وربُّ محمدٍ! وإذا كُنتِ غَضبى، قُلتِ: لا، وربُّ إبراهيمَ**».

قَالت: قُلتُ: أجل، والله يا رسولَ الله، ما أَهجُرُ إلا اسمك.

لطيفة: روى البخاري (4789) ومسلم (1476) وغيرهما، من طريق معاذة، عن السيدة عائشة ﵂؛ أن رَسُولَ الله ﷺ كان يستأذِنُ في يوم المرأةِ منا بَعدَ أن أُنزِلَت هـذه الآيـة ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾ [الأحزاب: 51] فقلتُ لها: مَا كُنت تَقُولينَ؟

قَالَت: كُنتُ أقولُ لَهُ: إن كان ذاكَ إِلَيَّ فَإِنِّي لاَ أُريدُ يا رَسُولَ الله أن أُوثِرَ عَليك.

❀ ❀ ❀



واهاً لريح الجنة

الشهادة في سبيل الله العظيم، أسمى ما يتمنى المرء المسلم. فكم هي الحياة رخيصة في سبيل إرضاء الله تعالى، ولتكون كلمة الله تعالى هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 154].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 169 ـ 171].

وها هو بطل من أبطال المسلمين، من الذين صدقوا ما عاهدوا الله تعالى، يروي لنا قصة طلبه للشهادة، وكيف كان استشهادُ، أنس بن مالك ـ ﵁ ـ حيث قال: عَمِّيَ الذِي سُمِّيتُ بهِ لمْ يَشهدْ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ بَدْراً. قَالَ: فَشَقَّ عليْهِ. قَالَ: أَوَّلُ مَشهدٍ

شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ غُيِّبْتُ عَنهُ. وَإِن أَرَانِيَ اللهُ مَشهداً، فِيما بَعدُ، معَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَيَرَانِيَ اللهُ مَا أصنعُ. قَالَ: فَهَابَ أنْ يَقُولَ غَيْرَهَا. قَالَ: فَشهِدَ معَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ.

قَالَ: فَاستقْبلَ سعدُ بْنُ مُعَاذٍ. فَقَالَ لَهُ أَنسٌ: يَا أَبَا عمرو! أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهاً لِرِيحِ الجنَّةِ. أجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ. قَالَ: فَقَاتَلَهمُ حتَّى قُتِلَ. قَالَ: فَوُجِدَ فِي جسدِهِ بِضعٌ وَثمانُونَ. مِنْ بينِ ضَربةٍ وَطَعنَةٍ وَرَميةٍ. قَالَ فَقالَت أُختهُ، عمَّتي الرُّبَيِّعُ بنْتُ النَّضرُ: فَما عَرَفتُ أَخِي إلاَّ بِبنانِهِ. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23] قَالَ: فَكَانُوا يُروْنَ أَنَّهَا نَزَلت فيهِ وفي أصحابِهِ[1].

أين الملوك والقصور؟

أين من لعب ولها، أين من غفل وسَها، دهاَه أفظع ما دهى، وحُطَّ رُكنه فوهى، ذهبت لذةُ ذنوبه وحُبس بها، نظر في عاجله ونسي المنتهى.

نادِي القُصورَ التي أقوَتْ معالمها	أين الجسُوم التي طابتْ مَطاَعمها
أين الملوكُ وأبناء الملوك ومن	ألهاه ناضِرُ هنياه وناعِمُها
أين الأسودُ التي كانت تحاذِرها	أُسد العرين ومن خوفٍ تُسالِمها
أين الجيوشُ التي كانت لو اعترضتْ	لها العُقاب لخانتها قوادِمُهاَ
أين الحِجاب ومن كان الحجاب له	وأين رُتبته الكبرَى وخادِمُها
أين الذين لهوْا عمَّا له خُلقوا	كما لَهت في مراعيها سوائِمُها
أين البيوتُ التي من عسجدٍ نُسجت	هل الدنانير أغنَتْ أم دراهمها

(1) أخرجه أحمد (13014) ومسلم (1903) والترمذي (3200) والواحدي في «أسباب النزول» (692) وأخرجه من طرق عن حميد عن أنس، أحمد (13083) والبخاري (2805) والترمذي (3201) وابن أبي شيبة (14/ 495) والنسائي في «الكبرى» (11403/ 6) والبيهقي (9/ 43/ 44) وأخرجه من طرق عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، ابن حبان (4772) وأخرجه البخاري (4783) والواحدي (693) من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة، عن أنس مختصراً.

أيـن الأسـرّة تـعـلـوهـا ضَـراغـمـهـا ... هـل الأسِـرَّة أغـنَـتْ أم ضـراغـمـهـا
هـذِي الـمعـاَقِـلُ كـانـت قـبـلُ عـاصـمـةً ... ولا يـرَى عِـصَـم الـمـغـرور عـاصـمُـهـا
أين الـعـيـونُ الـتـي نـامـتْ فـمـا انـتـبـهـت ... واهـاً لـهـا نـومـةً مـا هـبَّ نـائـمُـهـا

❁ ❁ ❁

هل البوم (الهامة) طائر الشوم؟

ورد في المثل: اتْبَع البُومَ يَدُلُّكَ على الخَرَاب. ومن أسَاطير العربِ قَبْلَ الإسْلام أنَه ليسَ مِن مَيِّتٍ يموت ولا قَتِيْل يُقْتلُ إلاً وَتَخْرُجُ مِن رَأسِهِ هامةٌ فإن كَانَ قُتِلَ وَلَم يُؤْخَذ بِثَأره نادتِ الهامَةُ على قَبْرِه اسْقُوني فَإنِّي صَدِيَّةٌ.

وكانَت العربُ تَنْظُرُ إلى البوم على أنَّه طائِرُ الشُّؤم وتَتَشَاءم بِهِ، وَهُنا قِصَّةٌ مشهورةٌ رُويَت عَن المَأمُونِ:

أشرفَ الخليفةُ المأمونُ يوماً من قصره فَرَأى رجلاً قائِماً وبيده فَحْمَة يكتُبُ بِها على حَائِطِ القَصر، فقَالَ المأمون لبعض خَدَمِهِ اذْهَب إلى ذَلِكَ الرَّجل وانظر مَا يكتُب وائتني به فبادَرَ الخادِمُ إلى الرجُل مسرعاً وَقَبَضَ عليه وتَأمَّل مَا كَتَبَه فإذا هُو:

بـقـصـر جـمـع فـيـه الـشـوم والـلـوم ... مـتـى يـعـشـش فـي أركـانـك الـبـوم
يـوم يـعـشـش فـيـك الـبـوم مـن فـرحـي ... أكـون أول مـا يـنـعـيـك مـرغـوم

ولمَّا مثلَ بينَ يَدَي المأمون، قَالَ لَهُ: ويلكَ مَا حَمَلَكَ على هذا؟

قال: مررتُ على هذا القَصْر العَامِر وأنا جَائعٌ فَقُلْتُ في نَفْسِي: لو كانَ خَرَاباً لَم أعْدَم منهُ رُخَامَةً أو خَشَبَةً أو مسماراً أبيعُهُ وأتَقَوَّت بثَمَنِهِ، فَأمَرَ لَه المأمونُ بألفِ دِيْنَار يأخذها كلَّ عام ما دَامَ القَصْرُ عامراً بأهْلِهِ.

ولما بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ وَسُئِلَ عَن الهامةِ قَالَ: **«لا عَدْوَى وَلا طِيَرَة وَلا هَامَة»** رواه مسلم.

وقد أثبَتَ العلمُ ما ذَهَبَت إليه السُّنَّةُ مِن نَفْي الشُّؤم عَن البُوم أو الهامَة فَقَد تَبيَّنَ أن البومَ في غَايَةِ الأهَمِّية للبيئة، وقَد جَعَلَها اللهُ مع غَيْرها مِنَ الحيوانات صَمَّامَ الأمانِ الذي يُنَظِّمُ أعدادَ القَوَارضِ في البيئَةِ. . فَهي تَأكُلُ الفئرانَ والجرذانَ والأفَاعي

والحشَرات والعَصَافير حيث تصيد حوالي (5000) فأر، في السَّنةِ الواحدة. وطريقة صَيْدِ بَعْض أنواع البوم تُعَدُّ هادفة متخصصة فهي تختار من الأرانب الأفرادَ الضَّعيفة والمريضةَ فتُحَدِّد التكاثُر وتمنع انتشارَ المَرَض. . فعندما انتشرَ وباءُ الأرانِبِ في أوروبا في أوائل الخمسينات من القَرن العشرين، سَلِمَت أرانب جنوب إسبانيا من الوباء، فَتَبَيَّنَ أنَّ وراء ذلك أنْوَاع مِن البوم المفتَرِس كانت تكثر في تِلْكَ البيئة، فإذا تَذَكَرنا أنَّ البومَ يصيدُ (15) فأراً يومياً أمكننا تصور الفائدة التي تعود على الإنتاج الزراعي. (إ).

❀ ❀ ❀



نهي النفس عن الهوى

النفس الأمارة بالسوء، لا بُدَّ لها من قهرٍ ولجم وضبطٍ. ولن يتم ذلك إلا بتوفيق الله تعالى، وعونه. وفي التنزيل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: 40].

وأما من مال بنفسه نحو ما تحب وتهوى، فقد تردى، وأوقع نفسه في الهلاك العاجل أم الآجل.

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: رأيت ميل النفس إلى الشهوات زائداً في المقدار حتى إنها إذا مالت مالت بالقلب والعقل والذهن، فلا يكاد المرء ينتفع بشيء من النصح.

فَصحْتُ بها يوماً وقد مالت بِكُلّيتهَا إلى شهوة: وَيحْك! قفي لحظة أكلمك كلمات ثم افعلي ما بدا لك.

قالت: قل أسمع.

قلت: قد تقرر قلة ميلك إلى المباحات من الشهوات، وأما جُل ميْلك فإلى المحرمات. وأنا أكشف لك عن الأمرين، فربما رأيت الحلوين مُريْن.

أما المباحات من الشهوات، فمطلقة لك ولكن طريقها صعب؛ لأن المال قد يعجز عنها، والكسب قد لا يحُصلُ مُعظمهَا، والوقت الشريف يذهب بذلك. ثم شغل القلب بها وقت التحصيل، وفي حالة الحصول، وبحذر الفوات. ثم ينغصها من النقص ما لا يخفى على مميز، وإن كان مطعماً فالشبع يحدث آفات، وإن كان شخصاً فالملل،

أو الفراق، أو سوء الخلق. ثم ألذ النكاح أكثره إيهاناً للبدن، إلى غير ذلك مما يطول شرحه.

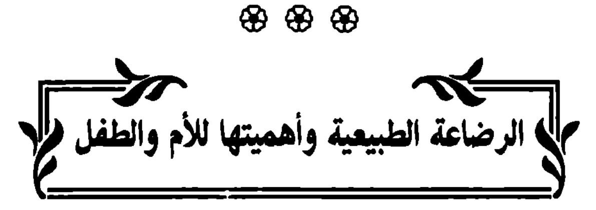
وأما المحرمات: فتشتمل على ما أشرنا إليه من المباحات، وتزيد بأنها آفة العرض ومظنة عقاب الدنيا وفضيحتها، وهناك وعيد الآخرة، ثم الجزع كلما ذكرها التائب.

وفي قُرةِ قهرِ الهوى لذة تزيد على كل لذة. ألا تَرين إلى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلاً لأنه قُهر. بخلاف غَالب الهوى فإنه يكون قوِي القلب، عزيزاً لأنه قَهر. فالحذر الحذر من رؤية المُشْتهى بعين الحسن، كما يرى اللص لذة أخْذِ المال مِنَ الحِرْز، ولا يرى بعين فِكرهِ انقَطْعَ.

وليفتح عين البصيرة لِتأمل العواقب واستحالة اللذة نغصة، وانقلابها عن كونها لذة، إما لملل أو لغيره من الآفات، أو لانقطاعها بامتناع الحبيب. فتكون المعصية الأولى كلقمة تناولها جائع، فما رَدَّتْ كلَب الجوع، بل شَهَّت الطعام.

وليتذكر الإنسان لذة قهر الهوى مع تأمل فوائد الصبر عنه. فمن وفق لذلك كانت سلامته قريبة منه.

❀ ❀ ❀



الرضاعة الطبيعية وأهميتها للأم والطفل

قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: 233] الآية. وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: 7]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: 6].

جاء في تقرير لمنظمة الصِّحة العالمية؛ أنَّ عشرة ملايين طفل يتوفون سنوياً في العالم الثالث نتيجة أمراض الجهاز الهضمي والإسهال، وأغلب هذه الوفيات ناتجة عن تغذية الأطفال بالألبان المصنعة بواسطة القارورة حيث لا يتم التعقيم كما ينبغي، وتكون الكمية من اللبن مخففة بالماء وتسبب إصابة أكثر من تسعة ملايين طفل بنقص شديد في التغذية مما يؤدي إلى إصابتهم بالعديد من الأمراض والوفيات المبكرة. ولذا ترى المنظمة الصحية العالمية التي تعنى بشؤون الأطفال وصحتهم مثل اليونيسيف ومنظمة

الصحة العالمية أن إرضاع المواليد من أمهاتهم لمدة عامين سينقذ بإذن الله أكثر من عشرة ملايين طفل يتوفون سنوياً بسبب الإسهال وسوء التَّغذية وأمراض أخرى كثيرة. وتذكر مجلة (اللانسيت) الطبية البريطانية المشهورة في افتتاحيتها (1994م) أنَّ الرَّضاعة تنقذ مليوناً من الأطفال بما توفره من تحسين جهاز المناعة. وهذا الرقم غير الملايين العديدة الذين يمكن أن تنقذهم الرضاعة والذين يُتَوَفَّونَ نتيجةَ الإسهال والأمراض المعدية الأخرى.

ويعتبر اللبا (وهو اللبن الذي يفرز بعد الولادة مباشرة ويستمر لبضعة أيام) مهمَّاً جداً، لحياة الطفل ومناعته ضد الأمراض. ولم أرَ أحداً من القدماء تنبَّه إلى أهمية اللبا سوى الشافعية حيث أوجبوا على الأم إرضاع المولود اللبا لأنه لا يعيش بدونه غالباً، وغيرها لا يغني، وهي نظرة عجيبة جداً حيث إن جميع الأطباء القدامى مثل ابن سينا والرازي وابن الجزار والقيرواني والبلدي... إلخ كلهم يصرُّون على أن اللبا غير مفيد للطّفل وأن على الوالدة أن لا ترضع طفلها بعد الولادة مباشرة وإنما تبدأ ذلك في اليوم الثالث أو ما حوله.

والغريب جداً أنَّ هذه النّظرة الغريبة كانت منتشرة في الطب الحديث، وفي المستشفيات حيث يبعد الطفل المولود عن أمه لمدة (24) ساعة أو (48) ساعة قبل أن ترضعه.. واستمر هذا الإجراء الخاطئ بل الشديد الخطأ إلى السبعينات من القرن العشرين في أوروبا وإلى الثمانينات من القرن العشرين في معظم دول العالم الثالث.. وربما في بعض المستشفيات إلى اليوم!! ويمتاز «اللبا» بكثافته وبغناه بالبروتينات وبالذات الجلوبيولينات المناعية التي لها خاصية مدافعة الأمراض ومقاومتها، وأكثرها وجوداً الجلوبيولين المناعي من نوع (أ) الإفرازي وهو بروتين مهم لمقاومة مختلف أنواع البكتيريا وبعض أنواع الفيروسات مثل فيروس شلل الأطفال وفيروس الحصبة وفيروس النكاف وفيروس التهاب الدماغ الياباني.

ومن ميزات «اللبا» أنه يحتوي على فيتامين (أ) وتركيز الكلور والصوديوم. وله قدرة عجيبة على تليين أمعاء الطفل وبالتالي إفراز مادة العقي التي لو بقيت في الأمعاء لأضرت بالطفل وسببت انسداداً في أمعائه. ويحتوي «اللبا» أيضاً على العديد من الخلايا البيضاء واللمفاوية المقاومة للأمراض، كما يحتوي على أكثر من مئة أنزيم وعلى معادن مختلفة وخاصة عنصر الزنك بالإضافة إلى العديد من الفيتامينات.

ـ بعض فوائد الرضاعة بالنسبة للرضع

1 ـ انخفاض حدوث الالتهابات الميكروبية لأنَّ لبن الأم معقم جاهز بينما ألبان القارورة تحتوي على العديد من الميكروبات وخاصة في العالم الثالث. ويمكن إنقاذ ملايين الأطفال الذين يتوفون سنوياً بمجرد الرضاعة.

2 ـ يحتوي لبن الأم على مضادات الأجسام والبروتينات المناعية ومجموعة كبيرة من خلايا الدم البيضاء المقاومة للأمراض بالإضافة إلى أكثر من مئة أنزيم.

3 ـ يحتوي لبن الأم على عامل مهم ينمي نوعاً من البكتيريا المفيدة التي تستوطن الأمعاء والتي تقوم بوقاية الطفل من كثير من أمراض الجهاز الهضمي. وتدعى هذه البكتيريا العصية اللبنية المشقوقة.

4 ـ يحتوي لبن الأم على مادة الإنترفيرون الهامة والتي تقاوم الفيروسات.

5 ـ يحتوي لبن الأم على مواد مضادة للسُّموم وبالذات سموم بكتيريا (ضمات) الكوليرا.

6 ـ لا يسبب لبن الأم أي حساسية للطفل بينما تبلغ نسبة أمراض الحساسية في الألبان المجففة 30% من الأطفال الذين يتناولونها.

7 ـ لبن الأمِّ فقير في الحامض الأميني فينايل الآنين، وبالتالي فإنَّ الأطفال الذين يعانون من مرض وراثي يسمى «بيلة فينايل كيتون» يستطيعون أن يرضعوا من أمهاتهم دون حدوث مضاعفات خطيرة، ويمنعون منعاً باتاً من الألبان المجففة المصنعة لاحتوائها على كميات كبيرة من الحامض «الأميني فينايل الآنين». ولا بد من تصنيع أغذية لا يوجد بها هذا الحامض الأميني.

8 ـ لبن الأم غني بالزنك، لذا فإنَّ الأطفال الذين يعانون من مرض وراثي خطير لا تظهر عليهم أي أعراض طالما كانوا يرضعون من أمهاتهم أو من مرضعات بشريات، ولا بدَّ أن تستمر الرضاعة في هذه الحالة حولين كاملين. أمَّا إذا اعتمد الطفل على ألبان الأبقار فإنّه يصاب بالمرض بصورة خطيرة جداً وغالباً ما يتوفى دون الحولين.

9 ـ وفاة المهد تكثر نسبياً لدى الأطفال الذين يتغذون بالقارورة والألبان المصنعة، بينما هي نادرة جداً لدى الأطفال الذين لا يتغذون على الألبان المصنعة.

10 ـ لا يعاني الأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم من الإمساك أو الإسهال إلاَّ نادراً جداً بالمقارنة مع من يتغذون على الألبان المصنعة.

11 ـ الرضاعة تساعد على تكوين الأسنان وجعل الفك سليماً دون اعوجاج بينما التقام القارورة يؤدي إلى اعوجاج وسوء نمو الأسنان ممَّا يجعلها تحتاج إلى عمليات تقويم فيما بعد.

12 ـ الرضاعة تحمي من مجموعة خطيرة من الأمراض منها البول السكري الذي يصيب الأطفال (النوع الأول) وتصلب الشرايين، وبعض أنواع السرطان، والسمنة. وتخفف من وقع أمراض وراثية كثيرة وخطيرة مثل التليف الكيسي، وبيلة فينايل كيتون، ومرض نقص الزنك الوراثي، ومرض سيلياك (المرض الجوفي) الذي يصيب الجهاز الهضمي.. وكل هذه الأمراض تحدث بصورة أخف لدى من يرضعون من أمهاتهم بالمقارنة مع من يلتقمون القارورة.

13 ـ لا يحدث الكساح لدى من يرضعون بينما يحدث الكساح بنسبة غير قليلة لدى الأطفال الذين يتغذون على ألبان الأبقار المجففة. وذلك لأن لبن الأم (أو المرضع) يحتوي على كمية ذائبة من فيتامين (د) يسهل امتصاصها، بخلاف لبن الأبقار المجفف.

14 ـ يمتص الأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم الحديد بصورة أفضل من أولئك الذين يتغذون بألبان الأبقار. وذلك لوجود مادة «لاكتوفرين» في لبن المرضع وهي مادة تساعد على امتصاص الحديد. كما أنَّ في لبن الأم مادة بروتينية أخرى تَتّحد بالحديد وأجزاء من الخلايا بحيث لا يترك الحديد حراً في الأمعاء. وقد وجد أنّ الحديد الحرّ مهم لنمو بعض البكتيريا العدوانية. وبالتالي فإنَّ حرمان هذه البكتيريا من الحديد يؤدي إلى إضعافها وسهولة القضاء عليها.

15 ـ تؤدي التغذية بالألبان المجففة للمواليد إلى زيادة في عدد من الهرمونات في جسم الطفل مثل الأنسولين والموتولين والنيوروتنسين. وهذه كلهاَ لها علاقة بأمراض الاستقلاب التي تكثر عند من يغذون بألبان الأبقار وتندر فيمن يرضعون.

16 ـ يحتوي لبن الأم على أحماض دهنية غير مشبعة وحيدة ومتعددة وهي أحماض دهنية هامة لبناء الجهاز العصبي بينما يحتوي لبن الأبقار على أحماض دهنية

مشبعة لها علاقة فيما بعد بتصلب الشرايين والسمنة. كما توجد في لبن الأم خمائر خاصة تساعد على تحلل الدهون وسهولة امتصاص الكالسيوم.

17 ـ يحتوي لبن الأم على المعادن المطلوبة بكميات متناسبة متناسقة يسهل امتصاصها أما لبن الأبقار فيحتوي على كميات أكبر غير ذات فائدة، بل تسبب إرهاقاً لِكِلْيَةِ الطفل من أجل طردها. ولهذا فإنّ الأطفال الذين يتغذون على ألبان الأبقار المجففة أكثر عرضة للإصابة بأمراض الكلى من الأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم (أو المرضعات).

18 ـ الفوائد النفسية العديدة للطفل الذي يشعر بدفء الأمومة عند التقامه الثدي.

وقد أوضحت العديد من الدراسات أنَّ الأطفال الذين لا يرضعون وإنما يلتقمون القارورة يكونون أكثر عرضة للاضطرابات النَّفسية والسلوكية. وأن نسبةَ الجنوح والانحراف النفسي والسلوكي وتعاطي المخدرات وجرائم القصّر والشباب مرتبطة إلى حدّ ما بعد الرضاعة والاكتفاء بالتغذية بالألبان المجففة.

هذه أهم فوائد الرَّضاعة للطفل.

أمّا أهم فوائد الرضاعة للأم والمجتمع فهي كالتالي:

1 ـ لبن الأم جاهز ومعقم ولا يحتاج إلى تحضير ومعاناة.

2 ـ تُنَبِّه عملية الرضاعة أثناء مصِّ الثدي الغدة النخامية الخلفية لتفرز هرمون الأوكسيتوسن. وهو هرمون مهم جداً لإعادة الرَّحم المتضخم بعد الولادة إلى حجمه ووضعه الطبيعي. وبالتالي يمنع النزف الشديد أثناء النفاس كما أنه يقي الأم من حمى النفاس الخطيرة.

3 ـ تستفيد المرضع بعودة جسمها كله إلى وضعه الطبيعي قبل الحمل، وبالتالي تساعد الرضاعة على الرَّشاقة والحفاظ على الصحة.

4 ـ أثبتت كثير من الأبحاث أنَّ الرضاعة تلعب دوراً وقائياً للحماية من سرطان الثدي وسرطان الرحم.

5 ـ تقي الرَّضاعة الأم من الجلطات التي قد تحدث أثناء فترة النفاس.

6 ـ الرضاعة التامة خلال الأشهر الستة الأولى تعتبر من أهم وأفضل وسائل منع الحمل.

7 ـ تُوَفِّر الرضاعةُ من الأمّ ثمن الألبان المجففة وهي تبلغ آلاف الملايين من الدولارات سنوياً. ففي بداية الثمانينات من القرن العشرين كانت الدول النامية (العالم الثالث) تستورد ما قيمته ألفي مليون دولار سنوياً من الألبان المجففة.

8 ـ توفر الرَّضاعة آلاف الملايين من الدولارات سنوياً التي تنفق على مداواة الأمراض الخطيرة والوبيلة الناتجة عن التغذية بالقارورة.

9 ـ تنقذ الرضاعةُ حياة ملايين الأطفال الذين يتوفون، وخاصة في العالم الثالث بسبب عدم التعقيم والإسهال والإنتانات المختلفة.. وهذه لا يمكن أن تقدَّر بثمن. إذ إن حياة طفل واحد أغلى من أموال الدنيا كلها.

10 ـ تنقذ الرضاعة اليافعين والشباب من الانحرافات النفسية. وهذه لها مردود اجتماعي واقتصادي يقدَّر بآلاف الملايين من الدولارات سنوياً.

11 ـ تقلل الرضاعة من إصابة البالغين بأمراض عديدة خطيرة مثل تصلب الشرايين والبول السكري وسرطان الثدي وسرطان الرحم. وهذه لها مردود صحي بالغ ومردود اقتصادي يقدّر بآلاف الملايين من الدولارات سنوياً. والله تعالى أعلم وأحكم.

❀ ❀ ❀

ثمار المحبة والتجالس والتزاور والبذل والعطاء في سبيل الله تعالى

الحبُّ في الله... والتجالس والتزاور والبذل والعطاء، في سبيل الله تعالى، من أسمى معاني الإسلام، وخصائص دعائمه وقوته، ومجده وعزه. فحب الشيء، والعمل له بإخلاص، سبب نجاحه مهما كان صعباً وشاقاً. ولولا ذلك الحب، لم ينجح أصحاب رسول الله ﷺ، في فتح القلوب والحدود.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

وفي «موطأ» الإمام مالك (1779)، وغيره بإسناد جيد، من طريق حبيبِ بن أبي مرزوق، عن عطاء بنِ أبي رباح، عن أبي مُسلم الخولاني[1] قال قلتُ لمعاذ بن جبل: والله إنِّي لأُحِبُّكَ لِغَيْرِ دُنْيَا أرجُو أَنْ أُصِيبَهَا مِنْكَ، وَلا قَرَابَةٍ بَيْنِي وبينك، قالَ: فَلأيِّ شَيْءٍ؟ قُلْتُ: للهِ، قال: فَجَذَبَ حبْوَتي، ثُمَّ قالَ: أَبْشِرْ إِنْ كُنْتَ صادِقاً، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، ﷺ، يَقُولُ: **«المُتَحابُّونَ فِي اللهِ فِي ظِلِّ الْعَرْش يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ، يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِم النَّبِيُّونَ والشُّهداءُ»**.

ثُمَّ قالَ: فَخَرَجْتُ فَأَتَيْتُ عُبَادَةَ بنَ الصَّامِتِ فَحَدَّثْتُه بِحَدِيثِ مُعَاذٍ، فَقَالَ عُبَادَةُ بنُ الصّامِتِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، ﷺ، يَقُولُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **«حُقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى المُتَحابِّينَ فِيَّ، وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى المُتَنَاصِحِينَ فِيّ، وحُقَّت مَحَبَّتِي عَلَى المتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى المُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَهُمْ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ بِمَكانِهِمْ»**.



(1) أبو مسلم الخَوْلاني اسمه عبدُ اللهِ بن ثُوَب، يماني، تابعي، مِن أفاضلهم وأخيارهم، وهو الذي قال له العنسي: أتشهد أني رسول الله؟ قال: لا، قال: أتشهد أنَّ محمداً رسولُ الله؟ قال: نعم، فأمر بنارٍ عظيمة، فأُجِّجَتْ وخوّفه أن يقذِفَه فيها إن لم يُواته على مراده، فأبى عليه، فقذفه فيها فلم تَضُرّهُ فاستعظم ذلك، وأمر بإخراجِهِ مِن اليمن، فأخرج فقصد المدينة، فلقي عمر بن الخطاب، فسأله من أين أقبل، فأخبره، فقال له: ما فعل الفتى الذي أُحرق؟ فقال: لم يحترق، فتفرس فيه عمر أنه هو، فقال: أقسمتُ عليك بالله، أنت أبو مسلم؟ قال: نعم، فأخذ بيده عُمر حتى ذهب به إلى أبي بكر، فقص عليه القصة، فسُرَّا بذلك، وقال أبو بكر: الحمد لله الذي أرانا في هذه الأمة من أُحرِقَ فلم يحترق، مثل إبراهيم (ع).
وقيل: إنه كان له امرأةٌ صبيحةُ الوجه، فأفسدتها عليه جارةٌ له، فدعا عليها، وقال: اللَّهم أعْم مَنْ أفسد عليَّ امرأتي. فبينما المرأةُ تتعشى مع زوجها إذ قالت: انطفأ السِّراجُ؟ قال زوجُها: لا، فقالت: فقد عَمِيتُ، لا أُبصِرُ شيئاً، فأخبِرَت بدعوة أبي مسلم عليها، فأتته فقالت: أنا قد فعلتُ بامرأتك ذلك، وأنا قد غررتُها وقد تُبْتُ، فَادْعُ اللهَ يَرُدُّ بَصَري إليَّ، فَدَعَا اللهَ وقَالَ: الفهم رُدَّ بَصَرَهَا، فَرَدَّهُ إليها.
ذكره ابن حبان في «صحيحه» (2/ 339/ 340).

ـ ثمّ ماذا؟ ـ

روى الشيخان، وغيرهما من حديث أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «جَاءَ مَلَكُ الموتِ إِلَى مُوسَى عَلَيهِ السلاَمُ، فَقَالَ لَهُ: أَجِب رَبَّكَ» قَالَ: «فَلَطَمَ مُوسَى عَلَيهِ السلامُ عَينَ مَلَكِ الموتِ فَفَقَأَهَا» قَالَ: «فَرَجَعَ المَلَكُ إِلَى الله تَعَالَى، فَقَالَ: إِنّكَ أرسَلتَني إِلَى عَبد لَكَ لاَ يُرِيدُ المَوتَ، وَقَد فَقَأَ عَيني» قَالَ: «فَرَدّ الله إِلَيهِ عَينَهُ، وَقَالَ: ارجع إِلَى عَبدِي فَقُل: الحَيَاةَ تُرِيدُ؛ فَإِن كُنتَ تُرِيدُ الحَيَاةَ، فَضَع يَدَكَ عَلَى مَتنِ ثَورٍ، فَما تَوَارَت يَدُكَ مِن شَعَرَةٍ فَإِنّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُم مَه؟ قَالَ: ثُم تَمُوتُ، قَالَ: فَالآن من قَرِيبٍ رَبِّ، أَمِتني مِنَ الأرضِ المُقَدّسَةِ، رَميَةً بِحَجَرٍ».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالله، لَو أَنّي عِندَهُ لأَرَيتُكُم قَبرهُ إِلَى جَانِبِ الطرِيقِ، عِندَ الكَثِيب الأَحمَرِ».

❁ ❁ ❁

غيرة نسائية في بيت النبوة

روى البخاري (2581) ومسلم (2442) من طريق عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن السيدة عائشة رضي الله عنها، زَوجَ النبِيِّ ﷺ قَالَت: أَرسَلَ أَزوَاجُ النبِيّ ﷺ فَاطِمَةَ، بِنتَ رَسُولِ الله ﷺ، إِلَى رَسُول الله ﷺ، فَاستَأذَنَت عَلَيهِ وَهُوَ مُضطَجِع مَعِي فِي مِرطِي[1]. فَأَذِنَ لَهَا. فَقَالَت: يَا رَسُولَ الله! إن أَزوَاجَكَ أَرسَلنَنِي إِلَيكَ يَسأَلنَكَ العَدلَ في ابنَةِ أَبِي قُحَافَةَ. وَأَنَا سَاكِتَةٌ.

قَالَت فَقَالَ لَهَا رَسُول الله ﷺ «أَي بُنَيّةُ! أَلَستِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبّ؟» فَقَالَت: بَلَى. قَالَ «فَأَحِبّي هذِهِ» قَالَت، فَقَامَت فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَت ذلِكَ مِن رَسولِ الله ﷺ. فَرَجَعَت إِلَى أَزوَاجِ النبي ﷺ فَأَخبَرَتهن بِالذِي قَالَت، وَبِالذِي قَالَ لَهَا رَسولُ الله ﷺ. فَقُلنَ لَهَا: مَا نُراكِ أَغنَيتِ عَنا مِن شيءٍ. فَارجِعِي إِلَى رَسُول الله ﷺ فقُولِي لَهُ: إِن أَزوَاجَكَ يَنشُدنَكَ العَدلَ فِي ابنَةِ أَبِي قُحَافَةَ. فَقَالَت فَاطِمَةُ: وَالله! لاَ أُكَلّمُهُ فِيهَا أَبداً.

قَالَت عَائِشَةُ: فَأَرسَلَ أَزوَاجُ النبِيِّ ﷺ زَينَبَ بِنتَ جَحشٍ، زَوجَ النبي ﷺ، وَهِيَ

التِي كَانَت تُسَامِينِي[1] مِنهُنَّ فِي المنزِلَةِ عِندَ رَسُولِ الله ﷺ، وَأَعظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابتِذَالاً لِنَفسِهَا فِي العَمَلِ الذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الله تَعَالَى، مَا عَدَا سَورَةً مِن حَدٍّ كَانَت فِيهَا تُسرِعُ مِنهَا الفَيئَةَ[2].

قَالَت، فَاستَأذَنَت عَلَى رَسولِ الله ﷺ، وَرَسولُ الله ﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرطِهَا، عَلَى الحَالَةِ التِي دَخَلَت فَاطِمَةُ عَلَيهَا وَهُوَ بِهَا. فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ. فَقَالَت: يَا رَسُولَ الله! إِن أَزوَاجَكَ أَرسَلنَنِي إِلَيكَ يَسأَلنَكَ العَدلَ فِي ابنَةِ أَبِي قُحَافَةَ.

قَالَت ثُمَّ وَقَعَت بِي. فَاستَطَالَت عَلَيَّ. وَأَنَا أَرقُبُ رَسُولَ الله ﷺ، وَأَرقُبُ طَرفَهُ، هَل يَأذَنُ لِي فِيهَا. قَالَت فَلَم تَبرَح زَينَبُ حَتى عَرَفتُ أَنّ رَسُولَ الله ﷺ لاَ يَكرَهُ أَن أَنتَصِرَ. قَالَت فَلَمّا وَقعتُ بِهَا لَم أَنشَبهَا بشيءٍ حتى أَثْخنتُ عَلَيهَا[3].

قَالَت فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ وَتَبَسَّمَ «إِنَّهَا ابنَةُ أَبِي بَكرٍ»[4]. لفظ مسلم.

ورواه البخاري تعليقاً من طريق هشام بن عروة عن أبيه، عن السيدة عائشة رضيَ، الله عنها: «أنّ نساءَ رسولِ الله ﷺ كنَّ حِزبَينِ: فحزب فيهِ عائشة وحَفصةُ وصَفية وسَودةُ، والحزبُ الآخرُ أُم سَلمةَ وسائرُ نساءِ رسولِ الله ﷺ، وكانَ المسلمونَ قد عِلموا حُب رسولِ الله ﷺ لعائشةَ، فإذا كانت عندَ أحدِهم هديةٌ يُريدُ أن يُهدِيهَا إِلى رسولِ الله ﷺ أخرَها، حتى إذا كان رسولُ الله ﷺ في بيتِ عائشةَ بَعثَ صاحبُ الهديةِ إلى رسولِ الله ﷺ في بيت عائشةَ.

فكلّمَ حِزبُ أُمّ سلمةَ فَقُلنَ لها: كلمي رسولَ الله ﷺ يُكلّم الناسَ فيقولُ: مَن أرادَ أن يُهدِيَ إلى رسولِ الله ﷺ هدية فليُهدِها حيثُ كان مِن بيوت نسائه، فكلّمتهُ أُم سَلمةَ بما قُلن، فلم يَقُل لها شيئاً، فسألْنها فقالت: ما قال لي شيئاً، فقلنَ لها: فكلّميهِ، قالت: فكلّمَته حينَ دارَ إليها أيضاً، فلم يَقُل لها شيئاً.

---

(1) تساميني: أي تعادلني وتضاهيني في الحظوة والمنزلة الرفيعة، مأخوذ من السمو، وهو الارتفاع.

(2) السورة: الثوران. وعجلة الغضب، وأما الحدة فهي شدة الخلق وثورانه، ومعنى الكلام: أنها كاملة الأوصاف، إلا أن فيها شدة خُلقٍ وسرعة غضب تسرع منها. والفيئة: الرجوع. أي: إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعاً، ولا تصرّ عليه. قاله النووي.

(3) أنحيت عليها: أي قصدتها، واعتمدتها بالمعارضة. ومعنى لم أنشبها: لم أمهلها.

(4) قوله ﷺ: «إنها ابنة أبي بكرٍ» فمعناه الإشارة إلى كمال فهمها، وحسن نظرها. والله أعلم.

فسألنَها فقالت: ما قال لي شيئاً. فقلنَ لها: كلّميهِ حتى يُكلّمَكِ. فدار إليها فكلّمتهُ فقال لها: **«لا تُؤذيني في عائشةَ، فإن الوَحيَ لم يأتِني وأنا في ثوبِ امرأةٍ إلاّ عائشةَ»**.

قالت: أتوبُ إلى الله مِن أذاكَ يا رسولَ الله. ثم إنهن دَعَونَ فاطمةَ بنتَ رسولِ الله ﷺ، فأرسَلَت إلى رسولِ الله ﷺ تقولُ: إن نساءَكَ يَنشُدنَكَ الله العدلَ في بنتِ أبي بكر. فكلّمتهُ فقال: **«يا بُنيّة، ألا تُحبينَ ما أُحبّ؟»** قالت: بَلى. فرَجعَت إليهن فأخبرَتهن، فقُلنَ ارجِعي إليهِ، فأبَت أن تَرجعَ.

فأرسَلنَ زينبَ بنتَ جَحش، فأتَتهُ فأغلَظَت وقالت: إن نساءَكَ يَنشُدنَكَ الله العدلَ في بنتِ ابنِ أبي قُحافةَ، فرَفَعَت صَوتَها حتّى تناوَلَت عائشة وهي قاعدة فسبَّتها.

حتى إنَّ رسولَ الله ﷺ ليَنظُرُ إلى عائشةَ هل تَكلَّمُ، قال: فتكلمَت عائشةُ تَرُدّ على زَينبَ حتى أسكتَتها. قالت: فنظَرَ النبي ﷺ إلى عائشةَ وقال: **«إنها بنتُ أبي بكر»**.

❀ ❀ ❀

كاشف الضرُّ والبلوى

الحمدُ لله سامع السرِّ والنجوى، وكاشف الضرِّ والبلوى، ومغيث المتلهف قبل الشكوى، ومبلّغ المؤمل غايةَ أمله القصوى، يسوقُ الرزقَ في البرِّ إلى الذرِّ والأروى، كم أعطش عدله وكم أغبق فضله وأروى، من تفكّر في ذاته وقع بعيد المهوى، ومن خالفه باتّباع هواه ضرَّهُ ما يهوى، لا ينظر إلى صور الأعمال وإنّما يناله التقوى، مَدَّ أمد الحلم عن فرعون وقد أضَلّ وأغوى، إلى أن غرق يوم اليمِّ أين المنقلب والمثوى، كم آية صَرَّحتْ وكم زاجرةٍ لوّحَتْ فلم ينتفع بالصريح ولا الفحوى، بليت جوارحه وبقيت مقابحُه تُروى، ويبس زرعُه فخلا ربعُه وأقوى، وكم أهلكت الذنوبُ من كان أكثر منه وأقوى، ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ۝٥٢ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ﴾ [النجم: 52 ـ 53]. (ج).

❀ ❀ ❀

المركوب بين الأجر والوزر

مركوبك إما أن يكون لك أجراً. . . وإما أن يكون عليك وزراً! ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الخَيلُ لرجُلٍ أجرٌ، ولرجلٍ سترٌ، وعلى رجلٍ وِزر. فأما الذي له أجرٌ فرجلٌ رَبَطها في سبيل الله فأطالَ لها في مرجٍ أو روضةٍ، فما أصابَتْ في طِيلِها ذلك من المرجِ أو الروضةِ كانت له حسناتٍ، ولو أنهُ انقطع طِيَلُها فاستنَّت شَرَفاً أو شَرَفينِ كانت آثارُها وأرواثُها حسناتٍ له، ولو أنها مرّت بنهرٍ فشربَتْ منهُ ولم يُردْ أن يَسقِيَ كان ذلكَ حسناتٍ له، فهي لذلكَ أجرٌ. ورجلٌ رَبَطها تغنياً وتعفُّفاً ثم لم يَنسَ حق الله في رِقابِها ولا ظُهورِها فهي لذلك سِترٌ. ورجل ربطها فخراً ورياءً ونِواءً لأهل الإسلام فهي على ذلك وِزرٌ». وسُئل رسولُ الله ﷺ عن الحُمُرِ فقال: «ما أُنزِلَ علي فيها شيء إلاّ هذه الآيةُ الجامعة الفاذَّة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾» [الزلزلة: 7 ـ 8][1].

وفي روايةِ مُسلم بلفظ: «وأمَا الذِي هي لَهُ سِترٌ، فَالرجُلُ يَتَّخِذُهَا تكَرُّماً وتَجَمُّلاً، ولا يَنْسَى حَق ظُهُورِها وَبُطُونِهَا، في عُسرهَا ويُسرِهَا، وأمّا الذِي عَلَيهِ وِزرٌ، فَالذِي يَتَّخذهَا أَشَراً وبَطَراً، وبَذَخاً وَرِيَاءَ النّاسِ، فَذَاكَ الذِي هي عَلَيهِ وِزرٌ».

قال أهل اللغة: الأشر ـ بفتح الهمزة والشين ـ هو المرح واللجاج، وأما البطر، فالطغيان عند الحق، وأما البذخ ـ فبفتح الباء والذال المعجمة ـ وهو بمعنى الأشر والبطر. والله تعالى أعلم.

إسلام مدير مرصد طوكيو الفلكي في اليابان

تجدر الإشارة إلى إسلام أحد مشاهير العلماء المتخصصين في علم الفلك وهو (بروسو يوشادي كروزاي) وهو مدير مرصد طوكيو الفلكي في اليابان والذي يعتبر بحداثته وتجهيزاته ثاني مرصد في العالم. . وقد شاء الله أن يزورَ هذا الرجل السعودية، وهناك تَمَّت معه مناظرة علمية كبيرة في جامعة الملك عبد العزيز، حضرها حشدٌ كبير من العلماء المتخصصين في علوم الفلك والجيولوجيا. . وإلى جانبهم بعض علماء المسلمين مثل الشيخ عبد المجيد الزنداني، وبعد أن طرحت عليهم مفاهيم القرآن

(1) رواه البخاري (2371) ومسلم (987) وغيرهما.

العلمية في علم الفلك والحقائق الكونية.. وبعد أن تفهمها بعمق وعلم كبر، وبعد أن شرحَ الله صدره للإيمان، لم يتردد في أن يعلن وثيقته التاريخية إقراراً وبخط يده. وهذه ترجمتها الحرفية:

بعد أن قدمت إلى هنا وجدت أن في القرآن حقائق علمية كثيرة. والكون وما يحويه من كل شيء مشروح ومفسري القرآن من أعلى نقطة في هذا الوجود.. حتى أن كل شيء فيه أصبح مفهوماً.. وإني أعلن إسلامي.

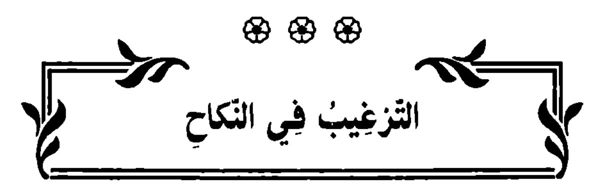
❀ ❀ ❀

عليك بتقوى الله تعالى على كل حال

اعلم أن الزمان لا يثبت على حال كما قال ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 140]. فتارة فقر وتارة غِنىً، وتارة عز، وتارة ذل، وتارة يفرح الموالي، وتارة يشمت الأعادي.

فالسعيد من لازم أصلاً واحداً على كل حال، وهو تقوى الله ﷻ، فإنه إن استغنى زَانَتْه، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر، وإن عوفي تمت النعمة عليه، وإن ابتلي حملته، ولا يضره إن نزل به الزمان أو صعد، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه؛ لأن جميع تلك الأشياء تزول وتتغير، والتقوى أصل السلامة حارس لا ينام، يأخذ باليد عند العثرة، ويوافق على الحدود. والمنكر من غرَّته لذة حصلت مع عدم التقوى، فإنها ستحول وتخليه خاسراً، ولازم التقوى في كل حال، فإنك لا ترى في الضيق إلا السعة، وفي ـ المرض إلا العافية، هذا نقدها العاجل. والآجل معلوم. (ج).

❀ ❀ ❀



قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: 3].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 32].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗ﴾ [الرعد: 38].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ [البقرة: 232].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 221].

وَقَالَ ﷺ: **«يَا مَعشَرَ الشباب مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُم الْبَاءَةَ فَليَتَزَوّج فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وأَحصَنُ لِلفَرْج وَمَنْ لم يَستَطِعْ فَعَلَيهِ بالصَّوم فَإِنَّهُ وِجَاء»**. (متفق عليه).

وَقَالَ النبيّ ﷺ **«الدّنيَا مَتَاعٌ وَخيرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»**.

[رواه مسلم].

وَقَالَ ﷺ: **«تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِمَالِهَا وَجَمَالِهَا وَحَسَبِهَا وَدِينِهَا فَعَلَيْكَ بذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»**. (متفق عليه).

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ **«أَربَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ الْحَيَاءُ وَالتَّعَطرُ وَالسّوَاكُ وَالنّكَاحُ»**.

[رواه الترمذيّ وأحمد].

وَعَنْهُ عَلَيْهِ الصّلاةُ وَالسّلامُ: **«خيْرُ النكَاحِ أَيْسَرُهُ»**.

[رواه أبو داود].

وَعَن أَبِي سلمَةَ رَضِيَ الله عَنهُ، قال: سأَلت السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا كَمْ كَانَ صَدَاقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَت: كَانَ صدَاقُهُ لأَزْوَاجِهِ إِثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةَ وَنَشّاً، قَالَتْ: أَتَدْرِي مَا النَّشّ؟ قُلْتُ: لا، قَالَت: نِصفُ أُوقِيَّةٍ فَتِلْكَ خَمْسُمَائَةِ دِرْهَمٍ.

[رواه مسلم وأبو داود والنسائي].

وَعَنْ أَبِي الْعَجْفَاءِ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ خَطَبَنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَال أَلا لا تُغَالُوا

بِصَدَاقِ النسَاءِ فَإِنها لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ الله كَانَ أَوْلاكُمْ بِهَا النبِيُّ ﷺ ما أَصْدَقَ رَسُولُ الله ﷺ امْرَأة مِنْ نِسَائِهِ وَلا أُصْدِقَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ إِثْنَتَيْ عَشَرَةَ أُوقِيَّةَ.

[رواه الترمذيّ والنّسائي وأبو داود].

وَعَنْ عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ جَهّزَ رَسُول الله ﷺ فَاطِمَةَ فِي خَمِيلٍ وَقِرْبَةٍ وَوِسَادَةٍ حَشْوهَا إِذخِرٌ. (رواه النسائي).

❀ ❀ ❀



فائدة في أنفع أنواع الجماع

قال الإمام ابن القيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ: وأنفع الجماع ما حصل بعد الهضم، وعند اعتدال البدن في حرّه وبرده، ويبوسته ورطوبته. وخلائه وامتلائه. وضرره عند امتلاء البدن أسهل وأقل من ضرره عند خلوه، وكذلك ضرره عند كثرة الرطوبة أقل منه عند اليبوسة. وعند حرارته أقل منه عند برودته.

وإنما ينبغي أن يجامع إذا اشتدت الشهوة، وحصل الانتشار التام، الذي ليس عن تكلف ولا فكر في صورة، ولا نظر متتابع. ولا ينبغي أن يستدعي شهوة الجماع، ويتكلفها، ويجعل نفسه عليها. وليبادر إليه إذا هاجت به كثرة المني، واشتد شَبَقُه[1].

وليحذر جماع العجوز والصغيرة التي لا يُوطأ مثلها، والتي لا شهوة لها، والمريضة، والقبيحة المنظر، والبغيضة. فوطء هؤلاء يُوهن القوى، ويضعف الجماع، بالخاصية.

قال: وجماع المرأة المحبوبة في النفس يَقل إضعافه للبدن مع كثرة استفراغه للمني، وجماع البغيضة يُحلّ البدن، ويُوهِنُ القوى مع قلة استفراغه.

قال: وأحسن أشكال الجماع؛ أن يعلو الرجل المرأة، مستفرشاً لها بعد الملاعبة والتقبيل، وبهذا سميت المرأة فراشاً، كما قال عليه الصلاة والسلام: **«الولد للفراش»**.

---

(1) الشبق: شدة الغُلمة وطلب النكاح.

[رواه الشيخان]. وهذا من تمام قوّامية الرجل على المرأة، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: 34]، وقد قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: 187]، وكذلك لحاف المرأة لباس لها.

فهذا الشكلُ الفاضلُ مأخوذ من هذه الآية، وبه يحسن موقعُ استعارة اللباس من كل من الزوجين للآخر. وفيه وجه آخر، وهو أنها تنعطفُ عليه أحياناً، فتكون عليه كاللباس قال الشاعر:

إذا ما الضجيعُ ثنى جيدَها تثنَّتْ فكانتْ عليه لباساً

وأردأ أشاكله، أن تَعلُوَهُ المرأة، ويجامعها على ظهره، وهو خلاف الشكل الطبيعي، الذي طبع الله عليه الرجل والمرأة، بل نوع الذكر والأنثى.

وفيه من المفاسد؛ أن المني يتعسّرُ خروجه كلّه، فربما بقي في العضو منه، فيتعفن ويفسد، فيضر. وأيضاً: فإن المرأة مفعول بها طبعاً وشرعاً، وإذا كانت فاعلة، خالفت مقتضى الطبع والشرع.

وكان أهل الكتاب إنما يأتون النساء على جنوبهن على حرف، ويقولون: هو أيسر للمرأة. وكانت قريش والأنصار تشرح النساء على أقفائهن، فعابت اليهودُ عليهم ذلك، فأنزل الله عز لمجلّ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة ـ 223].



ـ ليس لك إلا الله ـ

الفتنة والابتلاء صنوان لا يكادان يُفارقان العبد المؤمن. ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 2 ـ 3].

وهكذا يثبت لنا بأن الفتنة شريكة المؤمن ومحنته في حياته الدنيا. ولكن كيف الخلاص؟ يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا وقعت في محنة يصعب الخلاص منها فليس لك إلا الدعاء واللجوء إلى الله بعد أن تقدم التوبة من الذنوب. فإن الزلل يوجب العقوبة فإذا زال الزلل بالتوبة من الذنوب ارتفع السبب. فإذا ثبت ودعوت ولم تر للإجابة أثراً فَتفقَّدْ أمرك، فربما كانت التوبة ما صحت فصححها ثم ادع ولا تمل من الدعاء. فربما كانت المصلحة في تأخير الإجابة، وربما لم تكن المصلحة في الإجابة، فأنت تثاب وتجاب إلى منافعك. ومن منافعك أن لا تعطى ما طلبت بل تعوض غيره.

فإذا جاء إبليس فقال كم تدعوه ولا ترى إجابة، فقل أنا أتعبد بالدعاء. وأنا موقن أن الجواب حاصل. غير أنه ربما كان تأخيره لبعض المصالح، فهو يجيء في وقت مناسب، ولو لم يحصل؛ حصل التعبد والذل. فإياك أن تسأل شيئاً إلا وتقرنه بسؤال الخيرة. فَرُبَّ مطلوب من الدنيا كان حصوله سبباً للهلاك.

وإذا كنتَ قد أمرت بالمشاورة في أمور الدنيا ليبين صاحبك لك في بعض الآراء ما يعجز رأيك عنه، وترى أن ما وقع لك لا يصلح فكيف لا تسأل الخير ربك وهو أعلم بالمصالح؟ والاستخارة من حسن المشاورة.

❀ ❀ ❀



مناظرة

روى الإمام أحمد (13868)، وغيره بسند صحيح على شرط مسلم، من حديث أنس بن مالك ـ ﷺ ـ قال: لمَّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ أُخبِرَ عبدُ الله بنُ سَلاَمٍ بقُدُومِهِ وهو في نَخْلِهِ، فأتاه فقال: إنِّي سائِلك عن أشياءَ لا يَعْلَمُها إلا نبيٌّ، فإنْ أخبَرْتَني بها آمنتُ بك، وإن لم تَعلَمْهُنَّ عرفتُ أنك لستَ بنبيٍّ. قال: فَسَأله عن الشَّبَهِ، وعن أوَّلِ شيءٍ يأكُلُه أهلُ الجنةِ، وعن أوَّلِ شيءٍ يَحْشُرُ الناسَ. قال رسول الله ﷺ: «أَخبَرَني بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفاً» قال: ذاكَ عدوُّ اليهودِ! قال: «أمَّا الشَّبَهُ: إذا سَبَقَ ماءُ الرَّجلِ ماءَ المرأةِ، ذَهَبَ بالشَّبَهِ، وإذا سَبَقَ ماءُ المرأةِ ماءَ الرَّجلِ، ذَهَبَتْ بالشَّبَهِ، وأمَّا أوَّلُ شيءٍ يَأكُلُه أهلُ الجَنَّةِ: فَزِيادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وأمَّا أوَّلُ شيءٍ يَحْشُرُ الناسَ: فنَارٌ تَخْرُجُ مِن قِبَلِ المَشْرِقِ، فَتَحْشُرُهم إلى المَغرِبِ». فآمَنَ، وقالَ: أَشْهَدُ أنك رسولُ الله.

قال ابنُ سَلاَم: يا رسولَ الله، إنَّ اليهودَ قومٌ بُهْت، وإنهم إنْ سَمِعُوا بإسلامي بَهَتُوني[1]، فأَخْبِئْني عندَك، وَابْعَثْ إليهم فاسْألْهم عني. فخَبَّأَه رسولُ الله ﷺ، وبَعَثَ إليهم فجاؤُوا، فقال: «أيّ رجلٍ عبدُ الله بنُ سَلاَمٍ فيكُم؟» قالوا: هو خيرُنا وابنُ خيرِنا، وسَيِّدُنا وابنُ سيِّدِنا، وعالِمُنا وابنُ عالِمِنا. فقال: «أَرَأَيْتُم إنْ أَسلَمَ، أتسْلِمُونَ؟» فقالوا: أعاذَه الله من ذلك. فقال: «يا عبدَ الله ابنَ سَلاَمٍ، اخرُجْ إلَيْهِم فأَخْبِرْهم» فخَرَجَ، فقال:

(1) بهتوني: أي كذبوني أشد ما يكون التكذيب.

أَشهَدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأَشهَدُ أنَّ مُحمَّداً رسولُ الله. فقالوا: شَرُّنا وابنُ شَرِّنا، وجاهِلُنا وابنُ جاهِلِنا. فقال ابنُ سَلاَمٍ: قد أَخبَرْتُكَ يا رسولَ الله أنَّ اليهودَ قوم بُهْتٌ[1]. (ح).

❁ ❁ ❁

العداوة بين الملك والشيطان

ألقى الله سبحانه العداوةَ بين الشيطان وبين الملك، والعداوة بين العقل وبين الهوى، والعداوة بين النفس الأمّارة وبين القلب. وابتلى العبدَ بذلك، وجمع له بين هؤلاء، وأمدّ كل حزب بجنود وأعوان؛ فلا تزال الحرب سجالاً ودُولاً بين الفريقين، إلى أن يستولي أحدهما على الآخر، ويكون الآخر مقهوراً معه.

فإذا كانت النوبة للقلب والعقل والملك، فهنالك: السرور، والنعيم، واللذة، والبهجة، والفرح، وقُرّة العين، وطيب الحياة، وانشراح الصدر، والفوز بالغنائم.

وإذا كانت النوبة للنفس والهوى والشيطان، فهنالك: الغموم، والهموم، والأحزان، وأنواع المكاره، وضيق الصدر، وحبس المَلك.

فما ظنّكَ بمَلِكٍ استولى عليه عدوّه، فأنزله عن سرير مُلكه، وأَسَرَهُ، وحبَسه، وحالَ بينه وبين خزائنه وذخائره وخدمه وصَيَّرها له؛ ومع هذا فلا يتحرك الملك لطلب ثأره، ولا يستغيث بمن يغيثه، ولا يستنجد بمن ينجده. وفوق هذا الملكَ ملك قاهر لا يُقهر، وغالب لا يُغلَب، وعزيز لا يذلّ، فأرسل إليه: إن استنصرتني نصرتك، وإن استغثت بي أغثتك، وإن التجأت إلَيَّ أخذتُ بثأرك، وإن هربتَ إليّ وأَوَيتَ إليَّ سقطتك على عدوّك وجعلته تحت أسرك.

فإن قال هذا الملك المأسور: قد شد عدوّي وثاقي، وأحكم رباطي، واستولى مني بالقيود، ومنعني من النهوض إليك والفرار إليك والمسير إلى بابك؛ فإن أرسلت جنداً من عندك يحل وثاقي، ويفلت قيودي، ويخرجني من حبسه، أمكنني أن أوافي بابك، وإلا لم يمكنني مفارقة محبسي، ولا كسر قيودي.

---

(1) قوم بهت: أي كذابون متمرسون في الكذب الذي يحيد من وصفه به.

فإن قال ذلك احتجاجاً على ذلك السلطان، ودَفعاً لرسالته، ورضا بما هو فيه عند عدوه، خلاه السلطان الأعظم وحاله، وولاه ما تولى.

وإن قال ذلك افتقاراً إليه، وإظهاراً لعجزه وذله، وأنه أضعف وأعجز أن يسير إليه بنفسه، ويخرج من حبس عدوه، ويتخلص منه بحوله وقوته، وأن من تمام نعمته ذلك عليه، كما أرسل إليه هذه الرسالة، أن يمده من جنده ومماليكه، بمن يعينه على الخلاص، ويكسر باب محبسه، ويفكّ قيوده. فإن فعل به ذلك فقد أتم إنعامه عليه، وإن تخلى عنه فلم يظلمه ولا منعه حقاً هو له. وإن حمده وحكمته اقتضى منعه وتخليته في محبسه، ولا سيما إذا علم أن الحبس حبسه، وأن هذا العدو الذي حبسه مملوك من مماليكه وعبد من عبيده، ناصيته بيده لا يتصرف إلا بإذنه ومشيئته؛ فهو غير ملتفت إليه، ولا خائف منه، ولا معتقد أن له شيئاً من الأمر، ولا بيده نفعٌ ولا ضرّ، بل هو ناظر إلى مالكه، ومتولي أمره، ومَن ناصيته بيده قد أفرده بالخوف والرجاء والتضرّع إليه والالتجاء والرغبة والرهبة؛ فهناك تأتيه جيوش النصر والظفر. (ق).

❀ ❀ ❀



دمعة وتوبة

يقول الله تبارك وتعالى مخاطباً عباده المؤمنون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: 8].

حقيق بمن علِم ما بين يديه، وتيقَّن أن العمل يحصى عليه، وأنه لا بد من الرحيل عمّا لديه، إلى موقف صعبٍ يساق إليه، يتجافى عن مضطجع البطالة بجنبيه.

قال حاتم الأصمّ: من خلا قلبُه من ذِكر أخطار أربعة فهو مُغترّ، فلا يأمن الشقاء.

الأول: خطر يوم الميثاق، حين قال الله تعالى: «**هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أُبالي**؛ ولا يَعلم في أيّ الفريقين كان؟

والثاني: حين خلق في ظلماتٍ ثلاثٍ، فنودي الملك بالشقاء والسعادة، ولا يدري أمن الأشقياء هو أم من السعداء؟

والثالث: ذكر هَوْل المطَّلَع، ولا يدري أيُبَشّر برضا الله تعالى أو بسَخطه؟

والرابع: يوم يَصْدر الناسُ أشْتاتاً ولا يدري أي الطريقين يُسْلَك به؟ فمحْقوق لصاحب هذه الأخطار أن لا يفارق الحزنُ قلبه!

بكى عمر بن عبد العزيز ﷺ ليلةً فأطال، فسئل عن بكائه، فقال: ذكرتُ مصيرَ القوم بين يدي الله ﷻ ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾. ثم صرخ وغشي عليه.

كم ذا أغالط أمري ... كأنني لستُ أدري
أَغْفلت ذا الذي كان في مُقَدِّم عُمري
ولم أزلْ أتمادَى ... حتى تصرَّم دَهْري
مَنْ لي إذا صِرْت رهناً ... بالذنْبِ في رَمْسِ قَبْرِي
بأيِّ عذر ألاقي ... ربِّي ليَقْبل عذرِي
فليت شعري متى أُذْ ... رك المنَّى ليت شعري

يا من قد وهَى شَبابه، وامتلأ بالزَّلل كِتابه، أما بلغك أن الجلود إذا استُشْهِدت نَطقتْ، أما علمت أن النار للعصاة خُلقتْ، إنها لتحرق كلَّ ما يُلْقَى فيها، فيصعب على خَزنتها كثرةُ تلاقيها، التوبة تَحْجب عنها، والدَّمعة تُطْفيها، قال صلى الله عليه وسلم: **«لو أن قطرةً من الزقّوم قُطِرت في الأرض لأمرَّتْ على أهل الدنيا معيشتهم»** فكيف بمن هو طعامه لا طعام له غيره!

أسفاً لأهل النار لقد هلكوا وشَقُوا، لا يَقْدر الواصفُ أن يصف ما قد لقُوا، كلما عطشوا جيء بالحميم فسُقوا، وهذا جزاؤهم إذ خرجوا عن الطاعة وفسقوا، قُطِّعوا والله بالعذاب ومُزِّقوا، وأُفْرِد كل منهم عن فريقه وفُرِّقوا، فلو رأيتهم قد كُلِّبوا في السلاسل وأُوثِقوا واشتد زفيرهم وتضرع أسِيرهم وقَلِقوا، وتمنَّوا أنْ لم يكونوا وتأسَّفوا كيف خُلقوا، وندموا إذ أعرضوا عن النُّصْح وقد صُدِقوا، فلا احتذارهم يُسمع، ولا بكاؤهم يَنفع ولا أُعْتِقوا.

لو أبصرتْ عيناك أهلَ الشَقَا ... في النارِ قد غُلُّوا وقد طُوِّقوا
تقول أولاَهم لأُخْراهُم ... في لُجج المُهْلِ وقد أُغْرِقوا

قـد كـنـتـمُ حُـذِّرتُـمُ حَـرَّهـا | لـكـنْ مـن الـنـيـران لـم تَـفْـرَقـوا
وجِـيـئ بـالـنـيـران مَـزْمـومـة | شَـرارهـا مِـن حـوْلـهـا مُـحْـدِق
وقـيـل لـلـنـيـران أنْ أحـرِقـي | وقـيـل لـلـخُـزّان أنْ أَطْـبِـقـوا
وأولـيـاءُ الله فـي جَـنـةٍ | قـد تُـوِّجـوا فـيـهـا وقـد مُـنْـطِـقـوا
تـدبَّـروا كـم بـيـنـهـم إخـوتـي | ثـم أَجِـيـلـوا فِـكْـرَكـم وانْـتَـقُـوا (ج).

❀ ❀ ❀

في ذِكر أسماء الأحمق

الأحمق، الرقي، المائق[1]، الأزبق، الهجهاجة، الهلباجة، الخطل، الخرف، المِلغ، الماج، المسلوس، المأفون، المأفوك، الأعفك، الفقاقة، الهجأة، الألق، الخوعم، الألفت، الرطيء، الباحر، الهجرع، المجع، الأنوك[2]، الهبنك، الأهوج، الهبنق، الأخرق، الداعك، الهداك، الهبنقع، المدله، الذهول، الجعبس، الأوره، الهوف، المعضل، الفدم، الهتور، عياياء، طباقاء.

فإذا كان يتجه لشيء في أسماء كثيرة وقريب هذه الأسماء على أحمق، وقيل: لو لم يكن من فضيلة الأحمق إلا كثرة أسمائه لكفى.

قال ابن الأعرابي: الرقيع هو الذي يحتاج أن يرقع من حمقه.

وسئل بعض الأعراب: ما الفرق بين الأحمق والمائق؟ فقال: الأحمق مثل المائح على رأس البئر، والمائق مثل المائح الذي هو أسفل البئر، فبينهما من الجودة

---

(1) قال الشاعر:

أعـلّـلُ نـفـسِـي بـمَـا لا يـكـونُ | كـمـا يَـفْـعـلُ الـمـائـقُ الأحْـمَـق

(2) قال الشاعر:

فـإن الـعَـقـلَ لَـيـسَ لَـهُ إذا مَـا | تَـفَـاضَـلَـت الـفَـضَـائـلُ مـن كـفَـاءِ
فـإنَّ الـنُّـوْكَ لـلأحـسَـاب غَـوْل | وأهـونُ دائِـهِ داء الـعـيَـاءِ

وقال الآخر:

أرَى زَمَـنـاً نَـوْكـاهُ أسْـعَـدُ أهْـلِـهِ | ولـكِـنَّـمـا يَـشْـقَـى بـهِ كُـلُّ عـاقِـلِ

في الحماقة ما بين هذين. والعرب تقول: أحمق ما يتوجه إلى ما يحسن أن يأتي الغائط. والأخرق هو الذي يخرق الأشياء ولا يحسن لها مأتى.

ومن أسماء النساء ذوات الحمق: الورهاء، الخرقاء، الدفنس، الخذعل، الهوجاء، القرثع، الداعكة، الرطيئة.

من فوائد غَضّ البصر

خاطب المولى جل وعلا عباده المؤمنون ـ ذكوراً كانوا أم إناثاً ـ بأن يغضوا من أبصارهم، عمَّا حُرِّم عليهم، لئلا يؤدي بهم الأمر إلى الوقوع في المحظور، فإن النظر بريد الزنى، وهو أول مقدامته.

قال جل وعلا: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: 30 ـ 31] الآية.

ولغضِّ البصر فوائد جمَّة، لخَّصها الإمام ابن القيم بما يلي:

أحدها: تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظرَه دامت حسرتُهُ، فأضر شيء عَلَى القلب إرسال البصر، فإنه يُريه ما يشتدّ طلبه ولا صبرَ له عنه ولا وصولَ له إليه، وذلك غايةُ ألَمه وعذابه، قال الأصمعي: رأيت جاريةً في الطواف كأنها مَهَاةٌ[1]، فجعلتُ أنظر إليها وأملأ عيني من محاسنها فقالت لي: يا هذا ما شأنك؟ قلت: وما عليكِ من النظر؟ فأنشأت تقول:

وكنتَ متى أرسلتَ طَرفك رائداً ... لقلبك يوماً أتعَبَتكَ المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلُّه أنتَ قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابرُ

والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمِيَّة، فإن لم تقتله جرحته، وهي بمنزلة الشرارة من النار تُرمى في الحشيش اليابس، فإن لم يُحرقه كلَّه أحرقت بعضَه كما قيل:

---

(1) المَهَاهُ: بالهاء؛ النضارة والحُسن. والمَهَاةُ: بالتاء ـ البِلّورة. وهو المقصود هنا. أي كأنها من النضارة والحسنُ والجمال، كالبلورة.

كل الحوادث مَبدؤها من النظر ... ومُعظَمُ النار من مُسْتَصغَر الشَّرر

كم نظرةٍ فَتَكَت في قلب صاحبها ... فَتكَ السهام بلا قوسٍ ولا وَتر

والمرءُ ما دام ذا عينٍ يُقَلبُهَا ... في أعينِ الغيدِ موقوفٌ عَلَى الخطر

يَسُرّ مقلته ما ضرَّ مهجته ... لا مرحباً بسرورٍ عاد بالضرر

والناظر يَرمي من نظره بسهامٍ غَرَضها قلبُه وهو لا يَشعرُ، فهو إنما يرمي قلبَه، ولي من أبيات:

يا رامياً بسهام اللّحظِ مجتهداً ... أنتَ القتيلُ بما ترمي فلا تُصِبِ

وباعثَ الطرف يَرتاد الشفاءَ له ... تَوَقَّهُ إنّه يأتيك بالعَطَبِ

الفائدة الثانية: أنه يورثُ القَلبَ نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر ظُلمةً تظهر في وجهه وجوارحه. ولهذا والله أعلم ذكر الله سبحانه آية النور في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: 35] عقيب قوله: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [النور: 30] وجاءَ الحديث مطابقاً لهذا حتى كأنه مشتق منه وهو قوله: «**النظرة سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس، فمن غضّ بصرَه عن محاسن امرأةٍ أورث الله قَلْبَهُ نوراً**» الحديث.

الفائدة الثالثة: أنه يورث صحة الفِراسة فإنها من النور وثمَرَاتِه، وإذا استنار القلب صحّتِ الفِراسة لأنه يصير بمنزلة المِرآة المجلُوّة تظهر فيها المعلومات كما هي، والنظر بمنزلة التنفس فيها، فإذا أطلق العبدُ نظرَه تَنَفسَت نفسُه الصّعَداء في مِرآة قلبه فَطَمَسَت نورَها كما قيل:

مِرآة قلبك لا تُريك صلاحَه ... والنفَسُ فيها دائماً تتنفس

وقال شجاع الكِرَماني: من عمر ظاهرَه باتّباع السُّنَّة، وباطنه بدوام المراقبة، وغضّ بصره عن المحارم، وكفّ نفسه عن الشهوات، وأكل من الحلال لم تخطئ فِراستُه. وكان شجاع لا تخطئ له فراسة. والله سبحانه وتعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنسه، فمن غضّ بصرَه عن المحارم عوّضه الله سبحانه وتعالى إطلاقَ نور بَصِيرته، فلما حبس بصرَه لله أطلق الله نور بَصِيرته، ومن أطلق بصرَه في المحارم حبس الله عنه بَصِيرتَه.

الفائدة الرابعة: أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهّل عليه أسبابه، وذلك بسبب

نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائقُ المعلومات، وانكشفت له بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض. ومن أرسل بصره تكدّر عليه قلبُه وأظلم، وانسدّ عليه باب العلم وطُرُقه.

الفائدة الخامسة: أنه يورث قُوّةَ القلب وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة. وفي الأثر: إن الذي يخالف هواه يَفْرَق[1] الشيطان من ظلّه، ولهذا يوجد في المتبع لهواه من ذلّ القلب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لمن آثر هواه على رضاه. قال الحسن: إنهم وإن هَملَجَت بهم البغال وطَقْطَقَتْ بهم البَراذين[2] إن ذل المعصية لفي قلوبهم؛ أبى الله إلا أن يذل من عصاه. وقال بعض الشيوخ: الناسُ يطلبون العزّ بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلا في طاعة الله. ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه. وفيه قِسط ونصيبٌ من فعل من عاداه بمعاصيه، وفي دعاء القنوت: إنه لا يَذِلّ من واليت، ولا يَعِزّ من عاديت.

الفائدة السادسة: أنه يورث القلب سروراً وفرحة، وانشراحاً أعظمَ من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك عدوّه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه، وأيضاً فإنه لما كَفّ لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرّةُ نفسه الأمّارة بالسوء أعاضه الله سبحانه مسرةً ولذةً أكمل منها، كما قال بعضهم: والله لَلَذةُ العفة أعظمُ من لذةِ الذنب. ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحاً وسروراً ولذةً أكملَ من لذة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما. وهاهنا يمتاز العقل من الهوى.

الفائدة السابعة: أنه يُخلّص القلبَ من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسيرُ شهوته وهواه، فهو كما قيل:

طليق برأي العين وهو أسير

ومتى أسرت الشهوةُ والهوى القلب تسكّن منه عدوّه وسامه سوءَ العذاب وصار:

كعصفورةٍ في كفّ طفلٍ يسومها ... حياضَ الردى والطفلُ يلهو ويلعب

---

(1) يفرق: أي ـ يخاف.

(2) الهملجة: حسن سير الدابة. والطقطقة: حكاية عن صوت حوافر الدواب. والبراذين: جمع برذون، ويطلق على الحمار خاصة وعلى الدواب عامة.

الفائدة الثامنة: أنه يسدّ عنه باباً من أبواب جهنم، فإن النظر بابُ الشهوة الحاملة عَلَى مُواقعة الفعل، وتحريمُ الرب تعالى وشرعُه حجابٌ مانعٌ من الوصول، فمتى هَتَك الحجاب ضرِيَ[1] عَلَى المحظور، ولم تَقِف نفسُه منه عند غاية، فإن النفس في هذا الباب لا تَقنَع بغايةٍ تقف عندها، وذلك أن لذتها في الشيء الجديد، فصاحب الطارف لا يُقنِعُه التليد[2]، وإن كان أحسنَ منه منظراً وأطيبَ مَخبَراً، فغضّ البصر يَسُدّ عنه هذا الباب الذي عَجَزَت الملوكُ عن استيفاء أغراضهم فيه.

الفائدة التاسعة: أنه يقوّي عقلَه ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرسالَه لا يَحصلُ إلا من خِفّة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب، فإن خاصّة العقل ملاحظةُ العواقب. ومُرسِلُ النظر لو علم ما تجني عواقبُ نظره عليه لما أطلق بصره، قال الشاعر:

وأعقلُ الناسِ من لم يرتكب سبباً   حتى يفكرَ ما تَجني عواقبه

الفائدة العاشرة: أنه يُخلّص القلب من سُكر الشهوة ورَقدة الغفلة، فإن إطلاقَ البصر يوجب استحكامَ الغفلة عن الله والدارِ الآخرة، ويوقع في سكرة العشق، كما قال الله تعالى عن عشاق الصّور: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحِجر: 72]. فالنظرةُ كأس من خمر، والعشقُ هو سكر ذلك الشراب، وسكرُ العشق أعظمُ من سكر الخمر، فإن سكران الخمر يُفيق، وسكران العشق قلّما يفيق إلا وهو في عسكر الأموات، كما قيل:

سكران سكرى هوىً وسكر مدامةٍ   ومتى إفاقته مَن به سُكران؟

وفوائد غضّ البصر وآفاتُ إرساله أضعافُ أضعافِ ما ذكرنا، وإنما نبّهنا عليه تنبيهاً ولا سيما النظر إلى من لم يجعل الله سبيلاً إلى قضاء الوَطَر منه شرعاً. والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

(1) ضري به أو عليه: لزمه وأولع به، أو اعتاده وتجرأ عليه.

(2) الطّارِفُ ـ من المال ـ المستحدث. وهو ضد التالد، والتليد: هو الاسم، ومعناه: القديم. والمعنى: أن صاحب الشيء الجديد لا يعجبه القديم.

القتال بين الحق والباطل

«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» كلمة قالها رسول الله ﷺ، لتكون فيصلاً بين الحق والباطل. وعلى وجه الخصوص عندما تشتبه الأمور، وتختلط الآراء. ويأتي كلام الله تعالى، ليحدد مشروعية القتال، ولأجل من يكون. ففي التنزيل، يقول جل وعلا: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الأنفال: 39].

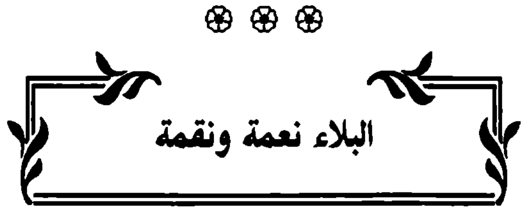
وروى البخاري (4021) ومسلم (96)، وغيرهما، من حديث أُسامة بن زيد رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَنَا رَسُول الله ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحنا الْحُرُقَاتِ مِنْ جُهَينَةَ، فَأَدرَكْتُ رَجُلاً، فَقَالَ: لا إلهَ إلا الله. فَطَعَنتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفسِي مِنْ ذلكَ. فَذَكَرتُهُ لِلنبيِّ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَقَالَ: لا إلهَ إلا الله وَقَتَلته؟» قَالَ: قُلتُ: يا رَسُول الله! إنّمَا قَالَهَا خَوفاً مِنَ السّلاحِ. قَالَ: «أَفَلا شَقَقتَ عَن قَلبِهِ حَتى تعلَمَ أَقَالَهَا أم لا»؟ فَمَا زَالَ يُكَرّرُهَا عَلَيَّ حَتّى تَمَنّيتُ أني أَسلمتُ يَومَئِذٍ.

قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: وَأَنَا وَالله لا أَقْتُلُ مُسلِماً حَتّى يَقتُلَهُ ذُو البُطَينِ يَعْنِي أُسَامَةَ. قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَلَم يَقُلِ الله عَزّ وَجَلّ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: 39] فَقَال سَعْدٌ: قَدْ قَاتَلْنا حَتى لا تَكُونَ فِتنَةٌ، وَأَنتَ وَأَصحَابُك تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتى تكون فِتنَةٌ.

- وروى البخاري (4650)، وغيره من طريق بَكْرِ بنِ عَمْرو، عَنْ بُكَيرٍ عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابنِ عُمَر رَضِيَ الله عَنهمَا أَن رَجُلاً جَاءَهُ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرّحْمنِ أَلا تَسْمَعُ مَا ذَكَرَ الله فِي كِتَابِهِ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: 9] إلى آخِرِ الآيَةِ، فَمَا يَمنَعُكَ أَنْ لا تُقَاتِلِ كَمَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ؟ فَقَالَ: يَا ابنَ أَخِي أَغتَرّ بِهذِهِ الآيَةِ وَلا أُقَاتِلُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَغتَرّ بِهذِهِ الآيَةِ التِي يَقُولُ الله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾ [النساء: 93] إلى آخرها قال: فإنّ الله يقول ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الأنفال: 39] قَالَ ابنُ عُمَرَ: قَدْ فَعَلْنَا على عَهْدِ رَسُول الله ﷺ إذ كَانَ الإسلامُ قَليلاً، فَكَانَ الرّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ إمّا يَقتلُونَهُ، وَإمّا يوثِقُونَهُ، حَتّى كَثُرَ الإسلامُ فَلَم يكُنْ فِتْنَةٌ فَلَمّا رَأَى أنّه لا يُوَافِقُهُ فِيمَا يُرِيدُ قَالَ: فَمَا قَوْلُكَ فِي عَلِي وَعُثمَانَ؟ قَال ابنُ عُمر: ما قولي في علي وعُثمانَ.

أَمّا عثمان، فكانَ الله قد عَفَا عنهُ، فكَرِهتُم أن تعفُوا عَنْهُ، وأما عليّ، فابنُ عم رسولِ الله ﷺ وختَنُهُ، وأشارَ بيدِهِ، وهذِهِ ابنتُهُ ـ أو بنتُهُ ـ حيث تَرَوْنَ.

❁ ❁ ❁



البلاء نعمة ونقمة

البلاء إما أن يكون نعمة، وإما أن يكون نقمة. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: 15 ـ 16].

يقول الإمام ابن القيم: إذا ابتلى الله عبدَه بشيءٍ من أنواع البلايا والمحن، فإن ردّه ذلك الابتلاءُ والامتحانُ إلى ربّه، وجَمَعَه عليه، وطَرَحَهُ ببابه، فهو علامةُ سعادته وإرادته الخير به. والشِّدةُ بتراءُ لا دوامَ لها وإن طالت، فتقلعُ عنه حين تقلع وقد عُوّضَ منها أجلّ عوض وأفضله، وهو رجوعُه إلى الله بعد أن كان شارداً عنه، وإقباله عليه بعد أن كان نائياً عنه، وانطراحه على بابه بعد أن كان معرضاً وللوقوف على أبواب غيره متعرّضاً، وكانت البليّة في حق هذا عينَ النعمة.

وإن ساءته وكرهها طبعُه ونفرت منها نفسه؛ فربّما مكروه النفوس إلى محبوبها سبباً ما مثله سبب، وقوله تعالى في ذلك هو الشفاءُ والعصمة: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

وإن لم يردَّه ذلك البلاءُ إليه بل شرّد قلبه عنه، وردّه إلى الخلق، وأنساه ذكر ربّه، والضّراعة إليه، والتذلّل بين يديه، والتوبة والرّجوع إليه؛ فهو علامة شقاوته وإرادة الشرّ به. فهذا إذا أقلعَ عنه البلاءُ ردّه إلى حكم طبيعته وسلطان شهوته ومرحه وفرحه، فجاءت طبيعتُه عند القدرة بأنواع الأشر والبطر، والإعراض عن شكر المنعم عليه بالسّرّاء كما أعرض عن ذكره، والتَضرّع إليه في الضرّاء. فبليَّةُ هذا وبالٌ عليه وعقوبة ونقص في حقه، وبلِيَّةُ الأوّل تطهيرٌ له ورحمة وتكميل. وبالله التوفيق!

❁ ❁ ❁

فضلُ ما يُبذَلُ من المنافِع والأعيانِ وفي العَفْوِ والصبر

فضائلُ الأعمالِ تتفاوتُ بتفاوت ما تَجْلُبُه من نفعٍ أو تدفعه من ضُرٍّ. فالمعرفةُ والإيمانُ أفضلُ الأعمال، لان مصلحتَهما أكمل المصالح. والجهلُ بالله والكفر أكبرُ الكبائر لأن مفسدتَهما أعظمُ المفاسد. وتتفاوتُ مراتبُ الوسائل بتفاوتِ مراتبِ المقاصد:

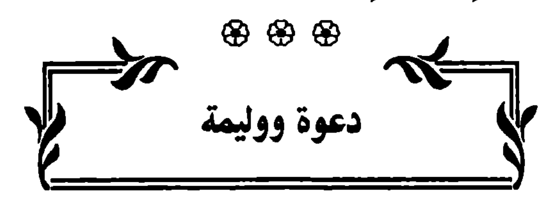
فالدعاءُ إلى الإيمانِ أفضلُ أمرٍ بالمعروف، والنهي عن الكفرِ أفضلُ نهيٍ عن المنكر. وإراقةُ الخمرِ والنهيُ عن شربِها وسيلةٌ إلى حِفْظِ العُقول. والأمرُ بالعفوِ عن القِصَاص وسيلةٌ إلى حِفظِ الأعضاء والمنافع والأزواج. وعلى هذا تترتب جميع المقاصد والوسائل.

ويشرُفُ الإصلاحُ بين الناس بشرفِ ما يندفعُ به من المفاسد وما يحصلُ به من المصالح.

وشرفُ البذلِ يتفاوتُ بشرفِ المبذول؛ فتعريفُ الإيمانِ أفضلُ من كُلِّ مبذول. ويتفاوتُ شرفُ الدفع بتفاوتِ قُبْحِ المدفوع: فإزالةُ الشُّبَهِ الموجبةِ للكفر والشَّك أفضلُ من كُلِّ دفع، إذْ لا مدفوعَ أقبحُ من الكفرِ باللهِ والشَّك فيه. وإطعامُ المُضْطر أوْلى من إطعام المحتاج.

وتعظُم رُتَبُ الْحِلْمِ والْعَفْوِ والصَّفْحِ والْغَفْرِ بِعظَم الذنب. فالعفوُ عن أعظمِ الذنوب في أفضلِ رُتَب العفو، وكذلك الْحِلْمُ وغيرُه. وكذلك تتفاوتُ مراتبُ الصبرِ بتفاوتِ رُتَب المَصْبُورِ عنه. وعليه فالصبرُ عن أعظمِ الشهوات في أعلى مراتبِ الصبر عمّا يُصْبَرُ عنه. والصبرُ على أشقِّ العبادات وأعظمِ الْبَلِيّات في أعلى رُتَبِ الصبر على ما يُصْبَرُ عليه. والاعتبارُ في ذلك كُلِّه بعِظَمِ المصالحِ والمفاسد في المقاصد والوسائل. (س).

❀ ❀ ❀

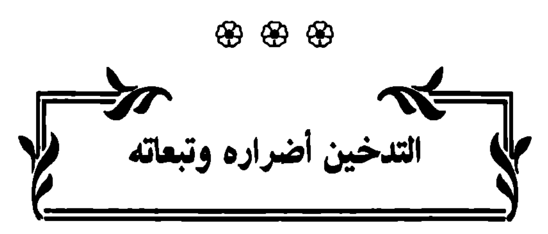


دعوة ووليمة

روى الإمام أحمد (13869) ومسلم (2037) والداري (2067)، وغيرهم، من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: أنّ جاراً لرسولِ الله ﷺ فارِسياً كان طَيِّبَ المَرَقِ،

فصَنَعَ لرسول الله ﷺ، ثم جاءَه يَدْعُوه فقال: «وهذه؟» لعائشةَ، فقال: لا. فقال رسولُ الله ﷺ: «لا» ثم عادَ يَدْعُوه، فقال رسولُ الله ﷺ: «وهذه؟» قال: لا. فقال رسولُ الله ﷺ: «لا» ثم عادَ يَدعُوه فقال رسول الله ﷺ «وهذه؟» قال: نَعَم في الثالثةِ. فقاما يَتَدافَعانِ حتَّى أتيا مَنزِلَه.

❀ ❀ ❀



التدخين أضراره وتبعاته

«**لا ضرر ولا ضرار**» قاعدة أصيلة قررها رسول الله ﷺ لتكون لأمته نبراساً يمشون عليه لئلا تَزِلَّ بهم قدم، أو يسببون لأنفسهم أو لغيرهم ضرراً. فكل ما هو يضر النفس فهو حرام، وكذا كل ما يضر الغير حرام. هذا باختصار ما نفهمه من قوله ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**».

والتدخين بكل طرقه وأشكاله، هو مؤذٍ للنفس وللغير. فيكيف يجيزه البعض، بحجة العادة واستحكامها بالنفوس. وفي هذا يقول فضيلة الشيخ محمد المختار السُّلامي ـ مفتي الديار التونسية ـ حفظه الله تعالى ـ حول رؤيته الإسلامية عن التدخين:

يقولُ تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: 157].

إنَّ نبتةَ التَبغ نبتةٌ أميركيةُ البيئة الأصلية، ولذا فإنَّ العالم القديم ما كان يعرفها، ولقد أتى بها المكتشفون للقارة الأميركية، ونقلوا زراعتها إلى البرتغال وإسبانيا، ثمَّ أخذت تنتشر في أوروبا والمغرب وتركيا وغيرها من بلدان العالم. ويتناولها الناسُ مسحوقةً ودخاناً بعد احتراقِها. ويتناولونها كسجائر، يمتص المستعملُ دخانَها. ويظنُّ أنَّه قد فَاز برضى الذَّوق العام.. حتى بلغَ عدد السجائر المصنعة آلاف المليارات في أواخر النّصف الثَّاني من القرن الماضي.

قلت: لا نجد في نصوص الفقهاء قبلَ نهايةِ القرنِ العَاشر حكمَ التّدخين طبعاً، ولكن بمجرد ما انتشر، رجع المسلمون إلى الفقهاء، واجتهدَ الفقهاء، واتِّجَاهَاتُهم هي التالية:

1 ـ المحرِّم للتّدخين، وألفوا في ذلك رسائل وهم الأكثر عدداً.

2 ـ المحلِّل للتدخين، وهم الأقل عدداً.

3 ـ من يرى كراهة التّدخين.

4 ـ المفصل تبعاً للمصدر المنتج، وللهيئة التي يكون عليها المدخن. فإذا كان الدُّخان منتجاً ببلد إسلامي ولم يخلط بمادة محرَّمة ولم يقع تناوله في مجالس مشبوهة أو محرّمة ولم يترقّب على التدخين ذهاب عدالة أو ضرر بالجسم، فهو حلال، وإن اختَل شرطٌ من الشروطِ فإنَّه حرامٌ.

ولمّا كان الحكمُ بكونِ الشيء حلالاً أو حراماً ليس حكماً مستنداً إلى السُّلطة البشرية أيّاً كان مقامها وإنَّما هو حكم الله، وأنَّ معناه استحقاق الفَاعل للثواب أو العقاب يَوم القيامة، فإنَّه ينبغي تبعاً لذلك أن يكونَ الحكمُ مؤسَّساً على نصّ من الوحي أو قياسٍ على منصوص أو تطبيقاً لقاعدة شرعية. إنَه بمراعاة هذا المبدأ نفصل حكم التبغ في المحاور التالية:

(س) حكمُ التَدخين إذا كان الممارس منفرداً أو في مجلس يجمعه بمدخنين مثله:

(ج) الذي يترجح عندي أنه إن لم يتحقق به ضرر في نفسه كمريض الرَّبو والسل والحامل، فإن التدخين مكروه جداً، وإلاّ فهو حَرام.

(س) حكم التدخين مع غير المدخنين:

(ج) لما كان الدخان يتسرب إلى داخل أجهزة تنفس الحاضرين وقد يضرُّ بهم، فإن التدخين فيه تَعَدٍّ وهو حرام.

(س) حكم زراعة التبغ وترويجه صناعةً ونقلاً وبيعاً ووساطة:

(ج) مكروه جداً. وبعضهم قال: إنَّه حرامٌ.

(س) حكم الإعلان عنه وتحبيبه للناس:

(ج) حرامٌ لما فيه من غش وخداع وإخفاء للنواحي السلبية.

*** ولعل الذي غطى على الإضرار الكثيرة للتدخين ثلاثة أمور:**

أولها: كثرة عدد المستفيدين من التبغ ابتداء من غراسته إلى وصوله إلى يدِ المدخن وما يصحب ذلك من نشاطٍ تجاري حتى بين الدول المنتجة. وللاقتصاد قوته في فرض نفسه على الاختيارات الكبرى.

ثانيها: تأثير الإعلام الذي عرفت الشركات العملاقة كيف تؤثر به على أذواق

الناس واختياراتهم ومعاييرهم. وإنّي إذ أنادي أصحاب القرار بوقف هذا المارد المتمرد «الإعلام» الذي حطم كل القيم وهدَمَ حصانَة الإنسان في عقله وخُلُقِهِ ودينِهِ ومعاييره الاجتماعية، فإنَّ ندائي ليس دعوةً إلى كبت الحريات ولكن دعوةً لإطلاق الحريّة ممن يريدُ خنقها باسم الحرّية. الحرية المسؤولة هي التي كان بها الإنسان خليفةَ الله في أرضه.

وثالثها: أن ميزان كثير من الدول بني على ما يَدُرُّه التَّبغ من دَخْلٍ، وأنه أحد الأبواب التي تلجأ إليها الدُّول لتعديلِ النّقص في الميزانية بالرَّفع في الضَّرائب المسلطة عليه، وهي ضرائب لا تُلاقي رفضاً من الرأي العام، وتحقق الدّخل المقدَّر بعامل الإدمانِ وضعف الإرادة عن الإقلاع.

وإني أدعو الحكومات إلى الموازنة الحقيقية بين ما يترتب على التَّبغ من خسائر ونزفٍ للميزانية في الصحةِ العَامَّة والاقتصاد وبين الموارد التي تتحقق منه. ولا شك أنّها ستدرك أن التدخين سالب لا موجبٌ وهو ما يتبعه تشريع منعه لضرره، وإذا اختار ولي الأمر منعه فإن طاعته في هذا واجبة وينقلب التدخين حراماً، اهـ. والله أعلم.

التدخينُ العدوُ الأول لهرموناتِ الأنوثةِ

لإثبات الوجود بدأت المرأة العربية رحلتها القاتلة مع التدخين.. افتتحتها بأنفاس من سيجارة الزّوج ثمّ تابعته في عادته السيّئة جميعها من تدخين الحشيشة إلى الماريجوانا وحتى الجلوس إلى المقاهي على قارعة الطريق.

وإذا كان لهذه الظاهرة آثارها الاجتماعية والتربوية الخطيرة على جيل جديدٍ من الأبناء ينشؤون في أجواء تفتقد إلى القدوة فإنَّ ما يهمّنا هنا هو إطلاق صيحةِ تحذيرٍ للمرأة التي ستدفع ثمناً أغلى كثيراً مِمّا يدفعه الرِّجالُ عندما يدخنون، والأدهى من ذلك أنّها لن تكون وحدها ضحية التدخين، ولكنّه خطر لن يسلمَ مِن آثاره السلبية أبناؤها، وهم أغلى ما تملكه.

وإن قائمةَ الأمراض التي أثبتتها الأبحاثُ الطبية نتيجة تدخين المرأة تتزايد باستمرار، وتضم دائماً أمراضاً من «العيار الثقيل» من نوعية أمراض «القلب والصدر والسرطان بأشكاله المختلفة». والأدهى من ذلك أن التدخين هو العدوُّ الأول لهرموناتها

الأنثوية، مما يعني أنها تَتَحَوَّل شيئاً فشيئاً إلى شيء لا هو ذكرٌ ولا هو أنثى، أما نصيب ابنِهَا فيتنوَّع بين أمراض الحساسية والصدر التي تصيبه منذ أيَّامه الأولى نتيجة طول التصاقه بأمه.

(40%) من الطالبات مدخنات

رغم هذه الحقائق المزعجة، فقد كشفت دراسة أعدَّها المركزُ القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصرَ خلال عام 2001 م عن حقائق مذهلة، فقد أظهرت النتائج أن (40%) من الطالبات المشتركات في «العينة» وعددُهُن (7255) طالبة، يُدَخنَّ أكثر من (20) سيجارةً يومياً..

رغم أن أكبر واحدة من هؤلاء الطالبات لم يَتَعَدّ عمرها (20) عاماً!

ورصدت الدراسةُ المناسبات التي تدخن فيها الطالبات لأول مرة، فكشفت أن الجلسات مع الصديقات والأصدقاء يمثل 21% من أسباب الإقبال على التدخين، بينما أقبلت 16 % من المبحوثات على التدخين بدافع التقليد والتجربة والمظهرية، في حين قالت 5% من «العينة» إنهن أقدمن على التدخين لمواجهة مشكلة مرت بهن، وقالت 9% إنهن فعلن ذلك في مناسبات سعيدة.

وتشير آخر الأبحاث والدراسات الطبية في هذا المجال إلى أن التدخين يزيد من فرص إصابة المرأة بسرطان الرئة وسرطان عنق الرّحم كما أنّه يتسبب في زيادة الإصابة بسرطان الثدي، كما أن السيدات المدخنات يتعرّضنَ للتّوقف المبكرِ للدّورة الشَّهرية وقلّة الخصوبة.

وأظهرت بعض الدراسات أن 29% من حالات الوفيات بسبب سرطان عنق الرّحم تحدث بين المدخنات. وتتعرض المدخنةُ الحاملُ لمخاطر الإجهاضِ والأوضاع المعيبة للمشيمة، والولادةِ المبكرة، والولادة العسرة، وولادة أطفال مبتسرين، أو ميت مشوه، أو عيوب في التكوين الخلقي لرئة المولود فضلاً عن الإجهاض المبكر.

وبعد الولادة يمكن أن يسبب تدخين الأم في إصابة وليدها بنزلات شعبية متكررة أو الإصابة بفقر الدَّم وحساسية الصّدر والجلد، والإصابة بالقيئ وضعف الشّهية وتأخر تطور الطفل في النطق وانخفاض نسبة الذكاء.

استطلاع لأسباب التّدخين

الغريب أنَّه رغم كلِّ تلك المخاطر فإن نسبة النّساء المدخنات في ارتفاع مستمرّ، بل ويُقبلنَ يوماً بعد يوم على المجاهرة بالتَّدخين ويقدمنَ كل يومٍ على تجربة أنواع أشد خطراً من السيجارة العادية.

سألنا عدداً من السيّدات عن سبب إقبالهن على التَّدخين فقالت لنا (ل. ن) موظفة:

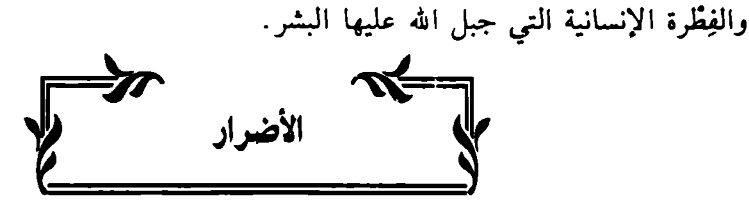
أدخن منذ التَّخرج من الجامعة وأسرتي وأصدقائي يعلمون عني ذلك فليس هذا سرّاً وأعتقد أنَّه من حقي طالما أنَّه ليس بشكل سيئ أو مبالغ فيه، كما أن التدخين ليس عيباً طالما أنّها تدخن بشكل لائق، ولا تدخن وهي حامل أو تدخن أمامَ طفلِها بكثرة!! وتتفق معها (لبنى) وهي رَبَّة منزلٍ في نفس الرأي قائلة: التدخين ليس حراماً، وهو حرية شخصية، وأصبحت كثير من السيدات يدخنَّ السجائر والشيشة أيضاً، فلماذا نغضب من المرأة ولا نغضب من الرجُل الذي يفعل ما يحلو له؟! وتضيف: كما أن التّدخين له آثاره المعروفة، فإن له ضوابطه أيضاً الذي يراعيها الإنسان العاقلُ، فمريض القلبِ والحساسية، لا يدخن، ومن حوله يعرفون ذلك ولا يضايقونه، كما أن أنواع السجائر زادت وأصبح هناك أدواع بها أقل كمية من النيكوتين. ويجب ألاّ ننسى في النهاية أن السجائر ليست خمراً لنشنَّ عليها هذه الحملة القوية.

وتقول (ك. س) صحفية عمرها «33» سنة: بدأت حكايتي مع التّدخين وأنا طالبة في الثانوية مع صديقتي أثناء المذاكرة، وبدا الأمرُ في صورة لعبٍ، ومن وقتها لم أتخلَّ عن التّدخين بل زادت شراهتي له عندما بدأت أتردد على الكوافير الذي يدخن معظم الفتيات عنده دون قلق.. وتضيف: بسببِ التَّدخين تم فسخُ خطبتي الأولى لأنَّ خطيبي كان يكره السجائر ورفضت الإقلاع عنها، ولكني تزوجت بعد ذلك بمدخن، ومع هذا أعترف أن صحتي تأثرت جداً بسبب هذه العادة السيِّئة.

وتقول الطالبة (م. ح): أنا أحب الدكتورة (فاتن..) لأنّها مثقفة وتدافع بقوة عن قضايا المرأة، وتطلب مساواتها بالرجل، ولكني كنت أراها تدخن بشراهةٍ في كلِّ المحاضرات الجامعية والنّدوات التي تحضرها، وشيئاً فشيئاً وجدتني أسيرُ على طريقها.

ومن خلال استطلاع الآراء السَّابقة نجد مدى تَأثُّر المُدَخنات بالأفكار والقِيَم

العلمانية الغَربية التي تعطي مفهوماً خاطئاً لحرية المرأةِ يتنافى مع مبادئ الدّين الحنيفِ والفِطْرة الإنسانية التي جبل الله عليها البشر.



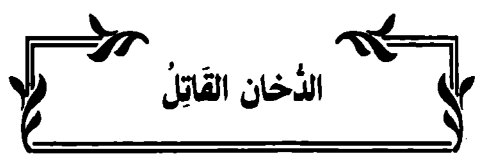
الأضرار

وعن الأضرار التي تلحقُ بالمرأة المدخنةِ يقول «د. ماهر عمران» أستاذ أمراض النساء والتوليد بكلية الطبّ بجامعة عين شمس بالقاهرة:

هناك أضرارٌ للتَّدخين تنفردُ بها المرأةُ عن الرجل مثل تأثير التَّدخين على خصوبَتِها وعلى الحمل والإنجاب، بل وتأثيره على الأحفاد.. والدّراسات تؤكد أن التدخينَ هو العدوّ اللّدود للمفهوم الحقيقي للأنوثة، فقد ثبت أولاً أن النيكوتين وبعض المواد التي تحويها السيجارة، وهي تزيد على (650) مادّة كيماوية، تحارب هرمون الاستروجين الأُنثوي بجميع الأسلحة وفي جميع المواقع، فَالتَّدخين يعطل عمل الهرمونات التي تنظم عملية الحيض (الدورة الشهرية) ويقتل خلايا المبيض والبويضات التي تفرز الاستروجين، وهو هرمون النضج والأنوثة الكاملة، ولا تنتقل المرأة من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج في غيابه، ومن ثم تنعدم علامات الأنوثة، ويغيب الحيض والتبويض.

والتدخين يقلل استفادة الأنسجة التي تعتمد على هذا الهرمون في جسم المرأةِ وهي متعددة مثل: «الثديين والجلد والأعضاء التناسلية الخارجية والداخلية والعظام والقلب والأوعية الدموية ومراكز الذاكرة في المخ».

ويضيفُ الدكتور عمران أن الدراسات أكدت أن التدخينَ يزيد من تناقصِ أعداد البويضات، وهو ما يجعل المرأة تصلُ إلى سنِّ اليأس ومرحلةِ الشّيخوخة المبكرة.



الدُّخان القاتِلُ

* الشرق الأوسط/ توقَّع تقريرٌ عن منظمة الصحة العالمية أن يَقْتُلَ التَدخين بحلول عام (2020 م) «10 ملايين» شخص سنوياً منهم (7) ملايين في العالم الثالث، حيث زادت نسبة المدخِّنين في الدّول النَّامية بمعدل (2،7) في المئة سنوياً، بينما تتناقص معدلات التدخين بنسبة (1،8) في المئة في الدول المتقدمة.

وقدَّرت المنظمَةُ في تقريرها ـ الذي أصدرته بمناسبة الاحتفال باليوم العَالمي لمكافحة التَّدخين ـ عَدَدَ المدَخنين في العالم بنحو «مليار ومئة مليون» شخص، منهم حوالي (800) مليون بالدُّول النامية، وتقدر نسبةُ المدخنين في الدّول النّامية بين النّساء بحوالي (7) في المائة وبين الرجال (48) في المئة، كما يعدُّ التَّبغ رابع سلعة عالمية تحتكرها حفنة من الشّركات تنفق سنوياً حوالي (4) مليارات دولار على الإعلان والدّعاية للترويج لهذه السّلعة الضَّارة بالصّحة.

وحذَّر التَّقرير من خطر التدخين الذي كان يؤدي إلى وفاة شخص من بين كل (12) شخصاً عام (1990 م) وفي عام (2020 م) سيتسبب التَّدخين في وفاة شخصٍ بين كل (7) أشخاص. وأشار التَّقرير إلى أنَّ نسبة الوفيات بين المدخنين من سن (35) عاماً إلى (69) عاماً تفوق ثلاث مرات مثيلتها لدى غير المدخنين، حيث أكدت الأبحاث العلمية أن التَّدخين هو المسؤول عن (90) في المئة من وفيات سرطان الرِّئة في العالم، و(30) في المئة عن جميع إصابات السرطان.

ويعتبر التَّدخين مسؤولاً عن (40) في المئة من حالات نقص الوزن لدى الأطفال حديثي الولادة في الدُّول الغربية، كما أنه مسؤول عن حُدوث الولادة قبل إتمام فترة الحَمْل فيسبب الضعف وتزداد فرصة إنجاب طفل بوزن أقل من (3,5) كيلوغرام عند الأم التي تدخن بكثرة بنسبة (30) في المئة.

السجائرُ الأميركية تحتوي على نِسَب أعلى مِن المواد المسرطنَةِ

* يقول العلماءُ الأميركيونَ أنفسُهُم: إنَّ السّجائر الأميركيَّة تحتَوي على مستوياتٍ من المَواد الكيماوية المسَبِّبة للسّرطان أعلى مِن معظمَ أنواع السجَائر الأُخرى التي تنتِجُهَا الشَّركات الأجنبية.

وقارنَ مركز السَّيطرة والوقاية من الأمراض الذي يتخذ من «أتلانتا» في ولاية جورجيا مقراً له بين مستوى مادة «نيتروسامين» المسببة للسَّرطان في السَّجائر الأميركية التي اختيرت لتوافرها في كافَّة أنحاء العالم ومستويات هذه المادّة في أنواع أخرى من السجائِر المحلية في (13) دولة أخرى بما فيها اليابان وألمانيا.

ووجد المركزُ أنَّ مستويات المادّة الكيماوية في أنواع السَّجائر المحلية في (11)

دولة أقلُّ كثيراً من مستوياتها في السجائر الأميركية. . وكانت في بعض الأحيان أقل من نصف الكمية.

وأبلغ «ديفيد إشلي» الذي أجرى البحث وكالة أنباء «أسوشيتدبرس» أنَّ النَتَائج التي نشرت في دورية أبحاث النيكوتين والتبغ قد تشير إلى أنَّه من الممكن للمصنّعين تقليل مستوياتِ مادَّة «نيتروسامين» المسببة للسَّرطان في السّجائر.

وقالت شركة «فيليب موريس» الأميركية التي تنتج تلك السَّجائر: إنها تعمل مع مزارعي التّبغ الأميركيين لخفض كميّة المواد المسببة للسّرطان في منتجها.

وقال «بريندان هكورماك» المتحدث باسم الشركة: نحاول إيجاد وسيلة لتقليل الضرر المرتبط بمنتجاتنا عن طريق خفض مستوى المكونات الضارة التي يدخنها المدخنون.

غير أن مركز السّيطرة والوقاية من الأمراض حذر من أن مادَّة نيتروسامين هي المادة الوحيدة المُسَببة للسّرطان التي عُثِرَ عليها في السَجائر وقال: إنَّ خفض مستوى مادّة واحدة بمفردها لا يضمن تقليل مخاطر السجائر.

وقالت جماعات مناهضة للتدخين: إنَّ الدّراسة تثبت أن صناعةَ التَبغ لم تفعل إلا القليل لإزالَةِ المواد الكيماوية الضَّارة مِنَ السَّجَائر.

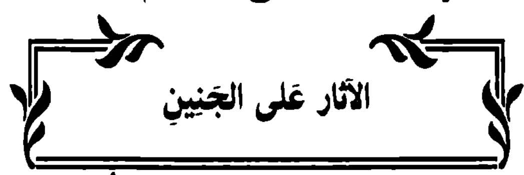
(23) ألف شخص يموتون نتيجة التدخين سنوياً في السّعودِيَّة أكبر رَابع دَولَةٍ مُسْتَوردة في العَالَم 23/03/1424 هـ

جاء في جريدة «الوطن» السعودية: كَشَفَت تَقَارير صِحية أنَّ عددَ الوَفيات النَّاتجة عَن التَدخين ومشتَقّاته في السعودية تقدر بأكثر من (23) ألف شخص سنوياً، في حين تعتبر رابع أكبر الدول المستوردة للسجائر في العالم بمبيعات تصل إلى (15) مليار سيجارة، بقيمة تصل إلى (636) مليون ريال سنوياً، في وقت تستهلك مدينة الرّياض وحدها نحو (35%) من الاستهلاك الكلي للسعودية من السجائر.

وقال وزيرُ الصِّحة «حَمَد المانع» في بيانٍ لوزارة الصِّحّة بمناسبة مشاركَةِ السعودية دول العالم للاحتفال باليوم العالمي لمكافحة التَّدخين تحت شعار «أفلام خالية من التبغ»: إنَّ الوزارة قامت بنَشْر عياداتِ مكَافَحَةِ التَدخين في جميع مناطق السُّعُوديّة للحدّ مِن انتِشَار التَدخين ومساعدة الشباب المدخنينَ على التخلص من هذه العَادة، مشيراً إلى

أن هذه المشكلة تحتاج إلى تضافر جهود الجِهَات الرّسمية والشَّعبية أفراداً وجماعات لمواجهة هذا الخطر الذي بات يهدد صِحّة المجتمع بشكل واضح.

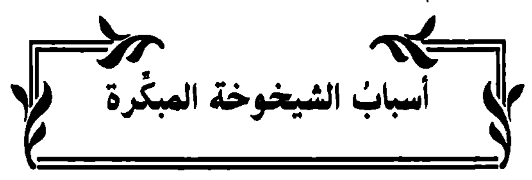
من جانبه أكَّدَ المشرفُ على برنامج مكافَحَةِ التَّدخين في وزارة الصحة إنشاءَ أكثر من (55) عيادة لمكافحة التّدخين تعمل بإمكانيات بشرية وفنية ضخمة، وتقدم خدماتها مجاناً لكافة أفراد المجتمع المدخنين مِمَّن يرغبون في الإقلاع عنه، والتي استقبلت عشرات الآلاف من المدَخنين بلغت نسبة المقلعين منهم (35%). وأضاف أن ما بين (5 إلى 10 %) من المدخنين في السُّعودية تتراوح أعمارهم بين (15 ـ 17) سنة.



الآثار عَلى الجَنِينِ

أما آثارُ التَّدخين على الجنين فلا تُحصى، ويحدثُنا عنها أيضاً الدكتور عمران قَائلاً: إن الجنينَ يعتمد كلية على ما يصلُ إليه من غذاءٍ وأوكسجين بواسطة المشيمة، وعدد كرات الدَّم الحمراء التي تحمل للجنين ما يحتاجه من الأوكسجين، وتؤدي محتويات السيجارة إلى حدوث ضيق في الأوعية الدموية للمشيمة، كما أن غاز أوّل أكسيد الكربون السام الناتج عن احتراق السيجارة يحتلّ أماكن حمل الأوكسجين على كرات الدم الحمراء التي تعجز عن إمداد الطفل بحاجته من الأوكسجين، ولهذا تأكدَ أن الأطفال المولودين لأمهات مدخنات هم أخف وزناً من أطفال غير المدخنات، كما يزيد التدخين من فُرصٍ حدوث ولادةٍ مبتسرة قبل الموعد بسبب الضعف.

وأحدث ما أضافته الأبحاث الطبية على مدى السّنوات الماضية هو وجود علاقة وطيدة بين التّدخين وسرطان عنق الرَّحم، وثبت أن المرأةَ المدخنة تتضاعف فرصة إصابتها بهذا النوع من الأورام الخبيثة.



أسبابُ الشيخوخة المبكّرة

أمّا الدكتور «محمد التُّهامي» مدرس مساعد الأمراض الجلدية والتناسلية في جامعة عين شمس فيقول:

التدخين له أثرٌ كبير في القضاءِ على حيويّة الجلدِ وظهور علاماتِ الشيخوخة

المبكرة، وذلك بسبب فقدان الجلد لمادة (الكولاجين) بسبب التّدخين الذي يقوم بتكسير هذه المادّة، كما أن التَّدخين يزيد من المؤكسدات الحرَّة والتي تقلل من الأنزيمات المسؤولة عن تحديد كميتها، ونتيجةً لزيادةِ هذه المؤكسدات تَظْهَرُ على الجلدِ علامات الشيخوخة.

ويضيف: أن التدخين وراء وفاة 75% دون أعراض مسبقة و78% بسبب جلطة القلب و70% بالذبحة الصدرية و68% بسرطان الرئة و14% بسرطان الحنجرة و12% بسرطان الفم و5% بسرطان المثانة. ا هـ. (إ).

❀ ❀ ❀

لطيفة في الحمقى ورعونتهم

قال شهاب الدين محمد بن أبي أحمد الأبشيهي ـ رحمه الله تعالى ـ أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد قال: بلغني أن المهدي لما فرغ من«عيسا باذ»[1] ركب في جماعة يسيرة لينظر، فدخل مفاجأة فأُخرج كل من كان هناك من الناس وبقي رجلان خُفيا عن أبصار الأعوان، فرأى المهدي أحدهما وهو دهش لا يعقل فقال: من أنت؟ قال: أنا أنا أنا، قال: ويلك من أنت؟ قال: لا أدري، قال: ألك حاجة؟ قال: لا، لا، قال: أخرجوه أخرج الله نفسه، فدفع في قفاه، فلما خرج قال لغلامه: اتبعه من حيث لا يعلم فسل عن أمره ومهنته، فإني أخاله حائكاً، فخرج الغلام يقفوه، ثم رأى الآخر فاستنطقه فأجابه بقلب قوي ولسان جريء فقال: من أنت؟ فقال: رجل من أبناء رجال دعوتك، قال: فما جاء بك إلى هنا؟ قال: جئت لأنظر هذا البناء الحسن، وأتمتع بالنظر، وأكثر من الدعاء لأمير المؤمنين بطول المدة، وتمام النعمة، ونماء العز والسلامة؟ قال: ألك حاجة؟ قال: نعم، خطبت ابنة عم لي فردني أبوها وقال: لا مال لك، والناس يرغبون في المال وأنا بها مشغوف، قال: قد أمرت لك بخمسين ألف درهم، قال: جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين، قد وصلت فأجزلت الصلة، ومننت فأعظمت المنة، فجعل الله باقي عمرك أكثر من

(1) محلة كانت بشرقي بغداد منسوبة إلى عيسى بن المهدي وأمه وأم الرشيد. . وبنى بها المهدي قصره الذي سماه قصر السلام فبلغت النفقة عليه خمسين ألف درهم «معجم البلدان» (3/ 752).

ماضيه، وآخر أيامك خيراً من أولها، ومتعك بما أنعم به وأمتع رعيتك بك. فأمر أن يجعل صلته ووجه بعض خاصته معه وقال: سل عن مهنته فإني أخاله كاتباً. فجاء الرسول الأول فقال: وجدته حائكاً وأخبر الآخر قال: وجدته كاتباً. فقال المهدي: لم يخف عليّ مخاطبة الحائك والكاتب.

❁ ❁ ❁

عندما يحمى الوطيس

الخيل تأبى غيرَ أحمدَ حامياً ... وبها إذا ذكر اسمه خيلاءُ
شيخ الفوارس يعلمون مكانه ... إن هيّجت آسادها الهيجاء
وإذا تصدّى للظّبى فمهنّد ... أو للرماح فصعدة سمراء
وإذا رمى عن قوسه فيمينه ... قدر وما ترمي اليمين قضاء
من كلّ داعي الحقّ همّة سيفه ... فلسيفه في الراسيات مضاء
ساقي الجريح ومطعم الأسرى ومن ... أمنت سنابك[1] خيله الأشلاء
إنّ الشجاعة في الرجال غلاظة ... ما لم تزنْها رأفة وسخاء
والحرب من شرف الشعوب فإن بغَوا ... فالمجد ممّا يدّعون براء
والحرب يبعثها القويّ تجبّراً ... وينوء تحتَ بلائها الضعفاء
كم مِن غزاةٍ للرسول كريمةٍ ... فيها رضى للحقّ أو إعلاء
كانت لجند الله فيها شدّة ... في إثرها للعالمين رخاء
ضربوا الضلالة ضربةً ذهبت بها ... فعلى الجهالة والضلال عفاء
دعموا على الحرب السلام وطالما ... حقنت دماء في الزمان دماء
الحقّ عرض الله كلّ أبيّة ... بين النفوس حمىً له ووقاء
هل كان حول محمّد مِن قومه ... إلاّ صبيّ[2] واحد ونساء

(1) سنابك الخيل: أطراف حوافرها. والأشلاء: الأوصال المقطعة.
(2) الصبيّ: يريد به الإمام علي بن أبي طالب الذي كان أول من آمن بدعوى الرسول ﷺ. ويريد بالنساء، خديجة أم المؤمنين، زوج الرسول ﷺ، أول من آمنت بدعوته من النساء.

فدعا فلبّى في القبائل عصبة — مستضعفون قلائل أنضاء[1]
ردوّا ببأس العزم عنه من الأذى — ما لا تردّ الصخرة الصمّاء
والحقّ والإيمان إن صبّا على — برد ففيه كتيبة خرساء[2]
نسفوا بناءَ الشّركِ فهو خرائب — واستأصلوا الأصنامَ فهي هباء
يمشون تغضي الأرض منهم هيبةً — وبهم حيال نعيمها إغضاء[3]
حتى إذا فتحت لهم أطرافها — لم يطغهم ترفٌ ولا نعماء
يا من له عزُّ الشفاعة وحدَه — وهو المنزّه ما له شُفَعاء
عرش القيامة أنتَ تحتَ لوائه — والحوضُ أنت حيالَه السقّاء
تروى وتسقي الصالحين ثوابهم — والصالحات ذخائر وجزاء
ألمثلِ هذا ذقتَ في الدنيا الطوى — وانشقّ من خلقٍ عليك رداء
لي في مديحكَ يا رسولُ عرائسٌ — تُيمّن فيك وشاقهنّ جلاء
هنّ الحسانُ فإنْ قبلتَ تكرّماً — فمهورهنّ شفاعةٌ حسناء
أنتَ الذي نظم البريّة دينه — ماذا يقول وينظم الشعراء
المصلحون أصابع جمعت يداً — هي أنت بل أنت اليدُ البيضاء
ما جئتُ بابَك مادحاً بل داعياً — ومنَ المديح تضرّع ودعاء
أدعوكَ عن قوم الضّعافِ لأزمةٍ — في مِثلِها يُلقى عليك رجاء
أَدرى رسولُ الله أنّ نفوسَهم — ركبت هواها والقلوب هواء
متفكّكون فما تضمّ نفوسهم — ثقة ولا جمع القلوبَ صفاء
رقدوا وغرّهمُ نعيم باطل — ونعيمُ قومٍ في القيود بلاء
ظلموا شريعتَك التي نلنا بها — مالم ينل في رومةَ الفقهاء
مشت الحضارة في سناها واهتدى — في الدين والدنيا بها السّعداء

(1) أنضاء: فيهم هزال وضعف.
(2) الخرساء من الكتائب ما لا يسمع لها صوت لوقار أهلها في الحرب.
(3) الإغضاء: غضّ النظر.

ورواه الإمام أحمد (1712)، بأطول منه، من طريق أبي عثمان، عن عبدُ الرحمن بنُ أبي بكر: أن أصحاب الصُّفَّة كانوا أناساً فُقراءَ، وان رسولَ الله ﷺ، قال مرة: «مَن كانَ عِندَه طَعَامُ اثْنَيْنِ، فَلْيَذْهَبْ بثالثٍ، مَنْ كان عندَه طعامُ أربعةٍ فَلْيَذْهَب بخَامِسٍ، بسادِسٍ» أو كما قال، وإن أبا بكر جاء بثلاثةٍ، وانطلق نبيُّ الله ﷺ بعشرةٍ، وأبو بكرٍ بثلاثةٍ، قال: فهو أنا وأبي وأمي ـ ولا أدري هل قال: وامرأتي ـ وخادمٌ بَيْنَ بيتنا وبيتِ أبي بكر، وإن أبا بكر تَعَشّى عندَ رسولِ الله ﷺ، ثم لَبث حَتى صُلّيتِ العِشاءُ، ثم رجع، فَلَبِث حتى نَعَسَ رسولُ الله ﷺ، فجاَء بعدَ ما مَضَى مِن الليلِ ما شاءَ اللهُ، قالتْ له امرأته: ما حَبَسَكَ عن أضيافكِ ـ أو قالت: ضَيْفِك ـ ؟ قال: أوَ ما عَشّيْتِهِمْ؟ قالت: أبَوْا حتى تَجِيءَ، قد عَرَضُوا عليهم فغلبُوهم. قال: فذهبتُ أنا فاختبأتُ، قال: وقال: يا عَنْتَرُ، أو يا غُنْثَرُ[1]. فَجَدّع وسبّ[2]، وقال: كلوا، لا هَنِيّاً[3]، وقال: والله لا أطْعَمُه أبداً.

قال: وحَلَف الضيْفُ أن لا يَطْعَمَه حتى يَطْعَمَه أبو بكرٍ، قال: فقال أبو بكر: هذه مِن الشيطان. قال: فدعا بالطعام فأكَل، قال: فأيمُ اللهِ، ما كنا نأخُذ مِنْ لُقْمَةٍ إلا رَبَا من أسفلِها أكثرُ منهاَ، قال: حتى شَبِعُوا، وصارَتْ أكثرَ مما كانت قبلَ ذلك، فنظر إليها أبو بكر، فإذا هِيَ كمَا هِيَ، أو أكثرُ، فقال لامرأتِهِ: يا أختَ بني فِرَاس، ما هذا؟ قالت: لا وقُرَّةَ عَيْنِي، لَهِيَ الآنَ أكثرُ منها قبلَ ذلك بثلاثِ مِرَارٍ. فأكل منها

(1) قوله: يا عنتر أو يا غنثر، قال ابن الأثير في «النهاية» في باب العين مع النون: هكذا جاء في رواية، وهو الذباب شبهه به تصغيراً له وتحقيراً، وقيل: هو الذباب الكبيرُ الأزرق شبهه به لشدة أذاه، وقال في باب الغين والنون، قيل: هو الثقيل الوَخِمُ، وقيل: الجاهل، من الغثارة: الجهل، والنون زائدة.

(2) قوله: فجدّع بتشديد الدال المفتوحة، أي: خاصمه وذمّه، والمجادعة: المخاصمة، وقال في «اللسان» جادعه مجادعة وجداعاً: شاتمه وشارّه، كأن كل واحد منهما جَدَعَ أنف صاحبه. وقال النووي: فجدع، أي: دعا بالجدع وهو قطع الأنف وغيره من الأعضاء. قال أحمد شاكر: وهذا أصح وأقرب، فإن «جدّع» غير «جادع» ويؤيده ما في «اللسان»: وفي الدعاء على الإنسان: جدعاً له وعقراً نصبوها في حد الدعاء على إضمار الفعل غير المستعمل إظفاره، وحكى سيبويه: جدعْتُه تجديعاً وعقرته: قلت له ذلك. وهذا نص صريح.

(3) قوله: «لا هنياً»، قال السندي: قيل: قاله تأديباً لهم لأنهم تحكموا على أهل المنزل، وقيل: هو خبر، أي: أنهم لم يتهنّوا به في وقته، قيل: وهو الأوجه. وعقد، أي: عهد على أنهم يجيئون يوم كذا.

أبو بكر، وقال: إنما كان ذلك من الشيطانِ. يعني يَمينَهُ، ثم أكل منها لُقمةً، ثم حَمَلها إلى رسولِ الله ﷺ، فأصبَحَتْ عنده. قال: وكان بينَنا وبينَ قومٍ عَقْدٌ، فمضى الأَجَلُ، فعَرَّفْنا اثني عشر رجلاً[1] جمع كل رجل أناسٌ، الله أعلم كم معَ كُل رجل، غيرَ أنه بَعَثَ معهم، فأكلوا منها أجمعونَ، أو كما قال.

❀ ❀ ❀

لا تحزن إن أثقلتك الذنوب فإن لك في صلاتك كفّارة

هل تعلم بأن صلاتك ممحاة لذنوبك. وأنها مطهِّرة لآثامك. نعم هي كذلك. فعن الحارث مولى عثمان بن عفان ـ ﷺ ـ قال: جلس عثمان يوماً وجلسنا معه، فجاءَه المؤذِّن، فدعا بماءٍ في إناءٍ، أظنه سيكون فيه مُدٌّ، فتوضأ، ثم قال: رأيتُ رسول اللّه ﷺ يتوضأ وضوئي هذا، ثم قال: «**ومَن تَوضّأ وُضُوئي هذا، ثم قام فصَلّى صلاةَ الظهر، غُفرَ له ما كان بينَها وبينَ الصّبح، ثم صَلّى العصر غُفِرَ له ما بينَها وبينَ صلاة الظهر، ثم صَلّى المغربَ غُفِرَ له ما بينَها وبينَ صلاةِ العصرِ، ثم صَلى العشاءَ غُفِرَ له ما بينَها وبين صلاةِ المغرب، ثم لَعَلّه أن يَبيتَ يتَمَرَّغُ ليلَته، ثم إنْ قامَ فتوضأ وصَلّى الصبحَ غُفِرَ له ما بينَها وبين صَلاةِ العشاءِ، وهُنَّ الحسناتُ يُذهِبْنَ السيئاتِ**». قالوا: هذه الحسنات، فما الباقياتُ يا عثمانُ؟ قال: هنَّ: لا إله إلا الله، وسبحانَ الله، والحمدُ لله، والله أكبر، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله[2]. (ع).

«المرء مع من أحب»

هل فكرتَ يوماً مع من ستُحشَر يوم القيامة؟ هل واجهت نفسك بتلك الحقيقة

---

(1) قوله: «فعرفنا اثني عشر رجلاً» قال النووي في «شرح مسلم» (14/ 19) هكذا هو في معظم النسخ (يعني نسخ صحيح مسلم) فعرفنا بالعين وتشديد الراء، أي: جعلنا عرفاء، وفي كثير من النسخ: ففرقنا بالفاء المكررة في أوله وبقاف من التفريق، أي: جعل كل رجل من الاثني عشر مع فرقة، وهما صحيحان، والعريف النقيب، وهو دون الرئيس.

(2) رواه الإمام مالك في «موطئه» (489) وسلاً، ووصله الإمام أحمد (513) والبزار (405)، وغيرهما، وإسناده حسن. وانظر أخي الكريم كلامنا على معنى الباقيات الصالحات في كتابنا «الوحي الآخر».

التي لا بُدَّ منها. وأنها واقعة لا محالة. فإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، فلا بُدَّ لك من جلسة مصارحة مع النفس لتحدد موقفك منذ الآن.

جاء زر من حبيش إلى صفوان بن عسَّال المرادي ـ رضي الله عنه ـ فقال له: هَل حَفِظتَ عَن رسولَ الله ﷺ في الهوى حَدِيثاً؟ قالَ: نعَمْ، كُنَّا معَ رَسُولِ الله ﷺ في سفَرٍ ـ قد سمّاه عاصِمٌ ـ إذ نَاداهُ رَجُلٌ كَانَ في أُخْرَياتِ القَوْم بصَوتٍ لَهُ جَهْوريٌّ جلْفٍ جافي، فَقَالَ: يَا مُحمّدٌ، يا مُحَمّد، فقال لَهُ القَوْمُ: مَهْ إنَّكَ نهيتَ عن هَذا، فَأَجَابَهُ رسُولُ الله ﷺ علَى نحوٍ مِن صَوْتِه: هاؤُمُ هَاؤمُ، فقَال: الرجُلُ يحبّ القَوْمَ، ولمّا يَلْحقْ بِهم، قالَ رسُولُ الله ﷺ: **«المرْءُ مع منْ أحبّ»**

فما برِحَ يُحدِّثُنَا حتّى حدّثَنا إن الله جَعل بِالمَغْرب بَاباً مَسيرةُ عَرْضِهِ سَبْعُون عاماً لِلتّوْبة، لا يُغْلَقُ مَا لَمْ تَطْلُع الشّمْس من قِبله قالَ: «وذلكَ قَوْلُ الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾» [الأنعام: 158][1].

❀ ❀ ❀

عليك بالجماعة المؤمنة فإنك لن تحزن إذا حزن الناس

«يد الله مع الجماعة» و**«إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»** ـ أي: البعيدة. والجماعة رحمة، والفرقة عذاب. ولا يعرف مرارة الفرقة والبُعد عن الجماعة، إلا من ذاقها وتجرَّعها مرارةً علقماً. يقول الله العظيم: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 103 ـ 105].

وعن أبي عامر عبد الله بنِ الحيّ قَالَ: حَجَجَنا مَعَ مُعاوِيَةَ بْن أَبِي سُفيانَ فَلمّا قدِمنَا مَكّة قَامَ حِينَ صَلى صَلاةَ الظّهر فَقَالَ: إن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إن أَهلَ الكتابينِ افترَقُوا في دِينِهم على ثنتينِ وَسبعينَ مِلّة، وإن هذهِ الأمّة ستَفترِقُ على ثلاث وسبعِينَ مِلّةَ ـ يَعني: الأهواء ـ كُلّها في النار إلا واحِدة، وهي الجماعَة وإنّهُ سَيَخرج في أُمّتِي أقوام**

(1) رواه الإمام أحمد (18095) والنسائي في «الكبرى» (11178/ 6) واللفظ له، وإسناده حسن.

بالدية، وفي العمد بالقود، وفي الأموال أن تردها إلى مواضعها، ثم تعمل فيها برأيي، فإنما هو مال الله تعالى، ونحن أمناؤه، فإن كنت أردت الناس لي فما أغناني عنهم، وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم، وسيأتيك عني أمران: . . لين وشدة، فلا يؤمننك إلا الطاعة، ولا يوحشنّك إلا المعصية، وإذا أعطاك الله ﷻ الظفر، فلا تقتلنّ جانحاً، ولا أسيراً. وكتب في ـ أسفل الكتاب:

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها ... وتطلب رضائي بالذي أنا طالبهُ
فإن تَرَ مِنّي غفلةً قرشيةً ... فيا ربما قد غصّ بالماء شاربه
وأن ترَ منّي وثبةً أمويةً ... فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تأمنني والحوادثُ جمةٌ ... فإنك تجزى بالذي أنت كاسبُه
فلا تعدُ ما يأتيك مني وإنْ تعد ... يقمن به يوماً عليك نوادبه
فلا تمنعنّ الناس حقاً علمته ... ولا تعطينّ ما ليس للناس واجبه
فإنك أنْ تعطي الحقوق فإنما ... النوافل شيءٌ لا يثيبك واهبه

فلما ورد الكتاب على الحجاج كتب إلى أمير المؤمنين: أما بعد، فقد ورد كتاب أمير المؤمنين بذكر إسرافي وتبذيري في الأموال. ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية، ولا قضيت حقوق أهل الطاعة، فإن كان قتلي العصاة إسرافاً وإعطائي المطيعين تبذيراً، فليمض لي أمير المؤمنين ما سلف والله ما أصبت القوم خطأ فأوديهم ولا ظلمتهم عمداً فأقاديهم ولا قتلت إلا لك، ولا أعطيت إلا فيك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وكتب في أسفل الكتاب:

إذا أنا لا أبغي رضاك وأتّقي ... أذاك فليلي لا تُوارى كواكبُهُ
وما لامرئٍ بعد الخليفة جنة ... تقيه من الأمر الذي هو راكبه
إذا قارف الحجاج فيك خطيئةً ... لقامت عليه بالصباح نوادبه
إذا أنا لم أدنِ الشفيق لنصحه ... وأقصِ الذي تسري إليّ عقاربه
وأعط المواسي في البلاء عطيةً ... لردّ الذي ضاقت عليّ مذاهبه
فمن يتّقي بؤسي ويرجو مودتي ... ويخشى غداً والدهر جَمٌّ نوائبه
وأمري إليك اليوم ما قلت قلته ... وما لم تقله لم أقلْ ما يقاربه
ومهما أردت اليوم مني أردته ... وما لم ترده اليوم إني مجانبه

حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**من سَرَّهُ أن يجد طعم الإيمان، فليحب العبدَ لا يُحبُّهُ إلا لله عزَّ وجلَّ**».

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: 1].

وقد ذكر لنا المولى عزَّ وجلَّ كيف يكون التنصُّل من أهل الكفر في قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه. فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: 114].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: 4] الآية.

❀ ❀ ❀

لا تحزن طالما أنه لن يغلبَ عُسرٌ يُسرَينِ

مهما طال البلاء، وامتدت الفتنة، فلا بُدَّ من الفرج بعد الشدة، ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87]. ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: 110].

روى البخاري في «التفسير» باب (94)، عن ابن عُيينة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، أي أن مع ذلك العسر يُسراً آخر، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: 52]، ولن يغلب عُسرٌ يُسرين[1].

---

(1) قال الحافظ في «الفتح» (9/ 729 ـ 730): قول ـ البخاري ـ ﴿مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾. قال ابن عيينة: أي أن مع ذلك العسر يسراً آخر، كقوله تعالى ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: 52] وهذا مصير من ابن عيينة إلى اتباع النحاة في قولهم: إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى، وموقع التشبيه أنه كما ثبت للمؤمنين تعدد الحسنى كذا ثبت لهم تعدد اليسر، أو أنه ذهب إلى أن المراد بأحد اليسرين الظفر وبالآخر الثواب فلا بد للمؤمن من أحدهما.

قوله ﷺ: «**ولن يغلب عسر يسرين**» روي هذا مرفوعاً موصولاً ومرسلاً، وروي أيضاً =

ـ وروى الحاكم (4004/ 3)، بإسناد جيد عن الحسن ـ مرسلاً ـ في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، قال: خرج النبيّ ﷺ يوماً مسرُوراً فرحاً، وهو يضحكُ، وهو يقول: «لَن يَغلِبَ عسر يسرين ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5 ـ 6].

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ:

يبين إيمان المؤمن عند الابتلاء، فهو يبالغ في الدعاء ولا يرى أثراً للإجابة، ولا يتغير أمله ورجاؤه ولو قويت أسباب اليأس، لعلمه أن الحقَّ أعلمُ بالمصالح. أو لأن المراد منه الصبر أو الإيمان ـ فإنه لم يحكم عليه بذلك إلا وهو يريد من القلب التسليم لينظر كيف صبره، أو يريد كثرة اللجأ والدعاء. فأما من يريد تعجيل الإجابة ويتذمر إن لم تتعجل، فذاك ضعيف الإيمان، يرى أن له حقاً في الإجابة، وكأنه يتقاضى أجرة عمله.

أما سمعت قصة يعقوب عليه السلام: بقي ثمانين سنة في البلاء ورجاؤه لا يتغير، فلما ضم إلى فَقْدِ يوسف فقد بنيامين لم يتغير أمله وقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: 83]. وقد كشف هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 214].

= موقوفاً، أما المرفوع فأخرجه ابن مردويه من حديث جابر بإسناد ضعيف ولفظه «أوحي إليّ إن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً، ولن يغلب عسر يسرين».
وأخرج سعيد بن منصور وعبد الرزاق من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان العسر في جُحْرٍ لدخل عليه اليسر حتى يخرجه، ولن يغلب عسر يسرين. ثم قال: إن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً» وإسناده ضعيف.
وأخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق الحسن عن النبي ﷺ.
وأخرجه عبد بن حميد عن ابن مسعود بإسناد جيد من طريق قتادة قال: «ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بَشَّر أصحابه بهذه الآية فقال: لن يغلب عسر يسرين إن شاء الله» وأما الموقوف فأخرجه مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه (عن عمر أنه كتب إلى أبي عبيدة يقول: مهما ينزل بامرئ من شِدّة يجعل الله له بعدها فَرَجاً وإنه لن يغلب عسر يسرين». وقال الحاكم (4004/ 3): صح ذلك عن عمر وعلي، وهو في «الموطأ» عن عمر لكن من طريق منقطع، وأخرجه عبد بن حميد عن ابن مسعود بإسناد جيد، وأخرجه الفراء بإسناد ضعيف عن ابن عباس.

ومعلوم أن هذا لا يصدر من الرسول والمؤمنين إلا بعد طول البلاء وقرب اليأس من الفرج، ومن هذا قول رسول الله ﷺ: «**لا يزال العبدُ بخيرٍ ما لم يستعجل، قيل له: وما يستعجل. قال: يقول: دعوت فلم يُسْتَجَبْ لي**»[1]. فإياك إياك أن تستطيل زمان البلاء، وتضجر من كثرة الدعاء، فإنك مبتلى بالبلاء متعبد بالصبر والدعاء، ولا تيأس من روح الله وإن طال البلاء.

❀ ❀ ❀

لا تحزن إن كنت فقيراً أو مفلساً

قال الله العزيز الحكيم: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: 43].

وروى «الصحيح» من حديث ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما «أنَّ النبيَّ ﷺ بَعثَ مُعاذاً رضي الله عنه إلى اليَمن فقال: «**ادعُهم إلى شهادةِ أن لا إلهَ إلاّ الله وأني رسولُ الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعْلِمْهُمْ أنّ الله افترَضَ عليهم خَمس صَلواتٍ في كلِّ يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعْلِمْهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً في أموالِهِمْ تُؤخَذُ منّ أغنيائهم وتُرَدُّ على فقرائهم**»[2].

لقد أثبتت الدراسات والتجارب في دول العالم، ولاسيما الدول الكبرى، أن الحد من ظاهرة التضخم المالي تتطلب اتباع سياسة منهاج الإسلام وتشريعاته. وأن الزكاة، تلك الفريضة الإسلامية التي تدعو للتقارب بين طبقات الأغنياء والفقراء هي وسيلة ناجحة للمساعدة على الحد من التضخم المالي؛ حيث إن الزكاة عندما تعطى للفقراء، تعتبر انتقالاً للمنفعة المالية، وبالتالي تزيد القيمة الحقيقية للمال؛ لأن المال عندما يزيد مع الفرد تبعد القيمة النقدية لديه عن حد المنفعة، فيستخدم كثيراً من المال في كماليات هذه الحياة، على العكس من الفرد الذي يمتلك مالاً أقل، فهو ينتفع بكل أمواله في الاتجاه الصحيح قدر الإمكان... وهكذا عندما ينتقل المال بهذه الصورة من الغني إلى الفقير، فإن ذلك سيؤدي إلى زيادة القيمة الحقيقية للنقد.. وهذا معناه الحدّ من التضخم.

---

(1) رواه الإمام أحمد (13008) وأبو يعلى (2865) والبزار (3137)، وغيرهم من حديث أنس ـ رضي الله عنه، وإسناده حسن.

(2) رواه البخاري (1395) ومسلم (19) وغيرهما.

والزكاة ـ أيضاً ـ تؤدي إلى النمو الاقتصادي للفرد، حيث إن الإسلام قد رفض اكتناز المال، بل حارب أصحابه حين قال:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 34].

وبذلك تدفع الزكاة أصحاب المال لاستثمار أموالهم؛ حتى تدر عائداً يمكِّنهم من أداء تلك الفريضة، وإلا كل رأس المال بلا نفع أو جدوى.

ولذلك حث الإسلام على استثمار المال في العمل والإنتاج؛ لأنه سيعود على المجتمع كله بالقوة والثراء؛ لأن تنمية المال بالاستثمار ستزيد من عدد المنتفعين بالزكاة والصدقات، فضلاً عن إتاحة فرص عمل جديدة ودخول إضافية لمن يعملون في ماله، وبالتالي يعود النفع على صاحبه وعلى المجتمع؛ لأن احتياجاته ستصبح موفورة.

ومن ثم فقد أباح الإسلام لِوَلِيِّ الأمر أن يتدخل للحيلولة دون تعطيل الأموال وتوجهها إلى فرص الاستثمار.. وهناك التطبيق العملي لهذا الحق والذي يتمثل في موقف عمر بن الخطاب من أرض العتيق التي أقطعها الرسول ﷺ مَنْ أهمل استزراعها، فاستعاد منه عمر ما لم يقدر على استزراعه، ووزّعه على مَنْ يقدر مِنَ المسلمين على إحيائه. وعمر بن الخطاب يستند في ذلك إلى حديث الرسول ﷺ: «**ليس لمتحجر حق بعد ثلاث سنين**»[1].

ففي ذلك بيان تشريعي يدعو إلى عدم تعطيل المال المتمثل هنا في أرض زراعية لم يستطع من اقتطعت له أن يستزرعها ويستفيد ويفيد المجتمع منها.

ولقد أثبت علم الاقتصاد الحديث أن ركيزة الزكاة تعتمد على ظاهرة اقتصادية هامة، وهى تناقص الميل الحَدِّي للإستهلاك، وتزايد الميل الحدِّي للإدِّخار» عند الأغنياء وبالعكس (تزايد الميل الحدي للاستهلاك وتناقص الميل الحدي للادخار) عند الفقراء... ويترتب على تلك الظاهرة زيادة الطلب الفعال، كما ذهب إلى ذلك عالم الاقتصاد الكبير «كينز»، ومحصلة ذلك انتعاش اقتصادي سواء من ناحية الاستهلاك أو الاستثمار.

(1) ذكره أبو عبيد في «الأموال».

وهذا الانتعاش يكون مانعاً من الوصول إلى حالة الركود الاقتصادي الذي يترتب على زيادة المدخرات ونقص الاستثمار وقلة الطلب الفعال؛ إذ إن الزكاة تقلل من انسياب الأموال بشدة إلى مجرى الادخار وتحول جزءاً منها إلى مجرى الاستهلاك، الأمر الذي يمنع من الركود الاقتصادي أو يعمل على تخفيضه. . فعند تدقيق النظر في جوانب إنفاق الزكاة نجد أن لها آثاراً اقتصادية حميدة، فمثلاً الفقراء والمساكين، وهم من أوائل المستحقين للزكاة، عندما يعطَونَ نصيبهم من الزكاة فإنهم سوف ينفقونها في قضاء حاجاتهم الاستهلاكية، وبذلك يدعمون تيار الاستهلاك. . والمعروف اقتصادياً أن زيادة الاستهلاك تؤدي إلى الاستثمار.

هذا، وللزكاة خصيصة هامة، وهى أنها لا تخرج إلا بعد تكامل النصاب، أي بعد أن يكون فائضاً عن الحاجات الأصلية للمكَلَّف. . حيث إنها لو وجبت بدون اشتراط النصاب الفائض عن الحاجات الأصلية، لكان معنى ذلك أنها تُدفع من وحدات الدخل الأولى المخصصة للحاجات الأساسية للشخص، وهى ذات منفعة أكبر من وحدات الدخل الأخيرة، وبذلك تكون الخسارة أكبر على دافع الزكاة، وبالتالي على المجتمع، ولكن اشتراط توافر النصاب زيادة عن الحاجات الضرورية يجعل الزكاة تخرج من وحدات الدخل الأخيرة ذات النفع الأقل للغنى في مفهوم الزكاة، وتؤول إلى الفقير الذي تزداد عنده منفعة الوحدات الأخيرة من الدخل بالمقارنة بالغني، والنتيجة النهائية هي زيادة المنفعة الكلية للمجتمع.

ومن الإعجاز التقديري للزكاة كوسيلة من وسائل إعادة توزيع الدخل وتذويب الفوارق بين الطبقات، أنها تفرض في جمع الأموال النامية تقريباً، فهي قد فرضت أصلاً في النقدين الذهب والفضة، والحلي إذا خرجت عن الحدود المعقولة للتزين، أو اقتُنيت بقصد الادخار لا التزين، أو بقصد الفرار من الزكاة. . وفى هذه الأحوال تجب فيها الزكاة.

كما فرضت الزكاة أصلاً في عروض التجارة والماشية والزرع والثمار. . وبعد ذلك ظهرت أوراق البنكنوت كبديل للذهب، وبذلك وجبت فيها الزكاة.

ومن ذلك يتضح أن الزكاة تتسم بعموميتها وشمولها لجميع أنواع الأموال تقريباً، وبذلك تكون قاعدة تطبيقها متسعة بحيث تساعد على إعادة توزيع الدخل والثروة.

وكذلك تتسع قاعدة فرض الزكاة لتشمل عدداً كبيراً من الأشخاص، مما يوسع

من قاعدة المكلّفين أداءها، فضلاً عن اعتدال نسبتها إذ هي 2،5% من الأموال و5% أو 10% على الزروع إن كانت تُسقى بالآلات أو غيرها.

ومن الحكمة البالغة في تقدير الزكاة أنها لا تكون مرة واحدة في العمر، بل إنها تتكرر سنوياً، وهذا ما يجعلها أداة دائمة في إعادة التوزيع، وهذا ما نادى به الاقتصاديون في العصر الحاضر من أن إعادة التوزيع يجب ألا تقتصر على مرة واحدة، بل يجب أن تجرى على فترات دورية. والإسلام عندما حدد مصارف الزكاة لبعض الطوائف لم يقررها إلا بعد أن تستنفد هي وسائلها في الارتزاق. ومع أنه جعل الزكاة حقاً لا منحة وتفضلاً، فإنه لم يغفل أن «اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى»؛ لذلك حث على الاستغناء عن طريق العمل.. وفى هذا جمع الإسلام بين الحرص على أن يعمل كل فرد، وبين أن يعين المجتمع المحتاج بما يسد حاجته وييسر له الحياة الكريمة[1]. (ك).

وهكذا يتضح لنا كيف أن التشريع الربّاني، والدستور الإلهي هو خير من وضع حلولاً لمشاكل البشرية المالية وغيرها. وليس لنا في ذلك إلا الإذعان لشرع الله تعالى، ولتعاليم ديننا الحنيف، الذي نزل به الروح الأمين، على قلب الصادق المصدوق نبيّنا ورسول رب العالمين صلى الله عليه تعالى وسلّم تسليماً كثيراً.

❀ ❀ ❀

لا تحزن ولا تخف إذا كنت من أصحاب الهمم العالية

أعلى الهِمَمِ في طلب العلم: طلب علم الكتاب والسنّة، والفهم عن الله ورسوله نفس المراد، وعلم حدود المنزل.

وأَخَسّ همم طلاب العلم: قصر همته على تتبع شواذ المسائل، وما لم ينزل، ولا هو واقع، أو كانت همّته معرفة الاختلاف، وتتبّعُ أقوال الناس، وليس له هِمّة إلى معرفة الصحيح من تلك الأقوال. وقلَّ أن ينتفع واحد من هؤلاء بعلمه.

---

(1) المصدر السابق ـ بتصرف.

وأعلى الهِمَم في باب الإرادة: أن تكون الهِمّة متعلقة بمحبة الله والوقوف مع مراده الديني الأمري.

وأسفلها: أن تكون الهمّة واقفة مع مراد صاحبها من الله؛ فهو إنما يعبده لمراده منه لا لمراد الله منه.

فالأول يريد الله ويريد مراده، والثاني يريد من الله وهو فارغ عن إرادته.

علماء السوء، جلسوا على باب الجنة، يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم؛ فكلما قالت أقوالهم للناس: هلمّوا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم. فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له؛ فهم في الصورة أدلاّء وفي الحقيقة قُطّاع الطرق.

إذا كان الله وحده حظك ومرادك، فالفضل كل تابع لك يزدلف إليك، أي أنواعه تبدأ به. وإذا كان حظّك ما تنال منه، فالفضل موقوف عنك؛ لأنه بيده تابع له فعل من أفعاله، فإذا حصل لك حصل لك الفضل بطريق الضمن والتبع. وإذا كان الفضل مقصودك، لم يحصل الله بطريق الضمن والتبع. فإن كنتَ قد عرفته وأنستَ به، ثم سقطت إلى طلب الفضل، حرمك إياه عقوبة لك؛ ففاتك الله، وفاتك الفضل. (ق).

❀ ❀ ❀

لا تحزن إن وفّقكَ الله تعالى لاتّباع دِينه القويم

أن يكون الإنسان كافراً... ثم يُكرمه الله تعالى بالتوبة، والإنابة والرجوع إلى دينه، فهذا فضلٌ عظيم، ومنَّةٌ كبيرة منه جل وعلا على عبده. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 51 ـ 56].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيِّه، وآمن بمحمدٍ،

والعبدُ المملوك إذا أوى حقّ الله وحقَّ مُواليه. ورجلٌ كانت عنده أَمَةٌ فأدبَّها فأحسن تأديبها، وعلَّمها فأحسن تعليمها، ثم أَعْتَقها فتزوّجَها، فله أجران»[1].

ولقد مَنَّ الله تعالى على أحد الأخوة الألمان بالإسلام، وأكرمه بالإيمان، واسمه محمد إسماعيل أندرياس مور. (MUHAMMAD ISMAIL ANDREAS MOHR)

ولد الأخ محمد سنة 1964 في مدينة كارلسروهه (KARLSRUHE).

ديانته السابقة: كاثوليكية.

وكان من حيث التربية متمسكاً بدينه إلى سنة 1981 تقليداً لأسرته.

وكانت ترد عليه أسئلة ـ وعمره 16 سنة ـ تحتاج إلى إجابات ولكنه لم يجد شيئاً من تلك الإجابات في المسيحية، مثل القدّاس والطقوس والأعياد الدينية والتعاليم الرسمية التي تقام في الكنيسة.

ولم يجد لنظام الكنيسة كله أصلاً في حياة المسيح عليه السلام لأن حياته كانت سهلة وليس فيها هذا النظام الكنسي، وكان عليه السلام يوصي الغني أن ينفق على الفقير ولا يبني حياته على الغني، والكنيسة تبالغ في جمع الأموال والغنى.

وأول ما سمع الأخ محمد عن الإسلام وهو في الصف السادس وعمره ثنتا عشرة سنة تقريباً، والذي سمعه عن الإسلام بعض الأساسيات، كالصلاة خمس مرات في اليوم.

وبدأ يسأل: هل كل الأديان صحيحة أو هناك دين واحد صحيح وباقي الأديان باطل؟

وعندما كان عمره 16 سنة بدأ يهتم بلغات مختلفة: العربية والعبرية والكتابة والخط، وبخاصة الخط العربي. واللغة العربية ذات صلة قوية بالإسلام، وكان ذلك يجذبه إلى الإسلام أكثر من الأديان واللغات الأخرى. وقرأ بعض الكتب عن الإسلام، ومنها ترجمة سيئة لمعاني القرآن ترجمها مستشرق قديم ونشرت من جديد مصحَّحة. والتقى ببعض المسلمين الباكستانيين وهم عمال وبعضهم كان متمسكاً بالإسلام، وكان يسأله بعض الأسئلة عن الإسلام وهو يجيب باللغة العربية.

---

(1) رواه البخاري (97) ومسلم (154)، وغيرهما.

واتضح للأخ محمد أن الإسلام أسهل من الأديان الأخرى في العقيدة وطريقة العبادة، وليس فيه قداس ولا تعميد ولا اعتراف بذنب أمام القسيس. بل هو خضوع وخشوع بين يدي الله الغفور الرحيم

وكان الأخ محمد يلتزم بالأخلاق الأساسية قبل الإسلام لأن البشرية تعترف بحسنها وكذلك المسيحية.

وكان إسلامه سنة 1981.

ولم يكن إسلامه مصادفة، وإنما هو مبني على دراسة وتدرُّج إلى أن أعلن إسلامه وهو يفهمه، كما قال، فهماً عميقاً.

وقال: إن أسرته خافت من دخوله في الإسلام لأنها لا تسمع عن الإسلام ما يسرّ، وحاولت منعه من الذهاب إلى المسجد، ولكنه أصر أن يذهب إلى أصدقائه وإلى المسجد. وبعد مدة قصيرة ترك المناقشة معها في أمور الإسلام وسهل بعد ذلك الأمر وتحسن وضعه معها.

وعندما بلغ ثمانية عشر عاماً خرج من منزل أسرته وعاش مع بعض المسلمين. وبعد الانتهاء من المدرسة انتقل إلى مدينة أخرى. أما علاقته بأسرته فهي جيدة الآن بعد أن هدأت نفوسهم.

وكان بعض المسلمين من غير الألمان ـ وهم من باكستان ـ يهتمون به، وكذلك بعض الأتراك.

وسألت الأخ محمداً عن صفات الداعية الذي يرى أن سيؤثر بدعوته في الأوروبيين إذا توافرت فيه؟

فقال: أن يحسن الكلام والإصغاء إلى كلام الناس، وأن يكون متفتح الذهن قابلاً للنقاش، وأن تكون عنده ثقافة عامة وإلمام بالأديان المقارنة، وأن يكون قدوة حسنة بحيث يرى الناس الأخلاق الإسلامية متمثلة فيه.

قلت له: وما الموضوعات التي ترى أنها أولى من غيرها في البدء؟

فقال: الناس يختلفون في الموضوعات التي يحتاجون التعرف إليها أكثر من غيرها، وصِلَةُ الداعية الشخصية بالناس لها أهميتها.

وسألته، بصفته طالباً في الجامعة، عن المستشرقين وأهدافهم؟.

فقال: المستشرقون القدامى كانوا يهتمون بالإسلام لأنهم كانوا مبشِّرين وموظفين مع الاستعمار وهذا كان دأب الإنجليز، وأما المستشرقون الجدد فلا يهتمون بالإسلام إلا من حيث الدراسة الموضوعية.

وسألته: أيهما أنفع في أوروبا للدعوة الإسلامية: الجالية التي أغلبها غير مثقفة، أم الطلاب؟

فقال: الجالية أكثر نفعاً من حيث المساجد والمراكز، والطلاب أكثر نفعاً من حيث النشاط والوعي(1).

نسأل الله تعالى لنا وللأخ «محمد» الثبات على دين الله تعالى والتوفيق لما يُحبه ويرضاهُ.

❀ ❀ ❀



حلاوة الصبر

ليس في الوجود شيء أصعب من الصبر إما على المحبوب أو على المكروهات. وخصوصاً إذا امتد الزمان أو وقع اليأس من الفرج..

وتلك المدة تحتاج إلى زاد يقطع به سفرها، والزاد يتنوع من أجناس. فمنه تلمح مقدار البلاء وقد يمكن أن يكون أكثر. ومنه أنه في حال فوقها أعظم منها مثل أن يبتلى بفقد ولد وعنده أعز منه. ومن ذلك رجاء العوض في الدنيا. ومنه تلمح الأجر في الآخرة. ومنه التلذذ بتصوير المدح والثناء من الخلق فيما يمدحون عليه والأجر من الحق ﷻ. ومن ذلك بأن الجزع لا يفيد بل يفضح صاحبه، إلى غير ذلك من الأشياء التي يقدحها العقل والفكر.

فليس في طريق الصبر نفقة سواها، فينبغي للصابر أن يشغل بها نفسه ويقطع بها ساعات ابتلائه وقد صبح المنزل. (ج).

❀ ❀ ❀

كالصيحة الشديدة التي يتنبه لها النوام، فلما تقدم في هذه السورة من حالة الإنسان ما نطق به قوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: 21 ـ 22]، كان الإنشاد بالصَّاخة التي تطعن الآذان، فيقضي الله تعالى عندها إحياء الموتى، فقارن الآيات التي في السورة ما شاكلها، والآيات في الآخرة ما شابهها، والله تعالى أعلم. (خ).

❀ ❀ ❀

نجاتك على قدر إخلاصك

الإخلاصُ... كلمةٌ قليلة الحروف، عظيمة المعنى. إنها الصفة التي تدور عليها أحوال الحياة، ومرحلة ما بعد الممات... إنها سِرُّ الحياة. وخلاصة معدن المرء، وجوهر وجوده... إنها النبع الصافي الذي يُستقى منه عبير السعادة الدينونية.. ورحيق الخلود السرمدي.

من اتصف بهذه الخصلة المباركة، فاز ونجا وأفلح. ومن حُرم منها، خاب وخسر وهلك... فللحياة نقطة ارتكاز أساسية في شخصية المرء وأطواره، وفي تقدمه، ومراحل أحواله، إما إلى علوٍّ وارتقاء، أو إلى هبوطٍ وانحدار.

إنه الإخلاص... علامة الشموخ في معالي النفوس، وعلامة التحرر من قيود الانحطاط. فمن أراد الحياة عزاً وفخاراً ومجداً وارتفاعاً، فليس له إلا أن يخلص عمله لله العزيز الجبَّار. ومن أراد غير ذلك، فليس له إلا الإرتكاس.

❀ ❀ ❀



غرور الأماني

يا مغروراً بالأماني: لُعِنَ إبليسُ، وأُهبِطَ من منزل العز؛ بترك سجدة واحدة أُمِرَ بها. وأُخرج آدمُ من الجنة بلقمة تناولها. وحُجب القاتل عنها بعد أن رآها عياناً بملء كفٍّ من دم. وأمر بقتل الزاني أشنع القتلات بإيلاج قدر الأنملة فيما لا يحل. وأمر بإيساع الظهر سياطاً بكلمة قذف، أو بقطرة من مُسْكِر. وأبان عضواً من أعضائك بثلاثة دراهم. فلا تأمنه أن يحبسك في النار بمعصية واحدة من معاصيه ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس: 15].

دخلت امرأة النار في هرَّة. و«إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب، وإن الرجل ليعمل بطاعة الله ستين سنة، فإذا كان عند الموت جارَ في الوصية فيختم له بسوء عمله فيدخل النار».

❀ ❀ ❀

حكمة جعل آدم آخر المخلوقات

كان أولُ المخلوقات القلم؛ ليكتب المقادير قبل كونها. وجعل آدم آخر المخلوقات. وفي ذلك أحكام:

أحدها: تمهيد الدار قبل الساكن.

الثانية: أنه الغاية التي خلق لأجلها ما سواه من السموات والأرض والشمس والقمر وٱلبر والبحر.

الثالثة: أن أحذق الصنّاع يختم عمله بأحسنه وغايته كما يبدؤه بأساسه ومبادئه.

الرابعة: أن النفوس متطلعة إلى النهايات والأواخر دائماً، ولهذا قال موسى للسحَرة أولاً: ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [يونس: 80]، فلما رأى الناسُ فعلَهم تطلّعوا إلى ما يأتي بعده.

الخامسة: أن الله سبحانه أخّر أفضل الكتب والأنبياء والأمم إلى آخر الزمان، وجعل الآخرة خيراً من الأولى، والنهايات أكمل من البدايات؟ فكم بين قول الملَك ـ للرسول: اقرأ، فيقول: ما أنا بقارئ، وبين قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3].

السادسة: أنه سبحانه جمع ما فرَّقه في العالم في آدم، فهو العالم الصغير وفيه ما في العالم الكبير.

السابعة: أنه خلاصة الوجود وثمرته؛ فناسب أن يكون خلقه بعد الموجودات.

الثامنة: أن من كرامته على خالقه، أنه هيأ له مصالحه، وحوائجه، وآلاتِ معيشته، وأسبابَ حياته؛ فما رفع رأسه إلا وذلك كله حاضر عتيد.

التاسعة: أنه سبحانه أراد أن يظهر شرفه وفضله على سائر المخلوقات؛ فقدمها

عليه في الخلق؛ ولهذا قالت الملائكة: ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا. فلما خلق آدم وأمرَهم بالسجود له ظهر فضلُه وشرفُه عليهم بالعلم والمعرفة. فلما وقع في الذنب ظنّت الملائكة أن ذلك الفضل قد نسخ ولم تطلع على عبودية التوبة الكامنة، فلما تاب إلى ربه، وأتى بتلك العبودية، علمت الملائكة أن لله في خلقه سرًا لا يعلمه سواه.

العاشرة: أنه سبحانه لما افتتح خلق هذا العالم بالقلم كان من أحسن المناسبة أن يختمه بخلق الإنسان؛ فان القلم آلة العلم، والإنسان هو العالِم. ولهذا أظهر سبحانه فضلَ آدم على الملائكة بالعلم الذي خُصَّ به دونهم.

وتأمل كيف كتب سبحانه عذر آدم قبل هبوطه إلى الأرض، ونبّه الملائكة على فضله وشرفه، ونوّه باسمه قبل إيجاده بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30].

وتأمّل كيف وسمه بالخلافة، وتلك ولاية له قبل وجوده، وأقام عذره قبل الهبوط بقوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾. والمحبّ يقيم عذر المحبوب قبل جنايته. فلما صوّره ألقاه على باب الجنة أربعين سنة؛ لأن دأب المحب الوقوف على باب الحبيب، ورمى به في طريق ذلّ ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا﴾ [الإنسان: 1] لئلا يُعجَبَ يوم ﴿ٱسْجُدُواْ﴾.

وكان إبليس يمرّ على جسده، فيعجب منه، ويقول: لأمر قد خُلقت. ثم يدخل من فيه، ويخرج من دبره، ويقول: لئن سلّطت عليك لأهلكنك، ولئن سلّطت عليّ لأعصينك. ولم يعلم أن هلاكه على يده. رأى طيناً مجموعاً فاحتقره، فلما صوّر الطين صورة دبَّ فيه داء الحسد، فلما نفخ فيه الروح مات الحاسد.

فلما بسط له بساط العزّ، عرضت عليه المخلوقات، فاستحضر مدّعي ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ [البقرة: 30] إلى حاكم ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ [البقرة: 31]، وقد أخفى الوكيل عنه بينة ﴿وَعَلَّمَ﴾ [البقرة: 31]، فنكسوا رؤوس الدعاوى على صدور الإقرار. فقام منادي التفضيل في أندية الملائكة ينادي: ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ [البقرة: 34]، فتطهّروا من حَدَث دعوى ﴿وَنَحْنُ﴾ بماء العذر في آنية. ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [البقرة: 32]؛ فسجدوا على طهارة التسليم، وقام إبليس ناحية لم يسجد؛ لأنه خَبَثٌ، وقد تلوّن بنجاسة الاعتراض. وما كانت نجاسته تُتلافى بالتطهير؛ لأنها عينية.

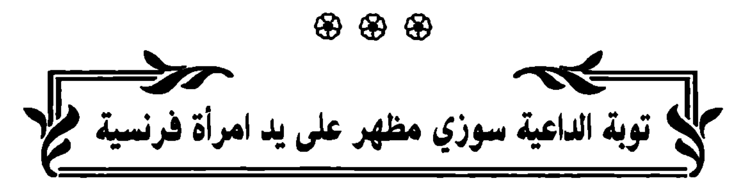
فلما تمّ كمال آدم قيل: لا بُدّ من حال جَمالٍ على وجه ﴿ٱسْجُدُواْ﴾، فجرى القدر بالذنب ليتبين أثر العبودية في الذلّ.

يا آدم! لو عفى لك عن تلك اللقمة لقال الحاسدون: كيف فُضِّلَ ذو شره لم يصبر على شجرة. لولا نزولك ما تصاعدت صعداء الأنفاس، ولا نزلت رسائل هل من سائل؟ ولا فاحت روائح «وَلَخُلوفُ فم الصائم» فتبيّن حينئذٍ أن ذلك التناول لم يكن عن شره...

فيا مَن ضَيّعَ القوة ولم يحفظها، وخلَط في مرضه وما احتمى، ولا صبر على مرارة الاستفراغ، لا تنكِر قربَ الهلاك، فالداء مترام إلى الفساد. لو ساعدَ القدَرُ، فأعنتَ الطبيبَ على نفسك بالحمية من شهوة خسيسة، ظَفرتَ بأنواع اللذات وأصناف المشتهيات. ولكنّ بخارَ الشهوة غطى عين البصيرة؛ فظننت أن الحزم بيعُ الوعد بالنقد. يا لها بصيرة عمياء، جَزِعَتْ من صبر ساعة، واحتمَلتْ ذُلّ الأبد! سافرَت في طلب الدنيا وهي عنها زائلة، وقعدَت عن السفر إلى الآخرة وهي إليها راحلة.

إذا رأيت الرجل يشتري الخسيس بالنفيس، ويبيع العظيم بالحقير؛ فاعلم بأنه سفيه. (ق).

❀ ❀ ❀



توبة الداعية سوزي مظهر على يد امرأة فرنسية

سوزي مظهر لها أكثر من عشرين عاماً في مجال الدعوة إلى الله، ارتبط اسمها بالفنانات التائبات، لها دور دَعَوِيٌّ بينهن. روت قصة توبتها فقالت:

تخرّجت من مدارس الماردي‌ديه، ثم في قسم الصحافة في كلية الآداب. عشت مع جدتي والدة الفنان أحمد مظهر فهو عمي. كنت أجوب طرقات حي الزمالك وأرتاد النوادي، وكأنني أستعرض جمالي أمام العيون الحيوانية بلا حرمة تحت مسميات التحرر والتمدن!

وكانت جدتي العجوز لا تقوى عليّ وحتى أبي وأمي...

فأولاد الذوات يعيشون هكذا كالأنعام بل أضلُّ سبيلاً إلا من رحم الله.

حقيقةً كنت في غيبوبة عن الإسلام إلا عن بعض حروفه، لكن برغم المال والجاه كنت أخاف من شيء ما، أخاف من مصادر الغاز والكهرباء، وأظن أن الله سيحرقني جزاء ما أنا فيه من معصية.

وكنت أقول في نفسي: إذا كانت جدتي مريضة وهي تصلي، فكيف أنجو من عذاب الله غداً؟ فأهرب بسرعة من تأنيب ضميري بالاستغراق في النوم أو الذهاب إلى النادي.

وعندما تزوجت ذهبت مع زوجي إلى أوروبا لقضاء ما يسمى بشهر العسل، وكان مما لفت نظري هناك أنني عندما ذهبت إلى «الفاتيكان» في (روما) وأردت دخول المتحف البابوي أجبروني على ارتداء «البالطو» أو الجلد الأسود على الباب.

هكذا يحترمون دياناتهم المحرفة، وهنا تساءلت بصوت خافت، فما بالنا نحن لا نحترم ديننا؟

ـ المسجد ونقطة التحوّل:

وفي موج سعادتي الدنيوية المزيفة قلت لزوجي: أريد أن أصلي شكراً لله على نعمته، فأجابني: افعلي ما تريدين فهذه حرية شخصية. وأحضرت معي ذات مرة ملابس طويلة وغطاء للرأس، ودخلت المسجد الكبير في باريس وأديت الصلاة.

وعلى باب المسجد أزحت الغطاء وخلعت الملابس الطويلة وهممت أن أضعها في الحقيبة. وهنا كانت المفاجأة.

اقتربت مني فتاة فرنسية ذات عيون زرقاء ـ لن أنساها طوال عمري ـ ترتدي الحجاب، أمسكت يدي برفق وربتت على كتفي، وقالت بصوت منخفض: لماذا تخلعين الحجاب؟ ألا تعلمين أنه أمر الله؟

كنت أستمع لها بذهول، والتمسَتْ مني أن أدخل معها المسجد بضع دقائق، حاولت أن أفلت منها لكن أدبها الجم، وحوارها اللطيف، أجبرني على الدخول.

سألتني: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ أتفهمين معناها؟

إنها ليست كلمات تقال باللسان، بل لا بد من التصديق والعمل بها.

لقد علّمتني هذه الفتاة أقسى درس في الحياة، اهتز قلبي وخضعت مشاعري لكلماتها.

ثم صافحتني قائلة: انصري يا أختي هذا الدين.

خرجت من المسجد وأنا غارقة في التفكير لا أحس بمن حولي.

ثم صادف هذا اليوم أن صاحبني زوجي في سهرة إلى كباريه ـ وهو مكان إباحي يتراقص فيه الرجال مع النساء شبه عرايا، ويفعلون كالحيوانات بل إن الحيوانات لتترفع أن تفعل مثلهم، ويخلعون ملابسهم قطعة قطعة على أنغام الموسيقى ـ كرهتهم وكرهت نفسي الغارقة في الضلال، لم أنظر إليهم ولم أحس بمن حولي، وطلبت من زوجي أن أخرج حتى أستطيع أن أتنفس، ثم عدت فوراً إلى القاهرة.

وبدأت أولى خطواتي للتعرف إلى الإسلام، وعلى الرغم مما كنت فيه من زخرف الحياة الدنيا إلا أنني لم أعرف الطمأنينة والسكينة، ولكني كنت أقترب إليها كلما صليت، أو قرأت في كتاب الله.

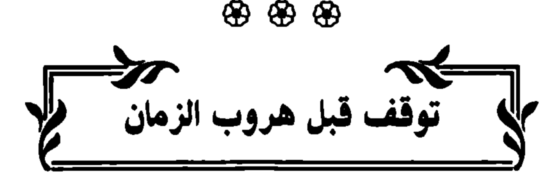
واعتزلت طريقة الحياة الجاهلية من حولي، واعتكفت على قراءة القرآن ليلاً ونهاراً، وأحضرت كتب ابن كثير وغيرها، كنت أنفق الساعات الطويلة في حجرتي للقراءة بشوق وشغف.

قرأت كثيراً وهجرت حياة النوادي، وسهرات الضلال، وبدأت أتعرف على أخوات مسلمات، ورفض زوجي في البداية حجابي، واعتزالي حياتهم الجاهلية.

لم أعد أختلط بالرجال من الأقارب وغيرهم، ولم أعد أُصافح الذكور، وكان امتحاناً من الله. ولكن أُولى خطوات الإيمان هي الاستسلام لله، وأن يكون الله ورسوله أحب إلي مما سواهما. وحدثت مشاكل كادت تفرق بيني وبين زوجي، ولكن الحمد لله فرض الإسلام وجوده على بيتنا الصغير، وهدى الله زوجي وأصبح الآن خيراً مني؛ داعية مخلصاً لدينه نحسبه كذلك، ولا نزكِّيه على الله.

وبرغم المرض والحوادث الدنيوية، والابتلاءات التي تعرّضنا لها، فنحن سعداء ما دامت مصيبتنا في دنيانا وليست في ديننا.

❀ ❀ ❀



توقف قبل هروب الزمان

أن تمشي مع الرَّكْبِ حيث سار، من غير وعي ولا تفكر، فأنت جسدٌ بلا عقل. وأن تقف لتعي ولتتفكر في ممشاك وإلى أين المصير، فتلك الرزانة والتعقل، ودرب الحياة طويل. . . ولا بُدَّ من محطاتٍ تتوقف فيها للتأمل والتدبر ومراجعة النفس. فإن

بقيت تمشي وتمشي بلا هوادة ولا محطات... أهلكت نفسك وأوردتها موارد الهلاك. وكل واحدٍ على قدر سرعته وإقباله.

ألا تتوقف قليلاً وتسأل نفسك اللاهثة نحو الدمار... إلى أين؟ أما آن لك أن تنظر إلى البعيد لتعرف أين أنت؟! ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: 16].

توقف الآن... وراجع نفسك. فإن أبت عليك. فالجمها... فأنت السيد المطاع. وليست النفس الأمارة بالسوء.

توقف قبل مُضيِّ الزمان. توقف قبل أن يوقفك رب الزمان والمكان. ويجعلك تندم على كل ما اقترفت يداك. أليس لك فيمن سلف عبرة؟ أين طغيانهم؟ أين أموالهم؟ أين عبيدهم؟ أين سلطانهم وقهرهم وفسقهم وظلمهم ووو...

توقف من لحظتك واطلب النجاة ممن بيده الأمر والخلق. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]. فإن فعلت ذلك، كنت في حرزٍ مَكِينٍ أمين. وإن أعرضت.. فلا تلومنَّ إلا نفسك.

❀ ❀ ❀

المشيب ودنو الأجل

قال الله عزَّ وجل: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: 37]، قال المفسرون: «النذير» هنا بمعنى: الشيب. وعليه أكثر أهل العلم. وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: 15 ـ 16].

تدارك نفسك قبل الرحيل ... وقد بلغت المشيب
فَراكَ من الأيام نابٌ ومِخْلَب ... وحانَك لونُ الرأسِ والرأس أشيبُ
فحتَّام لا تنفكُّ جامحَ هِمَّةٍ ... بعيدَ مَرامي النفسِ والموتُ أقربُ

تُسَرُّ بعيشٍ أنت فيه مُنغَّصٌ   وتستعذبُ الدنيا وأنتَ مُعذَّبُ
تُغَذّيك والأوقاتُ جِسْمَك تغْتذي   وتَسْقيكَ والساعات رُوحَك تَشْربُ
وتَعْجبُ من آفاتها متلَذِّذاً   إليها، لَعَمْر الله فِعلُك أعْجبُ
وتَحْسبُها بالبِشْر تُبْطِن خُلَّةً   فيَظهر منها غيْر ما تنحسَّبُ
إذا رضِيَتْ أعمتْك عن طُرق الهدى   فما ظنُّ ذي لُبٍّ بها حين تَغْضَبُ
وفي سَلْبِها ثوبَ الشبابِ دلالةٌ   على أنها تُعطي خِداعاً وتَسْلبُ
أترضَى بأن ينهاكَ شيبُك والحِجَا   وأنتَ مع الأيامِ تلهو وتلعبُ
أَجِدَّك لا تَسْمع لدنياك مَوعِدا   ولا تترَجَّ الرِّيَّ والبرقُ خُلَّبُ(1)
ودونك دِرْياقُ الترجِّي من الورَى   فكلٌّ على التجريبِ صِلٌّ وعقربُ(2)



حفظ الأسرار الزوجية

من أسوأ ما يقدح برجولة المرء أن يكون من غير رجولة... كيف وهو يتحدث عن مغامراته مع زوجته؟! إنه لشيء عجاب.

روى الإمام مسلم (1437)، وغيره من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**إن مِنْ أَشَرِّ النّاسِ عِندَ اللهِ مَنْزِلَةً يَومَ القيامَةِ، الرّجُلُ يُفْضِي إلى امرَأَتِهِ، وتُفْضِي إلَيه، ثُمَّ يَنشُرُ سِرَّهَا**».

وفي لفظ له ولأحمد (11655) وأبي داود (4870) وغيرهم: «**إن مِنْ أَعظَمِ الأَمَانَةِ عِندَ الله يَومَ القِيَامَةِ، الرَّجُلُ يُفْضِي إلى امرَأَتِهِ، وتُفْضِي إِلَيهِ، ثُمَّ يَنشُرُ سِرّهَا**».

وروى الإمام أحمد (10977)، وأبو داود (2174)، والترمذي عقب الحديث (2787)، وغيرهم من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه... فَصَلى رسول الله ﷺ، ولم يَنسَ مِنْ صَلاتِهِ شيئاً، فَلَمّا سلّمَ أَقبَلَ عَلَيهِم بِوَجهِهِ، فَقَالَ: «**مَجَالِسَكُم، هَل فِيكُم**

(1) الخلّب: الذي لا ماء فيه.
(2) الصل: الحية. والقصيدة في «التبصرة» لابن الجوزي (ص 139 ـ 140).

رَجُل إذا أَتَى أهلَهُ أغلَقَ بَابَهُ، وَأرخَى سِترَهُ، ثُمّ يَخرُجُ فَيُحَدِّث، فيقولُ: فَعَلتُ بِأَهلي كَذَا، وفَعلتُ بِأَهلِي كَذَا»؟

فَسَكَتُوا. فَأَقبَلَ عَلَى النسَاءِ فَقَالَ: «هَل مِنكُن مَن تحَدّثُ»؟ فَجَثَت فَتَاةٌ كَعَابٌ[1] عَلَى إِحدَى رُكبَتيهَا، وَتَطَالَت ليَرَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ويَسمَعَ كَلاَمَها.

فَقَالَتْ: أَي وَاللهِ، إِنَّهُم لَيُحَدّثُونَ، وَإِنّهُن لَيُحَدّثنَ!

قَالَ ﷺ: «فَهَل تَدرُونَ مَا مَثَلُ مَن فَعَلَ ذلِكَ؟ إِن مَثَلَ مَن فَعَلَ ذلِكَ، مَثَلُ شَيطَانٍ وَشَيطَانَةٍ، لَقِيَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَ بِالسكّةِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ مِنهَا، والنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيهِ»... الحديث[2].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: فيه تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك، وما يجري من المرأة فيه من قول، أو فعل، ونحوه. فأما مجرد ذكر الجماع، فإن لم تكن فيه فائدة، ولا إليه حاجة، فمكروه لأنه خلاف المروءة. وقد قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً، أو ليصمت».

وإن كان إليه حاجة، أو ترتب عليه فائدة، بأن يُنكر عليه إعراضه عنها، أو تدعي عليه العجز عن الجماع، أو نحو ذلك، فلا كراهة في ذكره. والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

افتح قلبك للحياة وأعلم أن باب الرحمة ما زال مفتوحاً ولم يُغلق

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: 53]، مهما تعاظمت ذنوبك، فاعلم أن ربك رحيم. واعلم أنه يقبل التوبة عن عباده، وأن رحمته سبقت غضبه، وأن رحمته وَسِعَتْ كل شيء. مهما تعاظمت خطاياك، وكثرت آثامك، فليكن في عِلمك أن رَبَّك غفور رحيم. وهو أرحم بعبده التائب، من الوالدة على ولدها.

مهما تعاظمت جرائمك فلن تبلغ مئة نفس. هل سمعت بهذا الذي قتل مئة نفس،

(1) كَعَاب: نَهَدَ ثَدْيها.

ثم أقبل على الله تعالى تائباً مستغفراً مُنيباً إليه! لقد قتل مئة نفس ظلماً وعدواناً. كان مجرماً سفَّاكاً، ثم أدركته التوبة، فأراد أن يتوب.. ولكن كيف له ذلك؟ فلنقرأ قصته ولنعتبر.

ففي «الصحيحين»[1] من طريق قتادة، عن أبي الصِّديق، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن نَبِيّ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَن كَانَ قَبلَكُم رَجُل قَتَلَ تسعَةً وَتِسعِينَ نفساً. فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَم أَهلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ. فَأَتاهُ فَقَالَ: إِنهُ قَتَلَ تِسعَةً وَتِسعِينَ نَفساً. فَهَل له مِنْ تَوبة؟ فَقَالَ: لا. فَقَتَلَهُ. فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً. ثم سَأَلَ عَنْ أَكلَم أَهلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجل عَالِم. فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفسٍ. فَهَل لَهُ مِنْ تَوبَة؟ فَقَالَ: نَعَم. وَمَن يَحُولُ بَينَهُ وَبَينَ التّوبَة؟ انطَلِق إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا. فإنَّ بِهَا أُناساً يَعبُدُونَ الله فَاعبُدِ الله مَعَهُم. وَلاَ تَرْجِع إِلَى أَرْضِكَ فَإِنّهَا أَرْضُ سَوءٍ.

فَانطَلَقَ حَتَى إِذَا نَصَفَ الطرِيقَ أَتَاهُ المَوت. فَاختَصَمَت فِيهِ مَلاَئكَةُ الرّحمَةِ وَمَلاَئكَةُ العَذَاب. فَقَالَت مَلائِكَةُ الرّحمَةِ: جَاءَ تَائِباً مُقبِلاً بِقَلبِهِ إِلَى الله. وَقَالَت مَلاَئكَةُ العَذَاب: إِنّهُ لَم يَعمَل خَيراً قَط. فأتاهُم مَلَك فِي صُورَةِ آدمِي. فَجَعَلُوهُ بَينهُم. فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَينَ الأَرضَينِ، فَإِلَى أَيّتِهِمَا كَانَ أَدنَى، فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدنَى إِلَى الأَرْضِ التِي أَرَادَ. فَقَبَضَتهُ مَلاَئكَةُ الرّحمَةِ».

قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الحَسَنُ: ذُكِرَ لَنا؛ أَنهُ لَمّا أَتَاهُ المَوتُ نَأَى بِصَدرِهِ.

وقد جاء في بعض ألفاظ الحديث: «أَنَّ رَجُلاً قَتَلَ تِسعَة وَتِسعِينَ نَفساً فَجَعَلَ يَسأَلُ: ـ هَل لَهُ مِنْ تَوبَةٍ؟ فَأتى رَاهِباً فَسَأَلَهُ فَقَالَ: لَيسَت لَكَ توبَةٌ. فَقَتَل الرّاهِبَ. ثُمَّ جَعَلَ يَسأَلُ. ثم خَرَجَ مِنْ قَريَةٍ إِلَى قريَةٍ فِيهَا قَومٌ صالِحُونَ. فَلَمَّا كَانَ فِي بَعضِ الطرِيقِ أَدرَكَهُ المَوتُ. فَنَأَى بصَدرِهِ. ثُمَّ مَاتَ. فَاختَصَمَت فِيهِ مَلاِئكَةُ الرّحمَةِ وَمَلاِئكَةُ العَذَابِ. فَكَانَ إِلَى القَريَةِ الصّالِحَةِ أَقرَبَ مِنهَا بِشِبرٍ. فَجُعِلَ مِنْ أَهلِهَا».

فهلم أخي الكريم، وسارع إلى التوبة، فإن باب الرحمة مفتوح، ولم يغلق بعد. وليس عليك إلا أن تُقبل على الله تعالى بقلب منيب تملؤه الحسرة والندامة على ما فرَّطت في جنب الله العظيم.

---

(1) رواه الإمام أحمد (11154) والبخاري (3470) ومسلم (2766) وابن ماجه (2622) وابن حبان (611).

وفي «الصحيحين» أيضاً من حديث أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: سَمِعتُ النبيّ ﷺ قَالَ: «إن عَبداً أصابَ ذَنباً وَرُبّمَا قالَ: أذنَبَ ذَنباً فَقَالَ: رَبِّ أذنبتُ ذَنباً وَرُبّمَا قَالَ: أصبتُ فَاغفِر فَقَالَ رَبّه: أعَلِمَ عَبدي أن لَهُ رَبّاً يَغفِرُ الذنبِ وَيأخُذُ بِهِ، فَغفَرتُ لِعَبدي. ثم مَكَثَ مَا شَاءَ الله ثُمَّ أصابَ ذَنباً أو أذنب ذَنباً فَقَالَ: رَبِّ أذنبتُ أو أصبتُ آخَرَ فَاغفِره. فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبدي أنَّ لَهُ رَبّاً يَغفِر الذنْبَ وَيأخُذُ بِهِ، فَغفَرتُ لِعَبدي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ الله ثُمَّ أذنَبَ ذَنباً، وَرُبّمَا قَالَ: أصابَ ذَنباً فَقَالَ: رَبِّ أصبتُ أو قَالَ: أذنَبتُ آخَرَ فَاَغفِر لي فَقَالَ: أعَلِمَ عَبدي أن لَهُ رَبّاً يَغفِرُ الذنبَ، وَيأخُذُ بِهِ فَغفَرتُ لِعَبدي ثَلاَثاً فَليَعمَل مَا شَاء».

وعَنْ أَبي سَعِيد الخُدرِيّ رَضِيَ الله عَنهُ، قَالَ: «سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إن إبلِيسَ قَالَ لِرَبّهِ: بِعِزَّتِكَ وَجَلاَلِكَ، لاَ أَبرَحُ أُغْوِي بَنِي آدمَ مَا دَامَتِ الأَروَاحُ فِيهم، فَقالَ لَهُ الله: فَبِعِزتي وَجَلالي لاَ أبرَحُ أغفِرُ لَهُم مَا استَغفَرُوني». (رواه أحمد).

وَعَنْ أَبي ذَرّ رَضِيَ الله عَنهُ، عَنِ النبيِّ ﷺ يَروِيهِ عَنْ رَبّهِ: «قَالَ الله: يا ابنَ آدمَ! إنكَ مَا دَعَوتَني وَرَجَوتَني غفَرتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فيك ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ، إِنْ تَلقَني بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا لَقِيتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً بَعدَ أَنْ لاَ تُشرِك بي شَيئاً، يا ابنَ آدمَ، إنّكَ إِنْ تُذنِب حتى يَبلُغَ ذَنبُكَ عَنَانَ السّماءِ، ثُمَّ تَستَغفِرني، أغفِر لَكَ وَلاَ أُبالي». (رواه أحمد).

❀ ❀ ❀

فطنة وعبرة

روى البخاري (3472) ومسلم (1721)، وغيرهما، من طريق همام عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «اشترَى رجلٌ مِن رجلٍ عَقاراً له، فوَجَدَ الرَّجُلَ الذي اشتَرى العَقارَ في عَقارِه جَرّةً فيها ذهب؛ فقال له الذي اشترى العَقارَ: خذ ذَهَبك مني، إنما اشتريتُ منكَ الأرضَ ولم أبْتَعْ منك الذهب. وقال الذي له الأرضُ: إنما بعتُكَ الأرضَ وما فيها، فتَحاكما إلى رجلٍ، فقال الذي تحاكما إليه: أَلَكُما وَلَدٌ؟ قال أحدهما: لي غلامٌ، وقال الآخَرُ: لي جاريةٌ، قال: أنكِحوا الغلامَ الجاريةَ، وأنفِقوا على أنفُسِهما منه، وتَصدّقا».

❀ ❀ ❀

هَدْيُهُ ﷺ في الجماع، ومقاصده وفوائده

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: وأما الجماع والباه، فكان هَدْيُهُ ﷺ فيه أكمل هَدْيٍ، يحفظ به الصحة، وتتم به اللذةُ، وسرور النفس، ويحصل به مقاصده التي وضُع لأجلها. فإن الجماع، وضع في الأصل لثلاثة أمور هي مقاصده الأصلية:

أحدها: حفظ النسل، ودوام النوع إلى أن تتكامل العدة التي قدر الله بروزها إلى هذا العالم.

الثاني: إخراج الماء الذي يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن.

الثالث: قضاء الوطر، ونيلُ اللذة، والتمتع بالنعمة، وهذه وحدها هي الفائدة التي في الجنة، إذ لا تناسل هناك، ولا احتقان يستفرغه الإنزال.

قال: وقال بعض السلف: ينبغي للرجل أن يتعاهد من نفسه ثلاثاً؛ أن لا يدع المشي، فإن احتاج إليه يوماً قَدُرَ عليه، وينبغي أن لا يدع الأكل، فإن أمعاءه تضيق، وينبغي أن لا يدع الجماع فإن البئر إذا لم تنزح، ذهب ماؤها.

قال: ومن منافعه: غضُّ البصر، وكفُّ النفس، والقدرة على العِفَّةِ عن الحرام، وتحصيل ذلك للمرأة، فهو ينفع نفسه في دنياه وأخراه، وينفع المرأة، ولذلك كان ﷺ يتعاهدُه ويحبه، ويقول: «حُبب إليّ من دنياكم النساء والطِّيبُ».

❀ ❀ ❀



نصيحة

تأملوا عواقبَ الصّبر، وتخايلوا في البلاء نورَ الأجر، فمن تصوَّر زوالَ المِحن وبقاء الثناء هان الابتلاء عليه، ومن تفكَّر في زوال اللذاتِ وبقاء العار هانَ تركها عنده، وما يلاحظ العواقب إلا بصرٌ ثاقب. (ج).

مَحبّةِ الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: 165]، وقال: ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54]، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31].

وقال ﷺ: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ طَعمَ الإيمانِ: أن يكون الله ورسولُه أحَبَّ إلَيهِ مِمّا سِواهُما»[1].

مَحَبَّةُ الله وسيلةٌ إلى أنْ يُعامِلَه العبدُ معاملةَ المُحِبّ لحبيبه: في المبادرة إلى طاعتِه، والمسارَعةِ إلى كُلِّ ما يرضيه، واجتنابِ كُلِّ ما يُسخِطُه، والتحرُّزِ من أسباب سَخَطِهِ، والاحتياط لأسباب رضاه مع البكاءِ والقلق والشّوق والأرَق وغيرِ ذلك من آثار المحبّة. وينبغي أن تكونَ آثارُ محبّتِهِ أشَدّ من آثارِ كُلِّ محبّ وأعظم، وأنْ لا يُشْبِهَهَا شَيءٌ كما أنّ المحبوب بها لا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وهو السميعُ البصير. (س).

❀ ❀ ❀

سخاء في غير محله

روى ابن عساكر في «تاريخه» (51/ 294)، بإسناده من طريق إدريس بن مروان بن أبي حفصة يعني عن أبيه قال: أنشدت معن بن زائدة أربعة أبيات، فأعطاني بها أربعة آلاف دينار، فبلغت أبا جعفر، فقال: ويلي على الأعرابي الجلف، فاعتذر إليه، فقال له أمير المؤمنين: إنما أعطيته على جودك، فسوغه إياها، فلما مات معن رثاه مروان فقال:

أَلَـمّـا عـلـى مـعـن فـقـولا لـقـبـره ... سقيت الغوادي مربعاً ثم مربعا

فـيـا قـبـر مـعـن كـنـت أول حـفـرة ... من الأرض خطت للمكارم مضجعا

يـا قـبـر مـعـن كـيـف واريـت جـوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا

ولكن ضممتَ الجودَ والجودُ ميّتٌ ... ولو كان حياً ضِقتَ حتى تصدّعا

ولمّا مضى معنٌ مضى الجودُ والندى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا

وما كان إلاّ الجود صورة خُلقه ... فعاش زماناً ثم مات فودّعا

فتى عيش من معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مربعا

تَعَزّى أبا العباس عنه ولا يكن ... ثوابك من معنٍ بأن تتضعضعا

تمنى رجالٌ شأوه من ضلالهم ... فأضحوا على الأذقان صرعى وظُلَّعا

---

(1) الحديث بتمامه رواه البخاري (16) ومسلم (43)، وغيرهما من حديث أنس ـ ﷺ ـ وتمامه: «. . . وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار».

دلوني على السوق

كم هي كرامة المؤمن غالية عليه، عزيزة باهظة الثمن. وهذا ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ. فهو الذي قال: **«لأن يغدو أحدكم فَيَحْتَطِبُ على ظهره، فيتصدَّق منه ويستغني به عن الناس، خيرٌ لهُ من أنْ يسأل رجلاً، أعطاهُ أو منعهُ ذلك، فإن اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول: أمك، وأباك، وأختك، وأخاك، وأدناك فأدناك»**[1].

وقد حصل في درب الهجرة والنصرة، مع صحابة رسول الله ﷺ. ما يدعو للتأمل والتفكر والتدبر. فلعل أن يكون لنا في قصصهم عبرة وعظة، كما حصل لعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع ـ رضي الله عنهما ـ.

ففي «مسند الإمام أحمد» (13863)، وغيره، بإسناد صحيح على شرط مسلم، من طريق حَمَّاد، قال: أخبرنا ثابت وحَميد عن أنس: أنَّ عبد الرحمن بن عَوْف قَدِمَ المدينةَ، فآخَى رسول الله ﷺ بينَه وبينَ سَعْد بن الرَّبيعِ الأنصاريّ، فقال له سعدٌ: أيْ أخي، أنا أكثرُ أهلِ المدينةِ مالاً، فانظُرْ شَطْرَ مالي فَخُذْهُ، وتَحْتي امرأتانِ، فانظُرْ أيُّهما أعجَبُ إليك حتى أطلّقَها. فقال عبدُ الرحمن: باركَ اللهُ لك في أهلِك ومالِك، دُلُّوني على السُّوقِ. فدَلُّوه على السوق، فذهب فاشْتَرَى وباعَ فَرَبِحَ، فجاءَ بشيءٍ من أَقِطٍ وسمنٍ، ثم لَبِثَ ما شاءَ الله أن يَلْبَثَ، فجاءَ وعليه رَدْعُ زَعْفَرانٍ، فقال رسول الله ﷺ: **«مَهْيَمْ؟»** فقال: يا رسول الله ﷺ، تَزَوَّجتُ امرأةً. فقال: **«ما أَصْدَقْتَها؟»** قال: وَزْنَ نَواةٍ من ذهبٍ. قال: **«أَوْلِمْ ولَوْ بِشَاةٍ»**.

قال عبدُ الرحمن: فلقد رَأَيْتُني ولو رفدتُ حَجَراً، لَرَجَوْتُ أن أصِيبَ ذهباً أو فضةً.

خطبة وبلاغة

الحمدُ لله الذي أنشأ بقدرته الأبدان والمُهَج، على غير مثال يكفي في الدليل والحجج، جمع في الأجساد الضدّ والضدّ فازدوج، وبثّ العظام الصغار والعظام ونسج، وخلق العيون وأحسنَ في تركيبها الدعج، وصانها في مستقرّ يشبه الأزج،

---

(1) رواه مسلم (1042) والترمذي (680) وابن حبان (3387)، وغيرهم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ به.

وحجز بين ماء العين وماء الأذن وماء الفم فما امتزج، وأقام الهُدْبَ تذبّ عنها ما دبّ ودرج، وجعل للقدم أخمصاً يتشبث بالدرج، يسمع صوت الباكي إذا حَن ونشج.

ولا يخفى عليه أنين مكروب يرجو الفرج، ويبصر في سواد الليل سواد السبج، وسواء عند علمه ما على وجه الأرض وما في اللجج، لطف بعباده «﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾» [الحج: 78]، ويقول في الدجى هل من سائل فيقضي الحوج، أوقدَ نيران محبّته فلها في قلوب أحبّته وهج، فالقلب بالحب محترق والصدر بالرضا قد ثلج، فهم يترنمون بكلامه حتى يرون الفجر قد انبلج، كلامه قديم فمن خرج إلى دعوى حدثه خرج، به نزل جبريل ولأجله عرج، «﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾» [الزمر: 28]، أقدام إيماننا سليمة وفي أرجل المبتدعين عرج. (ج).

❀ ❀ ❀

حق الله تعالى على العباد وحق العباد على الله العظيم

روى الإمام أحمد (10795)، وغيره، بإسناد صحيح، من طريق كُميل بن زيادة، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: خَرَجَ رسول الله ﷺ في نخلِ المدينة، فقال: «**يا أبا هُرَيرة ـ أو يا أبا هِرٍّ ـ هَلَكَ المُكْثِرونَ، إن المُكثِرينَ الأقَلّونَ يومَ القِيامَةِ، إلاّ مَن قالَ بالمالِ هكذا وهكذا وهكذا، وقليلٌ ما هُمْ.**

يا أبا هُرَيرةَ، ألا أدُلكَ على كَنْزٍ مِن كُنُوز الجَنةِ؟ لا حَوْلَ ولا قُوّةَ إلاّ باللهِ، ولا مَلْجَأ مِنَ الله إلا إليهِ.

يا أبا هُرَيرةَ، هَلْ تَدْرِي ما حَقُّ الله على العِبَادِ؟ وما حَقُّ العِبادِ على اللهِ؟» قال: قلتُ: الله ورسولُه أعلمُ، قال: «**فإنَّ حَقَّ اللهِ على العِبادِ أن يَعْبُدوهُ، ولا يشْرِكُوا به شيئاً، وإن حَقَّ العِبَادِ على الله أنْ لا يُعَذِّبَ مَن فَعَلَ ذلك مِنْهُم**».

❀ ❀ ❀

فائدة في وضعية الجسم عند الأكل

الرسول ﷺ هو النموذج البشري، لكل الناس إلى يوم القيامة. وفي ذلك يقول المولى عزَّ وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: 21]، وقد كان ﷺ بأقواله وأفعاله، وكأنه قُرآنٌ يمشي على الأرض، كما

قالت أم المؤمنين السيدة عائشة ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ وكان من هَدْيِهِ ﷺ وسُنَّتِهِ في الطعام أن يجلس على الأرض (جلسة التحيات) أو على ركبة ونصف. ولم يكن ﷺ يَتَّكِئُ في جلسته أثناء طعامه. وفي ذلك قال ﷺ: **«لا آكل متّكئاً»**[1].

وعند أبي داود (3770)، وغيره من طريق عبدالله بن عمرو بن العاص، عن أبيه، قال: ما رُئي رسول الله ﷺ يأكل مُتكئاً قط، ولا يطأ عقبيه رَجْلانُ.

وفي ذلك يقول بعض أهل الطب: إن وضعية جسمه ﷺ أثناء أكله، إنما هي لأجل أن يكون وضع الجهاز الهضمي في أتم استعداد لاستقبال وجبة الطعام، ولأجل قدوم أكبر كمية ممكنة من الدم كافية للجهاز الهضمي، كان وجوب الجلوس وثَنْي الساقين تحت الجسم لحصر الدم في منطقة الجهاز الهضمي، مع جعل الساق اليسرى مَثْنِيّة واليمنى مرتكزة على القدم، لجعل منطقة المعدة حرة طليقة، ومساحتها الخارجية بعيدة عن أي ضغط مسلط باتجاهها من الجهة الخارجية.

كما يجب الامتناع عن الحركة والسير أثناء الطعام لمنع ذهاب الدم إلى الجهاز العضلي في وقت يكون فيه الجهاز الهضمي في أمس الحاجة إليه، الأمر الذي يجعل الإنسان يحسّ بالركود الفكري والخمول، كما يحس بالانحلال العضلي والارتخاء الجسمي العام.

وهذا الوضع من أشكال الجلوس أمر به وطبّقه الرسول ﷺ. وهو أصح وأسلم في حالة الجلوس على الأرض من استعمال الكراسي حول مائدة الطعام.

أما تناول الطعام في وضع الاتكاء، فإنه يسبب تشنج واضطراب تقلصات البلعوم، فلا يستطيع الإنسان «بلع» اللقمة بارتياح ولذة.

كما أنه يحدث ارتخاء في عضلات البطن، فلا تستقبل المعدة الطعام بصورة صحيحة؛ لأن المعدة في وضعها الصحيح تكون في حالة انتصاب الجسم وارتكازه على الأرض، وتوازنه الطبيعي دون لجوئه إلى ارتكازه الجانبي في حالة الاتكاء.

---

(1) رواه الإمام أحمد (18754) وأبو داود (3769) والدارمي (2071)، وغيرهم من حديث أبي جحيفة ـ رضي الله عنه ـ بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم.

ولقد ثبت علمياً أن سير الطعام عبر المريء، واستقبال المعدة له في حالة انتصاب الجسم جلوساً يساعد على عمليات الهضم بسهولة ويسر بخلاف الأمر عند الاتكاء أو الوقوف أو السير أثناء الأكل وما شابه ذلك.

وفي هذا ما يجعل الحديث الشريف في مصاف القواعد الصحية التي قررها العلم الحديث الآن. (ك).

وأما من كان مستعجلاً، ويريد أن يأكل، وليس لديه الوقت الكافي ليجلس كما تقدم، فقد أرشده رسول الله ﷺ إلى كيفية جلوسه، كما جاء عند مسلم (2044)، وغيره من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيت النَّبيَّ ﷺ مُقعياً، يأكل تمراً، أي جالساً على إليته، ناصباً ساقيه. وقد جاء في لفظ آخر عند مسلم أيضاً: وهو متحفِّزٌ، يأكل منه أكلاً ذريعاً. والمتحفز: المستعجل المستوفز غير المتكئ في جلوسه، وهو بمعنى قوله «مقعياً». والله تعالى أعلم.

إياك أن تَرُدَّ سائلاً وأنت تقدر على معونته

«من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مُسلم كُربةً من كُرَبِ الدنيا، فرَّج الله عنه بها كربة من كُرب يوم القيامة، ومن ستر مُسلماً في الدنيا، ستره الله يوم القيامة»[1] (متفق عليه). فإذا جاءك من يقصدك بحاجته، وأنت قادر عليها، فَلَبِّي من فورك، وتَمِّمْ على حاجته، وفرِّج عنه ما أهمه وشغل باله. فإن فعلتَ، فقد نلتَ الخير الكثير في الدارين، وإيَّاك إيَّاك أن تُعرض أو تتأخر. فلا تدري فلعل الأيام تدور، فتنقلب عليك، وتُصبح طالباً لا مطلوباً.. فإن النِّعَمَ لا تدوم، وإن هادِمَ اللذّات يتربَّصُ بكَ الأجل.

ترى، ماذا سيكون موقفك غداً بين يدي العزيز الجبار، حيث تُعرض الأعمال، ويُعاتبك على ما قصَّرْتَ في جَنبه؟ ألم يأتِكَ فلان يقصدك بحاجته؟ فما الجواب؟ ألم تستمع إلى ما جاء في «الصحيح» من حديث أبِي هرَيرَةَ. قال: قال رسول الله ﷺ[2]: «إِنَّ الله عَزَّ وَجلّ يَقُولُ، يَومَ القِيَامَةِ: يَا ابنَ آدَمَ، مَرِضتُ فَلَم تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبّ،

---

(1) رواه البخاري (2442) ومسلم (2580).

(2) رواه مسلم (2569).

كَيف أَعُودُكَ وَأَنتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمتَ أَن عَبدِي فُلاناً مَرِضَ فَلَم تَعُدْهُ. أَمَا عَلِمتَ أَنكَ لَو عُدْتَهُ لَوَجَدتَنِي عِندَهُ؟ يَا ابنَ آدمَ، استطعَمتُكَ فَلَم تُطعِمني. قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيفَ أُطعِمُكَ وَأَنتَ رَب العَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمتَ أَنهُ استَطعَمَكَ عَبدِي فُلاَنٌ فَلَم تُطعِمهُ؟ أَمَا عَلِمتَ أنكَ لَو أَطعَمْتَهُ لَوَجَدتَ ذَلِكَ عِندِي؟ يَا ابنَ آدمَ، استَسقَيتُكَ فَلَم تسقِنِي. قَالَ: يَا رَبِّ، كَيفَ أَسقِيكَ وَأَنتَ رَبّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: استَسقَاكَ عَبدِي فُلاَنٌ فَلَم تَسقِهِ. أَمَا إِنّكَ لَو سَقَيتَهُ وَجَدّتَ ذَلِكَ عِندِي».

فبادر أخي الكريم، وأسعف أخاك، فلعلك تلقى عملك الصالح عند من لا تخيب ودائعه، فينجيك من ورطات يوم القيامة.

أدب النبوة

ليس بعد أدب النبوة أدب، وفي الأثر: «أدَّبني ربي فأحسَنَ تأديبي» فأي أدب بعد أدبه ﷺ، وهو الذي نزل فيه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، ونزل فيه ﷺ قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113].

ففي «الصحيح» من طريق يَحيَى بنِ سَعِيدِ بنِ العَاصِ؛ أنَّ سَعِيدَ بنَ العَاصِ أَخبَرَهُ؛ أَن عَائِشَةَ، زَوجَ النبِيّ، وَعُثمَانَ حَدَّثَاهُ؛ أنّ أَبَا بَكرٍ استَأذَنَ عَلَى رَسُول اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضطَّجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ، لاَبِسٌ مِرطَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لأَبِي بَكرٍ وَهُوَ كَذَلِكَ.

فَقَضَى إِلَيهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ. ثُمَّ استَأذَنَ عُمَرُ. فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلكَ الحَالِ فَقَضَى إِلَيهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انصَرَفَ. قَال عُثمَانُ: ثُمَّ استَأذَنتُ عَلَيهِ فَجَلَسَ. وَقَالَ لِعَائِشَةَ: «اجمَعِي عَلَيكِ ثِيَابَكِ» فَقَضَيتُ إِلَيهِ حَاجَتِي ثُمَّ انصَرَفتُ. فَقَالَت عَائِشَةُ: يَا رسول الله ﷺ، مَا لِي لَم أَرَكَ فَزِعتَ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِي الله عَنهُمَا كَمَا فَزِعتَ لِعُثمَانَ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ عُثمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ، وَإِنِّي خَشِيتُ، إِنْ أَذِنتُ لَهُ عَلَى تِلكَ الحَالِ، أَنْ لاَ يَبلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ»[1].

❀ ❀ ❀

---

(1) رواه الإمام أحمد (514) ومسلم (2402) وعبد الرزاق (21469)، وغيرهم، واللفظ لمسلم.

من جاهد بنية صادقة ليكون من أهل الجنة

ـ روى الإمام أحمد (12401) ومسلم (1901) وأبو داود (2618)، وغيرهم، من طريق ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ. قَال: بَعَثَ رسول الله ﷺ بُسَيسَةَ، عَيناً يَنظُرُ مَا صَنَعَت عِيرُ أَبِي سُفيَانَ. فَجَاءَ وَمَا فِي البَيتِ أَحَدٌ غَيرِي وَغَيرُ رسول الله ﷺ (قَالَ: لا أدرِي مَا استثنَى بَعضَ نِسَائِهِ) قَالَ: فَحَدَّثَهُ الحَدِيثَ. قَالَ: فَخَرَجَ رسول الله ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ لَنا طَلِبَةً. فَمَن كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا» فَجَعَلَ رِجَالٌ يَستَأذِنُونَهُ فِي ظُهرَانِهِم فِي عُلوِ المدِينَةِ. فَقَالَ: «لا. إِلاَّ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِراً» فَانطَلَقَ رسول الله ﷺ وَأَصحَابُهُ. حَتَّى سَبَقُوا المشرِكِينَ إِلَى بَدرٍ. وَجَاءَ المشرِكُونَ.

فَقَالَ رسول الله ﷺ: «لا يُقدِّمَنَّ أَحَدٌ منْكُمْ إِلَى شيئٍ حتَّى أَكُونَ أنَا دُونَهُ» فَدَنَا الْمُشرِكُونَ. فَقَالَ رسول الله ﷺ: «قومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرضُهَا السَّموَاتُ وَالأرْضُ».

قَالَ: يقُولُ عُمَيرُ بنُ الحمَام الأنصَارِيُّ: يَا رسول الله، جَنَّةٌ عَرضُهَا السَّموَاتُ والأرضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قال: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رسول الله ﷺ «مَا يَحمِلُكَ عَلَى قَولكَ بَخٍ بخٍ».

قَالَ: لا. وَاللهِ يَا رسول الله، إِلاَّ رَجَاءَةَ أن أَكُونَ مِن أهلِهَا قال: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهلِهَا» فَأَخرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ. فَجَعَلَ يَأكُلُ مِنهُنَّ. ثُمَّ قَالَ: لَئِن أنَا حَيِيتُ حَتى آكُلَ تَمَرَاتي هذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُم حَتَّى قُتِلَ.

❀ ❀ ❀

غيرةٌ وحكمةٌ

روى البخاري (3818) ومسلم (2435) وغيرهما، من طريق هشام عن أبيه، عن السيدة عائشة ﵂، قالت: ما غِرْتُ على أحدٍ من نساءِ النبي ﷺ ما غِرتُ على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يُكثِرُ ذكرَها. وربما ذَبَحَ الشاة ثم يُقَطِّعُها أعضاءً ثم يبعثُها في صدائقِ خديجة.

فربما قلتُ له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟

فيقول: «إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد».

ورواه مسلم بلفظ: قالت ﵂: ما غِرتُ على امرأةٍ ما غِرتُ على خديجة، ولقد

هَلَكَتْ قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لِمَا كُنتُ أسمعهُ يذكُرها، ولقد أمره ربّهُ ﷻ، أن يُبَشِّرُهَا ببيتٍ من قصبٍ في الجنَّةِ. وإن كان ليذبحُ الشاةَ ثُمَّ يهديها إلى خلائلها. (أي: صديقاتها).

وفي لفظ لمسلم أيضاً، قالت: ما غِرتُ على نساءِ النبي ﷺ إلا على خديجة، وإني لم أُدركْها. قالت: وكانَ رسول الله ﷺ إذا ذَبَحَ الشاةَ فيقول: **«أَرسِلُوا بها إلى أَصدِقَاءِ خديجة»**.

قالت: فَأَغضبتُهُ يوماً فَقُلتُ: خديجَةَ؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إني قد رُزِقتُ حُبّها»**.

وروى البخاري (3821)... ومسلم (2437) من طريق هشام، عن أبيه، عن السيدة عائشة ﵂، قالت: استأذنتْ هالةُ بنتُ خويلد ـ أُختُ خديجةَ ـ على رسول الله ﷺ، فَعَرَفَ استئذانَ خديجةَ. فارتاع لذلك! فقال: **«اللَّهُمَّ هالة»**.

قالت عائشة: فغِرتُ، فقُلتُ: ما تذكرُ من عجوزٍ من عجائزِ قريشٍ، حمراءَ الشِّدقَينِ، هلكت في الدهرِ، قد أبدلكَ الله خيراً منها!

قال في «الفتح»: هالة بنت خويلد، هي أخت خديجة، وكانت زوج الربيع بن عبد العُزى بن عبد شمس، والد أبي العاص بن الربيع، زوج زينب، بنت النبي ﷺ.

وقولها: فعرف استئذان خديجة؛ أي صفته، لشبه صوتها بصوت أختها، فتذكر خديجة بذلك. وقولها: فارتاع لذلك؛ من الروع ـ بفتح الراء ـ أي فزع. والمراد من الفزع، لازمه. وهو التغير. ووقع في بعض الروايات: ارتاح. أي اهتز لذلك سروراً.

وقوله ﷺ: **«اللهم هالة»** فيه حذف، تقديره: اجعلها هالة، فعلى هذا فهو منصوب. ويحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه هالة. وعلى هذا هو مرفوع. وفي الحديث؛ **«إن من أحبّ شيئاً أحبّ محبوباته، وما يشبهه وما يتعلق به»**.

قولها: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين. قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: معناه عجوز كبيرة جداً، حتى قد سقطت أسنانها من الكبر، ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان، إنما بقي فيه حمرة لثَّاتها.

قال القاضي: قال المصري، وغيره من العلماء:

الغيرة مسامح للنساء فيها، لا عقوبة عليهن فيها لِمَا جبلن عليه من ذلك. ولهذا

لم تزجر عائشة عنها، قال القاضي: وعندي أن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها، وأول شبيبتها، ولعلّها لم تكن بلغت حينئذٍ. والله تعالى أعلم.

وروى البخاري (5211) ومسلم (2445) من طريق القاسم بن محمد، عن السيدة عائشة رضي الله عنها، قَالَت: كَانَ رَسُول الله ﷺ، إِذَا خَرَجَ، أَقرَعَ بَينَ نِسَائِهِ. فَطَارَتِ القُرعَةُ عَلَى عائِشَةَ وَحفصَة. فَخَرَجَتَا مَعَهُ جَمِيعاً. وَكَان رَسُول الله ﷺ، إِذَا كَانَ باللّيلِ، سَارَ مَعَ عَائِشَةَ، يَتَحدّثُ مَعَهَا. فَقَالَت حفصَةُ لِعَائِشَةَ: ألاَ تَركَبِينَ اللّيلَةَ بَعِيرِي وَأَركَبُ بَعِيرَكِ، فَتَنظُرِينَ وَأَنظُرُ؟ قَالَت: بَلَى.

فَرَكِبَت عَائِشَةُ عَلَى بَعِيرِ حَفصَةَ. وَرَكِبَت حَفصَةُ عَلَى بَعِيرِ عَائِشَةَ. فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى جَمَلِ عَائِشَة، وَعَلَيهِ حَفصَةُ، فَسَلّمَ ثُمَّ سَارَ مَعَهَا. حَتى نَزَلُوا. فَافتَقَدتهُ عَائِشَةُ فَغَارَت.

فَلَمّا نَزَلُوا جَعَلَتْ تَجعَلُ رِجْلَهَا بَينَ الإذخِرِ وَتَقُولُ: يَا رَبّ! سَلّط عليَّ عَقرَباً أَو حَيّةً تَلدَغُنِي. رَسُولُكَ، وَلاَ أَستَطِيعُ أَنْ أَقُول لَهُ شَيئاً.

والإذخر: نبت معروف، توجد فيه الهوام غالباً في البرية. قال النووي: وهذا الذي فعلته السيدة عائشة رضي الله عنها، وقالته، حملها عليه فرط الغيرة على رسول الله ﷺ. وقد سبق أن أمر الغيرة معفو عنه. أهـ. والله تعالى أعلم.

وروى مسلم (2815) وغيره من طريق عروة، أن السيدة عائشة زوج النبي ﷺ حدثته؛ أن رسول الله ﷺ خَرَجَ مِنْ عِندِهَا ليلاً. قَالَت: فغرتُ عليه. فَجَاءَ فَرأى مَا أصنعُ!

فَقَالَ: «مَالكِ يا عَائِشَةَ، أَغِرتِ»؟

فَقُلتُ: وما لي لا يغارُ مثلي على مثلكَ؟

فَقَالَ رسول الله ﷺ: «أَقَد جَاءَكِ شَيطَانُكِ»؟

قُلتُ: يا رسول الله، أَوَ مَعيَ شيطان؟

قَال: «نعم»!

قلتُ: ومع كلّ إنسانٍ؟

قال: «نعم».

قلتُ: ومَعَكَ؟ يا رسول الله!

قَالَ: «نَعم. ولكن رَبّي أَعَانني عَلَيهِ حَتى أَسلَمَ».

وقوله ﷺ: «فأسلم» برفع الميم وفتحها. وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قال: معناه: أَسلمُ أنا من شرِّه وفتنته، ومن فتح قال: إن القرين أسلم ـ من الإسلام ـ وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير.

واختلفوا في الأرجح منهما. فقال الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ الصحيح المختار الرفع. ورجح القاضي عياض الفتح، وهو المختار، لقوله ﷺ: «فلا يأمرني إلا بخيرٍ».

واختلفوا على رواية الفتح. قيل: أسلم بمعنى: استسلم وانقاد. وقد جاء هكذا في غير صحيح مسلم، : «فاستسلم» وقيل: معناه صار مسلماً مؤمناً. وهذا هو. الظاهر.

قال القاضي عياض ـ رحمه الله تعالى ـ: واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه. وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين، ووسوسته وإغوائه. فأَعْلَمَنا بأنه معنا، لنحترز منه بحسب الإمكان. أهـ. والله أعلم. قاله النووي.

وروى أحمد (25913/ 10) ومسلم (974/ 103) وغيرهما، من طريق محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب، أنه قال يوماً: ألا أحدثكم عني وعن أمي! ـ فظننا أنه يريد أمه التي ولدته ـ قالت السيدة عائشة ﵂؛ ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى. قال: قالت: لما كانت ليلتي التي النبي ﷺ فيها عندي، انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع فلم يلبث إلاّ ريثما ظن أني قد رقدتُ، فأخذ رداءه رويداً، وانتعل رويداً وفتح الباب فخرج، ثم أجافه رويداً، فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري، ثم انطلقت على أثره.

حتى جاء البقيع، فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت[1]، فسبقته فدخلت، فليس إلاّ أن اضطجعت فدخل فقال: «ما لَكِ يا عائِشة! حَشيَاء[2] رابِيَة».

قالت: قلت لا شيء يا رسول الله.

---

(1) الإحضار: العدو والركض.

(2) حشياء: أي قد وقع عليك الحشا، وهو ارتفاع النَفَس، يُعرض للمسرع في مشيه. وأما رابية: أي مرتفعة البطن. وذلك من شدة تواتر نَفَسها.

قال: «لَتُخبِرِنني أو لَيُخبِرَني اللّطِيفُ الخَبِيرُ» فأخبرته.

قالت: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، قال: «فأنتِ السّوادُ[1] الذي رَأَيْتُ أمامي!» قلت: نعم، فلَهَزَني في ظهري لهزة[2] فأوجَعَتني، وقال: «أَظَنَنتِ أَنْ يَحِيفَ[3] عَلَيكِ الله وَرَسُولُهُ».

قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله، قال: «نَعَم، فإن جبريلَ - عليه السلامُ - أتاني حينَ رَأيتِ، فناداني فأخفاهُ مِنكِ فَأَجَبْتُهُ خفيته منك، ولم يَكُن لِيَدخُلَ عَلَيكِ وَقَد وَضَعتِ ثِيابَكِ، وَظَنَنتُ أنّكِ قَد رَقَدت فَكَرِهتُ أَنْ أُوقِظَكِ وخَشِيتُ أَنْ تَستوحِشِي فقال: إن رَبّكَ - عَزّ وَجلّ - يأمُرُكَ أَنْ تأتيَ أَهلَ البَقِيعِ[4] فَتَستَغفِرَ لَهُم»

قالت: فكيف أقول يا رسول الله؟

فقال: «قولي: السّلامُ على أهلِ الدّيارِ مِنَ المؤمنينَ وَالمسلمينَ وَيَرحَمُ الله المُستَقدِمِينَ مِنّا وَالمُستَأخرِينَ، وإنّا إن شاءَ الله بكُم لاحِقُونَ». لفظ أحمد.

رؤية الله تعالى

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143].

وفي «الصحيح» من حديث أبي ذر - ﷺ - قال: سألتُ رسول الله ﷺ: هل رأيت ربَّك؟ قال: «نورٌ، أنّى أراهُ»[5]؟!

وفي «الصحيح» أيضاً من حديث أبي موسى - ﷺ - قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إن الله عزَّ وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القِسط ويرفعهُ. يُرفعُ إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه

---

(1) السواد: الشخص.

(2) لهزة: قال أهل اللغة: لهزه، إذا ضربه بجمع كفه في صدره.

(3) يحيف: يظلم من الخيف وهو الظلم والجور.

(4) البقيع: مقبرة أهل المدينة، على مقربة من مسجد النبي ﷺ.

(5) رواه مسلم (178) وغيره.

النور ـ وفي رواية ـ حجابه النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بَصَرَهُ مِنْ خَلْقِهِ»[1].

والله سبحانه وتعالى باقٍ، حي لا يموت. والبشر فانٍ ويموت. فهل يُرى الباقي بالفاني؟ وأما في عالم الخلود.. هناك في عالم الآخرة حيث نُعطى أبصاراً باقية، نرى الباقي بالبصر الباقي.

ففي «الصحيح» من طريق عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمرٌ، عن الزُّهْري ـ في قوله ﷻ: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ [الجاثية: 28] ـ، عن عطاءِ بن يزيدَ اللّيثي عن أبي هريرة، قال:

قال الناسُ: يا رسول الله، هل نرَى ربّنا يومَ القِيامَةِ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ في الشَّمس ليسَ دُونَها سَحابٌ؟» فقالوا: لا يا رسولَ الله. قال: «هَلْ تُضارونَ في القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ليسَ دُونَه سَحاب؟» ـ وقال عبد الرزاق مرّةً: «لِلقمرِ ليلةَ البَدْرِ ليسَ دُونَه سَحابٌ» فقالوا: لا يا رسول الله.

قال: «فإنكم تَرَوْنَ رَبكُم ﷻ يومَ القِيامَة كذلِكَ، يَجْمَعُ الله الناسَ، فيقُولُ: مَن كانَ يَعْبُدُ شَيئاً فَلْيَتبعْهُ، فيَتْبعُ مَن كانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القمرَ، ومَن كانَ يَعْبُدُ الشمسَ الشمس، ويَتَّبعُ مَن كان يَعْبُدُ الطّواغِيتَ الطّواغِيتَ، وتَبقَى هذه الأمة فيها مُنافِقُوها، فيَأْتِيهِمُ الله ﷻ في غيرِ صُورَتِه التي يَعْرِفونَ، فيقولُ: أنا رَبكُم، فيقُولونَ: نَعُوذ باللهِ منكَ؛ هذا مكانُنا حتى يَأْتِيَنا رَبُّنا، فإذا جاءَنا رَبنا عَرَفْناهُ، قال: فيَأْتِيهِمُ الله ﷻ في الصورَةِ التي يَعْرِفُونَ، فيقولُ: أنا رَبكم، فيقولونَ: أنتَ ربّنا، فيَتَّبِعُونهُ. قال: ويُضْرَبُ بجِسْرٍ على جَهَنَمَ».

قال النبيُّ ﷺ: «فأكونُ أوَّلَ مَن يُجِيزُ، ودَعْوَى الرُّسُلِ يومَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وبها كَلاليبُ مِثْلُ شَوْكِ السّعْدانِ، هل رأيتُم شَوْكَ السّعدان». قالوا: نَعَمْ يا رسول الله. قال: «فإنها مثْلُ شَوكِ السّعْدَانِ، غيرَ أنه لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِها إلا الله عزّ وجَلّ، فتَخلّص الناسَ بأعْمالِهِم، فمنهم المُوبقُ بعَمَلِه، ومِنْهُم المُخَرْدَلُ، ثم يَنْجُو، حتى إذا فَرَغ الله عزَّ وجلَّ مِنَ القَضَاءِ بينَ العِبادِ، وأرادَ أنْ يُخْرِجَ مِنَ النارِ مَنْ أرادَ أنْ يَرْحَمَ، مِمنْ كانَ يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ الله، أمَرَ المَلائِكَةَ أنْ يُخْرِجوهم، فيَعْرِفُونَهُم بعَلامَةِ آثارِ السّجود، وحَرّمَ الله ﷻ على النارِ أنْ تأكُلَ مِن ابنِ آدمَ أثرَ السّجُود، فيخرِجونَهم مِنَ النارِ قد

---

(1) رواه مسلم (179) وغيره.

امْتَحَشُوا، فيُصَبُّ عَليهِم مِن ماءٍ يقال له: ماءُ الحياةِ، فيَنْبُتونَ نباتَ الحِبّةِ في حَمِيلِ السَّيْلِ.

ويبقَى رجلٌ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ إلى النارِ، فيقولُ: أيْ رَبِّ، قد قَشَبَني رِيحُها، وأحْرَقَني ذَكاؤها، فاصْرِفْ وَجْهِي عن النارِ. قال: فلا يَزَالُ يَدْعُو الله ﷻ حتى يقولَ: فلَعَلّي إنْ أعْطَيْتُكَ ذلكَ أنْ تَسألَني غَيرَهُ. فيقولُ: لا وعِزَّتِكَ، لا أسالكَ غَيْرَهُ. فيَصْرِفُ وَجْهَهُ عن النارِ، ثم يقولُ بعدَ ذلك: يا ربِّ، قَرِّبني إلى باب الجَنةِ. فيقولُ: أوَلَيسَ قَدْ زَعَمْتَ أنكَ لا تَسْألني غَيرَهُ؟ وَيْلَك يا ابنَ آدمَ، ما أغْدَرَكَ! فلا يَزال يَدْعُو، حتى يقولَ: فلَعَلّي إنْ أعْطَيْتُكَ ذلكَ أنْ تَسْألَني غَيْرَهُ. فيقول: لا وعِزتك، لا أسالك غيْرَهُ. ويُعْطِي الله ﷻ مِن عُهود ومَواثِيقَ أنْ لا يَسْألَه غَيرَهُ، فيُقَرِّبه إلى باب الجَنّةِ، فإذا دَنا منها، انْفَهَقَتْ له الجَنَّةُ، فإذا رَأى ما فيها مِن الحَبْرَةِ والسُّرُورِ، سَكَتَ ما شاءَ الله أنْ يَسْكُتَ، ثم يقولُ: يا رَبِّ، أدخِلْني الجَنةَ. فيقولُ: أوَليسَ قَدْ زَعَمْتَ أنْ لا تَسْألَني غَيرَهُ ـ أو قالَ: فيقولُ: أوَلَيسَ قَدْ أعطَيْتَ عَهْدَكَ ومَواثِيقَكَ أنْ لا تَسْألَني غَيْرَهُ ـ. فيقولُ: يا ربِّ، لا تَجْعَلْني أشقَى خَلْقِكَ. فلا يَزَالُ يَدْعُو الله عزَّ وجلَّ حتى يَضْحَكَ، فإذا ضَحِكَ مِنهُ، أذِنَ له بالدخولِ فيها، فإذا دَخَلَ قِيلَ له: تَمَنَّ مِن كذا، فيَتَمَنى، ثم يُقالُ: تَمَنَّ مِن كَذَا، فيتَمنى، حتى تَنْقَطِعَ به الأماني، فيُقالُ: هذا لَكَ ومِثْلُهُ معه».

قال: وأبو سعيدٍ جالسٌ معَ أبي هريرة لا يُغَيِّرُ عليه شيئاً من قوله، حتى انتهى إلى قوله: «هذا لك ومِثْلُه مَعَه». قال أبو سعيدٍ: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «هذا لكَ وعَشَرَةُ أمْثالِه مَعَه». قال أبو هريرة: حَفِظْتُ «ومِثْلُه معه» قال أبو هريرة: «وذلك الرجلُ آخِرُ أهلِ الجَنةِ دخولاً الجَنَّةَ»[1].

❁ ❁ ❁

الأيام لكم مطايا فأين العدة قبل المنايا

الأيام لكم مَطايا، فأين العُدَّة قبل المنايا، أين الأنفة من دار الأذايَا، أين العزائم؟ أترضَون الدنايا، إنّ بَلِيّة الهوى لا تُشْبِه البلايا، وإن خطيئة الإصرار لا كالخطايا، وسَرِيّة الموت لا تشبه السَّرايا، وقضية الأيام لا كالقضايا، راعِي السلامةِ

---

(1) رواه الإمام أحمد (10906) والبخاري (6573) ومسلم (2968)، وغيرهم.

يَقْتل الرعايا، رامِي التلَف يُصْمِي الرمايا، ملك الموت لا يَقْبل الهدايا، يا مستورين ستظهر الخبَايا.

استغفروا الله خجلاً من العثرات، ثم اسكبوا حَزَناً لها العَبرات، عجباً لمؤْثِر الفانية على الباقية، ولبائِع البحر الخِضَمّ بساقية، ولمختار دار الكدَر على الصافية، ولمقدّم حبَّ الأمراض على العافية، أيها المستوطِن بيتَ غُروره تأهَّبْ لإزعاجك، أيها المسرور بقصوره تهيَّأ لإخراجك، خذ عُدَّتك وقم في قضاء حاجتك قبل فراق أولادك وأزواجك، ما الدنيا دار مقامك، بل حَلَبَة إدلاجك:

أيـهـا الـنـاكـبُ عـن نـهـج الـهـدَى ... وهـو بـادٍ واضـحٌ لـلـسـالـكـيـنْ

إلْـهَ عـن ذِكـر الـتـصـابـي إنّـه ... سَـرَفٌ بـعـد بـلـوغ الأربـعـيـنْ

واجـعـل الـتـقـوى مـعـاذاً تَـحْـتـمـي ... بـحـمـاه إنـه حِـصْـن حَـصـيـنْ

واسـأل الله تـعـالـى عـفـوَه ... واسـتـعِـنْـه إنّـه خَـيْـر مُـعـيـنْ

أتأمنُ بطشَ ذي البطش، وتُبارزه عالماً برؤيته ولم تخش، يا من إذا وزَن طفَّف، وإذا باع غَشّ، أنسيتَ النزول في بيداء الدبيب والوحش، أنسيتَ الحُلول في لحْدٍ خشن الفَرْش، يا مغترّاً بزخرف الهوى قد ألهاه النقش، إذا جنَيْتَ على نفسك فعلَى من الأرْش، يا من إذا جاء الفرض التوى وإذا حانَ الَّلهو هَشّ، يا من لا يَصْبر للقضاء ولو على خَدْش، كن مستيقظاً فإنك بعين ذي العرش:

تَـعـلَّـلُ بـالآمـالِ والـمـوتُ أسـرعُ ... وتَـغْـتـرّ بـالأيـامِ والـوعـظُ أنـفـعُ

ومـا الـمـرء إمّـا لـم يـمـتْ فـهـو ذائق ... فـراقَ الأخـلاء الـذي هـو أوجـعُ

فـودِّعْ خـلـيـلَ الـنـفـسِ قـبـل فـراقـه ... فـمـا الـنـاسُ إلا ظـاعـنٌ أو مـودِّعُ

يا حزيناً على فراق موتاه، كئيباً لمطلوبٍ ما واتاه، كأنه بالموت قد أتاه، فألحقه ما أباه أباه، ووافاه ما أطبق فاه فما فاه: ـ

يـا كـثـيـر الـحـرص مـشـغـو ... لاً بـدُنْـيـا لـيـس تـبـقَـى

مـا رأيـنـا الـحِـرْص أدْنَـى ... مـن حـريـص قـط رزقـا

لا ولـكـن فـي قـضـاء الله ... أن نَـغْـنـى ونـشـقـى

قـد رأيـنـا الـمـوت أفـنـى ... قـبـلـنـا خَـلـقـا فـخـلـقـا

درجـوا قَـرْنـاً فـقَـرْنـا ... ويـبـقـي مـن لـيـس يَـبْـقـى

قدم على محمد بن واسع ابنُ عم له فقال له: من أين أقبلتَ؟ فقال: من طلب الدنيا، فقال: هل أدركتها؟ قال: لا، قال: واعجبا! أنت تطلب شيئاً لم تدركه، فكيف تدرك شيئاً لم تطلبه!

يا هذا عليك بالجَدِّ والاجتهاد، وخَلِّ هذا الكسلَ والرقاد، فطريقك لا بد لها من زاد.

إنهضْ إلى المعالِي ... واقبل ولا تُبالي
وخُذْ من الزمانِ ... حظّاً فأنت فاني
الهِمَمُ العَلِيّة ... والمَهجُ الأبِيّة
تقَرِّبُ المنيّة ... منكَ أو الأمْنيّة
المجدُ بالمخَاطرة ... والنصرُ بالمصابَرة
كم راحةٍ في العُزْلة ... وعملٍ في العطلة
ليس يدومُ حالُ ... شحمُ المنَى هُزالُ
ما للوَرى في غفلة ... قد خُدِعوا بالمهلة
ألا لبيبٌ يعقلُ ... ألا جَهولٌ يَسألُ
أأنتمُ في ريبة ... ما أعظم المصيبة
دُنْياكُمُ حبيبة ... لحسنها والطّيبة
لكنها غَدَّارة ... خَدَّاعة غَرّارة
ليس لها حبيبٌ ... زوالُها قريبُ
كالمومس البَغيِّ ... تلبس كلَّ زيّ
خَلوبة خوَّانة ... ليس لها أمانة
عزيزُها ذليلُ ... كثيرها قليلُ
تفرِّق الأحبابَا ... تشتِّت الأترابا
حَرْبٌ لمن سَالَمها ... تمَلُّ من لازمها
لقاؤها فراقٌ ... وعُرْسها طلاقُ
وِصالها صدودٌ ... ووَعْدها وعيدُ

وصـــالُــــهـــا عَـــنَـــا صُـــــدودُهـــــا بَـــــلاَ
عـــقـــودُهـــا مـــنـــقـــوضـــة عـــهـــودُهـــا مَـــرْفـــوضـــة
شـــرَابُـــهـــا ســـرابُ نـــعـــيـــمُـــهـــا عـــذابُ
إنْ أقـــبـــلـــتْ فـــفـــتـــنـــة أو أدبـــرتْ فـــمـــحـــنـــة
أخـــلاقُـــهـــا مـــذمـــومـــة لَـــذَّاتُـــهـــا مـــســـمـــومـــة
يـــحـــظَـــى بـــهـــا الـــجُـــهَّـــالُ وَيـــنْـــعـــم الأنـــذالُ
يـــشـــقـــى بـــهـــا الـــلـــبـــيـــبُ ويـــتـــعـــب الأريـــبُ
فَـــخَـــلِّ عـــنـــهـــا يـــا فـــتـــى إلـــى مـــتـــى إلـــى مـــتـــى! (ج)

❀ ❀ ❀

نموذج من نماذج البخل

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

لقد أثنى الله تعالى على الكرم والكرماء، وذم البخل والبخلاء، ومن هؤلاء البخلاء، مروان بن أبي حفصة، كان لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم[1] إليه، فإذا قُدّم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله، فقيل له: نراك لا تأكل إلاّ الرؤوس في الصيف والشتاء، فلمَ تختار ذلك؟ قال: نعم، الرأسُ أعرِفُ سعره، فآمن خيانة الغلام، ولا يستطيع أن يغبنني فيه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، وإن مسّ عيناً أو أذناً أو خداً وقفتُ على ذلك، وآكل منه ألواناً، آكل عينه لوناً وأذنه لوناً، وغلصَمته[2] لوناً، ودماغه لوناً، وأُكفى مؤونة طبخه، فقد اجتمعت لي فيه مرافق.

❀ ❀ ❀

---

(1) يقال: قرم إلى اللحم: أي اشتدت شهوته إليه.
(2) الغَلْصَمة: اللحم بين الرأس والعنق.

عليك بالإخلاص في جميع أعمالك وأقوالك

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: 11].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: 14].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: 29].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ [الحج: 37].

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنيّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امرئ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيهِ»**. (متفق عليه).

وفي «الصحيح» أيضاً من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ **«إِنَّ اللهَ تَعَالَى لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلا إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»**.

❀ ❀ ❀

حقيقة ما يجري في القبور

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ [عبس: 21].

القبر عالَمٌ آخر، ومرحلة أوَّلِية من مراحل الآخرة. يتم فيه السؤال، وينقلب على صحابه، إما روضة من رياض الجِنان، وإما حفرة من حفر النيران. عالَمٌ برزخيٌّ لا نعلم عن كنهه الشيء الكثير، وإنما هي ملامح ذُكرت لنا في السُّنَّة النبوية المطهرة. ولكنه عالم حقيقي لا بُدَّ منه لكل البشر، فماذا يا ترى جاءنا فيه لنعلم ونستعد؟

فعن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: **«العَبدُ إِذَا وُضِعَ في قَبرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصحَابُهُ، حَتى إنهُ لَيسمَعُ قَرعَ نِعَالِهِم، أتاهُ مَلَكَانِ فَأَقعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنتَ تَقُولُ في هذَا الرّجُلِ مُحمّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: «أَشهَدُ أنهُ عَبدُ الله وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: أُنظُر إلى مَقعَدِكَ مِنَ النّارِ، أَبدَلَكَ الله بِهِ مَقعَداً مِنَ الجَنّةِ»**.

قَالَ النبي ﷺ: **«فَيراهُمَا جَمِيعاً، وَأَمّا الكَافِرُ، أَو المُنَافِقُ، فَيَقُولُ: لا أَدرِي،**

كُنتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيتَ وَلاَ تَلَيتَ، ثُمَّ يُضرَبُ بِمِطرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَربَةً بَينَ أُذُنَيهِ، فَيَصِيحُ صَيحَةً يَسْمَعُهَا مَن يَلِيهِ إِلاّ الثَّقَلَينِ». (متفق عليه).

وقد جاء عند مسلم عقب روايته: قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنهُ «يُفسَحُ لَهُ في قَبرِهِ سَبعُونَ ذِرَاعاً، وَيملأُ عَلَيهِ خَضِراً إِلَى يَومِ يُبعَثُونَ».

ورواه أبو داود بلفظ: إِنَّ نَبيَّ اللهِ ﷺ دَخَلَ نَخلاً لِبَني النَّجارِ، فَسَمِعَ صَوتاً ففزعَ، فَقَالَ: «مَن أَصحابُ هذه القُبور» قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ ناسٌ مَاتوا في الجَاهليةِ، فَقَالَ: «تعَوّذُوا باللهِ مِنَ عَذَابِ النّارِ، وَمِن فِتنَةِ الدجّالِ» قالوا: ومِمَّ ذاك يا رسولَ اللهِ؟

قَالَ: «إِن المؤمِنَ إِذَا وُضِعَ في قَبرِهِ أتاهُ مَلَكٌ فيقولُ لَهُ: مَا كُنتَ تَعبدَ؟ فَإِنْ هَدَاهُ الله قَالَ: كُنتُ أَعبدُ الله، فَيُقَال لَهُ: مَا كُنتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ؟ فيقولُ: هُوَ عَبدُ الله وَرَسُولُهُ، فما يُسألُ عن شيءٍ، غيرها. فَيُنطَلَقُ بِهِ إِلى بيتٍ كَانَ لَهُ في النَّارِ فَيُقَالُ لَهُ: هذَا بَيتكَ كَانَ لَكَ في النّارِ ولكن الله عَصَمَكَ وَرَحَمَكِ فَأبدَلكَ بِهِ بَيتاً في الجَنَّةِ، فَيَقُول: دَعُوني حتى أَذهَبَ فَأُبشِّرَ أَهلي، فَيُقَالُ لَهُ: اسكُن.

وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا وُضِعَ في قَبرِهِ أتاهُ مَلَكٌ فَيَنتَهِرَهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنتَ تَعبُدَ؟ فيقول: لا أَدرِي، فَيقالُ لهُ: لا دَرَيتَ ولا تَليتَ، فيقالُ لَهُ: فَمَا كُنتَ تَقُولُ في هذا الرّجُلَ فَيقُولَ: كُنتُ أَقُولُ ما يَقُولُ النّاسُ، فَيضربه بِمطرَاقٍ من حَدِيدٍ ضَربَةً بَينَ أُذُنَيهِ، فَيَصِيحُ صيحَةً يَسْمَعُهَا الخَلقُ غَيرَ الثّقَلَينِ».

وعن البراء بن عازبٍ ـ ﷺ ـ قال: خرجنا مع النَبيِّ ﷺ في جنازةِ رجلٍ من الأنصارِ، فانتهينا إلى القبر، ولمَّا يُلحَدُ. فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حولَهُ، وكأنَّ على رؤوسِنَا الطَّيرُ، وفي يدهِ عُودٌ يَنكُتُ في الأرضِ فَرَفَعَ رَأسَهُ فَقَالَ: «استَعِيذُوا بالله مِنْ عَذَابِ القَبرِ» مرتين أو ثلاثاً ثم قال:

«إِنَّ العَبدَ المؤمِنَ إذا كانَ في انقطاعٍ من الدّنيا وإقبالٍ مِنَ الآخِرَةِ نزلَ إليهِ ملائكةٌ مِنَ السَّماءِ بيضُ الوُجُوهِ كأنّ وُجُوهَهُم الشمسُ، مَعَهُم كَفَنٌ مِنْ اكفَانِ الجَنَّةِ وَحُنُوطٌ مِن حُنُوطِ الجَنّةِ حتى يَجلِسُوا مِنهُ مَدّ البَصَرِ، ثم يجيءُ مَلَكُ المَوتِ عَلَيهِ السّلامُ حتى يجلسَ عِندَ رَأسِهِ فيقول: أَيّتها النّفسُ الطَيّبَةُ اخرُجِي إلى مَغفِرَةٍ مِنَ الله وَرِضوانٍ».

قال: «فَتَخرُجُ تسيلُ كما تسيلُ القَطرَةُ مِنْ في السِّقاءِ فإذا أَخَذَها لَم يَدَعُوها في يده طَرفَةَ عَينٍ حتى يَأخُذُوها فَيَجعَلُوها في ذِلكَ الكَفَنِ وَفِي ذلِكَ الحنوطِ ويخرجُ منها كأطيَبِ نفحةِ مسكٍ وُجِدَت على وَجهِ الأرضِ».

قال: «فَيَصعَدُونَ بها فلا يَمُرّونَ بها على ملإٍ مِنَ الملائِكَةِ إلاّ قالوا: ما هذا الرّوحُ الطيّبُ؟ فيقولونَ: فلانُ بنُ فلانٍ بأحسَنِ أَسمَائِهِ التي كانوا يسَمّونَهُ بها في الدّنيا حتى يَنتَهُوا بها إلى السّماءِ الدّنيا فَيستفْتِحُونَ لَهُ فَيُفتَحُ لَهُم فَيُشَيّعُهُ مِنْ كُلِّ سماءٍ مُقَرَّبُوها إلى السّماءِ التي تَلِيها حَتى يُنتهى بِهِ إِلى السّماءِ السّابِعَةِ، فيقولُ الله عَزَّ وَجلّ: «اكتُبُوا كتابَ عَبدِي في عِلِّيِّينَ وَأَعيدُوهُ إلى الأرضِ فإِني منها خَلَقتُهُم وَفيها أُعِيدُهم، وَمِنها أُخرِجُهُم تارَةً أُخرَى».

قال: «فَتعادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ فيأتِيهِ مَلَكَانَ فَيُجلِسَانِه فَيَقُولانِ لَهُ: مَن رَبُّكَ؟ فيقُول: رَبّي الله، فيقولان لَهُ: ما دينُكَ فيقولُ: دِيني الإسلامُ، فيقولانِ له: ما هذا الرّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُم؟ فيقول: هُوَ رَسُولُ الله ﷺ فيقولان له: وما عَمَلُكَ؟ فيقولُ قَرَأتُ كِتابَ الله فآمنتُ بِهِ وصَدّقتُ فَيُنادِي مُنادٍ في السّماءِ أَنْ صَدَقَ عَبدِي فافرُشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ وَأَلبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ وَافتحُوا لَهُ باباً إلى الجَنّةِ».

قال: «فيأتيهِ مِنْ رَوْحِها وَطِيبِها وَيُفسَحُ لَهُ في قبرِهِ مَدّ بَصَرِهِ» قال: «وَيَأتِيهِ رَجلٌ حَسَنُ الوَجهِ حَسَنُ الثياب طَيِّبُ الرّيحِ فيقولُ: أَبشِر بالذي يُسِرُّكَ، هذا يَومُكَ الذي كُنتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ: مَن أنتَ فَوَجهُكَ الوجهُ يجيءُ بالخَيرِ؟ فيقولُ: أنا عَمَلُكَ الصّالِحُ فيقولُ: رَبّ أَقِمِ السّاعَةَ حتى أرجعَ إِلى أَهلِي وَمالي».

قال: «وإِن العَبدَ الكافِرَ إذا كانَ في انقطاعٍ مِنَ الدّنيا وإقبالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيهِ مِنَ السّماءِ ملائكةٌ سُودُ الوُجُوهِ معهم المسوحُ، فيجلسونَ منه مدّ البَصَرِ ثم يجيءُ مَلَكُ الموتِ حَتى يَجلِسَ عِندَ رَأسِهِ فيقولُ: أَيتُها النّفسُ الخبيثةُ اخرُجي إلى سَخَطٍ مِنَ الله وغضَبٍ»، قال: «فَتَفرَّقُ في جَسَدِهِ فَينتزِعُها كما يُنتزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصّوف المبلولِ فيأخُذُها فإذا أَخَذَها لم يَدَعُوها في يَدِهِ طَرفَةَ عَينٍ حتى يَجعَلُوها فِي تِلكَ المسوحِ ويخرجُ منها كأنتَنِ رِيحِ جيفَةٍ وُجِدَت على وَجهِ الأرضِ فيصعدونَ بها فَلا يَمُرُّونَ بها على ملإٍ مِنَ الملائكةِ إلاّ قالوا: ما هذا الرّوحُ الخبيثُ؟ فيقولونَ: فلانُ بنُ فلانٍ بأقبحِ أَسمائِهِ التي كان يسَمَّى بها في الدنيا حتى يُنتهَى بِهِ إِلى السّماءِ الدّنيا فَيُستفتَحُ لهُ فلا يُفتَحُ لَهُ».

ثـم قـرأ رسـول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: 40] فيقول الله عَزّ وَجَل: اكتبوا كتابهُ في سِجّين في الأرضِ السّفلَى فَتُطرَحُ رُوحُهُ طَرْحاً» ثـم قرأ: «﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31].

«فتعادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكانِ فَيُجلِسانِهِ فيقولانِ لَهُ: مَن رَبّكَ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولانِ له: ما دينُكَ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان لهُ: ما هذا الرّجُلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقولُ: هاه هاه لا أدرِي، فينادِي منادٍ مِنَ السَّماءِ أَنْ كَذَبَ فَافرُشوهُ مِنَ النّارِ وافتحُوا لَهُ بَاباً إلى النارِ فيأتِيهِ مِنْ حَرِّها وَسُمُومِها وَيَضيقُ عَلَيهِ قَبرُهُ حَتى تَختَلِفَ فِيهِ أَضلاعُهُ ويأتِيهِ رَجُل قَبيحُ الوَجهِ قبيحُ الثيابِ مُنتنُ الرّيح فَيَقُولُ: أَبشِر بِالذِي يَسُوءُكَ، هذا يَوْمُكَ الذي كُنتَ توعَدُ فيقولُ: مَن أَنتَ؟ فَوَجهُكَ الوَجهُ يجيءُ بالشَرّ فيقولُ: أَنا عَمَلُكَ الخَبِيثُ فيقولُ: رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعَةِ»[1].

---

(1) رواه الإمام أحمد (18534) وأبو داود (3212) و(4753) والنسائي (2000) وابن ماجه (1549)، وغيرهم، بإسناد صحيح، مطولاً ومختصراً.

قال الإمام السندي ـ رحمه الله تعالى ـ: وقوله: ولما يُلحد؛ على بناء المفعول، مجزوم بلمّا النافية ينكت، أي: يضرب الأرض بطرفه، وهذا يفعله المتفكر المهموم.

كما تسيلُ القَطْرة، أي: تخرج بسهولة.

فيجعلوها في ذلك. . . يدل على أن الروح يكفن ويحنط، كالجسد.

فيُشيّعه، بالتشديد، أي: يتبعه، تكريماً له.

أنْ صدق عبديَ. «أن» تفسيرية، أو مصدرية، بتقدير الباء، أي: نادى بأن صدق، أو بتقدير اللام، أي: لأجل أنْ صدق في الدنيا أو فيما قال في الحال أفرشوه.

فأفرشوه: هو بهمزة قطع، أي: اجعلوا له فراشاً من فُرُش الجنة.

وألبسوه: يؤيد ما قيل: إن الميت يُلبَس غيرَ الكفن، وعدم الظهور عند أعيننا لا يضرُ في ذلك، كما لا يضرُ عدمُ رؤية أحدنا جبريلَ عند النبي ﷺ في حضوره عنده ﷺ.

فيأتيه من رَوْحها، أي: ما لا يوصف كُنهه، فأُبهم لذلك، ويحتمل أن تكون «من» تبعيضية، أو زائدة، عند من جوّز.

المُسُوح، بضمتين، جمع مِسح، بكسر الميم: كساء معروف، وقال النووي: هو ثوب من الشعر غليظ معروف.

السّفود؛ ضبط بفتح السين، وتشديد الفاء: حديدة يُشوى بها اللحم.

ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ﴾ الظاهر ـ والله تعالى أعلم ـ أن ليس المراد أن هذه الآية بيان لجزائه، بل المراد أن الآيةَ بيانٌ لقبح الشرك، وبُعدِه عن العقول، فإذا كان عملُ الكافر هذا، والجزاء يكون من جنس العمل، فجزاؤه ذاك.

هاه هاه: كلمة يقولها المتحيّر في الكلام.

أنْ كذَب، أي: فيما قال: لا أدري، لأن دينَ الله ونبوّة رسوله كان ظاهراً، ويحتمل أن المراد الكذبُ في الدنيا كما سبق في عديله، ولم يقل: عبدي، إهانة له، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [سورة محمد: 11].

الممثلة هناء ثروت تتوب على يدي أحد مشاهير هوليوود

هناء ثروت ممثلة مشهورة، عاشت في «العفن الفني» فترة من الزمان، ولكنها عرفت الطريق بعد ذلك فلزمته، فأصبحت تبكي على ماضيها المؤلم.

تروي قصتها فتقول:

أنهيت أعمالي المنزلية عصر ذاك اليوم، وبعد أن اطمأننت على أولادي، وقد بدأوا في استذكار دروسهم، جلست في الصالة، وهممت بمتابعة مجلة إسلامية حبيبة إلى نفسي، ولكن شيئاً ما شد انتباهي، أرهفت سمعي لصوت ينبع من إحدى الغرف، وبالذات من حجرة ابنتي الكبرى، الصوت يعلو تارةً ويغيب بعيداً تارة أخرى.

نهضت بتعجّل لأستبين الأمر، ثم عدت إلى مكاني باسمة عندما رأيت صغيرتي ممسكة بيدها مجلداً أنيقاً تدور به الغرفة فرحة، وهي تلحّن ما تقرأ، لقد أهدتها إدارة المدرسة ديوان (أحمد شوقي)، لتفوقها في دراستها، وفي لهجة طفولية مرحة كانت تردد:

خدعوها بقولهم حسناء ... والغواني يغرهنّ الثناء

لا أدري لماذا أخذت ابنتي في تكرار هذا البيت، لعله أعجبها.. وأخذت أردده معها، وقد انفرجت مدامعي تأثراً وانفعالاً. أناملي الراعشة تضغط بالمنديل الورقي على الكرات الدمعية المتهطلة كي لا تفسد صفحات اعتدت تدوين خواطري وذكرياتي في ثناياها، وصوت ابنتي لا يزال يردّد بيت شوقي: «خدعوها»؟!

نعم، لقد مُورست عليّ عمليات خداع، نصبتها أكثر من جهة.

تعود جذور المأساة إلى سنوات كنت فيها الطفلة البريئة لأبوين مسلمين، كان من المفروض عليهما استشعار المسؤولية تجاه وديعة الله لديهما ـ التي هي أنا ـ بتعهدي بالتربية وحسن التوجيه وسلامة التنشئة، لأغدو بحق مسلمة كما هو المطلوب، ولكن أسأل الله أن يعفو عنهما.

كانا منصرفين، كل واحد منهما لعمله، فأبي ـ بطبيعة الحال ـ دائماً خارج البيت في كدح متواصل تاركاً عبء الأسرة لأمي التي كانت بدورها موزعة الاهتمامات ما بين عملها الوظيفي خارج المنزل وداخله، إلى جانب تلبية احتياجاتها الشخصية والخاصة،

وبالطبع لم أجد الرعاية والاعتناء اللازمين حتى تلقفتني دور الحضانة، ولمّا أبلغ الثالثة من عمري.

كنت أعيش في قلق وتوتر وخوف من كل شيء، فانعكس ذلك على تصرفاتي الفوضوية الثائرة في المرحلة الابتدائية في محاولة لجذب الانتباه إلى شخصي المهمَل (أسريّاً)، بيد أن شيئاً ما أخذ يلفت الأنظار إليَّ بشكل متزايد.

أجل، فقد حباني الله جمالاً، ورشاقة، وحنجرة غريدة، جعلت معلمة الموسيقى تلازمني بصفة شبه دائمة، تستعيدني الأدوار الغنائية ـ الراقصة منها والاستعراضية ـ التي أشاهدها في التلفاز، حتى غدوت أفضل من تقوم بها في الحفلات المدرسية، ولا أزال أحتفظ في ذاكرتي بأحداث يوم كُرِّمتُ فيه لتفوقي في الغناء والرقص والتمثيل على مستوى المدارس الابتدائية في بلدي. احتضنتني (الأم ليليان)، مديرة مدرستي ذات الهوية الأجنبية، وغمرتني بقبلاتها قائلة لزميلة لها: لقد نجحنا في مهمتنا، إنها ـ وأشارت إلي ـ من نتاجنا، وسنعرف كيف نحافظ عليها لتكمل رسالتنا![1].

لقد صوّر لي خيالي الساذج آنذاك أني سأبقى دائماً مع تلك المعلمة وهذه المديرة، وأسعدني أن أجد بعضاً من حنان افتقدته، وإن كنتُ قد لاحظت أن عطفهما من نوع غريب، تكشَّفت لي أبعاده ومراميه بعدئذ، وأفقت على حقيقة هذا الاهتمام المستورد!

صراحة، لا أستطيع نكران مدى غبطتي في تلك السنين الفائتة، وأنا أدرج من مرحلة لأخرى، خاصة بعد أن تبناني أحد مخرجي الأفلام السينمائية كفنانة دائمة وسط اهتمام إعلامي كبير بي!

كما أخذت أمي تفخر بابنتها الموهوبة أمام معارفها، وصويحباتها، وتكاد تتقافز سروراً وهي تتملى صُوَري على شاشة التلفاز، جليسها الدائم.

كانت تمتلكني نشوة مسكرة، وأنا أرفل في الأزياء الفاخرة والمجوهرات النفيسة والسيارات الفارهة، كانت تطربني المقابلات، والتعليقات الصحفية، ورؤية صوري الملونة، وهي تحتل أغلفة المجلات، وواجهات المحلات، حتى وصل بي الأمر إلى

---

(1) صدق الله إذ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: 100].

أمثالي من المخدوعين والمخدوعات، واستبدالنا بمن هم أكثر إخلاصاً، أو إذا شئت (عمالة)، في هذا الوسط الخطر، والمسؤول عن الكثير من توجهات الناس الفكرية.

وجدت نفسي شيئاً فشيئاً أسقط في عزلة نفسية قائظة، زاد عليها نفوري من أجواء الوسط الفني ـ كما يُدعى ـ ! مُعْرِضَةً عن جلساته، وسهراته الصاخبة التي ترتكب فيها الكثير من التفاهات والحماقات باسم الفن أو الزمالة!

لم يحدث أن أطلت التعامل مع عقلي في ساعات خلوتي لنفسي، وأنا أحاول تحديد الجهة المسؤولة عن ضياعي وشقائي، أهي التربية الأسرية الخاطئة؟ أم التوجيه المدرسي المنحرف؟ أم هي جناية وسائل الإعلام؟ أم كل ذلك معاً؟

لقد توصلت ـ أيامها ـ إلى تصميم وعزم يقتضي تجنيب أولادي ـ مستقبلاً ـ ما ألقاه من تعاسة مهما كان الثمن غالياً، إذ يكفي المجتمع أني قُدّمت ضحية على مذبح الإهمال والتآمر والشهوات، أو كما تقول خالتي: على دين الشيطان.

وفجأة، التقينا على غير ميعاد.

كان مثلي، دفعته نزوات الشباب ـ كما علمت بعدئذ، إلى هذا الوسط ليصبح نجماً! ـ وعذراً فهذه اصطلاحاتنا آنذاك ـ ومع ذلك كان يفضل تأدية الأدوار الجادة ـ ولو كانت ثانوية ـ نافراً من التعامل مع الأدوار النسائية.

ومرة احتفلت الأوساط الفنية والإعلامية بزيارة أحد مشاهير «هوليوود» لها، واضطررت يومها لتقديم الكثير من المجاملات التي تحتمها مناسبة كهذه!!، وانتهزت فرصة تبادل الأدوار وتسللت إلى مكان هادئ لالتقاط أنفاسي، لمحته جالساً في مكان قريب منّي، شجعني صمته الشارد أن أقتحم عليه عزلته.

سألته ـ بدون مقدمات ـ عن رأيه في المرأة لأعرف كيف أبدأ حديثي معه.

أجابني باقتضاب أن الرجل رجل، والمرأة امرأة، ولكلٍّ مكانه الخاص، وفق طبيعته التي خلق عليها.

استرسلت في التحادث معه، وقد أدهشني وجود إنسان عاقل في هذا الوسط!. . . فهمت من كلامه أنه سيضحي ـ غير آسف ـ بالثراء والشهرة المتحصلين له من التمثيل، وسيبحث عن عمل شريف نافع، يستعيد فيه رجولته وكرامته.

لحظتها قفز إلى خاطري سؤال عرفت الحياء الحقيقي وأنا أطرحه عليه.

لم يشأ أن يحرجني يومها، ولكن مما وعيت من حديثه قوله: (إذا تزوجت فستكون زوجتي أمّاً وزوجاً بكل معنى الكلمة، فاهمة مسؤولياتها وواجباتها، وستكون لنا رسالة نؤديها نحو أولادنا لينشؤوا على الفضيلة والاستقامة، كما أمر الله، بعيداً عن المزالق والمنعطفات، وقد عرفت مرارة السقوط وخَبِرْتُ تعاريجَ الطريق).

وقال كلاماً أكثر من ذلك، أيقظ فيّ الصوت الفطري الرائق، يدعوني إلى معراج طاهر من قحط القاع الزائف إلى نور الحق الخصيب. وأحسست أني أمام رجل يصلح لأن يكون أباً لأولادي، على خلاف الكثير ممن التقيت، ورفضت الاقتران بهم.

وبعد فترة، شاء الله وتزوجنا.

وكالعادة كان زواجنا قصة الموسم في أجهزة الإعلام المتعددة، حيث تتعيش دائماً على مثل هذه الأخبار.

ولكن المفاجأة التي أذهلت الجميع كانت بإعلاننا ـ بعد زيارتنا للأراضي المقدسة ـ عن تطليق حياة الفراغ والضياع والسوء، وأني سألتزم بالحجاب، وسائر السلوكيات الإسلامية المطلوبة إلى جانب تكريس اهتمامي لمملكتي الطاهرة ـ بيتي المؤمن ـ لرعاية زوجي وأولادي طبقاً لتعاليم الله ورسوله.

أما زوجي فقد أكرمه الله بحسن التفقه في دينه، وتعليم الناس في المسجد.

أولادي الأحباء لم يعرفوا بعد أن أباهم في عمامته وأمهم في جلبابها، كانا ضالين فهداهما الله، وأذاقهما حلاوة التوبة والإيمان.

خالتي المؤمنة ذرفت دموعها فرحة، وهي ترى ثمرة اهتمامها بي في الأيام الخوالي، ولا تزال الآن تحتضنني كما لو كنت صغيرة، وتسأل الله لي الصبر والثبات أمام حملات التشهير والنكاية التي استهدفت إغاظتي بعرض أفلامي السافرة التي اقترفتها أيام جاهليتي، عَلّي أعاود الارتكاس في ذاك الحمأ اللاهب وقد نجاني الله منه.

ومن المضحك أن أحد المنتجين، عرض على زوجي أن أقوم بتمثيل أفلام، وغناء أشعار، يلصقون بها مسمى (دينية)! ولا يعلم هؤلاء المساكين أن إسلامي يربأ بي عن مزاولة ما يخدش كرامتي أو ينافي عقيدتي.

نعم، لقد كانت هجرتي لله، وإلى الله، وعندما تكبر براعمي المؤمنة، سيدركون

إن شاء الله لِمَ وكيف كنتُ. وتندفع صغيرتي إلى حجري بعد الاستئذان، وأراها تضع بين يديّ ديوان أحمد شوقي، تسألني بلهجة الواثق من نفسه أن أتابع ما حَفِظَت من القصيدة، وقبل أن أثبت بصري على الصفحة المطلوبة، اندفعت في تسميعها:

خدعوها بقولهم حسناءُ والغواني يغرهنَّ الثناءُ

❀ ❀ ❀

منبوذ

من أخطر ما يفتتن به المرء في حياته، فتنة الإرتداد عن دين الله تعالى. فهي فتنة توجب لصاحبها الخلود في نار جهنم كما جاء في مُحكم التنزيل: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: 217].

ومن يرتدُّ عن الإسلام، فإن الله ﷻ لا يأبه به ولا يلتفت إليه، وسوف يستبدله سبحانه وتعالى بخير منه، كما قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54].

والإرتداد عن الدين إنما هو من عمل الشيطان، وشديد تأثيره على عقل المرء وقلبه، وبسبب طاعتهم لأهل الكفر والنفاق، ومسايرتهم لهم فيما يأمرونهم به، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: 25 ـ 26].

هؤلاء الذين ارتدوا عن الإسلام، ورضوا بالكفر والنفاق، لا يموتون إلا وملائكة العذاب تضرب وجوههم وإدبارهم بسياط من نار. كما قال جل وعلا ـ عقب ما تقدم ـ ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: 27 ـ 28].

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من بدَّل دينه فاقتلوه». فحدُّ المرتد عن الإسلام القتل، ليكون عبرة لغيره وعقوبة له، ولمن تسول له نفسه بالإرتداد عن دين الحق والهُدى.

ولكن إن عُطلت حدود الله تعالى في أرضه، أو هرب المرتد، وغاب عن أنظار المسلمين، فهل يُترك أم ينال عقابه من الله تعالى عاجلاً قبل يوم الحساب؟

لنستمع إلى ما حصل لأحدهم ارتد عن دين الله تعالى، في زمن رسول الله ﷺ. فقد روى الإمام أحمد (13324) ومسلم (2781) والبخاري في «الأدب المفرد» (384)، وغيرهم، من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان منَّا رجلٌ من بني النَّجّار قد قَرَأَ البقرةَ وآلَ عِمْرانَ، وكان يكتُبُ لرسول الله ﷺ، فانطَلَقَ هارباً حتى لَحِقَ بأهل الكتابِ، قال: فرفعوه وقالوا: هذا كان يكتُبُ لمحمدٍ، وأعجبوا به، فما لَبِثَ أن قَصَمَ الله عُنُقَه فيهم، فحَفَرُوا له فوَارُوْهُ، فأصبحت الأرضُ قد نَبَذَتْه على وجهِها، ثم عادوا فحفروا لهُ فواروهُ، فأصبحتِ الأرضُ قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له، فواروهُ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها. فتركُوهُ منبوذاً». لفظ أحمد.



خطبة وبلاغة

الحمد لله المتفرد بالوحدة وحده، الذي رَغَّبَ فيما عنده عبده، منعه الذي يؤذيه بالتحريم وصَدَّه، وما حرّم شيئاً إلاّ وأباح من جنسه عِدّه، ربّاهُ باللطف فلما بلغ أشدّه، أجاز له النكاح لدفع تلك الشدّه، فإن لم يقنع الهوى بالمباح فليخبر بقصر المده، فان أهجر من هجر فما انزجر فقدحه حَدَّهْ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: 2]، (ج).

❀ ❀ ❀

تنبيه

أيـــهـــا الـــســـكـــرانُ بـــالآ   مـــال قـــد حـــان الـــرحـــيـــلُ

ومَـــشِـــيـــب الـــرأسِ والـــفَـــوْ   دَيْـــن لـــلـــمـــوتِ دلـــيـــلُ

فـــانـــتـــبـــه مـــن رقـــدة الـــغـــفـ   ـلِـــة فـــالـــعـــمـــر قـــلـــيـــلُ

واطَّـــرِحْ ســـوف وحـــتـــى   فـــهـــمـــا داءٌ دَخِـــيـــلُ

يا من صُبْح شيبه بعد لَيْل شبابه قد تبلَّج، ونذيره قد حامَ حولَ حِمَاه وعرَّج كأنك بالموتِ قد أتى سريعاً وأَزْعج، ونَقلك عن دارٍ أمِنْتَ مَكْرَها وأخرَج، وحملك على

خشونة النعش بعد لين الهَوْدج، وأفصح بهلاكك وقد طال ما مَجْمَج، وأفقرَك إلى قليل من الزاد وأَحْوَج، يا لاهياً في دار البلاء ما أقبح فعلك وما أَسْمَج، ويا عالماً نظرَ الناقد وبضاعته كلُّها بَهْرج، ويا غافلاً عن رحيله سَلْبُ الأقران أُنموذَج.

سيَقْطع رَيْبُ الدهر بَيْن الفريقينِ ... لكل اجتماعٍ فُرقةٌ من يدِ البَيْنِ

وكلٌّ يقضّي ساعةً بعدَ ساعةٍ ... تخاتله عن نفسه ساعةُ الحَيْنِ

وما العيش إلا يومُ موتٌ له غَدٌ ... وما الموتُ إلا رَقْدةٌ بين يومينِ

وما الحشرُ إلا كالصبَاح إذا انجلَى ... يقومُ له اليَقْظانُ من رَقْدة العَيْنِ

فيا عجباً منّي ويا طولَ غَفْلتي ... أؤمّلُ أن أبقَى وأنّى ومِنْ أين (ج)

❀ ❀ ❀

معجزة نَبوِية

روى الإمام أحمد (13547) ومسلم (2040)، وغيرهما من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قالت أُمُّ سُلَيمٍ: اذهب إلى نبيِّ الله ﷺ، فقل: إن رأيتَ أن تغدَّى عندنا فافعل.

قال: فجئتُهُ فبلَّغْتُه. فقال: «ومَن عِنْدِي؟» قلتُ: نعم. فقال: «انْهَضُوا» قال: فجِئْتُ، فدَخَلْتُ على أمّ سُلَيم، وأنا مُدْهَشٌ لِمَن أقْبَلَ معَ رسولِ الله ﷺ، قال: فقالت أُمُّ سُليمٍ: ما صَنَعْتَ يا أنسُ؟ فدَخَلَ رسول الله ﷺ على إثْرِ ذلك، قال: «هل عِنْدَكِ سَمْن؟» قالت: نعم، قد كان منه عِندي عُكّةٌ، وفيها شيءٌ من سَمْنٍ.

قال: «فَأتِ بها» قال: فجِئْتُه بها، ففَتَحَ رباطَها، ثم قال: «بِاسْمِ الله، اللهمَ أعْظِمْ فيها البَرَكَةَ» قال: فقال: «اقْلبيها» فقَلَبَتْها، فعَصَرَها نبيّ الله ﷺ وهو يُسَمّي. قال: فأَخَذَت تقعُ فِدَرٌ[1]، فأكَلَ منها بِضْع وثمانون رجلاً، ففَضَلَ فيها فَضْل، فدَفَعها إلى أمّ سُلَيم، فقال «كُلِي وأَطْعِمِي جِيرانَك». لفظ أحمد.

❀ ❀ ❀

---

(1) قوله: فأخذت تقع فِدَر: أي فشرعت العُكّة في الزيادة والسّيلان ويقع ما فيها ويسقط في الطعام. و«تدر» من الرّدّ، بمعنى الزيادة والكثرة.

ودَّع المنكر وتعال إلى صناعة المعروف

قال الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]. فأمر في هذه الآية، حضاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: 110]. وقال في الآية التي وصف بها المؤمنين الذين اشترى الله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة: الآية ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: 112]. فجعل من أوصافهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ووصف قوماً لعنهم من بني اسرائيل، فذكر أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه. أي لم يكن ينهى بعضهم بعضاً. فروي في ذلك عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لما ظهر النقص في بني اسرائيل جعل الرجل يلقى أخاه على الذنب. فلا يمنعه ذلك من أن يصبح جليسه وأكيله وشريبه ومدعيه، فضرب بقلوب بعضهم على بعض ونزل فيهم القرآن:** ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: 78 ـ 79]. ثم قال ﷺ: **«كلا والذي نفسي بيده حتى تأخذوا على يد الظالم، فتأْطِروهُ على الحق أطْراً»**[1].

وقوله ﷺ «كلا» يحتمل أن يكون معناه: كادوا لا يكونوا مؤمنين مستوجبين، كتب الله تعالى ومدحهم حتى يفعلوا كذا.

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: **إذا رأيتَ أُمَّتي تَهابُ أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تُوَدِّع منهم»**[2]. أيّ إنهم إذا خافوا على أنفسهم من هذا القول فتركوه، كانوا مما هو أشد منه وأعظم من القول، والعملُ أخوف، وكانوا لا يدعون جهاد المشركين خوفاً على أنفسهم وأموالهم أقرب. وإذا صاروا كذلك، فقد ودع منهم واستوى وجودهم وعدمهم.

وجاء عن أبي بكر ؓ أنه قال: أيها الناس، إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها

---

(1) رواه الإمام أحمد (3713) وأبو داود (4336) والترمذي (3048)، وغيرهم من حديث عبدالله بن مسعود ـ ؓ ـ به.

(2) رواه الإمام أحمد (6784) والبزار (3303) والحاكم (4/ 96)، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـ ؓ ـ وفي إسناده مقال.

كان يطيق بنفسه، ويطيقه بمن يستعينه عليه فعله، إلا ما كان طريقه الحد والعقوبة. فإن ذلك ليس إلا للسلطان دون غيره. وإن كان لا يطيق إلا القول قال. فإن لم يطق إلا الإنكار بالقلب أنكر.

وجاء عنه ﷺ أنه قال: **«من رأى منكم مُنْكَراً فاستطاع أن يغيِّرَهُ بيده فليفعل، وإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه وذاك أضعف الإيمان»**[1].

---

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (11073) ومسلم (49) و(79) وأبو داود (1140) و(4340) وابن ماجه (1275) و(4013)، وغيرهم بإسناد صحيح على شرط الشيخين، من طريق قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، كلاهما، عن أبي سعيد الخُدْرِي، قال: أَخْرَجَ مروانُ المِنْبَرَ في يوم عيدٍ، ولم يكن يخرج به، وبدأ بالخطبة قبل الصلاة، ولم يكن يَبْدَأُ بها قال: فقام رجل فَقَال: يا مروان خالفتَ السنة، أخرجتَ المنبر في يوم عيد، ولم يك يخرج به في يوم عيد، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة، ولم يكن يبدأ بها. قال: فقال أبو سعيد الخُدْرِي: مَنْ هذا؟ قالوا: فلانُ بنُ فلان، قال: فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قَضَى ما عليه. سَمِعْت رسولَ الله ﷺ يقول: **«مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فإنِ اسْتَطَاعَ أنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ فَلْيَفْعَلْ**، ـ وقال مرة: **فَلْيُغَيِّرْهُ** بيده ـ **فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ بيَدِهِ فَبِلِسَانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ بِلِسَانِهِ فَبِقَلْبِهِ، وذلِكَ أضْعَفُ الإيمانِ»**. لفظ أحمد.

قال الإمام السندي ـ رحمه الله تعالى ـ: قوله: **«فبلسانه»**، أي: فلينكره بلسانه. وكذا قوله: **«فبقلبه»**، أي: فلينكره بقلبه، أو فليكرهه بقلبه، وليس المراد فليغيِّره بلسانه أو بقلبه. أما في القلب فظاهر، وأما في اللسان فلأن المفروض أنه لا يستطيع أن يغير باليد، فكيف يغيره باللسان، إلا أن يقال: قد يمكن التغيير بطيب الكلام مع عدم استطاعة التغيير باليد، لكن ذاك نادر، قليل جداً، وليس الكلام فيه، لأن مثله ينبغي أن يتقدّم على التغيير باليد إن أمكن التغيير به.

قوله: **«وذلك أضعف الإيمان»**، أي: الإنكار بالقلب فقط، لضعف في نفسه، فلا يكتفي به إلا من لا يستطيع غيره، نعم، إذا اكتفى به من لا يستطيع غيره، فليس منه بأضعف، فإنه لا يستطيع غيره، والتكليف بالوسع.

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في تعليقه على هذا الحديث في «شرح صحيح مسلم» (2/ 104/ 107) بتحقيقنا:

وأما قوله ﷺ: **«فليغيره»** فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم، كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين؛ لا يكترث بخلافهم في هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء. ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافاً للمعتزلة.

والأمر بالمعروف في مثل هذا النهي عن المنكر إن امتنع العالم المصلح أن يدعو

= وأما قوله ﷻ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105] فليس مخالفاً لما ذكرناه؛ لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: إنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: 15] وإذا كان كذلك فمما كلف به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه أدى ما عليه، فإنما عليه الأمر والنهي، لا القبول، والله أعلم.

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية؛ إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف. ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف.

قال العلماء ﷺ: ولا يسقط عن المكلَّف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين. وقد قدمنا أن الذي عليه الأمر والنهي لا القبول، وكما قال الله ﷻ: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: 99] ومثل العلماء هذا بمن يرى إنساناً في الحمام أو غيره مكشوف بعض العورة، ونحو ذلك، والله أعلم.

قال العلماء: ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلاً ما يأمر به مجتنباً ما ينهى عنه، بل عليه الأمر وإن كان مخلاً بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر؟.

قال العلماء: ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لآحاد المسلمين؛ قال إمام الحرمين: والدليل عليه إجماع المسلمين؛ فإن غير الولاة ـ في الصدر الأول والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر، مع تقرير المسلمين إياهم، وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ولاية، والله أعلم.

ثم إنه إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة، كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها، فكل المسلمين علماء بها، وان كان من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلق بالاجتهاد، ولم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء، ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه.

أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لأن على أحد المذهبين: كل مجتهد مصيب، وهذا هو المختار عند كثيرين من المحققين أو أكثرهم، وعلى المذهب الآخر: المصيب واحد والمخطئ غير متعين لنا والإثم مرفوع عنه، لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق، فإن العلماء متفقون على الحث على =

إليه ويأمر به، فيكون منه ما يأمر به فعل، وإن احتاج إلى الاستعانة بغيره استعان، وإن

= الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بسنة أو وقوع في خلاف آخر.
واعلم أن هذا الباب، أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمَّهم الله تعالى بعقاب، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63] فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله ﷻ أن يعتني بهذا الباب، فإنَّ نفعه عظيم، لا سيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته، ولا يهاب من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: 40] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: 101] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: 69] وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 2 ـ 3].
واعلم أن الأجر على قدر النصَب؛ ولا يتاركه أيضاً لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها، وصديقُ الإنسان ومُحِبُّهُ هو من سعى في عمارة آخرته وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوُّه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته وإن حصّل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، هانما كان إبليس عدواً لنا لهذا، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها، ونسأل الله الكريم توفيقنا وأحبابنا وسائر المسلمين لمرضاته، وأن يعمَّنا بجوده ورحمته، والله أعلم.
وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يرفق ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه. ومما يتساهل أكثر الناس فيه من هذا الباب ما إذا رأى إنساناً يبيع متاعاً معيباً أو نحوه، فإنهم لا ينكرون ذلك ولا يُعَرِّفون المشتري بعيبه، وهذا خطأ ظاهر، وقد نص العلماء على أنه يجب على من علم ذلك أن ينكر على البائع، وأن يُعْلِمَ المشتري به، والله أعلم. وأما صفة النهي ومراتبه فقد قال النبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح: «**فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه**»، فقوله ﷺ: **فبقلبه**، معناه فليكرهه بقلبه وليس ذلك بإزالة وتغيير منه للمنكر ولكنه هو الذي في وسعه.
وقوله ﷺ: «**وذلك أضعف الإيمان**» معناه، والله أعلم، أقله ثمرة. قال القاضي عياض رحمه الله: هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغيِّر أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان أو فعلاً، فيكسر آلات الباطل، ويريق المسكر بنفسه أو يأمر من يفعله، وينزع الغصوب ويردها إلى أصحابها بنفسه أو بأمره إذا أمكنه، ويرفق في التغيير جهده بالجاهل =

لـم يقـدر إلا علـى القـول قـال، فـإن لـم يقـدر إلا علـى الإرادة بقـلبـه أراده، ويشـاؤه على الله ﷻ فلعله يسعفه به.

= وبذي العزة الظالم المخوَّف شره، إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله، كما يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى، ويغلظ على المتمادي في غيّه والمسرف في بطالته، إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكراً أشد مما غيره، لكون جانبه محمياً عن سطوة الظالم، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبِّب منكراً أشد منه، من قتله أو قتل غيره بسببه، كف يده واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه وكان في وسعه، وهذا هو المراد بالحديث إن شاء الله تعالى، وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان ما لم يؤد ذلك إلى إظهار سلاح وحرب، وليرفع ذلك إلى من له الأمر إن كان المنكر من غيره، أو يقتصر على تغييره بقلبه، هذا هو فقه المسألة وصواب العمل فيها عند العلماء المحققين، خلافاً لمن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال وإن قتل ونيل منه كل أذى. هذا آخر كلام القاضي رحمه الله.
قال إمام الحرمين رحمه الله: ويسوغ لآحاد الرعية أن يصد مرتكب الكبيرة إن لم يندفع عنها بقوله ما لم ينته الأمر إلى نصب قتال وشهر سلاح، فإن انتهى الأمر إلى ذلك ربط الأمر بالسلطان. قال: وإذا جار والي الوقت وظهر ظلمه وغشمه ولم ينزجر حين زجر عن سوء صنيعه بالقول، فلأهل الحل والعقد التواطؤ على خلعه ولو بشهر الأسلحة ونصب الحروب، هذا كلام إمام الحرمين. وهذا الذي ذكره من خلعه غريب ومع هذا فهو محمول على ما إذا لم يخف منه إثارة مفسدة أعظم منه. قال: وليس للآمر بالمعروف البحث والتفتيش والتجسس واقتحام الدور بالظنون، بل إن عثر على منكر غيره جهده. هذا كلام إمام الحرمين.
وقال أقضى القضاة الماوردي: ليس للمحتسب أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات، فإن غلب على الظن استمرار قوم بها لأمارة وآثار ظهرت، فذلك ضربان: أحدهما: أن يكون ذلك في انتهاك حرمة يفوت استدراكها، مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل ليقتله أو بامرأة ليزني بها، فيجوز له في مثل هذا الحال أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذراً من فوات ما لا يستدرك، وكذا لو عرف ذلك غير المحتسب من المتطوعة جاز لهم الإقدام على الكشف والإنكار. الضرب الثاني ما قصر عن هذه الرتبة؛ فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه، فإن سمع أصوات الملاهي المنكرة من دار أنكرها خارج الدار، ولم يهجم عليها بالدخول لأن المنكر ظاهر فليس عليه أن يكشف عن الباطن. وقد ذكر الماوردي في آخر «الأحكام السلطانية» باباً حسناً في الحسبة مشتملاً على جمل من قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد أشرنا هنا إلى مقاصدها، وبسطت الكلام في هذا الباب لعظم فائدته وكثرة الحاجة إليه وكونه من أعظم قواعد الإسلام، والله تعالى أعلم.

ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما يتعجل به، ومنه ما لا يحتمل التعجيل لأن من رأى أحداً قد غَصَب من آخر مالاً أو حال بينه وبين أهله أو ولده، فلم يعالجه بالنصح لمن يأمن أن يعرف الأمر ويتعذر ملاقيه. فأما لمن رأى أحداً شرب الخمر وقد بلغ به حد السكر، فإن قدر على أن يأخذ ما عنده منها فيريقه فعل. أو كان عنده جماعة من أهل اللهو والباطل فقدر على أن يصرفهم عنه فعل. ولكنه لا ينبغي له أن يكلمه حتى يفيق فيعلم ما يقال له. فإنه إن كلمه وهو زائل عن العقل لم يأمن أن يفرط عليه، فيكون قد جمع بين تضييع النصيحة وبين التعرض للشر.

وينبغي أن يكون الأمر بالمعروف مميزاً، يرفق في موضع الرفق، ويعنف في موضع العنف، ويكلم كل طبقة من الناس بما يعلم، إنه أليق بهم وأنجع فيهم. ولا يخاطب أحداً لفضل من الكلام لا يحتاج إليه فينفره بذلك عن قبول موعظته، ولا يدخل عليه مدخلاً يصير سبباً لرد نصيحته، أن لا يكون سلطاناً فله الأمر والنهي، ولا حاجة إلى استجلاب الطاعة من رعيته بالتآلف، إلا أن يكون السلطان ضعيفاً يعلم أنه يطاع رغبة ولا تدعى له رهبة. فإن كان كذلك على سبيله فيما ذكرنا سبيل أحد العلماء المصلحين، وبالله التوفيق.

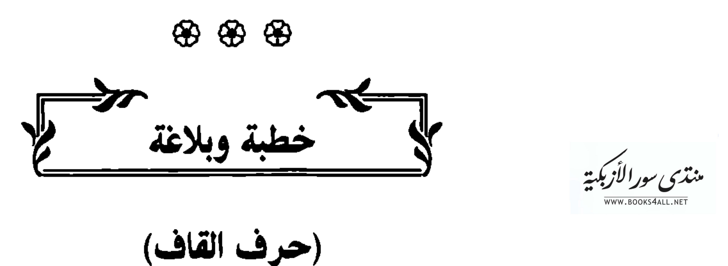
وكما لا ينبغي لمن يقوم بهذا الأمر أن يعنف في الرفق، فكذلك ينبغي له أن يرفق في موضع التعنيف، لئلا يستخف قدره ويقضي أمره. وينبغي أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، غير محابي ولا مداهن يتعرض لواحد ويعفي غير واحد، فإنه بذلك يجعل على نفسه سبيلاً، كما إذا قام بذلك من ليس يصلح، لأنه كما يقال: أدرِكْ نفسك وغير حالك، فكذلك يقال للآخر: إبدأ بجارك وقريبك، وأصلح من حاشيتك. فينبغي أن يكون القائم بهذا الأمر ممن لا يتوجه عليه لأحد حجة. قال الله ﷻ: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: 44]. فدل ذلك على أن سبيل المرء أن يصلح نفسه أولاً ويقوّمها، ثم يقبل على إصلاح غيره وتقويمه. قيل لبعضهم: ألا تذكر؟ فقال: ما أنا عن نفسي براضٍ ما يفر من ذمها إلى ذم الناس، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس وأمنوه على أنفسهم.

وأيضاً فإن كل واحد من الذي يحابي ويداهن، والذي يتعاطى المنكر بنفسه، مستحق لأن يؤمر بغير ما هو عليه، وأن يُنْهى عما هو عليه. فكيف يجوز أن يأمر غيره بشيء أو ينهى عن شيء؟

ذكر أنس ﷺ: أن جبرئيل (ع) عرج بالنبي ﷺ، فمر بقوم تُقرض شفاههم بالمقاريض، فقال: «**مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الخطباءُ من أمَّتك الذين يأمرون الناسَ بالبِرِّ وينسونَ أنفسَهم وهم يتلونَ الكتاب، أفلا يعقلون**»، وقال ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فَيُلقى في النار، فتندَلِقُ أقْتابُ بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرَّحا. فيقال: مالك؟ فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**».

وقال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أُمَّتِهِ حَواريّون وأصحابٌ، يأخذون بسُنَّتِهِ، ويقتدونَ بأمرهِ، ثم إنها تَخْلُفُ من بعدهم خُلوفٌ، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمَرون، فمن جاهَدَهُم بيده فهو مؤمنٌ، وَمَن جَاهَدَهُم بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤمِن، وَمَن جَاهَدَهُم بِقَلبِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَيسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ الإيمَانِ حَبّةُ خَردَل**». رواه مسلم. (ج) مختصراً.

❀ ❀ ❀



(حرف القاف)

الحمد لله الذي ينفِقُ ويرفقُ، ويسوق الأقوات إلى المخلوقات ويرزق، يبعث السحاب وفيه البرق يبرق، فينزل القطر فيورق الغصن ويَنْسُق، ويفتح أكمام النبات بقدرته ويُفتّق، ويجمع بين الأضداد إذا شاء ويفرق، ويعلم بالنهار ما يحدثُ وبالليل ما يطرقُ، بإرادته تصير البيضة فرخاً وبمشيئته تمرق، يعلم خائنة الطَّرْفِ حين يُسارق ويرمق، يثيبُ المخلصَ والرياءُ عنده لا يَنْفُق، نفذ قضاؤه فجاع بِشْرٌ وشَبعَ يلبق، يحبّ المطيع ويبغض من يفسق، يرمي بنبل هجره من أعرض عنه ويرشق، له كتابٌ وسنّةٌ ومخالفهما يمْرق، يجهل من يشبّهُهُ بمصنوعاته ويُخمّن ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ﴾ [النحل: 17]. (ج).

❀ ❀ ❀

حبيبي يا رسول الله

بكَ يابنَ عبدِ الله قامتْ سَمْحَةٌ ... بالحقِّ من مِلَلِ الهُدى غرّاءُ

بُنيت على التوحيد وهو حقيقة ... نادى بها سقراط والحكماء

وجد الزّعاف من السموم لأجلها ... كالشهد ثمّ تتابع الشهداء

ومشى على وجه الزمان بنورها ... كهّان وادي النيل والعرفاء

إيزيس ذات الملك حين توحّدت ... أخذت قوام أمورها الأشياء[1]

لمّا دعوت الناس لبّى عاقل ... وأصمّ منك الجاهلين نداء

أبوا الخروج إليك من أوهامهم ... والناس في أوهامهم سجناء

ومن العقول جداول وجلامد ... ومن النفوس حرائرٌ وإماء

داء الجماعة من أرسطاليس لم ... يوصف له حتى أتيت، دواء

فرسمت بعدك للعباد حكومة ... لاسوقة فيها ولا أمراء

الله فوقَ الخلق فيها وحده ... والناسُ تحت لوائها أكفاء

والدين يُسْرٌ والخلافة بيعةٌ ... والأمر شورى والحقوق قضاء

الاشتراكيون أنت إمامُهم ... لولا دعاوى القوم والغلواء

داويتَ متّئداً وداووا طفرةً ... وأخفّ من بعض الدواء الداء

الحرب في حقّ لديكَ شريعة ... ومن السموم الناقعات دواء

والبرّ عندك ذمّة وفريضة ... لا منّةٌ ممنونة وجباء

جاءت فوحّدت الزكاة سبيله ... حتى التقى الكرماء والبخلاء

أنصفتَ أهلَ الفقر من أهل الغنى ... فالكلّ في حقّ الحياة سواء

فلو أنّ إنساناً تخيّر ملّة ... ما اختار إلاّ دينك الفقراء

❀ ❀ ❀

(1) إيزيس: آلهة الزواج عند المصريين القدماء، أيام الفراعنة.

من علامات الأحمق

من ذلك ترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه ولا يخبره، ـ ومنها أنه لا مودة له، ومنها العجب وكثرة الكلام. قال أبو الدرداء: لا يغرنكم ظرف الرجل وفصاحته، وإن كان مع ذلك قائم الليل صائم النهار. إذا رأيتم فيه ثلاث خصال، العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وإن يجد على الناس فيما يأتي مثله، فإذا ذلك من علامة الجاهل.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما عدمت من الأحمق فلن تعدم خلَّتين: سرعة الجواب، وكثرة الالتفات.

وتكلم رجل عند معاوية، فأكثر الكلام، فضجر معاوية فقال: اسكت، فقال: وهل تكلمت؟

ومن علامات الأحمق: خلوّه عن العلم أصلاً، فإن العقل لا بد أن يحرك إلى اكتساب شيء من العلم وإن قلّ، فإذا غلب السن ولم يحصل شيئاً من العلم دل على الحمق. قال الأعمش: إذا رأيت الشيخ ليس عنده شيء من العلم أحببت أن أصفعه.

ومن خصال الأحمق: فرحه بالكذب من مدحه، وتأثره بتعظيمه، وإن كان غير مستحق لذلك. عن الحسن أنه يقول: خفق النعال خلف الأحمق قلما يلبث. وقال زيد بن خالد: ليس أحد أحمق من غني قد أَمِنَ الفقر وفقير قد آيس من الغنى.

وقال الأصمعي[1]: إذا أردت أن تعرف عقل الرجل في مجلسٍ واحد فحدِّثه بحديث لا أصل له، فإن رأيته أصغى إليه وقبله فاعلم أنه أحمق، وإن أنكره فهو عاقل.

وقال بعض الحكماء:

من أخلاق الحمق: العجلة، والخفة، والجفاء، والغرور، والفجور، والسفه، والجهل، والتواني، والخيانة، والظلم، والضياع، والتفريط، والغفلة، والسرور، والخيلاء، والفجر، والمكر، إن استغنى بطر، وإن افتقر قنط، وإن فرح أشر، وإن قال

---

(1) الأصمعي: هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب، نشأ بالبصرة، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمتها، وقد اشتهر بالثقة في الرواية والتضلع من اللغة ونقد الشعر (ت 216 هـ).

فحش، وإن سئل بخل، وإن سأل ألح، وإن قال لم يحسن، وإن قيل له لم يفقه، وإن ضحك نهق، وإن بكى خار.

وقال بعض الحكماء: يعرف الأحمق بست خصال؛ الغضب من غير شيء، والإعطاء في غير حق، والكلام من غير منفعة، والثقة بكل أحد، وإفشاء السر، وأن لا يفرق بين عدوه وصديقه، ويتكلم ما يخطر على قلبه، ويتوهم أنه أعقل الناس.

وقال أبو حام بن حيان الحافظ:

علامة الحمق: سرعة الجواب، وترك التثبت، والإفراط في الضحك، وكثرة الالتفات، والوقيعة في الأخبار، والاختلاط بالأشرار، والأحمق إن أعرضت عنه اغتمّ، وإن أقبلت عليه اغترّ، وإن حلمت عنه جهل عليك، وإن جهلت عليه حلم عليك، وإن أحسنت إليه أساء إليك، وإن أسأت إليه أحسن إليك، وإذا ظلمته أنصفت منه، ويظلمك إذا أنصفته، فمن ابتلى بصحبة الأحمق فليكثر من حمد الله على ما وهب له مما حرمه ذاك.

قال محمد الشامي:

لَنَا جَلِيسٌ تَارِكٌ لِلأدبِ ... جَلِيسُه مِن قَوْلِهِ فِي تَعَبِ

يغضبُ جَهْلاً عِنْدَ حَال الرِّضَى ... وَمِنْهُ يَرضى عند حالِ الغضبِ

❀ ❀ ❀

السواك وفوائده الدينية والصحية

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21]. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: 31 ـ 32]. ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: 128 ـ 129].

وفي «الصحيح» من حديث السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النّبي كان إذا دخل بيته بدأ بالسّواك. وفي «الصحيح» أيضاً من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل، يشوصُ فاهُ بالسواك. وفي «الصحيح» من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن

رسول الله ﷺ قال: «**لولا أن أشق على أمتي، لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**» وفي لفظ «**مع كل وضوء**». ولا يخفى علينا استياك النبي ﷺ عند احتضاره، أحسن ما يكون الاستياك. وفي «الصحيح» أيضاً: «**السواك مطهرة للفم، مَرْضاةٌ للربّ**».

وروى البخاري وغيره من حديث عامر بن ربيعة ـ رضي الله عنه ـ قال رأيت النبي ﷺ يستاك وهو صائم، ما لا أحصي أو أعد.

والأحاديث في فضل السواك وأهميته، معروفة وكثيرة، لا يسعها بحثنا المتواضع هنا. ويكفي أنه من خصال الفطرة الحميدة، والتي كانت عند جميع الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

جاء في «الحقائق الطبية»: وأحسنُ السواكِ ما كان من عيدان شجر الأراك (Saluadora Persiea) وهو من فصيلة الأراك (Saluadoraceae). ويؤخَذُ السواكُ من جذوره المدَّادَة ومن الأغصان، والذي يؤخذ من الجذور أجْوَد؛ وفي السواك موادُّ مضادة للالتهاب ومواد سكرية وغليكوزيدية وترْبِينَات. ولشجر الأراك ثمرٌ يُدْعَى الكَبَاثُ.. فيه موادُّ غليكوزية حِرِّيفَة فاتحة للشهية.

وسواك شجر الأراك دقيقُ الألياف ناعمها، وفيه مواد مُطَهِّرَةٌ، وبِلوْرَاتُ السِّيليس التي تنظفُ الأسنانَ.. وتزيلُ القَلَحَ عنها، وموادُ عطرية، وأملاح معدنية، وموادُّ صِمْغِيّة، ونشَاً؛ وفيه مواد قاتلة للجراثيم.. كشف عنها العالم (رُودَاتْ) مدير معهد علم الجراثيم والأوبئة في جامعة (رُوسْتُوك) الألمانية، وقال إنها تُشْبِهُ البينسيلين في تأثيرها؛ وفي السواك أيضاً مادةٌ عطرية زيتية تُعْطِي الفم رائحةً زكيةً.

وأثبَتَتْ جامعة الملك سعود في الرياض، أن في السواك مادة السّنْجَرِين القاتلة للجراثيم، ومادة السِّيليسْ المزيلة للقلح والمُبَيِّضَة للأسنان، وحامض العَفص المُقَوِّي للثة، والكلورايد الّذي يَحُلُّ مِلْحَ الطرطير المسبب لتصبغات الأسنان، ورَاتِنجِيّات تَسُدُّ شقوقَ الأسنان، ومواد عطرية تطيِّبُ رائحة الفم، وفيتامين ث c، ومواد تمنع نَخْرَ الأسنان؛ ويستمر تأثيرُ هذه المواد مدةً طويلة في الفم، بينما تأثير معجون الأسنان لا يستمر سوى عشرين دقيقة.

والفمُ مدخل الطعام والشراب إلى الجسم، وهو بحكم اتصاله بالمحيط الخارجي.. يعجُّ بالجراثيم، فإذا بقيتْ فيه آثارُ طعام أو شراب.. سرعان ما تهاجمها الجراثيم، فتَتَحَللُ وتتفسخُ، وتنشأ عنها روائح كريهة، وحموض عضوية تذيبُ مينا

الأسنان، وتحدث النخر فيها، وتتراكم بقايا الأملاح حول الأسنان.. فتحدث فيها القَلَحَ، وإذا استمر الحال على ذلك.. تنفصل اللثة عن الأسنان، فتتشكل جيوب بينها وبين الأسنان، وتمتلئ هذه بدورها ببقايا الطعام والشراب، وتتفسخُ بفعل الجراثيم، فتلتهبُ اللثة وتَتَقَيّحُ.. ويحدثُ ما يسمى بالرُّعَال Pyorrhea (تقيُّح الأسنان) وهذا يؤدي إلى تخلخل الأسنان وتساقطها، هذا عدا الآثار البعيدة التي تنتجُ عن ذلك أيضاً، إذ يكثر التهابُ اللوزتين، وتلتهبُ المعدة بسبب ابتلاع المواد القيحية الموجودة في الفم، وتلتهبُ جيوب الوجه، وتكثر التهابات القصبات والرئة، وتلتهبُ شبكية العين وقُزْحِيتهَا، وتصابُ المفاصل بالروماتيزم، وتلتهبُ الأعصابُ، وقد تحدث خرّاجاتٌ في مختلف أعضاء الجسم.. بانتقال الجراثيم من بؤرتها الأصلية في الفم.

إذاً، فلا بد من الاعتناء بنظافة الفم.. للمحافظة على سلامة الجسم كله، وللوقاية من هذه الأمراض كلها أيضاً، والسواك كفيل بالقيام بهذه المهمة خير قيام، فهو ـ بالمواد القاتلة للجراثيم الموجودة فيه ـ يطهر الفم منها، وبِبللورات السيليس (هو أساس تركيب الرمل) يجلي الأسنان ويطردُ القلح عنها، وبالراتِنْجيّات (مواد صمغية) يَسُدُّ شقوقَ الأسنان ويحميها من الحفر، وبالمواد العَفْصِيّة.. يشدُّ اللثة على الأسنان، وبالمواد العطرية.. يطيِّبُ رائحةَ الفم ونكهته، هذا عدا أن تأثيرَ هذه المواد يستمر مدةً طويلة في الفم ـ كما مَرَّ ـ بينما تأثير معجون الأسنان لا يستمر سوى عشرين دقيقة بعد استعماله، والسواكُ أرخصُ من الفرشاة ومعجون الأسنان بكثير، ومع ذلك لا مانع من إشراكهما معاً ـ فزيادة الخير خير ـ فيُسْتَعمل السواك عند النهوض من النوم.. وعند كل وضوء وقبل كل صلاة ـ محافظةً على السُّنَّة ـ وتستعمل الفرشاة ومعجون الأسنان بعد كل طعام، وذلك بعد تخليل الأسنان والمضمضة أولاً، كما تستعملُ قبل النوم أيضاً.

ولتهيئة السواك للاستعمال، يُؤخَذ عودٌ منه ـ متوسط الغلظ.. بطول شبر تقريباً ـ وتُحَدَّدُ قطعةٌ في نهايته بطول 1,5 ـ 2 سم، تُرْفَعُ عنها قشرتها الخارجية، ثم تُدَق هذه القطعة بقدوم ـ أو غيره ـ لتفريق أليافها، ولا مانع من الضغط عليها بين الأضراس لتليينها وتفريق أليافها أكثر وأكثر، كما فعلَتْ السيدة عائشة (رضي الله عنها) عندما هَيَّأتْ السواكَ للنبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) ـ وتُنْقَعُ هذه القطعة بعد ذلك في ماء الورد ـ كما قال ابن القيم ـ أو في ماء مذاب فيه قليلٌ من الملح ـ بضع ساعات ـ ثم تسْتَعْملُ بعد ذلك في دَلْكِ الأسنان من خارجها وباطنها وسطوحها ـ ودلك اللسان

أيضاً لتنظيفها جميعاً ـ وتقطع القطعة المستعملة من السواك كل بضعة أيام، ويُهَيّأ غيرها للاستعمال.

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ: ومتى استعمل السواك باعتدال جَلَى الأسنان، وقوّى العمود، وأطْلَقَ اللسان، ومَنَعَ الحَفْر، وطيّبَ النكهةَ، ونَقى الدماغ، وشَفى الطعام، وأجْوَدُ ما اسْتُعْمِلَ مبلولاً بماء الورد؛ وفي السواك عدة منافع: يُطَيِّبُ الفمَ، ويشدُّ اللثَّة، ويَقطَعُ البلغمَ، ويَجْلُو البصر، ويُصِحُّ المعدةَ، ويُصَفِّي الصوتَ، ويُعينُ على هضم الطعام، ويُسَهّلُ مجاري الكلام، ويُنَشِّطُ للقراءة والذكر والصلاة، ويَطْرُدُ النومَ، ويرضِي الرب، ويُعْجِبُ الملائكة، ويُكْثِرُ الحسناتِ؛ ويُسْتَحَبُّ كل وقت، ويتأكّدُ عند الصلاة، والوضوء، والانتباه من النوم، وتغير رائحة الفم؛ ويستحب للمفطر والصائم.. في كل وقت، لعموم الأحاديث فيه، ولحاجة الصائم إليه، ولأنّه مرضاة للرب. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

هل ستعرف الحُزن إذا كنت ممن باع نفسه لله تعالى؟

أن تبيع نفسك لله تعالى، وتُبَايع إمام المسلمين على ذلك فهذا يعني قمة العطاء. ومن وصل إلى قمة العطاء، فقد وصل إلى قمة المجد، ومدارج العظمة والارتقاء. وهكذا كان صحابة رسول الله ﷺ، وكثير ممن جاء بعدهم من المجاهدين الذين بذلوا أنفسهم رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، لتكون هي وحدها العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 10].

وقال جل وعلا: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ [البقرة: 177].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: 91].

وقال القوي العزيز: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23].

وقال جلَّ وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: 20].

وقال تعالى: ﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [الفتح: 18 ـ 19].

المبايعة على الموت!

روى الإمام أحمد (16509) والبخاري (2960) ومسلم (1860) وغيرهم، واللفظ للبخاري من طريق يزيد بن أبي عُبيد، عن سلمة ﷺ، قال: بايعتُ النبيَّ ﷺ، ثم عدلتُ إلى ظل شجرة.

فلما خفّ الناسُ قال: **«يا ابن الأكوع ألا تُبايعُ؟»**

قال: قلتُ: قد بايعتُ يا رسولَ الله، قال: **«وأيضاً»** فبايعته الثانية. فقلتُ له ـ يعني يزيد بن أبي عبيد القائل ـ: يا أبا مُسلمٍ، على أي شيءٍ كنتم تُبايعون يومئذٍ؟

قال: على الموت.

ورواه مسلم من طريق حاتم بن إسماعيل، عن يزيد بن أبي عُبيدٍ ولى سلمة بن الأكوعِ ﷺ قال: قلتُ لسلمة: على أي شيءٍ بايعتُم رسول الله ﷺ يومَ الحُدَيبيةِ؟ قال: على الموت.

وروى البخاري (2959) ومسلم (1861)، من طريق عبّاد بن تميم عن عبد الله بن زيدٍ، قال:

لمّا كانَ زمن الحرّة[1]، أتاه آتٍ، فقال له: إن ابن حنظلة يُبايعُ الناسَ على الموت!

---

(1) ويوم الحرة: أي الواقعة التي كانت بالمدينة المنوّرة زمن يزيد بن معاوية وذلك لما خلعوه أهل المدينة وبايعوا عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري.

وقوله: يبايع الناس على الموت، أي على الطاعة له والقتال معه حتى الموت، وخلع يزيد بن معاوية.

قال الحافظ (الفتح) (8/ 218 ـ 219): ووقع في رواية الإسماعيلي من الزيادة: وقُتِلَ عبد الله بن زيد يوم الحرّة.

وكان السبب البيعة تحت الشجرة، وما ذكر ابن إسحاق، قال: عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن رسول الله ﷺ بلغه أن عثمان قد قتل فقال: **«لئن كانوا قتلوه لأناجزنهم»**، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه على القتال على أن لا يفروا. قال: فبلغهم بعد ذلك أن الخبر باطل ورجع عثمان. =

فقال: لا أبايع على هذا أحداً بعد رسول الله ﷺ لفظ البخاري.

وأما ابن حنظلة، فهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الذي يعرف أبوه بغسيل الملائكة، والسبب في تلقيبه بذلك أنه قتل بأُحُد وهو جنب فغسلته الملائكة، وعلقت امرأته تلك الليلة بابنه عبد الله بن حنظلة، فمات النبي ﷺ وله سبع سنين وقد حفظ عنه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (6 ـ 220): وأن ابن حنظلة كان الأمير على الأنصار، وأن عبد الله بن مطيع كان الأمير على سواهم وأنهما قتلا جميعاً في تلك الوقعة. والله المستعان.

= وذكر أبو الأسود في (المغازي) عن عروة، السبب في ذلك مطولاً قال: إن النبي لما نزل بالحديبية أحب أن يبعث إلى قريش رجلاً يخبرهم بأنه إنما جاء معتمراً، فدعا عمر ليبعثه فقال: والله لا آمنهم على نفسي، فدعا عثمان فأرسله وأمره أن يبشر المستضعفين من المؤمنين بالفتح قريباً، وأن الله سيظهر دينه. فتوجه عثمان فوجد قريشاً نازلين ببلدح، قد اتفقوا على أن يمنعوا النبي ﷺ من دخول مكة، فأجاره أبان بن سعيد بن العاص قال: وبعثت قريش بديل بن ورقاء وسهيل بن عمرو إلى النبي فذكر القصة التي مضت مطولة في الشروط قال: وآمن الناس بعضهم بعضاً، وهم في انتظار الصلح، إذ رمى رجل من الفريقين رجلاً من الفريق الآخر فكانت معاركة، وترموا بالنبل والحجارة. فارتهن كل فريق من عندهم، ودعا النبي «ألا إلى البيعة»، فجاءه المسلمون وهو نازل تحت الشجرة التي كان يستظل بها، فبايعوه على أن لا يفروا، وألقى الله الرعب فني قلوب الكفار فأذعنوا إلى المصالحة. وروى البيهقي في «الدلائل» من مرسل الشعبي.
قال: كان أول من انتهى إلى النبي لما دعا الناس إلى البيعة تحت الشجرة أبو سنان الأزدي. وروى مسلم في حديث سلمة بن الأكوع قال: ثم أن رسول الله ﷺ دعا إلى البيعة فبايعه أول الناس، فذكر الحديث قال: ثم إن المشركين راسلونا في الصلح حتى مشى بعضنا في بعض، قال: فاضطجعت في أصل شجرة فأتاني أربعة من المشركين فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ، فتحولت عنهم إلى شجرة أخرى.
فبينما هم كذلك إذ نادى منادٍ من أسفل الوادي: يا آل المهاجرين، قال: فاخترطت سيفي ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم، ثم جئت بهم أسوقهم، وجاء عمي برجل يقال له مكرز في ناس من المشركين. فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم يكون لهم بدء الفجور وثنياه، فعفا عنهم»، فأنزل الله تعالى:
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: 24]. وروى مسلم أيضاً من حديث أنس أن رجالاً من أهل مكة هبطوا إلى النبي من قبل التنعيم ليقاتلوه، فأخذهم، فعفا عنهم، فأنزل الله الآية.

وأما قوله ﷺ: لا أبايع على هذا أحداً بعد رسولِ الله ﷺ؛ فيه إشارة إلى أنه بايع رسول الله ﷺ على الموت. قال ابن المنير: والحكمة في قول الصحابي، إنه لا يفعل ذلك بعد النَّبيّ ﷺ، أنه كان مستحقاً للنَّبيّ على كل مُسلمٍ أنْ يقيه بنفسه، وكان فرضاً عليهم أن لا يفروا عنهُ حتى يموتوا دونه، وذلك خلاف غيره. انتهى. وأما ما جاء في الحديث الأول عن سلمة بن الأكوعَ ﷺ، أنه بايع رسول ﷺ مرتين، قال ابن المنير: والحكمة في تكراره عليه الصلاة والسلام البيعة لسلمة، أنه كان مِقْدَاماً في الحرب. فأكدَّ عليه العقد احتياطاً.

وتعقبه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (6/ 221) بقوله: أو لأنه كان يقاتل قتال الفارس والراجل، فتعددت البيعة بتعدد الصفة. والله تعالى أعلم.

المبايعة على الجهاد مدى الحياة.

ـ وروى البخاري (2961) ومسلم (1805)، وغيرهما، واللفظ للبخاري، من طريق حُميدٍ، قال: سمعتُ أنساً ﷺ يقول: كانت الأنصار يوم الخندق تقول:

نحنُ الذينَ بايعوا محمداً على الجهادِ ما حَيينا أبداً

فأجابهم النبي ﷺ فقال:

«اللَّهُمَّ لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة فَأَكْرِمِ الأنصارَ والمُهاجِرَهْ»

وقد جاء في رواية عند البخاري (2835)، من طريق عبد العزيز، عن أنسٍ (رضي الله عنه) قال:

جعل المهاجرونَ والأنصار يَحْفِرونَ الخَندقَ حولَ المدينة، وينقلون الترابَ على مُتونهم ويقولون:

نحنُ الَّذينَ بايعوا مُحمَّداً على الجهاد ما بقينا أبداً

والنبي ﷺ يُجيبُهم، ويقول:

«اللَّهُمَّ إنه لا خير إلا خيرُ الآخرة فبارِكْ في الأنصارِ والمهاجِرَة»

البيعة على الإسلام والجهاد:

وروى البخاري (2962 ـ 2963) ومسلم (1863)، واللفظ للبخاري من طريق أبي عثمان عن مُجاشعٍ ﷺ، قال:

أتيتُ النبيَّ ﷺ أنا وأخي فقلتُ: بايعنا على الهجرة! فقال ﷺ: «مَضَتِ الهجرةُ لأهْلِها».

فَقُلْتُ: عَلامَ تُبايُعنا؟

قال ﷺ: «على الإسلام والجهادِ».

المبايعة على الصبر:

روى البخاري (2958) ومسلم (1856) وغيرهما، من طريق جويرةُ عن نافع قال: قال ابن عمر رضي الله عنه:

رجعنا من العام المُقبل، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانتْ رحمةً من الله.

فسألنا نافعاً: على أي شيءٍ بايعهم، على الموت؟ قال: لا، بل بايعهم على الصبر. لفظ البخاري.

المبايعة على الثبات أمام عدو الله تعالى، وعدم الفرار:

الثبات أمام العدو أمر إلهي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ﷺ. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾ [الأنفال: 45].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: 15].

وروى الإمام البخاري (3576) ومسلم (1856)، وغيرهما، واللفظ لمسلم، من طريق أبي الزبير، عن جابرٍ رضي الله عنه، قال:

كُنَّا يومَ الحديبيةِ ألفاً وأَرْبَعمِائةٍ، فَبَايْعَنَاهُ وعُمَرُ آخذٌ بِيَدِهِ تَحتَ الشَّجَرةِ، وهي سَمُرَةٌ. وقال: بايعَنَاهُ على أنْ لا نفِرَّ ولم نبايعهُ على المَوْتِ.

تنبيه: قوله رضي الله عنه: بايعناه على أن لا نفر، ولم نبايعه على الموت. وقد جاء خبر سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، ـ وهو ممن بايع تحت الشجرة ـ أنه بايع على الموت، فدل ذلك على أنه لا ينافي بين قولهم بايعوه على الموت وعلى عدم الفرار، لأن المراد

بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا، وليس المراد أن يقع الموت ولا بد، وهو الذي أنكره وعدل إلى قوله: «بل بايعهم على الصبر» أي على الثبات وعدم الفرار سواء أفضى ذلك إلى الموت أم لا، واللّه أعلم[1].

المبايعة في العسر واليسر والقوة والضعف وعلى الجهر بالحق:

روى الإمام أحمد (22799) والبخاري (7055) ومسلم (1709 / 42) واللفظ له، من طريق جُنَادَةَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيض. فَقُلْنَا: حَدِّثنا، أَصْلَحَكَ اللهُ، بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ الله بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنْ رسول الله ﷺ فقَالَ: دَعَانَا رسول الله ﷺ فَبَايَعْنَاهُ. فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا، أن بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا، وَيُسْرِنَا، وعلى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا. وعلى أن لا ننازع الأَمْرَ أَهْلَهُ. قَالَ: «إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً. عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ».

وفي رواية لمسلم أيضاً من طريق يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ وَعُبَيْدِ الله بْنِ عُمَرَ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الوليد بْنِ عُبَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ. قَالَ: بَايَعْنَا رسول الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ. وَالْمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ. وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنا. وَعَلى أَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ. وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا. لا نَخَافُ فِي الله لَوْمَةَ لائِمٍ.

وهكذا أخي المسلم، أختي المسلمة... فليكن أحدنا ممن بايع الله تعالى إحدى هذه البيعات، أو كلها. لعلنا نكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 23 _ 24].

جعلنا الله تعالى ممن باعوا أنفسهم له وحده وتقبلنا عنده بأحسن قبول. إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

❁ ❁ ❁

(1) ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (8/ 220).

هدوء القلب واطمئنان النفس

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11].

يقول الشنقيطي في تفسير الآية الكريمة: قرئ يهدأ بالهمز من الهدوء، وقلبه بالرفع، وهي بمعنى يهدي قلبه، لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، فيسترجع فيطمئن قلبه بهذا ولا يجزع، وهذا من خصائص المؤمن.

وأورد الشنقيطي قول رسول الله ﷺ: **«عجباً لأمر المؤمن إن إصابته سرّاء شَكَر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صَبَر، فكان خيراً له، حتى الشوكة يُشاكُها في قدمه»**.

ويضيف الشنقيطي أيضاً:

وفي قوله تعالى: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ من شبه الهداية إلى القلب بيان لقضية الهداية العامة والخاصة، كما قالوا: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ مع قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: فقالوا الهداية الأولى دلالة إرشاد كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾. والثانية: هداية توفيق وإرشاد. ويشهد لذلك شبه الهداية من الله لقلب من يؤمن بالله تعالى.

❀ ❀ ❀

إنصاف العبد ربّه

طوبىٰ لِمَن أنصفَ ربّه؛ فأقرّ له بالجهل في علمه، والآفات في عمله، والعيوب في نفسه، والتفريط في حقه، والظلم في معاملته. فإن آخذه بذنوبه رأى عَدْلَهُ، وإن لم يؤاخذه بها رأى فَضْله، وإن عمل حسنة رآها من مِنّته وصَدَقته عليه، فإن قَبِلَها فَمِنَّةٌ وصدقة ثانية، وإن ردَّها فلكونِ مثلها لا يصلح أن يواجه به. وإن عمل سيئة، رآها من تَخَلِّيه عنه، وخذلانه له، وإمساك عصمته عنه، وذلك من عدله فيه. فيرى في ذلك فقره إلى ربه، وظلمه في نفسه؛ فإن غفرها له فبمحض إحسانه، وجوده وكرمه.

ونكتة المسألة وسرّها: أنه لا يرى ربه إلاّ محسناً، ولا يرى نفسه إلاّ مُسيئاً أو مفرطاً أو مقصراً؛ فيرى كل ما يسرّه من فضل ربه عليه، وإحسانه إليه، وكل ما يسوؤه من ذنوبه وعدل الله فيه.

ـ المحبُّون إذا خربت منازل أحبّائهم، قالوا: سقيا لساكنها. وكذلك المحب إذا أتت عليه الأعوام تحت التراب ذكر حينئذٍ حُسْن طاعته له في الدنيا وتودّده إليه وتجدّد رحمته وسقياه لمن كان ساكناً في تلك الأجسام البالية.



لا تخف ولا تحزن إن كنت مُصاباً بمرض عُضال

ليلى شربت من ماء زمزم وشفيت من السرطان

تحت هذا العنوان نشرت جريدة «المسلمون»[1] الدولية قصة عجيبة لسيدة مغربية تدعى ليلى الحلو التي انتشر السرطان في كل صدرها، وقرر الأطباء أنها لن تعيش أكثر من ثلاثة أشهر[2]؛ ولذا اقترح عليها زوجها أن تسافر إلى مكة لأداء العمرة.

وبالفعل سافرت السيدة للأراضي المقدسة واعتكفت في بيت الله، وداومت على الشرب من ماء زمزم، واكتفت برغيف وبيضة واحدة طوال اليوم.. وظلت تمضي أيامها في الصلاة وتلاوة القرآن الكريم والدعاء.

وتقول السيدة المغربية: أربعة أيام لم أعرف فيها الليل من النهار، تلوت القرآن الكريم من أوله حتى نهايته، كنت في صلواتي أطيل سجودي، وأبكي بحرارة على ما فاتني من خير، وعلى ما أضعته من فرائض.. وبعد أيام وجدت أن الكويرات الحمراء التي كانت تشوه جسدي قد اختفت نهائياً. أحسست أن شيئاً ما حدث، وقررت العودة إلى باريس حيث كنت أعالج هناك، وذلك للتشاور مع الأطباء.

وهناك كانت دهشة الأطباء الذين أعادوا الكشف عدة مرات غير مصدقين الحالة الغريبة الموجودة أمامهم... فقبل أيام أخبروها أن السرطان في كل مكان في صدرها، والآن لا أثر لهذا السرطان[3].. فماذا حدث؟

---

(1) الصادرة في لندن بتاريخ 6 من يوليو/ تموز 1985.

(2) وذلك من خلال التقارير الطبية التي أثبت انتشار السرطان في ثديها الأيسر.

(3) بعد الفحص الدقيق للغاية، ذكر التقرير ـ بعد شربها ماء زمزم ـ أنه لم تتم ملاحظة أية آفة داخلية، والجيوب خالية، وصورة القلب عادية!

وتركتهم بين تعجبهم ودهشتهم وعادت إلى المغرب تروى قصة الشفاء من السرطان بعد أن شربت من ماء زمزم.

واستردت تلك السيدة صحتها واختفى السرطان نهائياً..

وتختتم قصّتها قائلة: هناك قوة خفية لا تصل العقول إلى إدراكها ألا وهي قوة الله.. ومادامت هذه القوة معك فاملأ بالأمل حياتك؛ لأن الله معك، وأبواب السماء مفتوحة دائماً لك، وعلوّك في الأرض لا يأتي إلا عن طريق اتباعك لله.. فلا تنس الله[1].

ونحن حيال تلك القصة نتذكر أنه قد ورد عن النبي ﷺ بعض الأحاديث في فضل ماء زمزم ومن ذلك قوله، ﷺ: «ماء زمزم لما شُرِبَ له.. إن شربته لتستشفي به **شفاك الله، وإن شربته ليشبعك أشبعك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله**».

فشُرب ماء زمزم مقترن بالنيّة الصادقة والتوجّه الخالص إلى الله سبحانه وتعالى، فهو وحده الذي يشفى من الآلام والأسقام بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 80].

... ثم إن شرب ماء زمزم يعطي قوة روحية وطاقة معنوية بها يستطيع المسلم أن يتهيأ للتغلب على سموم الجسد وبعض أمراضه.

❀ ❀ ❀

الإعجاز الطبي في سنن الفطرة

من أراد أن يحيا حياة سليمة من الأذى، فليتبع سُنّة الحبيب المصطفى ﷺ، فهو المُرسل من رب العالمين، ليكون رحمة لهم، وقدوة وأسوة حسنة يقتدون ويتأسّون بها.

---

(1) قامت السيدة المغربية بنشر كتاب عن تجربتها مع الشفاء بعنوان «فلا تنس الله».. وكتب المقدمة الدكتور المهدي بن عبود، وقال فيها: إن هذه الحالة الطبية تفتح الأبصار والقلوب التي في الصدور لمن كان له عقل سليم، ولقد مرت أحوال مثلها، وستأتي حالات أخرى تشبهها؛ لأن الواقع هو ما يكنزه الإنسان في نفسه من طاقة حيوية وروحية يستمد قوتها من عالم الغيب الذي هو بيد الله.. وعالم الغيب هذا أفسح من عالم الشهادة.

فمن تمسك بما جاء به ﷺ أفلح وفاز وسلم. ومن أعرض عن منهجه ﷺ وركب ما تهواه نفسه، ظل وشقي.

ومن سُنته ﷺ ما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النَّبي ﷺ أنهُ قال: **«خمسٌ من الفطرة، الختان، والاستحدادُ، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب»**[1].

ولقد أثبت طبياً أن إهمال حلق العانة ونتف الإبط يؤدي إلى الإصابة بنوع معين من القمل يسمى «قمل العانة».. وقد ـ ينتقل باللمس المباشر، أو من المراحيض الملوّثة، ويُحْدِثُ لدغه حكة شديدة تزداد بالهرش، في حين أن حلق الشعر يؤدي إلى إزالته فوراً دون علاج. ومن الثابت علمياً الآن أن هذا القمل ينقل ميكروبات بعض الأمراض، وعلى رأسها التيفوس[2].

كما ثبت أن هناك أمراضاً تنقلها اليد من خلال الأظافر التي تتراكم تحتها جراثيم تنقل مرض التيفود والدوسنتاريا والنزلات المعوية وغيره.. مما أوجب الاهتمام بتقليم الأظافر، منعاً للإصابة بأمراض يسببها إهمال ذلك.

من ذلك كله يتجلى لنا أن الرسول ﷺ قد وضع الأسس الوقائية من الأمراض منذ أربعة عشر قرناً.. جاء بعدها العلم الحديث وأكدها في أحد فروع الطب الوقائي الحديث.. (ك).

لن تحزن بإذن الله تعالى، ما دمت غنياً ولستَ مُفلساً!!

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62].

كيف أنت غداً يوم تُبعث، إن بُعثت غنياً، وقد ثقلت موازينك بالحسنات؟ وكيف سيكون حالك، إن بُعِثْتَ وأنت مفلساً قد ذهبت حسناتك للناس؟ وماذا ستفعل إن طرح الناس عليك سيئآتهم ووُضِعَتْ في ميزانك؟ يا لها من ساعة عصيبة، وموقف صعب شديد.

(1) رواه البخاري (5889) ومسلم (257)، وغيرهما.

(2) «الطب في ضوء الإسلام» د. غريب جمعة.

﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: 8 ـ 9].

وفي «الصحيح» من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، قال: «**هَل تدْرُون من المُفْلِسُ؟**» قالوا: المُفْلِسُ فِينا، يا رسول الله، مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ. قال: «**إنَّ المُفلِسَ مِن أمتي مَنْ يَأتِي يومَ القِيامَةِ بِصِيَام وصَلاةٍ وزكاةٍ، ويَأْتِي قد شَتَمَ عِرْضَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، فيُقْعَدُ، فَيُقَصُّ هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناته، فإن فَنِيَتْ حَسَناته قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليهِ مِن الخَطَايا، أخِذَ فِي خَطَاياهُم فطُرِحَتْ عليهِ، ثم طُرِحَ في النّارِ**»[1].



لا تحزن ولا تقلق
إن كنت ممن يسلكون سبيل المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأنعام: 55].

وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: 115] الآية.

والله تعالى قد بيَّنَ في كتابه سبيلَ المؤمنين مفصَّلة، وسبيلَ المجرمين مفصَّلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة وعاقبة هؤلاء مفصلة، وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء، وأولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء، وتوفيقه لهؤلاء وخذلانه لهؤلاء، والأسباب التي وفَّق بها هؤلاء والأسباب التي خذل بها هؤلاء، وجَلا سبحانه الأمرين في كتابه وكشفهما وأوضحهما وبيَّنهما غاية البيان، حتى شاهدتهما البصائر كمشاهدة الأبصار للضياء والظلام. فالعالِمون بالله وكتابه ودينه، عرفوا سبيلَ المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيلَ المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده والطريق الموصل إلى الهلكة.

فهؤلاء أعلم الخلق، وأنفعهم للناس، وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة.

---

(1) رواه الإمام أحمد (8029) ومسلم (2081) والترمذي (2418)، وغيرهم، واللفظ لأحمد.

وبذلك برز الصحابة على جميع مَن أتى بعدهم إلى يوم القيامة؛ فإنهم نشأووا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسُّبُل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة، ثم جاءهم الرسول فأخرجهم من تلك الظلمات إلى سبيل الهدى وصراط الله المستقيم؛ فخرجوا من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الجهل إلى العلم، ومن الغيِّ إلى الرشاد، ومن الظلم إلى العدل، ومن الحيرة والعمى إلى الهدى والبصائر.

فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به، ومقدار ما كانوا فيه. فإن الضدَّ يُظْهِرُ حُسْنَه الضدُّ، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها. فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه، ونفرة وبغضاً لِما انتقلوا عنه، وكانوا أحَبَّ الناس في التوحيد والإيمان والإسلام، وأبغض الناس في ضدِّه، عالمين بالسبيل على التفصيل.

وأما مَن جاء بعد الصحابة، فمنهم مَن نشأ في الإسلام غيرَ عالم تفصيل ضده، فالتبس عليه بعض تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين؛ فإن اللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما، كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: إنما تُنقَضُ عُرَى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام مَن لم يعرف الجاهلية. وهذا من كمال علم عمر ﷺ؛ فإنه إذا لم يعرف الجاهلية وحكمها وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول ﷺ فإنه من الجاهلية؛ فإنها منسوبة إلى الجهل، وكل ما خالف الرسول فهو من الجهل.

فمَن لم يعرف سبيلَ المجرمين ولم تستبن له، أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين، كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل هي من سبيل المؤمنين، ودعا إليها، وكفر مَن خالفها، واستحل منه ما حرَّمه الله ورسوله، كما وقع لأكثر أهل البِدَع من الجَهْمِية والقَدَرية والخوارج والروافض وأشباههم، ممن ابتدع بدعة ودعا إليها وكفَّر مَن خالفها.

والناس في هذا الموضع أربع فرق:

الفرقة الأولى: مَن استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل علماً وعملاً، وهؤلاء أعلم الخلق.

الفرقة الثانية: مَن عميت عنه السبيلان من أشباه الأنعام، وهؤلاء بسبيل المجرمين أحضَر ولها أسلَك.

الفرقة الثالثة: مَن صرف عنايته إلى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدّها، فهو يعرف ضدّها من حيث الجملة والمخالفة، وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل وإن لم يتصوّره على التفصيل، بل إذا سمع شيئاً مما خالف سبيل المؤمنين صَرَفَ سمعه عنه، ولم يشغل نفسه بفهمه ومعرفة وجه بطلانه، وهو بمنزلة مَن سلمت نفسه من إرادة الشهوات فلم تخطر بقلبه ولم تدعه إليها نفسه، بخلاف الفرقة الأولى؛ فإنهم يعرفونها وتميل إليها نفوسهم ويجاهدونها على تركها لله.

وقد كتبوا إلى عمر بن الخطاب يسألونه عن هذه المسألة أيهما أفضل: رجل لم تخطر له الشهوات ولم تمر بباله، أو رجل نازعته إليها نفسه فتركها لله؟ فكتب عمر: إن الذي تشتهي نفسه المعاصي ويتركها لله ﷻ أفضل من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيم.

وهكذا مَن عَرَفَ البدَعَ والشرك والباطل وطرقه، فأبغضها لله، وحَذِرَها، وحَذَّر منها، ودفعها عن نفسه، ولم يدعها تخدش وجه إيمانه، ولا تورثه شبهةً، ولا شكاً، بل يزداد بمعرفتها بصيرة في الحق ومحبة له، وكراهة لها ونفرة عنها، أفضل ممن لا تخطر بباله ولا تمرُّ بقلبه. فإنه كلما مرّت بقلبه وتصوّرت له ازداد محبة للحق ومعرفة بقدره وسروراً به، فيقوى إيمانه به. كما أن صاحب خواطر الشهوات والمعاصي كلما مرّت به فرغب عنها إلى ضدِّها ازداد محبة لضدّها ورغبة فيه وطلباً له وحرصاً عليه. فما ابتلى الله سبحانه عبدَه المؤمن بمحبة الشهوات والمعاصي وميل نفسه إليها إلا ليسوقه بها إلى محبة ما هو أفضل منها وخير له وأنفَع وأدوَم. وليجاهد نفسه على تركها له سبحانه، فتورثه تلك المجاهِدة الوصول إلى المحبوب الأعلى.

فكلما نازعته نفسه إلى تلك الشهوات واشتدّت إرادته لها وشوقه إليها، صرف ذلك الشوق والإرادة والمحبة إلى النوع العالي الدائم، فكان طلبه له أشدّ وحرصه عليه أتمّ، بخلاف النفس الباردة الخالية من ذلك، فإنها وإن كانت طالبة للأعلى لكن بين الطلبين فرق عظيم.

ألا ترى أن مَن مشى إلى محبوبه على الجمر والشوك أعظم ممن مشى إليه راكباً على النجائب! فليس مَن آثر محبوبه مع منازعة نفسه كمن آثره مع عدم منازعتها إلى غيره؛ فهو سبحانه يبتلي عبدَه بالشهوات، إما حجاباً له عنه، أو حاجباً له يوصله إلى رضاه وقربه وكرامته.

الفرقة الرابعة: فرقة عرفت سبيل الشر والبِدَع والكفر مفصَّلة، وسبيل المؤمنين مجملة، وهذا حال كثير ممن اعتنى بمقالات الأمم ومقالات أهل البِدَع، فعرفها على التفصيل ولم يعرف ما جاء به الرسول كذلك، بل عرفه معرفة مجملة وإن تفصلت له في بعض الأشياء. ومن تأمَّل كتبهم رأى ذلك عياناً. وكذلك مَن كان عارفاً بطرق الشر والظلم والفساد على التفصيل سالكاً لها، إذا تاب ورجع عنها إلى سبيل الأبرار يكون علمه بها مجملاً غير عارف بها على التفصيل معرفة مَن أفنى عمره في تصرفها وسلوكها.

والمقصود أن الله سبحانه يحبُّ أن تُعرَف سبيلُ أعدائه لتُجتنَب وتُبغَض، كما يحب أن تُعرَف سبيلُ أوليائه لتُحَب وتُسلَك. وفي هذه المعرفة من الفوائد والأسرار ما لا يعلمه إلا الله: من معرفة عموم ربوبيته سبحانه، وحكمته، وكمال أسمائه وصفاته، وتعلقها بمتعلقاتها، واقتفائها لآثارها وموجباتها. وذلك من أعظم الدلالة على ربوبيته وملكه وإلهيته وحُبّه وبُغضه وثوابه وعقابه. والله أعلم. (ق).

❁ ❁ ❁



أحوال الفضلاء

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: تأملت أحوال الفضلاء، فوجدتهم ـ في الأغلب ـ قد بخسوا من حظوظ الدنيا، ورأيت الدنيا ـ غالباً ـ في أيدي أهل النقائص.

فنظرت في الفضلاء، فإذا هم يتأسفون على ما فاتهم مما ناله أولو النقص، وربما تقطع بعضهم أسفاً على ذلك.

فخاطبت بعض المتأسفين فقلت له: ويحك تدبر أمرك، فأنت غالط من وجوه:

أحدها: أنه إن كانت لك همة في طلب الدنيا، فاجتهد في طلبها تربح التأسف على فوتها، فإن قعودَك ـ متأسفاً على ما ناله غيرك، مع قصور اجتهادك ـ غاية العجز.

والثاني: أن الدنيا إنما تراد لِتُعْبَر لا لِتُعمر، وهذا هو الذي يدلك عليه علمك ويبلغه فهمك، وما يناله أهل النقص من فضولها يؤذي أبدانهم وأديانهم. فإذا عرفت ذلك ثم تأسفت على فَقْد ما فَقْدُه أصلَحُ لك، كان تأسفك عقوبة «لتأسفك» على ما تعلم

الصلاح وعلاقته بطبيعة الإنسان

كمالُ العبد وصلاحه يتخلّف عنه من إحدى جهتين: إمّا أن تكون طبيعتُه يابسة قاسية غير ليّنة ولا منقادة ولا قابلة لِما به كمالُها وفلاحها. وإمَّا أن تكونَ ليِّنة منقادة سلسة القياد، لكنها غير ثابتة على ذلك، بل سريعة الانتقال عنه كثيرة التقلُّب. فمتى رُزِقَ العبدُ انقياداً للحق وثباتاً عليه فليبشر، فقد بشّر بكل خير، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ. (ق).

❁ ❁ ❁

سجع على قوله تعالى

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: 52].

يا مشغولاً بذنوبه، مغموراً بعيوبه، غافلاً عن مَطْلوبه، أما نهاه القرآن عن حُوبِهِ ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: 52].

أنسِيَ العاصي قبيحَ مكتوبه، لا بُدَّ عن سؤاله عن مطعومه ومشروبه، وحركاته وخطواته في مرغوبه، ألا يَذْكر في زمان راحته أحيانَ كُروبه، ألا يَحْذر من الأسد قبل وقت وثوبه، ألا يتخذ تُقَاه تَقِيَّةً من شرِّ هُبوبه، ألا يدَّخر من خِصْبه لأيام جُدُوبه، ألا يتفكر في فراقه لمحبوبه، ألا يتذكر النعش قبل ركوبه، كيف يغفل من هو في صَفِّ حروبه، رُبَّ إشراقٍ لم يُدْرَك زمنُ غُروبه، إلى متى في حِرْصه على الفاني ودؤوبه، متى يردُّ يوسفَ قلبَه على يعقوبه، لقد وعظه الزمان بفنون ضروبه، وحذّره استلابَه بأنواع خطوبه، ولقد زجَره القرآن بتخويفه مع لَذَّة أسلوبه ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: 52].

أيقظنا الله وإياكم من رَقْدة الغفلة، ووفقنا اللهُ وإياكم للتزوّد قبل النقلة، وألهمنا اغتنامَ الزمان ووقت المهلة. إنه سميع قريب. (ج).

❁ ❁ ❁

لا تحزن من المصائب

رب ضَارّة نافعة. مثل عربي عريق، لمفهوم أصيل عميق. والإسلام، هذا الدين العظيم، لم يترك شاذَّة ولا فاذَّة، إلا وقد تدخل في حلِّها، وسبر غورها، وجعل للمرء منها مخرجاً.

وما من مصيبة أكبر من مصيبة الموت، فكل المصائب دونها، وليس بعدها مُصاب. ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: 156]. ترياق المؤمن المُصاب، وترويح عن حزنه، وبلسم لألمه.

وما أجمل أن يتحقق كل هذا، مجسداً وقائع سجلها التاريخ بصفحات من نور. أشرقت لها ظلمات الزمان.

ففي «صحيح» الإمام مسلم (918/ 3) وغيره من طريق ابْنِ سَفِينَةَ، عَنْ أُم سَلَمَة أَنَّهَا قَالَت: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقُولُ: **«مَا مِنْ مُسلِم تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ الله: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ. اللَّهُمَّ! آجُرنِي فِي مُصِيبَتِي وأَخْلِفْ لِي خَيراً مِنهَا ـ إلاَّ آجَرَهُ اللهُ تعالى في مصيبتِهِ وأَخلَفَ لَهُ خَيراً مِنهَا»**.

قَالَت: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلتُ أَيُّ المُسلِمِينَ خَيرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ. ثُمَّ إني قُلتُهَا. فَأَخلَفَ الله لِي خيراً منه، رَسُولَ الله ﷺ.

قَالَت: أَرسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ حَاطِبَ بنَ أَبِي بَلتَعَةَ يَخطُبُنِي لَهُ. فَقُلتُ: إِنَّ لِي بنتاً وَأَنَا غَيُورٌ. فَقَالَ **«أَمَّا ابنَتُهَا فَنَدعُو الله أَنْ يُغْنِيَهَا عَنهَا. وَأَدعُو الله أَنْ يَذهَب بِالغَيرةِ»**.

وروى الإمام أحمد (26591/ 15) والترمذي (3506) وابن ماجة (1598) بإسناد صحيح، من طريق عمر بن أبي سَلَمَة عن أُم سَلَمةَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَطَبَ أُم سلمةَ فقالت: يَا رَسُولَ الله، إنهُ ليسَ أَحَدٌ مِنْ أوليائي ـ يعني: شَاهداً ـ فَقَالَ: **«إِنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ مِنْ أَوليائِكِ شاهِدٌ ولا غائِبٌ يَكرَهُ ذلكَ»**.

فقالت: يا عمر زَوِّجِ النبيَّ ﷺ. فتزوجها النبيُّ ﷺ.

فقال لها رسول الله ﷺ: **«أما إني لا أَنقُصُكِ مِمَّا أَعطَيتُ أَخَواتِكِ رَحَيينِ وَجَرَّةً وَمِرفَقَةً مِنْ أَدَمٍ حَشوُها لِيفٌ»**.

فكانَ رَسُولُ الله ﷺ يَأتيها لِيَدخُلَ بها، فإذا رَأَته أَخَذَت زينبَ ابنتها فَجَعَلتها في حِجرها، فَيَنْصرِفَ رَسُولُ الله ﷺ، فَعلِمَ ذلكَ عَمار بن يَاسر وكانَ أَخَاهَا مِنَ الرضاعَةِ، فأتاها فقالَ: أَينَ هذهِ المَشقُوحةُ المَقبوحَةُ التي قَد آذيتِ بهَا رَسُولَ الله ﷺ فَأَخَذَهَا فَذَهَبَ بِهَا:

فجاءَ رَسُولُ الله ﷺ فَدَخلَ عليها فَجَعلَ يَضرِبُ بِبصرِهِ في نواحِي البَيتِ فقال: «مَا فَعَلت زُنابُ؟».

فقالت: جَاءَ عَمَّارُ فَأَخذَها فَذَهبَ بِهَا، فَدَخَلَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ وقَالَ لهَا: «إن شِئتِ سَبَّعتُ لَكِ، وإن سَبَّعتُ لَكِ سَبَّعتُ لِنِسائي» لفظ أحمد.

وهكذا تحوَّل مُصاب السيدة أم سلمة ﵂ إلى فرج قريب، وعزٍّ مجيد، وزواجٍ كريم، لا يعد له شيء في الدنيا ولا في الآخرة، إلّا رضى الرب العظيم.

❁ ❁ ❁

قصة مع قول الله ﷻ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾

من خلال لقاء تلفزيوني مع العلامة فضيلة الدكتور الشيخ محمد زغلول النجّار ـ حفظه الله تعالى ورعاه ـ سأله مقدم البرنامج عن قول الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: 1]. فأجاب ـ حفظه الله تعالى ـ بقوله:

هذه الآية لها معي قصَّة. فمنذ فترة كنتُ أحاضِرُ في جامعة (كارديف/ Cardif) في غرب بريطانيا، وكان الحضور خليطاً من المسلمين وغير المسلمين، وكان هناك حوار حيّ للغاية عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وفي أثناء هذا الحوار، وقف شابٌ من المسلمين وقال: يا سيدي هل ترى في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ لمحة من لمحات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؟ فأجبتُهُ قائلاً: لا. لأنَّ الإعجازَ العلميَّ يفسِّره العلمُ، أمَّا المعجزاتُ فلا يستطيعُ العلمُ أن يفسِّرَها، فالمعجزة أمر خارقٌ للعادَةِ فلا تستطيعُ السُّنَن أن تفسرها. وانشقاق القمر معجزةٌ حدثت لرسول الله ﷺ تشهدُ له بالنُّبُوَّةِ والرِّسَالَةِ، والمعجزات الحسِّيَّة شهادة صدق على من رآها، ولولا ورودها في كتاب الله تعالى وفي سنَّة رسوله ﷺ مَا كان علينا، نحن مسلمو هذا العصر، أن نُؤمِنَ بها ولكنَّنا نؤمنُ بها لورودها في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ ولأن اللهَ تعالى قادرٌ على كل شيء.

ـ معجزة نبوية باقية إلى قيام الساعة:

ثُمَّ ذكر فضيلته قصَّة انشقاق القمر كما وردت في كتب السُّنَّةِ فقال:

وفي كتب السُّنَّة يُروَى أن سيدنا رسولَ الله ﷺ قبل أن يهاجرَ مِن مكة المكَرَّمَة إلى المدينة المنورة بخمس سنوات جاءه نَفَر من قريش وقالوا له: يا محمَّد إن كنت حقّاً نبيّاً ورسولاً فائتنا بمعجزة تشهد لك بالنبوة والرسالة؟

فسألهم ﷺ: ماذا تريدون؟ قالوا: شق لنا القمر، على سبيل التعجيز والتحدي.

فوقف المصطفى ﷺ يدعو ربَّه أن ينصرَهُ في هذا الموقف فألهمه ربُّهُ تباركَ وتعالى أن يشيرَ بإصبعه الشريف إلى القمر، فانْشَقَّ القمرُ إلى فلقتين، تباعدتا عن بعضهما البعض لعدة ساعات مُتَصلة، ثم التحمتا، فقال الكفار: سَحَرَنَا محمَّدٌ ﷺ!

لكنَّ بعض العقلاء قالوا: إنَ السحرَ قد يؤثِّرُ على الذين حضروه، لكنه لا يستطيع أن يؤثر على كل الناس، فانتظروا الركبانَ القادمينَ من السَّفر، فسارعَ الكفَّارُ إلى مخارج مكَّةَ ينتظرون القادمينَ مِنَ السَّفر، فحينَ قَدِمَ أوَّلُ ركْبٍ سألهُم الكفَّارُ: هل رأيتم شيئاً غريباً حدثَ لهذا القمرِ؟

قالوا: نعم، في الليلة الفلانية رأينا القمرَ قد انشقَّ إلى فلقتين تباعدتا عن بعضهما البعض ثم التحمتا.

فآمن منهم من آمن وكفر من كفر. ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: 1 ـ 3]. إلى آخر الآيات التي نزلت في ذلك.

ـ حوار وإسلام:

ثم تابع فضيلته قائلاً: وبعد أن أتممتُ حديثي وقفَ شابٌّ مسلم بريطاني عرّف بنفسه وقال: أنا «داوود موسى بيتكوك» رئيس الحزب الإسلامي البريطاني، ثم قال: يا سيدي، هل تسمح لي بإضافة؟ قلت له: تفضل قال:

وأنا أبحث عن الأديان (قبل أن يُسلم) أهداني أحدُ الطلاب المسلمين ترجمة

لمعاني القرآن الكريم، فشكرته عليها وأخذتها إلى البيت، وحين فتحت هذه الترجمة، كانت أوّل سورة أطّلع عليها سورة القمر، وقرأت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾. فقلت: هل يعقَلُ هذا الكلام؟ هل يمكن للقَمَر أن يَنْشَقَّ ثُمَّ يلتحم، وأيُّ قوّة تستطيع عمل ذلك؟ يقول الرَّجُلُ: فَصَدَّتني هذه الآية عن مواصلة القراءة، وانشغلت بأمور الحياة، لكن الله تعالى يعلم مدى إخلاصي في البحث عن الحقيقة، فأجلسني رَبِّي أمام التِّلفاز البريطاني وكان هناك حوار يدور بين معلِّقٍ بريطاني وثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيين..

وكان هذا المذيع يعاتبُ هؤلاء العلماء على الإنفاق الشديد على رحلات الفضاء، في الوقت الذي تمتلئ فيه الأرض بمشكلات الجوع والفَقْرِ والمرضِ والتخلُّف، وكان يقول: لو أنَّ هذا المال أنفق على عمران الأرض لكان أجدى وأنفع. وجلس هؤلاء العلماء الثلاثة يدافعون عن وجهة نظرهم ويقولون: إنَّ هذه التِّقنية تطبق في نواحي كثيرة في الحياة، حيث إنَّها تطبق في الطبِّ والصناعة والزراعة، فهذا المال ليس مالاً مهدراً لكنه أعاننا على تطوير تقنيات متقدمة للغاية. ففي خلال هذا الحوار جاء ذكر رحْلَةِ إنزال رجلٍ على سطح القمر باعتبار أنَّها أكثر رحلات الفضاء كلفةً، فقد تكلفت أكثر من مئة ألف مليون دولار، فصرخ فيهم المذيع البريطاني وقال: أيُّ سَفَهٍ هذا؟ مئة ألف مليون دولار لكي تضعوا العَلَم الأمريكي على سطح القمر؟

فقالوا: لا، لم يكن الهدف وضع العَلَم الأمريكي فوق سطح القمرِ. كنَّا ندرُسُ التركيب الداخلي للقمر، فوجدنا حقيقةً لو أنفقنا أضعافَ هذا المال لإقناع النَّاس بها ما صدقنا أحد.

فقال لهم: ما هذه الحقيقة؟

قالوا: هذا القمر انشَقَّ في يوم من الأيام ثمَّ التحم.

قال لهم: كيف عرفتم ذلك؟

قالوا: وجدنا حزاماً من الصُّخور المتحولة يقطع القمر من سطحه إلى جوفه إلى سطحه. فاستشرنا علماءَ الأرض وعلماء الجيولوجيا، فقالوا: لا يمكن أن يكون هذا قد حدَثَ إلاَّ إذا كان هذا القمر قد انشَقَّ ثُمَّ التحمَ.

يقول الرَّجُلُ المسلمُ (رئيس الحزب الإسلامي البريطاني): فَقَفَزْتُ من الكرسيِّ

الذي أجلسُ عليه وقلت: معجزة تحدث لمحمَّدٍ ﷺ قبل ألف وأربعمئة سنة، يُسخِّرُ اللهُ تعالى الأمريكان لإنفاق أكثر من مئة ألف مليون دولار لإثباتها للمسلمين؟ لا بدَّ أن يكونَ هذا الدِّينُ حقّاً.

يقول: فعدت إلى المصحف، وتلوت سورة القمر، وكانت مدخلي لقبول الإسلام ديناً. . (إ).

❀ ❀ ❀

النظَر في صِدق الرّسول ﷺ

قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: 23]، وقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88].

النَّظر في صدقِ الرسول ﷺ وسيلة إلى اتباعِهِ فيما جاءَ بهِ، واتباعُهُ في ذلك وسيلةٌ إلى سَعَادةِ الدُّنيا والآخِرة. (س).

❀ ❀ ❀

لا تحزن فإن بين يديك العلاج

روى الإمام أحمد (3712) وابن حبان (972) والبزار (3122)، وغيرهم بإسناد حسن[1]، من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجَلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلاَّ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحاً»**.

---

(1) راجع التعليق ـ حم وح.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هذِهِ الْكَلِمَاتِ؟

قَالَ: «أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهنَّ».

فلا تحزن أخي الكريم، فقد قدَّم لك رسول الله ﷺ، العلاج الأكيد لذهاب همك، وما أغمك. فهو ﷺ الصادق المصدوق، والذي لا ينطق عن الهوى. وفي هذا يقول الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ شارحاً معاني هذا الحديث الجليل:

تضمن هذا الحديث العظيم أموراً من المعرفة، والتوحيد، والعبودية منها أن الداعي به صدَّر سؤاله بقوله: «إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك»، وهذا يتناول مَن فوقه مِن آبائه وأمهاته إلى أبويه آدم وحواء، وفي ذلك تملُّق له، واستخذاء[1] بين يديه، واعتراف بأنه مملوكه، وآباؤه مماليكه، وأن العبد ليس له غير باب سيده وفضله وإحسانه، وأن سيده إن أهمله وتخلى عنه هلك، ولم يؤوِهِ أحد، ولم يعطف عليه، بل يضيع أعظم ضيعة. فتحتَ هذا الاعتراف: إني لا غنى بي عنك طرفة عين، وليس لي مَن أعوذ به وألوذ به غيرَ سيدي الذي أنا عبده، وفي ضمن ذلك الاعتراف بأنه مربوب مدبَّر مأمورٌ منهي، إنما يتصرف بحكم العبودية لا بحكم الاختيار لنفسه. فليس هذا شأن العبد، بل شأن الملوك والأحرار.

وأما العبيد فتصرُّفهم على محض العبودية؛ فهؤلاء عبيد الطاعة المضافون إليه سبحانه في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: 42]، وقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: 63]، ومَن عداهم عبيد القهر والربوبية؛ فإضافتهم إليه كإضافة سائر البيوت إلى ملكه، وإضافة أولئك كإضافة البيت الحرام إليه، وإضافة ناقته إليه، وداره التي هي الجنة إليه، وإضافة عبودية رسوله إليه بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: 23]، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1] ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: 19].

وفي التحقيق بمعنى قوله: «إني عبدك» التزام عبوديته من الذلّ، والخضوع، والإنابة، وامتثال أمر سيده، واجتناب نهيه، ودوام الافتقار إليه، واللجأ إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وعياذ العبد به، ولياذه به، وأن لا يتعلق قلبه بغيره محبة وخوفاً ورجاءً.

(1) الاستخذاء: الخضوع.

وفيه أيضاً: إني عبد من جميع الوجوه: صغيراً وكبيراً، حيًّا وميتاً، مطيعاً وعاصياً، معافى ومبتلى بالروح والقلب واللسان والجوارح.

وفيه أيضاً: إن مالي ونفسي مُلكٌ لك؛ فإن العبد وما يملك لسيده.

وفيه أيضاً: إنك أنت الذي مننتَ عليَّ بكل ما أنا فيه من نعمة، فذلك كله من إنعامك على عبدك.

وفيه أيضاً: إني لا أتصرّف فيما خوَّلتَني من مالي ونفسي إلا بأمرك، كما لا يتصرف العبد إلا بإذن سيده، وإني لا أملك لنفسي ضَرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

فإن صحَّ له شهود ذلك، فقد قال إني عبدك حقيقة.

ثم قال: «**ناصيتي بيدك**»، أي أنت المتصرف فيَّ، تصرّفني كيف تشاء، لست أنا المُتصرِّف في نفسي. وكيف يكون له في نفسه تصرف مَن نفسُه بيد ربه وسيِّده، وناصيتُه بيده، وقلبه بين إصبعين من أصابعه، وموتُه وحياته وسعادته وشقاوته وعافيته وبلاؤه كلُّه إليه سبحانه، ليس إلى العبد منه شيء، بل هو في قبضة سيده أضعف من مملوك ضعيف حقير، ناصيته بيد سلطان قاهر مالك له تحت تصرُّفه وقهره، بل الأمر فوق ذلك.

ومتى شَهِدَ العبدُ أن ناصيتَه، ونواصي العباد كلها، بيد الله وحده، يصرفهم كيف يشاء، لم يَخَفْهُم بعد ذلك، ولم يَرْجُهُم، ولم يُنزلهم منزلة المالكين، بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين، المتصرف فيهم سواهم، والمدبِّر لهم غيرهم. فمن شهد نفسه بهذا المشهد صار فقرُه وضرورته إلى ربه وصفاً لازماً له، ومتى شهد الناس كذلك لم يفتقر إليهم، ولم يعلق أمله ورجاءه بهم، فاستقام توحيده وتوكله وعبوديته. ولهذا قال هود لقومه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56].

وقوله: «**ماضٍ فِيَّ حكمك، عدلٌ فِيَّ قضاؤك**»، تضمّن هذا الكلام أمرين:

أحدهما: مضاءُ حكمه في عبده.

والثاني: يتضمن حمده وعدله، وهو سبحانه له الملك وله الحمد، وهذا معنى قول نبيّه هود: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ ـ ثم قال ـ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي مع كونه مالكاً قاهراً، متصرفاً في عباده، نواصيهم بيده، فهو على صراط مستقيم. وهو

العدل الذي يتصرف به فيهم، فهو على صراط مستقيم في قوله وفعله وقضائه وقدره وأمره ونهيه وثوابه وعقابه. فخبره كله صدق، وقضاؤه كله عدل، وأمره كله مصلحة، والذي نهى عنه كله مفسدة، وثوابُه لمن يستحق الثواب بفضله، ورحمتُه وعقابُه لمن يستحق العقاب بعدله وحكمته.

وفرَّق بين الحكم والقضاء، وجعل المضاء للحكم، والعدل للقضاء؛ فإن حكمه سبحانه يتناول حكمه الديني الشرعي وحكمه الكوني القدري. والنوعان نافذان في العبد ماضيان فيه، وهو مقهور تحت الحكمين، قد مضيا فيه، ونفذا فيه شاء أم أبى، لكن الحكم الكوني لا يمكنه مخالفته، وأما الديني الشرعي فقد يخالفه.

ولما كان القضاء هو الإتمام والإكمال ـ وذلك إنما يكون بعد مضيه ونفوذه ـ قال: «عدلٌ فِيَّ قضاؤك»، أي الحكم الذي كملته وأتممته ونفذته في عبدك عدل منك فيه. وأما الحكم، فهو ما يحكم به سبحانه، وقد يشاء تنفيذه، وقد لا ينفذه. فإن كان حكماً دينياً، فهو ماضٍ في العبد. وإن كان كونياً؛ فإن نفذه سبحانه مضى فيه، وإن لم ينفذه اندفع عنه، فهو سبحانه يقضي ما يقضي به. وغيره قد يقضي بقضاء، ويقدّر أمراً، ولا يستطيع تنفيذه. وهو سبحانه يقضي ويمضي، فله القضاء والإمضاء.

وقوله: «عدلٌ فِيَّ قضاؤك»، يتضمن جميع أقضيته في عبده من كل الوجوه: من صحة، وسقم، وغنى، وفقر، ولذة، وألم، وحياة، وموت، وعقوبة، وتجاوز، وغير ذلك. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: 30]. وقال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: 48]. فكل ما يقضي على العبد فهو عدل فيه.

فإن قيل: فالمعصية عندكم بقضائه وقدره! فما وجه العدل في قضائها، فإن العدل في العقوبة عليها غير ظاهر؟.

قيل: هذا سؤال له شأن، ومن أجله زعمت طائفة أن العدل هو المقدور، والظلم ممتنع لذاته. قالوا: لأن الظلم هو التصرف في مُلك الغير، والله له كل شيء؛ فلا يكون تصرفه في خلقه إلاَّ عدلاً.

وقالت طائفة: بل العدل أنه لا يعاقب على ما قضاه وقدَّره، فلما حَسُنَ منه العقوبة على الذنب علمَ أنه ليس بقضائه وقدره؛ فيكون العدل هو جزاؤه على الذنب بالعقوبة والذمّ إما في الدنيا وإما في الآخرة.

وصعب على هؤلاء الجمع بين العدل وبين القدر؛ فزعموا أن من أثبت القدر لم يمكنه أن يقول بالعدل، ومَن قال بالعدل لم يمكنه أن يقول بالقدر. كما صعب عليهم الجمع بين التوحيد وإثبات الصفات؛ فزعموا أنهم لا يمكنهم إثبات التوحيد إلا بإنكار الصفات؛ فصار توحيدهم تعطيلاً، وعدلهم تكذيباً بالقدر.

وأما أهل السنة: فهم مثبتون للأمرين، والظلم عندهم هو وضع الشيء في غير موضعه: كتعذيب المطيع ومَن لا ذنب له، وهذا قد نزَّه الله نفسه عنه في غير موضع من كتابه. وهو سبحانه وإن أضلَّ مَن شاء وقضى بالمعصية والغيّ على مَن شاء، فذلك محض العدل فيه؛ لأنه وضع الإضلال والخذلان في موضعه اللائق به.

كيف ومن أسمائه الحسنى العدل، الذي كل أفعاله وأحكامه سداد وصواب وحق، وهو سبحانه قد أوضح السبل، وأرسل الرسُل، وأنزل الكتب، وأزاح العلل، ومكَّن من أسباب الهداية والطاعة بالأسماع والأبصار والعقول، وهذا عدله. ووفّق مَن شاء بمزيد عناية وأراد من نفسه أن يعينه ويوفقه، فهذا فضله. وخذل مَن ليس بأهلٍ لتوفيقه وفضله وخلّى بينه وبين نفسه، ولم يرد سبحانه من نفسه أن يوفقه، فقطع عنه فضله، ولم يحرمه عدله.

وهذا نوعان:

أحدهما: ما يكون جزاءً منه للعبد على إعراضه عنه، وإيثار عدوِّه في الطاعة والموافقة عليه، وتناسي ذكره وشكره؛ فهو أهل من يخذله ويتخلى عنه.

والثاني: أن لا يشاء له ذلك ابتداء؛ لما يعلم منه أنه لا يعرف قدر نعمة الهداية ولا يشكره عليه، ولا يثني عليه بها، ولا يحبه؛ فلا يشاؤها له لعدم صلاحية محله. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: 53]. وقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: 23].

فإذا قضى على هذه النفوس بالضلال والمعصية كان ذلك محض العدل، كما إذا قضي على الحيّة بأن تُقتل، وعلى العقرب، وعلى الكلب العَقور، كان ذلك عدلاً فيه، وإن كان مخلوقاً على هذه الصفة.

وقد استوفينا الكلام في هذا في كتابنا الكبير في القضاء والقدر[1].

---

(1) كتاب «شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل» وهو مطبوع.

والمقصود أن قوله ﷺ: «ماضٍ فِيَّ حكمك، عدلٌ فِيَّ قضاؤك» ردّ على الطائفتين:

القدرية: الذين ينكرون عموم أقضية الله في عبده، ويخرجون أفعال العباد عن كونها بقضائه وقدره، ويردُّون القضاء إلى الأمر والنهي.

والجبرية: الذين يقولون: كل مقدور عدل، فلا يبقى لقوله «عدلٌ فِيَّ قضاؤك» فائدة؛ فإن العدل عندهم كل ما يمكن فعله، والظلم هو المحال لذاته، فكأنه قال: «ماضٍ ونافذ فِيَّ قضاؤك»وهذا هو الأول بعينه.

وقوله: «أسألك بكل اسم» إلى آخره، توسُّل إليه بأسمائه كلها ما علم العبد منها وما لم يعلم. وهذه أحَبّ الوسائل إليه؛ فإنها وسيلة بصفاته وأفعاله التي هي مدلول أسمائه.

وقوله: «أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري»، الربيع: المطر الذي يحيي الأرض، شبّه القرآن به لحياة القلوب به. وكذلك شبّه الله بالنور، وجمع بين الماء الذي تحصل به الإضاءة والإشراق، كما جمع بينهما سبحانه في قوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ [الرعد: 17].

وفي قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: 17]، ثم قال: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: 19].

وفي قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النور: 35] الآيات. ثم قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ [النور: 43] الآية.

فتضمن الدعاء أن يحيي قلبه بربيع القرآن، وأن ينوّر به صدره؛ فتجتمع له الحياة والنور. قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: 122].

ولما كان الصدر أوسع من القلب، كان النور الحاصل له يسري منه إلى القلب؛ لأنه قد حصل لما هو أوسع منه.

ولما كانت حياة البدن والجوارح كلها بحياة القلب ـ تسري الحياة منه إلى الصدر ثُمَّ إلى الجوارح ـ سأل الحياة له بالربيع الذي هو مادتها.

ولما كان الحزن والهمّ والغمّ يضادّ حياة القلب واستنارته، سأل أن يكون ذهابها

بالقرآن؛ فإنها أحرى أن لا تعود، وأما إذا ذهبت بغير القرآن: من صحة، أو دنيا، أو جاه، أو زوجة، أو ولد، فإنها تعود بذهاب ذلك.

والمكروه الوارد على القلب: إن كان من أمر ماضٍ أحدث الحزن، وإن كان من مستقبل أحدث الهمّ، وإن كان من أمر حاضر أحدث الغمّ.. والله أعلم.



يا ابن آدم... ما أمكرك!

روى الإمام أحمد (3714) وأبو يعلى (5290) وابن حبان (7430)، وغيرهم، بإسناد صحيح على شرط مسلم، من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ، قال: «**إنَّ آخِرَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ يَمشي على الصِّراطِ، فيَنْكَبُ مرةً، ويَمْشِي مَرةً، وتَسْفعُهُ النارُ مرة، فإذا جاوَزَ الصِّرَاطَ، الْتَفَتَ إليها، فقال: تبارَكَ الذي نَجَّانِي منكِ، لقد أعطانِي اللهُ ما لم يُعْطِ أحداً مِن الأوَّلِينَ والآخِرينَ، قال: فتُرْفَعُ له شجرةٌ، فينظرُ إليها، فيقولُ: يا ربِّ، أَدْنِنِي مِن هذه الشجرةِ، فأستَظِلَّ بِظِلِّها، وأشربُ من مَائِها، فيقولُ: أيْ عبدِي، فلَعَلِّي إن أدْنَيْتُك منها سَألْتَنِي غيرَها، فيقول: لا يا رَبّ، ويُعَاهِدُ الله أن لا يَسألَهُ غيرَها، والربُّ عزَّ وجلَّ يَعْلَمُ أنه سيسأله، لأنه يَرَى ما لا صَبْرَ لهُ ـ يعني عليه ـ فيُدْنِيه منها، ثم تُرْفَعُ له شجرةٌ، وهي أحسنُ منها، فيقول: يا رَبِّ أدْنِني من هذه الشجرة، فاسْتَظِل بِظِلِّها، وأشْرب مِنْ مائِها، فيقول: إيْ عَبدي، ألَمْ تُعاهِدني؟ يعني أنَّكَ لا تسألني غيرَها! فيقول: يا ربِّ، هذه لا أسالك غيرَها، ويُعاهده، والربُّ يَعْلمُ أنَّه سيسألهُ غيرَها، فيُدْنِيهِ منها، فَتُرْفَعُ له شجرةٌ عندَ بابِ الجَنَّةِ، هي أحسنُ منها، فيقول: ربِّ أدْنِني مَن هذه الشجرة، أسْتظِلُّ بظِلِّها، وأشْرب مِنْ مائِها، فيقول: أيْ عَبدي، الَمْ تُعاهِدني أن لاَ تسألني غيرَها؟! فيقول: يا ربِّ، هذه الشجرةُ، لا أسالك غيرها، ويُعاهِدُه، والرَّبُّ يَعْلَمُ أنه سيسألهُ غيرها، لأنَّه يَرَى ما لا صَبْرَ لهُ عليها، فيُدْنِيهِ منها، فَيَسْمَعُ أصواتَ أهْلِ الجَنَّةِ، فيقول: يا ربِّ، الجنَّةَ، الجنةَ، فيقول: أيْ عبدي الَمْ تعاهِدْني أنَّك لا تسألني غيرَها؟! فيقول: يا ربِّ أدْخِلْني الجنَّةَ، قال: فيقول عزَّ وجلَّ: ما يَصْرِيني مِنْكَ، أيْ عبدي؟ أيُرْضِيكَ أن أُعطِيَكَ مِن الجنَّةَ الدنيا ومثلَها معها؟ قال: فيقول: أتَهزأُ بِي، أيْ ربِّي، وأنتَ رَبُّ العِزَّةِ؟**»، قال: فضَحِكَ عبدالله، حتى بَدَتْ نَواجِذُهُ، ثم قال: ألا تَسْألُوني لِمَ ضَحِكْتُ؟ قالوا له: لِمَ ضَحِكْتَ؟ قال: لِضَحِكِ

رسولِ الله ﷺ، ثم قال لنا رسولُ الله ﷺ: «**ألا تَسْألُوني لِمَ ضَحِكْتُ؟**» قالوا: لِمَ ضَحِكْتَ يا رسولَ الله؟ قال: «**لِضَحِكِ الرَّبِّ، حينَ قال: أتَهْزأُ بِي، وأنتَ رَبُّ العِزَّةِ؟**»[1].

❁ ❁ ❁

معجزة السِّواك

درهم وقاية خير من قنطار علاج... مثلٌ فيه من الحكمة ما فيه. فالطب الوقائي هو أول من شَرَّعه الإسلام، وجاء به إلى البشرية إلى يوم الدين. وجهازنا الهضمي بحاجة مستمرة إلى العناية والرعاية والمحافظة عليه.

والسواك، هذه النعمة الإلهية هو خير غذاء ودواء لجهازنا الهضمي، بداية من الأسنان، وانتهاء بالمعدة والإمعاء.

جاء في «الصحيح» من حديث أبي هريرة ـ ﷺ ـ عن النبي ﷺ، قال: «**لولا أن أشقَّ على أمتي، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**». وقد جاء في غير «الصحيح» بإسناد صحيح «**لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء**». وقد جاء عند أحمد (62)، وغيره من حديث أبي بكر الصِّدِّيق ـ ﷺ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**».

وبإسناد حسن، روى الإمام أحمد (25133)، من حديث السيدة عائشة ـ ﷺ ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**السواك مطيبةٌ للفم، مرضاة للرب. وفي الحبة السوداء شفاءً من كل داءٍ إلا السَّام**» قالوا: يا رسول الله، وما السَّام؟ قال «**الموت**».

وفي «صحيح مسلم» (253)، وغيره من طريق المقدام بن شريح، عن أبيه، قال: سألتُ السيدة عائشة ـ ﷺ ـ بأي شيءٍ كان يبدأ النَّبيُّ ﷺ إذا دخلَ بيتهُ؟ قالت: بالسواك.

---

(1) تنبيه: هذا الحديث من أحاديث الصفات، والتي لا نخوض في تأويلها، بل نمررها كما هي، من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل. وهذا ما كان عليه سلف الأمة من صحابة رسول الله ﷺ ومن جاء بعدهم من أهل العلم والتحقيق. ونكل ما جاء فيها إلى مراد الله تعالى وعلمه. والله تعالى أعلم.

وفي «الصحيحين» من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل، يشوص فاهُ بالسواك. والشوص: دلك الأسنان بالسواك عرضاً.

والسواك من سنن الأنبياء والمرسلين ـ عليهم السلام ـ من لدن آدم حتى خاتم الأنبياء رسولنا محمداً ﷺ. فعند الإمام أحمد (25114) ومسلم (261) وأبو داود (53)، وغيرهم من حديث السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشرة من الفطرة؛ قص الشارب؛ وإعفاء اللحية؛ والسواك، واستنشاق الماء، وقصُّ الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء» يعني: الإستنجاء.

وأما البراجم، فهي عقد الأصابع ومفاصلها كلها، ومعاطف الأذن وداخل الأنف، وكل ثنية في الجسم.

ولا ننسَ أن رسول الله ﷺ كان عهده من الدنيا، أن تسوك أحسن ما يكون السواك. ثم فاضت روحه الشريفة ـ عليه من الله تعالى أفضل الصلاة والسلام ـ.

وقد اكتشف الطب مؤخراً، بعضاً من منافع السواك ـ سواءً كان للرجال أم للإناث ـ. فقد ثبت علمياً أن السواك يحتوي على نسبة كبيرة من الفلورايد وغيره من المواد التي لها الأثر الفعال في نظافة الفم.

لقد أثبتت الأبحاث الطبية بالإضافة إلى ذلك، احتواؤه على المضادات الحيوية وقلويات ومواد مطاطية وشمعية وصمغية، والكلورين وفيتامين «ج».

(مأخوذة من نباتات لها أسماء علمية وهي دايوسبايروس، وجالثيرية، ونبات الجرافسيتية).

أما مادة الفلورايد التي وجدت في أعواد السواك فلها دور في تخفيف ومنع أمراض التسوس، وذلك من جراء تفاعل الفلورايد مع إحدى مكونات السطح الخارجي للأسنان، وتسمى «الهيدروكس أباتيث» والتي تحول إلى مادة تسمى فلورو أباتيث. . . وهذا الناتج الأخير له مقاومة عالية ضد الذوبان الإحماضي التي تفرزها البكتريا أثناء وجود مرض التسوس.

كما يعمل «الفلورايد» على تقليل حموضة الإفرازات البكتيرية في داخل الفم مما يقلل من سرعة ذوبان أجزاء الأسنان الخارجية في هذه الأحماض.

ويساعد الفلورايد على إعادة ترسيب المادة المفقودة من الأسطح الخارجية المتأثرة بالتسوس، مما يزيد من مقاومها مستقبلاً للتسوس.

وفى قسم الأبحاث بالشركة السويسرية للأدوية في بازل، تم إجراء التجارب العلمية على خلاصة السواك، فجاءت النتائج القاطعة والمذهلة باحتواء السواك والمعروف علمياً باسم «سلفا دور ابرزيكا» على مواد قاتلة لجراثيم الفم الضارة التي تسبب التهابات اللثة وتسوس الأسنان.

وقد استخدمت خلاصة السواك ـ بعد استبعاد بعض الشوائب ـ في صناعة معجون الأسنان وقد أصبح هذا المعجون أول معجون في العالم، يحشى على خلاصة السواك النقية والطبيعية، ولا يحتوي على أية مواد كيميائية بآثارها الجانبية، ويأتي دليلاً قاطعاً على الإعجاز العلمي في الحث على استعمال السواك.

وفى إحدى الدراسات الطبية التي أجريت عام 1980 لمعرفة مدى فاعلية استخدام السواك على نظافة الأسنان واللثة، وتقليل نسبة التسوس، شارك فيها 887 شخصاً يستخدمون السواك في جنوب غانا، منهم 450 رجلاً والبقية نساء. وكانت نتائج البحث تدل على أن 83،7% من مجموع المشاركين في البحث لا يعانون من فقد أسنانهم.. وكانت نسبة التسوس في الأسنان قليلة..

وعللت هذه الأبحاث أسباب ذلك باحتواء السواك على نسب عالية من عنصري الفلورين والسيليكون اللذين لهما تأثير على إيقاف نشاط البكتريا المسببة لتسوس الأسنان.

وهكذا بينت الدراسات الحديثة، وبعد مرور أربعة عشر قرناً، أن فعالية الفلورايد.. هو إحباط نمو البكتريا المسببة للتسوس في الفم. فالفضلات المترسبة على الأسنان تزال بالحركة الميكانيكية في استخدام السواك، مما يجعل شعيراته تقوم بتدليك اللثة وتنشيط الدورة الدموية فيها، وهى العملية المسماة «بالمساج».

أما المادة الكيميائية الأخرى والأساسية أيضاً في السواك فهي «السيليكون»، ولهذه المادة تأثير على إزالة الفضلات والألوان المترسبة على الأسطح الخارجية للأسنان.

أما القلويات الموجودة في السواك فإنها تعطي نكهة وطعماً طيباً للسواك.. وكذلك لها أثر على توقيف نشاط البكتريا في الفم، وبعض هذه القلويات لها تأثير فعال على إيقاف الالتهابات في اللثة والأنسجة المحيطة بالأسنان.

هاتان المادتان على شد الأنسجة المخاطية المرتخية للثة، والأنسجة المحيطة بها، مما يعطي هذه الأنسجة قوة وشدة تماسك أكثر. وتكوّن المواد الشمعية في السواك طبقة عازلة تغلف الأسطح الخارجية للأسنان، مما يساعد على زيادة مناعتها ضد التسوس.

وفى دراسة علمية أجريت في الباكستان عام 1981 على أنواع السواك المشتقة من نباتات «الدياليوم جينيز» ونباتات «دايوسبايروس» و«الفنارا زانتوا كسلوايد»، كان من نتائجها وجود مواد في السواك تقلل وتمنع الإصابة بسرطان الفم، لدرجة أن المعهد الوطني للصحة في الولايات المتحدة الأمريكية أجرى بعض التجارب على مستخلصات نباتات «الفتاري ماكروفيلا» والتي تستخدم في بعض أنواع السواك، وذلك لدراسة مدى فعاليتها ضد أمراض السرطان. وكانت النتائج تدل على وجود مركبات كيميائية في هذه النباتات تمنع نمو بعض أنواع الأمراض السرطانية. وبالتالي ثبت أن الذين يستخدمون السواك باستمرار أقل عرضة لإصابة بسرطان الفم من الذين لا يستخدمون السواك. (ك).

❀ ❀ ❀

أفضل كيفيات إتيان الرجل لأهله

الزواج سُنَّة الله تعالى في خلقه. جعله الله تعالى نعمة لعباده المؤمنين، لتسكن به نفوسهم، وترتاح به قلوبهم ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: 21].

والزواج الناجح الموفق، لا بُدَّ له من لقاء دافئ، في فراش ملؤه المحبة والشوق والوئام. ومن مقدمات معرفية لئلا يقع المرء في ما هو منفِّرٌ، يُباعد كلا الطرفين عن بعضهما البعض.

وفي ذلك يقول ابن ميمون ـ رحمه الله تعالى ـ مشيراً إلى أفضل كيفيات الجماع بقوله:

ثُمَّتَ يَعلُو فَوقَهَا بِلِينِ رَافِعَةَ الرِّجلَينِ عُواتَبِينِ
رَافِعَةَ العَجُوزِ[1] بِالوِسَادَةِ سَاقِطَةَ الرَّأسِ فَعُوا الإفَادَةِ

(1) العَجُزُ ـ بضم الجيم ـ مُؤخر الشيء. يُذكَّر ويؤنَّث، وهو للرجل والمرأة جميعاً.

قال الإدريسي: فأخبر رحمه الله، أن العروس إذا فرغ من جميع ما تقدم فإنه يمضي إلى شأنه، وما أحل الله ﷻ له. فتستلقي المرأة على الفراشِ الرطب، ويعلو الرجل فوقها، ويكون رأسها منكوساً إلى أسفل، ويرفع وركها بالوسادة. وهذه الهيئة التي ذكرها الناظم رحمه الله، هي ألذ هيئات الجماع كما قاله الرازي. وهي المختارة عند الفقهاء والأطباء. قال في «شرح الوغليسية»: ولا يجعلها فوقه لأن ذلك يورث الاحتقان، بل مستلقية رافعة رجليها، فإن ذلك أحسن هيئات الجماع. اهـ.

قال ابن يامون:

وحَــرّكِ الــسّــطــحَ ولا تُــبَــالِ ودُم لا تَــنــزع إلــى الإنْــزَالِ

وَهُــزّ يَــا صَــاح عَــجُــوزَهَــا

قال الإدريسي: فأخبر رحمه الله: أنه يُطلَب من الزوج عند إرادة الجماع، أن يأخذ ذَكَرَهُ بشماله، ويحث برأس الكمرة سطح الفرج، ويدغدِغَه، ثم يُرسله فيه ولا ينزعه حتى يُنزل. فإذا أحس بالإنزال، أدخل يده تحت وركها، ويهزها هزاً شديداً، فإنهما يجدان لذلك لذة عظيمة لا توصف. قال: وينبغي للمرأة أن تضم فرجها على الذكر عند الإنزال، وتشده شداً، فإنه في غاية اللذة للرجل.

ثم قال ابن يامون:

فَـإن تَـكُـن أَنْـزَلـتَ قَـبـلَـهَـا فَـلاَ تَـنـزع وَعَـكـسُ ذَا بِـنَـزع يـجـتَـلاَ

عَـلاَمَـةَ الإنـزَالِ مِـنـهـا يَـا فَـتـى عَـرقُ جَـبـيـنِـهَـا وَلَـصْـقـهَـا أَتـى

قال الإدريسي: فأخبر أن الزوج إذا أنزل قبل زوجته، فإنه يُطلب منه أن يمهل حتى تُنزل، لأن ذلك، هو السُنَّة. قال: وأخبر أن علامة إنزالها، عرق جبهتها والتصاقها بالرجل، ومن ذلك استرخاء مفاصلها، واستحياؤها من النظر في الرجل، وربما أخذتها رعدة. وأشار بقوله:

وُيـوجِـبُ الـوِدَادُ جَـمـعَ الـمَـاءِ وبُـعـدُهُ يُـؤَدِّي لِـلْـبَـغـضَـاءِ

إلى أن اجتماع ماء الرجل وماء المرأة، موجب للمحبة وضد ذلك موجب للفرقة. قال في «الإيضاح»: ومتى اجتمع الماء منه ومنها في وقت واحد، كان ذلك هو الغاية في حصول اللذة والمودة والتعطف وتأكيد المحبة. وإن اختلفا اختلافاً قريباً كانت اللذة والمودة على قدر ذلك، وإن كان بينهما بون بعيد، فما أقرب تباعدهما، وما أسرع الفرقة بينهما. اهـ.

وفي الحديث: «**إذا علا ماءُ الرجُلِ ماءُ المرأةِ، أشْبَهَ الولدُ أعمامَهُ، وإذا علا ماءُ المرأةِ ماءُ الرجلِ، أشبهَ الولدُ أخوالَهُ**».

فائدة: قال الإمام أبو عبد الله بن الحاج في «المدخل»: وأنت مُخَيَّرٌ بين أن يكون الوطء أول الليل أو آخره، لكن أول الليل أولى، لأن وقت الغُسل يبقى زمانه مُتسعاً، بخلاف آخر الليل، فربما يضيق الوقت، وتفوته صلاة الصبح في الجماعة، أو يخرجها عن وقتها المختار. اهـ.

قال الإدريسي: وأيضاً الجماع في آخر الليل يكون عقب نوم، فتتغير رائحة الفم، فيؤدي إلى المنافرة، والمراد الألفة والمحبة.

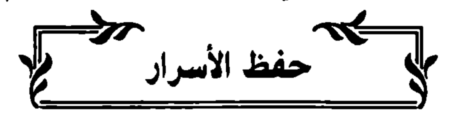
وقال ابن برهان: لا يجوز أن يطأها ومعها في البيت أحد حتى الطفل الصغير إذا كان يُميِّز، ولا يطأها مع أمنه من الخادم باستغراقها في النوم. وأهل البوادي كأهل المدن، فمن أراد أن يطأ زوجته، فلا يكون معه في البيت أحد.

تنبيه: قال ابن يامون:

وَطْءٌ بِشَهْوَةٍ حَرَام وَكَذَا إتيَانِهَا بعد احتلامٍ فَخُذَا

قال الإدريسيَ: أخبر رحمه الله، أنه يحرم للزوج أن يأتي زوجته ويجعل بين عينيه غيرها لأن ذلك نوع من أنواع الزنا. قال في «المدخل»: وليحذر مما عمَّت به البلوى، وذلك أن الرجل إذا رأى امرأة، وأتى أهله، جعل بين عينيه تلك المرأة التي رآها، وهذا نوع من الزنا. اهـ.

وكذا يُكره للزوج أن يأتي زوجته بعد احتلام، حتى يغتسل أو يغسل فرجه، أو يبول، قيل إن ذلك يورث الجنون في الولد. والله تعالى أعلم.



حفظ الأسرار

كم وكم من قتيل أهلكه إفشاء سره. وكم وكم من بيوت خُربت بسبب إفشاء الأسرار. وكم وكم من مؤسسة عامرة، دمرها إفشاء أسرارها. وهكذا... فحفظ الأسرار وكتمانها، عامل أساسي في ديمومة البقاء ـ ولا بقاء إلا لله العظيم ـ.

وفي الحديث الصحيح، عن ابن عباس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان**».

وفي هذا يقول الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: رأيت أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرهم، فإذا ظهر عاتبوا من أخبروا به. فواعجباً، كيف ضاقوا بحبسه ذُرْعاً ثم لاموا من أفشاه. وفي الحديث: «**استعينوا على قضاء أموركم بالكتمان**».

ولعمري إن النفس يصعب عليها كتم الشيء، وترى بإفشائه راحة، خصوصاً إذا كان مرضاً أو هماً أو عشقاً. وهذه الأشياء في إفشائها قريبة. إنما اللازم كتمانه احتيال المحتال فيما يريد أن يحصل به غرضاً. فإن من سوء التدبير إفشاء ذلك قبل تمامه، فإنه إذا ظهر بَطَلَ ما يريد أن يفعل، ولا عذر لمن أفشى هذا النوع.

وقد كان النبيّ ﷺ إذا أراد غزواً ورّى بغيره[1].

فإن قال قائل: إنما أحدث من أثق به. قيل له: وكل حديث جاوز الاثنين شاع، وربما لم يكتم صديقك. وكم قد سمعنا من يحدث عن الملوك بالقبض على صاحب فَنَمَّ الحديث إلى الصاحب وهرب ففات السلطان مراده. وإنما الرجل الحازم الذي لا يتعداه سره ولا يفشيه إلى أحد. ومن العجز إفشاء السر إلى الولد والزوجة. والمال من جملة السر. فإطلاعهم عليه يجر المتاعب إن كان كثيراً فربما تمنوا هلاك الموروث. وإن كان قليلاً تبرموا بوجوده. وربما طلبوا من الكثير على مقدار كثرته فأتلفته النفقات. وستر المصائب من جملة كتمان السر؛ لأن إظهارها يسر الشامت ويؤلم المحب. وكذلك ينبغي أن يكتم مقدار السن، لأنه إن كان كبيراً استهرموه وإن كان صغيراً احتقروه.

وما قد انهال فيه كثير من المفرطين أنهم يذكرون بين أصدقائهم أميراً أو سلطاناً فيقولون فيه فيبلغ ذلك إليه فيكون سبب الهلاك. وربما رأى الرجل من صديقه إخلاصاً وافياً فأشاع سره. وقد قيل:

احذر عدوكَ مرةً ... واحذر صديقَك ألفَ مرة
فلربما انقلبَ الصديقُ ... فكان أدرى بالمضره

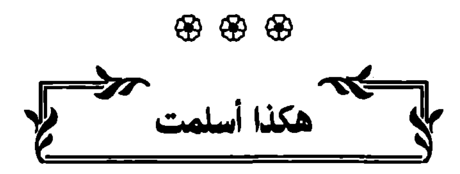
---

(1) رواه البخاري (2947) ومسلم (2769)، وغيرهما من حديث كعب ابن مالك ـ رضي الله عنه ـ حين تخلّف عن رسول الله ﷺ يوم تبوك ـ قال: ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوةً إلا ورّى بغيرها.

ورُبَّ مفش سرَّه إلى زوجة أو صديق فيصير بذلك رهيناً عنده، ولا يتجاسر أن يطلّق الزوجة، ولا أن يهجر الصديق، مخافة أن يظهر سره القبيح. فالحازم من عامل الناس بالظاهر، فلا يضيق سره في صدره. فإن فارقته امرأة أو صديق أو خادم لم يقدر أحد منهم أن يقول فيه ما يكره. ومن أعظم الأسرار الخلوات، فليحذر الحازم فيها من الانبساط بمرأى من مخلوق. ومن خلق له عقل ثاقب دله على الصواب قبل الوصايا. انتهى.

أقول: وقد قيل في الأمثال: لسان العاقل في قلبه، وقلبُ الأحمق في فمه. وقيل: صدور الأحرار، قبول الأسرار. وقيل: الرجل الحازم، هو الذي يُعامل الناس بالظاهر، ولا يضيق سره في صدره.

❀ ❀ ❀



هكذا أسلمت

الأخت مريم... ولدت في 25 نوفمبر/ تشرين الثاني سنة 1968.

وهنا جاءت القصة إليّ، لم أكن أعلم عنها شيئاً.

الأخت مريم عمرها قارب العشرين عاماً. كانت لابسة لباساً أكثر حشمة من كل النساء اللاتي قابلتهن ـ أعني المسلمات وإن كن كلهن محتشمات ـ وكنت أظن أنها هولندية الأصل وأنها أسلمت حديثاً، ولكن ملامحها تدل أنها عربية، ولكني سألتها ـ كما أسأل غيرها من الهولنديات المسلمات ـ متى سمعت عن الإسلام؟.

فقالت: أبي مسلم، وأمي هولندية!.

قلت: أبوك مسلم؟ قالت: نعم.

قلت: من أين؟ قالت: من المغرب.

قلت لها: إذاً أنت مسلمة أساساً ولم تسلمي حديثاً.

قالت: أنا أريد أن أسلم ولكني لم أعلن إسلامي إلى الآن ولم أقم بأعمال الإسلام.

قلت: كيف وأبوك مسلم؟.

موضوع الإسلام والمسلمين في هذا البلد، فإذا طلب منكم المسلمون مسجداً واحداً فأعطوهم مسجدين! فإن المهم هو أولادهم الصغار وهم تحت أيديكم وفي مدارسكم، تستطيعون أن توجهوهم كما تريدون، وأما آباؤهم فسينقرضون.

تنبيه ـ هل سيعي هذا الكلام المسلمون الذين استوطنوا أوروبا وأنجبوا ولا زالوا ينجبون أولاداً لتكون عاقبتهم تكثير سواد الكفار بهم، بسبب ضياعهم وعدم التربية الإسلامية اللازمة لهم إما عجزاً وإما إهمالاً؟ وهل يعي ذلك المسلمون الذين عندهم القدرة على إنقاذ هذا الشباب من الكفر بالدعوة والتعليم أو المال، وهذا واجبهم الذي سيحاسبهم الله عليه؟!. (هـ).



التأثير المفتر للتدخين على الجهاز العصبي لدى المدخنين

لا بُدَّ لنا أولاً أن نذكر بعض أسرار صناعة السجائر. فالتبغ يُترَك عدة سنوات يتخمر فيها (تعتيق) ويضاف إليه كميات من النبيذ، والخميرة، والمبيدات الحشرية، ومركزات النيكوتين، والنشادر، والأمونيا، وحوالي (600) مادة أخرى. ونسرد الآن بعض المشاهدات الطبية التي تؤكد على أن النيكوتين مادة مسببة للإدمان، وهو من أشباه القلويات:

1 ـ عند زرق (1,5 ملجم نيكوتين) ـ متوسط ما تحتويه السيجارة، وريدياً فإن الشخص يشعر بشعور مماثل لتأثير المورفين والأمفيتامين.

2 ـ إذا توقف المدخن عن التدخين لعدة ساعات ينتابه اضطراب، وتوتر عصبي حاد مع شعور بالغثيان ودوار بالرأس مع صداع شديد، وفقدان القدرة على التركيز. وعندما يعود لتدخين سيجارة يصاحب ذلك ارتفاع حاد في منسوب إفرازات الغدة الكظرية والمرسلات العصبية. ولا يستغرق النيكوتين أكثر من (8 ثوان) حتى يحدث تأثيراته العصبية.

3 ـ يسبب النيكوتين الشعور بالغثيان، والقيء، وفقدان الشهية نتيجة تأثيره المباشر على الجهاز العصبي المركزي، وعندما يقلع المدخن عن التدخين يزداد وزنه بمعدل (1,8 كجم) مع عودة الشهية للطعام طبيعية.

4 ـ عند رسم المخ والعضلات كهربائياً نجد أن للنكوتين تأثيرات سلبية على الجهد الكهربي والعضلي.

5 ـ كما أن النيكوتين يؤثر على المشابك العصبية الموجودة قبالة وبعد العقد السمبثاوية وجار السمبثاوية مما يؤدي إلى فتور الجهاز العصبي المستقبل.

وبينما تتمثل أعراض التسمم البسيط بغثيان ودوار بالرأس، وصداع شديد، وزيادة إفراز اللعاب وقيء، وإعياء شديد ثم تعرُّق كثيف وزيادة ضربات القلب، وانخفاض ضغط الدم، واضطراب التنفس، وأخيراً هبوط دوراني، فإن تناول (50 ملجم) فقط من النيكوتين بالفم تؤدي حتماً للوفاة.

وبعد فهل هناك شك في أن النيكوتين مهلك، وليس مفتراً فقط؟ ونستحضر هنا قوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195]. (ن).



من قارب الفتنة يوشك أن يقع فيها

روى البخاري (2051) ومسلم (1599)، وغيرهما من حديث النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النَّبيَّ ﷺ **«الحلالُ بيِّنٌ، والحرامُ بيِّنٌ، وبينهما أمور مشتبهة. فمن تركَ ما شُبِّه عليه من الإثم؛ كان لما استبانَ أترك. ومن اجترأ على ما يُشكُّ فيه من الإثم أوشكَ أن يواقع ما استبان. والمعاصي حمى الله، من يرتع حول الحمى يوشك أن يُوَاقِعَهُ»** لفظ البخاري.

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ:

من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة. ومن ادعى الصبر وُكِّلَ إلى نفسه. ورب نظرة لم تناظر![1]

وأحق الأشياء بالضبط والقهر اللسان والعين. فإياك إياك أن تغتر بعزمك على ترك الهوى، مع مقاربة الفتنة؛ فإن الهوى مكايد. وكم من شجاع في صف الحرب اغتيل فأتاه ما لم يحتسب ممن يأنف النظر إليه! واذكر حمزة مع الوحشي

(1) ورب نظرة لم تناظر: أي لم يكن لها نظير ومثيل من حيث إنها كانت سبباً لضرر عظيم.

فـتـبـصّـر ولا تـشـمّ كـل بـرقٍ … رُبَّ بـرقٍ فـيـهِ صـواعـق حـيـنِ[1]
واغـضُـض الـطـرْفَ تـسـترِحْ مـن غـرامٍ … تـكـتـسـي فـيـه ثـوب ذلّ وشـيـنِ[2]
فـبـلاء الـفـتـى مـوافـقـة الـنـفـ … س وبـدءُ الـهـوى طـمـوحُ الـعـيـنِ

مفارقات وإعجاز

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا﴾ [الرعد: 3] وقال بعده: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: 3-4].

للسائل أن يسأل عن قوله. ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ وقوله في الآية التي بعدها ﴿يَعْقِلُونَ﴾ هل كان يصح أحدهما مكان الآخر؟

الجواب: أن يقال: إن التفكر هو المؤدي إلى معرفة الشيء والعلم بالآيات التي تدل على توحيد الله تعالى، وهو قبل فإذا استعمل على وجهه عقل ما، جُعلت هذه الأشياء أمارة له ودلالة عليه، فبدأ في الأول بما يحتاج إليه أولاً من التفكر والتدبر المفضيين بصاحبهما على إدراك المطلوب، وخص الآخر بما يستقر عليه آخر التفكر من إدراك سكون النفس إلى عرفان ما دلت الآيات عليه، فكان في تقديم ما قدم وتأخير ما أخر إشارة إليه. (خ)

❀ ❀ ❀

توبة سفاح

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر 53].

«يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان فيك، ولو أتيتني بملء الأرضِ خطايا، لقيتك بملء الأرض مغفرة ما لم تشرك بي، ولو بلغت خطاياك عنان السماء، ثم استغفرتني لغفرت لك»

---

(1) حين ـ بالفتح ـ أي هلاك.
(2) مشين ـ بالفتح ـ أي عيب.

ما أجمل التوبة بعد الندم، وما أجمل الندم بعد المعصية. فلا إصرار، ولا استكبار، ولا عناد. بل إذعان للخالق الديَّان. فإنك مهما كنت، ومهما فعلت، فإنك صائرٌ إلى الله الرحيم. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الشورى: 25].

روى البخاري (3470) ومسلم (2766)، وغيرهما من طريق قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الصدّيقِ، عَن أَبي سَعِيد الخُدرِيّ؛ أن نَبِيّ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَن كَانَ قَبلَكُم رَجُلٌ قَتَلَ تسعَةً وَتِسعِينَ نَفساً، فَسَأَلَ عَن أعلَم أهلِ الأرضِ فَدُلّ على رَاهِبٍ. فَأتاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسعَةً وَتِسعِينَ نَفساً. فَهَل له مِن تَوبَةٍ؟ فَقَالَ: لا. فَقَتَلَهُ. فَكَمّلَ بِهِ مِائَةً. ثم سَأَلَ عَن أعلَمِ أهلِ الأرضِ فَدلّ على رَجُلٍ عَالِمٍ. فَقَالَ: إِنّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفسٍ. فَهَل لَهُ مِن تَوبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَم. وَمَن يَحُولُ بَينَهُ وَبَينَ التوبَةِ؟

انطَلِق إِلَى أَرضِ كَذَا وَكَذَا. فَإِن بِهَا أُناساً يَعبُدُونَ الله فَاعبُدِ الله مَعَهم. وَلاَ تَرجِع إِلَى أَرضِكَ فَإِنّهَا أَرضُ سَوءٍ. فَانطَلَقَ حَتَى إِذَا نَصَفَ الطرِيقَ أَتَاهُ المَوتَ. فَاختَصَمَت فِيهِ مَلاَئكَةُ الرّحمَةِ وَمَلاَئكَةُ العَذَابِ. فَقَالَت مَلاَئكَةُ الرّحمَةِ: جَاءَ تَائِباً مُقبِلاً بقَلبِهِ إِلَى الله. وَقَالَت مَلاَئِكَةُ العَذَابِ: إِنّهُ لَم يَعمَل خَيراً قَط. فَأَتاهُم مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدمِي فَجَعَلُوهُ بَينهُم. فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَينَ الأرضَينِ. فَإِلَى أيتِهِمَا كَانَ أدنَى، فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أدنَى إِلَى الأرضِ التِي أَرَادَ. فَقَبَضَتهُ مَلاَئِكَةُ الرّحمَةِ».

قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الحَسَنُ: ذُكِرَ لَنَا؛ إِنّهُ لَمّا أَتَاهُ المَوتُ نَأَى بِصَدرِهِ.

❀ ❀ ❀

مدح الصبر والحث عليه

﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: 96]. ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: 35]. ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 12]. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: 146]. وفي «التبصرة»:

الصبر في اللغة: الحبس، وكل من حبس شيئاً فقد صبره. ومنه المصبورة التي نهي عنها، وهي الدجاجة ونحوها، تتخذ غرضاً وترمى حتى تقتل. وسمّي رمضان شهر الصبر، لأنه شهر تحبس فيه النفس عمّا تُنازعُ إليه من المطعم والمشرب والمنكح،

والصابر حابس لنفسه عمّا تنازع إليه من المشتهى، أو شكوى ألم. وسمي الصابر في المصيبة صابراً لأنه حبس نفسه عن الجزع.

وحكى أبو بكر بن الأنباري عن بعض العلماء أنه قال: إنما سمي الصبر صبراً لأن تمرّدَه في القلب وإزعاجه للنفس كتمرر الصبر في الفم.

واعلم، وفقك الله، أن الصبر مما يأمر به العقل، وإنما الهوى ينهى عنه، فإذا فوضلت فوائد الصبر وما تجلب من الخير عاجلاً وآجلاً، بانت حينئذ فضائل العقل وخساسة الهوى.

واعلم أن الصبر ينقسم قسمين: صبر عن المحبوب وصبر على المكروه.

فالطاعة مفتقرة إلى الصبر عليها، والمعصية مفتقرة إلى الصبر عنها. ولما كانت النفس مجبولة على حب الهوى فكانت بالطبع تسعى في طلبه، افتقرت إلى حبسها عمّا تؤذي عاقبته. ولا يقدر على استعمال الصبر إلا من عرف عيب الهوى وتلمَّح عقبى الصبر، فحينئذ يهون عليه ما صبر عليه وعنه.

وبيان ذلك بمثَل، وهو أن امرأة مستحسنة مرّت على رجلين، فلما عرضت لهما اشتهيا النظر إليها، فجاهد أحدهما نفسه وغضَّ بصره، فما كانت إلا لحظة ونسي ما كان، وأوغل الآخر في النظر، فعلقت بقلبه فكان ذلك سبب فتنته وذهاب دينه.

فبان لك أن مداراة المعصية حتى تذهب، أسهل من معاناة التوبة حتى تقبل. وقد قال بعض السلف: من تخايل الثواب خفَّ عليه العمل.

فصل: قد حثّ الله ﷻ على الصبر في كتابه وأمر به ومدح أهله. فهو مذكور في نحو من سبعين موضعاً من القرآن. وهو في الحديث المنقول كثير. وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أُعطي أحدٌ عطاء خيراً وأوسع من الصبر**».

وقال علي رضي الله تعالى عنه: اعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

ألا وإنه لا إيمان لمن لا صبر له.

وقال الأشعث بن قيس: إنك إن صبرت إيماناً واحتساباً، وإلا سلوت كما تسلو البهائم.

❁ ❁ ❁

فضيلة المساجد

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: 18] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: 36 ـ 37]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18].

قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32]، وقال: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: 225]، ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: 284]، وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: 235]، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 154]، ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: 283]، وقال: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**التَّقْوَىَ ها هُنَا**» وأشار إلى صَدْرِهِ[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى صوَركم وأموَالِكم، ولكنْ يَنْظر إلى قلوبِكم وأعْمَالِكم**»[2]. فالقلوبُ مصدرُ كُلِّ خيرٍ وشرّ. فَنسأل اللهَ تعالى أنْ يُصْلِحَ قلوبَنا، ويَغْفِرَ ذُنُوبَنا، ويَسْتُرَ عُيُوبَنا، ويَحفَظ غُيُوبنا[3]؛ إنه على كُلِّ شيءٍ قدير. (س).

❀ ❀ ❀

لا تحزن وإن اختلط عملك الصالح بآخر سيئاً

قال الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 102].

---

(1) جزء من حديث رواه مسلم (2564)، وغيره من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(2) أخرجه مسلم (2564) في (البر والصلة)، باب: تحريم ظلم المسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) «غُيُوب»: جمع «غيب»: وهو كل ما غاب عن الإنسان سواء كان محَصَّلاً في القلوب أم غير مُحَصَّل.

روى البخاري (4674) والنسائي (11226/ 6)، وغيرهما من حديث سَمُرَةَ بنِ جُندُبٍ رَضِيَ الله عَنهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ لَنَا: «**أَتَانِي اللَّيلَةَ آتِيَانِ فَابتَعَثَانِي فَانتَهَيَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبنِيةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضةٍ، فَتَلَقَّانَا رِجَال: شَطرٌ مِن خَلقِهم كَأَحسَنِ مَا أَنتَ رَاءٍ، وَشَطرٌ كَأَقبَحِ مَا أَنتَ رَاءٍ، قَالا لَهُم: اذهَبُوا فَقَعُوا في ذَلِك النّهرِ فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمّ رَجَعُوا إِلَينَا قَد ذَهَبَ ذلِكَ السوءُ عَنهم، فَصَارُوا فِي أَحسَنِ صورَة قَالا لِي: هذِهِ جَنّةُ عَدنٍ وَهَنَاكَ مَنزِلُكَ قَالا: أَمّا القَومُ الذِينَ كَانُوا شَطر مِنهم حَسَن وَشَطر مِنهُم قَبِيحٌ فَإِنّهُم خَلطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيئاً تَجَاوَزَ الله عَنهم**». لفظ البخاري.

❀ ❀ ❀

حرمة الكبر وغليظ عقوبته ومآل المتكبر

الكبر... هذا المرض العُضال، والذي يفتك أول ما يفتك بصاحبه. بدأ بإبليس اللعين، وانتهى به وبأتباعه إلى جهنم وبئس المصير.

قال الله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: 71 ـ 78].

وقال الله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: 146].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر: 35].

وقال تعالى: ﴿فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: 29].

وقال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 60].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ [النحل: 23].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾ [لقمان: 18].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: 8 ـ 9].

وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد (7386) ومسلم (2620)، وغيرهما من حديث أَبي هُريرَةَ رَضيَ اللهُ عَنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ ﷻ، الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، والْعَظَمَةَ إِزاري، فَمَنْ نَازَعَني وَاحِداً مِنهُمَا قَذَفْتُهُ في النَّارِ»[1].

ـ وَعَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُود رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَدخُلُ الجَنّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلبِهِ مِثقَالَ ذَرَّةٍ مِن كِبرٍ**».

ـ وعن حَارِثَة بنِ وَهب الخُزَاعِيّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: سَمِعتُ النبيّ ﷺ يَقُولُ: «**أَلا أُخبِرُكُمْ بِأَهلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَو أَقسَمَ على الله لأبَرَّهُ، أَلا أخبِرُكُمْ بِأَهلِ النّارِ؟ كُل عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستكبِرٍ**»[2].

ـ وعن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**احتَجّتِ النّارُ والجَنَّةُ. فَقَالَت هذِهِ: يَدخُلُنِي الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتْ هذِهِ: يَدْخُلُنِي الضعَفَاءُ وَالمَسَاكِينُ. فَقَالَ اللهُ**، ﷻ، لِهذِهِ: أَنتِ عَذَابي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاء ـ ورُبّمَا قَالَ: أُصِيبُ بكِ مَنْ أَشَاءُ ـ وَقَالَ لِهذِهِ: أَنتِ رَحمتِي أَرحَمُ بِكِ مَن أَشَاءُ. ولِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا»[3].

ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، ﵄، عن النبيّ ﷺ، قَالَ: «**إِنّ أَهْلَ النَّارِ كل جَعظَرِيّ جَوّاظٍ مُسْتَكْبر، جَمَّاع مَنَّاع، وأهلُ الجنَّةِ الضعفاءُ المغلوبون**»[4].

ـ وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِم وَلا يَنْظُرُ إِلَيهِم وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ، شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»[5].

ـ الكبر: بكسر الكاف وسكون الموحدة ثم راء، قال الراكب ـ رحمه الله تعالى ـ: الكبر والتكبر والاستكبار متقارب، فالكبر الحالة التي يختص بها الإنسان من

---

(1) أخرجه مسلم (91/ 149) وأحمد (3789) وأبو داود (4091) والترمذي (1999) وغيرهم.

(2) رواه البخاري (4918) ومسلم (2853) وغيرهما.

(3) رواه أحمد (8170/ 3) والبخاري (4850) ومسلم (2846) وغيرهم.

(4) رواه أحمد (7030/ 2) بإسناد صحيح.

(5) رواه مسلم (107) وأحمد (9600/ 3).

إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره. وأعظم ذلك أن يتكبر على ربه بأن يمتنع من قبول الحق والإذعان له بالتوحيد والطاعة. والتكبر يأتي على وجهين: أحدهما أن تكون الأفعال الحسنة زائدة على محاسن الغير ومن ثم وصف سبحانه وتعالى بالمتكبر، والثاني أن يكون متكلفاً لذلك متشبعاً بما ليس فيه، وهو وصف عامة الناس نحو قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35]. والمستكبر مثله.

وقال الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ: الكبر على قسمين: فإن ظهر على الجوارح يقال تكبر، وإلا قيل: في نفسه كبر. والأصل هو الذي في النفس وهو الاسترواح إلى رؤية النفس، والكبر يستدعي متكبراً عليه يرى نفسه فوقه ومتكبراً به، وبه ينفصل الكبر عن العجب، فمن لم يخلق إلا وحده يتصور أن يكون معجباً لا متكبراً.

ـ وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ أي وكذلك كما طبع على قلوب المجادلين المعاندين للحق يختم بالضلال على قلب كل متكبر عن الإيمان، متجبر على العباد، حتى لا يعقل الرشاد، ولا يقبل الحق، وإنما وصف القلب بالتكبر والجبروت، لكونه مركزهما، ومنبعهما، وهو سلطان الأعضاء، فمتى فسد فسدت سائر الأعضاء. والله أعلم. وفي هذا تهديد شديد ووعيد أكيد بالطمس على قلب كل متكبر، ومن طمس على قلبه وختم عليه كان من الهالكين. والله تعالى أعلم.

ـ وقوله تعالى: ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي بئست جهنم مقراً ومقاماً للمتكبرين عن طاعة الله تعالى. والله أعلم[1].

من أضرار التدخين

إنَّ أكثر ما يفسد القلب والجهاز التنفسي هو التدخين. فمن بين (4) آلاف مادة ضارة بالتدخين نذكر الآتي:

1 ـ أول أوكسيد الكربون

يؤدي التدخين إلى زيادة الكربوكسيد ـ هيموجلوبين فترتفع من أقل من (1%) إلى أكثر من (5 %) في المدخنين ويؤدي ذلك إلى التغيرات الآتية:

(1) «جامع المهلكات من الكبائر والمحرمات» (ص. 409/ 411) مختصراً.

(أ) **قلة الأوكسجين** المتاح للأنسجة لأن شغوف الخضاب بأول أوكسيد الكربون يفوق شغوفه بالأوكسجين. ولهذا فإن اللياقة البدنية والقدرة على أداء المجهود تكون أقل بين المدخنين.

(ب) **تزداد الترسبات الدهنية بجدران الأوعية الدموية** مما يعجل بظهور تصلب الشرايين وما يترتب عليه من أمراض الشرايين التاجية بالقلب وأوعية المخ الدموية.

2 ـ النيكوتين

وله تأثير مباشر على إفرازات الغدة الكظرية، وتزداد معه ضربات القلب بمعدل (15 ـ 20 نبضة بالدقيقة)، ويرتفع ضغط الدم بنسبة (15%) أو أكثر كما أنه يحث على انقباض الأوعية الدموية مما يسبب قصوراً بالتروية الدموية، ومقدار ما تحتويه سيجارة واحدة من النيكوتين يكفي لموت الإنسان إذا أعطي بالوريد. ويلعب النيكوتين دوراً هاماً في إحداث التعود ثم الإدمان للتدخين لما يحدثه من تأثيرات نفسية متغيرة. ولهذا يواظب المدخن على التدخين كل (20 ـ 30) دقيقة.

3 ـ السيانيد

يؤدي غاز السيانيد إلى تلف العصب البصري مما ينتج عنه فقدان البصر وخاصة بين المدخنين النباتيين الذين يعانون نقصاً في فيتامين (ب 12).

4 ـ القطران (التار)

ويحتوي على مادة بتروبيرن التي تؤدي إلى حدوث سرطان الرئة والفم والحنجرة والمريء والمثانة البولية.

5 ـ مواد مهيجة مختلفة

تؤدي إلى انقباض الشعيبات الهوائية وضيق التنفس وفشل عمل الخلايا الهدبية التي تزيل البلغم والأجسام الغريبة والبكتريا والفيروسات. وبالأرقام سوف نتعرف على مدى خطورة التدخين لتكون كافية لردع الشبهات حول الضرر الذي من أجله يحرمها الفقهاء.

(أ) السرطان

يعتبر التدخين أحد الأسباب الهامة المسببة للعديد من السرطانات، وخاصة أن مادة القار هي التي تسبب هذا الخطر.

1 ـ **سرطان الرئة**: (85%) من حالات سرطان الرئة تنتج أساساً من التدخين، وفي الاحتفال الماسي بعد قرابة (100) سنة من صنع أول ماكينة لصنع السجائر سنة 1880، وجد أن عدد حالات سرطان الرئة التي تم تشخيصها سنة 1912 كان (314) حالة على مستوى العالم كله، بينما وصل عدد الحالات التي تم تشخيصها سنة 1985 في الولايات المتحدة الأميركية (135،000) حالة.

وتبعاً لعدد السجائر تزداد خطورة التعرُّض لسرطان الرئة، فإذا زاد عددها إلى (45) سيجارة يومياً أو أكثر لمدة (20) سنة أو أكثر وصلت نسبة الخطورة إلى (65 ـ 70) ضعف حدوثها في غير المدخنين.

2 ـ **سرطان الحنجرة**: ويمثل التدخين السبب الأول الرئيسي مثل حالات سرطان الرئة، حيث تتضاعف نسبة حدوث هذا السرطان (4 ـ 10) أضعاف بين المدخنين.

3 ـ **سرطان الفم واللسان**: تزداد نسبة التعرض لهذا السرطان بين المدخنين (إلى خمسة أضعاف) حدوثها بين غير المدخنين، وتزداد نسبة التعرض إذا اقترنت عادة التدخين مع إدمان الكحوليات، فتزداد الإصابة بسرطان الحنجرة والفم واللسان.

4 ـ **سرطان المثانة والكلى**: وتبلغ نسبة الوفاة من سرطان المثانة والفم واللسان والحنجرة أكثر من (20) ألفاً سنوياً بالولايات المتحدة.

5 ـ **سرطان المعدة والبنكرياس وعنق الرحم**.

وبإيجاز فإن السجائر مسؤولة عن وفاة (30%) من مرضى السرطان في الولايات المتحدة الأميركية، وبالعموم فالتدخين يتسبّب في وفاة (300,000) شخص سنوياً (6/1) من مجموع الوفيات في الولايات المتحدة. وبالعموم يفقد المدخن (5،5) دقيقة من عمره لكل سيجارة يدخنها.

(ب) التهاب الرئة

تتسبب السجائر في وفاة (65,000) شخص سنوياً من التهاب الشعب الهوائية وانتفاخ الحويصلات الهوائية، وما يترتب عليها من فشل في جهاز التنفس.

(ج) القلب

1 ـ مرض الشريان التاجي: تتضاعف خطورة الإصابة بهذا المرض بين المدخنين، وخاصة إذا اقترنت مادة التدخين بأحد العوامل الأخرى. فمثلاً تزداد نسبة الإصابة إلى (3) أضعاف بين المدخنين الذين لديهم ارتفاع في كولسترول الدم، وإلى (5) أضعاف إذا كان المدخن يعاني من ارتفاع ضغط الدم، وتتضاعف نسبة الخطورة إلى (8 ـ 10) أضعاف إذا كان المدخن يعاني من ارتفاع ضغط الدم مع ارتفاع الكولسترول بالدم. . . ومن عوامل الخطورة زيادة ترسّب الصفائح الدموية، وارتفاع الهيموكرايت بالدم مما يعجل بحدوث تخثر الدم بالأوعية الدموية.

2 ـ ارتفاع ضغط الدم.

3 ـ زيادة ضربات القلب.

4 ـ زيادة عتبة التليف البطيني.

5 ـ قصور الشرايين المحيطية، وقد تسبب في الغرغرينا وبتر الأطراف.

(د) المعدة

قد تتسبب السجائر في حدوث تقرحات المعدة والاثني عشر، وقد تكون السبب في فشل العلاج وتأخر الشفاء إذا استمر المريض في التدخين.

(هـ) نقص الفيتامينات: مثل فيتامين (ب 12) وفيتامين ث (ج).

(و) الضعف والوهن الجنسي.

(ز) كثرة الإجهاض وقلة أوزان المواليد وزيادة وفيات حديثي الولادة وزيادة التشوُّهات الخلقية، خاصة بالقلب. وقد وجد أن أوزان المواليد للمدخنات يقل عن أوزان المواليد لأمهات غير مدخنات بحوالي (200) جراماً، كما تزداد أعداد ولادة الأطفال الموتى ووفاة الأطفال حديثي الولادة بنسبة (133%).

(ح) وأخيراً ننوّه بأن أذى وضرر التدخين يمتد إلى من لا يدخنون فقد وجد الأطباء أن أطفال المدخنين أكثر عرضة لنزلات البرد والتهاب الرئة والشعب الهوائية، وخاصة في السنين الأولى.

كما تزداد نسبة الإصابة بسرطان الرئة بين من هم على اتصال مباشر مع المدخنين أثناء التدخين بالرغم من عدم مشاركتهم إياهم بالتدخين.

وكلمة أمل للمدخن: أن بإقلاعه عن السجائر تعود إليه قوته وشهيته ويزداد وزنه ليصبح طبيعياً. فقد وجد الأطباء أن التدخين يسبب زيادة في استهلاك الطاقة عند بذل المجهود يتم توفيرها عند الإقلاع عن التدخين بما يعود بالنفع الكبير على الشخص.

كما وجد أن نسبة الخطورة بالأمراض السابقة تقل تدريجياً بعد (5) سنوات من الإقلاع عن التدخين، ويتحسّن متوسط العمر الذي ينقص بين المدخنين الذين تقل أعمارهم عن (30) سنة ويدخنون (15) سيجارة يومياً فأكثر بفارق (5) سنوات عن نظائرهم من غير المدخنين، وبفارق 8 ـ 9 سنوات للمدخنين الذين تعدوا (35) سنة من العمر ويدخنون (45) سيجارة أو أكثر. (ن).

❁ ❁ ❁

في قصة ثمود

الحمد لله الذي مهَّدَ لطالبيه سبيلاً واضحاً، وكم ابْتَعث نبيًّا مرشداً ناصحاً، فأرسل آدم غادياً على بَنِيه بالتعليم ورائحاً، فخلَفه شِيث ثم إدريس، وجاء نوحٌ نائحاً، وأمَر هوداً بهداية عادٍ فلم يزَلْ مُكادِحاً ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: 73].

أحمده ما بدَا بَرْقٌ لائحاً، وأصلِّي على رسوله محمد ما دام الفَلكُ سابحاً، وعلى صاحبه أبي بكر الصِّديق، وقُلْ في الصِّديق مادِحاً، وعلى عمر الفاروق الذي لم يزَلْ بنور الحق لامِحاً، وعلى عثمان وأعجب بمثل دمه طائحاً، وعلى عليّ وأعْلِن بفضائله صائحاً، وعلى عمه العباس وما زال عَرْف طِيبه نافحاً.

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: 73].

ثمود: هو ابن عابر بن إرم بن سام بن نوح.

والثَّمَد: الماء القليل الذي لا مادة له، وإنما قال ﴿أَخَاهُمْ﴾ لأنه من قبيلتهم.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي وحِّدوه فلم يزدهم دعاؤه إلا طغياناً، فقالوا: ائتنا بآية فاقترحوا عليه ناقةً، فأخرجهم إلى صخرة مَلْساء فتمخَّضت تمخّض الحامِل، ثم انفلقت عن ناقة على الصِّفة التي طلبوها، ثم انفصل عنها فَصِيل فقال ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ أي ليس عليكم مُؤْنتها ولا عَلفها. وتأكلْ مجزومة على جَواب الشرط المقدَّر،

والمعنى إن تذروها تأكل. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ [الأعراف: 73].

وقالوا: يا صالح ائتنا بما تَعِدنا من العذاب، فقال لهم صالح: تمتَّعوا في داركم ثلاثة أيام. ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ [الشمس: 14] أي أطْبق عليهم العذاب.

ولما مرَّ النبي ﷺ على ديارهم قال: «**لا تَدْخلوا على هؤلاء المعذَّبين إلا أن تكونوا باكين**»[1].

اعتبروا إخواني بهؤلاء الهالِكين، وانظروا سوءَ تدبِير الخاسرين، لا بالناقة اعتبروا، ولا لتعويضهم اللبَن شَكروا، وعتَوْا عن النِّعَم وبطروا، وعَموا عن الكرَم فما نَظروا، وأُوعِدوا بالعذاب فما حَذِروا، كلما رأوا آيةً من الآيات كفروا.

والسوء في القرآن على عشرة أوجه: أحدها: الشدة ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: 49]، والثاني: الزنا ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف: 51]. والثالث: البرص ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل: 12]. والرابع: العذاب ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الزمر: 61]. والخامس: الشرك ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ [النحل: 28]. والسادس: السَّب ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الممتحنة: 2]. والسابع: الضرّ ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: 62]. والثامن: الذنب ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: 17]. والتاسع: القتل والهزيمة ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: 174]. والعاشر: العَقْر ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ [الأعراف: 73].

فكانت تشرب ماءَ الوادي كلَّه في يوم وتسقيهم الدَّرَّ مكانه.

قوله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي أنزلكم ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ [الأعراف: 74] السَّهل: ضد الحَزْن. والقصر: ما شِيدَ وعلاَ من المنازل.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: اتخذوا القصور في سهول الأرض للصيف ونقَّبوا في الجبال للشتاء.

قال وهب بن منبِّه: كان الرجل منهم يبني البنيان فيمرّ عليه مائة سنة، فيَخْرب ثم يجدده فيمر عليه مائة سنة فيخرب، فأضْجرهم ذلك، فاتخذوا من الجبال بيوتاً.

---

(1) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد (4561) والبخاري (433) ومسلم (2980) وغيرهم، من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ وتمامه: «**فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم**».

قال علماء السِّيَر: لم يلتفتوا إلى قول صالح واحتالوا على قتله، فذلك قوله تعالى ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ وقعدوا في أصل جبل ينتظرونه، فوقع الجبل عليهم فهلكوا، وأقبل قومٌ منهم يريدون قتلَ الناقة فقال لهم صالح: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ أي احذروا ناقة الله وشِرْبها من الماء. فكمَن لها قاتلُها وهو قَدَّار بن سالِف في أصل شجرة فرماها بسهم فانتظمَ به عضَلةَ ساقها، ثم شَدَّ عليها بالسيف فكشف عُرْقوبَها، ثم نحرَها.

الطبع الخبيث لا يتغيّر، والمقدَّر ضَلاَلُه لا يزال يتحيَّر، خرجت إليهم ناقةٌ من أحسن النِّعم، ودرَّ لبنها لهم فتواترت النِّعَم فكفروا وما شكروا، فأقبلت النِّقَم.

أعاذنا الله وإياكم من الكفران، وحفظنا من مُوجِبات الخسران إنه إذا لطف صان. (ج).

❁ ❁ ❁

قصة إسلام القانوني الياباني: خالد كيبا

في المركز الإسلامي التقينا بالأخ الكريم الأستاذ خالد كيبا، المسؤول عن المركز الإسلامي في مدينة توكوشيما وعن العلاقة بين نفس المركز والمركز الإسلامي في طوكيو، ويحضر صلاة الجمعة كل أسبوع في طوكيو، لعدم وجود جماعة مسلمة تصلي الجمعة في توكوشيما.

ولد الأخ خالد سنة 1932 م في جزيرة شكوكو، درس المراحل كلها إلى الجامعة ـ كلية القانون الياباني ـ وأخذ الماجستير في طوكيو، جامعة شوو (SHOU) في قانون المعاملات في المجتمع الياباني.

سبب إسلام الأخ خالد:

قال: إنه كان يبحث في كتب الديانات البوذية والنصرانية واليهودية والإسلام، فاشتاق لزيارة المسلمين فزار بعض المسلمين في اليابان. وبعد الحرب وخسارة اليابان للمعركة، عرف أن ديانتهم لا فائدة فيها، ورأى بعض كتب الفقه الإسلامي، ولم يكن في باله أن يُسلم، ثم ذهب إلى مسجد طوكيو، والتقى بأخ باكستاني، عمر درزخان، فأخذه إلى حلقة إسلامية، وأستاذها يسمى أرشد، يتحدث باللغة الإنجليزية، وكان الأخ خالد يريد الرجوع إلى منزله بعد انتهاء الحلقة، فأخذه عمر إلى الأستاذ أرشد، وقال

له: إذا كان عندك أي سؤال فاسأل الأستاذ. فسأله عدة أسئلة وأجاب عنها، ولكنه لم يقتنع، فاقترح عليه الأستاذ أرشد أن يمكث معه في بيته لمدة ثلاثة أيام، فمكث معه يومين تعرّف خلالهما على الإسلام واقتنع وأسلم.

موقف أسرته منه:

قال الأخ خالد: عندما علمت عَني أسرتي أنني أسلمت، قالوا لي: نحن طلبنا منك دراسة القانون الأمريكي والقانون الإداري فذهبت تدرس الإسلام. وعارضه والده وأهله جميعاً، وانتقدوا طريقة عبادته، كالصلاة، وطرده أبوه من البيت، وتبرأ منه أهله، فمكث عشر سنين على ذلك ثم مات أبوه وأمه، ولم يكن يوجد مدرس يعلمه الإسلام، وكان مقتنعاً بالإسلام ولم يتراجع عنه على رغم عدم وجود من يشجعه على الاستمرار.

ثم التقى بالأخوة الدعاة المبعوثين من المملكة العربية السعودية عن طريق الأخ عمرميتا ومصطفى كمورا، واضطر أن يترك مدينة كوبى وينتقل إلى مدينة طوكيو من أجل البقاء مع المسلمين، وقد واجه صعوبة في تعلم اللغة العربية التي كان مشتاقاً لتعلمها وفرح بوجود الإخوة العرب هناك، حيث تعلم منهم الشيء الكثير، عن الإسلام والمسلمين. ثبتنا الله تعالى جميعاً على دينه القويم. (هـ).

الأُمّة الوسطُ

قال الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: 143].

ـ وروى البخاري (4487)، وغيره من حديث أَبي سعيدٍ الخُدْري ﷺ، قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «يُدعى نُوحٌ يَومَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيكَ وَسَعدَيكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَل بَلَّغْتَ؟ فيَقُولُ: نَعَم، فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ: هَل بَلَّغَكُم؟ فَيَقُولُونَ: ما أَتَانَا مِن نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَن يَشهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَشهَدُونَ أَنَّهُ قَد بَلَغَ»: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: 143]. فَذلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: 143]. وَالوَسَطُ الْعَدْلُ.

❀ ❀ ❀

الشافعي عند موته

ها هو الفقيه العَلَم ـ محمد بن إدريس الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ يبكي على ذنوبه عند موته، ويرثي حاله لتقصيره تجاه خالته!! يا له من موقف عظيم، من رجل عظيم، يحتضر بين يدي مولاه العظيم!

ففي «تاريخ دمشق» لابن عساكر (50/ 331/ 332)، بإسناده من طريق مُحَمّد بن إسحَاق بن خُزَيمة قال: سمعت إسماعيل بن يَحيى المُزَني قال: دخلت على مُحَمّد بن إدريس الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عَبد الله كيف أصبحت؟ قال: فرفع رأسه فقال: أصبحتُ من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولسوء فعلي ملاقياً، وعلى الله وارداً، ما أدري روحي تصير إلى الجنّة فأهنّيها، أم إلى النار فأُعزِّيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

فلما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلّما

تَعَاظَمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربّي كان عفوك أعظما

فما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تَزَل ... تجود وتعفو منّة وتكرّما

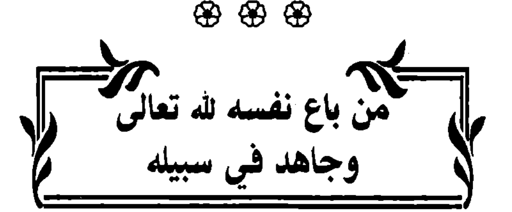
فإنْ تعف عني تعفُ عن متهتّكٍ ... ظلومٍ غشومٍ لا يزايل مأثما

وإن تنتقم مني فلستُ بآيسٍ ... ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما

فلولاك لم يُغوَى بإبليس عالم ... فكيفَ وقد أغوى صفيك آدما

وإنّي لآتي الذنب أعرف قدره ... وأعلمُ أن الله يعفو ويرحما

❀ ❀ ❀



من باع نفسه لله تعالى وجاهد في سبيله

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111].

ـ أن يبيع المرء نفسه لله. . . فهذا من أسمى وأعلى وأرفع مراتب التضحيات. . ولكن كل غالٍ يرخص ويهون أمام رضى الله تعالى وأمره. فبقدر المحبة يكون العطاء. . وما أجمل العطاء إذا كان للمعطي نفسه. إنها قمة المجد، وذروة البذل والعطاء.

والسلعة هي الجنة، والجنة غالية، ورضى الله أغلى. وأمام هذا الغالي تهون الحياة. ويكون البيع والشراء. البائع الذي باع روحه لله. . والمشتري الذي اشترى هو الله. . . وكل شيءٍ من الله وإليه. وهنا يكمن سرُّ الحياة. . ويكمن أيضاً سرُّ العطاء. ويا له من ربح بعد هذا البيع وبعد هذا الشراء. . إنه الرضى والرضوان. . . إنه النعيم المقيم في جنات رب العالمين، إنه السعادة الأبدية السرمدية. . إنه الخلود بجوار الله. . إنه السرور الذي لا ينقطع، والذي يعجز حتى الخيال عن وصفه. إنها ضيافة الرحمن. والرحمن ضامن، وعهد الله باقٍ ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ يا من بعتم أنفسكم لله استبشروا ﴿بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111].

ـ روى البخاري (36)، ومسلم (1876)، وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«تَضَمَّنَ الله لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إِلا جِهَاداً فِي سَبِيلِي. وإِيمَاناً بِي، وَتَصْدِيقاً بِرُسُلِي. فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غنيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! مَا مِنْ كَلْمٍ يُكلَمُ فِي سَبِيلِ الله، إِلا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُ مِسْكٍ. وَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَولا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ تَغزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَداً، وَلَكِن لا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ الله فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ»** لفظ مسلم.

قصةٌ ومُعجزة

روى الإمام مالك في «موطئه» (1725) والإمام أحمد (13282) والبخاري (422) ومسلم (2040)، وغيرهم، من طريق يَحيَى بنُ يَحيَى. قَالَ: قَرَأتُ عَلَى مَالِكِ بنِ أنس، عَن إِسحَاقَ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ أَبِي طَلحَةَ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَنسَ بنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ أَبُو طَلحَةَ لأُم سُلَيم: قَد سَمِعتُ صَوتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفاً. أَعرِفُ فِيهِ الجُوعَ. فَهَل عِندَكِ مِن شَيءٍ؟ فَقَالَت: نَعَم. فَأَخرَجَت أَقرَاصاً مِن شَعِيرٍ: ثُمَّ أَخَذَت خِمَاراً لَهَا. فَلَفَّتِ الخُبزَ بِبَعضِهِ، ثُم دَسَّتهُ تَحتَ ثَوبِي. وَرَدَّتني بِبَعضِهِ. ثُمَّ أَرسَلَتني إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قال: فَذَهَبتُ بِهِ فَوَجَدتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَالِساً فِي المسجِدِ وَمَعَهُ الناسُ. فَقُمتُ عَلَيهِم.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَرسَلَكَ أبو طَلحَةَ؟»

قالَ: فَقُلتُ: نَعَم.

فَقَالَ: «أَلِطَعَامٍ؟»

فَقُلتُ: نَعَم. فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَن معه: «قوموا».

قَالَ: فَانطَلَقَ وَانطَلَقتُ بَينَ أَيدِيهِم، حَتّى جِئتُ أبَا طَلحَةَ، فَأَخبَرتُهُ.

فقال أبو طلحة: يا أم سليم! قد جاء رسول الله ﷺ بالنّاس. وليس عندنا ما نطعمهم.

فَقَالَتِ: اللهُ وَرَسُولُهُ أعلَمُ. قَالَ: فَانطَلَقَ أَبُو طَلحَةَ حَتى لَقِيَ رسُولَ اللهِ ﷺ. فَأَقبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ حَتى دَخَلاَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلُمّي مَا عِندَكِ، يَا أُمَّ سُلَيم!».

فَأَتَت بِذلِكَ الخُبزْ. فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتَّ. وَعَصَرَت عَلَيهِ أمُّ سُلَيم عُكةَ لَهَا فَأَدَمَتهُ. ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَن يَقُولَ.

ثم قَالَ: «ائذن لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُم فَأَكَلُوا حَتى شَبِعُوا. ثُم خَرَجُوا.

ثم قَالَ: «ائذَن لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُم فَأَكَلُوا حَتّى شَبِعُوا ثُم خَرَجُوا.

ثُمَّ قَالَ: «ائذَن لِعَشَرَةٍ» حَتّى أكَلَ القَومُ كُلهُم وَشَبِعُوا. وَالقَومُ سَبعُونَ رَجُلاً أَو ثَمَانُونَ. لفظ مسلم.

❁ ❁ ❁



أقسام الزهد

الزهد أقسام: زهد في الحرام، وهو فرض عين. وزهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وان ضعفت كان مستحباً. وزهد في الفضول. وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره. وزهد في

الناس. وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله. وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما شغلك عنه.

وأفضلُ الزهد إخفاء الزهد، وأصعَبُه الزهدُ في الحظوظ.

والفرق بينه وبين الورع: أن الزهد تَرْكُ ما لا ينفع في الآخرة، والورعُ تَرْكُ ما يُخشى ضرره في الآخرة. والقلب المعلّق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع.

قال يحيى بن معاذ: عجبت من ثلاث: رجل يرائي بعمله مخلوقاً مثله ويترك أن يعمله لله، ورجل يبخل بماله وربه يستقرضه منه فلا يقرضه منه شيئاً، ورجل يرغب في صحبة المخلوقين ومودّتهم، والله يدعوه إلى صحبته ومودّته. (ق).



الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

لقد فرَّق العزيز الحكيم في الآية الكريمة ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا﴾ بين أشعة الشمس والقمر، فسمى الأولى ضياءً والثانية نوراً. وإذا نحن فكرنا في استشارة قاموس عصري لما وجدنا جواباً شافياً للفرق بين الضوء الذي هو أصل الضياء والنور، ولوجدنا أن تعريف الضوء: هو النور الذي تدرك به حاسة البصر المواد. وإذا بحثنا معنى النور لوجدنا أن النور أصله من نار ينور نوراً أي أضاء. فأكثر القواميس لا تفرِّق بين الضوء والنور بل تعتبرهما مرادفين لمعنى واحد.

ولكن الخالق سبحانه وتعالى فرَّق بينهما، فهل يوجد سبب علمي لذلك؟ دعنا نستعرض بعض الآيات الأخرى التي تذكر أشعة الشمس والقمر. فمثلاً في الآيتين التاليتين ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: 16] ﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: 12 ـ 13] نجد أن الله وتعالى شبَّه الشمس مرة بالسراج وأخرى بالسراج الوهاج والسراج هو المصباح الذي يضيء إما بالزيت أو بالكهرباء.

أما أشعة القمر فقد أعاد الخالق تسميتها بالنور وإذا نحن تذكرنا في هذا الصدد معلوماتنا في الفيزياء المدرسية لوجدنا أن مصادر الضوء تقسم عادةً إلى نوعين: مصادر مباشرة كالشمس والنجوم والمصباح والشمعة وغيرها، ومصادر غير مباشرة كالقمر

والكواكب. والأخيرة هي الأجسام التي تستمد نورها من مصدر آخر مثل الشمس ثم تعكسه علينا. أما الشمس والمصباح فهما تشتركان في خاصية واحدة وهي أنهما يُعتبران مصدراً مباشراً للضوء، ولذلك شبَّه الخالق الشمس بالمصباح الوهاج ولم يُشبِّه القمر في أي من الآيات بمصباح.

كذلك سمى ما تصدره الشمس من أشعة ضوءاً أما القمر فلا يشترك معهما في هذه الصفة، فالقمر مصدر غير مباشر للضوء فهو يعكس ضوء الشمس إلينا فنراه ونرى أشعته التي سماها العليم الحكيم نوراً. ومن العجيب حقاً أننا لم نستوعب هذه الثقة الإلهية في التفرقة بين ضوء الشمس ونور القمر، فكان المفروض أن نفرق بين الضوء والنور ونسمي الأشعة التي تأتي من مصدر ضوئي مباشر بالضوء، وتلك التي تأتي من مصدر ضوئي غير مباشر بالنور. لكننا خلطنا لغوياً بين الضوء والنور، واقتصرنا في العلوم على استخدام كلمة الضوء ونسينا مرادفها وهو النور والسبب واضح، ففي الإنجليزية والفرنسية بل والألمانية ـ وهي اللغات التي جاءت عن طريقها العلوم الحديثة ـ لا يوجد إلا مرادف واحد لهذا المعنى وهو بالترتيب (Light- Lumière - Livht) ولم يخطر ببالنا أو ببال المترجمين أن اللغة العربية أغنى منهم وأدق، ففيها مرادفين لهذه الكلمة يجب أن نفرق بينهما تبعاً لنوعية مصدر الضوء سواءً أكان مباشراً أو غير مباشر[1].

❁ ❁ ❁

هل سُحِرَ رَسول الله ﷺ؟

روى البخاري (5765) ومسلم (2189)، وغيرهما، من طريق هِشَام عَن أبيهِ عَن السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا، قَالَت: سُحِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتى إنهُ لَيُخَيَّلُ إلَيهِ أنهُ يَفعَلُ الشيءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتى إذَا كَانَ ذَاتَ يَوم وَهُوَ عَندِي دَعَا الله وَدَعَاهُ ثُم قَالَ: «أَشَعَرتِ يَا عَائِشَة أَن الله قَد أَتَانِي فِيمَا استَفتَيتُهُ فِيهِ؟» قُلتُ: وَمَا ذاكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «جَاءَنِي رَجُلاَنِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِندَ رَأسِي وَالآخَرُ عِندَ رجلَيَّ ثُمَّ قالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَال: مَطبُوبٌ، قَالَ: وَمَن طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بنُ الأعصَمِ اليَهُودِي مِن بَنِي زُرَيقٍ

(1) «آيات قرآنية في مشكاة العلم» د. يحيى المحجري.

قَالَ: فِيمَاذَا؟ قَالَ: **فِي مُشطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفّ طَلعَةِ ذَكَرٍ**، قَالَ: **فَأَينَ هُوَ**؟ قَالَ: **فِي بِئرِ ذِي أَروَانَ**». قَالَ: فَذَهَبَ النبيّ ﷺ فِي أُناسٍ مِن أَصحابِهِ إِلَى البِئرِ فَنَظَرَ إِلَيهَا وَعَلَيهَا نَخل ثُم رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فقَالَ: «**وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنّاءِ وَلَكَأَنَّ نَخلَهَا رُؤُوسُ الشيَاطِينِ**» قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَأَخرَجتَهُ قَالَ: «**لاَ أَمّا أنا فَقَد عَافَاني اللهُ وَشَفَاني وخَشِيتُ أَن أُثوِّرَ عَلَى النّاسِ مِنهُ شَراً**» وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَت.

وفي لفظ عند البخاري أيضاً من طريق سُفيان بن عُيينَةَ، قَالَ: أَوّلُ مَن حَدّثَنَا بِهِ ابنُ جُرَيجٍ يَقُولُ: حَدّثَنِي آلُ عُرْوَةَ عَنْ عُروَةَ فَسَأَلت هِشَاماً عَنهُ فَحَدّثَنَا عَن أَبيهِ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قَالَت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سُحِرَ حَتى كَانَ يَرَى أَنهُ يَأتِي النسَاءَ وَلاَ يَأتِيهِنَّ قَالَ سُفيَانُ: وَهذَا أَشَدّ مَا يَكُون مِنَ السحرِ إِذَا كَانَ كَذَا. فَقَالَ: «**يَا عَائِشَة، أَعَلِمتِ أَن اللهَ قد أَتَانِي فِيمَا اَستَفتَيتُهُ فِيهِ؟ أتانِي رَجُلاَنِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِندَ رَأسِي وَالآخَرُ عِندَ رِجلَي فَقَالَ الذِي عِندَ رَأسِي لِلآخَرِ، مَا بَالُ الرّجُل؟ قال: مَطبُوبٌ. قَالَ: وَمَن طَبّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بنُ أَعصَمَ رَجُلٌ مِن بَنِي زُرَيقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقاً، قَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ: فِي مُشطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَأَينَ؟ قَالَ: فِي جُفّ طَلعَةِ ذَكَرٍ تحتَ رَعوفَةٍ فِي بِئرِ ذروَانٍ**».

قَالَت: فَأتى النبِيّ ﷺ البِئرَ حَتّى استَخرَجَهُ فَقَالَ: «**هذِهِ البئرُ التِي أُرِيتُهَا وَكَأَن مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحنّاءِ وَكَأَن نَخلَهَا رُؤُوسُ الشيَاطِينِ**». قَالَ: «**فَاستُخرِجَ**» قالَت: فقُلتُ أَفَلاَ أَيْ تَنَشّرتَ فَقَالَ: «**أَمّا واللهِ فَقَد شَفَاني وَأكرَه أَن أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الناسِ شَرّاً**»

❀ ❀ ❀

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: 30]

قال إسماعيل بن يَحْيَى المُزَني: سمعت أبا عَبد الله مُحَمّد بن إدريس الشافعي يقول:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ	وما شئتُ إن لم تَشَأ لم يكن
خلقتَ العباد على ما علمتَ	ففي العلم يمضي الفتى والمسن
فهذا مَنَنْتَ وهذا خَذَلتَ	وهذا أعنتَ وذا لم تُعِنْ
فهذا شقيٌ وهذا سعيدٌ	وهذا قبيح وهذا حسن

❀ ❀ ❀

شجاعة وإقدام

روى ابن عساكر (50 ـ 337 ـ 339)، بإسناده، من طريق الليث، قال:

كنتُ ممن غزا على اسمه وعطائه بفيئ عمر بن هبيرة، إذ ولاّه سليمان غازية البحر. قال: رافقت أخي أبا خراسان في مركبٍ، فسار بنا عمر حتى مررنا بأهل مصر، فتبعونا ومضينا حتى أتينا أطرَابُلُس أفريقية، وعلونا أرض الروم حتى إذا حاذتنا بالقسطنطينة سرنا في بحر الشام حتى دفعنا إلى خليج القسطنطينة، فخرجنا في الخليج على باب القسطنطينة لنجيز إلى مَسلَمة ومن معه من المسلمين وصفّ مَسلَمة من معه من المسلمين صفاً لم أرَ قط أطول منه مع الكراديس الكثيرة، وجلس ليون طاغية الروم على برج باب القسطنطينة وبروجها، ويصفّ منهم رجاله فيما بين الحائط والبحر صفاً طويلاً بحذاء صف المسلمين، وأظهرنا السلاح في ألف مركب بين محرقات وقوادس فيها الخزائن من كسوة مصر، وما فيها مما إليه والمعينات فيها المقاتلة.

قال الليث: فما رأيت يوماً قط كان أعجب منه لما ظهر من عدونا في البرّ والبحر، وما أظهرنا من السلاح، وما أظهر طاغية الروم على حائط القسطنطينة وصفّهم ذلك، والعدة، ونصبوا المجانيق والعَرّادات، فكبَّر المسلمون في البر والبحر. وظهر لنا الروم، فتوقف ابن هُبَيرة وجماعة من معه من السفن عن الإقدام على باب المينا لما هابته على أنفسها، فلمّا رأت ذلك الروم خرج إلينا من باب مينائهم معينات أو قال محرقات، فمضى مركب منها إلى أدنى من يليه من مراكب المسلمين، فألقى عليه الكلاليب بالسلاسل فاجترّه حتى أدخله بأهله القسطنطينة، فأُسقط ذلك في أيدينا، وخرجوا إلى مركب ليفعلوا ذلك به، فجعل ابن هبيرة يتجسر ويقول: ألاَ رجل، فقام إليه أَبُو خراسان فقال: هذا أنا رجل، ولكنّك صيرتني في المركب معك لبعض من لا غنى عنده، فقال له ابن هبيرة: فَمُر بما ترى، ومُرّ بما تحب، فأشار إلى مركب من الفرس يعرفهم بالشدة والبأس، فقال: ابعثني في قارب أنا وأخي ومُرهم بطاعتي، ففعل فأمر أَبُو خراسان لنوتي المركب أن يوجهه إلى ذلك المرَكب الذي ذهب بالمسلمين، فكع عنه النوتي، فأشار إليه أَبُو خراسان بالسيف فمضى به حتى ألصق المركب بمركبهم، ثم سار أَبُو خراسان حتى أوثقهما بسلسلة لئلا يفرّ أحدهما عن صاحبه، قال: فاجتلدنا بأسيافنا فيما بين السفينتين، فرزقنا الله الظفر، فدخلنا سفينتهم ووضعنا السيف فيهم، فانتهينا إلى قومس السفينة الذي فعل ما فعل، وقد ألقى بيضته وجثا على ركبتيه،

شيخ أصلع، فضربه صاحب لنا ضربة لم تغن شيئاً، وتقدّم إليه أَبُو خراسان فضربه ضربة شق منها هامته حتى نظرت إلى السيف قد أجاز إلى الذقن إلى الحنجرة وما يليها، واستسلم من بقي منهم، فقُدناها إلى مَنْ يلينا من المسلمين، ورجعنا إلى من كان منهم فدخلوا الميناء، ووقف أَبُو خراسان موقفاً حسناً يأمن به من فرّ منا إلى مسلمة ومن يليه، حتى مروا من آخرهم، لم يصب منهم إلاّ ذلك المركب الأول حتى انتهينا إلى مسلمة ومن معه، فأخذناهم إلى الخليج إلى السقع الذي على باب القسطنطينة والبحر، أو قال: الخليج، محيط بها إلاّ مما يلي برّها، فعسكر عليه مَسلَمة، وكنا في سفننا مرسيين على ساحلها مما يلي العسكر، يخرج عن سفننا عمر بن هبيرة وغيره إلى مسلَمة ومن أردنا من أهل العسكر، ويأتينا أهل العسكر فيدخلون علينا في سفننا.



اشتمال الفاتحة على أمهات المطالب

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ① ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ② ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ③ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [سورة الفاتحة].

إعْلَم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن.

فاشتملت على التَّعريف بالمعبود ـ تبارك وتعالى ـ بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها. وهي «الله، والرب، والرحمن» وبُنيت السورة على الإلهية، الربوبية، والرحمة فـ «إياك نعبد» مبني على الإلهية. و«إياك نستعين» على الربوبية. وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة. والحمد يتضمن الأمور الثلاثة. فهو المحمود في إلهيته، وربوبيته، ورحمته. والثناء والمجد كمالان لجده.

وتضمنت إثبات المعاد، وجَزاء العباد بأعْمالهم، حَسَنها وسيِّئها. وتفرّد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق، وكون حُكمه بالعدْل. وكل هذا تحت قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة.

أحدها: كونه ربّ العالمين. فلا يليق به أن يترك عباده سُدىً هَمَلاً لا يُعَرّفهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وما يضرهم فيهما، فهذا هَضْمٌ للربوبية، ونسبةُ الرب تعالى إلى ما لا يليق به. وما قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ نَسبه إليه.

الثاني: أخذها من اسم «الله» وهو المألوه المعبود. ولا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله.

الموضع الثالث: من اسمه «الرحمن» فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم. فمن أعطى اسم «الرحمن» حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه إنزال الغيث وإنبات الكلأ، وإخراج الحب. فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظ البهائم والدواب. وأدرك منه أولو الألباب أمراً وراء ذلك.

الموضع الرابع: من ذكر «يوم الدين» فإنه اليوم الذي يُدين الله العباد فيه بأعمالهم، فيثيبهم على الخيرات؛ ويعاقبهم على المعاصي والسيئات. وما كان الله ليعذب أحداً قبل إقامة الحجَّة عليه. والحجة إنما قامت برُسله وكتبه. وبهم اسْتُحِقَّ الثواب والعقاب. وبهم قام سُوق يوم الدين. وسِيق الأبرار إلى النعيم. والفُجَّار إلى الجحيم.

الموضع الخامس: من قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فإن ما يُعبدَ به الربُّ تعالى لا يكون إلا على ما يحبه ويرضاه. وعبادتُه ـ وهي شكرُه وحبّه وخشيتُه ـ فطري ومعقول للعقول السليمة. لكن طريق التعبُّد وما يعبد به لا سبيل إلى معرفته إلا برسله وبيانهم. وفي هذا بيان أن إرسال الرسل أمر مستقر في العقول. يستحيل تعطيل العالم عنه، كما يستحيل تعطيله عن الصانع. فمن أنكر الرسول فقد أنكر المرسل. ولم يؤمن به. ولهذا جعل الله سبحانه الكُفر برُسلِه كفراً به.

الموضع السادس: من قوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فالهداية: هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة. ولا سبيل إلى البيان والدّلالة إلا من جِهة الرسل. فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف تَرتّب عليه هداية التوفيق، وجعلُ الإيمان في القلب، وتحبيبه إليه، وتزيينه في القلب، وجعله مؤثراً، راضياً به، راغباً فيه.

وهما هدايتان مستقلّتان، لا يحصل الفلاح إلا بهما. وهما متضمنتان تعريف ما لم نعلمه من الحق تفصيلاً وإجمالاً. وإلهامنا له، وجعلنا مريدين لإتباعه ظاهراً وباطناً. ثم خَلْقُ القدرة لنا على القيام بموجب الهَدْي بالقول والعمل والعزم. ثم إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه إلى الوفاة.

ومن هنا يعلم اضطرار العبد إلى سؤال هذه الدعوة فوق كل ضرورة، وبطلان قول من يقول: إذا كنا مهتدين، فكيف نسأل الهداية؟ فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم. وما لا نريد فعله تهاوناً وكسلاً مثل ما نريده، أو أكثر منه أو دونه. وما لا نقدر عليه ـ مما نريده ـ كذلك. وما نعرف جملته ولا نهتدي لتفاصيله، فأمر يفوت الحصر. ونحن محتاجون إلى الهداية التامة. فمن كملت له هذه الأمور كان سؤال الهداية له سؤالَ التثبيت والدوام.

وللهداية مرتبة أخرى ـ وهي آخِر مراتبها ـ: وهي الهِداية يوم القيامة إلى طريق الجنة. وهو الصّراط الموصل إليها. فمن هُدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم، الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، هُدي هناك إلى الصراط المستقيم، الموصل إلى جنته ودار ثوابه. وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قَدَمه على الصراط المنصوب على مَتْن جهنم. وعلى قدر سيره على هذه الصراط يكون سيره على ذاك الصراط. فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطَّرْف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشَدِّ الركاب، ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حَبْواً، ومنهم المخدوش المسلَّم، ومنهم المكردَس في النار. فلينظر العبد سَيره على ذلك الصراط من سيره على هذا، حَذْو القُذّة بالقذّة[1]، جزاء وفاقاً ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 90].

ولينظر الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره عن هذا الصّراط المستقيم. فإنها الكلاليب التي بجَنَبتي ذاك الصراط، تخطفه وتعوقه عن المرور عليه. فإن كثرت هنا وقويت فكذلك هي هناك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46].

(1) القُذّة: ريش السهم، وفي الحديث: «**أنتم أشبه الأمم بيني إسرائيل تتبعون آثارهم حذو القُذة بالقذة**»، يعني كما تُقدر كل واحد منهن على قدر صاحبتها وتقطع، وفي حديث آخر: «**التركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**». قال ابن الأثير: يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان. . . » (لسان العرب لابن منظور).

فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير، والسلامة من كل شر.

الموضع السابع: من معرفة نفس المسؤول. وهو الصِّراط المستقيم. ولا تكون الطريق صِراطاً حتى تتضمن خمسة أمور: الاستقامة، والإيصال إلى المقصود، والقُرب، وسعته للمارِّين عليه، وتعيّنه طريقاً للمقصود. ولا يخفى تضمن الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة.

فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه، لأن الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين. وكلما تعوج طال وبعد. واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود، ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سَعَته، وإضافته إلى المنعم عليهم، ووصفه بمخالفه صراط أهل الغضب والضلال، يستلزم تَعَيُّنه طريقاً.

و«الصراط» تارة يضاف إلى الله، إذ هو الذي شرعه ونصبه، كقوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: 153] وقوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: 52 ـ 53] وتارة يضاف إلى العباد، كما في الفاتحة. لكونهم أهل سلوكه. وهو المنسوب لهم. وهم المارُّون عليه.

الموضع الثامن: مِنْ ذكر المنعَم عليهم، وتمييزهم عن طائفتي الغَضَب والضلال.

فانقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به إلى هذه الأقسام الثلاثة. لأن العبد إما أن يكون عالماً بالحق، وإما جاهلاً به. والعالم بالحق إما أن يكون عاملاً بموجبه أو مخالفاً له. فهذه أقسام المكلَّفين. لا يخرجون عنها البتة. فالعالِمُ بالحقِّ العامل به: هو المنعَم عليه. وهو الذي زكّى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح. وهو المفلح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: 9] والعالم به المتبع هواه هو: المغضوب عليه. والجاهل بالحق هو: الضالّ. والمغضوب عليه ضالّ عن هداية العمل.

والضالُّ مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل. فكل منهما ضال مغضوب عليه، ولكن تارِك العَمل بالحقّ بعد معرفته به أَوْلى بوَصف الغضب وأحق به. ومن هنا كان اليهود أحق به. وهو متغلِّظ في حقهم. كقولهَ تعالى في حقهم ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: 90] وقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 60].

والجاهل بالحق: أحق باسم الضلال. ومن هنا وُصِفت النصارى به في قولِه تعالى ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]. فالأولى: في سياق الخطاب مع اليهود. والثانية: في سياقه مع النصارى. وفي الترمذي وصحيح ابن حِبَّان. من حديث عديّ بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ **«اليَهُود مَغْضُوبٌ عَليهم. والنَصَارى ضَالُّون»**.

ففي ذكر المنعَم عليهم: وهم من عرف الحق واتبعه، والمغضوب عليهم: وهم من عَرفه واتبع هواه، والضالينِ: وهم مَنْ جهله، ما يستلزم ثبوت الرسالة والنبوة. لأن انقسام الناس إلى ذلك هو الواقع المشهود. وهذه القسمة إنما أوجبها ثبوت الرسالة.

وأضافَ النِّعمة إليه، وحذف فاعل الغضب لوجوه:

منها: أنَّ النعمة هي الخير والفضل. والغضب من باب الانتقام والعدد. والرحمة تغلب الغضب، فأضاف إلى نفسه أكمل الأمرين، وأسبقهما وأقواهما. وهذه طريقة القرآن في إسناد الخيرات والنعم إليه. وحذف الفاعل فِي مقابلتهما، كقول مؤمني الجن ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن: 10] ومنه قول الخَضِر في شأن الجدار واليتيمين ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: 82] خرق السفينة ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: 79] ثم قال بعد ذلك ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [الكهف: 82] وتأمل قوله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ﴾ [البقرة: 187] وقوله ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ [المائدة: 3] وقوله ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾ [النساء: 23] ثم قال ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾ [النساء: 24].

وفي تخصيصه لأهل الصراط المستقيم بالنعمة ما دل على أن النعمة المطلقة هي الموجبة للفلاح الدائم. وأما مطلق النعمة: فعلى المؤمن والكافر. فكل الخلق في نعمة.

وهذا فصل النزاع في مسألة: هل لله على الكافر من نعمة أم لا؟.

فالنعمة المطلقة لأهل الإيمان. ومطلق النعمة تكون للمؤمن والكافر، كما قال تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: 34].

والنعمة من جنس الإحسان، بل هي الإحسان. والرب تعالى إحسانه على البر والفاجر. والمؤمن والكافر.

وأما الإحسان المطلق: فللذين اتقوا والذين هم محسنون.

الوجه الثاني: أن الله سبحانه هو المنفرد بالنعم ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 53] فأضيف إليه ما هو منفرد به. وإن أضيف إلى غيره فلكونه طريقاً ومجرىً للنعمة. وأما الغضب على أعدائه: فلا يختص به تعالى، بل ملائكته وأنبياؤه ورسله وأولياؤه يغضبون لغضبه. فكان في لفظة «المغضوب عليهم» بموافقة أوليائه له: من الدلالة على تفرده بالإنعام، وأن النعمة المطلقة منه وحده، هو المنفرد بها ـ ما ليس في لفظ «المنعم عليهم».

الوجه الثالث: أن في حذف فاعل الغضب من الإشعار بإهانة المغضوب عليه، وتحقيره وتصغير شأنه ما ليس في ذكر فاعل النعمة، من إكرام المنعَم عليه والإشادة بذكره، ورفع قدره، ما ليس في حذفه. فإذا رأيت من قد أكرمه ملك وشرفه، ورفع قدره، فقلت: هذا الذي أكرمه السلطان، وخلع عليه وأعطاه ما تمناه، كان أبلغَ في الثناء والتعظيم من قولك: هذا الذي أكرم وخُلع عليه وشُرِّف وأعطي.

وتأمل سراً بديعاً في ذكر السبب والجزاء للطوائف الثلاث بأوجز لفظ وأخصره. فإن الإنعام عليهم يتضمن إنعامه بالهداية، التي هي العلم النافع والعمل الصالح. وهي الهدى ودين الحق. ويتضمن كمال الإنعام بحسن الثواب والجزاء. فهذا تمام النعمة. ولفظ «أنعمت عليهم» يتضمن الأمرين.

وذكر غضبه على «المغضوب عليهم» يتضمن أيضاً أمرين: الجزاء بالغضب الذي موجب غاية العذاب والهوان، والسبب الذي استحوا به أغضبه سبحانه. فإنه أرحم وأرأف من أن يغضب بلا جناية منهم ولا ضلال. فكأن الغضب عليهم مستلزم لضلالهم.

وذكر «الضالين» مستلزم لغضبه عليهم وعقابه لهم. فإن من ضل استحق العقوبة التي هي موجب ضلاله، وغضب الله عليه.

فاستلزم وصف كل واحد من الطوائف الثلاث للسبب والجزاء أبين استلزام، واقتضاه أكمل اقتضاء، في غاية الإيجاز والبيان والفصاحة، مع ذكر الفاعل في أهل السعادة، وحذفه في أهل الغضب. وإسناد الفعل إلى السبب في أهل الضلال.

وتأمّل المقابلة بين الهداية والنعمة، والغضب والضلال. فذكر «المغضوب عليهم» و«الضالين» في مقابلة المهتدين المنعم عليهم. وهذا كثير في القرآن، يقرن بين الضلال

قال مَروَان:

وللشرّ أهلٌ يُعرفون بشكلهم تشيرُ إليهم بالفجور الأصابع

فسكت ابن الزبير فلم يجب مَروَان بشيء، فقالت عائشة: يا عَبد الله، ما لك لم تجب صاحبك، والله ما سمعت تجاول رجلين تجاولاً في نحو ما تجاولتما فيه أعجب إليّ مجاولةً منكما، قال ابن الزبير: إني خفت عوار القول وتخفّفتُ. قالت عائشة: إن لمَروَان في الشعر إرثاً ليس لك.

❁ ❁ ❁

فلتكن زيارتك لله تعالى حُبًا وقُربى

روى الإمام أحمد (7924) ومسلم (2567) والبخاري في «الأدب المفرد» (350)، وغيرهم، من حديث أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَنِ النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخَاً لَه في قَريَةٍ أُخرَى، فَأَرصدَ الله لَهُ عَلَى مَدرَجَتِهِ مَلَكاً، فَلَمّا أتى عَلَيهِ، قَالَ: أينَ تُريدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخَاً لي في هذِهِ القَريَةِ، قَالَ: هَل لَكَ عَلَيهِ مِن نِعمَةٍ تَرُبُّها؟ قَالَ: لاَ، غَيرَ أَنّي أحبَبتُهُ في الله عَزّ وَجلّ، قَالَ: فَإِنّي رَسُولُ الله إلَيكَ، بِأن الله قَد أَحبّكَ كَمَا أَحبَبتَهُ فِيهِ». لفظ مسلم.

وقد جاء في إحدى روايات أحمد بلفظ: «خَرَجَ رَجُلٌ يَزُورُ أَخاً لَهُ في الله عَزَّ وَجلَّ في قريَةٍ أُخرَى، فأَرصدَ الله عَزَّ وَجلّ بِمَدرَجَتِهِ مَلَكاً، فَلَمّا مَرّ بِهِ، قَالَ ـ: أينَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ فُلاناً، قَالَ: لِقَرَابَةٍ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَلِنَعمَةٍ لَهُ عِندَكَ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَلِمَ تَأتِيَهُ؟ قَالَ: إِنِي أُحِبُّهُ في الله. قَالَ: فَإِنّي رَسُولُ الله إِلَيكَ، أنّهُ يُحِبّكَ بِحُبّكَ إِيّاه فِيهِ».

وفي لفظ لأحمد أيضاً: «خَرَجَ رَجُلٌ مِن قريتِهِ يَزُورُ أَخاً لَهُ في قريَةٍ أُخرَى. فَأَرصَدَ الله لَهُ مَلَكاً فَجَلَسَ عَلَى طَرِيقِهِ فَقَالَ لَهُ: أَينَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخاً لي أَزُورُهُ في الله في هَذِهِ القَريَةِ. قَالَ لَهُ: هَل لَهُ عَلَيكَ مِن نِعمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ وَلَكِنّي أَحبَبتُهُ في الله ﷻ. قَالَ: فَإِنّي رَسُولُ رَبّكَ إِلَيكَ، أنهُ قَد أَحبّكَ بِمَا أَحبَبتَهُ فِيهِ».

ووقع عند البخاري في «الأدب المفرد» بلفظ: «زَارَ رَجُلٌ أَخاً لَهُ في قريَةٍ. فَأَرصَدَ الله لَهُ مَلَكاً عَلَى مَدرَجَتِهِ. فَقَالَ: أَينَ تريدُ؟ قالَ: أَخَاً لِي في هذِهِ القَريَةِ. فَقَالَ:

هَل لَهُ عَليكَ مِن نِعمَة تَرُبّها؟ قالَ: لاَ. إنِي أُحِبُّهُ في الله. قالَ: فَإنّي رَسُولَ الله إلَيكَ، إن الله أَحَبّكَ كَمَا أَحبَبْتُهُ».

❀ ❀ ❀

فوّض أمرك إلى الله ﷻ

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ فكل الأمور مردُّها إلى الله السميع العليم. وليس لك إلا أن تستسلم لقضاء الله تعالى وقدره. وهنا تتجلّى فيك معنى العبودية الحقَّة. ذلك أن معنى العبودية؛ الخضوع والتذلل والاستسلام. فإذا فوضت أمرك لله العظيم، فحينها يتحقق فيك معنى الإسلام الاعتقادي، وليس عليك إلا أن تقوم بما افْتُرِضَ عليك من حقوق وواجبات، ليتحقق فيك معنى الإسلام كله.

❀ ❀ ❀

حقيقة الدنيا الزائلة

الدنيا كامرأة بغِ، لا تثبت مع زوج، إنما تخطب الأزواج ليستحسنوا عليها، فلا ترضى بالديانة.

ميّزتْ بين جمالها وفِعالها ... فإذا الملاحة بالقباحة لا تفي
حلفتْ لنا أن لا تخون عهودنا ... فكأنها حلفت لنا أن لا تفي

السير في طلبها سيرٌ في أرضٍ مسبَعة[1]، والسباحة فيها سباحة في غدير التمساح. المفروح به منها هو عين المحزون عليه. آلامُها متولدة من لذّاتها، وأحزانُها من أفراحها.

مآرب كانت في الشباب لأهلها ... عِذاباً فصارت في المشيب عَذابا[2]

طائر الطبع يرى الحبة، وعين العقل ترى الشرَك، غير أن عين الهوى عمياء.

---

(1) المسبعة: كثيرة السباع.
(2) العِذاب: الحلوة.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا[1]

تزخرفت الشهوات لأعين الطباع، فغضّ عنها الذين يؤمنون بالغيب، ووقع تابعوها في بيداء الحسرات؛ فـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: 5]. وهؤلاء يقال لهم ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ﴾ [المرسلات: 46].

لما عرف الموفقون قدر الحياة الدنيا، وقِلّة المقام فيها، أماتوا فيها الهوى؛ طلباً لحياة الأبد. ولما استيقظوا من نوم الغفلة، استرجعوا بالجد ما انتهبه العدو منهم في زمن البطالة، فلما طالت عليهم الطريق، تلمّحوا المقصد، فقرب عليهم البعيد. وكلما أمرَّتْ لهم الحياة حَلِيَ لهم تذكُّر ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 103].

وَرَكْبٍ سَرَوْا والليل ملق رواقه ... على كل مغبرّ المطالع قاتم[2]

حدوا عزماتٍ ضاعت الأرضُ بينها ... فصار سُرَاهم في ظهور العزائم[3]

تريهم نجوم الليل ما يتبعونه ... على عاتق الشعرى وهام النعائم[4]

إذا اطردت في معرك الجدّ قصّفوا ... رماح العطايا في صدور المكارم[5] (ق)

لا تحزن على ما أصابك وسلّم للعليم الحكيم

جاء سعد بن مالك - رضي الله عنه - إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال ﷺ: **«الأنبياء، ثُمَّ الأمثلُ فالأمثلُ يُبتلى الرجلُ على حسب دينه، فإن كان دينُهُ صُلباً اشتدَّ بلاؤه. وإن كان في دينه رِقَّةٌ، ابتُلي على حسب دينِهِ. فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتى يتركهُ يمشي على الأرضِ وما عليه خطيئة»**.

فإذا اشتدّ أخي مُصابك، وأنت على صلة بخالقك طيبة، فاعلم أنه قد عظم قَدْرُك عنده، وارتقيت إلى مدارج الرفعة والسمو والكمال، فإنك لم تبتلى إلا قدر إيمانك، فإنْ عَظُمَ البلاء، كانت رتبتك عند الله تعالى عظيمة.

---

(1) الكليلة: الحاسرة الغاضة.

(2) الرواق: الجانب، ومعناه: مسدل ظلامه.

(3) السّرى: المشي أول الليل.

(4) الشعرى: من كواكب السماء.

(5) قصّفوا: كثروا.

وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم

فمن سلَّم واستسلم، ورضي وقنع، فاز وأفلح ونجح. ومن سخط وتذمر، هوى وانتكس وخسر، وكأنه لم يرض بقدر الله تعالى وقضائه. ونسي أنه من شروط الإيمان بالله تعالى الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره. والله أعلم.

❀ ❀ ❀



حكمة الخلق

تُرى ما حكمة الإيجاد بعد الفناء؟ وما السر في العيش بعد الموت؟ وهل هو للجزاء والحساب؟ وما سر هذه الأجساد التي جُعلت لنا لباساً لأرواحنا، وأكناناً لنفوسنا؟ ومستودعاً لخواطرنا؟ إنها الحكمة الإلهية.

يقول الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ:تأملت حالاً عجيبة، وهي أن الله سبحانه وتعالى قد بنى هذه الأجسام متقنة على قانون الحكمة.

فدل بذلك المصنوع على كمال قدرته، ولطيف حكمته، ثم عاد فنقضها فتحيرت العقول بعد إذعانها له بالحكمة في سر ذلك الفعل.

فأعلمت أنها ستعاد للمعاد، وأن هذه البنية لم تخلق إلا لتجوز في مجاز المعرفة، وتتجر في موسم المعاملة فسكنت العقول لذلك، ثم رأيت أشياء من هذا الجنس أظرف منه، مثل اخترام شاب ما بلغ بعض المقصود بنيانه.

وأعجب من ذلك أخذ طفل من أكف أبويه يتململان، ولا يظهر سر سلبه، والله الغني عن أخذه، وهما أشد الخلق فقراً إلى بقائه، وأظرف منه إبقاء هرم لا يدري معنى البقاء، وليس له فيه إلا مجرد أذى.

ومن هذا الجنس تقتير الرزق على المؤمن الحكيم، وتوسعته على الكافر الأحمق، وفي نظائر لهذه المذكورات يتحير العقل في تعليلها، فيبقى مبهوتاً.

فلم أزل أتلمح جملة التكاليف، فإذا عجزت قوى العقل عن الاطلاع على حكمة ذلك وقد ثبت لها حكمة الفاعل، علمت قصورها عن درك جميع المطلوب فأذعنت مقرة بالعجز، وبذلك تؤدي مفروض تكليفها.

فلو قيل للعقل: قد ثبت عندك حكمة الخالق بما بنى أفيجوز أن ينقدح في حكمته أنه نقض؟ لقال: لأني عرفت بالبرهان أنه حكيم، وأنا أعجز عن إدراك علله فأسلم على رغمي مُقِرّاً بعجزي.

❁ ❁ ❁

لا تحزن.... وارضَ بقضاء الله تعالى وقدره

الحمدُ لله الذي أجرى القضاء كما شاء ضرّاً ونَفْعا، وبَثَّ القدر على ما أراد إعطاءً ومنعا، لا مثل له ولا شبه فاعلم قطعا، لا إِلَه إلاّ هو يُسأل ويُدعى، خلقَ الإنسان من نطفةٍ إلى عَلَقةٍ فاعْدُدْ سبعا، بينا يُرى قطرات ماءٍ إذا هو يبطش ويسعى، وإذا حركات لسانه تعربُ خفضاً ورفعا، ثم قضى بالممات فإذا الأقدارُ تدفعُهُ دَفْعا، ويرى منجلَ الهلاك يحصُدُ من الأبدان زرعا، ثم جاءت صيحة القيامة فقام كلّ الصرعى، ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: 99]. (ج).

❁ ❁ ❁

وقفة قصيرة مع البيان والبلاغة والفصاحة

ما أجمل اللغة العربية، وما أجمل معانيها، ويكفي فخراً أن الله جل وعلا، أنزل القرآن بالعربية، وبلغ الغاية في الإعجاز اللغوي والكمال في البلاغة والتعبير. وقد تحدى الله تعالى العرب والإنس على فصاحتهم وبلاغتهم، والإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فوقفوا عاجزين متحيرين، ولم يقدروا على أن يأتوا ولو بآية من مثله.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]. وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: 3].

ولنعد إلى عنوان موضوعنا، حول البيان والبلاغة والفصاحة.

أما البيان فقد قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1 ـ 4]. **وقال صلى الله عليه وسلم: «إن من البيان لسحراً» قال**

ابن المعتز: البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول. وأما حدّه فقد قال الجاحظ: البيان إسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى.

وأما البلاغة فإنها من حيث اللغة هي أن يقال: بلغت المكان إذا أشرفت عليه وإن لم تدخله.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: 2].

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾ [القلم: 39]: أي وثيقة كأنها قد بلغت النهاية. وقال اليوناني: البلاغة وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.

وقال الهندي: البلاغة تصحيح الأقسام، واختيار الكلام. وقال الكندي: يجب للبليغ أن يكون قليل اللفظ كثير المعاني. وقيل: إن معاوية سأل عمرو بن العاص من أبلغ الناس؟ فقال: أقلُّهم لفظاً، وأسهلهم معنى، وأحسنهم بديهة.

ولو لم يكن في ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم وافتخر به حيث يقول: «**نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم**». وذلك أنه كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعاني الكثيرة. وقيل: ثلاثة تدل على عقول أصحابها: الرسول على عقل المرسل، والهدية على عقل المهدي، والكتاب على عقل الكاتب.

وقال أبو عبدالله وزير المهدي: البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة. وقال البحتري: خير الكلام ما قلّ وجلّ ودلّ ولم يملّ. وقالوا: البلاغة ميدان لا يقطع إلا بسوابق الأذهان، ولا يسلك إلا ببصائر البيان.

وقال الشاعر:

لـك الـبـلاغـة مـيـدانٌ نـشـأت بـه … وكـلّـنـا بـقـصـور عـنـك نـعـتـرفُ

مَـهِّـد لـي الـعـذر نـظـم بـعـثـت بـه … من عـنـده الـدرُّ لا يُـهدى لـه الـصَّـدفُ

وروي أن ليلى الأخيلية مدحت الحجاج فقال يا غلام: اذهب إلى فلان، فقل له يقطع لسانها، قال: فطلب حجاماً فقالت: ثكلتك أمك أنما أمرك أن تقطع لساني بالصلة، فلولا تبصرها بأنحاء الكلام ومذاهب العرب والتوسعة في اللفظ ومعاني الخطاب لتم عليها جهل هذا الرجل.

وقال الثعالبي: البليغ من يجول الكلام على حسب الأمالي، ويخيط الألفاظ على قدر المعاني، والكلام البليغ ما كان لفظه فحلاً، ومعناه بكراً. وقال الإمام فخر الدين الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ في حد البلاغة: إنها بلوغ الرجل. بعِبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخلّ، والتطويل المملّ، ولهذه الأصول شعب وفصول لا يحتمل كشفها هذا المجموع ويحصل الغرض بهذا القدر وبالله التوفيق إلى التوفيق أقوم طريق.

وأما الفصاحة: فقد قال الإمام فخر الدين الرازي[1] ـ رحمه الله تعالى ـ: إعلَم أن الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد، وأصلها من قولهم أفصح اللبن إذا أُخذت عنه الرغوة. وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة، بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحدة في تسوية الحكم بينهما. ويزعم بعضهم أن البلاغة في المعاني، والفصاحة في الألفاظ، ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح.

وقال يحيى بن خالد: ما رأيت رجلاً قط إلا هبته حتى يتكلم، فإن كان فصيحاً عَظُمَ في صدري، وإن قَصُرَ سقط من عيني.

وقد اختلف الناس في الفصاحة، فمنهم من قال: إنها راجعة إلى الألفاظ دون المعاني، ومنهم من قال: إنها لا تخص الألفاظ وحدها واحتج من خص الفصاحة بالألفاظ بأن قال: نرى الناس يقولون هذا لفظ فصيح، وهذه الألفاظ فصيحة، ولا نرى قائلاً يقول: هذا معنى فصيح، فدل على أن الفصاحة من صفات الألفاظ دون المعاني، وإن قلنا إنها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح، وذلك غير مألوف في كلام الناس، والذي أراه في ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف في الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحاً حسناً. ومن المستحسن في الألفاظ تباعد مخارج الحروف، فإذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة في مواضعها غير قلقة ولا مكدودة، والمعيب من ذلك كقول القائل:

لو كنتَ كنتَ كتمتَ الحبّ كنتَ كما ... كـنـا وكـنـت ولـكـن ذاك لـم يَـكُـنِ

---

(1) فخر الدين الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله الإمام المفسر ولد في الري عام 544 هـ من كتبه: «مفاتيح الغيب» و«معالم أصول الدين» وتوفي سنة 606 هـ.

وكقول بعضهم أيضاً:

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الآخر:

وقـبـر حـرب بـمـكـان قَـفْـرُ وليس قـرب قـبـر حـرب قـبـرُ

قيل: إن هذا البيت لا يمكن إنشاده في الغالب عشر مرات متوالية إلا ويغلط المنشد فيه لأن القرب في المخارج يحدث ثقلاً في النطق به. وقيل: من عُرف بفصاحة اللسان لَحِظَتْهُ العيون بالوقار. وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام على مصر وملك زمام الأمور وأطلعه ملكها على الخفي من أمره والمستور.

قال الشاعر:

لسان الفتى نصفٌ ونصف فؤاده ولم يبق إلاّ صورة اللحمِ والدمِ

وسمع النبي ﷺ من عمه العباس كلاماً فصيحاً فقال: «**بارك الله لك يا عم في جمالك**». أي فصاحتك.

وعرضت على المتوكل جارية شاعرة، فقال أبو العيناء[1] يستجيزها أحمد الله كثيراً.

فقالت: حيث أنشأك ضريراً. فقال: يا أمير المؤمنين قد أحسنت في إساءتها فاشترها. وقال فيلسوف: كما أن الآنية تمتحن بأطيانها، فيعرف صحيحها من مكسورها، فكذلك الإنسان يعرف حاله من منطقه.

وقال المُبَرَّد قلت للمجنون أجزني هذا البيت:

أرى اليوم يوماً قد تكاثف غيمُهُ وإبراقه فاليوم لا شك ماطر

فقال:

وقد حجبت فيه السحائبُ شمسَه كما حجبت وردَ الخدود المحاجرُ

وقال عبد الملك لرجل: حدثني، فقال: يا أمير المؤمنين افتتح، فإن الحديث يفتح بعضه بعضاً. وقال الهيثم بن صالح لابنه: يا بني إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب، قال يا أبت فإن أنا أكثرت وأكثرت يعني كلاماً وصواباً، قال: يا بني،

---

(1) أبو العيناء: هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي بالولاء، أديب فصيح من ظرفاء العالم، ومن أسرع الناس جواباً، كان ذكياً جداً وحسن الشعر ومليح الكتابة والترسل. توفي بالبصرة سنة 283 هـ.

ما رأيت موعوظاً أحق بأن يكون واعظاً منك. وقال الشعبي: كنت أحدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فيحبس اللقمة فأقول: أجزها أصلحك الله، فإن الحديث من وراء ذلك، فيقول: والله لحديثك أحب إلي منها. وقال ابن عيينة: الصمت منام العلم، والنطق يقظته، ولا منام إلا بتيقظ ولا يقظة إلا بمنام. قال ابن المبارك:

وهـذا الـلـسـان بـريـدُ الـفـؤاد   يـدلّ الـرجـالَ عـلـى عـقـلـهِ

ومر رجل بأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ومعه ثوب، فقال له أبو بكر ﷺ: أتبيعه؟ فقال: لا، رحمك الله، فقال أبو بكر: لو تستقيمون لقومت ألسنتكم، هلا قلت لا ورحمك الله...

ومنه: ما حكي أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيء، فقال: لا، وأيد الله أمير المؤمنين، فقال المأمون: ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها[1]. وكان الصاحب يقول: هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ. ويقال: اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم، وقال بعضهم شعراً:

سحـبـان يـقـصـر عـن بـحـور بـيـانـه   عـجـزاً ويـغـرق مـنـه تـحـت عَـبـاب

وكـذاك قـسٌّ نـاطـقٌ بـعـكـاظـه   يـعـيـا لـديـه بـحـجـة وجـواب

معجزة وكرامة

روى الإمام أحمد (1711) والبخاري (2216) ومسلم (2056)، وغيرهم عن عبد الرحمن بن أبي بكر، أنه قَالَ: كُنّا مع النبيِّ ﷺ ثلاثين ومئةً، فقال النبيُّ ﷺ: **«هل مَعَ أحدٍ منكُم طَعَام؟»** فإذا مع رجل صَاعٌ من طعام أو نحوه، فعُجِنَ، ثم جاء رجل مُشرِكٌ مُشْعَانٌ طويلٌ بغَنَم يَسُوقُها، فقال النبي ﷺ: **«أبيعاً أم عَطِيّةً؟ أو قال: أم هِبةً؟»** قال: لا، بَلْ بَيْعٌ. فاشترى منه شاةً، فصُنِعَت، وأمر نبيُّ الله ﷺ بسَوادِ البطن أن يُشْوَى، قال: وايمُ الله، ما مِن الثّلاثينَ والمئةِ إلا قد حَزَّ رسول الله ﷺ له حُزّة من سَوادِ بَطْنِها، إن كان شاهداً أعطاه إيّاه، وإن كان غائباً خَبّاً له، قال: وجعل منها قَصْعَتَيْنِ، قال: فأكَلْنا أجمعونَ وشَبِعْنا، وفَضَلَ في القَصْعَتَيْن، فَحَمَلْناه على بَعِير.

❀ ❀ ❀

(1) إذا لولا هذه الواو لكان الكلام دعاء عليه لا له.

الماء أساس الحياة

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: 30]

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 10 ـ 11].

ـ الماء أساس الحياة:

جاء في الموسوعة البريطانية طبعة 1987:

«يتكوّن الماء من الأوكسجين والهيدروجين ويتواجد الماء بشكل غازي أو سائل أو حالة صلبة. والماء أساسي للحياة» It is Vital For Life.

هكذا تقول دائرة المعارف وهكذا قال الله من قبل ذلك يوم خلق السموات والأرض.

والماء عديم اللون والرائحة والطعم في درجة حرارة الغرفة. ومن أهم خصائصه استطاعته أن يحلَّ العديد من المواد فيه. وإن تجاوب الماء وتأقلمه مع شتى الحالات يجعله أساساً للكائنات الحية. وعلى الرغم من أن تركيب الماء يبدو بسيطاً، فهو يتركب من ذرة أوكسجين وذرتين من الهيدروجين فإن الماء يبدي خصائص كيميائية وفيزيائية معقدة وغير مفهومة كلياً حتى الآن.

أليس هذا عجباً.. ذرة أوكسجين وذرتان من الهيدروجين، والعلماء في حيرة منها ونحن في أوج التقدم العلمي... ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

وتتابع دائرة المعارف فتقول: «إن درجة الذوبان (وهي الصفر) ودرجة الغليان (وهي 100 درجة مئوية) هي أعلى بكثير مما يتوقع بالمقارنة مع مواد مناظرة مثل كبريت الهيدروجين والأمونيا.

والماء حين يتجمد ويصبح ثلجاً تقل كثافته مما هو عليه في الحالة السائلة، وهذه **إحدى الصفات الغريبة في الماء».**

ـ الماء في الإنسان:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ [النحل: 10].

جاء في كتاب Moderne Nutrition طبعة 1988:

يشكل الماء60% من وزن الجسم عند الشباب، و50% من وزن الجسم عند الشابات، ويشكل الماء93% من البلاسما و97% من النسيج الخلالي. والماء هو العنصر الأساسي في تكوين الخلايا إذ يكون الماء73% من وزن الخلايا. وتختلف كمية الماء في الجسم حسب السن والجنس وحجم الجسم. وتقل نسبة ماء الجسم بالنسبة لوزن الإنسان عند البدينين، ولا يشكل وزن الماء أكثر من 35% من وزن الجسم عند النساء البدينات جداً (مثال ذلك من بلغ وزنها 80 كغ فوق الوزن الطبيعي). ويوجد 50 ـ 58% من الماء في داخل الخلايا، وما تبقى يوجد في الدم والعظام والأوتار والكولاجين وغيرها من الأنسجة.

وتبلغ كمية الماء الموجودة في الطعام ما بين 1000 ـ 1500 مل يومياً، أما كمية الماء المتناول على شكل سوائل أو ماء حر فتختلف عادة حسب الطقس والعادات. فالإنسان في المناطق المعتدلة يشرب يومياً ما بين 1 ـ 2 ليتر من الماء أو السوائل، وبذلك يدخل جسم الإنسان يومياً ما بين 2 ـ 3، 5 ليتر من الماء أي ما يعادل. 1% من كمية الماء الموجودة في الجسم (30 ـ 40) ليتر.

ويتخلص الإنسان من هذه السوائل عن طريق البول والبراز والتبخر عن طريق جهاز التنفس والجلد. وبذلك يتوازن الماء الداخل والمطروح يومياً بانتظام. ولذلك فإن وزن جسم الإنسان لا يختلف أكثر من 1% من يوم إلى آخر إذا ما وزن الجسم في الوقت ذاته من اليوم وإذا لم تتغير كمية الطعام ونشاط الإنسان.

وتختلف الكمية المطروحة عن طريق الجهاز التنفسي والجلد باختلاف حجم الجسم وكمية الجهد العضلي ودرجة الحرارة ورطوبة الجو. ففي المناطق المعتدلة يفقد الجسم 300 ـ 500 مل عن طريق التنفس يومياً عند النساء وتصل الكمية المفقودة إلى 750 مل عند الرجال من ذوي الجسم الضخم. ويتعرق الإنسان يومياً ما بين 400 ـ 600 مل، إلا أنه في المناطق الحارة وذات الرطوبة العالية فإن كمية الماء المفقودة عن هذين الطريقين (جهاز التنفس والجلد) قد تصل إلى عدة ليترات في اليوم الواحد،

مما يؤدي إلى نقص شديد في الماء والصوديوم والكلور. ويفقد البدينون سوائل أكثر بهاتين الطريقتين قد تصل إلى 2,5 ليتر يومياً في حين أن غير البدينين يفقدون 900 مل يومياً.

ويطرح الإنسان عادة في البول 5، 1 ـ 2 ليتر يومياً، ولا تقل كمية البول عن الإنسان السليم عن 600 مل يومياً. وتزيد الحمى من حاجة الجسم إلى السوائل بسبب فقدان الماء بفرط التنفس فالمريض المحموم بدرجة حرارة تصل إلى 40 درجة مئوية يحتاج إلى 500 مل من الماء إضافة إلى حاجته المعتادة. ويزيد التعرق أيضاً من حاجة الجسم إلى الماء، وكقاعدة عامة فإن الجسم يحتاج إلى 500 مل من الماء زيادة عن حاجته اليومية لكل 5 درجات من حرارة الجو فوق درجة 30 درجة مئوية. هذا بالطبع إذا لم تكن المكيفات الهوائية متوافرة.

فإذا بلغت درجة الجو 04 م فإن الجسم يحتاج إلى ليتر آخر من السوائل إضافة إلى حاجته اليومية. ويحتاج المرضى المصابين باسترخاء القلب أو قصور الغدة الدرقية إلى كميات أقل من الماء.

ـ الماء عند الأطفال:

جاء في كتاب «علم الأطفال» لنيلسون طبعة 1987:

«يشكل الماء 70 ـ 75% من وزن الطفل، بينما يشكل الماء 60 ـ 65% من وزن البالغ. ويستهلك الطفل كميات أكبر من الماء نسبياً (بالمقارنة وزناً لوزن الشخص البالغ) حيث يستهلك الطفل ما يعادل 10 ـ 15 % من وزنه يومياً بينما يستهلك البالغ ما يعادل 2 ـ 4% من وزنه ماء.

ويحصل الطفل على هذه الكمية من الماء عن طريق الطعام إذ يشكل الماء 60 ـ 70% من وزن طعام الطفل ومن المعروف أن الماء يشكل 90% من وزن الخضراوات أو الفواكه». ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49].

❀ ❀ ❀

لا تحزن فإن الحسنات يغلبن السيئات

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: 114].

مهما تعاظمت ذنوبك، ومهما اقترفت من آثام، ومهما أوغلت في المعاصي، وارتكبت المحرمات، فاعلم أن ربك غفور رحيم. وليس عليك إلا أن تبادر بالإقلاع والتوبة، فإن بابها مفتوح. وأنه لن يُغلق دونك، ما زال فيك عرق ينبض، وما دامت شمسك تشرق من مشرقها.

إنها رحمة الله تعالى لعباده المذنبين، والذين سلكوا طريق الغفران والتوبة النصوح. إنها رحمة الله جل وعلا، والتي وسِعَتْ كل شيء. إنه الله العظيم، والذي ضاعف لعباده حسناتهم وأذهب عنهم سيئاتهم إن هم تابوا وأقلعوا.

لا بل بدَّلها لهم حسنات ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: 70 ـ 71].

وفي «الصحيح» عنِ أبي عبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيما يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَل قالَ: قالَ: **«إِنَّ الله كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالْسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذٰلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَهَا الله لَه عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ عَشَرَ حَسَناتٍ إِلى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ إِلى أضْعافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَة فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَهَا الله لَه عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَهَا الله لَهُ سَيِّئَةً واحِدَةً»**[1].

وقد جاء عند أحمد بلفظ: **«إن ربكم تبارك وتعالى رحيمٌ، من همَّ بحسنةٍ فلم يعملها، كُتِبت له حسنة، فإن عملها، كُتبت لَهُ عشراً إلى سبع مئةٍ، إلى أضعافٍ كثيرة، ومن هَمَّ بسيِّئةٍ فلم يعملها، كُتب له حسنة، فإن عملها كُتبتْ له واحدةً، أو يمحوها الله، ولا يهلك على الله تعالى إلا هالك»**.

قال الإمام السندي ـ رحمه الله تعالى ـ: قوله ﷺ: **«ولا يهلك على الله إلا هالك»**، قال السندي: أي: لا يكون أحدٌ هالكاً عنده تعالى مستوجباً للعذاب، محروماً من الرحمة مع سَعَتِها، إلا من كان هالكاً في المعاصي بالانهماك فيها، وعدم

---

(1) رواه الإمام أحمد (2519) ومسلم (131) والبخاري (6491) ومسلم (131) وغيرهم.

الارتداع عنها بالكلية، حتى ما استحق من الرحمة ـ مع سعتها ـ شيئاً، وإلا فمن جمع بينها وبين الحسنات، فالمرجوّ له النجاة لما سَبَقَ من سَعَة الرحمة، كيف وقد قال تعالى: «سبقت رحمتي غضبي»، والظاهر أن معناه: أن من استحق من الرحمة شيئاً ولو مع استحقاقه الغضب، فالغالب المعاملة معه بالرحمة دون الغضب، فلا تكون المعاملة بالغضب غالباً إلا مع من لا يستحق إلا الغضب، وهو الهالك، والله تعالى أعلم.

وقيل: معناه: من يُحرَم هذه الرحمةَ الواسعة وغَلَبَت سيئاته، مع سعة المغفرة وكثرة أفراد السيئة، فهو الهالك، أي: حتم هلاكه، وسُدّت عليه أبواب الهدى.

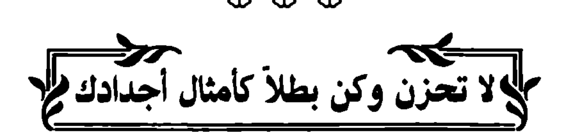
❀ ❀ ❀



خطبة وبلاغة

الحمد لله مخرج المزارع برفقه والحُروث، ومشبع الجائع برزقه والفروث، من أصل كالبذر وغير أصل كالكشوث، يحبّ الوافي بالعهود ويقلي النكوث، ويبغض النفاق وتكفي سورة البحوث، يخلط الأمشاج في مستقرّها ويموث، فترتّبُ القدرةُ المعا ثم الفروث، والكبد تطبخ الطعام وهو بالهضم محثوث، والقلب تارةً يفرح وتارةً مخروث، والروح مدبّر البدن والقلب سلطان البعوث، والآدمي قليل الشكر للنعم وللبلاء نفوث، متكبّرٌ وتؤذيه بقةٌ ويزعجه برغوث، سبحان من صنعه جميع الموجودات من يعوق ومن نسر ومن يغوث. ويا قلّة بقائه ثم إنّه بعد الموت مبعوث، يوم تظهر الأموالُ الرائعة إذا وقعت الواقعة ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: 1 ـ 4].

❀ ❀ ❀



لا تحزن وكن بطلاً كأمثال أجدادك

كان النعمان بن مقرن المزني مع سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه في القادسية في فتح بلاد فارس أثناء خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وكان النعمان تحت إمرة سعد، وقد رأى أن يرسله على رأس وفد إلى كسرى (يزدجرد)، وأمرهم أن يدعوه إلى الإسلام، فإن أبى فالجزية، وإلا فالمناجزة.

وبلغ الوفد (المدائن) عاصمة كسرى، فسألهم الملك: «ما جاء بكم، وما دعاكم لغزونا والولوع ببلادنا؟! أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟»، وأجابه النعمان ذاكراً له كيف بعث الله رسوله، وما جاء به من عند الله من خير، ودعاه إلى الإسلام قائلاً: «ثم أمرنا ـ أي الرسول ﷺ ـ أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسّن الحسن وقبَّح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه: الجزاء! فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم».

كبُر على كسرى أن يسمع مثل هذا الكلام، فأجاب الوفد جواباً يغريهم بما عنده من مال وألبسة وطعام، وبعد أخذ ورد، غضب كسرى غضباً شديداً، فخاطب الوفد قائلاً: «لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم! لا شيء لكم عندي».

لقد ترك الوفد أثراً معنوياً سيئاً في نفس كسرى ورجاله، قال كسرى بعد مغادرة الوفد يخاطب رستم قائد الفرس: «ما كنت أرى أن في العرب مثل هؤلاء! ما أنتم بأحسن جواباً منهم، ولقد صدقني القوم. لقد وعدوا أمراً ليدركه أو ليموتن عليه».

ولما نشب القتال في القادسية أبلى النعمان فيها بلاء الأبطال، فلما نصر الله المسلمين على الفرس، أرسله سعد إلى عمر بن الخطّاب بشيراً بفتح القادسية.

استقر (يزدجرد) بمدينة (مرو) بعد خروجه من (المدائن) وانتقاله من مدينة إلى أخرى، وكان يعمل على إثارة أهل فارس للدفاع عن بلادهم ولاسترجاع ما خسروه من بلاد.

وأثمرت محاولاته في توحيد جهود الفرس وأهل الأهواز في سبيل صد عدوهم المشترك، فأخبر قادة المسلمين في منطقة الأهواز عمر بن الخطّاب باجتماع كلمة أتباع كسرى على قتال المسلمين، فما كان من عمر إلا أن كتب إلى سعد بن أبي وقّاص: «إبعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً مع النعمان بن مقرن وعجِّل، فلينزلوا بإزاء الهرمزان ويتحققوا أمره».

وتحرك النعمان بأهل الكوفة إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل، فلما وصلها بادر إلى مهاجمة جيش (الهرمزان) في (أرام هُرمز) فهزم الفرس وفتح المدينة. ولجأ **الهرمزان إلى مدينة (تُستر)، فسار النعمان بقوات الكوفة إليه، وسارت قوات البصرة إلى**

هذا وكتب إلى عمر يسأله أن يعزله، لأنه لا يريد أن يكون (جابياً) بل يريد أن يكون (غازياً)، فكتب إليه عمر: «بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن. سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإنه قد بلغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاك كتابي هذا فَسِرْ بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفِّرهم، ولا تدخلهم غيضة[1]، فإن رجلاً من المسلمين أحب إليّ من مائة ألف دينار، والسلام عليك».

وكتب عمر إلى والي الكوفة يأمره أن يستنفر ثلثي الناس ويبقي ثلثهم وكتب في اليوم نفسه إلى أبي موسى الأشعري أن سر بأهل البصرة. وكانت مثابة اجتماع النعمان بهذه القوة مدينة (ماه) [وهي نهاوند]، وكتب إلى كافة قادة القوات: «إذا التقيتم فأميركم النعمان بن مقرن المزني»، كما كتب إلى أمراء الأجناد في الأهواز أن يشاغلوا أهل فارس عن إخوانهم. وأراد عمر بذلك أن يقطع الإمدادات الفارسية عن أهل نهاوند من جهة ويشاغل القوات الفارسية في جبهات متعددة ليضعفها أولاً، وليضرب ضربته الحاسمة في نهاوند بعد إكمال تحشد قوات المسلمين فيها ثانياً.

وأرسل النعمان جماعات استطلاعية لمعرفة أخبار الفرس، فوصل طليحة بن خويلد الأسدي نهاوند، فلما رجع أخبر النعمان بعدم وجود قوات فارسية معادية في طريقه إلى نهاوند، عند ذاك تحرك النعمان بقواته حتى نزل منزلاً قريباً من حصون أعدائه: على ميمنته الأشعث بن قيس الكندي وعلى ميسرته المغيرة بن شعبة.

ونشب القتال حول المدينة، وكان القتال سجالاً بين العرب والفرس يومين كاملين، فخاف المسلمون أن يطول أمد القتال، فاجتمع أهل الرأي منهم وذهبوا إلى النعمان فقال لهم: «قد ترون المشركين واعتصامهم بالحصون من الخنادق والمدائن، وأنهم لا يخرجون إلا إذا شاؤوا ولا يقدر المسلمون على أنقاضهم وانبعاثهم قبل مشيئتهم، وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق، فما الرأي الذي به نستخرجهم إلى المناجزة وترك التطويل؟».

وأشار بعضهم بتضييق الحصار، وأشار بعضهم بمهاجمة المدافعين في حصونهم،

---

(1) [illegible]ضة: الأجمة، وهي مغيض ماء يجتمع فيه الشجر، والجمع غياض وأغياض.

وقال طليحة: «أرى أن تبعث خيلاً لينشبوا القتال، فإذا اختلطوا بهم رجعوا إلينا استطراداً، فإنا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم فإذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضي الله فيهم وفينا ما أحب»، فأرسل النعمان القعقاع بن عمرو التميمي على رأس الخيل فأنشب القتال، فلما خرجوا من خنادقهم وحصونهم تراجع أمامهم، فظن الأعاجم أن انسحاب العرب كان نتيجة لضعفهم فقاموا بمطاردة العرب المنسحبين!

كان المسلمون على تعبيتهم، قد أمر النعمان جيشه أن يثبتوا في أماكنهم ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم... وأقبل الفرس عليهم يرمونهم حتى أفشوا فيهم الجراح.

وانتظر النعمان حتى تم خروج قوات الفرس من حصونهم... ثم ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر، ثم قال لهم: «إني مُكَبِّرٌ ثلاثاً، فإذا كبّرت التكبيرة الأولى فليتهيأ من لم يكن تهيأ، فإذا كبّرت الثانية فليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض، فإذا كبّرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فاحملوا معي... اللهم أعِزَّ دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك»... وهكذا استدرج النعمان أعداءه إلى حرب في العراء خارج حصونهم وخنادقهم، حتى إذا سنحت له الفرصة حمل وحمل معه الناس، فاقتتلوا بالسيوف قتالاً شديداً، ما جعل ساحة المعركة مملوءة بالدماء والأشلاء، فزلق فرس النعمان في الدماء وصرع، وقيل: بل أصابه سهم في خاصرته فقتله، فسجّاه أخوه نعيم بثوبه وأخذ اللواء من يده ودفعه إلى حذيفة بن اليمان حسب وصية النعمان، وأخفى نعيم استشهاد أخيه عن الناس حتى لا تنهار معنوياتهم فلما أظلم الليل انهزم الفرس.

وطاردهم المسلمون، فلم ينج منهم إلا الشريد، حتى وصل المسلمون في مطاردتهم إلى (همذان) حيث استأمنهم أميرها!

وجعل المسلمون يسألون عن أميرهم النعمان، فقال لهم أخوه مَعقل: «هذا أميركم قد أقرّ الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة».

ودخل المسلمون نهاوند فاتحين بعد هزيمة الفرس، وبذلك انتهت معركة نهاوند الحاسمة التي أطلق عليها المسلمون بحق اسم: فتح الفتوح.

وكان عمر بن الخطاب بالمدينة يتسقط أنباء المسلمين لا يكاد يذوق النوم إلا غراراً، فلما جاءه رسول المسلمين من نهاوند سأله عمر: «ما وراءك؟»، قال:

«البشرى والفتح»، وسأل عمر: «وما فعل النعمان؟»، فقال: «زلّت فرسه في دماء القوم فصرع فاستشهد»، قال عمر وقد أفزعه النبأ وهزه: «إنا لله وإنا إليه راجعون!» ولم يتمالك نفسه أن بكى حتى نشج كأنما أصيب بأعز إنسان لديه.

وقال الرسول لعمر: يا أمير المؤمنين! ما أصيب بعده ـ يقصد النعمان ـ رجل تعرف وجهه»، فقال عمر: «أولئك المستضعفون من المسلمين، ولكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم! رما يصنع أولئك بمعرفة عمر[1].

❀ ❀ ❀

لا تحزن ولا تجزع وتوكل على الله القدير

قال الله جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 3].

فوِّض أمرك لله القدير ولا تبالي. فإن الدهر يوم لك ويوم عليك. واجعل اعتمادك على الحي الذي لا يموت، فكل شيء عنده بمقدار. والأمر أولاً وآخراً بيده. والقضاء جارٍ عليك شئت أم أبيت.

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ: من ترك الاختيار والتدبير في رجاء زيادة، أو خوف نقصان، أو طلب صحة، أو فرار من سقم، وعلمَ أن الله على كل شيء قدير، وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير، وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وأنه أعلم بمصلحته من العبد، وأقدر على جلبها وتحصيلها منه، وأنصح للعبد منه لنفسه، وأرحم به منه بنفسه، وأبَرّ به منه بنفسه. وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره خطوة واحدة، ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة؛ فلا متقدم له بين يدي قضائه وقدره ولا متأخر؛ فألقى نفسه بين يديه، وسلم الأمر كله إليه، وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدي ملك عزيز قاهر، له التصرف في عبده بكل ما يشاء.

وليس للعبد التصرف فيه بوجه من الوجوه، استراح حينئذٍ من الهموم والغموم

(1) «تاريخ الطبري» (2/ 478) و(3 ـ 206 ـ 213)، وانظرها أخي الكريم في كتابنا «طريق الجنة».

قيمة الوقت

ما الحياة إلا ثوانٍ وأنفاس تتراكم لتشكل العُمر. هذا العمر المحدود بالأجل، مهما طال وامتدَّ فلا بُدَّ من الموت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185]، وإذا جاء الأجل فلا تقديم ولا تأخير. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: 61]، وهذا العُمر مسؤول عنه بين يدي الله تعالى، طال أم قُصر.

وعن الترمذي (2416)، بإسناد حسن، من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النَّبيِّ ﷺ قال: **«لا تزولُ قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتّى يُسأل عن خمسٍ، عن عُمُرِهِ فيمَ أفناهُ، وعن شبابه فيم أبلاهُ، وماله من أين اكتسبهُ، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما عَلِم؟»**.

وعند الترمذي (2417) أيضاً والداري (537) وأبي يعلى (7434)، بإسناد صحيح، من حديث أبي برزة الأسلمي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزولُ قدما عبدٍ يوم القيامة، حتّى يُسألَ عن عُمرهِ فيم أفناهُ، وعن علْمِهِ فيم فعل، وعن مالهِ من أين اكتسبهُ وفيم أنفقهُ، وعن جسمهِ فيم أبلاهُ»**.

وهكذا يتضح لنا قيمة الوقت، وأن على المرء أن يستغله بما فيه صالحه ونفعه، وأن يعمل على استثماره على أحسن وجه. وأن لا يترك نفساً واحداً من عمره يذهب سدىً. بل يكون في طاعة الله تعالى ومرضاته. وما هي إلا أياماً معدودات، وينقضي العمر، وترحل بنا الحياة إلى عالم الآخرة، لنلقى هناك جزاء أعمالنا، إن خيراً فخير، وإن كان غير ذلك، فالله تعالى أعلم به ـ نسأله جل وعلا العفو والعافية، وأن يتجاوز عنا ويدخلنا في واسع رحمته.

وفي ذلك يقول الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ مُبيِّناً شرف الوقت: ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يُضيع منه لحظة في غير قُربَة. ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة، من

بدرٍ، فتكلَّم أبو بكر فأَعْرَضَ عنه، ثم تَكَلَّمَ عمرُ فأَعْرَضَ عنه، فقالت الأنصار: يا رسولَ الله، إيَّانا تُريدُ؟ فقال المِقْدادُ بن الأَسود: يا رسولَ الله، والذي نَفْسِي بِيَدِه، لو أَمَرْتَنا أَن نُخِيضها البحرَ لأَخَضْناها، ولو أَمَرْتَنا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبادَها إلى بِرْكِ الغِمادِ فَعَلْنا، فشأنك يا رسولَ الله.

فنَدَبَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه، فانْطَلَقَ حتّى نَزَلَ بَدْراً وجاءت رَوَايا قُريشٍ، وفيهم غلامٌ لِبني الحَجَّاج أَسودُ، فأخذه أصحابُ رسولِ الله ﷺ فسَأَلوه عن أبي سُفيانَ وأَصْحابِه، فقال: أمّا أبو سفيانَ، فليسَ لي به عِلْمٌ، ولكنْ هذه قريشٌ، وأبو جَهْلٍ، وأُمَيَّةُ ابن خَلَف، قد جاءت. فيَضْربونَه، فإذا ضَرَبوه قال: نَعَم هذا أبو سفيان. فإذا تَرَكُوه فسَأَلوه عن أبي سفيانَ فقال: ما لي بأَبي سفيان من علم، ولكن هذه قريشٌ قد جاءت. ورسولُ الله ﷺ يُصَلِّي، فانصرف فقال: **«إنكُم لتضْرِبُونَه إذا صَدَقَكم، وتَدَعُونَه إذا كَذَبكُم»**.

وقال رسول الله ﷺ بيدِه فوَضَعَها فقال: **«هذا مَصْرَعُ فلانٍ غَداً، وهذا مَصْرعُ فُلانٍ غَداً، إنْ شاءَ الله تعالى»**. فالتَقَوْا فهَزَمَهُم الله ﷻ، فواللهِ ما أَمَاطَ رجلٌ منهم عن مَوْضِعِ كَفِّي النبي ﷺ.

قال: فخرج إليهم النبيُّ ﷺ بعد ثلاثةِ أيّام وقد جَيَّفُوا، فقال: **«يا أبا جَهْلٍ، يا عُتْبةُ، يا شَيْبةُ، يا أُمَيَّةُ: هل وَجَدْتُم ما وَعَدَكم رَبُّكُم حَقّاً؟ فإنِي قد وَجَدْتُ ما وَعَدَنِي رَبِّي حَقّاً»**. فقال له عمرُ: يا رسولَ الله، تَدْعوهم بعد ثلاثةِ أيّام وقد جَيَّفُوا؟ فقال: **«ما أَنتُم بأَسْمَعَ لِمَا أقولُ منهم، غيرَ أَنَّهُم لا يَسْتطيعونَ جواباً»**. فأَمَرَ بهم، فجُرُّوا بأَرْجُلِهم فأُلْقُوا في قَلِيبِ بَدْرٍ»[1]

الاستعداد ليوم الرحيل

يا من يبارز مَوْلاه بما يَكره، ويخالفه في أمرِه آمناً مَكْرَه، ويُنْعِم عليه وهو ينسى شُكره، والرحيل قد دنا وماله فيه فِكْرة، يا من قبائحه تُرْفَع عَشِيًّا وبُكْرة، يا قليلَ الزاد

(1) رواه الإمام أحمد (13296) ومسلم (2874) وأبو داود (2681)، وغيرهم، مطولاً ومختصراً. واللفظ لأحمد.

ما أطول السَّفرة، والنُّقْلَة قد دنَتْ والمصير الحفْرة، متى تعمل في قلبك المواعظ، متى تراقِب العواقبَ وتلاحِظ، أما تَحْذر من أَوْعد وهدَّد، أما تخاف من أنذَر وشدَّد، متى تَضطرم نارُ الخوف في قلبك وتتوقد، إلى متى بين القُصور والتَّواني تتردد، متى تحذَر يوماً فيه الجلودُ تَشْهد، متى تترك ما يَفْنى رغبةً فيما لا يَنْفد، متى تهبُّ بك ريحُ الخوف كأنك غصن يتأوَّد، البِدَار البِدَار إلى الفضائل، والحذار الحذار من الرذائل، فإنما هي أيامٌ قلائل:

اغتنِمْ في الفراغِ فَضْلَ ركوعٍ فعسىَ أن يكون موتُك بَغْتة
كم صحيحٍ رأيتَ من غير سُقْمٍ ذهبَتْ نفسُه السليمةُ فَلْتة

حجَّ مسروق فما نام إلا ساجداً، وكان مجير بن الربيع يصلي حتى ما يأتي فراشَهُ إلا حَبْواً.

اغتنم ركعتين زُلْفى إلى الله إذا كنت فارغاً مستريحا
وإذا ما هممت أن تفعل البا طِلَ فاجعل مكانَه تسبيحا

يا سكران الهوى وإلى الآن ماصحاً، يا مُفْنياً زمانَه الشريف لهواً ومرَحا، يا مُعرِضاً عن لومِ من لامَ وعَتْب من لحا، متى يعود هذا الفاسد مُصْلحا، متى يرجع هذا الهالك مُفلِحا.

لقد أتعبتَ النصحاءَ الفصحاءَ، أما وعِظْت بما يكفِي، أما رأيتَ من العبرة ما يشفي، فانظر لنفسك قبل أن يعمَى الناظر، وتفكر في أمرك بالقلب الحاضِر، ولا تساكن الفتورَ فإنك إلى مسكن القبور صائِر، فالحيُّ للممات، والجْمع للشَّتات والأمر ظاهر.

عاصِ الهوَى إنَّ الهوَى مَرْكبٌ يَصْعبُ بعدَ اللِّينِ منه الذّلولُ.
إن يَجْلبِ اليومَ الهوى لذَّةً ففي غدٍ منه البُكا والعَويلُ
ما بين ما يَحْمد فيه وما يدعو إليه الذمَّ إلا القليلُ (ج)

❀ ❀ ❀

كيفية الدخول على مساكن الذين ظلموا أنفسهم!

أقوامٌ هلكوا بسبب تمردهم على أنبياء الله تعالى ورسله! لقد تركوا أماكنهم ومساكنهم ليذهبوا إلى الجحيم. وخلَّفوا وراءهم لعنة السماء تحلّ بديارهم إلى يوم الدين. وهي ما زالت إلى أيامنا هذه، آثاراً تدل على هلاكهم ودمارهم.

ولكن كيف ندخل على مساكنهم، ونزور آثارهم؟ إنه رسول الله ﷺ مُعلِّمنا ومرشدنا. فعن عَبدِ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما، أَن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا تَدخُلُوا عَلى هَؤُلاءِ المُعَذَّبِينَ، إِلاَّ أَن تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَم تَكُونُوا بَاكِينَ فَلا تَدخُلُوا عَلَيهِم لا يُصِيبَكُم مَا أَصَابَهُم**» (متفق عليه).

وفي رِوَايةٍ: عَنهُ، قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُول اللهِ ﷺ عَلَى الحِجْرِ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَدخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم، إِلاَّ أَن تَكُونُوا بَاكِينَ، حَذَراً أَن يُصِيبَكُم مِثلَ مَا أَصَابَهُم**» ثُمَّ زَجَرَ، فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَّفَهَا.

وفي روايةٍ عَنهُ، أَنَّ النَاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى الحِجرِ أَرضَ ثَمُودَ، فَاستَقَوا مِنْ آبَارِهَا، وَعَجَنُوا بِهِ العَجِينَ، فَأَمَرَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ أن يُهرِقُوا مَا استَقَوا وَيَعلِفُوا الإِبِلَ العَجِينَ، وَأَمَرَهُم أَنْ يَستَقُوا مِنَ البِئرِ الَّتِي كَانَت تَرِدُهَا النَّاقَةُ[1].

وأما نهيه ﷺ عن الدخول على هؤلاء المعذبين إلا أن نكون باكين، إنما كان لما مرَّ الصحابة الكرام رضي الله عنهم مع رسول الله ﷺ بالحجر، ديار ثمود في حال توجههم إلى تبوك، كما جاء مصرحاً عند أحمد بلفظ: «نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود» والمراد بهؤلاء المعذبين، ومساكن الذين ظلموا، ديار ثمود، حيث إنهم عصوا رسول ربهم صالح عليه السلام، وعقروا الناقة، فأهلكهم الله بذنوبهم. قال الله تعالى إخباراً عن صالح عليه السلام قول نبيه صالح عليه السلام لقومه ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 155 ـ 158].

(1) الحديث بطرقه وألفاظه أخرجه أحمد (2/5225) والبخاري (433) ومسلم (2980) و(2981) والنسائي في «الكبرى» (6/11274) وابن حبان (6199) والبيهقي في «دلائل النبوة» (5/233، 234، و451) والبغوي في «شرح السنة» (4165).

وقوله ﷺ: **«إلا أن تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم»** قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله تعالى: معناه أن الداخل في دار قوم أُهلِكوا بخسفٍ أو عذاب إذا لم يكن باكياً إما شفقة عليهم، وإما خوفاً من حلول مثلها به، كان قاسي القلب، قليل الخشوع، فلا يأمن إذا كان هكذا أن يصيبه ما أصابهم.

وفيه دليل أن ديار هؤلاء لا تُتخذ مسكناً ووطناً، لأنه لا يكون دهره باكياً أبداً، وقد نهى أن يدخلها إلا هكذا. والله تعالى أعلم.

وقال الحافظ في «الفتح» قوله ﷺ: **«أن يصيبكم»** أي خشية أن يصيبكم، ووجه هذه الخشية، أن البكاء يبعثه على التفكر والاعتبار، فكأنه أمرهم بالتفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة ثم إيقاع نقمته بهم وشدة عذابه، وهو سبحانه مقلب القلوب، فلا يأمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك.

والتفكر أيضاً في مقابلة أولئك نعمة الله بالكفر وإهمالهم إعمال عقولهم فيما يوجب الإيمان به والطاعة له. فمن مرّ عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتباراً بأحوالهم فقد شابههم في الإهمال، ودل على قساوة قلبه وعدم خشوعه، فلا يأمن أن يجره ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم. وبهذا يندفع اعتراض من قال: كيف يصيب عذاب الظالمين من ليس بظالم؟ لأنه بهذا التقرير لا يأمن أن يصير ظالماً فيعذَّب بظلمه.

وفي الحديث الحث على المراقبة، والزجر عن السكنى في ديار المعذبين، والإسراع عند المرور بها، وقد أُشير بذلك في قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: 45].

وقوله: **«... فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهرقوا ما استقوا ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة»**. قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى: في هذا الحديث فوائد منها: النهي عن استعمال مياه بئار الحجر، إلا بئر الناقة. ومنها: لو عجن منه عجيناً لم يأكله بل يعلفه الدواب. ومنها أنه يجوز علف الدابة طعاماً مع منع الآدمي من أكله. ومنها مجانبة آبار الظالمين، والتبرك بآبار الصالحين. والله تعالى أعلم.

سجع على قوله تعالى

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: 41]

يا من يُدْعَى إلى نجاته فلا يجيب، يا من قد رضِي أن يخسر ويَخيِب، إنّ أمرك طريفٌ وحالك عجيب، اذكر في زمان راحتك ساعةَ الوَجِيب ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: 41].

وَيْحَك إنّ الحق حاضر ما يغيب، تُحصى عليكَ أعمالُ الطُّلوعِ وأفعال المغِيب، ضاعت الرياضةُ في غير نَجيب، سِيْماكَ تدلُّ وما يخفَى المريب، اسمع لا بد لِغرْبان الفِراق من نَعيب، أَنُساكِنُ الغفلةَ ولغيرنا نَعيبِ، يا من سِلَعه كلها مَعِيب، اذكر يوم الفزع والتأنيب ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: 41].

لا بد والله من فراق العيشِ الرطيب، والتحاف البِلَى مكانَ الطِّيب، واعجباً لِلَّذاتِ بعدَ هذا كيف تطيب، ويحك أحضر قلبك لوعظ الخطيب ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: 41].

تذكَّر من قد أُصيب كيف نزل بهم يومٌ عصيب، وانتبه لأحظِّ الحظِّ والنصيب، واحترزْ فعليك شهيدٌ ورقيب، إذا حلَّ الموتُ حُلَّ التركيب، وتُقلِّب مُقَل القلوب في قَلْب التقليب، فتنزعج الروح انزعاج الصِّرْمة[1] إذا أحسَّت بذِيب، فالتفتْ يا محبَّ الهوى عن هذا الحبيب ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: 41].

ستخرج والله من هذا الوادي الرحيب، ولا ينفعك البكاء والنَّحيب، لا بدَّ من يوم يتحيَّر فيه الشبان والشِّيب، ويَذْهل فيه الطفل للهول ويَشِيب، يا من عمله كله رَدِيء فليته قد شِيب ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

كيف بك إذا أُحضرت في حالٍ كئيب، وعليك ذنوب أكثر من رملٍ كثيبٍ، والمهيمن الطالب والعظيمُ الحسيب، فحينئذ يبعد عنك الأهلُ والنَّسِيب، النَّوْحُ أولى بك يا مغرور من التَّشْبيب، أتؤمِن أم عندك تكذيب، أم تُراك تَصْبر على التعذيب، كأنك بدمع العين ومائها قد أُذيب، إقبل نُصْحي وأقبل على التهذيب ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: 41].

---

(1) الصرمة: القطعة من الإبل أو الغنم من العشرين إلى الثلاثين والأربعين.

يا مطالباً بأعماله، يا مسؤولاً عن أفعاله، يا مكتوباً عليه جَميعُ أقواله، يا مناقَشاً على كل أحواله، نِسيانك لهذا أمرٌ عجيب، أتسكن إلى العافية وتُساكن العيشةَ الصافية وتظن أيمان الغرور واقية، لا بد من سهمٍ مصيب ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: 41].

لو أحسنتَ الخلاَص أحسنتَ، لو آمنتَ بالعَرْض لتجمَّلْت وتزيَّنْت، يا من قد انعجمت عليه الأمُورُ لو سألتَ لتبيَّنت، ويحك أحضر قلبك إنما أنت في الدنيا غريب ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: 41].

إلى متى أنت مع أغراضك، متى ينقضي زمانُ إعراضك، يا زمن البلى متى زمن إنهاضك، فالله لقد كَعَّ من أمراضك الطبيب. (ج)

❀ ❀ ❀

«يا حنظلة، ساعة وساعة»

النَّاسُ هم النَّاس، ولو تبدلت الأزمنة والأمكنة. أو تغيرت الأجناس والألوان «**كُلكم من آدم وآدم من تراب**» وفي القرآن الكريم، خاطب الله تعالى في كثير من آياته جميع الناس بلغة واحدة، وخطاب واحد، من غير تمييز ولا استثناء، ولا تفضيل، فقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21].

وقد أمر سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ بأن يخاطب الناس جميعهم، بخطاب واحد، فقال جل وعلا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158].

فالناس هُم هُم، على مرِّ العصور والدهور، وتعاقب الأيام والفصول. ومهما بلغ الناس ـ ما عدا الأنبياء والرسل ـ درجة من الإيمان، فلن يرقوا إلى عالم الملائكة، الذين خُلِقوا من نور، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6].

وصحابة رسول الله ﷺ بلغوا من الإيمان ما بلغوا، ولكنهم بشر كسائر البشر، ولكنهم شُرِّفوا بصحبة أفضل الخلق، وسيد الأولين والآخرين، رسول الهدى ودين الحق، سيدنا محمد عليه من الله تعالى أفضل السلام وأتم التسليم. فكيف كان حالهم مع رسول الله ﷺ، ومع أنفسهم. فلنستمع ولنعتبر.

فقد روى الإمام أحمد (17621) ومسلم (2750) والترمذي (2452)، وغيرهم، من طريق سَعِيدِ بنِ إِيَاسٍ الجُرَيرِيِّ، عَن أَبِي عُثمَانَ النَّهدِيِّ، عَنْ حَنظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ قَالَ: وَكَانَ مِنْ كُتَّاب رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكرٍ فَقَالَ: كَيفَ أنتَ يَا حَنظَلَةُ؟ قَالَ: قُلتُ: نَافَقَ حَنظَلَةُ.

قالَ: سُبحَانَ اللهِ، مَا تَقُولُ.

قال: قُلْتُ: نَكونُ عِند رَسُولِ اللهِ ﷺ. يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالجَنَّةِ. حَتَّى كَأَنَّا رَأيُ عَينٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِندِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَافَسنَا الأزوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضيعَاتِ[1] فَنَسِينَا كَثِيراً.

قَالَ أَبُو بَكرٍ: فَوَاللهِ، إِنَّا لَنَلقَى مِثلَ هَذَا.

فَانطَلَقْتُ أنَا وَأَبُو بَكرٍ، حَتَّى دَخَلنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. قُلتُ: نَافَقَ حَنظَلَةُ[2] يَا رَسُولَ اللهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟».

قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَكُون عِندَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالجَنَّةِ، حَتَّى كَأنا رَأيُ عَيْنٍ. فَإِذَا خَرَجنَا مِنْ عِندِكَ، عَافَسنَا الأزوَاجَ وَالأولاَدَ وَالضيعَاتِ. نَسِينَا كَثِيراً.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، إِن لَو تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِندِي، وَفِي الذِّكرِ، لَصَافَحتكُمُ المَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُم وَفِي طُرُقِكُم. وَلَكِن، يَا حَنظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلاَثَ مَرَّات.

---

(1) قوله: (عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات) هو بالفاء والسين المهملة، قال الهروي وغيره: معناه حاولنا ذلك، ومارسناه واشتغلنا به، أي عالجنا معايشنا، وحظوظنا، والضيعات جمع ضيعة بالضاد المعجمة، وهي معاش الرجل من مال، أو حرفة، أو صناعة، وروى الخطابي هذا الحرف عانسنا بالنون، قال: ومعناه لاعبنا، ورواه ابن قتيبة، بالشين المعجمة قال: ومعناه عانقنا والأول هو المعروف وهو أعم..

(2) قوله: (نافق حنظلة) معناه أنه خاف أنه منافق، حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ ويظهر عليه ذلك مع المراقبة، والفكر، والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة، والأولاد، ومعاش الدنيا، وأصل النفاق إظهار ما يكتم خلافه من الشر، فخاف أن يكون ذلك نفاقاً فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس بنفاق، وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك، بل ساعة وساعة، أي ساعة كذا، وساعة كذا. ذكره النووي.

علم الورق وعلم الخرق

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11]، وقال جل وعلا: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76]، وقال جل وعلا: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: 132] الآية.

«**فضل العالم على العابد، كفضلي على أدناكم**» كلمة قالها رسول الله ﷺ ليُبيِّن للمؤمنين فضل العالم منهم على فضل العابد، وليحثهم على العلم وطلبه والعمل به.

ولا يغيب عن أذهاننا أن أول ما نزل من الوحي كان أمراً بالقراءة والعلم فقال جل وعلا: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1 ـ 5].

وهكذا يتبين لنا شرف العلم، وعلو منزلة العالم على غيره. وكيف أن الكتاب والسُّنَّة، اجتمعا على الحث على طلب العلم والعمل به لئلا يكون حجة على صاحبه. وفي ذلك يقول الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ ليس في الوجود شيء أشرف من العلم، كيف لا وهو الدليل. فإذا عدم وقع الضلال. وإن من خفي مكائد الشيطان أن يزين في نفس الإنسان التعبد ليشغله عن أفضل التعبد وهو العلم، حتى إنه زُين لجماعة من القدماء أنهم دفنوا كتبهم أو رموها في البحر، وهذا قد ورد عن جماعة. وأحسن ظني بهم أن أقول: كان فيها شيء من رأيهم وكلامهم فما أحبوا انتشاره. وإلا فمتى كان فيها علم مفيد صحيح لا يخاف عواقبه، كان رميها إضاعة للمال لا يحل. وقد دنت حيلة إبليس إلى جماعة من المتصوفة حتى منعوا تلامذتهم من حمل المحابر. وحتى قال جعفر الخلدي: لو تركني الصوفية جئتكم بإسناد الدنيا، كتبت مجلساً عن أبي العباس الدوري فلقيني بعض الصوفية فقال: دع علم الورق، وعليك بعلم الخرق. ورأيت محبرة مع بعض الصوفية، فقال له صوفي آخر: استر عورتك! وقد أنشدوا للشبلي:

إذا طالبوني بعلم الورقِ ... بَرَزتُ عليهم بعلمِ الخرق

وهذا من خفي حيل إبليس، ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: 20]، وإنما فعل ذلك وزيَّنه عندهم لسببين:

أحدهما: أنه أرادهم يمشون في الظلمة.

والثاني: أن تصفّح العلم كل يوم يزيد في علم العالم. ويكشف له ما كان خفي عنه، ويقوي إيمانه ومعرفته، ويريه عيب كثير من مسالكه، خصوصاً إذا تصفح منهاج الرسول ﷺ، والصحابة.

فأراد إبليس سد تلك الطرق بأخفى حيلة، فأظهر أن المقصود العمل، لا العلم لنفسه، وخفى على المخدوع أن العلم عمل وأي عمل. فاحذر من هذه الخديعة الخفية، فإن العلم هو الأصل الأعظم، والنور الأكبر، وربما كان تقليب الأوراق أفضل من الصوم والصلاة، والحج والغزو.

وكم من مُعْرِضٍ عن العلم يخوض في عذاب من الهوى في تعبده، ويضيع كثيراً من الفرض بالنفل، ويشتغل بما يزعمه الأفضل عن الواجب. ولو كانت عنده شعلة من نور العلم لاهتدى، فتأمل ما ذكرت لك ترشد إن شاء الله تعالى.



مقابلة مع الأخت المسلمة جميلة يامزن الهولندية الأصل

جميلة ولدت سنة 1965.

ديانتها في الأصل: كاثوليكية.

ووظيفتها: ممرضة.

وكانت تعتقد دينها حتى قابلت شاباً مسلماً، وأول ما سمعت عن الإسلام في حياتها عندما تزوجت بهذا الشاب قبل خمس سنوات.

قالت: إنه بعد أن تزوجها كان يغلق على نفسه الباب وتسمع منه كلاماً وتظن أنه يتحدث في الهاتف، وسألته من تكلم عندما تكون في الغرفة؟ قال: أنا أصلي خمس مرات في اليوم، فقالت له: ولماذا تغلق على نفسك؟ أنا مسيحية ولكني أحترم دينك.

قلت لها: ما الذي دفعك إلى الإسلام؟.

قالت: إنها تعلمت الإسلام من زوجها وشعرت أن الإسلام حق، فأسلمت قبل سنة ونصف، وكان لزوجها صديق مسلم تعلمت منه، واسم زوجها حسن.

وأهم ما جذبها إلى الإسلام معرفتها أن لها خالقاً وهي مخلوقة له ويجب أن تعبده.

وسألتها: عن موقف أسرتها منها؟.

فقالت: إن عائلتها تفهمت أمرها، وأمها يمكن أن تسلم قريباً، وأختها قالت لها: هذا أمر سخيف، ولكن ما دمت سعيدة في حياتك فلا بأس، وبعض أهلها يسخرون منها، ولكن لم تواجه من الجميع مشكلات.

وسألتها: كيف حياتك قبل الإسلام وحياتك بعده؟.

قالت: إنها كانت تشعر قبل الإسلام أنها تفقد شيئاً، ولكنها بعد الإسلام وجدت هذا الشيء.

وسألتها: هل يهتم المسلمون من الجالية بالمسلمين الهولنديين؟ **قالت**: نعم.

قلت: وهل يهتمون بغير المسلمين فيدعونهم؟ **قالت**: نعم.

قلت لها: ما صفات الداعية الناجح؟.

قالت: أن يكون قادراً أن يوضح للناس أنه توجد أشياء أجمل وأخلد من متع الحياة الدنيا. وأن يستخدم الوسائل وضرب الأمثال من الأشياء التي تحيط بغير المسلم، للفت نظره إليها.

وكانت جميلة في غاية من الفرح والسرور والابتهاج بهذا الدين وأبدت سرورها بهذا الزائر الذي يزور المسلمين من أهل أوروبا.

❁ ❁ ❁

عاقبة الخوف من الله تعالى

خشية الله تعالى في الغيب، من أجلِّ الأمور وأعظمها عند الله سبحانه وتعالى. وفي التنزيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك: 12]، أي لهم مغفرة لذنوبهم، وفوق ذلك الفوز برضوان الله تعالى، والخلود في جنات النعيم ـ جعلنا الله تعالى منهم ورزقنا خشيته بالسر والعلن ـ. وكان فيمن مضى ممن سبق من الأمم رجل تمادى وأسرف على نفسه، ولكنه رُزق مخافة الله الجليل. فكان خوفه ذلك منجاة له، ومغفرة لذنوبه.

ففي «الصحيحين» من طريق عبد الرزاق، قال: أَخبَرَنَا مَعمَرٌ قَالَ: قَالَ لِي الزُّهرِيُّ: أَلاَ أُحَدِّثُكَ بِحَديثَينِ عَجِيبَينِ؟ قَالَ الزُّهرِيُّ: أَخبَرَنِي حُمَيدُ بنُ عَبدِ الرَّحمَنِ، عَن أَبِي هُرَيرَةَ، عَنِ النبِيّ ﷺ قَالَ:

«أَسرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوتُ أَوصَى بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنا مُتُّ فَأَحرِقُوني، ثُمَّ إِسحَقُونِي، ثُمَّ أَذرُوني فِي الرِّيحِ فِي البَحرِ فَوَالله، لَئِن قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي، لَيُعَذِّبُنِي عَذَاباً مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحداً. قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ. فَقَالَ لِلأَرضِ: أَدِّي مَا أَخَذتِ. فَإِذا هُوَ قَائِمٌ. فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعتَ؟ فَقَالَ: خَشيَتُكَ، يَا رَبِّ، ـ أَو قَالَ ـ مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ».

❀ ❀ ❀



حِكَمٌ وعبرٌ

ـ مَنْ لم ينتفع بعينه لم ينتفع بأذنه.

ـ للعبد سترٌ بينه وبين الله، وسترٌ بينه وبين الناس؛ فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس.

ـ للعبد ربٌّ هو ملاقيه، وبيتٌ هو ساكنه؛ فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه، ويعمر بيته قبل انتقاله إليه.

ـ إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها.

ـ الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي غمّ ساعة، فكيف بغمّ العمر؟!.

ـ محبوب اليوم يعقب المكروه غداً، ومكروه اليوم يعقب المحبوب غداً.

ـ أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولى بها وأنفعُ لها في معادها.

ـ كيف يكون عاقلاً مَن باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة؟!.

ـ يخرج العارف من الدنيا ولم يقضِ وطره من شيئين: بكاؤه على نفسه، وثناؤه على ربه.

ـ المخلوق إذا خِفْتَهُ استوحشتَ منه وهربت منه، والرب تعالى إذا خفته أنِستَ به وقربتَ إليه.

ـ لو نَفَعَ العلمُ بلا عمل لمَا ذمَّ الله سبحانه أحبارَ أهل الكتاب، ولو نَفَعَ العملُ بلا إخلاص لمَا ذمَّ المنافقين.

ـ دافعِ الخطرة؛ فإن لم تفعل صارت فكرة. فدافع الفكرة؛ فإن لم تفعل صارت شهوة. فحاربها؛ فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمَّة؛ فإن لم تدافعها صارت فعلاً؛ فإن لم تتداركه بضدِّه صار عادة؛ فيصعب عليك الانتقال عنها.

ـ مراتب التقوى:

ـ التقوى ثلاث مراتب:

إحداها: حمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرمات.

الثانية: حميتها عن المكروهات.

الثالثة: الحميّة عن الفضول وما لا يعني.

فالأولى تعطي العبد حياته، والثانية تفيده صحته وقوته، والثالثة تكسبه سروره وفرحه وبهجته.

ـ غموض الحق حين تذبُّ عنه ... يقلل ناصر الخصم المحقِّ

تضلُّ عن الدقيق فهوم قومٍ ... فتقضي للمجلِّ على المدقِّ

ـ بالله أبلغُ ما أسعى وأدركُه ... لا بي ولا بشفيع لي من الناسِ

إذا أيستُ وكاد اليأس يقطعني ... جاء الرجا مسرعاً من جانب اليأسِ

ـ مَن خلقه الله للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره، ومَن خلقه للنار لم تزل هداياها تأتيه من الشهوات.

ـ لمَّا طلب آدم الخلود في الجنة من جانب الشجرة عوقب بالخروج منها، ولمَّا طلب يوسف الخروج من السجن من جهة صاحب الرؤيا لبث فيه بضع سنين.

ـ إذا جرى على العبد مقدور يكرهه، فله فيه ستة مشاهد:

أحدها: مشهد التوحيد، وأن الله هو الذي قدّره وشاءه وخلقه، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وفي «التبصرة»:

خُلِقْنا لأحداث الليالي فرائساً ... تزفّ إلى الأجداث منا عرائسا
تجهِّز منا للقبور عساكراً ... وتُرْدِف أعوادَ المنايا فوارسا
إذا أمَلٌ أرْخَى لنا من عنانه ... غَدا أجَلٌ عما نحاوِل حابسا
أرى الغُصْن لما اجتُثَّ وهو بمائه ... رَطيباً وما أصبح الغُصْن يابسا
نَشِيدُ قصوراً للخلود سفاهةً ... ونصبر ما شئنا فتورا دَوَارسا
وقد نَعت الدنيا إلينا نفوسنا ... بمن مات منا لو أصابت أكايِسا
لقد ضَربتْ كسرى الملوك وتُبعًا ... وقيصر أمثالاً فلم نر قائسا
نرى ما نرى منها جِهَارا وقد غدا ... هواها على نور البصيرة طامِسا
وقد فضح الدنيا لنا الموتُ واعظا ... وهيهات ما نزداد إلا تَقاعُسا

❀ ❀ ❀

حقوق الزوجين تجاه الأسرة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: 1 ـ 3]، وقال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: 32].

وعن ابنِ عُمر رضي الله عنهما، عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ألاَ كُلُّكُم رَاعٍ، وكُلُّكُم مَسؤولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، فَالأمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسؤولٌ عَن رَعِيتِهِ.

والرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أهلِ بَيتِه، وَهُوَ مَسؤُولٌ عَنهُم.

وَالعَبدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسؤُولٌ عَنهُ.

ألاَ فَكُلُّكُم رَاعٍ، وَكُلُّكُم مَسؤولٌ عَن رَعِيَّتِهِ»[1].

---

(1) رواه أحمد (4495) والبخاري (893) ومسلم (1829) والترمذي (1705) وابن حبان (4489) والبيهقي (7/ 291) وغيرهم.

وفي لفظٍ عند البخاري وغيره: «والخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ، وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

قال ابن عمر: وحسبت أن قد قال: «والرَّجُلُ رَاعٍ في مَالِ أَبِيهِ وَمَسؤُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ. وَكُلُّكُم رَاعٍ وَمَسؤُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ».

قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره. ففيه؛ أن كل من كان تحت نظره شيء، فهو مُطالبٌ بالعدلِ فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه، ومتعلقاته.

❀ ❀ ❀

سجعٌ على حرفِ «التاء»

الحمد لله الذي يمهل ولا يخاف فواتا، الذي قال للكون كُنْ فواتى، جمح بقدرته من المختلفات أشتاتا، وفرّق بين الإلفين وكم باتا، وقسر بقهره من تكبّر وتعاتى، كم مطمئنٌّ في غزّته أخذه بعزّتهِ بياتا، وكم هدم قصراً مشيّداً وكم زلزل أبياتا، يعلم ضمائر القلوب ويسمع أصواتا، لا ينقصه من ملكه ما وهب وآتى، جعل مهر الأخرى طلاقَ الدنيا بتاتا، وأعلَم الزاهدين أنها لا تستطيع ثباتا، مدّ الأرضَ وأثبتَها بالجبال إثباتا، وأخرج منهاجاً، وأبّاً جعله أقواتا، وصيّرها مساكنَ الخلقِ تربيهم صغاراً وتضمّهم رُفاتا، وكتب لفناء ساكنيها عمراً مقدّراً وميقاتا، فقضى لهم حياةً وقضى عليهم مماتا، ما تأتي عبرة مثل أنّ أباك وأمك ماتا، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات: 25 ـ 26]. (ج).

صدور الأحرار، قبور الأسرار

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ وأنا ابنُ تسعِ سنينَ، فانطَلَقَت بي أمّي أمُ سُلَيم إلى نبيِّ الله ﷺ، فقالت: يا رسولَ الله، هذا ابني استَخدِمْه. فخَدَمتُ النبيَّ ﷺ تسعَ سنينَ، فما قال لي لشيءٍ فعلتُه: لِمَ فعلتَ كذا وكذا؟ وما قال لي لشيءٍ لم أفعَلْهُ: ألاَ فعلتَ كذا وكذا؟

وأتاني ذاتَ يومٍ وأنا ألعبُ مع الغِلْمان ـ أو قال: مع الصِّبْيان ـ فَسَلَّمَ علينا، ثمَّ

دَعَاني، فأرسَلَني في حاجةٍ، فلَمَّا رجعتُ قال: «لا تُخبِرْ أحداً». فاحْتَبستُ على أُمّي، فلمَّا أَتيتُها قالت: يا بُنَيَّ، ما حَبَسَك؟ قلتُ: أرسَلَني رسولُ الله ﷺ في حاجةٍ له. قالت: وما هي؟ قلتُ: إنه قال: «لا تُخبِرَنَّ بِها أحداً» قالت: أيْ بُنَيَّ، فاكتُمْ على رسولِ الله ﷺ سِرَّه»(1)

❁ ❁ ❁

حِكَمٌ وعظات

ـ لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأهلها، وخداع الأمل لأربابه، وتملّك الشيطان وقياد النفوس، ورأوا الدولة للنفس الأمّارة، لجأوا إلى حصن التضرّع والالتجاء، كما يأوي العبد المذعور إلى حرم سيده.

ـ شهوات الدنيا كلعب الخيال، ونظر الجاهل مقصور على الظاهر، فأما ذو العقل فيرى ما وراء الستر.

ـ لاح لهم المشتهى، فلما مدُّوا أيدي التناول بان لأبصار البصائر خبط المخ، فطاروا بأجنحة الحذر وصوّبوا إلى الرحيل الثاني: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ [يس: 26]. تلمّح القوم الوجود، ففهموا المقصود، فأجمعوا الرحيل قبل الرحيل، وشمَّروا للسير في سواء السبيل؛ فالناس منشغلون بالفضلات، وهم في قطع الفلوات، وعصافير الهوى في وثاق الشبكة ينتظرون الذبح.

ـ وقعَ ثَعلَبان في شبكة، فقال أحدهما للآخر: أين الملتقى بعد هذا؟ فقال: بعد يومين في الدباغة.

ـ تالله ما كانت الأيام إلا مناماً، فاستيقظوا وقد حصلوا على الظفر.

ـ ما مضى من الدنيا أحلام، وما بقي منها أماني، والوقت ضائع بينهما.

ـ كيف يسلمُ من له زوجة لا ترحمه، وولد لا يعذره، وجارٌ لا يأمنه، وصاحب لا ينصحه، وشريك لا ينصفه، وعدوٌّ لا ينام عن معاداته، ونفس أمَّارة بالسوء، ودنيا

---

(1) رواه الإمام أحمد (12784) ومسلم (2482) والطيالسي (2032) وأبو يعلى (3366)، وغيرهم مطولاً ومختصراً. واللفظ لأحمد

متزينة، وهوىً مردٍ[1]، وشهوة غالبة له، وغضب قاهر، وشيطان مزين، وضعف مستولي عليه. فإن تولاه الله وجذبه إليه، انقهرت له هذه كلها، وإن تخلى عنه، ووكله إلى نفسه، اجتمعت عليه فكانت الهلكة.

ـ لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنَّة والمحاكمة إليها، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ، عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم، وظلمة في قلوبهم، وكَدر في أفهامهم، ومحق في عقولهم. وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم، حتى ربيَ فيها الصغير، وهرمَ عليها الكبير؛ فلم يروها منكراً. فجاءتهم دولة أخرى قامت فيها البدَع مقام السنن، والنفس مقام العقل، والهوى مقام الرشد، والضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والجهل مقام العلم، والرياء مقام الإخلاص، والباطل مقام الحق، والكذب مقام الصدق، والمداهنة مقام النصيحة، والظلم مقام العدل. فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور، وأهلها هم المشار إليهم، وكانت قبل ذلك لأضدادها، وكان أهلها هم المشار إليهم.

فإذا رأيت دولة هذه الأمور قد أقبلت، وراياتها قد نُصبت، وجيوشها قد ركبت؛ فبطنُ الأرض والله خيرٌ من ظهرها، وقلل[2] الجبال خيرٌ من السهول، ومخالطة الوحش أسلم من مخالطة الناس.

ـ اقشعرّت الأرض، وأظلمت السماء، وظهر الفساد في البرِّ والبحر من ظلم الفَجَرة، وذهبت البركات، وقلّت الخيرات، وهزلت الوحوش، وتكدّرت الحياة من فسق الظلَمة، وبكى ضوءُ النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش وغلبة المنكرات والقبائح. وهذا والله مُنذرٌ بسيل عذاب قد انعقد غمامه، ومُؤْذِن بليل بلاء قد ادلهمّ[3] ظلامُه. فاعزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح ما دامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح. وكأنكم بالباب قد أغلق، وبالرهن وقد غَلِق[4]، وبالجناح وقد علق ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

---

(1) المردي: المميت القاتل.

(2) قلل الجبال: قِمَمُها.

(3) ادلهمّ: اشتدّ ظلامه.

(4) غَلِقَ الرَّهن: استحقه المرتَهِن.

ـ اشترِ نفسَك اليوم؛ فإن السوق قائمة، والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يوم لا تصل فيه إلى قليل ولا كثير ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: 9]. ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: 27].

إذا أنتَ لم ترحل بزادٍ من التقى ... وأبصرتَ يوم الحشر مَن قد تزوَّدا
ندمتَ على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم تُرْصِد كما كان أرصدا

ـ العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه.

ـ إذا حَمَّلتَ على القلب همومَ الدنيا وأثقالَها، وتعاونتَ بأوراده التي هي قُوته وحياته، كنتَ كالمسافر الذي يحمِّل دابَّته فوق طاقتها ولا يوفيها علفها؛ فما أسرع ما تقف به.

ومُشَتَّت العزمات ينفق عمرَه ... حيران لا ظَفَرٌ ولا إخفاقُ
هل السائق العجلان يملك أمرَه ... فما كل سير اليعملات وخيد[1]
رويداً بأخفاف المطيّ فإنما ... تُداس جباهٌ تحتها وخدود[2]

ـ مَن تلمَّح حلاوة العافية هانت عليه مرارة الصبر.

ـ الغاية أول في التقدير، آخر في الوجود، مبدأ في نظر العقل، منتهى في منازل الوصول.

ـ أَلِفتَ عجز العادة، فلو عَلَت بك هِمّتُك رُبا المعالي لاحت لك أنوارُ العزائم.

ـ إنما تفاوُت القوم بالهِمَم لا بالصّوَر.

ـ نزولُ هِمَّةِ الكَسَّاح[3] دَلاَّهُ في جُبِّ العَذِرَة[4].

ـ بينك وبين الفائزين جبلُ الهوى، نزلوا بين يديه، ونزلتَ خلفَه، فاطوِ فصلَ منزل تلحق بالقوم.

(1) اليعملات: النوق المجبولة على العمل. الوخيد: السريع من سير الإبل.
(2) المطيّ: الدّواب التي تركب.
(3) الكسّاح: الذي ينظف الطرقات.
(4) العَذِرَة: الغائط.

ـ الدنيا مضمار سباق، وقد انعقد الغبار وخفِيَ السابق، والناس في المضمار بين فارس وراجل وأصحاب حُمرٍ معقرة.

سوف ترى إذا انجلى الغبار ... أفرسٌ تحتَك أم حمار

ـ في الطبع شرَه، والحمية أوفق.

ـ لصُّ الحرص لا يمشي إلا في ظلام الهوى.

ـ حبة المشتهى تحت فخ التلف؛ فتفكر الذبح، وقد هان الصبر.

ـ قوة الطمع في بلوغ الأمل، توجب الاجتهاد في الطلب، وشدة الحذر من فوت المأمول.

ـ البخيل فقير لا يؤجَر على فقره.

ـ الصبرُ على عطش الضرِّ ولا الشربُ من شِرْعةِ[1] مَنٍّ.

ـ تجوع الحُرَّة ولا تأكُل بثدييها.

ـ لا تسأل سوى مولاك؛ فسؤال العبد غير سيده تشنيع عليه.

ـ غرس الخلوة يثمر الأنس.

ـ استوحشْ مما لا يدوم معك، واستأنس بمن لا يفارقك.

ـ عزلة الجاهل فساد، وأما عزلة العالِم فمعها حذاؤها وسقاؤها.

ـ إذا اجتمع العقل واليقين في بيت العزلة، واستحضر الفكر، وجرت بينهم مناجاة:

أتاك حديث لا يُملُّ سماعُه ... شهيٌّ إلينا نثرُه ونظامُه

إذا ذكرته النفسُ زال عناؤها ... وزال عن القلب المعنَّى ظلامُه

ـ إذا خَرَجتْ من عَدُوِّكَ لفظةُ سَفَهٍ، فلا تُلْحقها بمثلها تُلَقِّحها، ونسلُ الخصام نسلٌ مذموم.

---

(1) الشرعة: مكان الشرب.

ـ حَمِيَّتُك لنفسك من أثر الجهل بها، فلو عرفتها حق معرفتها أعَنْتَ الخصمَ عليها.

ـ إذا اقْتُدِحت نار الانتقام من نار الغضب ابتدأت بإحراق القادح.

ـ أوثق غضبك بسلة الحلم؛ فإنه كلب إن أفلت أتلف.

ـ مَن سبقت له سابقة السعادة دلَّ على الدليل قبل الطلب.

ـ إذا أراد القدر شخصاً، بذر في أرض قلبه بذر التوفيق، ثم سقاه بماء الرغبة والرهبة، ثم أقام عليه بأطوار المراقبة، واستخدم له حارس العلم؛ فإذا الزرع قائم على سوقه.

ـ إذا طلع نجمُ الهمَّة في ظلام ليل البطالة، وردفه تمر العزيمة، أشرقت أرض القلب بنور ربِّها.

ـ إذا جَنَّ الليل، تغالبَ النومُ والسهر، فالخوف والشوق في مقدم عسكر اليقظة، والكسل والتواني في كتيبة الغفلة، فإذا حمل العزمُ حمل على الميمنة وانهزمت جنود التفريط، فما يطلع الفجر إلا وقد قُسمت السهمان[1] وبردت الغنيمة لأهلها.

ـ سفر الليل لا يطيقه إلاَّ مُضَمَّر[2] المجاعة، النجائب في الأوَّل، وحاملات الزاد في الأخير.

ـ لا تسأم من الوقوف على باب ولو طُردت، ولا تقطع الاعتذار ولو رُددت؛ فإن فُتحَ البابُ للمقبولين دونك فاهجم هجوم الكذابين وادخل دخولَ الطفيلية وابسط كفَّ ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾ [يوسف: 88].

ـ يا مستفتحاً باب المعاش بغير إقليد[3] التقوى، كيف توسع طريق الخطايا وتشكو ضيقَ الرزق؟!.

ـ لو وَقَفتَ عند مراد التقوى لم يَفُتْكَ مراد.

ـ المعاصي سَدٌّ في باب الكسب، وإن العبدَ لَيُحْرَمُ الرزقَ بالذنب يصيبُه.

(1) السّهمان: أسهم الغنيمة.
(2) المضمّر: الهزيل.
(3) **الإقليد: المفتاح.**

تــالله مــا جــئــتُــكــم زائــراً إلا وجــدتُ الأرضَ تُــطــوَى لــي
ولا انــثــنــى عــزمــيَ عــن بــابــكــم إلاّ تــعــثــرتُ بــأذيــالــي

- الأرواح في الأشباح كالأطيار في الأبراج، وليس ما أُعِدَّ للاستفراخ كمن هُيِّئَ للسباق.

- من أراد مِنَ العمال أن يعرف قدره عند السلطان، فلينظر ماذا يوليه من العمل، وبأي شغل يشغله.

- كن من أبناء الآخرة، ولا تكن من أبناء الدنيا؛ فإن الولد يتبع الأم.

- الدنيا لا تساوي نقل أقدامك إليها؛ فكيف تعدو خلفها؟.

- الدنيا جيفة، والأسد لا يقع على الجِيَف.

- الدنيا مجاز، والآخرة وطن، والأوطار إنما تُطلَب في الأوطان.

الاجتماع بالإخوان قسمان:

أحدهما: اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت؛ فهذا مضرَّته أرجح من منفعته، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت.

الثاني: الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة، والتواصي بالحق والصبر؛ فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها، ولكن فيه ثلاث آفات:

إحداها: تزيّن بعضهم لبعض.

الثانية: الكلام والخلطة أكثر من الحاجة.

الثالثة: أن يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود.

وبالجملة، فالاجتماع والخلطة لقاح: إما للنفس الأمّارة، وإما للقلب والنفس المطمئنة، والنتيجة مستفادة من اللقاح، فمن طاب لقاحه طابت ثمرته. وهكذا الأرواح الطيبة لقاحها من الملك، والخبيثة لقاحها من الشيطان، وقد جعل الله سبحانه بحكمته الطيِّباتُ للطيبين والطّيبين للطيبات، وعَكْسَ ذلك. (ق).

❀ ❀ ❀

النَّظَرِ في أُمُورٍ حِسيّة كَتعَرُّفِ القِبلَةِ، وأوقات العبادات، والطَّهارات، والنَّجَاسات، وقِيَم المُتلَفات

النَّظر فِكْرٌ مُوصِّل إلى معرفةٍ، أو اعتقاد، أو ظَنٍّ. إذ لا يُتَقَرَّبُ إلى الإله بِشَكٍّ ولا وَهْم. ولا يُكْتَفَى فيما يَتَعَلَّقُ بذاتِه وصِفَاتِه بِظَنٍّ وحسْبَان، ولا بُدَّ مِن اعتقادٍ جازِمٍ أو عِرْفانٍ، إذ لو اكتُفِيَ بالظنّ في ذلك لكان الظَّانُّ مُجَوِّزاً للعَيْبِ والنُّقْصَانِ، على المَلِكِ الدَّيَّان؛ وذلك مُنَافٍ للتعظيم والإجلال، والذُّلّ والإذعان؛ بخلاف المعتقِد؛ فإنَّه جازِمٌ بنفي النُّقْصَان؛ واكتُفِيَ بالظنّ في طُرُقِ معرفةِ الأحكام، إذ للربِّ أنْ يَحْكُمَ بما يشاء على وَفْقِ الظَّنِّ وعلى خِلافِه، ولا عَيْبَ في شيءٍ من ذلك ولا نُقْصَان. (س).

❀ ❀ ❀

علم الجينات الوراثية

علم الموروثات الجينية، من العلوم الحديثة المعاصرة، والتي فتح الله تعالى بها على بني البشر، ولكنه في الحقيقة علم ليس بالحديث ولا بالجديد على الإسلام والمسلمين فقد أشار إليه القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية المطهرة، والتي جاءت لتبين معاني القرآن، وتُفسر آياته.

ففي قصة السيدة مريم، وحملها بعيسى ـ عليه السلام ـ قال لها قومها عندما أتت بولدها وهي تحمله؛ إشارة منهم إلى تعاطيها الفاحشة، كما أخبر سبحانه وتعالى عند قوله: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: 27 ـ 28]. ففي قولهم ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ دلالة على أن المرء إنما ينزع بموروثاته الجينية إلى من هو من سلالتهم. وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 34] والولد إنما ينزع لأبيه أو لأمه أو لأجداده من أبيه أو أمه. وفي ذلك يقول الله تعالى لنبيه نوح ـ عليه السلام ـ عندما سأله نجاة ولده من الطوفان، كما أخبر سبحانه وتعالى حكاية عنه: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: 45 ـ 46].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ إشارة واضحة إلى أن موروثات ابن نوح الجينية، إنما لم تكن من سلالته، بل هي من سلالة أمه، والتي كانت مع الهالكين. وهكذا ولدها، كان ينزع إلى ما تنزع إليه أمه بخلاف ما كان عليه والده نوح ـ عليه السلام ـ

وأما في السُّنَّة النبوية المباركة، فقد حصل أن أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك، في قصة الرجل الذي جاء إليه ﷺ ليشكو له ﷺ ما حصل مع زوجته، وكيف أنها أنجبت له ولداً أسوداً، فهو شكٌّ في عفافها. فبين له رسول الله ﷺ أن الأمر خلاف ما يظن، وأنه متعلق بالسلالة الوراثية لأجداده.

فقد روى البخاري (5305) ومسلم (1500)، وغيرهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلاَماً أَسوَدَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَل لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَم. قَالَ: «فَمَا أَلوَانُهَا؟» قَالَ: حُمرٌ. قَالَ: «هَل فِيهَا مِنْ أَورَقَ؟» قَالَ: إِن فِيهَا لَوُرقاً. قَالَ: «فَأَنَّى أَتَاهَا ذلِكَ؟» قَالَ: عَسَى أن يَكُونَ نَزَعَهُ عِرقٌ. قَالَ: «وَهذَا عَسَى أَن يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ».

وهكذا يتبين لنا بوضوح، كيف أن رسول الله ﷺ كشف لهذا السائل، وللبشرية جمعاء، عن علمٍ وسر من أسرار الخلق البشري. ليثبت للعالم أنه إنما ينطق عن وحي السماء، كما أخبر الباري سبحانه وتعالى، فقال في حقه ﷺ :﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: 3 ـ 5].

❀ ❀ ❀

أين الحبيب والخليل؟

عِشْ ما شئتَ، فإنك مفارِقٌ، وخذْ ما شئتَ، فإنك تاركٌ، واعملْ ما شئتَ فإنك محاسبٌ.

سَهْم المنايا أبداً صائبٌ ... يدعو إليه الناس مستعرِضا
بينا الفتى في عَيْشِهِ ناعمٌ ... تغرُّهُ الأيامُ حتى قَضَى
وكل يومٍ مرَّ من عمره ... يَحْدوه للتَّرْحال مُسْتنهضا
والنَّفس دَيْن الموتِ عند الورى ... ودَيْنه لا بد أن يقتضَى

يا عجباً من عالمٍ آمِنٍ من غدره أو سيفه المنتضَى
أين الذين استبقوا للنُّهى واغْتَبقُوا بالمشْرَب المرتضَى
طوَتْهم الأجداثُ في ضِيقها وعادَ من يهواهُم مُعْرِضا

أين الحبيب والخليل؟ ودَّعا، أين الرفيق؟ رحَل عنكم ودعا، أأبقى الموتُ لكم في الحياة مَطْمَعا؟ أخذ الصغير والكبير معاً، صاح بالوالد والولد فأسرعا، جُزْ على القبور ترى القومَ خُشَّعا، أين الفهم والتدبر، أين أهل الجمل والتكبر، أين من فسحَ لنفسه في الزَّلَل، أين من خانها بقبيح العمل، بَيْنا هو يَعْمر في رِبَاعها، وقد اشتراها وما باعها، يحفر فيها الأنهار، ويغرس فيها الأشجار، والمماليك تدور حول الدار والسّرَاري بحسنها تَسرّ، ونُحورها قد زانَها الدُّرّ، والتُّخوت تملأ الصناديق، وركن العِزّ في الدنيا وَثِيق، والمال يُجْمعَ فوق المال، والخيل تَرْدِي في الجِلاَل، والمراكب من الحلي تُصَاغ، وقد مُنحت الصحةُ إلى الفراغ، ثم ساعَد ساعِد الشباب كفَّ الهوى على الاستلاب، والعُود قد رثَّ ثم عاد، والبطشُ في الملك بطشُ عاد، وقد أسكرت من قبل شُرْب الخمر لذة النهى والأمر، صاحب بَيْن البَيْن أغربةُ البَيْن، فمزقت العَيْن وأسْخنت العين، فالله لقد استُلب صاحب القَصْر بكف القَسْر، فصار بالقَهْر أُحدوثة الدهر، ولقد كان على غاية المنى في أول الشهر، فواعجباً لجنة صارت كالصَّريم بعد الزَّهْر.

نُودِي بصوتٍ أيّما صوتِ ما أقربَ الحيَّ من الموتِ
كأنّ أهلَ الغِيِّ في غيِّهم قد أخذوا أمْناً من الفَوْتِ
كم مُصْبح يَعْمر بيتاً له لم يُمْس إلا خَرِب البيتِ
هذا وكم حيٍّ بكى ميِّتا فأصبح الحيُّ مع الميْتِ

يا مشغولاً بما لديه عما بين يديه، يا غافلاً عن الموت وقد دنا إليه، يا ساعياً إلى ما يضره بقدميه، يا مختار المؤذِي له من حالتيه، يأمن الدهر وقد رأى صَرْفَيْه، كم عايَن ميّتاً لو اعتبر بعينيه، إنما أغار على شبابهِ هاجمٌ على فَوْديه، أينفعه يوم الرحيل دمع يملأ خديه؟ يا من يصير عن قليل إلى حُفْرة، تنبَّه لنفسك من هذه السَّكْرة، لو أنك تذكَّرت لحدك كيف تَبِيت وحدك، ويباشر الترابُ خدَّك وتتقسَّم الديدان جلدك، ويضحك المحب بَعْدك ناسياً عنه بُعْدك، والأهلُ قد وجدوا المالَ، وما وجدوا فَقْدك، إلى متى وحتى متى تترك رُشْدك، أما تُحْسِن أن تُحْسِن قَصْدك، الأمر مُجِدّ جِداً فالزم جِدَّك.

ذهب الأحبةُ طول تودّد ونأى المزارُ فأسلموك وأقشعُوا
خذلوك أفقر ما تكون لغربة لم يؤنسوك وكُرْبةً لم يَدْفعوا
قُضِي القضاءُ وصرت صاحب حُفرة عنك الأحبةُ أعرضوا وتصدَّعوا

❀ ❀ ❀

حرمة الظلم وعقوبة فاعله

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: 18]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ [إبراهيم: 42 ـ 43].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [إبراهيم: 22].

وقال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: 65].

وقال تعالى: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: 21]. والآيات في هذا الباب كثيرة.

ـ وعن أبي ذر ﷺ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ: «قَالَ: يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمتُ الظُّلمَ عَلَى نَفسِي وَجَعَلتُهُ بَينَكُم مُحَرَّماً. فَلا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي! كُلُّكُم ضَالٌّ إِلاَّ مَن هَدَيتُهُ. فَاستَهدُونِي أَهْدِكُم. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَن أَطعَمتُهُ. فَاستَطعِمُونِي أُطعِمْكُم. يَا عِبَادِي! كُلُّكُم عَارٍ إِلاَّ مَن كَسَوْتُهُ. فَاستَكسُونِي أَكسُكُم. يَا عِبَادِي! إِنَّكُم تُخطِئُونَ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغفِرُ الذنُوبَ جَمِيعاً. فَاستَغفِرُونِي أَغفِرُ لَكُم يَا عِبَادِي، إِنَّكُم لَن تَبلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَن تَبلُغُوا نَفعِي فَتَنفَعونِي، يَا عِبَادِي، لَو أَن أَوَّلَكُم وَآخِرَكُم وَإِنسَكُم وَجِنَّكُم، كَانُوا عَلى أَتقَى قَلبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُم، مَا زَادَ ذلِكَ فِي مُلكِي شَيئاً، يَا عِبَادِي، لَو أَن أَوَّلَكُم وَآخِرَكُم وَإِنسَكُم وَجِنَّكُم، كَانُوا عَلى أَفجَرِ قَلبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذلِكَ مِنْ مُلكِي شَيئاً، يَا عِبَادِي لَو أَن أَوَّلَكُم وَآخِرَكُم، وَإِنسَكُم وَجِنَّكُم قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعطَيتُ كُلَّ إِنسَانٍ مَسأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذلِكَ مِمَّا عِندِي إِلاَّ كَمَا يَنقُصُ المِخيَطُ إِذَا أُدخِلَ البَحرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعمَالُكُم أَحصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَن وَجَدَ خَيراً فَليَحمَدِ اللهَ، وَمَن وَجَدَ غَيرَ ذلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفسَهُ».

قال سعيد (وهو أحد رجال إسناد هذا الحديث) كان أبو إدريس الخولاني، إذا حدَّث بهذا الحديث جثا على ركبتيه[1].

ـ وَعَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ، أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اتَّقُوا الظُّلمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَات يَومَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشحَّ أَهْلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُم، حَمَلَهُمْ عَلى أن سَفَكُوا دِمَاءَهُم، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُم**»[2].

ـ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمر ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنّ الظُلْمَ ظُلُمَات يَومَ القِيَامَةِ**»[3].

ـ وعن أَبي مُوسى ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يُمْلِي لِلظَّالم، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفلِتهُ**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102][4].

ـ وعن أبي هريرة ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «**هَل تَدرُونَ مَنِ المُفْلس؟**» قَالُوا: المُفلسُ فِينَا ـ يَا رَسُولَ اللهِ ـ مَن لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، قَالَ: «**إِن المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتي مَنْ يأتي يَومَ القِيَامةِ بِصيَام وَصَلاةٍ وَزَكَاةٍ، وَيأتي قَد شَتَم عِرْض هذا، وقَذَف هذا، وأكَلَ مَالَ هذا، فيُقْعَدُ، فَيَقتَصُّ هذا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهذا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِن فَنِيت حَسَنَاتُه قَبل أن يَقضِيَ مَا عَلَيهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُم فطُرِحَت عَلَيهِ، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ**»[5].

ـ وعنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**صِنفَانِ مِنْ أَهْلِ النارِ لَم أَرَهُمَا. قَومٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذنَابِ البَقَرِ يَضرِبُونَ بِهَا النَاسَ. وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ، رُؤُوسُهُن كَأَسنِمَةِ البُخت المَائِلَة، لا يَدخُلنَ الجَنَّةَ، وَلا يَجدْنَ رِيحَهَا. وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وكذا**»[6].

❀ ❀ ❀

(1) رواه مسلم (2577) وأحمد (21425/ 8) والترمذي (2495).

(2) رواه مسلم (2578).

(3) أخرجه البخاري (2447) ومسلم (2579) وغيرهما.

(4) رواه البخاري (4686) ومسلم (2538) وغيرهما.

(5) رواه أحمد (8035/ 3) ومسلم (2581) وقد تقدم.

(6) رواه مسلم (2128) وغيره.

مَحبّة الشّهادَةِ في سبيلِ الله

قال ﷺ: «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أنْ أغْزُوَ في سبيَلِ الله فَأُقْتَلُ ثُم أغْزُوَ فأُقْتَلُ»[1].

القتلُ في سبيلِ اللهِ مِنْ آكَدِ الأسبابِ في رِضا الله. إذْ يَشْرُفُ البَذْلُ بشرف المبذول. والأرواحُ أفضلُ ما بُذِل. فمَنْ بَذَلَ رُوحَه فقد بَذَلَ ما في وُسْعِه. ولو أن للمحبِّ الصّادق أرواحَ العالَمِ كُلَّها لَجَادَ بها لله، وآثرَ أنْ يَتَقَرَّبَ بها إليه. (س).

❀ ❀ ❀

أمانة نقل الحديث النبوي

الأمانة هي من أعظم الأمور التي كُلِّف بها الإنسان لحفظها ورعايتها والقيام عليها. وأمانة الدين من أجلِّها، وأعلاها مرتبة. وقد ذكر القرآن الكريم، كيف أن الله تعالى، عرض الأمانة على عباده، فأبى الإنسان الكافر حملها والقيام عليها. قال الله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب: 72].

وأما المؤمن فقد حمل الأمانة وأداها على قدر استطاعته، وبذل ما في وسعه للقيام عليها، والمحافظة عليها. ومن ذلك، أمانة نقل الأحاديث النبوية الشريفة، والتي هي تعتبر المصدر الثاني لشريعتنا بعد كتاب الله تعالى.

---

(1) أخرجه مسلم (1876) في الإمارة، باب: فضل الجهاد، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «والذي نفس محمد بيده..»، وأخرج نحوه البخاري (2797) أيضاً في الجهاد، باب: تمني الشهادة. ولفظ مسلم: «**تضمَّنَ الله لِمَنْ خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي، وإيماناً بي، وتصديقاً برُسُلي. فهو عَلَيَّ ضامن أن أدخلَهُ الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة. والذي نفسُ محمد بيده، ما من كَلْم يُكلَم في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلِم، لَونُهُ لونُ دم وريحُه مِسكٌ، والذي نفس محمد بيده، لولا أن يَشُقَّ على المسلمين ما قعدتُ خِلاف سريةٍ تغزُو في سبيل الله أبداً. ولكن لا أجد سَعَة فأحملَهم، ولا يجدون سَعَة، ويَشُقُّ عليهم أن يتخلَّفوا عني، والذي نفسُ محمدٍ بيدِه لَوَدِدْتُ أنّي أغزو في سبيل الله فأُقتلُ، ثم أغزو فأُقتلُ، ثم أغزو فأُقتلُ**».

وقد كان رواة الأحاديث يتحملون الأعباء والمشاق، والأسفار من أجل تحري الصواب في نقل الحديث، على وجه التمام والكمال. فإنها أمانة، ولا يجوز التفريط فيها بحال.

ومن أمثلة ذلك، ما رواه الإمام أحمد (12779) والبخاري (4834) وغيرهما، من طريق حجاج، قال: حدثني شعبة، عن قتادة، عن عِكْرمةَ أنه قال: لمَّا نَزَلَت هذه الآيةُ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 1 ـ 2]، قال أصحابُ رسولِ الله ﷺ: هَنِيئاً مَرِيئاً لكَ يا رسولَ الله، فما لَنَا؟ فَنَزَلَت هذه الآيــــةُ: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الفتح: 5].

قال شعبةُ: كان قتادةُ يَذكُرُ هذا الحديثَ في قَصَصِه عن أنس ابن مالكٍ قال: نَزَلَت هذه الآيةُ لَمَّا رَجَعَ رسولُ الله ﷺ من الحُدَيْبِيَة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 1 ـ 2].

ثم يقول: قال أصحابُ رسول الله ﷺ: هَنيئاً لكَ... هذا الحديثَ.

قال: فظننت أنه كلَّه عن أنسٍ، فأَتَيتُ الكوفةَ، فحدَّثتُ عن قتادةَ عن أنسٍ، ثم رَجَعْتُ فلَقِيتُ قتادةَ بواسط، فإذا هو يقول: أوَّلُه عن أنسٍ، وآخرُه عن عِكْرمة. قال: فأَتَيتُهم بالكوفةِ فأخبَرْتُهم بذلكَ. لفظ أحمد.

❀ ❀ ❀

سجع على حرف «التاء»

الحمد لله الذي بتّ الفكر عن عرفان جلال ذاته بتّا، وبثّ القَدر في الأحوال فكم مُصَيِّف ما شَتَّا، بطش ففتّ الجبال الشمّ الصم بقهره فتّا، وأنعش فلم ينته عفوه حتى حتّ الخطايا حتّا، أخرج يوسف من السجن بفضله وحبس بفضله يونس بن متّى، منعَ الألكنَ الفصاحةَ فهو يروم ما لا يتأتّى ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: 1 ـ 4]. (ج).

❀ ❀ ❀

قصة وحكمة

﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269].

ومن معاني الحكمة، وضع الأمور في نصابها، وفي ذلك روى لنا رسول الله ﷺ قصة حصلت ممن سبق من الأمم. كما جاء عند البخاري (3472) ومسلم (1721)، وغيرهما، من طريق همام عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**اشترَى رجلٌ مِن رجلٍ عَقاراً له، فوَجد الرجلُ الذي اشتَرى العَقارَ في عَقارِه جَرَّةً فيها ذهب؛ فقال له الذي اشترى العَقارَ: خُذ ذَهَبك منّي، إنما اشتريتُ منكَ الأرضَ ولم أبْتَغْ منك الذهب. وقال الذي له الأرضُ: إنما بعتُكَ الأرضَ وما فيها، فتَحاكما إلى رجلٍ، فقال الذي تحَاكما إليه: أَلَكُما وَلَدٌ؟ قال أحدهما: لي غُلامٌ، وقال الآخَرُ: لي جاريةٌ، قال: أنكِحوا الغُلامَ الجاريةَ، وأنفِقوا على أنفُسِهما منه، وتَصدَّقا**».

❀ ❀ ❀



الزُّهد في الدنيا

لا تتمُّ الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول: النظر في الدنيا، وسرعة زوالها، وفنائها، واضمحلالها، ونقصها، وخِسّتها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخرُ ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف. فطالبُها لا ينفكُّ من هَمٍّ قبل حصولها، وهَمٍّ في حال الظفر بها، وغمٍّ وحزن بعد فواتها. فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة، وإقبالها، ومجيئها ولا بُدّ، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرَّات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا. فهي كما قال سبحانه: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: 17]. فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة.

فإذا تمَّ له هذان النظران آثرَ ما يقتضي العقلُ إيثارَه، وزَهِدَ فيما يقتضي الزهد فيه. فكلُّ أحدٍ مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل

واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويَت رغبتُه في الأعلى الأفضل. فإذا آثرَ الفاني الناقص، كان ذلك إما لعدم تبيُّن الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل.

وكلٌّ واحد من الأمرين، يدلُّ على ضعف الإيمان، وضعف العقل والبصيرة. فإن الراغب في الدنيا، الحريص عليها، المؤثِر لها، إما أن يصدِّق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدِّق؛ فإن لم يصدِّق بذلك كان عادماً للإيمان رأساً، وإن صدَّق بذلك ولم يُؤثِرْهُ، كان فاسدَ العقل سيِّئ الاختيار لنفسه.

وهذا تقسيم حاضر ضروري، لا ينفكُّ العبدُ من أحد القسمين منه. فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فسادٍ في الإيمان، وإما من فسادٍ في العقل. وما أكثر ما يكون منهما. ولهذا نبذها رسولُ الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه وصرفوا عنها قلوبهم، وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعَدُّوها سجناً لا جنة. فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب، فقد عُرِضَتْ عليه مفاتيحُ كنوزِها فردَّها، وفاضت على أصحابه فآثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعَلِموا أنها معبر وممرّ لا دار مقام ومستقرّ، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتمَّ الزيارة حتى آذن بالرحيل.

قال النبي ﷺ: **«ما لي وللدنيا، إنما أنا كراكِبٍ قالَ في ظلِّ شجرة ثم راح وتركها»**[1].

وقال: **«ما الدنيا في الآخرة إلا كما يُدخِل أحدُكم إصبعه في اليمِّ فلينظر بمَ يرجع»**[2].

---

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (3709) والطيالسي (277) وابن ماجه (4109)، وغيرهم، بإسناد صحيح، من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير، فأثر في جنبه، فلماذا استيقظ جعلتُ أمسح جنبه، فقلتُ: يا رسول الله، آلا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً؟ فقال رسول الله ﷺ: **«مالي وللدنيا؟ ما أنا والدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا، كراكب ظل تحت شجرة، ثم راح وتركها»**. لفظ أحمد.

(2) رواه الإمام أحمد (18009) ومسلم (2858) وابن ماجه (4108)، وغيرهم، من حديث المستورد أخي بني فهر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، به بألفاظ متقاربة.

وقال خالقها سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: 24 ـ 25].

فأخبر عن خِسَّةِ الدنيا وزهَّدَ فيها، وأخبر عن دار السلام ودعا إليها.

وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 45 ـ 46].

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20].

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 14 ـ 15].

وقال تعالى: ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد: 26].

وقد توعَّد سبحانه أعظم الوعيد لمن رضيَ بالحياة الدنيا، واطمأن بها، وغفل عن آياته، ولم يرجُ لقاءه؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: 7 ـ 8].

وعَيَّر سبحانه مَن رضي بالدنيا من المؤمنين؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: 38].

وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها، يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة.

ويكفي في الزهد في الدنيا قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: 205 ـ 207].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: 45].

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: 35].

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: 42 ـ 46].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: 55].

وقوله: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: 112 ـ 114].

وقوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه: 102 ـ 104].

والله المستعان، وعليه التُّكلان. (ق).

❀ ❀ ❀

مستقر الروح

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85].

الروح هذا المخلوق العجيب جوهر الحياة، والذي أودعه رب العزة في أبداننا، وسوف يغادرها عند الموت، فأين مستقره؟ وإلى أين مصيره؟ وما سبب حزن الناس عند فراقه؟

أجاب الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ قائلاً: ما زلت على عادة الخلق في الحزن على من يموت من الأهل والأولاد، ولا أتخايل إلا بلى الأبدان في القبور فأحزن لذلك فمرت بي أحاديث قد كانت تمر بي ولا أتفكر فيها. منها قول النبي ﷺ:

«إنما نفس المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرده الله ﷻ إلى جسده يوم يبعثه»[1]، فرأيت أن الرحيل إلى الراحة، وأن هذا البدن ليس بشيئ؛ لأنه مركب تفكك وفسد، وسيبنى جديداً يوم البعث فلا ينبغي أن يتفكَّر في بلاه. ولتسكن النفس إلى أن الأرواح انتقلت إلى راحة فلا يبقى كبير حزن، وأن اللقاء للأحباب عن قرب. وإنما يبقى الأسف لتعلق الخلق بالصور، فلا يرى الإنسان إلا جسداً مستحسناً قد نقض فيحزن لنقضه. والجسد ليس هو الآدمي، وإنما هو مركبه، فالأرواح لا ينالها البلى. والأبدان ليست بشيئ. واعتبر هذا بما إذا قلعت ضرسك ورميته في حفرة، فهل عندك خبر مما يلقى في مدة حياتك؟ فحكم الأبدان حكم ذلك الضرس، لا تدري النفس ما يلقى، ولا ينبغي أن تغتم بتمزيق جسد المحبوب وبلاه. واذكر تَنَعُّمَ الأرواح، وقرب التجديد، وعاجل اللقاء فإن الفكر في تحقيق هذا يهون الحزن ويسهل الأمر.

روي عن هشام، قال: بلغني أن منادياً ينادي من أول الليل: أين العابدون، فيقوم ناس فيصلّون، ثم ينادي في وسط الليل: أين الفائزون فيقوم ناس فيصلون ثم ينادي في السَّحَر أين المستغفرون فيقوم ناس فيصلون، فإذا أصبح قال: أين الغافلون.

يا من إذا صلَّى خفَّف وإذا كال طفَّف، وإذا دُعِيَ تَخَلَّفَ، وإذا قيل له تُبْ سوَّف، ما يؤثِّر عنده قول من حذَّر وخوف، ثم يطمع في لحاق الصالحين فما أنصف، جدَّ القومُ وأنت قاعد، وقَرُبوا وأنت متباعد، كم بين راغب وزاهد، كم بين ساهر وراقد، شغلهم حُبُّ مَوْلاهم عن لذات دنياهم، اسمع حديثهم إن كنت ما تراهم، خَوْفهم الشديد قد أزعج وأقلق، وحذَرهم العظيم قد أتلف وأحرق، وحادِي جِدِّهم مُجدّ ما يترفَّق، كلما رأى طول الطريق نَصَّ وأَعْنَق، وكيف يَحْسُن الفُتور وأوقات السلامة تُسْرَق، دموعهم في أنهار الخدود تجري وتتدفق، يكاد حزينهم لكثرة الذنوب يَشْرَق، يشتاقون إلى الحبيب والحبيب إليهم أَشْوَق، يا حُسْنهم في الدجى ونورهم قد أشرق، والحياء فائض والرأس قد أطْرَق والحنين والأنين قد أخرسا الحَمام المطوَّق، والأسير يبكي ويشكو ويرجو أن يُعْتَق، فإذا جاء النهار دخلوا سُوراً من التُّقَى بعد

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (15776) والترمذي (1641) والنسائي (2076) وابن ماجه (1449)، وغيرهم من حديث كعب بن مالك ـ ﷺ ـ عن النبي ﷺ، بألفاظ متقاربة. وإسناده صحيح على شرط الشيخين. راجع ن (4 ـ 414).

وفي القبر يَفْترش هذا مِهَادَ الفَلاح ويُلْقى ذاك على حسَك[1] القِبَاح، وعند الحشر هذا يَرْكب وذاك يُسحَب، ثم يقال للعصاة: هلاّ ذَكرْتم وللطائعين: سلامٌ عليكم بما صبرتم. كم بين خَجِلٍ يَذِلّ وبين طائع يُدِلّ. إياكم إياكم والذنوب، احذروا عواقب العيوب، لقد ورَّطت الذنوبُ أربابها أيَّ إيراط، وأسْعطت أصحابها أيَّ إسعاط، وأبعدتهم عن أغراضهم أشواطاً بعد أشواط، وضربت عليهم سرادقاً من الندم بعد فُسطاط، هذا جَنى الجناية فأين التَّقِيُّ المحتاط. تنبهوا لهذا يا أصحاب اللِّمَم الشِّمَاط[2]، تيقظوا فهذا الموتُ بكم قد أحاط، إياكم والزلل فكم من دم قد أشاط، آذيتم أنفسكم بالذنوب فمهلاكم إفراط، هذا العدوُّ مُراصِد فعليكم بالرِّبَاط، هذا الفتور وإنما مَهْر الجِدّ النشاط، سار الصالحون وقد سلكتم غير الصراط، ما الذي شغلكم عن أهل المحَبة؟ جَمْع الحَبَّة والقيراط، كانوا يصومون وأنتم مُفْطرون، ويقومون وأنتم نائمون، ويبكون خوفاً وأنتم تضحكون.

الشَّوْقُ إلى الله تعالى وإلى رسالاتِهِ

قال اللهُ تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143]، وقال: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ [محمد: 20].

الشَّوْقُ إلى اللهِ وإلى رِسالاتِهِ من آثارِ محبَّتِه. سألَ موسى عليه السلامُ الرُّؤيَةَ شوقاً وتَعَطُّشاً إلى مشاهَدَةِ الجَمال. وسألَ المؤمنونَ نُزُولَ السُّورةِ تَشَوُّقاً إلى سماعِ كلام ذي العِزَّةِ والجَلال. (س).

❀ ❀ ❀

الأجر على إتيان الرجل أهله

عن أَبي ذَرٍّ ﷺ، عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «**في بُضعِ أَحَدِكُم صَدَقَةٌ**».

قَالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتي أَحَدُنَا شَهوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهِ أَجرٌ؟

فَقَالَ: «**أَرَأَيتُم لَو وَضَعَهَا في الحَرَامِ، أَكَانَ عَلَيه فِيهِ وِزرٌ، فَكَذلِكَ إِذَا وَضَعَهَا في الحَلاَلِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ**».

---

(1) الحسك: الشوك.

(2) اللمم: جمع لمة وهي الشعرالمجاوز لشحمة الأذن. والشماط: جمع شمطاء وهي ما خالط بياض الشعر فيها سواده.

وقد جاء في إحدى الروايات بلفظ: «. . . **وَلَكَ فِي جِمَاعِكَ زَوجَتَكَ أجرٌ**».

قَالَ أَبُو ذَرّ: كَيفَ يَكُونُ لي أَجرٌ في شَهوتي؟

فَقَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «**أَرَأَيتَ لَو كَانَ لَكَ وَلَدٌ، فَأدركَ وَرَجَوتَ خَيرَهُ، فَماتَ. أَكُنتَ تَحتَسِبُ بِهِ**»؟

قُلتُ: نَعَم.

قَالَ: «**فَأَنتَ خَلَقتَهُ**»؟ قلتُ: «بَل اللهِ خَلَقَهُ» قَالَ: «**فَأَنت هَدَيتَهُ**»؟ قلتُ: «بَلِ اللهُ هدَاهُ» قَالَ: «**فَأَنتَ تَرزُقُهُ**»؟ قلت: «بَلِ اللهُ كَانَ يَرزُقُهُ».

قَالَ: «**كَذلِكَ فَضَعهُ في حَلاَلِهِ، وَجَنِّبهُ حَرَامُهُ. فَإِنْ شَاءَ اللهُ أَحيَاهُ، وَإِن شَاءَ أَمَاتهُ، وَلَكَ أَجرٌ**»[1].

وقوله ﷺ: «**في بضع أحدكم صدقة**» البضع ـ بضم الباء ـ يطلق على الجماع، ويطلق على الفرج نفسه، وكلاهما تَصُحُ إرادته هنا. وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقة، فالجماع يكون عبادة، إذا نوى به قضاء حق الزوجة، ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به، أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه، أو إعفاف الزوجة، ومنعهما جميعاً من النظر إلى الحرام، أو الفكر فيه، أو الهم به، أو غير ذلك من المقاصد الحسنة الصالحة. والله تعالى أعلم. قاله النووي.

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: 31]، قال: البعل؛ هو الزوج والسيد في كلام العرب. فالزوج يرى الزينة من المرأة، وأكثر من الزينة، إذ كل محل بدنها حلالٌ له، لذةً ونظراً. ولهذا المعنى بدأ الله تعالى بالبعولة، لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: 5 ـ 6].

قال: واختلف الناس في جواز نظر الرجل إلى فرج المرأة؛ على قولين. أحدهما: يجوز، لأنه إذا جاز له التلذذ به، فالنظر أولى. وقيل: لا يجوز. والأول أصح، وهذا محمول على الأدب. قاله ابن العربي. وقد قال أصبغ من علمائنا: يجوز له أكثر من ذلك. وقال ابن خُويز منداد: أما الزوج فيجوز له أن ينظر إلى سائر

---

(1) رواه الإمام أحمد (21421) ومسلم (1006) والبخاري في «الأدب المفرد» (5243) وأبو داود (5243) وابن حيان (4167).

الجسد. . . وكذلك المرأة يجوز أن تنظر إلى عورة زوجها. والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

معجزة

روى الإمام أحمد (12727) وأبو يعلى (3327)، وغيرهما بإسناد صحيح على شرط مسلم؛ من طريق ثابت البناني، عن أنس بن مالك ـ ﷺ ـ قال: قلتُ: حدِّثنا بشيءٍ شَهِدْتَهُ من هذه الأعاجيب، لا تُحدِّثنا به عن غيرك!

قال: صلى رسول الله ﷺ الظهر وقعد على المقاعد التي كان يأتيه عليها جبريل عليه السلام، قال: فجاءَ بلالٌ فآذَنَه بصلاةِ العصرِ، فقال: «**مَن كانَ له أَهلٌ يُعِيذُ بالمَدينةِ، فَلْتقْضِ حاجَتَه، ويُصِبْ مِن الوَضُوءِ**» وبقِيَ ناسٌ من المُهاجرينَ ليس لهم أهلونَ بالمدينةِ، قال: فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بقَدَحٍ أَرْوَحَ، في أَسفلِه شيءٌ من ماءٍ، قال: فَوَضَعَ رسولُ الله ﷺ كَفَّه في القَدَحِ فما وَسِعَت كَفُّه، فَوَضَعَ أَصابِعَه هؤلاءِ الأربعَ، ثم قال: «**ادْنُوا فَتَوَضَّؤُوا**» قال فَتَوَضَّؤُوا، حتى ما بَقِيَ منهم أَحَدٌ إلا تَوَضَّأَ.

فقلنا: يا أبا حَمْزَةَ، كم تُرَاهم كانوا؟ قال: بينَ السَّبْعينَ إلى الثَّمانِينَ.

لا تحزن إن كنت فقيراً فإن عفة النفس، والترفع عن ذلِّ السؤال أفضل بكثير

غنى النفس وعِفَّتها، من أثمن خصال المرء وأَحَبِّها عند الله جل وعلا. وعماد ذلك الصبر والثقة بالله تعالى، وبموعوداته العاجلة والآجلة. ففي «الصحيح» عن أبي سعيد الخدري قال: جاء ناسٌ من الأنصار، فسألوه، فأعطاهم، قال: فجعل لا يسألُه أحدٌ منهم إلا أعطاه، حتى نَفِدَ ما عنده، فقال لهم حين أنفق كل شيءٍ بيده: «**وما يكُنْ عِنْدَنا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ نَدَّخِرَهُ عَنْكمْ، وَإِنهُ مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وَلَنْ تُعْطَوا عَطاءً خَيْراً وأوسع من الصبر**»[1].

---

(1) رواه الإمام مالك في «موطئه» (1880) والإمام أحمد (11890) والبخاري (6470) ومسلم (1033)، وغيرهم.

وقد جاء في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

وروى «الصحيح» عن عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ أنه قال: وجدنا خير عيشنا بالصبر.

قال في «فتح الباري»: وفي الحديث الحض على الاستغناء عن الناس والتعفف عن سؤالهم بالصبر والتوكل على الله وانتظار ما يرزقه الله، وأن الصبر أفضل ما يعطاه المرء لكون الجزاء عليه غير مقدر ولا محدود. وقال القرطبي: معنى قوله «من يستعفف» أي يمتنع عن السؤال، وقوله «يعفه الله» أي أنه يجازيه على استعفافه بصيانة وجهه ودفع فاقته، وقوله «ومن يستغن» أي بالله عمن سواه، وقوله «يغنه» أي فإنه يعطيه ما يستغني به عن السؤال ويخلق في قلبه الغنى، فإن الغنى غنى النفس كما تقدم تقريره. وقوله «ومن يتصبر» أي يعالج نفسه على ترك السؤال ويصبر إلى أن يحصل له الرزق، وقوله «يصبره الله» أي فإنه يقويه ويمكنه من نفسه حتى تنقاد له ويذعن لتحمل الشدة، فعند ذلك يكون الله معه فيظفره بمطلوبه. وقال ابن الجوزي: لما كان التعفف يقتضي ستر الحال عن الخلق وإظهار الغنى عنهم فيكون صاحبه معاملاً لله في الباطن فيقع له الربح على قدر الصدق في ذلك وإنما جعل الصبر خير العطاء لأنه حبس النفس عن فعل ما تحبه وإلزامها بفعل ما تكره في العاجل مما لو فعله أو تركه لتأذى به في الآجل. وقال الطيبي: معنى قوله «من يستعفف يعفه الله» أي إن عف عن السؤال ولو لم يظهر الاستغناء عن الناس، لكنه إن أعطي شيئاً لم يتركه يملأ الله قلبه غنى بحيث لا يحتاج إلى سؤال، ومن زاد على ذلك فأظهر الاستغناء فتصبر ولو أعطي لم يقبل فذاك أرفع درجة، فالصبر جامع لمكارم الأخلاق. وقال ابن التين: معنى قوله «يعفه الله» إما أن يرزقه من المال ما يستغني به عن السؤال، وإما أن يرزقه القناعة. والله أعلم.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن سؤال الناس تكثراً، وأخبر عن تبعة ذلك، كما جاء في «الصحيحين» وغيرهما، من حديث عبد الله بن عمر ـ ﷺ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزالُ المسألة بأحدكم حتى يلقى الله، وليس في وجهه مزعة لحم»**.

وفي رِوَايةٍ: **«مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأتي يَوْمَ القِيامَةِ لَيسَ في وَجهِهِ مُزعَةُ لَحمٍ»**[1].

---

(1) رواه أحمد (4638/ 1) والبخاري (1474) ومسلم (1040) والنسائي في «المجتبى» (2584) وفي «الكبرى» (2366/ 2) والبيهقي (196/ 4) واللفظ الأول لمسلم والثاني للبخاري.

ـ وَعَن أَبي هُرَيرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن سَأَلَ النَّاسَ أَموَالَهُم تَكَثُّراً، فَإِنَّما يَسْأَلُ جمراً، فَلْيَستَقِلَّ أَوْ لِيَستَكثِر»[1].

ـ وَعَن جَابِرِ بن عَبدِ اللهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِينِي مِنكُم لِيسأَلَني فَأعطِيهِ، فَيَنطَلِقُ وَمَا يَحمِلُ فِي حِضنِهِ إِلا النَّارَ»[2].

ـ وَعَنْ أَبي هريرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يَفتَحُ إِنسَانٌ عَلَى نَفسِهِ بَابَ مَسأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيهِ بَابَ فَقرٍ، لأن يَعمَدَ الرَّجُلُ حَبلاً إِلى جَبَلٍ فَيَحتَطِبَ عَلَى ظَهرِهِ وَيَأكُلَ مِنهُ، خَيرٌ مِنْ أَن يَسأَلَ الناسَ مَعطَىً أَو مَمنُوعاً».

وفي رواية: «وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لأَنْ يَأخُذَ أَحَدُكُم حَبلَهُ، فَيَذهَبَ إِلَى الجَبَلِ فَيَحتَطِبَ، ثُمَّ يَأتي بِهِ يَحمِلُهُ عَلَى ظَهرِهِ فَيَبِيعُهُ فَيَنهُل، خَيرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسأَلَ النَّاسَ، وَلأَن يَأخُذَ تُرَاباً فَيَجعَلَهُ في فِيهِ، خَيرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجعَلَ في فِيهِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ»[3].

وعن كبشة السلولي أنه سمع سهل ابن الحنظلية الأنصاري ـ ﷺ ـ صاحب رسول الله ﷺ أن عيينة والأقرع سألا رسول الله ﷺ شيئاً فأمر معاوية أن يكتب به لهما ففعل وختمها رسول الله ﷺ وأمر بدفعه إليهما. فأما عيينة فقال: ما فيه؟ قال: فيه الذي أمرت به فقبله وعقده في عمامته وكان أحكم الرجلين. وأما الأقرع فقال: أحمل صحيفة لا أدري ما فيها كصحيفة المتلمس. فأخبر معاوية رسول الله ﷺ بقولهما. وخرج رسول الله ﷺ في حاجة فمر ببعير مناخ على باب المسجد من أول النهار ثم مر به آخر النهار وهو على حاله فقال: «أَينَ صَاحِبُ هذا البَعِير؟». فابتغي فلم يوجد. فقال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا اللهَ فِي هذِهِ البَهَائِم، ثُمَّ اركَبُوهَا صِحَاحاً وَاركَبُوها سِماناً كالمُتسخِّط آنفاً. إنه مَنْ سَأَلَ وَعِندَهُ مَا يُغنِيهِ فإِنَّما يَستَكثِرُ مِنْ نارِ جَهَنَّم». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا يُغنِيهِ؟ قَالَ: «مَا يُغَدِّيه أو يُعَشِّيه»[4].

---

(1) رواه أحمد (7166/ 3) ومسلم (1041) وابن ماجه (1838) والقضاعي في «مسند الشهاب» (525) وابن حبان (3393) والبيهقي (196/ 4) واللفظ لمسلم.

(2) رواه ابن حبان (3392) وعبد بن حميد (1113) وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(3) رواه أحمد (7493/ 3) ومالك في «موطئه» (1883) والبخاري (1470) ومسلم (1042) والحميدي (1056) وابن حبان (3387) والنسائي (2588) وغيرهم واللفظ الأول لابن حبان، والثاني لأحمد.

(4) رواه أحمد (17642/ 6) وأبو داود (1629) وابن حبان (545) و(3394) والطبراني في «الكبير» (5620) وإسناده صحيح. واللفظ لأحمد.

قاعدة جليلة للانتفاع بالقرآن

إذا أردت الانتفاع بالقرآن: فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضر حضور مَن يخاطبه به من تكلّم به سبحانه منه إليه؛ فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قَ: 37].

وذلك أن تمام التأثير لمَّا كان موقوفاً على مؤثر مقتضٍ، ومحل قابل، وشرطٍ لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمَّنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظٍ وأبينه وأدلّه على المراد.

فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى ههنا، وهذا هو المؤثر.

وقوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾، فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحيّ الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾[يس: 69-70]، أي حيّ القلب.

وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾، أي وجّه سمعه، وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثر بالكلام.

وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، أي شاهد القلب، حاضر غير غائب.

قال ابن قتيبة[1]: استمَعَ كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساهٍ، وهو إشارة إلى القانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له والنظر فيه وتأمله.

فإذا حصل المؤثر، وهو القرآن؛ والمحل القابل، وهو القلب الحيّ؛ ووُجد الشرط، وهو الإصغاء؛ وانتفى المانع، وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيئ آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر.

---

(1) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، إمام المدرسة البغدادية في النحو، له عدّة كتب مشهورة كـ«أدب الكاتب» و«الشعر والشعراء» و«عيون الأخبار» (ت 276 هـ).

فإن قيل: إذا كان التأثير، إنما يتمُّ بمجموع هذه، فما وجه دخول أداة «أو» في قوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾، والموضع موضع واو الجمع لا موضع «أو» التي هي لأحد الشيئين؟

قيل: هذا سؤال جيد، والجواب عنه: أن يقال: خرج الكلام بأو باعتبار حال المخاطب المدعوّ؛ فإن من الناس مَنْ يكون حيّ القلب واعيه تام الفطرة، فإذا فكَّر بقلبه وجال بفكره، دلَّه قلبُه وعقلُه على صحة القرآن وأنه الحق، وشهد قلبه بما أخبر به القرآن؛ فكان ورود القرآن على قلبه نوراً على نور الفطرة، وهذا وصف الذين قيل فيهم: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: 6][1].

وقال في حقهم: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35].

فهذا نور الفطرة على نور الوحي، وهذا حال صاحب القلب الحيّ الواعي. وقد ذكرنا ما تضمَّنت هذه الآية من الأسرار والعِبَر في كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية».

فصاحب القلب، يجمع بين قلبه وبين معاني القرآن؛ فيجدها كأنها قد كتبت فيه، فهو يقرؤها عن ظهر قلب.

ومن الناس مَن لا يكون تام الاستعداد، واعي القلب، كامل الحياة؛ فيحتاج إلى شاهد يميز له بين الحق والباطل، ولم تبلغ حياة قلبه ونوره وزكاء فطرته مبلغ صاحب القلب الحيّ الواعي؛ فطريق حصول هدايته أن يفرغ سمعَه للكلام، وقلبَه لتأمّله والتفكير فيه وتعقّل معانيه؛ فيعلم حينئذٍ أنه الحق.

فالأول: حال مَن رأى بعينه ما دُعي إليه وأخبر به.

والثاني: حال مَن علم صدق المخبر وتيقنه وقال يكفيني خبره؛ فهو في مقام الإيمان، والأول في مقام الإحسان.

---

(1) المشكاة: الكوّة غير النافذة.

وهذا قد وصل إلى علم اليقين، وترقّى قلبه منه إلى منزلة عين اليقين. وذاك معه التصديق الجازم الذي خرج به من الكفر ودخل به في الإسلام.

فعين اليقين نوعان: نوع في الدنيا، ونوع في الآخرة. فالحاصل في الدنيا نسبته إلى القلب كنسبة الشاهد إلى العين. وما أخبرت به الرسل من الغيب يعاين في الآخرة بالأبصار، وفي الدنيا بالبصائر؛ فهو عين يقين في المرتبتين. (ق).

❁ ❁ ❁

حكاية المتكلمة بالقرآن

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، فبينما أنا في بعض الطريق إذا أنا بسواد على الطريق، فتميَّزْتُ ذاك، فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف، فقلتُ: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقالت: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾، قلل: فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان؟ قالت: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾، فعلمت أنها ضالة عن الطريق، فقلت لها: أين تريدين؟ قالت: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، فعلمت أنها قد قضت حجها، وهي تريد بيت المقدس، فقلت لها: أنتِ منذ كم في هذا الموضع؟ قالت: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، فقلت: ما أرى معك طعاماً تأكلين؟ قالت: ﴿هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ فقلت: فبأي شيء تتوضئين؟ قالت: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، فقلت لها: إن معي طعاماً، فهل لك في الأكل؟ قالت: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾، فقلت ليس هذا شهر رمضان. قالت: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، فقلت: قد أبيح لنا الإفطار في السفر. قالت: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فقلت: لِمَ لا تكلميني مثل ما أكلمك؟ قالت: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، فقلت: فمن أي الناس أنت؟ قالت: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾، فقلت: قد أخطأت فاجعليني في حل، قالت: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فقلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة، قالت: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ قال: فأنخت ناقتي، قالت: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ فغضضت بصري عنها وقلت لها: اركبي، فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ

أَيْدِيكُمْ﴾ فقلت لها: اصبري حتى أعقلها، قالت: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ فعقلت الناقة وقلت لها: اركبي فلما ركبت قالت: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ قال: فأخذت بزمام الناقة، وجعلت أسعى وأصيح فقالت: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر، فقالت: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ فقلت لها: لقد أوتيت خيراً كثيراً، قالت: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فلما مشيت بها قليلاً قلت: ألك زوج؟ قالت: ! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ فسكت، ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة، فقلت لها: هذه القافلة فمن لك فيها؟ فقالت: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فعلمت أن لها أولاد فقلت: وما شأنهم في الحج؟ قالت: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ فعلمت أنهم أدلاء الركب، فقصدت بها القباب والعمارات فقلت: هذه القباب فمن لك فيها؟ قالت: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ فناديت يا إبراهيم يا موسى يا يحيى فإذا أنا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا، فلما استقر بهم الجلوس قالت: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي فقالت: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ فقلت: الآن طعامكم علي حرام حتّى تخبروني بأمرها، فقالوا: هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن، فسبحان القادر على ما يشاء، فقلت: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❀ ❀ ❀

الإعجاز الطبي في حرمة الخنزير

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 173].

ويقول جل وعلا: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: 145].

وروى البخاري (2236) ومسلم (1581)، وغيرهما من حديث جابر

ابن عبد الله ـ ﷺ ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو بمكة عام الفتح: «**إن الله ورسوله حرَّم بيع الخمر، والميتة، والخنزير، والأصنام**». . . الحديث.

وروى البخاري (2222) ومسلم (155)، وغيرهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مُقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**» لفظ البخاري.

ما من شيء حرَّمه المولى جل وعلا على عباده، إلا لحكمة نافعة، ولدفع مضرة مؤكدة. والخنزيرُ من البلوى التي ابتُليَ بها الناسُ. . . في جميع العصور، فهو يُغرِي الَّذين ينشدون الربح السريع بتربيته، وإن كان في باطنه البلاءُ الشديدُ والمرض العَيَاءُ، فهو يَسْمَنُ بسرعةٍ زائدةٍ حتى يبلُغ أوزاناً كبيرةً، ويأكُل كل ما يُقَدَّم إليه ـ لا يُوَفِّرُ شيئاً ـ حتى إنه يأكلُ العُذْرَةَ، ولحم الميتة، والقُمَامَةَ؛ لذلك كثيراً ما تُربى الخنازير في مراكز جمع قُمَامَةِ المدن؛ فالخنزير لا يُكَلِّفُ مُرَبِّيه كثيراً من المال ثمناً للطعام، ويقدم مقابل ذلك لحماً وشحماً وفيراً، فيجني مربيه من وراء ذلك ربحاً كبيراً. والخنزيرُ كثيرُ التوالد، تَلِدُ الأنثى منه أكثرَ من مرةٍ في السنة، وتَلِدُ في كل مرة 8 ـ 12 حتى 20 خَنُّوصاً. . .[1]، تبلغ سن النضج خلال 5 ـ 8 أشهر ـ ويصل وزنُ الخنزير أحياناً إلى 125 كلغ في مدة أقصاها 33 أسبوعاً؛ هكذا يظنّون، ولكن الحقيقةَ أن قطعاناً كاملةً من الخنازير تهلكُ ـ في أحيان كثيرة ـ لكثرة ما يصيبها من الأمراض. . بِسَبَبِ عيشها على الأقذارِ وفي وسط الأقذار، فتكون خسارةُ مربيها فادحةً.

وعدا الأمراض الكثيرة التي ينقلها الخنزير فإن لَحمَهُ عَسِرُ الهضم جداً، سريعُ الفساد، نتِنُ الرائحة، وكثرة تناوله تُعَدُّ من أهم أسباب الإصابة بِتَلَيُّفِ الكبد (التشمع)، ودهنُهُ سريعُ التزَنُّخ، ثقيلٌ على المعدة، عَسِرُ الهضم، يمتصه الدم من الأمعاء كما هو. . بدون تغيير، لأن العصارات الهضمية لا تعمل فيه، فيتوضع بين العضلات وعلى الأوعية الدموية كما هو ـ شحم خنزير بدون تبديل ـ فتُصابُ الشرايين بالعَصِيدَةِ والتصلُّب في سِنٍّ مُبَكِّرَةٍ، ويشيخُ آكلُهُ وهو شابٌ.

وآكلُ لحم الخنزير لا يُقِيمُ وزناً للعِرضِ، لأنَّ الخنازير لا تُقِيمُ وزناً له؛ يقولُ ابنُ

خلدون: أَكَلَتِ الأعرابُ لحم الإبل فاكتسبوا الغِلْظَةَ، وأكَلَ الأتراكُ لحمَ الفرسِ فاكتسبوا الشَّرَاسَةَ، أكَلَ الإفرنجُ لحمَ الخنزير فاكتسبوا الدِّيَاثَةَ. لذلك فإن أكْل لحم الخنزير لا بدَّ إلا أن يوثِّرَ على سلوكِ الإنسان وشخصيته العامة؛ بزيادة انحطاط الأخلاق فيه، ذاكرين منها اللواط، والسِّحاق، والزِّنى، والدَّعَارَة المُتَفَشيةِ في المجتمعات الغربية. ومصداقُ ذلك أننا نرى الشعوبَ الإسلامية التي لا تأكل لحم الخنزير تُقَدِّسُ العِرْض، وتموتُ في سبيله، بل يَعُدُّ الإسلامُ الموتَ دون العِرْضِ شهادةً، بينما نرى المجتمعات غير الإسلامية لا تفهم معنى العِرض، كما لا يوجد في لغاتها كلمة تقابلُ معنى العرض في اللغة العربية أو تَدُلُّ عليه، لذلك تراها مُنْغمِسَةً في الفواحِش إلى آذانها.

أما الأمراضُ التي ينقلُهَا الخنزيرُ.. فحدِّثْ عنها ولا حرجَ، فهي قائمةٌ طويلةٌ من الأمراض، ليستْ موجودةً في أيِّ حيوان آخر، وسأذكرُهَا باختصارٍ فيما يلي.

إنَّ لحمَ الخنزير يُسَبِّبُ تشمُّعَ الكبد، وتصلُّبَ الشرايين، وعُسْرَ الهضم، والحَساسيةَ الغذائية؛ وفوق ذلك، فهو ينقلُ إلى الإنسانِ ثلاثين مرضاً طُفَيلياً: كالزُّحَار، والتُّوكْزُويلاسمُوزِسْ، واللأَمِبلْيَا، ومرض النوم، والأنكِيلُوسْتُومَا... وأنواع كثيرة من الديدان، أهمها: التِّرِيشِينُوز، والدودة الوحيدة المسلحة،... وثمانية أمراض فيروسية: كالقُلاَع، والكَلَب، والتهاب عضلة القلب والدماغ الساري، والأنفلونزا الخنزيرية، والحمى الدماغية اليابانية، والتهاب الفم الحويصلي... وخمسةَ عشر مرضاً جرثومياً وفطرياً: كالفطور الشعَاعيَّة، والجَمرة الخبيثة، والحمى المتموجة، والجمرة الخنزيرية، وداء وَايْلْ: (التهاب الكبد النزفي بالْبَرِّيميَّات) والسل، والكزاز.. إلخ...

أفكثيرٌ بعد كل هذا أنْ يحرِّمَ الدينُ الإسلامي أكلَ لحم الخنزير، بعد معرفةِ جميع هذه الأمراض التي ينقلها والدِّيَاثَة التي يسببها؟

وقد أمر النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) بإعدام الخنزير، مبالغةً في تحريم أكله، وأجمع جمهور فقهاء المسلمين على جَوازِ قَتْلِهِ، وقال الشافعي: لا يُقْتَلُ إلا إذا ظَهَرَتْ فيه ضَرَاوَةٌ.

وعندما يَنْزِلُ سيدُنا عيسى (عليه الصلاة والسلام) سيحكمُ بشريعةِ الإسلام، وسَيَقْتُلُ خنازيرَ العالم جميعها؛ ويا ليتَ الدول تقومُ بهذه المُهِمَّةِ منذُ الآن، بعدما ثَبَتَ ضَرَرُ

الخنزير، فتُعْدَم الخنازير جميعُهَا، وتُخَلِّص العالم من شرورِها وأمراضها[1]. (ك).

وُلِدَ الهُدى فالكائنات ضياء

وُلد الهدى فالكائنات ضياءُ — وفم الزمان تبسّم وثناءُ
الروح والملأ الملائك حوله — للدين والدنيا به بَشْراء
والعرش يزهو والحظيرة تزدهي — والمنتهى والسدرة العصماء
وحديقة الفرقان ضاحكة الرّبى — بالترجمان شذيّة غنّاء
والوحي يقطر سلسلاً من سلسل — واللوح والقلم البديع رواء
نظمت أسامي الرسل فهي صحيفة — في اللوح واسم محمّد طغراء[2]
اسم الجلالة في بديع حروفه — ألفٌ هنالك واسم طه الباء

❁ ❁ ❁

يا خير من جاء الوجود تحيّة — من مرسلين إلى الهدى بك جاؤوا
بيت النبيّين الذي لا يلتقي — إلاّ الحنائف فيه والحنفاء
خير الأبوّة حازهم لك آدم — دون الأنام وأحرزت حوّاء
هم أدركوا عزّ النبوّة وانتهت — فيها إليك العزّة القعساء[3]
خُلقت لبيتكَ وهو مخلوقٌ لها — إنّ العظائم كفؤها العظماء
بك بشّر الله السماء فزيّنت — وتضوّعت مسكاً بك الغبراء
وبدا محيّاك الذي قسماته — حقّ وغرّته هدى وحياء
وعليه من نور النبوّة رونق — ومن الخليل وهديه سيماء
أثنى المسيح عليه خلف سمائه — وتهلّلت واهتزّت العذراء
يوم يتيه على الزمان صباحه — ومساؤه بمحمّد وضّاء

---

(1) تحذير: إذا وُجِدَ مكتوباً على علبة من الدهن كلمة (Lard) أو (Shortening) أو (Animalfat) فهو شحم خنزير، وإذا وجد مكتوباً على علبةٍ من اللحم كلمة: (Pork) أو: (Porc) أو: (Ham) أو: (Baeon) أو: (Jambon) فهو لحم خنزير.

(2) الطغراء: علامة كانت تنقش عليها المناشير المسكوكات السلطانية زمن العثمانيين.

(3) القعساء: الرفيعة.

الحقّ عالي الركن فيه مظفّر | في الملك لا يعلو عليه لواء
ذعرت عروش الظالمين فزلزلت | وعلت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب حولهم | خمدت ذوائبها وغاض الماء
والآي تترى والخوارق جمّة | جبريل روّاح بها غدّاء
نعم اليتيم بدت مخايل[1] فضله | واليتم رزق بعضه وذكاء
في المهد يستسقي الحيا برجائه | وبقصده تستدفع البأساء
بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم | يعرفه أهل الصدق والأمناء
يا من له الأخلاق ما تهوى العلى | منها وما يتعشّق الكبراء
لو لم تقم ديناً لقامت وحدها | ديناً تضيء بنوره الآناء
زانتك في الخلق العظيم شمائل | يغرى بهنّ ويولع الكرماء
أمّا الجمال فأنت شمس سمائه | وملاحة الصدّيق منك إياء[2]
والحسن من كرم الوجوه وخيره | ما أوتي القوّاد والزعماء
وإذا سخوت بلغت بالجود المدى | وفعلت ما لا تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادراً ومقدّراً | لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أمّ أو أب | هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة | في الحقّ لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت فذاك في مرضاته | ورضى الكثير تحلّم ورياء
وإذا خطبت فللمنابر هزّة | تعرو النديّ[3]، وللقلوب بكاء
وإذا قضيت فلا ارتيابٌ كأنّما | جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا حميت الماء لم يورد ولو | أنّ القياصر والملوك ظماء
وإذا أجرت فأنت بيت الله لم | يدخل عليه المستجير عداء
وإذا ملكت النفس قمت ببرّها | ولو أنّ ما ملكت يداك الشاء

(1) مخايل: علامات.
(2) إياء: جمع إياة: وهي النور.
(3) النديّ: النادي وجماعته.

وإذا ملكت فخيرُ زوجٍ عشرةً ... وإذا ابتنيتَ[1] فدونك الآباء

وإذا صحبت رأى الوفاء مجسّماً ... في بردك الأصحاب والخلطاء

وإذا أخذت العهد أو أعطيته ... فجميع عهدك ذمّة ووفاء

وإذا مشيت إلى العدى فغضنفر ... وإذا جريت فإنك النكباء[2]

وتمدّ حلمك للسفيه مدارياً ... حتى يضيق بعرضك السفهاء

في كل نفس من سطاك[3] مهابة ... ولكلّ نفس في نداك رجاء

والرأي لم ينض المهنّد[4] دونه ... كالسيف لم تضرب به الآراء

(شوقي)



طوبى لمن كان من أمّة الحبيب

روى البخاري (3348) ومسلم (222)، وغيرهما، من حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: لبَّيك وسَعدَيك، والخيرُ في يديك. فيقول: أُخرِجْ بعثَ النَّار. قال: وما بعثُ النار؟ قال: من كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةً وتسعين. فعِندِهُ يشيبُ الصغير، وتضَعُ كل ذلك حملٍ حَملها، وترى الناس سكارى وما هم بسُكارى، ولكن عذاب الله شديد**»

قالوا: يا رسول الله، وأيُّنا ذلكَ الواحد؟ قال: «**أبشِروا فإنَّ منكم رجُلاً ومن يأجوجَ ومأجوج ألف**» ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنَّة. فكبَّرنا فقال: أرجو أن تكونوا ثُلث أهل الجنَّة. فكبَّرنا فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنَّة. فكبَّرنا فقال: ما أنتم في الناس إلاَّ كالشَّعرة السوداء في جلدِ ثورٍ أبيضَ، أو كشعرةٍ بيضاء في جلدِ ثورٍ أسودَ**»

❀ ❀ ❀

---

(1) ابتنى بزوجته. دخل بها

(2) النكباء: صفة للريح الشديدة التي لا تذر شيئاً إلاَّ وتأتي عليه. والغضنفر، صفة للأسد القوي.

(3) سطاك: سطوتك وبطشك.

(4) ينض. يستلّ. والمهند، صفة للسيف المصنوع بالهند.

لا تحزن إن كانت لك زوجة واحدة فإن الشرع أوسع لك من ذلك

ما أعظم هذا الدين، وما أجمل شريعته. فكما أنك خُلِقتَ لله تعالى، ولعبادته، فكذلك كان الإسلام لمعرفة أحكام الله جل وعلا، والعمل بشريعته. هذا الدين العظيم الذي جمع كل جوانب الحياة، لم يترك الأمر عبثاً، ولكن أعطى لكل ذي حق حقه. قال ﷻ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

وهكذا فقد أتاح الإسلام للمرء ـ ذكراً كان أم أنثى ـ أن يتمتع بكل نِعم الحياة ولكن ضمن ضوابط شرعية، تتحكم بتصرفاته ومتعته. فكم من رجل معذَّب مع زوجة، لا ترحم. والعكس صحيح. وكم من رجل مع زوجة عقيم لا تنجب، والعكس صحيح. وكم من زوج يكره زوجته، والعكس حاصل... وهكذا.

فجاء التشريع الإلهي بالترخيص للزوج بأن يتزوج بأكثر من واحدة، لئلا يكون علينا في الدين من حرج. وأما المرأة فلها أن تختار الفرقة بكامل إرادتها إن لم ترتح لأمر الزوج.

قال الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: 3 ـ 4].

وقد قسَّم الإسلام الأيام، لمقام الزوج بالنسبة للبكر والثيب. كما صح ذلك عند البخاري (5213) ومسلم (1461)، وغيرهما، من طريق أبي قِلاَبَةَ، عَنْ أَنَسٍ ـ وَلَو شِئتُ أَنْ أَقُولَ: قَالَ النبيُّ ﷺ، ولكِن قَالَ: «**السُّنَّةُ إِذَا تَزَوَّجَ البِكرَ أَقَامَ عِندَهَا سَبعاً، وَإِذَا تَزَوَّجَ الثَّيِّبَ، أَقَامَ عِندَهَا ثَلاَثاً**». [متفق عليه].

وعن أبي بَكرِ بنِ عَبدِ الرَّحمن، أن رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ ـ رضي الله عنها ـ فَدَخَلَ عَلَيهَا، فَأَرَادَ أن يَخرُجَ أَخَذَت بِثَوبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ شِئتِ زِدتُكِ وحَاسَبْتُكِ بِهِ، لِلبِكرِ سَبعٌ، وَلِلثيبِ ثَلاَثٌ**»[1].

وعن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لِلْبِكْرِ سَبْعٌ، وَلِلثَّيِّبِ ثَلَاثٌ»**[1].

والثيب: هي من ليست ببكر، ويقع على الذكر والأنثى. يقال: رجل ثيب، وامرأة ثيب.

قال ابن عبد البر ـ رحمه الله تعالى ـ: اتفق جمهور العلماء على أن ذلك حق للمرأة بسبب الزفاف، سواء كان عنده زوجة أم لا، لعموم الحديث؛ **«إذا تزوج البكر أقام عندها سبعاً، وإذا تزوج الثيب، أقام عندها ثلاثاً»**، لم يَخُصَّ من لم يكن له زوجة.

وقال الإمام البغوي ـ رحمه الله تعالى ـ: والعمل عند أكثر أهل العلم؛ إذا تزوج الرجل جديدة على قديمة، يخص هذه الجديدة، إن كانت بكراً بسبع ليالٍ يبيت عندها على التوالي، ثم يُسوي بعد ذلك بينهما في القَسْم. وإن كانت الجديدة ثيباً، يبيت عندها ثلاث ليالٍ، ثم يُسوي.

وخُصَّت البِكْرُ بالزيادة، لأنها ذات خَفَرٍ وحياءٍ، فاحتيج فيها إلى فضلِ إمهال ليصل الزوج إلى الأرب منها. والثيب قد جربت الرجال، فلم يحتج معها إلى ذلك، خلا أنها لما استحدثت الصحبة، أُكرمت بزيادة وصلة. اهـ. مختصراً. والله تعالى أعلم.

تنبيه:

نصَّ الإمام الشافعي رحمه الله تعالى؛ على أنه يُكره للزوج أن يتأخر في السبع، أو الثلاث عن صلاة الجماعة، وسائر أعمال البر التي كان يفعلها. اهـ. وفي هذا الحديث استحباب ملاطفة الأهل، والعيال، وغيرهم، وفيه أن حق الزفاف ثابت للمزفوفة. والله تعالى أعلم.

فائدة: في جماع الأبكار

قال الإمام ابن القيِّم رحمه الله تعالى: أربعة أشياء تُمرض الجسم: الكلام الكثير، والنوم الكثير، والأكل الكثير، والجماع الكثير.

---

(1) رواه مالك في «موطئه» في النكاح (1124) والدارمي (2209) وابن ماجه (1916) وابن حبان (4208) والدارقطني (3/ 283) والبيهقي (7/ 302) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

فالكلام الكثير: يُقلل مُخ الدماغ ويضعفه، ويعجِّل الشيب.

والنوم الكثير: يُصفِّرُ الوجه، ويُعمي القلب، ويهيج العين، ويُكسلُ عن العمل، ويُولدُ الرطوبات في البدن.

والأكل الكثيرُ: يُفسد فم المعدة، ويُضعف الجسم، ويُولِّد الرياح الغليظة، والأدواء العسرة.

والجماع الكثير: يهدُّ البدن، ويُضعفُ القُوى، ويجفف رطوبات البدن، ويُرخي العصب، ويورث السُّدد، ويعم ضرره جميع البدن، ويخصُّ الدماغ لكثرة ما يتحلل به من الروح النفساني، وإضعافه أكثر من إضعاف جميع المستفرغات، ويستفرغ من جوهر الروح شيئاً كثيراً.

وأنفع ما يكون، إذا صادف شهوةً صادقةً من صورة جميلة حديثة السن حلالاً، مع سنِّ الشبوبية، وحرارة المزاج، ورطوبته، وبُعد العهد به، وخلاء القلب من الشواغل النفسانية، ولم يُفرط فيه، ولم يُقارنه ما ينبغي تركُه معه، من امتلاء مفرطٍ[1]، أو خواء[2]، أو استفراغ، أو رياضة تامة، أو حرٌّ مُفرط، أو بردٍ مُفرط.

فإذا راعى فيه هذه الأمور العشرة، انتفع به جداً، وأيُّها فُقِدَ، فقد حصل له من الضرر بحسبه، وإن فُقِدَتْ كُلُّها أو أكثرها، فهو الهلاك المُعجَّل[3].

نصيحة:

قال طبيب المأمون ناصحاً له: عليك بخصالٍ من حفظها، فهو جدير أن لا يعتل إلا علة الموت: لا تأكل طعاماً وفي معدتك طعام، وإياك أن تأكل طعاماً يُتعِبُ أضراسك في مضغه، فتعجز معدتُك عن هضمه. وإياك وكثرة الجماع، فإنه يُطفئُ نور الحياة، وإياك ومجامعة العجوز، فإنه يُورث موت الفجأة، وإياك والفصد إلا عند الحاجة إليه. وعليك بالقيء في الصيف. اهـ. والله تعالى أعلم[4].



(1) يريد شبع يمكن أن يصل إلى حدّ التخمة.

(2) يريد الجوع، وفراغ المعدة.

(3) «زاد المعاد» (4/ 332، 333) بتحقيقنا.

(4) المصدر نفسه.

لا تحزن... فإنه لا ينفع حذر مع قدر

«**اعْمَلوا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلِقَ له**»[1]: وعن أبي حفصة، قال: قال عبادة بن الصامت ـ ﷺ ـ لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان، حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك. وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**».

يا بني إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من مات على غير هذا، فليس مني**». وعن ابن الديلمي، قال: أتيت أُبَيّ بن كعب فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي، فقال: لو أن الله عذب أهل سمواته وأهْلَ أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحدٍ ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار، قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة ابن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ، مثل ذلك.

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: ينبغي للعاقل أن يحترز غاية ما يمكنه، فإذا جرى القدر مع احترازه لم يلم. والاحتراز ينبغي من كل شيء يمكن وقوعه، وأخذ العدة لذلك واجب، وهذا يكون في كل حال، فقد قص رجل ظفره، فجار عليه، فخبثت يده فمات.

ومر شيخنا أحمد الحربي، وهو راكب، بمكان ضيق، فتطأطأ على السرج، فانعصر فؤاده، فمرض فمات.

وكان يحيى بن نزار شيخاً يحضر مجلسي، قد طرق عليه ثقل الأذن، فاستدعى طرقياً، فمص أذنه، فجرى شيء من مخه فمات.

وانظر إلى احتراز رسول الله ﷺ حين مر على حائط مائل فأسرع.

---

(1) جزء من حديث متفق عليه، وقد تقدم.

وأعظمها حسباً، وخيرها أماً وأباً، وممن تهابه مضر كلها قالت: أظنك من كنانة، قال: أنا من كنانة، قالت: فمن أي كنانة؟ قال: من أكرمها مولداً وأشرفها محتداً[1] وأطولها في المكرمات يداً، ممن تهابه كنانة وتخافه.

فقالت: إذن أنت من قريش، قال: أنا من قريش، قالت: من أي قريش؟ قال: من أجملها ذكراً وأعظمها فخراً، ممن تهابه قريش كلها وتخشاه، قالت: أنت والله من بني هاشم، قال: أنا من بني هاشم، قالت: من أي هاشم؟ قال: من أعلاها منزلة، وأشرفها قبيلة، ممن تهابه هاشم وتخافه، فعند ذلك قبلت الأرض، وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين.

قال: فعجب المأمون وطرب طرباً عظيماً وقال: والله لأتزوجن بهذه الجارية لأنها من أكبر الغنائم، ووقف حتى تلاحقته العساكر، فنزل هناك، وأنفذ خلف أبيها وخطبها منه، فزوجه بها وأخذها وعاد مسروراً، وهي والدة ولده العباس والله أعلم.

❀ ❀ ❀

لا تحزن إن خانك الصديق

قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، وقال جل وعلا: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9].

لقد تأملت في هذه الآيات الكريمة، وتمعنت في معانيها، فلم أجد لها ـ في زماني ـ على أرض الواقع أثراً يُذكر. وإنما هي آيات نتلوها لأجل الأجر والبركة. واما معناها الحقيقي، فلم أره حتى الآن في عالم الوجود! فلا الزوجة حفظت... ولا الولد برَّ، ولا القريب وصل، ولا الصديق وفّى ولا... ولا.... ولا....

قال وهب بن منبه: صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلاً غفر لي زلة ولا أقالني عثرة ولا ستر لي عورة. وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إذا كان الغدر طبعاً، فالثقة بكل أحد عجز. وقيل لبعضهم: ما الصديق؟ قال: اسم وُضع على غير مسمى وحيوان غير موجود. (قال الشاعر):

---

(1) المحتد: الأصل.

قال آخر:

إذا مـا كـنـت مـتّـخـذاً خـلـيـلاً فـلا تـأمـن خـلـيـلـك أن يـخـونـا
فـإنَّـك لـم يـخـنـك أخٌ أمـيـنٌ ولـكـنْ قـلَّـمـا تـلـقـى أمـيـنـا

وقال آخر:

تـحـبّ عـدوي ثـم تـزعـم أنـنـي أودّك إن الـرأي عـنـك لـعـازب
ولـيـس أخـي مـن ودّنـي بـلـسـانـه ولـكـنْ أخـي مـن ودَّنـي وهـو غـائـبُ
ومـن مـالـه مـالـي إذا كـنـت مـعـدمـاً ومـالـي لـه إن أعـوزتـه الـنـوائـبُ

ولما غضب السلطان على الوزير ابن مقلة وأمر بقطع يده لما بلغه أنه زور عنه كتاباً إلى أعدائه وعزله، لم يأت إليه أحد ممن كان يصحبه ولا توجع له، ثم إن السلطان ظهر له في بقية يومه أنه بريء مما نسب إليه فخلع عليه ورد إليه وظائفه، فأنشد يقول هذه الأبيات:

تـحـالـف الـنـاسُ والـزمـان فـحـيـث كـان الـزمـان كـانـوا
عـادانـي الـدهـر نـصـف يـومٍ فـانـكـشـف الـنـاس لـي وبـانـوا
يـا أيّـهـا الـمـعـرضـون عـنّـا عـودوا فـقـد عـاد لـي الـزمـانُ

(ومثله في المعنى):

أخـوك أخـوك مـن يـدنـو وتـرجـو مَـوَدَّتُـه وإنْ دُعـيَ اسـتـجـابـا
إذا حـاربْـتَ حـارب مـن تـعـادي وزاد سـلاحـه مـنـك اقـتـرابـا

وقال أبو بكر الخالدي:

وأخٍ رخـصـت عـلـيـه حـتـى مـلّـنـي والـشـيء مـمـلـولٌ إذا مـا يـرخـصُ
مـا فـي زمـانـك مـن يـعـزّ وجـوده إن رمـتـه إلاّ صـديـقٌ مـخـلـصُ

فيجب على الإنسان أن لا يصحب إلا من له دين وتقوى، فإن المحبة في الله تنفع في الدنيا والآخرة وما أحسن ما قال بعضهم:

وكـلّ مـحـبّـةٍ فـي الله تـبـقـى عـلـى الـحـالـيـن مـن فـرجٍ وضـيـق
وكـلّ مـحـبّـةٍ فـيـمـا سـواه فـكـالـحـلْـفـاء[1] فـي لـهـب الـحـريـق

---

(1) الحلفاء: من نباتات المستنقعات كانت تصنع منه الحصر.

فينبغي للإنسان أن يجتنب معاشرة الأشرار ويترك مصاحبة الفجّار ويهجر من ساءت حاله وقبحت بين الناس سيرته. قال الله تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ [الأنعام: 38] فأثبت الله المماثلة بيننا وبين البهائم وذلك إنما هو في الأخلاق خاصة، فليس أحد من الخلق إلا وفيه خُلق من أخلاق البهائم، ولهذا تجد أخلاق الخلائق مختلفة.

فإذا رأيت الرجل رجلاً في خلائقه غليظاً في طبائعه قوياً في بدنه لا تؤمن ضغائنه فألحقه بعالم النمورة، والعرب تقول: أجهل من نمر.

وإذا رأيت الرجل هجاماً على أعراض الناس فقد ماثل عالم الكلاب فإن دأب الكلب أن يجفو من لا يجفوه ويؤذي من لا يؤذيه، فعامله بما كنت تعامل به الكلب إذا نبح، ألست تذهب وتتركه.

وإذا رأيت إنساناً قد جبل على الخلاف إن قلت نعم قال لا، وإن قُلت لا قال نعم، فألحقه بعالم الحمير، فإن دأب الحمار إن أدنيته بعد وإن أبعدته قرب، فلا تنتفع به ولا يمكنك مفارقته.

وإن رأيت إنساناً يهجم على الأموال والأرواح فألحقه بعالم الأسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الأسد.

إذا بليت بإنسان خبيث كثير الروغان فألحقه بعالم الثعالب.

وإذا رأيت من يمشي بين الناس بالنميمة ويفرق بين الأحبة فألحقه بعالم الظربان، وهي دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة مشى بينهم ظربان فتفرقوا.

وإذا رأيت إنساناً لا يسمع الحكمة والعلم وينفر من مجالسة العلماء ويألف أخبار أهل الدنيا، فألحقه بعالم الخنافس، فإنه يعجبها أكل العذرات وملامسة النجاسات وتنفر من ريح المسك والورد وإذا شمت الرائحة الطيبة ماتت لوقتها.

وإذا رأيت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المرأة لبعلها، يبيض ثيابه ويعدل عمامته وينظر في عطفيه، فألحقه بعالم الطواويس.

وإذا بليت بإنسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازي بعد المدة الطويلة على السقطات، فألحقه بعالم الجِمال، والعرب تقول أحقد من جمل، فتجنب قرب الرجل الحقود.

وعلى هذا النمط فليحترز العاقل من صحبة الأشرار وأهل الغدر ومن لا وفاء لهم، فإنه إذا فعل ذلك سلم من مكائد الخلق وأراح قلبه وبدنه والله أعلم. (م) بتصرف.

❁ ❁ ❁

لا تحزن ولا تقلق.. فلن تُصاب بمثل مُصاب رسول الله ﷺ

مهما بلغت مصائبك، ومهما كبر ابتلاؤك، فلن تُصاب بمثل مُصاب رسول الله ﷺ وهو ﷺ الذي قال عن مُصابه: **«لقد أخفتُ في الله وما يخاف أحدٌ، ولقد أوذيتُ في الله وما يؤذى أحدٌ. ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلةٍ، وما لي ولبلالٍ طعامٌ يأكلهُ ذو كبدٍ إلا شيءٌ يُواريه إبط بلال»**[1].

وها هو الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - يروي لنا كيف عامل كفار قريش رسول الله ﷺ، عندما كان في مكة. فقد روى الإمام أحمد (3722) والبخاري (240)، وغيرهما، واللفظ للبخاري من طريق أبي إسحاقَ قال: حدَّثني عَمرُو بنُ مَيمون أنَّ عبدَ الله بنَ مَسعودٍ حدّثَهُ أن النبيّ ﷺ كان يُصلِّي عندَ البيتِ وأبو جَهلٍ وأصحابٌ لهُ جُلوسٌ إذ قال بعضُهُم لِبَعضٍ: أيُّكم يَجيءُ بسَلَى جَزورِ بَني فلانٍ فيَضَعُه عَلَى ظَهرِ مُحمدٍ إذا سَجَدَ.

فانبَعَث أشقى القوم فجاءَ بهِ، فنَظرَ حتى إذا سَجدَ النبي ﷺ، وضعَهُ عَلَى ظَهرِهِ بَينَ كَتِفَيهِ وأنا أنظُرُ لا أُغني شَيئاً، لو كان لي مَنَعةٌ. قال: فَجَعَلوا يَضحكونَ ويُحيلُ بَعضهم عَلَى بَعضٍ، ورسولُ الله ﷺ ساجِدٌ لا يَرفَعُ رأسَه، حتى جاءَتهُ فاطمةُ فَطَرَحَت عن ظهرهِ، فرَفَعَ رأسَه ثُمَّ قال:

«اللَّهمَّ عليكَ بقُرَيش» ثلاثَ مرَّاتٍ. فشَقَّ عليهم إذ دَعا عليهم. قال: وكانوا يَرونَ أن الدَّعوةَ في ذلكَ البَلَدِ مُستجابة.

---

(1) رواه الإمام أحمد (12213) والترمذي (2472) وابن ماجه (151)، وغيرهم من حديث أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ، به، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

ثُمَّ سَمَّى: «اللَّهمَّ عليكَ بأبي جَهل، وعليكَ بعُتبةَ بنِ رَبيعةَ، وشيبةَ بنِ ربيعةَ، والوَليدِ ابن عُتبةَ، وأمَيةَ بنِ خَلَفٍ، وعُقبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ» وعدَّ السابعَ فلم نحفَظْهُ. قال: فوَالذي نفسي بِيدِه، لقد رأيتُ الذينَ عَد رسولُ الله ﷺ صَرعى في القَليبِ، قَليبِ بَدْر. والقليب: هي البئر التي لم تطو. وإنما وضعوا في القليب، تحقيراً لهم، ولئلا يتأذى الناس برائحتهم وليس هو دفناً، لأن الحربي لا يجب دفنه.

وقوله:ا «بسَلَى جزور»: الجزور: الجمل، والسلى أحشاؤه.

❁ ❁ ❁

أقسام العلم والعمل

العلمُ: نَقْلُ صورة المعلوم من الخارج، وإثباتها في النفس. والعمل: نقل صورة علمية من النفس وإثباتها في الخارج. فإن كان الثابت في النفس مطابقاً للحقيقة في نفسها فهو علم صحيح. وكثيراً ما يثبت ويتراءى في النفس صور ليس لها وجود حقيقي، فيظنها الذي قد أثبتها في نفسه علماً، وإنما هي مقدرة لا حقيقة لها. وأكثر علوم الناس من هذا الباب.

وما كان منها مطابقاً للحقيقة في الخارج فهو نوعان: نوع تكمل النفس بإدراكه والعلم به، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وكتبه وأمره ونهيه.

ونوع لا يحصل للنفس به كمال، وهو كل علم لا يضرُّ الجهل به فإنه لا ينفع العلم به، وكان النبي ﷺ يستعيذ بالله من علم لا ينفع. وهذا حال أكثر العلوم الصحيحة المطابقة التي لا يضرُّ الجهل بها شيئاً، كالعلم بالفلَك ودقائقه ودرجاته، وعدد الكواكب ومقاديرها. والعلم بعدد الجبال وألوانها ومساحاتها ونحو ذلك. فشرف العلم بحسب شرف معلومه وشدةِ الحاجة إليه. وليس ذلك إلا العلم بالله وتوابعُ ذلك.

وأما العمل فآفته عدم مطابقته لمراد الله الديني الذي يحبه الله ويرضاه، وذلك يكون من فساد العلم تارة ومن فساد الإرادة تارة. ففساده من جهة العلم أن يعتقد أن هذا مشروع محبوب لله وليس كذلك، أو يعتقد أنه يقربه إلى الله وإن لم يكن مشروعاً؛ فيظن أنه يتقرب إلى الله بهذا العمل، وإن لم يعلم أنه مشروع. وأما فساده

من جهة القصد، فأن لا يُقصَد به وجه الله والدار الآخرة، بل يُقصَد به الدنيا والخَلْقُ.

وهاتان الآفتان في العلم والعمل، لا سبيل إلى السلامة منهما إلا بمعرفة ما جاء به الرسول في باب العلم والمعرفة، وإرادة وجه الله والدار الآخرة في باب القصد والإرادة. فمتى خلا من هذه المعرفة وهذه الإرادة فسدَ علمُه وعملُه.

والإيمان واليقين يورثان صحة المعرفة وصحة الإرادة، وهما يورثان الإيمان ويمدّانه. ومن هنا يتبين انحراف أكثر الناس عن الإيمان لانحرافهم عن صحة المعرفة وصحة الإرادة، ولا يتم الإيمان إلا بتلقي المعرفة من مشكاة النبوَّة، وتجريد الإرادة عن شوائب الهوى وإرادة الخلق؛ فيكون عِلمُه مقتبَساً من مشكاة الوحي، وإرادتُه لله والدار الآخرة؛ فهذا أصحّ الناس علماً وعملاً، وهو من الأئمة الذين يهدون بأمر الله، ومن خلفاء رسوله في أُمَّتِه. (ق).

❀ ❀ ❀



كُن قوياً واستعن بالله ولا تعجز

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 7].

«ألا إن القوة الرمي، ألا أن القوة الرمي، ألا أن القوة الرمي».

«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. وفي كل خير».

الاستجابة لأمر الله تعالى فرضٌ واجبٌ، وطاعة مفروضة. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 36].

فالأمر ليس متروكاً لاختيار العباد من أهل الإيمان، بل هو على الوجوب والفرضية. ذلك أن أهل الدين إن لم يكن لهم شوكة أو منعة وقوة، استُبيحت حُرماتُهم، وانفرط عقدهم، وانتهكت أعراضهم.. وما حصل في إسبانيا خير دليل على ذلك.

وقد تعهد الباري سبحانه وتعالى بحفظ دينه حتى يرث الأرض ومن عليها.. قال جل وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، ولله

جنود السموات والأرض، يحفظون أمره، ويدفعون عن دينه، وعن أهل طاعته ورضوانه.

وقد أمر سبحانه عباده المؤمنين بالإعداد، والتجهز لحماية دينه، وأن يكونوا ذوي رهبة في قلوب أعدائه، وذوي شوكة وقوة في مواجهتهم.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60].

وفي «مسند الإمام أحمد» (13437)، و«صحيح مسلم» (1917)، و«سنن أبي داوود» (2514)، واللفظ لمسلم، من طريق ثُمامة بن شفي؛ أَنَّهُ سَمِعَ عُقبة بن عامرٍ ﷺ يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ، وهو على المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60]. **أَلاَ إِنَّ القُوَّةَ الرمْيُ، الا إِنَّ القُوَّة الرَّمْيُ، أَلاَ إِنَّ القُوَّةَ الرمْيُ**».

قال الإمام القرطبي رحمه الله في «المفهم»: إنما فسر ﷺ القوة بالرمي، وإن كانت القوة تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب لكون الرمي أشدُّ نكاية في العدو، وأسهل مؤنة، لأنه قد يرمي رأس الكتيبة، فيصابُ فينهزم من خلفه.

❁ ❁ ❁

عليك بالدعاء... فإن ربك سميع قريب مجيب

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

هل تظن بإنك بعيد عن الله تعالى! أو أنك لست بمقام من يُستجاب له! كلا فالأمر بخلاف ذلك تماماً فعن أبي موسى الأشعري ـ ﷺ ـ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ في سَفَرٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ ولاَ غَائِباً، إِنكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً، وَهُوَ مَعَكُمْ**»

قَالَ وَأَنَا خَلْفَهُ، وَأَنَا أَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِالله. فَقَالَ: «**يَا عَبْدَ الله بِنْ قَيْسٍ! أَلاَ أَدُلُّك عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوز الجَنَّةِ؟**» فَقُلْتُ: بَلَى يا رَسُولَ الله! قال: «**قُل لا حول ولا قُوَّة إلا بالله**»[1].



هجر القرآن

هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به، والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم. (ق).

❀ ❀ ❀

(1) رواه الإمام أحمد (19616) والبخاري (2992) ومسلم (2704)، وغيرهم.
وقوله ﷺ: «اربعوا» معناه: أرفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه، ليسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سميع قريب.
وقوله ﷺ: «**لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة**» قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى، واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر. ومعنى الكنز، هنا أنه ثواب مدخر في الجنة، وهو ثواب نفيس. كما أن الكنز أنفس أموالكم. قال أهل اللغة: الحول الحركة والحيلة أي لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى. وقيل: معناه: لا حول في دفع شر، ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله. قال أهل اللغة: ويعبِّر عن هذه الكلمة بالحوقلة والحولقة. وبالأول جزم الأزهري والجمهور، وبالثاني جزم الجوهري.

خطبة وبلاغة (حرف الثاء)

الحمدُ لله الذي يكشف الكربَ ويُغيث، ويروّح بالفرج قلبَ اللهيث، يحلم عمّن يعصي ويفسد ويعيث، وعيدُهُ بطيءٌ وَوَعْدُه حثيث، أنزل القرآن فجحده الوليد وكم تبع الخبيث، وادّعى مسيلمةُ معارضَتَهُ فإذا في الرجل تخنيث، وافتضح ذو الخمار فسقطت النقطة من اسمه وميث، هؤلاء لمّا هلكوا وأخذ المبتدعةُ المواريث، ما يرضى لهم طوفانُ نوح وريحُ عادٍ فاصبر يا مستريث، انتدب الحق بنفسه لجاحد كلامه بمن يستغيث، ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ [القلم: 44] (ج).

❀ ❀ ❀

مصاحبة الحمقى

إياك ومصاحبة الأحمق، فإنه من أجهل الجهل، وأسفه العقل.

قال الزهري رحمه الله تعالى: إذا أنكرت عقلك فاقدحه بعاقل. وقال الجاحظ: لا تجالس الحمقى فإنه يعلق بك من مجالستهم من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهراً من الصلاح؛ فإن الفساد أشد التحاماً بالطباع.

وقال المتنبي:

ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل ... يرى الناس ضلالاً وليس بمهتدي

قال ابن الأعرابي[1]: الحماقة مأخوذة من «حمقت السوق» إذا كسدت، فكأنه كاسد العقل والرأي، فلا يشاور ولا يلتفت إليه في أمر حرب. وقال أبو بكر المكارم: إنما سميت البقلة الحمقاء، لأنها تنبت في سبيل الماء وطريق الإبل. قال ابن الأعرابي: وبها سمي الرجل أحمق لأنه لا يميز كلامه من رعونته ولا يلتفت إليه في أمر من الأمور.

---

(1) ابن الأعرابي: هو محمد بن زياد أبو عبد الله راوية وعلاّمة باللغة، لم ير في الشعر أغزر منه، ولد في الكوفة وتوفي سنة (231 هـ).

وقال الأبشيهي: والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة، وهو داء دواؤه الموت.

قال الشاعر:

لكل داء دواءٌ يُستطب به إلا الحماقة أعيت من يداويها

وقال الأبشيهي أيضاً: والحمق مذموم، ويستدل على صفة الأحمق من حيث الأفعال: فترك نظره في العواقب، وثقته بمن لا يعرفه، والعجب، وكثرة الكلام، وسرعة الجواب، وكثرة الالتفات، والخلو من العلم، والعجلة، والخفة، والسفه، والظلم، والغفلة، والسهو، والخيلاء، إن استغنى بطر، وإن افتقر قنط، وإن قال أفحش، وإن سئل بخل، وإن سأل ألح، وإن قال لم يحسن، وإن قيل له لم يفقه، وإن ضحك قهقه، وإن بكى صرخ، وإن اعتبرنا هذه الخصال وجدناها في كثير من الناس، فلا يكاد يعرف العاقل من الأحمق، والسكوت عند الأحمق جوابه ا. هـ.

وقيل لبهلول: عُدّ لنا المجانين، فقال: هذا يطول، ولكني أعد العقلاء.

وقيل في معنى الحمق والتغفيل: هو الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة المقصود، بخلاف الجنون، فإنه عبارة عن الخلل في الوسيلة والمقصود جميعا، فالأحمق مقصوده صحيح، ولكن سلوكه الطريق فاسد ورويته في طريق الوصال إلى الغرض غير صحيحة، والمجنون أصل إشارته فاسد، فهو يختار ما لا يختار.

وعلى هذا فإن من كان فيه حمق، وليس من أصل جوهره، فإنه ينتفع بالرياضة والتأديب. وأما من كان الحق، من أصل جوهره، فهو لا ينتفع بشيء.

وقال ابن الجوزي: وبعد فإن الناس يتفاوتون في العقل وجوهره ومقدار ما أعطوه منه، فلهذا يتفاوت الحمق.

قيل لإبراهيم النظّام: ما حدّ الحمق؟ فقال: سألتني عما ليس له حد. وتلا عمر هذه الآية: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6] قال: الحمق يا رب. وقال علي رضي الله عنه: ليس من أحَد إلا وفيه حمقة فيها يعيش. وقال أبو الدرداء: كلنا أحمق في ذات الله. وعن مُطرِّف قال: لو حلفت، لرجوت أن أبر أنه ليس أحد من الناس إلا وهو أحمق فيما بينه وبين الله عَزَّ وجَلّ، وكان يقول: ما أحد من الناس إلا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه عز وجل، غير أن بعض الحمق أهون من بعض، وعنه قال: عقول الناس على قدر زمانهم، وكان يقول: هم النّاس والنسناس، وأرى أناساً غمسوا في ماء الناس. وقال

سفيان الثوري: خلق الإنسان أحمق لكي ينتفع بالعيش. وأنشد بعضهم:

لَـعَـمْـرِكَ مـا شـيء يَـفـوتـك نَـيْـلَـهُ ... بِغُبْنٍ وَلَكِنْ فِي العُقُولِ التَّغَابنِ

وعن الحارث بن محمد، قال: سمعت محمد بن مسلم يقول: تكلم رجل في مجلس ابن عباس، فكثر الخطأ، فالتفت عبد الله بن عباس إلى عبد له فأعتقه فقال له الرجل:

ما سبب هذا الشكر؟ قال: إذ لم يجعلني الله مثلك.

وقال الراغب الأصبهاني: العقل؛ الوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلاً. وقيل: هو النظر في العواقب. وقيل: العاقل من له رقيبٌ على جميع شهواته. وقيل: هو من عقل نفسه عن المحارم ـ أي منعها ـ. والعقل: المنع ومنه: عِقَال الدابة، وهو الحبل الذي تُربط به، فيمنعها عن الإنفلات.

وأما الحمق: فهو قلّة الإصابة، ووضع الكلام في غير موضعه. وقيل: هو فقدان ما يُحمد من العاقل. أعاذنا الله تعالى من الحمق، وسوء التدبير، ورزقنا الحكمة، وحسن الختام ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269].



الاختلاط وخطورته على الفرد والمجتمع

من أكبر جرائم العلمانية المعاصرة، دعوتها إلى الاختلاط المحرَّم، وهو الذي نهى عنه الشارع الكريم، وحذّر منه أشد ما يكون التحذير. قال الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحـــــزاب: 53]. وقال جل من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: 59] الآية.

وفي «الصحيحين[1]» وغيرهما من حديث عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت

---

(1) رواه الإمام أحمد (1934) والبخاري (1862) ومسلم (1341)، وغيرهم.

النَّبيَّ ﷺ يخطب يقول: «**لا يخلونَّ رجلٌ بإمرأةٍ إلا ومعها ذو محرم. ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**»، فقام رجلٌ فقال: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجَّة، وإني اكتتبتُ في غزوة كذا وكذا، قال ﷺ: «**انطلق فحُجَّ مع امرأتك**».

سُئِلَ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ: ما رأي الإسلام في عمل المرأة مع الرجال؟

فأجاب: من المعلوم بأن نزول المرأة للعمل في ميدان الرجال يؤدي إلى الاختلاط المذموم والخلوة بهن، وذلك أمر خطير جدّاً له تبعاته الخطيرة، وثمراته المرة، وعواقبه الوخيمة، وهو مصادم للنصوص الشرعية التي تأمر المرأة بالقرار في بيتها والقيام بالأعمال التي تخصّها وفطرها الله عليها مما تكون فيه بعيدة عن مخالطة الرجال.

والأدلة الصريحة الصحيحة الدالة على تحريم الخلوة بالأجنبية، وتحريم النظر إليها، وتحريم الوسائل الموصلة إلى الوقوع فيما حرّم الله، أدلة كثيرة محكمة قاضية بتحريم الاختلاط المؤدي إلى ما لا تُحمد عُقباه. منها قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 33 ـ 34]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59]. وقال الله جل وعلا: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: 30 ـ 31]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾ [الأحزاب: 53]. وقال ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**» ـ يعني الأجنبيات ـ قيل: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**». ونهى الرسول ﷺ عن الخلوة بالمرأة الأجنبية على الإطلاق، وقال: «**إن ثالثهما الشيطان**».

ونهى عن السفر إلا مع ذي محرم سدّاً للذريعة الفساد، وإغلاقاً لباب الإثم، وحسماً لأسباب الشر، وحماية للنوعين من مكائد الشيطان. ولهذا صحّ عنه ﷺ، أنه

قال: «اتقُوا الدنيا واتقُوا النساءَ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساءِ». وقال ﷺ: «ما تركتُ بعدِي في أمتي فتنةً أضرُّ على الرجال من النساء». وهذه الآيات والأحاديث صريحةُ الدلالةِ في وجوب الابتعاد عن الاختلاط المؤدي إلى الفساد وتقويض الأُسَرِ وخراب المجتمعات. وعندما ننظر إلى وضع المرأة في بعض البلدان الإسلامية نجدُها أصبحت مُهانة مبتذَلةً بسبب إخراجها من بيتها وجعلها تقوم في غير وظيفتها، لقد نادى العقلاء هناك وفي البلدان الغربية بوجوب إعادة المرأة إلى وضعها الطبيعي الذي هيأها الله له، وركّبها عليه جسمياً وعقليّاً، ولكن بعدما فات الأوان.

وفي ميدان عمل النساء في بيوتهن، وفي التدريس وغيره مما يتعلّق بالنساء، ما يغنيهم عن التوظيف في ميدان عمل الرجال. نسأل الله أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين جميعاً من مكايد الأعداء ومخططاتهم المدمّرة، وأن يوفق المسؤولين وسائر الكتّاب إلى حمل الناس على ما يصلح شؤونهم في الدنيا والآخرة، تنفيذاً لأمر ربهم وخالقهم والعالم بمصالحهم، وأن يوفق المسؤولين في ديار الإسلام لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد، وفي أمر المعاش والمعاد، وأن يعيذنا وإياهم وسائر المسلمين من مضلات الفتن وأسباب النقم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



السر في الهَدْيِ النبوِيّ في الشرب

روى البخاري (5630) ومسلم (267)، وغيرهما من طريق عبد الله ابن أبي قتادة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا شَرِبَ أحدكم فلا يتنفس في الإناء».

وروى الإمام أحمد (12134) ومسلم (2028/ 123)، وغيرهما من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يتنفس في الشراب ثلاثاً، ويقول: «إنه أروى وأبرأ وأمرأ».

قال أنس: فأنا أتنفس في الشراب ثلاثاً.

ومعنى قوله ﷺ: «أروى» من الري، أي أكثر رياً. وقوله ﷺ: «وأبرأ» أي برأ من ألم العطش، وقيل «أبرأ» أي: أسلم من مرض أو أذى، قد يحصل بسبب الشرب في نفس واحدة.

وقوله ﷺ: «وأمرأ» أي أجمل انسياغاً، والمعنى؛ أنه يصير هنيئاً مرياً برياً، أي سالماً من مرضٍ أو عطش أو أذى.

قال الحافظ في «الفتح»: ويؤخذ من ذلك أنه أقمع للعطش وأقوى على الهضم وأقل أثراً في ضعف الأعضاء. واستعمال أفعل التفضيل في هذا يدل على أن للمرتين في ذلك مدخلاً في الفضل المذكور، ويؤخذ منه أن النهي عن الشرب في نفس واحد للتنزيه، قال المهلب: النهي عن التنفس في الشرب كالنهي عن النفخ في الطعام والشراب، من أجل أنه قد يقع فيه شيء من الريق فيعافه الشارب ويتقذره. إذ كان التقذر في مثل ذلك عادة غالبة على طباع أكثر الناس، ومحل هذا إذا أكل وشرب مع غيره، وأما لو أكل وحده أو مع أهله أو من يعلم أنه لا يتقذر شيئاً مما يتناوله فلا بأس.

قلت: والأولى تعميم المنع، لأنه لا يؤمن مع ذلك أن تفضل فضلة أو يحصل التقذر من الإناء أو نحو ذلك.

وقال ابن العربي: قال علماؤنا هو من مكارم الأخلاق، ولكن محرم على الرجل أن يناول أخاه ما يتقذره، فإن فعله في خاصة نفسه ثم جاء غيره فناوله إياه فليعلمه، فإن لم يعلمه فهو غش، والغش حرام.

وقال القرطبي: معنى النهي عن التنفس في الإناء لئلا يتقذر به من بزاق أو رائحة كريهة تتعلق بالماء، وعلى هذا إذا لم يتنفس يجوز الشرب بنفس واحد، وقيل: يمنع مطلقاً لأنه شرب الشيطان، قال: وقول أنس (يتنفس في الشرب ثلاثاً) قد جعله بعضهم معارضاً للنهي، وحمل على بيان الجواز، ومنهم من أومأ إلى أنه من خصائصه لأنه كان لا يتقذر منه شيء.

جاء في كتاب «الحقائق الطبية» التنفسُ شهيقٌ وزفير؛ الشهيقُ يُدْخِلُ الهواءَ الصافي المُفْعَمَ بالأكسجين إلى الرئتين، ليمدَّ الجسمَ بما يحتاجه من الطاقة؛ والزفيرُ يُخْرِجُ من الرئتين الهواءَ المُفْعَمَ بغازِ الفحم CO_2، مع قليل من الأكسجين وبعض فضلات الجسم الطيارة، التي تخرج عن طريق الرئتين بشكلٍ غازيٍّ، هذه الغازات تكثر نسبتها في هواء الزفير في بعض الأمراض، كما في التسمم البولي (الأوريميا) فتصبح رائحة النفس كريهة كرائحة النشادر (الأمونياك) وفي التسمم السكري فتصبح رائحة النَّفَسِ كرائحة الْخَلّون (الأسيتون). إذاً، فهواءُ الزفير هو فضلاتُ الجسم الغازية مع قليل من الأكسجين؛ فكيف نُعيدُ هذه الفضلاتِ مرةً ثانية إلى الجسم عن طريقِ نفخها

في الطعام والشراب؟! لذلك نهى النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) عن ذلك.

منذ عقدين من السنين تقريباً أَصْبَحَ يُلْجَأُ إلى نَفْخِ هواءِ الزفير في فم وأنف المصابين بالإغماء.. ويتوقف القلب والتنفس لإنقاذ حياتهم؛ وقد أصبحتْ هذه الطريقة الآن بدلاً من حركات التنفس الصناعي.. التي كانت تتبع سابقاً، وقد وجدوها أنفعَ وأجْدَى في إنقاذ الحياة.. ريثما يصلُ المصاب إلى المستشفى، ويُطَبَّقُ له التنفسُ الآلي الذي يضخ للمصاب أكسجيناً صِرْفاً أو مخلوطاً بغيره؛ فكيف يَنْفعُ هواءُ الزفير في إنقاذ المصابين بتوقف التنفس؛ لقد قلنا إن هواء الزفير يحوي كمية من الأكسجين وإن كانت قليلة ـ فشيء أفْضَلَ من لا شيء ـ لذلك فهو يفيد بهذه الكميةِ القليلةِ من الأكسجين الموجودة فيه ريثما يصلُ المصاب إلى المستشفى؛ وهذه الحالاتُ فرديةٌ قليلة الحدوث، أما الاعتيادُ دائماً على النفخ في الطعام والشراب ثم تناوله.. فهي عادةٌ ضارة مؤذية.

قال: إذا شربَ المرءُ كوباً من الماء دفعةً واحدة فإنه يضطر إلى كتمْ نفَسِه.. إلى أن ينفدَ الماءُ من الكوب، وذلك لأنّ طريقَ الماء والطعام وطريق الهواء تتقاطعان عند البلعوم، فلا يستطيعان أن يمرا معاً، ولا بد من وقوف أحدهما ليمر الآخر، وعندما يَكْتُم المرءُ نَفَسَه مدةً طويلة ينحبس الهواء في الرئتين.. فيأخذُ بالضغط على جدران الأسناخ الرئوية.. فتتوسع وتَفْقِدُ مرونتها بالتدريج، ولا يظهر ضررُ ذلك في مدةٍ قصيرة، ولكنْ إذا اتخذ المرء ذلك عادةً له، وصار يَعُبُّ الماءَ عبّاً ـ كما يعبُّ البعير ـ ومضى على ذلك سنون طويلة، تبدأ تظهرُ عليه أعراض انتفاخ الرئة، فإذا أقْلَعَ عن تلك العادة، تَقِفُ الأعراضُ.. وربما تراجعت، وإذا تمادى فيها تمادَتِ الأعراض في الازدياد، وأصيب المرء بانتفاخ الرئة الَّذي لا رجعة فيه، فيضيق نفَسَهُ عند أقلِّ جُهْدٍ.. وتزرقُّ شفتاه وأظافره، ثم تضغط الرئتان على القلب.. فيصاب بالقلب الرئوي وبقصور القلب، وينعكس ذلك على الكبد.. فتتضخم وتؤلم، ثم يحدث الاستسقاء والوذمات في جميع أنحاء الجسم؛ وهكذا فإن انتفاخ الرئتين مرضٌ خطير.. لا شفاءَ له ولا علاج، حتى إن الأطباء يعدُّونه أخطرَ من سرطان الرئة، لأنّ السرطان إذا كان محصوراً في إحدى الرئتين.. يمكن استئصال الرئة وشفاء المريض منه تماماً، وأما الانتفاخ فلا سبيل إلى شيء من ذلك فيه.

والنبيّ (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) لا يريدُ لأفراد أمته كلَّ هذا العَنَاءَ والعذابَ، لذلك ينصحهم ـ منذ البدء ـ أن يمصوا الماء مَصّاً.. وأن يشربوه على ثلاث دفعات، فهو أَرْوَى وأمْرَأ وأبْرأ؟ ما من شيء من أوامر النبي (صلى الله تعالى عليه وآله

وسلم) ونواهيه إلا وفيه مصلحة للأمة، إن لم تظهر في الحال فستظهر في المآل. والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

شفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة

روى الإمام أحمد (12154)، والبخاري (4476)، ومسلم (193) وغيرهم من حديث أنس ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجتَمِعُ المُؤمِنُونَ يَومَ القِيَامَةِ فَيَقُولُونَ: لَوِ اَستَشفَعنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأتونَ آدَمَ فَيَقُولونَ: أَنتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسمَاءَ كُل شيءٍ، فَاشفَع لَنَا عِندَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِن مَكانِنَا هَذَا. فَيَقُولُ: لَستُ هُنَاكُم[1]، وَيذكرُ ذنبَهُ فيستَحِي، ائتوا نُوحاً، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ الله إلى أَهلِ الأرضِ.

فَيَأتونَهُ فَيَقُولُ: لَستُ هُنَاكُم، وَيَذكُرُ سُؤَالَهُ رَبَّهُ ما لَيسَ لَهُ بِهِ عِلمٌ فَيَستَحِي، فَيَقولُ: ائتُوا خَلِيلَ الرَّحمنِ. فَيَأتونَه فَيَقُولُ: لَستُ هُنَاكُم، ائتُوا مُوسى، عَبداً كَلَّمَهُ الله وَأَعطَاهُ التَورَاةَ.

فَيَأتونَه فَيقُولُ: لَستُ هُنَاكُم، وَيَذكُرُ قَتلَ النَّفسِ بِغَيرِ نَفسٍ، فَيَستَحِي مِن رَبِّهِ فَيَقُولُ: ائتُوا عِيسى عَبدَ اَللهِ وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَةَ اَللهِ وَرُوحَهُ. فَيَقُولُ: لَستُ هُنَاكُم، ائتُوا مُحمداً ﷺ، عَبداً غَفَرَ اَللهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

فَيَأتونَنِي، فَأَنطَلِقُ حَتَّى أَستَأذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤذَن لِي، فَإِذَا رَأَيتُ رَبِّي وَقَعتُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُقَال: ارفَع رَأسَكَ، وَسَل تُعطَهُ، وَقُل يُسمَع، وَاشفَع تُشَفعْ. فَأَرفَعُ رَأسِي، فَأَحمَدُهُ بِتَحمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدّاً فَأُدخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعودُ إِلَيهِ، فَإِذَا رَأَيتُ رَبِّي، مِثلَهُ، ثُمَّ أَشفَع فَيَحدُّ لِي حَدّاً فَأُدخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ: ما بَقِيَ فِي النَّارِ إِلا مَن حَبَسَهُ القُرآنُ، وَوَجَبَ عَلَيهِ الخُلُودُ» قال البخاري: قوله ﷺ: «إلا مَن حَبَسَهُ القُرآنُ»، يَعنِي قَولَ اللهِ تَعالَى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

❀ ❀ ❀

(1) قوله ﷺ: «لست هناكم» أي ليست أهلاً لها.

عليك سلام الله في عرفات

إلى (عرفاتٍ) اللهِ يا ابن محمّدٍ — عليكَ سلامُ اللهِ في عرفاتِ
ويوم تُولِّي وجهة البيتِ ناضراً — وسيمَ مجال البشر والقَسمات
على كل أفْقٍ بالحِجاز ملائكٌ — تزفّ تحايا الله والبركات
إذا حُدِيتُ عيسُ الملوك فإنهم — لعيسكَ في البيداءِ خيرُ حُداة[1]
لدى الباب جبريلُ الأمينُ براحه — رسائل رحمانيَّةُ النَّفَحات
وفي الكعبة الغرّاءِ ركن مرحِّبٌ — بكعبةِ قُصَّادٍ وركن عُفاة[2]
وما سكب الميزابُ ماءً وإنّما — أفاض عليك الأجرَ والرحمات[3]
وزمزمُ تجري بين عينيك أعيناً — من الكَوثر المعسولِ مُنفجرات[4]
ويرمون إبليس الرجيمَ فيصطلي — وشانِيك نيراناً من الجمَرَات[5]
يُحيِّيك طه في مضاجع طُهره — ويعلم ما عالجت من عقَبات
ويُثني عليكَ الراشدون بصالحٍ — ورُبَّ ثناءٍ من لسان رُفات[6]
لك الدين يا ربّ الحجيجِ جمعتهم — لبيتٍ طَهورِ السّاح والعرَصات
أرى الناسَ أصنافاً ومن كل بقعةٍ — إليك انتهوْا من غربةٍ وشتات
تساووْا فلا الأنسابُ فيها تفاوتٌ — لديك ولا الأقدارُ مختلفات
عنَت لك في التُرب المقدسِ جبهةٌ — يُدينُ لها العاتي من الجبهات
منوّرةٌ كالبدر شمّاءُ كالسّها — وتُخفَضُ في حقٍّ وعند صلاة
دعاني إليكَ الصالحُ ابنُ محمد — فكان جوابي صالحَ الدعواتِ

---

(1) العيس، الإبل، جمع عيساء.
(2) العفاة، جمع عافي، وهو طالب الخير والمعروف.
(3) يريد بالميزاب، ميزاب الرحمة بالكعبة المشرفة.
(4) زمزم، هي بئر زمزم القريبة من الكعبة المشرفة. والكوثر: العذب من المياه، وهو اسم نهر في الجنة.
(5) شانيك: مبغضك والجمرات، جمع جمرة، وهي الحصاة التي يرمى بها الشيطان بمنىً.
(6) الراشدون، من الخلفاء الراشدون الأربعة الذين خلفوا النبي ﷺ.

وخيّرني في سابح أو نجيبةٍ إليكَ فلم أخترْ سوى العَبرات[1]
وقدَّمتُ أعذاري وذُلّي وخَشيتي وجئت بضعفي شَافعاً وشكاتي
ركائبُ عباس العُلاَ كسروية ولكن لذي سيفٍ وربّ قَناة
وفي رَاحتي ماضٍ إذا ما هَزَزْته تركتُ عدوَّ اللهِ في السَكَرات
أتيتَ به يا ربّ نوراً وحكمة ونزّهتَه عن ريبةٍ وأذاةِ
ويا رب لو سخَّرت ناقةَ صالح لعبدكَ ما كانت من السَلِسَاتِ
ويا ربّ هل (سيّارةٌ) أو مَطارةٌ فيدنو بعيدُ البيدِ والفَلوات
ويا ربّ هل تُغني عن العبد حَجَّةٌ وفي العمر ما فيه من الهفوات
وتشهدُ ما آذيتُ نفساً ولم أضر ولم أبغِ في جَهري ولا خطراتي
ولا غلبتني شِقْوَةٌ أو سعادة على حكمةٍ آتيتَني وأناة
ولا جالَ إلاّ الخيرُ بين سرَائري لدى سُدّةٍ خيريّةِ الرغباتِ
ولا بتّ إلاّ كابنَ مريمَ مُشْفِقاً على حُسَّدي مستغفراً لعداتي
ولا حُمِّلت نفسٌ هوىً لبلادها كنفسِيَ في فِعلي وفي نَفَثاتي
وإنّي ولا مَنٌّ عليك بطاعةٍ أُجِلُّ وأُغلي في الفروضِ زَكاتي
أبالغُ فيها وهي عدلٌ ورحمةٌ ويتركُها النسَّاكُ في الخَلَوات
وأنت وَلِيُّ العفوِ فَامْحُ بناصع من الصفح ما سوَّدتُ من صَفَحاتي
ومن تضحك الدنيا إليه فيغْتَرِرْ يمت كقتيل الغيد بالبَسَمات
وركبٍ كإقبالِ الزمانِ محجَّلٍ كريمِ الحواشي كابرِ الخطَوات
يسيرُ بأرضٍ أخرجت خيرَ أمّة وتحت سماءِ الوحيِ والسُّوَرَات
يُفيضُ عليها اليمنَ في غَدواته ويُضْفي عليها الأمن في الرّوحات
مشى الأروع العباس فيه يحفُّه خميسانِ من جندٍ ومن سَرَوات
تكادُ تضيءُ الأرضُ تحت ظِلاله وتُخرِجُ عِقباناً مكانَ نبات
ومن يمشِ في أرض الإمام محمدٍ يسرْ بين أقيالٍ وبينَ وُلاة[2]

(1) النجيبة: الناقة الكريمة.
(2) الأقيال: الملوك. وكان يطلق على ملوك اليمن لفظ الأقيال.

وأمُّ أميـر النـيـل فـي الـركـبِ هـالـةٌ ... مـن الـعِـزِّ فـي أتـرابـهـا الـخـفِـرَات
أقـلَّـت عُـلاهـا فـي خِـيـاءٍ مـن الـقـنـا ... هـوادجُ كـالإيـوانِ ذي الـشـرفـاتِ[1]
تُـجـلُّ نـسـاءُ الـمـؤمـنـيـن ثـنـاءَهـا ... ويـبسُـطـن راحَ الـحـمـدِ مـبـتـهِـلاتِ
أخـذن بـتـقـواهـا وسـرن بـهَـدْيـهـا ... ومـنـهـا عـلـمـنَ الـبـرَّ والـصـدَقـاتِ
مـواكـبُ لـم تُـعـهـد لـغـيـر زُبـيـدةٍ ... بـبـغـدادَ فـي الأعـيـادِ والـجُـمُـعـاتِ
أعـادت حـديـثَ (الـخـيـزُران) وعـزّهـا ... ومـا أغـدقـتْ مـن أنـعُـمٍ وهِـبـاتِ
تَـريـكَ الـقـرى آثـار جـدّيْـك عـنـدهـا ... ومـا أسـلـفَـا مـن حَـجَّـةٍ وغَـزاة
هـمـا أمَّـنـا الـبـيـتَ الـحـرامَ وأنـقـذا ... ربـوعَ الـهـدى مـن مُـفـسـدِيـن عُـصـاةِ
تـدورُ أحـاديـث الـرجـالِ وتـنـقـضـي ... ويـبقـى حـديـثُ الـفـضـلِ والـحـسـنـاتِ
وجـادا لـطْـه بـالأسـاطـيـلِ دُمِّـرت ... ومـا بَـخِـلاً بـالـجـيـشِ ذي الـهَـبَـوات
ومـن عـجـبِ الـتـاريـخِ تـرقـى إلـيـهـمـا ... أقـاويـل قـومٍ بـالـنـمـيـمِ مُـشـاةِ
وسـيّـانَ عـنـدي مـن أحـبَّ ومـن قـلَـى ... إذا أُخِـذَ الأحـبـابُ بـالـشُّـبُـهـات
إذا زرتَ يـا مـولاَي قـبـرَ مـحـمّـدٍ ... وقـبَّـلـتَ مـثـوَى الأعـظْـمِ الـعـطـرات
وفـاضـت مـن الـدمـعِ الـعـيـونُ مـهـابـةً ... لأحـمـدَ بـيـن الـسـتـر والـحُـجـرات
وأشـرق نـورٌ تـحـت كـل ثـنـيَّـةٍ ... وضـاعَ أريـجٌ تـحـت كـلِّ حَـصـاة
لـمُـظـهـرِ ديـنِ الله فـوق تـنـوفـةٍ ... ربـانـي صـروح الـمـجـدِ فـوق فـلاة[2]
فـقـل لـرسـولِ الله يـا خـيـرَ مـرسَـلٍ ... أبـثُّـك مـا تـدري مـن الـحـسـرات
شـعُـوبُـك فـي شـرقِ الـبـلادِ وغـربـهـا ... كـأصـحـابِ كـهـفٌ فـي عـمـيـق سُـبـات
بـأيـمـانـهـم نُـورَانِ ذكـر وسـنّـة ... فـمـا بـالـهـم فـي حـالِـكِ الـظـلُـمـات
وذلـك مـاضِـي مـجـدِهـم وفَـخـارِهـم ... فـمـا ضـرَّهـم لـو يـعـلـمـونـا لآتـي (شـوقـي)

❀ ❀ ❀

العَفوُ عن جَفوَة المُسِيء والمستحِقّ والإحسانِ إليه

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: 6].

وفي «الصحيحين» من طريق شُعبةُ، عَن سَلَمَةَ عنِ كُهَيلٍ، عَن أَبِي سَلَمَةَ، عَن أَبِي هُرَيرَةَ. قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَقٌّ. فَأَغلَظَ لَهُ. فَهَمَّ بِهِ أَصحَابُ النبيِّ ﷺ. فَقَالَ النبيُّ ﷺ: **«إِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً»**. فَقَالَ لَهُمُ: **«اشتَرُوا لَهُ سِنّاً فَأَعطُوهُ إِيّاهُ»** فَقَالُوا: إِنَّا لاَ نَجِدُ إِلاَّ سِنّاً هُوَ خَيرٌ مِن سِنِّهِ. قَالَ: **«فَاشتَرُوهُ فَأَعطُوهُ إِيَّاهُ. فإنَّ مِن خَيرِكُم ـ أَو خَيرَكُم ـ أَحسَنَكُم قَضاءً»**.

والسن: الجمل. وقد جاء عند البخاري بزيارة: فقال الرجل: أوفيتني أوفي الله بك، فقال النَّبيُّ ﷺ: **«إن خياركم أحسنكم قضاءً»**.



المحبة تابعة للمعرفة

اللذة تابعة للمحبة؛ تَقوَى بقوَّتها، وتضعف بضعفها. فكلما كانت الرغبةُ، في المحبوب والشوقُ إليه أقوى، كانت اللذة بالوصول إليه أتَمّ. والمحبة والشوق تابع لمعرفته والعلم به، فكلما كان العلم به أتَمّ كانت محبته أكمل. فإذا رجع كمال النعيم في الآخرة، وكمال اللذة إلى العلم والحب؛ فمن كان يؤمن بالله وأسمائه وصفاته وبه أعرَفَ، كان له أحَب، وكانت لذته بالوصول إليه، ومجاورتِهِ، والنظر إلى وجهه، وسماعِ كلامه أتَمّ. وكل لذة ونعيم وسرور وبهجة بالإضافة إلى ذلك كقطرة في بحر؛ فكيف يُؤثر مَن له عقلٌ لذة ضعيفةً قصيرة مشوبة بالآلام على لذة عظيمة دائمة أبد الآباد؟! وكمال العبد بحسب هاتين القوتين: العلم والحب، وأفضل العلم العلم بالله، وأعلى الحب الحب له، وأكمل اللذة بحسبهما. والله المستعان. (ق).

❁ ❁ ❁

وفاة النبيّ ﷺ في حجر من يُحِبّ

روى البخاري (3774)... وغيره، من طريق هشام عن أبيهِ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لمّا كَانَ في مرضهِ، جَعَلَ يدُورُ في نسائه، ويقولُ: «أَينَ أنا غداً، أينَ أَنَا غداً»؟ حرصاً على بيت عائشة.

قالت عائشة: فلمّا كَانَ يَومي سَكَنَ.

وفي رواية له (5217) أيضاً، من طريق هشام بن عروة، قال: أخبرني أبي عن عائشة ﵂؛ أن رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَسأَلُ في مرضهِ الذِي ماتِ فيه: «أَينَ أنا غداً، أَينَ أَنَا غداً»؟ يُرِيدُ يَومَ عائشة.

فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يكُونُ حَيثُ شاءَ. فَكَانَ في بيتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِندَها.

قَالت عَائِشةُ: فَمَاتَ في اليوم الذِي كَانَ يَدُورُ عَليَّ فيه في بيتي، فَقَبَضَهُ الله وَإنَّ رَأسَهُ لبين نَحري وسَحرِي، وخَالَط رِيقُهُ رِيقي.

قال ابن الأثير ـ رحمه الله تعالى ـ: السَّحرُ: الرئةُ، أي أنه ﷺ ماتَ وهو مُستندٌ إلى صدرِها، وما يُحاذي سَحْرَهَا منه. وقيل: السَّحرُ، ما لَصِقَ بالحلقوم من أعلى البطن، وحكى القتبي عن بعضهم، أنه بالشين ـ المعجمة ـ والجيم، وأنه سُئل عن ذلك؛ فشبك بين أصابعه وقدَّمها عن صدره، كأنه يَضُم شيئاً إليه. أي أنه ﷺ ماتَ وقد ضَمَّتهُ بيَديها إلى نحرها وصدرِها.

والحديث رواه البخاري (4449) أيضاً بأتم منه، من طريق عمر بن سعيد، قال: أخبرني ابن أبي مُليكة، أن أبا عمرو وذكوانَ مولى عائشةَ، أخبرهُ؛ أن عائشة ﵂، كانتْ تَقولُ:

إنَّ من نِعَم الله عليَّ، أنَ رَسُولَ الله ﷺ تُوفيَ في بيتي وفي يومي وبين سَحري وَنَحرِي، وأنَّ الله جَمَعَ بينَ رِيقي وريقهِ عِندَ مَوتهِ.

دَخَلَ عَليَّ عَبدُ الرحمنِ ـ بن أبي بكر ـ وبيده السِّواكُ، وَأَنَا مُسنِدَةٌ رَسُولَ الله. فَرأَيتُهُ يَنظُرُ إِليهِ، وَعَرَفتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فقلتُ: آخُذُهُ لَكَ؟

فَأَشَارَ بِرَأسِهِ أن نعَمْ.

فَتَنَاوَلتُهُ فَاشتدَّ عَلَيهِ، وَقُلتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟

فَأَشَارَ بِرَأسِهِ أن نعَم.

فَلَيَّنتُهُ، وبين يَدَيهِ رَكوَةٌ ـ أو ـ عِلبَةٌ ـ يَشُكُّ عمر، فيها مَاءٌ فَجعَلَ يُدخِلُ يَدَيهِ في الماءِ فَيَمسَحُ بِهما وجهَهُ يقولُ:

«لا إِلهَ إلا الله، إن للمَوتِ سَكَراتٍ».

ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فجعل يقولُ: **«في الرَّفيقِ الأعلى»** حَتَّى قُبِضَ ومَالت يَدُهُ.

وفي لفظ للبخاري (4451) أيضاً بنحوه وفيه قولها ﵂:

ومَرَّ عبدُ الرَّحمنِ بن أبي بكرٍ وفي يَدِهِ جَرِيدةٌ رَطِبَةٌ فَنَظَرَ إِلَيهِ النبيّ ﷺ، فَظَنَنتُ أن لَهُ بِها حاجَةً، فَأَخَذْتُها فمضغتُ رَأسَها وَنَفضتُها، فَدَفَعتُها إِليهِ، فَاستَنَّ بها كأحسَن ما كان مُستناً، ثم نَاوَلَينها فسقّطت يدُهُ، أو سَقَطَت مِن يَدِهِ.

فَجَمَع الله بين ريقي وريقه، في آخر يومٍ من الدُّنيَا وأولِ يوم مِنَ الآخِرةِ.

وروى الإمام أحمد (25899/ 10) من طريق بهز، قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: أخبرني أبو عمران الجوني، عن يزيد بن بابَنُوس قال: ذهبت أنا وصاحب لي إلى عائشة فاستأذنا عليها، فألقت لنا وسادة وجذبت إليها الحجاب، فقال صاحبي: يا أم المؤمنين ما تقولين في العِراك؟ قالت: وما العراك؟ وضربت منكب صاحبي، فقالت: مه آذيت أخاك، ثم قالت: ما العِراك؟ المحيض؟ قولوا: ما قال الله المحيض.

ثم قالت: كان رسول الله ﷺ يتوشحني وينال من رأسي وبيني وبينه ثوب وأنا حائض، ثم قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مر ببابي مما يُلقي الكلمة ينفع الله ـ ﷻ ـ بها، فمر ذات يوم، فلم يقل شيئاً، ثم مر أيضاً فلم يقل شيئاً ـ مرتين أو ثلاثاً ـ قلت: يا جارية ضعي لي وسادة على الباب وعصبت رأسي، فمر بي، فقال: **«يا عائشة ما شأنك»**؟

فقلت: أشتكي رأسي فقال: **«أنا وَارأساه»** فذهب، فلم يلبث إلاَّ يسيراً حتى جيء به محمولاً في كساء، فدخل عليَّ وبعث إلى النساء.

فقال: **«إنّي قَدِ اشتَكَيتُ، وإنِّي لا أَستَطِيعُ أَن أَدُورَ بَينَكُن، فائذنَّ لي فلأكُن عِنْدَ عائِشَةَ أو صَفِيَّةَ»** ولم أمرض أحداً قبله.

فبينما رأسه ذات يوم على منكبي إذ مال رأسه نحو رأسي، فظننت أنه يريد من رأسي حاجة، فخرجت من فيه نطفة باردة، فوقعت على ثغرة نحري فاقشعر لها جلدي، فظننت أنه غشي عليه، فسجيته ثوباً.

فجاء عمر والمغيرة بن شعبة، فاستأذنا، فأذنت لهما، وجذبت إليَّ الحجاب، فنظر عمر إليه، فقال: واغشياه، ما أشد غشي رسول الله ﷺ، ثم قاما، فلما دنوا من الباب، قال المغيرة: يا عمر، مات رسول الله ﷺ قال: كذبت، بل أنت رجل تَحُوسُك[1] فتنة، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يُفني الله ـ ﷻ ـ المنافقين.

ثم جاء أبو بكر، فرفعت الحجاب، فنظر إليه، فقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، مات رسول الله ﷺ، ثم أتاه من قِبَلِ رأسه فحدر فاه وقبل جبهته، ثم قال: وانبياه، ثم رفع رأسه ثم حدر فاه وقبل جبهته، ثم قال: واصفياه، ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال: واخليلاه، مات رسول الله ﷺ.

فخرج إلى المسجد وعمر يخطب الناس ويتكلم، ويقول: إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يُفني الله ـ ﷻ ـ المنافقين فتكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30] حتى فرغ من الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: 144] حتى فرغ من الآية، فمن كان يعبد الله ـ ﷻ ـ فإن الله حي، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات.

فقال عمر: أو إنها لفي كتاب الله، ما شعرت أنها في كتاب الله، ثم قال عمر: يا أيها الناس هذا أبو بكر، وهو ذو شيبة المسلمين فبايعوه، فبايعوه.

وأخرج ابن سعد في «طبقاته» من طريق أبي معاوية الضرير، قال: حدَّثنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: تزوجها رسول الله ﷺ، وهي بنت تسع سنين ومات عنها وهي ابنة ثماني عشرة.

قال: أخبرنا الفضل بن دُكين، حدّثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة قال: تزوَّج رسول الله ﷺ، عائشة وهي بنت ست سنين ودخل بها وهي بنت تسع سنين ومات عنها ﷺ، وهي ابنة ثماني عشرة سنة.

---

(1) تحوسك: أي تُخالطك.

قال: أخبرنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة أن النبيّ ﷺ، تزوَّج عائشة وهي ابنة سبع سنين وبنى بها وهي ابنة تسع، ومات عنها وهي ابنة ثماني عشرة.

❀ ❀ ❀

حوار هادئ

ليس هناك من مخلوق خلقه الله تعالى، أرحم بالخلق من رسول الله ﷺ. فهو الرحمة المهداة من رب العالمين، للبشرية جمعاء إلى يوم الدين. وصدق من قال فيه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

روى الصحيح، من حديث جابر بن عبد الله رضيَ الله عنهما قال: كنتُ معَ النبيِّ ﷺ في سَفَرٍ، فكنتُ على جملٍ ثَفالٍ إنما هو في آخرِ القومِ، فمرَّ بي النبيُّ ﷺ فقال: «مَن هذا؟».

قلتُ جابرُ بنُ عبدِ الله.

قال: «ما لكَ»؟

قلتُ: إني على جملٍ ثَفالٍ.

قال: «أمعكَ قضيبٌ»؟

قلتُ: نعم.

قال: «أعطِنيهِ»، فأعطيتهُ فضرَبهُ فزَجرَهُ، فكان مِن ذلكَ المكان مِن أوّل القوم.

قال: «بِعْنيهِ»، فقلتُ: بل هوَ لكَ يا رسولَ اللّه.

قال: «بَلْ بِعنيهِ قد أخذتُهُ بأربعةِ دَنانيرَ ولكَ ظَهرُهُ إلى المدينةِ».

فلما دَنونا منَ المدينةِ أخذت أرتحلُ.

قال: «أينَ تُريدُ»

قلتُ: تزوَّجتُ امرأةً قد خَلا منها.

قال: «فهلاَّ جاريةً تُلاعِبُها وتُلاعبُك»؟

قلتُ: إن أبي تُوُفِّيَ وتَركَ بَناتٍ فأردتُ أن أنكِحَ امرأةً قد جَرَّبَتْ خَلا منها.

قال: «فذلك».

فلما قدِمنَا المدينة قال: «يا بلالُ اقضهِ وزِدْهُ» فأعطاهُ أربعةَ دنانير، وزاده قيراطاً.

قال جابر: لا تفارقني زيادة رسول الله ﷺ. فلم يكن القيراط يفارقُ جِرابَ جابر بن عبد الله[1].

موعظة

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: 7 ـ 10].

إن من أهم ما علينا مراقبته، والاهتمام به، هو النفس والعمل على تزكيتها والارتقاء بها إلى أعلى مراتب السمو والرفعة.

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام فالواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله، فإنه لا يعلم متى يفاجِئُهُ أمر ربه، ولا يدري متى يُستدعى. وإني رأيت خلقاً كثيراً غرَّهم الشباب ونسوا فقد الأقران، وألهاهم طول الأمل. وربما قال العالم المحض لنفسه: أشتغل بالعلم اليوم ثم أعمل به غداً فيتساهل في الزلل بحجة الراحة، ويؤخر الأهبة لتحقيق التوبة، ولا يتحاشى من غيبة أو سماعها، وفي كَسْبِ شبهة يأمل أن يمحوها بعمل في غد، وينسى أن الموت قد يبغت. فالعاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه، فإن بغته الموت رُئي مستعداً، وإن نال الأمل ازداد خيراً. (ج) بتصرف.

❀ ❀ ❀

(1) رواه الإمام أحمد (14199) والبخاري (2309) ومسلم (715) وأبو داود (3505) والترمذي (1253) والنسائي (4651)، وغيرهم، واللفظ للبخاري.

«أكثروا ذكر هاذم اللذاتِ»

يا قليل النظر في أمره، يا غافلاً عن ذكر قبره، أما نَقل الموتُ واحداً واحداً، وها هو قد أضحى نحوك قاصداً، كم سلب ولداً وأخذ والداً، إلى متى تصبح جاهلاً وتُمْسى مارداً، وتُحَثّ على النهوض وما تبرح قاعداً، متى يذوب دمعٌ ما يزال جامداً، متى ينقص جهل ما يَفْتأ زائداً، يا من إذا قاربه النُّصْح أضحى متباعداً، لقد نظرت لنفسك نظراً فاسداً، كم أشمتَّ بك عدواً وأفرحت حاسداً، يا نائماً عن خَلاصه راقداً، يا مريضاً ما نرى له عائداً، كم نوضح الأمثال ونضرب حديداً بارداً، أترضى هذا الحال أن يكون زاداً لارتحالٍ، تذكَّر عبثَ اليمين والشمالِ إذا خابت جميع الآمالِ ورأيت حسرة ما جمعتَ من مال، وتيقَّنت فراق الأيتام والأطفال، وحملت هَمّاً خفَّت عنده الجبال، وبان لك أن حديث المنَى مُحَال، يا مؤثر الغَيّ تأمل رشدك، يا راحلاً عن قليل تعرَّف قَصْدك، أَصْلِحْ بالتقى يومك قبل أن تلقى غدك، إيَّاك والهوى ودّعْ متعوَّدك

أصبحتَ عادَيْت للصِّبا رُشْدك ... جهلاً وأَسْلمت للهوى قَوْدَكْ
حتى متى لا تُفيق من سِنَةٍ ... ولا يداوِي مُفَنِّدٌ فَنَدك
تُعْمل في صَيْد كلِّ صائدة ... خَتْلَك طَوْراً وتارةً طَرَدك
ترمى التي إن أصاب ظاهرها ... سهمُك شكَّت بحدِّه كَبِدك

كان الحسن يقول: حادِثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدُّثُور، واقْرَعوا هذه الأنفس فإنها طُلَعة، وإنها تنازع إلى شر غاية، فتبصَّروا وتشدَّدوا؛ فإنما هي أيام قلائل وإنما أنتم رَكْب وقوف يوشك أن يُدْعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت، فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم (ج).



﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾

الاختلاف الخُلُقي والخَلْقي بين الذكر والأنثى، اختلاف بيِّنٌ ظاهر واضح، لا يكاد يختلف عليه اثنان. والله سبحانه وتعالى، جعل الرجل المؤمن خليفته على أرضه، وما المرأة بالنسبة للرجل إلا مُتمِمة له، فهو لا يكْمُل إلاّ بها، ولا يسكن

اضطراب قلبه إلا بصحبتها على طريق الهدى والإيمان ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: 189].

روى أبو داود (4679)، وغيره من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«ما رأيتُ من ناقصات عقل ولا دين، أغلبُ لذي لُبٍّ منكن»**.

قالت: وما نقصان العقل والدين؟

قال: **«أما نقصان العقل، فشهادة امرأتين شهادة رجل، وأما نقصان الدين، فإن إحداكن تفطر رمضان، وتقيم أياماً لا تُصلّي»**.

جاء في جريدة «الجمهورية» المصرية، أن العلم الحديث يؤكد أن النساء ناقصات عقل.. فقد أكدت دراسات المعهد البريطاني للطب العقلي، أن معدل الزيادة في وزن مخ الإناث يقل عن معدله عند الذكور، وأن التركيب الجسماني للمرأة غير التركيب الجسماني للرجل، فعلى سبيل المثال قد ثبت أن قلب المرأة بالنسبة إلى قلب الرجل لا يزيد عن 4 ـ 5 أو 240 جرام ـ 300 جرام.

والمرأة على اختلافها في كثير من أعضاء الجسم، أثبت الطب أن تركيبها يقرب من تركيب الطفل، ولذلك فهي مثله (في طفولته).. أي أنها ذات إحساس بالغ الحدة.. تنقاد مثله بسرعة مذهلة، وتتقلب بين صور من الشعور تقلباً غير متزن في الفرح والحزن، والكره والحب، وغير ذلك من أحاسيس ومشاعر، مما ينقص من تعقلها للأمور، ونظرتها لها في منطق وروية، مما جعلها بالتالي شديدة التردد، كثيرة التحول والتقلب.

كما أثبت العلم الحديث أن المرأة يتملكها حب حاد لكل ما هو لامع، ولكل ما يزينها، ويزيد من جمالها وفتنتها، مما يؤثر في سلوكياتها، وفي قياسها للأمور التي تعرض عليها.

لذلك كان طبيعياً أن تعجز المرأة عن القيام ببعض الأعمال التي لا تواكب قدرتها وفطرتها، مما يجعلها ناقصة في إدراك ما يفوقها من قدرات بالصورة التي يتميز بها الرجل، والذي ينعكس بصورة أو بأخرى في حيويتها وتمتعها بالقدرة على التركيز والتفكير المنظم، أو في الالتزام الديني بصورة دائمة كالرجل.. وهذا ما أنبأ عنه الحديث الشريف بصورة علمية موجزة. (هـ). بتصرف.

❀ ❀ ❀

دردشة حول الحمقى

عن أبي إسحاق[1] قال: إذا بلغك أن غنياً افتقر فصدِّق، وإذا بلغك أن فقيراً استغنى فصدِّق، وإذا بلغك أن حياً مات فصدِّق، وإذا بلغك أن أحمق استفاد عقلاً فلا تصدِّق.

عن أبي يوسف القاضي قال: ثلاثٌ صدِّق باثنتين ولا تصدِّق بواحدة، إن قيل لك: إن رجلاً كان معك فتوارى خلف حائط فمات فصدِّق، وإن قيل لك: إن رجلاً فقيراً خرج إلى بلد فاستفاد مالاً فصدِّق، وإن قيل لك: إن أحمق خرج إلى بلد فاستفاد عقلاً فلا تصدِّق.

وقال بشر بن المعتمد:

وإذا الْـغَـبـيُّ رَأَيْـتَـهُ مُـسْـتَـغْـنِـيـاً ... أعْـيَـى الـطـبِـيـبَ وحِـيـلَـةَ الْـمـحْـتـالِ

وقال آخر:

وأنَّ عَـنـاءً أنْ تُـفـهِّـمَ جـاهِـلاً ... وَيَـحْـسَـبَ جَـهْـلاً إنَـهُ مِـنْـك أفْـهَـمُ

وقال جرير:

وَلا يَـعْـرِفُـون الـشَّـرَّ حـتَّـى يُـصيـبَـهُـم ... ولا يَـعْـرِفُـونْ الأمْـرَ إلا تَـدبُّـرا

قال جعفر بن محمد: الأدب عند الأحمق كالماء في أصول الحنظل، كلما ازداد رياً زاد مرارة.

قال المأمون[2]: تدرون ما جرى بيني وبين أمير المؤمنين هارون الرشيد؟ كان لي إليه ذنب فدخلت مسلِّماً عليه، فقال: أَعْزِبْ يا أحمق[3]، فانصرفتُ مغضباً ولم أدخل إليه أياماً، فكتب إليَّ رقعة يقول:

لَـيْـتَ شِـعْـرِي وَقَـدْ تَـمـادى بـكَ الـهَـ ... ـجرُ أمِـنْـكَ الـتّـفْـرِيـطُ أمْ كـان مـنـي

إنْ تـكُـن خُـنْـتَـنَـا فَـعَـنْـكَ عَـفَـا الله ... وإنْ كـنْـتُ خُـنْـتـكُـم فـاعْـفُ عـنِـي

---

(1) أبو إسحاق: هو عمرو بن عبد اللهِ بن علي بن أحمد، أبو إسحاق السبيعي الهمذاني الكوفي، من كبار التابعين الثقات، سمع من نحو ثمانية وثلاثين صحابياً. (ت 127 هـ).

(2) المأمون: هو عبد اللهِ المأمون بن هارون الرشيد، بويع الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين (198 هـ)، وهارون الرشيد هو ابن محمد المهدي كان ديناً محافظاً كثير الجهاد (ت 193 هـ).

(3) قوله: أعزب يا أحمق، أي: أبعد واغرُبْ عنْ وجهي.

فسرت إليه، فقال: إن كان الذنب لنا فقد استغفرناك، وإن كان لك فقد غفرناه، فقلت له: قلت لي: يا أحمق، ولو قلت لي: يا أرعن كان أسهل عليّ، فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت له: الرعونة تتولد عن النساء، فتلحق الرجل من طول صحبتهن، فإذا فارقهن وصاحب فحول الرجال زالت عنه، وأما الحمق فإنه غريزة. وأنشد بعض الحكماء:

وعِلاجُ الأبْدَانِ أيْسَرُ خَطْبًا حين تعْتَلُّ مِن عِلاج العُقُولِ (ج)

❀ ❀ ❀

المخدرات وتحريم تعاطيها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 33 ـ 34].

ـ وَعَن أُمِّ المُؤمِنينَ، أُمّ سَلَمَةَ زَوجُ النَّبيّ ﷺ، رَضِيَ اللهُ عَنهَا، قَالت: نَهى رَسُولُ الله ﷺ عَن كُل مُسكِرٍ وَمُفترٍ[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ استعارة ومجاز، إذ الله سبحانه وتعالى، لا يُحارَبُ ولا يُغَالَب لما هو عليه من صفات الكمال، ولما وجب له التنزيه عن الأضداد والأنداد. والمعنى: يحاربون أولياء الله، فعبَّر بنفسه العزيزة عن أوليائه إكباراً لإذايتهم، كما عبَّر بنفسه عن الفقراء الضعفاء في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: 245]، حثاً على الاستعطاف عليهم. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي وينشرون الفساد بين الناس بغير هوادة ولا كلل ولا ملل. ويتناول كل من كان موصوفاً بهذه الصفة، سواء كان كافراً أو مسلماً. قال الطبري في «تفسيره» (4/ 287): وأما قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ

(1) رواه أبو داود (3686)، وإسناده حسن.

فَسَادًا﴾، فإنه يعني: يعملون في أرض اللهِ بالمعاصي من إخافة سبل عباده المؤمنين به، أو سبل ذمتهم وقطع طرقهم وأخذ أموالهم ظلماً وعدواناً، والتوثب على حُرَمهم فجوراً وفسوقاً. أقول وبالله التوفيق وكفى بتعاطي المخدرات في إفساد وفي فناء الأجساد وإخمار العقول وإهدار الأموال.

قال بعض العلماء: وفي أكلها مائة وعشرون مضرة دينية ودنيوية: منها أنها تورث الفكرة الرديئة، وتجفف الرطوبات الغريزية وتعرِّض البدن لحدوث الأمراض، وتورث النسيان، وتصدِّع الرأس وتقطع النسل، وتجفِّف المني، وتورث موت الفجأة واختلال العقل وفساده، والدق، والسل والاستسقاء، وفساد الفكر، ونسيان الذكر، وإفشاء السر، وإنشاء الشر، وذهاب الحياء، وكثرة المراء، وعدم المروءة، ونقض المودة، وكشف العورة، وعدم الغيرة، وإتلاف الكيس، ومجالسة إبليس، وترك الصلوات، والوقوع في المحرمات، والبرص، والجذام، وتوالي الأسقام، والرعشة على الدوام، وثقب الكبد، واحتراق الدم والبخر، ونتن الفم، وفساد الأسنان، وسقوط شعر الأجفان، وصفرة الأسنان، وغشاء العين والفشل وكثرة النوم والكسل، وتجعل الأسد كالعجل، وتعيد العزيز ذليلاً والصحيح عليلاً والشجاع جباناً والكريم مهاناً، إن أكل لا يشبع وإن أعطي لا يقنع، وإن كلِّم لا يسمع، تجعل الفصيح أبكم والذكي أبلم، وتذهب الفطنة، وتحدث البطنة، وتورث العنَّة واللعنة والبعد عن الجنة. ومن قبائحها أنها تنسي الشهادتين عند الموت، بل قيل إن هذا أدنى قبائحها.

وهذه القبائح كلها موجودة في الأفيون وغيره مما سبق، بل يزيد الأفيون ونحوه بأن فيه مسخاً للخلقة كما يشاهد من أحوال آكليه وعجيب ثم عجيب ممن يشاهد من أحوال آكليه تلك القبائح التي هي مسخ البدن والعقل وصيرورتهم إلى أخسِّ حالة وأرثِّ هيئة وأقذر وصف وأفظع مصاب لا يتأهلون لخطاب ولا يميلون قط إلى صواب ولا يهتدون إلا إلى خوارم المروءات وهو أذم الكمالات وفواحش الضلالات.

ثم مع هذه العظائم التي نشاهدها منهم يحب الجاهل أن يندرج في زمرتهم الخاسرة وفرقتهم الضالة الحائرة متعامياً عما على وجوههم من الغبرة وما يعتريها من القترة ذلك يخشى عليه أن يكون من الكفرة الفجرة، فمن اتضحت له فيهم هذه المثالب وبان عنده ما اشتملوا عليه من كثير المعايب.

ثم نحا نحوهم وحذا حذوهم فهو المفتون المغبون الذي بلغ الشيطان فيه غاية أمله بعد أن كان يتربص به ريب المنون، لأنه لعنه الله إذا أحل عبداً في هذه الورطة

لعب به كما يلعب الصبي بالكرة إذ ما يريد منه حينئذٍ شيئاً إلا وسابقه إلى فعله لأن العقل الذي هو آلة الكمال زال عن محله فصار كالأنعام بل هو أضل سبيلاً ومن أهل النيران، فبئس ما رضيه لنفسه مبيتاً ومقيلاً وأفّ لمن باع نعيم الدنيا والآخرة بتلك الصفقة الخاسرة، وفقنا الله لطاعته وحمانا من مخالفته آمين[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ، عندما سُئِلَ عن الحشيشة؟: الحمد لله. هذه الحشيشة الصلبة حرام، سواء مسكر منها أو لم يسكر. والسكر منها حرام باتفاق المسلمين، ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال، فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل مرتداً، لا يُصلَّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين.

وأما من اعتقد ذلك قربة، وقال: هي لقيمة الذكر والفكر، وتحرك الساكن إلى أشرف الأماكن، وتنفع في الطريق: فهو أعظم وأكبر، فإن هذا من جنس دين النصارى الذين يتقربون بشرب الخمر، ومن جنس من يعتقد الفواحش قربة وطاعة. قال الله تـعـالـى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: 28].

قال: وأما المحققون من الفقهاء، فعلموا أنها مسكرة وإنما يتناولها الفجّار لما فيها من النشوة والطرب، فهي تجامع الشراب المسكر في ذلك، والخمر توجب الحركة والخصومة، وهذه توجب الفتور والذلة، وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل، وفتح باب الشهوة، وما توجبه من الدياثة مما هي من شر الشراب المسكر، وإنما حدثت في الناس بحدوث التتار.

وقال ـ رحمه الله ـ في مكان آخر: وأما الحشيشة الملعونة المسكرة فهي بمنزلة غيرها من المسكرات، والمسكر منها حرام باتفاق العلماء، بل كل ما يزيل العقل فإنه يحرم أكله ولو لم يكن مسكراً ـ كالبنج ـ فإن المسكر يجب فيه الحد، وغير المسكر يجب فيه التعزير.

وأما قليل ـ الحشيشة المسكرة ـ فحرام عند جماهير العلماء، كسائر القليل من المسكرات، وقول النبي ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام» يتناول ما يسكر، ولا فرق بين أن يكون المسكر مأكولاً، أو مشروباً، أو جامداً، أو مائعاً. أقول: أو شماً

(1) «الزواجر» لابن حجر الهيثمي (1/ 215).

أو بضرب الإبر في الدم أو تحت الجلد، أو غير ذلك مما يتناوله اليوم هؤلاء الخاطئون ممن يتعاطون المخدرات. قال: ونبينا ﷺ بُعث بجوامع الكلم، فإذا قال كلمة جامعة كانت عامة في كل ما يدخل في لفظها ومعناها، سواء كانت الأعيان موجودة في زمانه أو لم تكن[1]. والله تعالى أعلم.

وأما بالنسبة للإتجار بمختلف أنواع المخدرات، والمفترات، والمسكرات:

فقد روى البخاري (459) ومسلم (1580)، وغيرهما من حديث السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال: لما أُنزلت الآيات من آخر البقرة في الربا، خرج رسول الله ﷺ، فحرَّم التجارة في الخمر.

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» (1578)، من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخطُبُ بِالمَدِينَةِ قَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعَرِّضُ بِالخَمرِ. وَلَعَلَ اللهَ سَيُنزِلُ فِيهَا أَمراً. فَمَن كَانَ عِندَهُ مِنهَا شَيءٌ فَلْيَبِعهُ وَلْيَنتَفِع بِهِ»**. قَالَ: فَمَا لَبِثنَا إِلاَّ يَسِيراً حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ الخَمرَ. فَمَن أَدرَكَتهُ هذِهِ الآيَةُ وَعِندَهُ مِنهَا شَيءٌ فَلاَ يَشرَب وَلاَ يَبِع»**. قَالَ: فَاستَقبَلَ النَّاسُ بِمَا كَانَ عِندَهُ مِنهَا، فِي طَرِيقِ المَدِينَةِ، فَسَفَكُوهَا.

وروى الإمام مالك (1598) والإمام أحمد (2190) ومسلم (1579)، وغيرهم، من طريق عبد الرحمن بن وعلة، أنه سأل عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: عَمَّا يُعصَرُ مِنَ الْعِنَبِ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاس: . إِن رَجُلاً أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ رَاوِيَةَ خَمْرٍ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«هَل عَلِمتَ أَن اللهَ قَد حَرَّمَهَا؟»** قَالَ: لاَ. فَسَارَّ إِنسَاناً. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«بِمَ سَارَرْتَهُ»**؟ فَقَالَ: أَمَرتُهُ بِبَيعِهَا. فَقَالَ: **«إِنَّ الذِي حَرَّمَ شُربَهَا حَرَّمَ بَيعَهَا»** قَالَ: فَفَتَحَ المَزَادَ حَتى ذَهَبَ مَا فِيهَا.

ـ وعن أنس قال: لما حرمت الخمر قال: إنّي يومئذٍ لأسقيهم لأسقي أحد عشر رجلاً فأمروني فكفأتها، وكفأ الناس آنيتهم، بما فيها حتى كادت السكك أن تمتنع من ريحها قال أنس: وما خمرهم يومئذٍ إلا البسر والتمر مخلوطين، قال: فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنه كان عندي مال يتيم فاشتريت به خمراً أفتأذن لي أن أبيعه؟ فأرد على اليتيم ماله؛ فقال النبي ﷺ: **«قاتَلَ الله اليَهُودَ، حُرِّمَت عَلَيهِمُ الثُّرُوبُ فَبَاعُوها،**

---

(1) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» أحمد بن تيمية (34/ 204 ـ 211).

وَأَكلُوا أَثمانَها» ولم يأذن لهم النبي ﷺ في بيع الخمر[1]. والثُروب: الشحوم.

ـ وَعَن ابنِ عَبَّاس ﷺ، أن النبيّ ﷺ نَظَرَ إِلَى السَّماءِ وَقَالَ: «قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ حُرِّمَت عَلَيهِم الشحُومُ، فَبَاعُوهَا، وَأَكَلُوا أَثمَانَهَا، وَإن اللهَ إذَا حَرَّمَ شَيئاً حَرَّمَ ثَمَنَهُ»[2].

وقولهﷺ: «إن الذي حرَّم شربها حرَّم بيعها» أي فهما سواء الشرب والبيع، فلو لم يكن هناك بائع فاجر لم يكن من يشتري فجوره.

وأما قوله ﷺ: «قاتل الله اليهود» أي لعن اللهِ اليهود أحفاد القردة والخنازير «حرمت عليهم الثروب فباعوها وأكلوا أثمانها». وفي «الصحيحين» عن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ، عَامَ الفَتحِ، وَهُوَ بِمَكَّةَ: «إن اللهِ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيعَ الخَمرِ وَالمَيتَةِ وَالخِنزِيرِ وَالأَصنَام» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيتَ شُحُومَ المَيتَةِ فَإِنَّهُ يُطلَى بِهَا السُّفُنُ وَيُدهَنُ بِهَا الجُلُودُ وَيَستَصبِحُ بِهَا النَّاسُ؛ فَقَالَ: «لا. هُوَ حَرَامٌ» ثُمَّ قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ، عِندَ ذلِكَ: «قَاتَلَ الله اليَهُودَ. إن اللهِ ﷻ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيهم شُحُومَهَا. أجملُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ. فَأكلُوا ثَمَنَهُ»[3].

ومعنى قوله ﷺ: «أجملوه» أي أذابوه حتى يصير ودكاً، فيزول عنه اسم الشحم. قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: وفيه دليل على بطلان كل حيلة يُحتال بها للتوصل إلى محرم، وأنه لا يتغير حكمه بتغير هيئته، وتبديل اسمه.

وقوله ﷺ: «وإن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه» قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: اشتملت هذه الكلمات الجوامع على تحريم ثلاثة أجناس: مشارب تُفسد العقول. ومطاعم تُفسد الطباع وتغذي غذاءً خبيثاً، وأعيان تفسدُ الأديان، وتدعو إلى الفتنة والشرك.

فصان بتحريم النوع الأول: العقول عما يُزيلها ويفسدها، وبالثاني: القلوب عما يفسدها من وصول أثر الغذاءِ الخبيث إليها، والغاذي شبيه بالمغتذي، وبالثالث: الأديان عما وُضِع لإفسادها.

---

(1) أخرجه أحمد (13274/ 4) وابن حبان (4945) وإسناده صحيح. والبخاري (2464) ومسلم (1980) وغيرهما بلفظ قريب.

(2) رواه أحمد (2678/ 1) وأبو داود (3488) وابن حبان (4938) وغيرهم وإسناده صحيح.

(3) رواه البخاري (2236) ومسلم (1581).

فتضمن هذا التحريم صيانة العقول والقلوب والأديان. قال: فأما تحريم بيع الخمر، فيدخل فيه تحريم بيع كل مسكر، مائعاً كان، أو جامداً، عصيراً، أو مطبوخاً، فيدخل فيه عصير العنب، وخمر الزبيب، والتمر، والذرة، والشعير، والعسل والحنطة، واللقمة الملعونة، لقمة الفسق والقلب التي تُحرك القلب الساكن إلى أخبث الأماكن. فإن هذا كله خمر بنص رسول الله ﷺ الصحيح الصريح الذي لا مطعن في سنده، ولا إجمال في متنه، إذ صح عنه قوله: «**كل مسكر خمر**»[1]. وصح عن أصحابه ﷺ الذين هم أعلم الأمة بخطابه ومراده، أن: **الخمر ما خامر العقل**[2]. قال: ولما علم النبي ﷺ أن من أمته من يبتلى بهذا، كما قال: «**ليشربنَّ ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**»[3] قضى قضية كلية عامة لا يتطرق إليها إجمال، ولا احتمال، بل هي شافية كافية، فقال ﷺ: «**كل مسكر خمر**»... والله تعالى أعلم[4].

❀ ❀ ❀

فصاحة نادرة

حُكيَ أن عبد الملك بن مروان جلس يوماً وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامرته، فقال: أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله عليَّ ما يتمناه، فقام إليه سويد بن غفلة، فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين، قال: هات.

فقال: نعم يا أمير المؤمنين. أنف بطن ترقوة ثغر جمجمة حلق خد دماغ ذكر رقبة زند ساق شفة صدر ضلع طحال ظهر عين غبب فم قفا كف لسان منخر نغنوغ هامة، وجه يد، وهذه آخر حروف المعجم، والسلام على أمير المؤمنين.

---

(1) جزء من حديث رواه البخاري (5575) ومسلم (2003)، وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر ـ ﭬ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل مُسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها، لم يتب، لم يشربها في الآخرة**».

(2) رواه البخاري (4619) ومسلم (3032)، من طريق الشعبي، عن ابن عمر قال: سمعتُ عمر - ﭬ ـ على منبر النبي ﷺ يقول: «**أما بعد أيها الناس؛ إنه نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة؛ من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير. والخمر ما خامر العقل**».

(3) رواه أبو داود (3688) بإسناد صحيح.

(4) «جامع المهلكات من الكبائر والمحرمات» (ص/ 275/ 279) بتصرف.

فقام بعض أصحاب عبد الملك، وقال: يا أمير المؤمنين أنا أقولها من جسد الإنسان مرتين، فضحك عبد الملك.

وقال لسويد: أسمعت ما قال: قال: أصلح الله الأمير أنا أقولها ثلاثاً، فقال: هات ولك ما تتمناه، فابتدأ يقول:

أنف أسنان أذن، بطن بنصر بزة، ترقوة تمرة تينة، ثغر ثنايا ثدي، جمجمة جنب جبهة، حلق حنك حاجب، خد خنصر خاصرة، دبر دماغ درادير، ذقن ذكر ذراع، رقبة رأس ركبة، زند زردمة زب، فهناك ضحك عبد الملك حتى استلقى على قفاه، ساق سرة سبابة، شفة شفر شارب، صدر صاع صلعة، ضلع ضفيرة ضرس، طحال طرة طرف، ظهر ظفر ظلم، عين عنق عاتق، غبب غلمصة غنة، فم فك فؤاد، قلب قفا قدم، كف كتف كعب، لسان لحية لوح، منخر مرفق منكب، نغنوغ ناب نن، هامة هيئة هيف، وجه وجنة ورك، يمين يسار يافوخ. ثم نهض مسرعاً، فقبل الأرض بين يدي أمير المؤمنين قال: فعندها ضحك عبد الملك، وقال: والله ما تزيدنا عليها شيئاً. أعطوه ما يتمناه. ثُمَّ أجازهُ وأنعم عليه، وبالغ في الإحسان إليه.

❀ ❀ ❀



فقه امرأة

جاء في «المنتظم» لابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ في مناقب عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما ولي عمر ﷺ الخلافة بلغه أن أصدقة أزواج النبي ﷺ خمسمائة درهم، وإن فاطمة ﷺ كان صداقها على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أربعمائة درهم، فأدى اجتهاد أمير المؤمنين عمر ﷺ أن لا يزيد أحد على صداق البضعة النبوية فاطمة ﷺ، فصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: أيها الناس لا تزيدوا في مهور النساء على أربعمائة درهم، فمن زاد ألقيت زيادته في بيت مال المسلمين، فهاب الناس أن يكلموه، فقامت امرأة في يدها طول، فقالت له: كيف يحل لك هذا، والله تعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: 20] فقال عمر ﷺ: امرأة أصابت ورجل أخطأ.

وقيل: جاءت امرأة إلى أمير المؤمنين عمر ﷺ، فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار، ويقوم الليل، قال لها: نِعْمَ الرجل زوجك.

وكان في مجلسه رجل يسمى كعباً، فقال: يا أمير المؤمنين: إن هذه المرأةَ تشكو زوجها في أمر مباعدته إياها عن فراشه، فقال له: كما فهمت كلامها أحكم بينهما.

فقال كعب: عليَّ بزوجها، فأحضر، فقال له: إن هذه المرأة تشكوك، قال: أفي أمر طعام أم شراب؟ قال: بل في أمر مباعدتك إياها عن فراشك، فأنشدت المرأة تقول:

يا أيُّها القاضي الحكيمُ أنشده ... ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله لا يرقدُهُ ... فلستُ في أمر النساء أحمدُه

فأنشأ الزوج يقول:

زهّدني في فرشها وفي الحلل ... أنّي امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطوَل ... وفي كتاب الله تخويف يجل

فقال له القاضي:

إن لها عليك حقاً لم يزل ... في أربع نصيبها لمن عقل
فعاطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال: إن الله تعالى أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم وليلة، فقال عمر ﷺ: لا أدري من أيكم أعجب؟ أمِنْ كلامها أم من حكمك بينهما! اذهب فقد ولّيتك البصرة.

❀ ❀ ❀

لا تحزن... فإن حبك للنبيّ ﷺ سيجعلك معه

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: 69].

وروى «الصحيح» من طريق سالم بن أبي الجعد، قال: حَدَّثَنَا أنسُ بنُ مَالِك قَالَ: بَيْنَمَا أنا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ خَارِجَيْنِ مِنَ المَسجِدِ. فَلَقِينَا رَجُلاً عِندَ سُدَّةِ المَسجِدِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أعددتَ لَهَا؟» قَالَ: فَكَأَن الرَّجُلَ استَكَانَ. ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أعددتُ لَهَا كَبِيرَ صَلاَةٍ وَلاَ صِيَام وَلاَ

صَدَقَةٍ. وَلَكِنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ: «فَأَنتَ مَعَ من أَحببتَ»[1].

وروى الطبراني في «الأوسط» (477/ 1)، بإسناد حسن، من حديث السيدة عائشة ـ ﵂ ـ قالت: جاءَ رجل إلى النبيِّ ﷺ. فقالَ: يا رسولَ الله، واللهِ إنَّك لأحَبُّ إلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وإنَّكَ لأحَبُّ إلَيَّ مِنْ أهْلِي، وأحَبُّ إلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وإنِّي لأكُونُ في البيتِ، فأذكرك فما أصْبرُ حتى آتِيَكَ، فَأنظرُ إليكَ، وإذا ذَكرْتُ مَوْتي وموْتكَ عَرَفْتُ أنَّكَ إذا دَخَلْتَ الجَنَّةَ رُفِعْت معَ النَّبِيِّينَ، وإنِّي إذا دَخَلْت الجَنَّة خَشِيتُ أنْ لا أراكَ. فلَمْ يَرُدَّ عليهِ النبيُّ ﷺ حتى نَزَلَ جبْريلُ بهذهِ الآيةِ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء ـ 69].

حوار حول معرفة النفس والرّب!

هل لنا معرفة أنفسنا، ومعرفة خالقنا؟ وكيف السبيل إلى ذلك، فالأمر جدّ خطير. وعليه المُعَوَّل والمصير، وفي ذلك يُجيب الإمام ابن العربي المالكي ـ رحمه الله تعالى ـ وَهَيْهَاتَ عَنْكُمْ مِنْ هَذَا الْمَطْلُوبِ حَتَّى يَكُونَ كل مِنْكُمْ حِادق بَصِيرٍ بِنَفْسِهِ وَتَفَاصِيلِهَا وَأَحْوَالِها وَصِفَاتِهَا، فَبِقَدْرِ مَا يَحْصُلُ لَكَ مِنْهَا فِي مَعْرِفَةِ نَفْسِكَ بِذَلِكَ الْقَدْرِ، يَحْصُلُ لَكَ مِنْ مَعْرِفَةِ رَبِّك، وَفِيْ هَذَا الْمَقَامِ زَلَّ مَنْ زَلَّ عَنْ مَعْرِفَةِ نَفْسِهِ، فَضَلَّ عَنْ عِلْم رَبِّه، وَلاَ تَتِمُّ مَعْرِفَتُكَ لنَفْسِكَ إلاَّ بَعْدَ أنْ تُنْعِمَ النَظَرَ فِي عَجَائِبِ صُنْعِ اللهِ فِيهَا، فَهَيْتَ لَكُمْ.

إنَهُ تَعَالَى خَلَقَكَ ـ كَمَا أشَرْنَا إلَيْهِ ـ عَلَى نَوْعَيْنِ: مُدْرَكٍ بِالْبَصَرِ وَهُوَ الْجَسَدُ، ومُدْرَكٍ بِالْبَصِيرَةِ وَهُوَ الرُّوح، وَجَعَلَ مَا بَيْنَ الْجَسَدِ وَالروحِ رَابِطَةَ الْحَوَاسِّ، وَبِذَلِكَ انْتَظَمَ الْخَلْقُ، وَقَامَ الدليلُ عَلَى وُجُودِ الْحق، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: 7 ـ 8]..

فَدَلَّ عَلَى التَّوْحيد بتسْويتها حَسَنَةَ الخِلْقَةِ فِي أحْسَنِ تَقْوِيمِ مِن اعْتِدَالِ الصِّفَةِ، وَنَبَّهَ على الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَذَكَرَ نُكْتَةً يَنْبَغِي أنْ تزْدَادُوا بِهَا تَبْصِيراً، وَلا تَألُوا فِي كُلِّ آيَةٍ لَهَا تَذْكِيراً، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾: وَالإلْهَامُ هُوَ الَّذِي يَخْلُقُهُ اللهُ ابْتِدَاءً فِي النفْسِ، ويأتِي لِلْعَبْدِ. مِنْ غَيْرِ نَظَير، فَجَاءَ بِلَفْظِ الإلْهَامِ حِينَ أرَادَ الْعُمُومَ فِي الآدَمِي وَالْبَهِيمَةِ، وَلَمَّا ذَكَرَ الآدَمِي وَحْدَهُ قَالَ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: 10].

---

(1) رواه الإمام أحمد (12075) والبخاري (3688) ومسلم (2639) وأبو داود (5127)، وغيرهم.

وَهَكَذَا مَتَى جَاءَ ذِكْرُ الآدَمِيِّ وَحْدَهُ عَلَى الاخْتِصَاصِ، ذُكِرَ الْهُدَى، وَمَتَى جَاءَ مُضَافاً إِلَى غَيْرِ جِنْسِهِ، ذُكِرَ مِنَ الأَلْفَاظِ مَا يَعُم الْجِنْسَيْنِ مِنْ حَقِيقَةِ مَا هُمَا عَلَيْهِ مِنَ الْمُتَعَلِّقَين.

ثُمَّ بَيَّنَ الْفُجُورَ وَالتَّقْوَى، وَشَرَحَ النَّفْعَ وَالضرَّ، وَأَمَرَ وَنَهَى، وَوَعَدَ وَأَوْعَدَ، وَدَبَّرَ وَقَدَّرَ، وَنَبَّهَ عَلَى الْفَضِيلَةِ الَّتِي بِهَا يَنْتَظِمُ حَالُ الرَّدِّ عَلَى الرَّذِيلَةِ، وِيتَيَسَّر بِهَا جَمْعُ شمْلِهَا فِي الوُجُودَيْنِ، وَلِلتَّقْوَى وَالْفُجُورِ بَوَاعِثُ، وَعَلَيْهَا رَوَادِعُ وَحَثَائِثُ، وَلِهَذا مُعِينٌ، وَمِنْ تِلْكَ قَاطِعٌ، وَجُنْدُ اللهِ مُنْقَسِمَةٌ عَلَى الْوَجْهَيْنِ، وَالْعَبْدُ مِنْ حُكْم اللهِ بَيْنَ لَمَّتَيْنِ، وَمِنْ كُل شَيْءٍ خَلَقَ سُبْحَانَهُ زَوْجَيْنِ، وَهَذَا بَحْرٌ آخَرُ مِنَ التأْوِيلِ لا سَاحِلَ لَهُ.

وَأُصُولُ الْفَضَائِلِ الَّتِي هِيَ عَلامَاتُ النَجَاةِ لِلنفْسِ بَاكْتِسَابِهَا لَهَا، وَاكْتِسَابِهَا بِخِلَعِ اللهِ عَلَيْهَا أَرْبَعَةٌ: الْحِكْمَةُ، وَالشَجَاعَةُ، وَالْعِفَّةُ، وَالْعَدَالَةُ[1].

أَمَّا الْحِكْمَةُ فَهِيَ العِلْمُ الَّذِي تَنَزَّهَ عَنْ تَطَرُّقِ الْجَهْلِ وَالشكِّ إِلَيْه، وَالْعَمَلُ بِخِلافِهِ، قَالَ الله ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ ـ إِلَى قَوْلِهِ ـ ﴿كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269].

وَبِهَا تَتَطَهَّرُ النَّفْسُ عَنِ الْبَلَهِ وَالْخَبَثِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تُطِيعَ دَاعِيَ الْحَق وتَعْصِيَ دَاعِيَ الْهَوَى، وَأَنْ تَحْكُمَ نَفْسَكَ، وَلا تُحَكِّمْ نَفْسَكَ عَلَيْكَ، فَتَمِيلَ إِلَى رُعُونَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، وَتَزِيغَ عَنْ مُقْتَضَى الصِّفَاتِ الإِلهِيَةِ، وَتُرَكِّبُ عَلَيْهَا مَعْنَى الْحِكْمَة وَتَفْسِيرِهَا وَصَوَاحِبَاتِهَا الثَّلاثَةِ وَمَعَانِيهَا، وَوَصْف اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بِالْحَكِيم الَّذِي هُوَ أَصْلُ هَذَا الْعِلْم وَالتَّعْلِيم، وَكَيْفَ تَتَعَلَّقُ هَذِهِ الْمَعْلُومَات بَعْضُهَا بِبَعْض، وَترْجِعُ إِلَى وَصْفِ اللهِ الْعَلِيِّ واسْمِهِ الْحَسَنِ.

وَأَمَّا الشَّجَاعَةُ فَهِيَ ثُبُوتُ الْقَلْبِ عِنْدَ تَعَارُضِ الْمُتَضَادَّاتِ مِنَ الْمَخَاوِفِ وَالْمَرْجُوَّاتِ، وَلَمْ يَحُزْ أَحَدٌ فِي الإِسْلامِ هَذِهِ الصِّفَةَ حَاشَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ، فَإِنَّهُ كَانَ أَشْجَعَ الأُمَّةِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ ثَبَتَ قَلْبُهُ فِي مَوَاضِعَ زَاغَتْ فِيهَا الْقُلُوبُ، وَذَلِكَ إِذْ نَزَلَتِ الْمُصِيبَةُ الْعُظْمَى بِمَوْتِ رَسُولِ الله ﷺ، فَاخْتَلَط عُمَرُ، وَخَرِسَ

---

(1) لا شك أن المؤلف رحمه الله قد تأثر بطريقة الفلاسفة والحكماء في محاولتهم حصر الفضائل الأخلاقية في الأمهات الأربعة: الحكمة، الشجاعة، العفة، والعدالة، ولكن الجديد عند ابن العربي أنه يستخرج أصول هذه الفضائل من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، وبذلك يجعلها أموراً شرعية، بل نراه في العواصم (252 ـ 259)، يتتبع معانيها عند الفلاسفة بالنقد والتزييف.

عُثْمَانُ، وَاسْتَخْفَى عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَاستَسْلَمَ سَائِرُ الْخَلْقِ، فَكَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ مَا قصَّرتْ عَنْهُ جَمِيعُ الأُمَّةِ.

قال عُمَرُ لِلنَّاسِ: مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَإِنَّمَا وَاعَدَهُ الله كَمَا وَاعَدَ موسَى[1]، وَلَيَرْجِعَنَّ رَسُولُ الله ﷺ فَلَيُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَ النَّاسِ وَأَرْجلَهُمْ، فَجَاءَ أبو بَكْرٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ وَكَانَ غَائِباً فِي مَنْزِلِهِ بِالسُّنْحِ، فَدَخَلَ مَنْزِلَ ابْنَتِهِ عَائِشَةَ وَرَسُولُ الله ﷺ مُسجًّى بِثَوْبِهِ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَبَّلَهُ، وَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتاً. . . الْحَدِيثَ. إِلَى أَنْ خَرَجَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله فَإِنَ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ وَتَلا ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾. . . الآية [آل عمران: 144].

فَخَرَجَ النَّاسُ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ يَتْلُونَهَا كَأَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ إِلاَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

وَاخْتَلَفَ الناسُ أَيْنَ يُدْفَنُ؟

فَقَالَ قَوْمٌ: يُدْفَنُ بِالْبَقِيعِ.

وَقَالَ قَوْمٌ: بمَكَّةَ.

وَقَالَ قَوْمٌ: بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ إِذَا فُتِحَتْ يُحْمَلُ إِلَيْهَا.

فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُهُ ﷺ يَقُولُ: «مَا دُفِنَ قَط نَبِيٌّ إِلاَّ حَيْثُ مَاتَ»[2].

وَاخْتَلَفُوا فِي مِيرَاثِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «لا نُورثُ»[3] فَتَذَكَّرُوا قَوْلَهُ وَرَضُوا حُكْمَهُ.

وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ بِمَنْعِ الزَّكَاةِ، فَجَزِعَ جَمِيعُ النَّاسِ وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِتَرْكِ الزَّكَاةِ حَتَّى يَتَمَكَّنَ الإِسْلامُ فَقَالَ: وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَينَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ[4].

وَأَرسلَ جَيْشَ أُسَامَةَ عَلَى مَا كَانَ بَعَثَهُ رَسُولُ الله ﷺ فِي حَيَاتِهِ، فَقَالُوا: كَيْفَ تَتْرُكُ الْمَدِينةَ وَالْعَرَبُ قَدِ ارْتَدَّتْ حَوْلَهَا؟ فَقَالَ: وَاللهِ لَوْ لَعِبَتِ الْكِلابُ بِخَلاخِيلِ نِسَاءِ

(1) يشير إلى قوله تعالى ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الآية [البقرة: 51].
(2) رواه الإمام مالك في «موطئه» (2/ 231) بلاغاً.
(3) متفق عليه.
(4) متفق عليه.

أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَا رَدَدْتُ جَيْشاً أَنْفَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبداً، فَقِيلَ لَهُ: وَمَعَ مَنْ تُقَاتِلُ العَرَبَ؟ قَالَ: وَحْدِي حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي[1].

وَهَمَّتِ الأَنْصَارُ بِالاسْتِبْدَادِ بِالْبَيْعَةِ، فَبَادَرَ إِلَيْهِمْ، وَدَخَلَ مَجْلِسَهُمْ عَلَيْهِم، وَخَطَبَ خُطْبَتَهُ الْمَشْهُورَةَ فِيهِمْ، ثَابِتَ الْقَلْبِ، حَاضِرَ الْعِلْم، ذَلِقَ اللِّسَانِ، بَصِيراً بِمَقَاطِعِ الأَدِلَّةِ وَالْبَيَانِ، حَتَّى انْقَادُوا إِلَى خِلافَتِهِ، وَاخْتَارَ أُمَرَاءَ الأَجْنَادِ فِي الأَقْطَارِ، فَمَا وُجِدَ بَعْدَهُمْ أَحَدٌ يَنوبُ مَنَابَهُمْ، هَذَا وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، فَكَيْفَ لَوْ كَانَتْ فِيهِ مِرَّةٌ؟.

وَبِفَضِيلَةِ الشَّجَاعَةِ تَتطهَرُ النَفْسُ عَنْ رَذِيلَةِ الْهَلَعِ والتهَوُّرِ.

وَأما الْعِفَّةُ: فَهِيَ كَفُّ النَّفْسِ عَنِ الْمَكْرُوهِ، وَبِهَا يَكُونُ الْحَيَاءُ وَالصَّبْرُ وَالسَّخَاءُ وَالْوَرَعُ وَالْقَصْدُ وَالتُّؤَدَةُ وَحُسْنُ السَّمْتِ، وَبِهَا تَتَنَزَّهُ النَفْسُ عَنِ الشرَهِ وَالْجُمُودِ.

وَأَمَّا الْعَدَالَةُ: فَهِيَ انْتِظَامُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ عَلَى وِفْقِ الْمَقْصُودِ مِنَ الْخِصَالِ الثَّلاثِ الْمُتَقَدِّمَة، وَهِيَ الْمُرَادُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ[2] بِقَوْلِهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ لِمَنْ رَآهُ «شَيَّبَتْنِي هُودٌ» لقوله ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: 112].

وَهِيَ الْعَدَالَةُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي حَمَلَنَا الله عَلَيْهِ، وَدَعَانَا إِلَيْهِ، وَتُرَكَّبُ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ حَالِ النفسِ وَأَحْكَامِهَا وَتَصَرُّفِهَا عَلَى الآيَتَيْنِ، وَتَرُدُّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى الْعَدَالَةِ وَتُبَيِّنُ فَضِيلَتَهَا.

وَبِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ تَتَطَهَّرُ النَّفْسُ عَنِ الْجَوْرِ، وَهُوَ الْخُرُوجُ عَنِ الْمَعْنَى الْمُلائِم لِلْعَقْلِ وَالشرْعِ. والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

---

(1) أي حتى يُفرَق بين رأسي وجسدي.

(2) العبارة كما وردت عند الغزالي كما يلي:
«وقد رأى بعض المشايخ رسول الله في المنام فقال: ما الذي أردت بقولك: شيبتني هود وأخواتها؟ فقال: قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾. يعني الاستمرار على الصراط المستقيم، وطلب التوسط بين هذه الأطراف شديد، وهو أدق من الشعرة». ميزان العمل: 268، وانظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي أيضاً: 88.
قلت والحديث الشريف «**شيبتني هود وأخواتها**» أخرجه الترمذي في التفسير (3293) وقال: **هذا حديث حسن غريب.**

قاعدتا الدين: الذِّكرُ والشُّكرُ

بُنِيَ الدين على قاعدتين: الذكر والشكر، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152]، وقال النبي ﷺ: «والله إني لأحبك، فلا تنسَ أن تقول دبر كلِّ صلاة: اللهم أَعِنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِك وحُسْن عبادتك»، وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان، بل الذكر القلبي واللساني. وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيه، وذكره بكلامه. وذلك يستلزم معرفته، والإيمان به، وبصفات كماله، ونعوت جلاله، والثناء عليه بأنواع المدح. وذلك لا يتم إلا بتوحيده. فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله، ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه.

وأما الشكر، فهو القيام له بطاعته، والتقرُّب إليه بأنواع محابِّه ظاهراً وباطناً، وهذان الأمران هما جِماعُ الدين؛ فذِكْرُه مستلزم لمعونته وشكره، متضمن لطاعته. وهذان هما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس والسموات والأرض، ووُضِعَ لأجلها الثواب والعقاب، وأنزل الكتب، وأرسَل الرُّسل، وهي الحق الذي به خلقت السموات والأرض وما بينهما، وضدها هو الباطل والعبث الذي يتعالى ويتقدَّس عنه، وهو ظن أعدائه به. قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [ص: 27].

وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان: 38 ـ 39].

وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ [الحجر: 85].

وقال بعد ذكر آياته في أول سورة يونس: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [يونس: 5].

وقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: 36].

وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115].

وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12].

وقال: ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْيَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ

لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 97].

فثبت بما ذكر أن غاية الخلق والأمر أن يُذكر وأن يُشكر. يُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر. وهو سبحانه ذاكر لِمَنْ ذكره. شاكر لمن شكره، فذكره سبب لذكره، وشكره سبب لزيادته من فضله. فالذكرُ للقلب واللسان، والشكر للقلب محبة وإنابة، وللّسان ثناء وحمد، وللجوارح طاعة وخدمة. (ق).

❀ ❀ ❀

خطر الاختلاط

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 53].

لقد أثبتت التجارب والمشاهدات الواقعية، أن اختلاط الرجال بالنساء يثير في النفس الغريزة الجنسية بصورة تهدد كيان المجتمع.. كما ذكر أحد العلماء الأمريكيين بأن الرئيس الأمريكي الراحل كنيدي، قد صرح عام 1962 بأن مستقبل أمريكا في خطر، لأن شبابها مائع منحلّ غارق في الشهوات، لا يقدّر المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين؛ لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية.

وقد جاء في جريدة «الأحد» اللبنانية في عددها (650)؛ أنه ونتيجة للاختلاط الكائن بين الطلاب والطالبات في المدارس والجامعات: أن الطالبة في المدرسة والجامعة لا تفكر إلا بعواطفها، والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة.. وأن أكثر من ستين في المائة من الطالبات سقطن في الامتحانات، وتعود أسباب الفشل إلى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن، وحتى مستقبلهن. اهـ.

وهذا مصداق لما يذهب إليه الدكتور ألكس كارليل إذ يقول: عندما تتحرك الغريزة الجنسية لدى الإنسان تفرز نوعاً من المادة التي تتسرب بالدم إلى دماغه وتخدره، فلا يعود قادراً على التفكير الصافي.

ولذا فدعاة الاختلاط لا تسوقهم عقولهم، وإنما تسوقهم شهواتهم، وهم يبتعدون عن الاعتبار بما وصلت إليه الشعوب التي تبيح الاختلاط والتحرر في العلاقات

الاجتماعية بين الرجل والمرأة.. من ذلك ما أورده تقرير لجنة الكونجرس الأمريكية عن تحقيق جرائم الأحداث، من أن أهم أسبابها الاختلاط بين الشباب من الجنسين بصورة كبيرة.. وغير ذلك من شواهد يومية تقرر الحكمة العلمية والعملية للحديث الشريف، مما يعد إطاراً منهجياً في تحديد مجالات العلاقات الاجتماعية بوجه عام، وبين الرجل والمرأة بوجه خاص.

ثم إن الاختلاط من أعظم آثاره تلاشي الحياء الذي يعتبر سياجاً لصيانة وعصمة المرأة بوجه خاص، ويؤدي إلى انحرافات سلوكية تبيح تقليد الغير تحت شعار الحضرية والتحرر، ولقد ثبت من خلال فحص كثير من الجرائم الخلقية، أن الاختلاط المباح هو المسؤول الأول عنها.

وماذا يقول أنصار الاختلاط عن فضيحة وزير الصناعة في إنجلترا مع سكرتيرته التي أشارت إحدى الصحف إليها بأنها تنتظر مولوداً منه. الغريب أن صحيفة التايمز البريطانية قد أشارت إلى أن مارجريت تاتشر، قد لعبت دوراً رئيسياً في إقناع وزير الصناعة باركتسون بعدم الزواج من سكرتيرته، والاستمرار مع زوجته على أمل ألا يحط زواجه من السكرتيرة من قدره.

وهذا الخبر يحمل في مضمونه أثر الاختلاط بين وزير وسكرتيرته بدون محرم. هذا من ناحية، من ناحية أخرى يحمل عدم الاعتراف بما نجم عن هذا الاختلاط، ، هذا يعني بصورة غير مباشرة عدم الاعتراف بالاختلاط والاستمرار فيه.

فالاختلاط في عمومه يحمل من الآثار السيئة ما جعل كثيراً من الدعاة المخلصين يدعون إلى تنظيمه في إطار محدد يمنع شروره.. مما يعد رجوعاً إلى الهدى النبوي الشريف منذ أربعة عشر قرناً. (ك).

❀ ❀ ❀



لا تحزن فإن الديّان سينتقم لك

قال الله تعالى ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: 45]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30]، وقال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44].

سبحان الملك العظيم الذي من عرفه خافه. لقد تأملت أمراً عظيماً أنه ﷻ يمهل حتى كأنه يهمل فترى أيدي العُصاة مُطْلَقة كأنه لا مانع.

فإذا زاد الانبساط ولم ترعو العقول أَخَذَ أَخْذَ جبار. وإنما كان ذلك الإمهال ليبلو صبر الصابر، وليملي في الإمهال للظالم، فيثبت هذا على صبره، ويجزي هذا بقبيح فعله. ومع أن هنالك من الحلم في طي ذلك ما لا نعلمه. فإذا أَخَذَ أَخْذَ عقوبة رأيت على كل غلطة تبعة. وربما جمعت فضرب العاصي بالحجر الدامغ. وربما خفي على الناس سبب عقوبته فقيل فلان من أهل الخير فما وجه ما جرى له؟ فيقول القدر: حدود لذنوب خفية صار استيفاؤها ظاهراً. فسبحان من أمهل حتى طمع في مسامحته، وناقش حتى تحيرت العقول من مؤاخذته، لا حول ولا قوة إلا بالله. (ج).

❀ ❀ ❀



شفاعة الرحمن

الشفاعة العظمى هي لله العظيم وحده، وهي لا تَعْدِلُها شفاعة. فسبحان من عمّت رحمته الخلائق، ووسعت رحمته كل شيء.

ففي «الصحيح» من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إذا خَلَصَ المؤمنونَ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيامَةِ وأمِنوا، فَما مجادلةُ أحدكُمْ لِصاحِبِهِ في الحَقِّ يكونُ له في الدُّنْيَا، بأشدَّ مجادلة لَه، من المؤمنين لِربِّهِمْ في إِخْوانِهِمُ الَّذين أُدخِلُوا النارَ»**. قال: **«يقولونَ: رَبَّنا إِخْوانُنَا كانوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُون مَعنا، وَيَحِجُّونَ معَنا فأدخَلْتَهُمُ النَّارَ»**.

قال: **«فيقولُ: اذهَبُوا فأخرِجُوا مَنْ عَرفْتُمْ. فَيَأتُونَهُمْ فَيعرِفُونَهُمْ بصُوَرِهِم، لا تَأكُلُ النَّار صُوَرَهُم، فَمِنْهُم مَنْ أخَذَتهُ النارُ إلى أنْصَافِ ساقَيْهِ، وَمِنْهُمْ منْ أخَذَتهُ إلى كَعْبَيْهِ، فَيُخْرِجونَهُمْ، فيقولون: رَبَّنا أخرَجْنَا مَنْ أمَرْتَنا، ثم يقولُ: أخرِجوا مَنْ كَان فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينارٍ مِنَ الإِيْمانِ، ثُمَّ منْ كَانَ في قَلْبِهِ وزنُ نِصْفِ دِينارٍ، حتى يقولَ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقالَ ذَرَّةٍ»**.

قال أبو سعيد: فمن لم يصدِّقْ بهذا، فليقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 40].

قال: «فيقولون: رَبَّنا قَدْ أخْرَجْنا مَنْ أمَرْتَنا، فَلَمْ يَبْقَ في النَّارِ أحَدَ فِيهِ خَيْرٌ» قال: «ثُمَّ يقول الله: شَفَعَتِ المَلائِكة، وشَفعَتِ الأنبياء، وشفَعَ المُؤمِنونَ، وبقِيَ أرْحَمُ الراحِمِينَ»، قال: «فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ ـ أو قال: قَبْضَتَينِ ـ ناسٌ لَمْ يَعْمَلُوا للهِ خيْراً قَط قَدِ احْترَقُوا حَتَّى صَارُوا حُمَماً»، قال: «فَيُؤتَى بهم إلى ماءٍ يقال له: ماءُ الحَيَاة، فَيُصَبُّ عليهم، فَيَنْبُتُونَ كما تَنْبُت الحِبَّةُ في حَميلِ السَّيْلِ، فيخرجُونَ مِنْ أجْسَادِهِمْ مِثْلَ اللُّؤلُؤِ، فِي أعْناقِهم الخاتمُ: عُتَقاءُ الله».

قال: «فيقالُ لهم: ادخُلُوا الجَنَّةَ، فَما تمنيتم أو رأيتم من شيءٍ فهو لكُم عندي أفضل من هذا» قال: «فيقولون: رَبَّنا وما أفضل من ذلك؟» قال: «فيقول: رضائي عليكم، فلا أسخط عليكم أبداً»[1].

❀ ❀ ❀

خطورة كتمان العلم الشرعي

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 159 ـ 160].

وروى الإمام أحمد (7275).. والبخاري (2350).. ومسلم (2492) وغيرهم، من طريق الأعرَجِ، عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ الله عَنه قالَ: يَقُولُونَ: إنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكثر الحَدِيثَ، وَاللهُ المَوْعِدُ، ويَقولونَ: ما لِلْمهَاجِرِين وَالأَنْصارِ لا يُحَدِّثُون مِثْلَ أَحادِيثِهِ؟ وَإِنَّ إِخْوَتي من المهَاجِرِينَ كانَ يَشْغَلُهُمْ الصَّفقُ بِالأَسْواقِ، وَإِنَّ إِخوتي من الأَنْصَارِ كانَ يَشْغَلهُم عَمَلُ أَموَالِهم، وكُنتُ امْرَأً مِسْكيناً أَلزَمُ رَسولَ اللهِ ﷺ على ملءِ بَطني، فَأَحْضَرُ حِينَ يَغِيبُونَ، وَأَعي حِينَ يَنْسَوْن.

وَقالَ النَبيُّ ﷺ يَوْماً: «لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثوبه حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعه إِلَى صَدْرِهِ فَيَنْسى مِنْ مِقَالَتِي شَيْئاً أَبَداً». فَبَسَطْتُ نَمِرَةً لَيْسَ عَلَيَّ ثَوبٌ غيرها، حَتَّى قَضى النَّبيُّ ﷺ مَقالَتَهُ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ، ما نَسِيتُ مِنْ مَقَالَتِهِ تِلْكَ إِلَى يَومِي هذَا، وَاللهِ لَوْلا آيَتَانِ في كِتَابِ اللهِ، ما حَدَّثْتُكُمْ شَيْئاً أَبداً: ﴿إِنَّ

(1) رواه الإمام أحمد (11898) والبخاري (7518) ومسلم (2829) وغيرهم، واللفظ لأحمد.

ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة ـ 159 ـ 160]. لفظ البخاري.

❁ ❁ ❁

العلم دواء القلوب

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى: تأملت العلم والميل إليه والتشاغل به، فإذا هو يقوي القلب قوة تميل به إلى نوع قساوة. ولولا قوة القلب وطول الأمل لم يقع التشاغل به. فإنِّي أكتب الحديث أرجو أن أرويه، وأبتدأ بالتصنيف أرجو أن أتمه، فإذا تأملت باب المعاملات قل الأمل، ورق القلب، وجاءت الدموع، وطابت المناجاة، وغشيت السكينة، وصرت كأني في مقام المراقبة. إلا أن العلم أفضل وأقوى حجة، وأعلى مرتبة، وإن حدث منه ما شكوت منه. والمعاملة وإن كثرت الفوائد التي أشرت إليها منها، فإنها قريبة إلى أحوال الجبان الكسلان، الذي قد اقتنع بصلاح نفسه عن هداية غيره، وانفرد بعزلته عن اجتذاب الخلق إلى ربهم. فالصواب العكوف على العلم مع تلذيع النفس بأسباب المرققات تلذيعاً لا يقدح في كمال التشاغل بالعلم. فإني لأكره لنفسي من جهة ضعف قلبي ورقته أن أكثر زيارة القبور، وأن أحضر المحتضرين؛ لأن ذلك يؤثر في فكري، ويخرجني من حيز المتشاغلين بالعلم إلى مقام الفكر في الموت، ولا أنتفع بنفسي مدة. وفصل الخطاب في هذا أنه ينبغي أن يقاوم المرض بضده. فمن كان قلبه قاسياً شديد القسوة، وليس عنده من المراقبة ما يكفُّه عن الخطأ قاوم ذلك بذكر الموت ومحاضرة المحتضرين.

فأما من قلبه شديد الرقة فيكفيه ما به، بل ينبغي له أن يتشاغل بما ينسيه ذلك لينتفع بعيشه، وليفهم ما يفتى به. وقد كان الرسول ﷺ يمزح ويسابق عائشة ـ رضي الله عنها ـ ويتلطف بنفسه؛ فمن سار سيرته عليه الصلاة والسلام فهم من مضمونها ما قلته من ضرورة التلطف بالنفس.

خذ حذرك من أسباب الضلالة

إن أخطر ما يقترفه المرء في حياته، هو إقباله على أسباب الضلالة، وما تهوى نفسه الأمّارة بالسوء. قال الله جل وعلا:

﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ (٢٦) ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: 26 ـ 27].

وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: 27].

وقال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ﴾ [النساء: 88].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: 88].

وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام: 110].

فأخبر أنه عاقبهم على تخلُّفهم عن الإيمان، لما جاءهم وعرفوه وأعرضوا عنه، بأن قَلَّبَ أفئدتهم وأبصارهم، وحالَ بينهم وبين الإيمان، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: 24]، فأمرهم بالاستجابة له ولرسوله حين يدعوهم إلى ما فيه حياتهم، ثم حذَّرهم من التخلف والتأخر عن الاستجابة الذي يكون سبباً لأن يحول بينهم وبين قلوبهم. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: 5]، وقال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: 14]؛ فأخبر سبحانه أن كَسْبَهم غطَّى على قلوبهم وحالَ بينها وبين الإيمان بآياته؛ فقالوا أساطير الأولين.

وقال تعالى في المنافقين: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [التوبة: 67]، فجازاهم على نسيانهم له أن نسيَهم، فلم يذكرهم بالهدى والرحمة. وأخبر أنه أنساهمْ أنفسهم، فلم يطلبوا كمالها بالعلم النافع والعمل الصالح وهما الهدى ودين الحق؛ فأنساهم طلب ذلك ومحبته ومعرفته والحرص عليه عقوبة لنسيانهم له، وقال تعالى في حقهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ (١٦) وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: 16 ـ 17]، فجمع لهم بين اتباع الهوى والضلال الذي هو ثمرته وموجبه، كما جمع للمهتدين بين التقوى والهدى.

ـ الهدى مع الرحمة والضلال مع الشقاء

وكما يقرن سبحانه بين الهدى والتقى والضلال والغيّ، فكذلك يقرن بين الهدى والرحمة والضلال والشقاء، فمن الأول قوله:

﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5].

وقال: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 157].

وقال عن المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8].

وقال أهل الكهف: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 10].

وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111].

وقال: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64].

وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57].

ثم أعاد سبحانه ذكرهما فقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: 58].

وقد تنوَّعت عبارات السلف في تفسير الفضل والرحمة، والصحيح أنهما الهدى والنعمة، ففضله هداه، ورحمته نعمته، ولذلك يقرن بين الهدى والنعمة، كقوله في سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 6 ـ 7].

ومن ذلك قوله لنبيه يذكّره بنِعَمِه عليه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: 6 ـ 8]، فجمع له بين هدايته له وإنعامه عليه بإيوائه وإغنائه.

ومن ذلك قول نوح: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ [هود: 28].

وقول شعيب: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [هود: 88].

وقال عن الخضر: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65].

وقال لرسوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: 1 ـ 3].

وقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113].

وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: 21]. ففضله وهدايته ورحمته إنعامه إحسانه إليهم وبرّه لهم.

وقال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: 123]. والهدى منعه من الضلال، والرحمة منعه من الشقاء، وهذا هو الذي ذكره في أول السورة في قوله: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: 1 ـ 2]، فجمع له بين إنزال القرآن عليه ونفي الشقاء عنه، كما قال في آخرها في حق أتباعه ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾. فالهدى والفضل والنعمة والرحمة متلازمات لا ينفك بعضها عن بعض، كما أن الضلال والشقاء متلازمان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: 47]، والسعر جمع سعير، وهو العذاب الذي هو غاية الشقاء.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: 179].

وقال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: 10].

ومن هذا أنه سبحانه يجمع بين الهدى وانشراح الصدر والحياة الطيبة، وبين الضلال وضيق الصدر والمعيشة الضنك، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: 125].

وقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: 22].

وكذلك يجمع بين الهدى والإنابة، وبين الضلال وقسوة القلب، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: 22].

وهكذا يتضح لنا؛ أن الهدى والرحمة وتوابعهما من الفضل والإنعام كله من صفة العطاء، والإضلال والعذاب وتوابعهما من صفة المنع، وهو سبحانه يصرف خلقه بين عطائه ومنعه، وذلك كله صادر عن حكمة بالغة، وملك تام، وحمد تام؛ فلا إله إلا الله. (ق).

❁ ❁ ❁

﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾

مهما بلغ الإنسان من العلم والمعرفة، فليعلم أنه يندرج تحت قوله تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: 85]، وتحت قوله جل وعلا: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: 76] وينطبق ذلك على كل الخلائق. وحتى الأنبياء منهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

ففي «صحيح» البخاري (4727).. ومسلم (2380)، وغيرهما من حديث عبد الله بن عباس، ﷺ، أن أُبي بن كعب ﷺ حدَّثهُ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقول: «إِنَّ مُوسَى قامَ خَطِيباً في بَنِي إِسْرَائيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أنا، فَعَتَبَ الله عَلَيهِ إذ لَم يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيهِ، فَأَوْحَى الله إِلَيهِ: إن لي عَبْداً بِمَجْمَعِ البَحرَينِ هُوَ أَعلَمُ مِنكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيفَ لي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتاً فَتَجعَلُهُ في مِكْتَلٍ، فَحَيثُما فَقَدْتَ الحوتَ فَهوَ ثَمَّ.

فَأَخَذَ حُوتاً فَجَعَلَهُ في مِكْتَلٍ، ثُمَّ انطَلَقَ وَانطَلَقَ مَعَهُ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بنِ نُونٍ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الحُوتُ في المِكتَلِ فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ في البَحرِ، فَاتخَذَ سَبِيلَهُ في الْبَحرِ سَرَباً، وَأَمسَكَ الله عَنِ الحُوتِ جِرْيَةَ المَاءِ فَصَارَ عَلَيهِ مِثْلَ الطَّاقِ.

فَلَمَّا استَيقَظَ نَسِيَ صَاحِبُهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالحوتِ، فَانطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيلَتِهِمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الغَدِ قَالَ مُوسَى لِفَتَاه: آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هذَا نَصَباً، قالَ: وَلَم يَجِدْ مُوسى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَا المَكَانَ الَّذِي أَمَرَ الله بِهِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا﴾ قال: فَكانَ لِلْحُوتِ سَرَباً، وَلِمُوسَى وَلِفَتَاهُ عَجَباً.

فَقَالَ مُوسَى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾ قال: رَجَعَا يَقُصَّانِ

آثارَهُمَا حَتَّى انتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى ثَوباً، فَسَلَّمَ عَلَيهِ مُوسَى، فَقَالَ الخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلام، قالَ: أنا مُوسَى، قالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَتَيتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمتَ رشداً ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ يا مُوسَى إِني عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اَلله عَلمَنِيهِ لا تَعلَمُهُ أنتَ، وَأنتَ عَلَى عِلمٍ مِنْ عِلمِ الله عَلمَكَهُ الله لا أَعلَمُهُ.

فَقَالَ مُوسَى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ فَقَالَ لَهُ الخَضِرُ: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا﴾ يمشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحرِ، فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَن يَحمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الخَضِرَ[1] فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ.

فَلَمَّا ركِبَا في السَّفِينَةِ، لَم يَفجَأْ إلاَّ وَالخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوحاً مِنْ ألوَاحِ السَّفِينَةِ بِالقَدومِ، فَقَالَ لَه مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ قَالَ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ قَالَ: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ قالَ: وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«وكانَتِ الأولَى مِن موسى نسياناً»**.

قالَ: وَجَاءَ عُصْفورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ في الْبَحرِ نَقْرَة، فَقَالَ لَهُ الخَضِرُ: ما عِلمِي وَعِلمُكَ مِنْ عِلم الله، إلا مِثلُ ما نَقَصَ هذَا العُصفُور مِنْ هذَا الْبَحرِ، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَينَا هُمَا يَمشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ، إذ أَبصَرَ الخَضِرُ غُلاماً يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فأَخَذَ الخَضِرُ رَأسَهُ بِيَدِهِ فَاقتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ قَالَ: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ قالَ: وَهذَا أشَدُّ مِنَ الأولَى.

قالَ: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: 76 ـ 77].

قال: مائل، فقام الخضِرُ فأقامهُ بيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَى: قَومٌ أَتَينَاهُم فَلَم يُطْعِمُونَا وَلَم يُضَيفُونَا، لَو شِئتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيهِ أجْراً، قَالَ: ﴿هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«وَدِدنَا أَن مُوسَى كَانَ صَبَرَ حَتَّى يَقُصَّ الله عَلَينَا من خبرِهِمَا»**. لفظ البخاري.

---

(1) روى الإمام البخاري (3402) من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«إنَّما سُمِّيَ الخَضِرُ، لأنه جَلس على فَروةٍ بيضاء، فإذا هي تهتزُّ من خَلْفهِ خَضراء»**.

ـ وقد جاء في رواية عند أحمد (21120) ومسلم (2380/ 172)، من طريق أُبيّ بن كعب ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقُولُ: «إِنَّهُ بَينَمَا مُوسَى، عَلَيهِ السَّلامُ، فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بِأيام الله. وَأيامُ الله نعماؤُهُ وَبَلاؤُهُ. إذ قَالَ: مَا أعلَمُ فِي الأَرْضِ رَجُلاً خَيْراً أَوْ أعلَمَ مِنِّي. قَالَ: فَأوحَى الله إِلَيهِ إِنِّي أعلَمُ بِالخَيرِ مِنْهُ أَوْ عِنْدَ مَنْ هُوَ. إن في الأَرْضِ رَجُلاً هُوَ أعلمُ مِنكَ. قَالَ: يَا رَبّ، فَدُلنِي عَلَيهِ. قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: تَزَوّد حُوتاً مَالِحاً، فَإِنَّهُ حَيْثُ تَفْقِدُ الحُوتَ. قَالَ: فَانطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ حَتَّى انتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَعُمِّيَ عَلَيهِ. فَانطَلَقَ وَتَرَكَ فَتَاه فَاضطَرَبَ الحُوتُ فِي الماءِ. فَجَعَلَ لا يَلْتَئِمُ عَلَيهِ. صَارَ مِثْلَ الكُوَّةِ. قَالَ: فَقَالَ فَتَاهُ: أَلا أَلحَقُ نَبِيَّ الله فَأُخبِرَهُ؟ قَالَ: فَنُسيَ، فَلَمَّا تَجَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾ [الكهف: 62] قَالَ: وَلَم يُصِبْهُمْ نَصَبٌ حَتَّى تَجَاوَزَا قَالَ: فَتَذَكَّرَ قَالَ: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: 64 ـ 65]. فَأَرَاهُ مَكَانَ الحُوتِ. قَالَ: فهُنَا وُصِفَ لي.

قَالَ: فَذَهَبَ يَلْتَمِسُ فَإِذَا هُوَ بِالخَضِرِ مُسَجَّىً ثَوباً، مُستَلْقِياً عَلَى القَفَا، أَوْ قَالَ: عَلَى حَلاوَةِ القَفَا. قَالَ: السَّلامُ عَلَيكُم، فَكَشَفَ الثَّوبَ عَنْ وَجْهِهِ قَالَ: وَعَليكُمُ السَّلام. مَنْ أنتَ؟ قَالَ أَنَا مُوسَى. قَالَ: وَمَنْ موسَى؟ قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ: مَجيءٌ مَا جَاءَ بكَ؟ قَالَ: جِئتُ لِتُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمتَ رُشْداً.

قَالَ: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾ [الكهف: 67 ـ 68]، شَيْءٌ أُمِرتُ بِهِ أَنْ أفعَلَهُ إِذَا رَأَيتَهُ لَم تَصْبِر. قَالَ: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾ [الكهف: 69 ـ 71]. قَالَ: انتَحَى عَلَيهَا. قَالَ لَهُ مُوسَى، عَلَيهِ السَّلامُ: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: 71 ـ 72].

فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غِلْمَاناً يَلْعَبُونَ. قَالَ: فَانطَلَقَ إِلَى أَحدِهِمْ بَادِيَ الرَّأْيِ فَقَتَلَهُ، فَذُعِرَ عِنْدَهَا مُوسَى، عَلَيهِ السَّلامُ، ذَعْرَةً مُنكَرَةً. قَالَ: ﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ، عِنْدَ هَذَا المَكَانِ: «رَحمَةُ الله عَلَينَا وَعَلَى مُوسَى، لَولا أَنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى العَجَبَ. وَلَكِنهُ أَخَذَتهُ مِن صَاحِبِهِ ذَمَامَةٌ». ﴿قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا﴾ [الكهف: 76]، «وَلَو صبرَ لَرَأَى العَجَبَ».

قَالَ: وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحداً مِنَ الأنبيَاءِ بَدَأَ بِنَفْسِهِ «رَحمَةُ الله عَلَينَا وَعَلَى أَخِي كَذَا، رَحمَةُ الله عَلَينَا» ـ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيا أَهلَ قَريَةٍ لِئَاماً فَطَافَا فِي المَجَالِسِ فَاستَطعَمَا أَهـلَـهَـا، ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ۝٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا﴾ [الكهف: 77 ـ 78] وَأَخَذَ بِثَوْبِهِ.

قَـــالَ: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ۝٧٨ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾ [الـكـهـف: 78 ـ 79]. إِلَى آخِرِ الآيَةِ، فَإِذَا جَاءَ الذِي يُسَخِّرُهَا وَجَدَهَا مُنْخَرِفَةً فَتَجَاوَزَهَا فَأَصلَحوهَا بِخَشَبَةٍ. وَأَمَّا الغُلام فَطُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِراً. وَكَانَ أَبَوَاهُ قَدْ عَطَفَا عَلَيهِ. فَلَو أَنَّهُ أَدرَكَ أَرْهَقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً. ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ۝٨١ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [الـكـهـف: 81 ـ 82]. إِلَى آخِرِ الآيَةِ. لفظ مسلم.

❁ ❁ ❁

لا تحزن... فإن ربنا غفور رحيم

مهما تعاظمت ذنوبك، ومهما كثرت آثامك، ومهما تجاوزت حدودك. ومهما أسرفت على نفسك. . فاعلم أن ربك غفور رحيم[1]. ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: 53].

---

(1) قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في «شرح صحيح مسلم» (8/ 186) بتحقيقنا: قوله تعالى: «**ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا أدخل البحر**»، المخيط بكسر الميم وفتح الياء هو الإبرة قال العلماء: هذا تقريب إلى الإفهام ومعناه لا ينقص شيئاً أصلاً، كما قال في الحديث الآخر: «**لا يغيضها نفقة**» أي لا ينقصها نفقة لأن ما عند الله لا يدخله نقص وإنما يدخل النقص المحدود الفاني وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص فضرب المثل بالمخيط في البحر لأنه غاية من يضرب به المثل في القلة، والمقصود التقريب إلى الإفهام بما شاهدوه، فإن البحر من أعظم المرئيات عياناً وأكبرها، والإبرة من أصغر الموجودات مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء، والله أعلم.

روى الإمام أحمد (21477) ومسلم (2577)، والبخاري في «الأدب المفرد» (490)، وغيرهم من حديث أبي ذر رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، فيما يروي عن الله تبارك وتعالى، أنه قال: «يا عِبَادي إني حرَّمتُ الظُّلم على نفسي، وجعلتُهُ بينكم مُحرَّماً، فلا تَظالموا، يا عِبَادِي كُلُّكم ضَالٌّ إلا مَن هَدَيتُهُ. فَاستَهدُوني أَهدِكُم، يَا عِبَادِي، كُلُّكُم جَائِعٌ إلاَّ مَن أَطعَمتُهُ، فَاستَطعِمُوني أُطعِمْكُم، يَا عِبَادِي، كُلُّكُم عَارٍ إلاَّ مَن كَسَوتُهُ، فَاستَكسُوني أَكسُكُم.

يَا عِبَادِي، إِنَّكُم تُخطِئُونَ بِاللَّيلِ وَالنهَارِ، وَأَنا أَغفِرُ الذنُوبَ جَميعاً. فَاستَغفِرُونِي أَغفِر لَكُم. يَا عِبَادِي، إِنَّكُم لَن تَبلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَن تَبلُغُوا نَفعِي فَتنفَعُونِي. يَا عِبَادِي، لَو أَن أَولَكُم وَآخِرَكُم وَإِنسَكُم وَجِنَّكُم، كَانُوا عَلَى أَتقَى قَلبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُم، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلكِي شَيئاً.

يَا عِبَادِي، لَو أَن أَولَكم وآخِرَكُم، وَإِنسَكُم وَجِنَّكُم كَانُوا عَلَى أَفجَر قَلبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِن مُلكِي شَيئاً. يَا عِبَادِي، لَو أَن أَولَكُم وَآخِرَكُم وَإِنسَكُم وَجِنكُم، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلونِي، فأَعطَيتُ كُل إِنسَانٍ مَسأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِندِي إلاَّ كَمَا يَنقُصُ المِخيَطُ إِذَا أُدخِلَ البَحرَ.

يَا عِبَادِي، إِنمَا هِيَ أَعمَالُكُم أُحصِيهَا لَكُم، ثُمَّ أُوَفيكُم إِيَّاهَا. فَمَن وَجَدَ خَيراً فَليَحمَدِ الله، وَمَن وَجَدَ غَيرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إلا نَفسَهُ». لفظ مسلم.



فصاحة وبلاغة

الحمد لله القديم فلا يقال متى، القاهر بعزّ سلطانه كل جبّار عتا، المحمود على أيِّ قضاءٍ منه أتى، قَرَّبَ موسى نجيّاً فقرَّتْ عينُ الفتى، وأرسله بمعجز العصا إلى من عصى فنسخ بحقه باطلهم نسخَ الصيف الشتا، فلو رأيتَ أعداءه قد جمعوا واجتمعوا، فنادى لسان النصر ولكن ما سمعوا، ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: 69]. (ج).

❀ ❀ ❀

مضار الكذب

إياك والكذب؟ فإنه يفسد عليك تصوُّر المعلومات على ما هي عليه، ويفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس. فإن الكاذب يصوِّر المعدوم موجوداً والموجود معدوماً، والحق باطلاً والباطل حقاً، والخير شراً والشر خيراً، فيفسد عليه تصوُّره وعلمه عقوبة له ثم يصوّر ذلك في نفس المخاطب المغترّ به الراكن إليه فيفسد عليه تصوُّره وعلمه. ونفس الكاذب مُعْرِضة عن الحقيقة الموجودة، نزَّاعة إلى العدم، مؤثرة للباطل. وإذا فسدت عليه قوة تصوره وعلمه التي هي مبدأ كل فعل إرادي، فسدت عليه تلك الأفعال، وسرَى حكم الكذب إليها، فصار صدورها عنه كصدور الكذب عن اللسان؛ فلا ينتفع بلسانه ولا بأعماله.

ولهذا كان الكذب أساس الفجور، كما قال النبي ﷺ: «**إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار**». (متفق عليه). (ق).



البقول وقاية وغذاء

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: 61].

تشمل البقول: الفول الحمص والعدس والفاصوليا والبازلاء.

ـ الاكتشافات العلمية الحديثة:

البقول والكولسترول:

حينما تأكل البقول الجافة، فإنها لا تهضم بكاملها في أمعائك، وإنما يبقي في القولون شيء منها، وهناك تهاجم جراثيم القولون ما تبقى من البقول وتتخذه غذاء لها. وخلال هذه العملية تنطلق، مركبات كيميائية تقوم بدور الأدوية، تأمر الكبد أن ينقص من إنتاج الكولسترول، وترسل إلي الدم أن يسرع في إزالة الكولسترول السيئ (LDL Cholesterol) وتنتج مواد قد تمنع حدوث السرطان.

ويعتقد أن العنصر العلاجي في البقول يكمن في أليافه.

يقول الدكتور جيمس أندرسون من جامعة كانتكي في الولايات المتحدة، وهو من المهتمين جداً بدراسة تأثيرات الألياف على القلب والكولسترول والسرطان: إن تناول البقول الجافة (كالفول والعدس والفاصولياء والحمص) يخفض معدل الكولسترول في الدم بنسبة 19% كما يخفض النوع الرديء من الكولسترول (LDL) ويرفع النوع الجيد (HDL).

ويصف الدكتور أندرسون لمرضاه فنجاناً من أحد أنواع الفول المطبوخ (Pinto Beans) أو (Navy Beans) يومياً.

وقد انخفض الكولسترول من 274 ملغ إلى 190 ملغ% في بعض الحالات بتناول البقول فقط.

البقول والسرطان:

هناك أبحاث تشير إلى فائدة البقول في الوقاية من السرطان. ويعزى سبب ذلك إلى احتواء البقول على مواد «حالة للبروتياز» (Protease Inhibitor)، ويعتقد أن هذه المواد تعاكس المركبات المسببة للسرطان في الأمعاء.

وقد قامت باحثة السرطان الأمريكية آن كنيدي بوضع المواد الحالّة للبروتياز فِي باطن الفم عند الفئران. ثم أعطيت هذه مواد مسرطنة (أي مسببة السرطان) فوجدت الباحثة أن الفئران التي أعطيت هذه المواد الحالّة للبروتياز لم تصب بسرطان الفم.

وقد تبيَّن أن إعطاء الحيوانات هذه المادة قد أدى إلى منع تشكُّل سرطان القولون والثدي.

وأجرى الدكتور ولتر ترول تجارب أخرى على الفئران، أعطى فيها فول الصويا للفئران ثم عرَّضها لكميات عالية جداً من الأشعة التي تسبب سرطان الثدي فوجد أن 44% من الفئران التي أعطيت فول الصويا قد أصيبت بسرطان الثدي في حين كانت نسبة الإصابة أعلى بكثير (74%) عند الفئران التي لم تعط فول الصويا

ويعتقد الدكتور ترول أن فول الصويا وغيره من أنواع البقول باحتوائها على المادة الحالة للبروتياز فإنها يمكن أن تثبط عمل المواد المسرطنة وتوقف تطور السرطان. (84/ 90).

وهناك مادة أخرى في البقول يمكن أن تمنع حدوث السرطان وتسمى ليغنانس (Lignans) وتتحول هذه المادة الموجودة في القولون بواسطة الجراثيم إلى مواد شبه هرمونية يعتقد العلماء أنها يمكن أن تحارب تشكل سرطان الثدي والقولون. وهناك لا بد أن نتوقف لحظة للتأمل، فقد يتساءل أحدنا: لماذا خلق الله تلك الجراثيم في القولون؟

وقد رأينا الإجابة على ذلك في هذا البحث فوجود الجراثيم غير الممرضة هناك في القولون جعلنا نستفيد من أكل البقول وبواسطتها أنتجت تلك المواد التي تخفض الكولسترول والمواد التي تحارب السرطان.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 101]

البقول ومرض السكري:

أثبتت الدراسات العلمية أن تناول البقول يؤدي إلى إنقاص جرعة الأنسولين اللازمة عند المصابين بمرض السكري الشبابي بنسبة 8 3% (84).

كما أن تناول البقول بشكل منتظم قد يزيل حاجة المصابين بالسكري الكهلي عند المسنين عادة إلى الأنسولين (بل يحتاجون فقط إلى الكمية مع الحبوب المضادة للسكر أحياناً).

وسبب ذلك يعود إلى أن تناول البقول يؤدي إلى ارتفاع بطيء في السكر مما يجعل غدة البنكرياس تنتج كميات أقل من الأنسولين لتحافظ فقط على مستوى طبيعي للسكر في الدم. ويعتقد بأن البقول وغيره من الأطعمة الغنية بالبكتين والألياف الأخرى يؤدي إلى تشكُّل المزيد من مستقبلات الأنسولين على سطح الخلايا مما يزيد من الأماكن التي يركن إليها الأنسولين.

وأكدت الدراسات الحديثة أن تناول الأغذية الغنية بالألياف كالبقول يؤدي إلى تحسن في ضغط الدم عند المصابين بارتفاع ضغط الدم الشرياني. (85/ 87).

البقول والإمساك:

لا شك في أن تناول البقول يجعل البراز ليناً بسبب غناه بالألياف. وهذا أمر

جيد، فقد أثبتت الدراسات أن تناول الأطعمة الغنية بالألياف يمنع الإمساك ويقلل من حدوث سرطان القولون والمستقيم والبواسير وداء الرتوج (الذي يحدث عند المسنين) واضطرابات الأمعاء. (84/ 85/ 89).

وتقول الدكتورة شارون فليمنغ وهي رئيسة الباحثين في البقول في قسم علوم التغذية في جامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة: إن تناول البقول يزيد من كمية البراز ويجعله ليناً. وقد قامت هي وزملاؤها الأطباء في جامعة كاليفورنيا بإعطاء مجموعة من الناس فنجاناً ونصف الفنجان يومياً من الفاصولياء الحمراء التي تسمى (Kidney Beans) (وهي موجودة في الأسواق جافة أو بشكل علب مطبوخة). فوجد هذا الفريق الطبي أن تناول الفاصوليا الحمراء وغيرها من البقول يحرض الجراثيم في القولون على تشكيل مركبات كيميائية (عبارة عن حموض دهنية قصيرة السلسلة وطيارة) وهذه المركبات تساعد في خفض كولسترول الدم وضغط الدم وقد تمنع سرطان القولون. وتنشأ هذه الحموض الدهنية عن تخمر البقول في القولون وبشكل خاص عن تخمر الألياف المنحلة التي توجد في البقول.

وتنصح الدكتورة فليمنغ المصابين بالإمساك بتناول البقول.

ـ كم يجب أن تأخذ من البقول؟

إن الجرعة العلاجية هي فنجان واحد من أحد هذه البقول يومياً وهذه تعادل ما يوجد في علبة من علب الفول أو الحمص أو الفاصولياء يبلغ وزنها 200 غراماً. إلا أنه يجب الانتباه إلى أن بعض أنواع الفول أو الفاصولياء المحفوظ في العلب تحتوي على السكر ولهذا فإنه من الأفضل للمصابين بمرض السكر أن يتجنبوا المعلبات الحاوية على السكر.

هل هناك من محاذير؟

قد يشكو بعض الناس من حسّ الانتفاخ والغازات عقب تناول بعض أنواع البقول. وسبب ذلك أن الإنسان غير قادر على هضم بعض أنواع السكاكر المعقدة الموجودة في البقول وهي ما تسمى بألفا ـ كالاكتوزيد. وتهاجم جراثيم الأمعاء هذه السكاكر غير المهضومة مما يؤدي إلى تشكيل الغازات في الأمعاء.

إلا إنه من المفيد أن تعلم أنه كلما تعود الإنسان على أكل هذه البقول قل احتمال إصابته بهذه الأعراض.

وقد وجدت الدكتورة فليمنغ أن الذين يتناولون فنجاناً ونصف الفنجان من الفاصولياء الحمراء ((Kidney Beans يومياً، يشكو من الغازات لليوم الأول أو الثاني فقط ثم تختفي هذه الأعراض تماماً.

ويمكن التخلص من مشكلة الغازات في الأمعاء بغسل البقول الجافة بالماء ثم تنشف من الماء وبعدها توضع البقول في ماء مغلي لمدة نصف ساعة، ثم يرمى الماء السابق، وبعدها تطبخ البقول بالطريقة العادية.

ويقول الكيميائي ألفْرِد أولسون من مركز الأبحاث التابع لوزارة الزراعة الأمريكية أن هذه الطريقة تزيل 90% من السكاكر المسببة للغازات والموجودة في بعض أنواع البقول.

كم تحتوي البقول من الألياف؟

يحتوي فنجان من البازلاء على 5,4 غرام من الألياف.

ويحتوي فنجان من العدس على 3,4 غرام من الألياف.

ويحتوي فنجان من الفاصوليا الحمراء على 5 غرام من الألياف.

ويحتوي فنجان من الفول على 4,6 غرام من الألياف.

البازلاء منظم للنسل؟

لاحظ الباحثون أن عدد سكان التيبيت لم يتزايد خلال المئتي سنة الماضية وأن غذاءهم يركز أساساً على البازلاء والشعير. فهل لعب تناول البازلاء دوراً في تحديد النسل عند هؤلاء؟

كان أول من وضع هذه الملاحظات الدكتور سانيال من معهد كالكوتا للعلوم الجرثومية عام 1949 م. فقد قام هذا الطبيب بإجراء البحوث لمدة عشرة أعوام لعزل المادة المسؤولة عن تحديد النسل وتمكن في النهاية من عزل هذه المادة وهي كسيلوهيدروكينون (Xylohydroquinone) ثم قام بتصنيع حبوب لمنع الحمل تحتوي على

هذا المركب، وأجريت التجارب على عيِّنة من النساء فتبين أن تناول هذه الحبوب ينقص نسبة الحمل بمقدار 50 ـ 60%. وحين أعطي هذا المركّب للرجال انخفض عدد الحيوانات المنوية إلى النصف.

ويقول الدكتور نورمان فارنورث من جامعة ألينويس في الولايات المتحدة الأمريكية إن الدكتور سانيال قد تمكن من اكتشاف الصفات المانعة للحمل في زيت البازلاء إلا أن هذا الدواء لم ينجح لأنه لا يستطيع أن يجاري فعالية الحبوب الهرمونية المعروفة والمستعملة في منع الحمل. ولذلك فإنه لا يمكن الاعتماد على البازلاء لمنع الحمل إلا أنه يجب التنبيه إلى أنه من الأفضل للمصابين بالعقم والذين يتناولون علاجاً ليزيد من الإخصاب والإنجاب أن لا يكثروا من تناول البازلاء.

البازلاء والتهاب الزائدة الدودية:

أشارت الأبحاث الحديثة التي قام بها باحثون من بريطانيا ونشرت في المجلة الطبية البريطانية عام 1986 أن هناك علاقة بين تناول بعض الخضراوات ومنها البازلاء وانخفاض نسبة حدوث التهاب الزائدة الدودية. وقد درس هؤلاء علاقة الغذاء بمعدلات التهاب الزائدة الدودية في 59 منطقة من مناطق إنجلترا وويلز.

واقترح الباحثون من جامعة ساوثامبتون في إنجلترا، إنه من المحتمل وجود مواد كيميائية في هذه الخضروات تقوم بتثبيت الجراثيم الموجودة في جدار الزائدة الدودية والتي تسبب الالتهاب هناك. والله تعالى أعلم. (ش).





ـ مَن عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس.

ـ من عرف ربه اشتغل به عن هوى نفسه.

ـ أنفع العمل أن تغيب فيه عن الناس بالإخلاص، وعن نفسك بشهود المنّة؛ فلا ترى فيه نفسك، ولا ترى الخلق.

ـ دخل الناس النارَ من ثلاثة أبواب:

1 ـ باب شبهة أورثت شكاً في دين الله.

2 ـ وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته.

3 ـ وباب غضب أورث العدوان على خلقه.

ـ أصول الخطايا كلها ثلاثة:

1 ـ الكِبَر: وهو الذي أصارَ إبليس إلى ما أصاره.

2 ـ والحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة.

3 ـ والحسد: وهو الذي جرَّأَ أحد ابني آدم على أخيه.

فمن وُقِيَ شر هذه الثلاثة فقد وقي الشر. فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد.

ـ جعل الله بحكمته كل جزء من أجزاء ابن آدم، ظاهره وباطنه، آلة لشيء إذا استعمل فيه فهو كماله: فالعين آلة للنظر، والأذن آلة للسماع، والأنف آلة للشم، واللسان للنطق، والفرج للنكاح، واليد للبطش، والرِّجل للمشي، والقلب للتوحيد والمعرفة، والروح للمحبة، والعقل آلة للتفكُّر والتدبّر لعواقب الأمور الدينية والدنيوية وإيثار ما ينبغي إيثاره وإهمال ما ينبغي إهماله.

ـ أخسر الناس صفقة من اشتغل عن الله بنفسه، بل أخسر منه من اشتغل عن نفسه بالناس.

ـ وفي «السنن» من حديث أبي سعيد الخدري يرفعه: **«إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تُكَفّرُ اللسان، تقول: إتَّقِ الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججتَ اعوججنا»**. قوله: تُكَفر اللسان، قيل: معناه تخضع له. وفي الحديث: إن الصحابة لما دخلوا على النجاشي لم يكفروا له، أي لم يسجدوا ولم يخضعوا. ولذلك قال له عمرو بن العاص: أيها الملك، إنهم لا يكَفرون لك. وإنما خَضعَت للسان؛ لأنه بريد القلب، وترجمانه، والواسطة بينه وبين الأعضاء. وقولها: إنما نحن بك، أي نجاتنا بك وهلاكنا بك؛ ولهذا قالت: **«فإن استقمتَ استقمنا، وإن اعوججتَ اعوججنا»**. والله أعلم. (ق).

❀ ❀ ❀

لا تحزن فإن الله تعالى جعل لك من زوجك متاعاً وسكناً

روى الأئمة من حديث أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ الله عنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ سُلَيمانُ لأَطُوفَنَّ اللّيلَةَ عَلَى تِسعِينَ امرأَةَ كُلّهُن تَأتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إن شاءَ الله، فَلَم يَقُل: إن شَاءَ الله، فَطَافَ عَلَيهِن جَمِيعاً فَلَم تَحمِل مِنهُن إلاَّ امرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، جَاءَتْ بِشِقّ رَجُل، وَأيمُ الَّذِي نَفسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لَو قَالَ إن شَاءَ الله لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ الله فُرساناً أجمَعُونَ»[1].

وفي لفظ آخر للبخاري من طريق: مَعمَر عَنِ ابنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبيهِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُدَ عَلَيهِمَا السلامُ: لأَطُوفَن اللّيْلَةَ بِمَائَةِ امرَأَة، تَلِدُ كلّ امرَأَةٍ غُلاماً يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الله. فَقَالَ لَهُ المَلَكُ: قُل إن شَاءَ الله، فَلَم يَقُل وَنَسِي، فَأَطَافَ بِهِنَّ وَلَم تَلِد مِنهُنَّ إلاَّ امرَأَةٌ نِصفَ إنسَانٍ قَالَ النبِيّ ﷺ: «لَو قالَ إن شَاءَ الله لَم يَحنث، وَكَانَ أَرْجى لِحاجَتِهِ».

وقوله: «فأطاف بهن» أي: أَلَمَّ بهنّ وقَارَبهُنّ.

وروى البخاري (268).. ومسلم (309)، وغيرهما من حديث أنس ﷺ، قوله: كَانَ النَّبي ﷺ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ في السَّاعَةِ الوَاحِدَةِ، مِنَ اللَّيلِ وَالنهَارِ، وَهُن إحدَى عَشرَةَ.

قَالَ قَتَادَةَ: قُلتُ لأنسَ: أَوَ كَانَ يُطِيقُهُ؟

قَالَ: كُنَّا نَتَحَدّثُ أَنهُ أُعطِيَ قُوّةَ ثَلاَثِينَ. لفظ البخاري.

قال الحافظ في «الفتح» (1/ 503): وجاء في كتاب «صفة الجنة»، لأبي نُعيم من طريق مجاهد، مثله، وزاد: «أعطي قوة ثلاثين من رجال أهل الجنة». ومن حديث عبد الله بن عمرو ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «أُعطيتُ قوة أربعين في البطش والجماع» وعند أحمد والنسائي، وصححه الحاكم من حديث زيد بن أرقم ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنّةَ ليُعطى قوة مائة في الأكل والشرب والجماع والشهوة» فعلى هذا يكون حساب قوة نبينا ﷺ أربعة آلاف. والله تعالى أعلم.

---

(1) رواه أحمد (7719) والبخاري (2424) ومسلم (1654) والنسائي في «المجتبى» (3865) وفي «الكبرى» (9032/ 5) وابن حبان (4337) والبيهقي (10/ 44) وغيرهم.

وروى الطبراني في «الأوسط» (7378/ 7)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **«فَضلُ ما بَينَ لَذةِ المَرْأةِ وَلَذةِ الرّجُلِ، كَأثَرِ المِخيَطِ في الطِينِ، إلاّ أنَّ الله يَنشُرُهَا بِالحَيَاءِ»**[1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: قال أهل العلم: يجب على الزوج أن يطأ زوجته بالمعروف، كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشرها بالمعروف، بل هذا عمدة المعاشرة ومقصودها، وقد أمر الله سبحانه وتعالى أن يعاشرها بالمعروف. فالوطءُ داخلٌ في هذه المعاشرة ولا بُدّ. قالوا: وعليه أن يُشبعها وطئاً إذا أمكنه ذلك، كما عليه أن يشبعها قوتاً. وكان شيخنا[2] رحمه الله تعالى يُرجِّح هذا القول ويختاره.

وقد حضّ النبي ﷺ على استعمال هذا الدواء، ورغب فيه وعلّق عليه الأجر، وجعله صدقة لفاعله، فقال ﷺ: **«وفي بُضع أَحَدِكُم صَدَقَةٌ»**[3]، ومن تراجم النسائي على هذا: الترغيب في المبَاضعة، ثم ذكر هذا الحديث. ففي هذا كمال اللذّة، وكمال الإحسان إلى الحبيبة، وحصول الأجر، وثواب الصدقة، وفرج النفس، وذهاب أفكارها الرديئة عنها، وخفّةُ الرّوح، وذهاب كثافتها وغِلظها، وخفة الجسم، واعتدال المزاج، وجلبُ الصحة ودفع المواد الرديئة.

فإن صادف ذلك وجهاً حسناً، وخُلُقاً دَمِثاً[4]، وعشقاً وافراً، ورغبة تامة، واحتساباً للثواب، فذلك اللذّة التي لا يعادلها شيء، ولا سيما إذا وافقت كمالها، فإنها لا تكمُل حتى يأخذ كل جزءٍ من البدن بِقِسطِهِ من اللذّة.

فتلذ العين بالنظر إلى المحبوب، والأذن بسماع كلامه، والأنفُ بشم رائحته، والفم بتقبيله، واليد بلمسه. وتعتكف كل جارحةٍ على ما تطلبه من لذتها، وتقابله من المحبوب.

فإن فُقِدَ من ذلك شيءٌ، لم تزل النفس متطلّعة إليه، متقاضيةً له، فلا تسكنُ كل السكون، ولذلك تُسمّى المرأة، سكناً، لسكون النفس إليها. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ

---

(1) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (7556/ 4)، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه أحمد بن علي بن شوذب، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات.
(2) يريد شيخه الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى.
(3) تقدم.
(4) خلقاً دمثاً: أي سهلاً ليناً.

ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الروم: 21]. ولذلك فُضِّل جماع النهار على جماع الليل، ولسبب آخر طبيعي، وهو أن الليل وقتَ تَبرُدُ فيه الحواس، وتطلب حظها من السكون. والنهار محل انتشار الحركات، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: 47] وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ [يونس: 67].

وتمام النعمة في ذلك فرحةُ المحب برضاء ربه تعالى بذلك، واحتسابُ هذه اللذة عنده، ورجاء تثقيل ميزانه، ولذلك كان أحب شيءٍ إلى الشيطان، أن يفرِّق بين الرجل وبين حبيبه، ليتوصل إلى تعويض كل منهما عن صاحبه بالحرام، كما في «السنن»، عنه ﷺ: **«أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق»**.

وفي «صحيح مسلم» (2813/ 67)، من حديث جابر رضي الله عنه، قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: **«إن إبليسَ يَضَعُ عَرشَهُ عَلَى المَاءِ. ثُم يَبعَثُ سَرَايَاهُ. فَأَدنَاهُم مِنهُ مَنزِلَةً أَعظَمُهُم فِتنَةً. يَجِيءُ أَحَدُهُم فَيَقُولُ: فَعَلتُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: مَا صَنَعتَ شَيئاً. قَالَ: ثُم يَجِيءُ أَحَدُهُم فَيَقُولُ: مَا تَرَكتُهُ حَتى فَرَّقتُ بَينَهُ وبَينَ امرَأَتِهِ. قَالَ: فَيُدنِيهِ مِنهُ وَيَقُولُ: نِعمَ أَنتَ»**.

قال الأعمَشُ: أَرَاهُ قَالَ: **«فَيلَتزِمُهُ»**.

فهذا الوصال، لما كان أحب شيءٍ إلى الله ورسوله، كان أبغضُ شيءٍ إلى عدو الله، فهو يسعى في التفريق بين المتحابين في الله المحبة التي يحبها الله، ويؤلف بين الاثنين في المحبة التي يبغضها الله ويسخطها. والله تعالى أعلم.

دعاء ولطيفة:

قال عبد الله بن صالح رحمه الله تعالى: كان الليث بن سعد، إذا أراد الجماع خلا في منزل في داره ودعا بثوب يقال له الهركان، وكان يَلْبَسه إذ ذاك، وكان إذا خلا في ذلك المنزل، عُلم أنه يريد أمراً.

وكان إذا غَشِيَ أهله قال: اللهم شُدَّ لي أصله، وارفع لي صدره، وسهل عليّ مدخله ومخرجه، وارزقني لذَّته، وهب لي ذُرية صالحةً تقاتل في سبيلك. قال: وكان جهورياً، فكان يُسمع ذلك منه رضي الله عنه.

وقال الخرائطي: حدثنا عمارة بن وثيمة، قال: حدثني أبي، قال: كان عبد الله بن

ربيعة من خيار قريش صلاحاً وعفّة، وكان ذَكَرُه لا يرقد. فلم يكن يشهد لقريش خيراً، ولا شراً.

وكان يتزوج المرأة فلا تمكث معه إلا أياماً حتى تهرب إلى أهلها، فقالت زينب بنت عمر بن أبي سلمة: ما لهن يهربن من ابن عمهن؟ قيل لها: إنهنَّ لا يُطقنَهُ.

قالت: فما يمنعه مني؟ فأنا والله العظيمةُ الخلق، الكبيرة العجز، الفخمة الفرج.

قال: فتزوجها، فصبرت عليه، وولدت له ستة من الولد.

وقال حماد بن زيد، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، قال: كان لأنس بن مالك غلام، وكان شيخاً كبيراً، فرافعته امرأته إلى أنسٍ، وقالت: لا أُطيقه. ففرض له عليها ستة في اليوم والليلة.

فائدة: لابن الجوزي في ضرر الإسراف الجنسي

قال رحمه الله: من أعظم الضرر الداخل على الإنسان كثرة النساء.

إنه أولاً يتشتت همه في محبتهن، ومداراتهن وغيرتهن، والإنفاق عليهن، ولا يأمن إحداهن أن تكرهه وتريد غيره فلا تتخلص إلا بقتله.

ولو سَلِمَ من جميع ذلك لم يسلم في الكسب لهن، فإن سلم لم ينج من السآمة لهن أو لبعضهن.

ثم يطلب ما لا يقدر عليه من غيرهن، حتى أنه لو قدر على نساء بغداد كلهن، وقدمت امرأة مستترة من غير البلد، ظن أنه يجد عندها ما ليس عندهن. ولعمري، إن في الجدة لذة، ولكن رُبّ مستور إذا انكشف افتضح، ولو أنه سلم من كل أذى يتعلق بهن أنهك بدنه في الجماع، فيكون طلبه للالتذاذ مانعاً من دوام الالتذاذ.

ورب لقمة منعت لقمات، ورب لذة كانت سبباً في انقطاع لذات، والعاقل من يقتصر على الواحدة إذا وافقت غرضه، ولا بد أن يكون فيها شيئ لا يوافق، إنما العمل على الغالب، فتوهب الخلة الرديَّة للمجيدة.

وينبغي أن يكون النظر إلى باب الدين قبل النظر إلى الحُسن، فإنه إذا قل الدين لم ينتفع ذو مروءة بتلك المرأة، ومما يهلك الشيخ سريعاً، الجماع، فلا يغترّ بما يرى

من انبساط الآلة، وحصول الشهوة، وذلك مستخرج من قوته ما لا يعود مثله، فلا ينبغي أن يغتر بحركة وشهوة، ولا يقرب من النساء إن كان له رأي في البقاء. والله أعلم.

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى في «الشفا» (1/ 87): أما النكاح فمتفق فيه شرعاً وعادةً، فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة. والتمادح به سيرة ماضية. وأما في الشرع؛ فسُنَّة مأثورة. وقد قال ابن عباس ﷺ: أفضل هذه الأمة، أكثرها نساء. مشيراً إليه ﷺ وقد قال ﷺ: «**تناكحوا تناسلوا، فإني مُباهٍ بكم الأمم**».

ونهى عن التبتُّل، مع ما فيه من قمع الشهوة، وغض البصر، للذين نبّه عليهما ﷺ بقوله: «**من كان ذا طَولٍ فليتزوج، فإنه أغضّ للبصر وأحصَنُ للفرج**» حتى لم يرهُ العلماء مما يقدح في الزهد. قال ابن عبد الله: قد حُبّبنَ إلى سيِّد المُرسلين ﷺ، فكيف يُزهد فيهن؟ قال: وقد كان زُهّادُ الصحابة ﷺ كثيري الزوجات والسراري، كثيري النكاح، وحُكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم - ﷺ - غير شيء. وقد كره غير واحد أن يلقى الله عزباً.

قال: وكان ﷺ ممن أُقدِرَ على القوة في هَذا وأُعطي الكثير منه، ولهذا أُبيح له من عدد الحرائر، ما لم يُبح لغيره. وقد روينا عن أنس ﷺ، أنه ﷺ كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار، وهُن إحدى عشرة. قال أنس: وكُنَّا نتحدث أنه أُعطي قوة ثلاثين رجلاً. (أخرجه النسائي)، وروي نحوه عن أبي رافع.

وعن طاووسٍ: أُعطي عليه السلام قوة أربعين رجلاً في الجماع، ومثله عن صفوان بن سُليم. وقالت سلمى مولاته: طاف النبي ﷺ ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل أن يأتي الأخرى، وقال: «**هذا أَطيَبُ وأَطهَرُ**».

فائدة: لأحد الأطباء في ضبط المخطط الشهواني للمرأة.

قال: في الجماع المثالي يحاول الزوج اللبق مرافقة زوجته حسب ميولها ريثما يتوصل بالتدريج إلى إخضاع شهوتها لشهوته، وهنا تجدر الإشارة إلى أن المرأة تزداد حساسية وألفة كلما كررت الجماع الأصولي، كما تنجح في الحصول على الرعشة أسرع من السابق، حتى يأتي يوم تتحد فيها رعشة الزوجين، ويخيم الانسجام على سعادتهما الزوجية.

وعلى الزوج بعد الزفاف،، أن يبدأ بدرس خصائص عضوية المرأة، وأن يبذل جهده لإيصالها إلى الرعشة الكبرى مهما كلفته الظروف من جهود. فيحاول اكتشاف المناطق الحساسة فيها كي يشحنها بالإثارة المتتابعة، وأن يوقظ فيها الشعور لطلب الجماع، وعليه أن يتخلى عن أنانيته، وأن يسلك كل ما يسعد زوجته من لمس وتقبيل وضم ونحو ذلك، ليسعد زوجته وينعشها بفيض من اللذة الكاملة.

ومن شاء الاستزادة من الحب، عليه أن يسخى بأكثر، فالزوجة لا تعطي دون أن تأخذ. إذاً ليكن معلوماً لدى الزوج، أن التضحية الشخصية تعود عليه بأضعاف قيمتها، لأن إشباع شهوة المرأة وضبط مخطط متعتها، يغمرانه في المستقبل بفيض من السرور، أضف إلى ذلك استجابة زوجته لكل نداء جسدي يعتريه.

وعلى المرأة أيضاً، أن تعتبر المتعة المشتركة مع زوجها هي من المسائل التي تستحق الاهتمام، فتجتهد لمرضاته ومعرفة ما يسره ويرضيه من غير معصية، فإن ذلك أضمن للسعادة الزوجية، ولتعلم أن الوفاق الذي يتم بين أحضان الزوج، نادراً ما تزول سعادته في العشرة الزوجية.



﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: 164]

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر: 38 ـ 42].

وفي «الصحيح» إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، وبعد كل هذا هل إذا مات الإنسان وترك خلفه سُنَناً سيئة فهل يجازى عليها؟ ففي «الصحيح» قوله ﷺ: **«من سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة، فله أجرُها، وأجرُ من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئ، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّة سيئةً، كان عليه وزرها ووزر من عملَ بها من بعده، من غير أن ينقصَ من أَوْزارهم شيئ»**[1].

(1) قطعة من حديث طويل رواه الإمام أحمد (19177) ومسلم (1017) والترمذي (2675) وغيرهم، من طريق المنذر بن جرير، عن أبيه. وفيه قصة.

وفي «الصحيح» من طريق أيوب، عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: كنت عند عبد الله بن عمر، ونحن ننتظر جنازة أم أبان ابنة عثمان بن عفان، وعنده عمرو بن عثمان، فجاء ابن عباس يَقودُه قائدُه، قال: فأراه أخبره بمكان ابن عمر، فجاء حتى جلس إلى جنبي وكنتُ بينهما، فإذا صرت في الدار، فقال ابن عمر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الميتَ يُعَذَّبُ ببُكاءِ أهلِه عليه» فأرسلها عبدُ الله مُرسلةً، قال ابن عباس: كنا مع أمير المؤمنين عمر، حتى إذا كنا بالبَيداء إذا هو برجل نازِل في ظلّ شجرة، فقال لي: انطلق فاعلَمْ من ذاك. فانطلقت فإذا هو صُهَيب، فرجعتُ إليه، فقلتُ: إنك أمرتني أن أعلمَ لك من ذاك، وإنه صهيب. ـ فقال: مروه فلْيَلْحَق بنا. فقلتُ: إن معه أهلَه. قال: وان كان معه أهلُه ـ وربما قال أيوب: مُرْه فليَلحَقْ بنا ـ، فلما بلغنا المدينةَ لم يلْبث أميرُ المؤمنين أن أصيبَ، فجاء صهيبَ فقال: واأخاهُ، واصاحباه.

ـ فقال عمر: ألمْ تعلَمْ، أوَلَمْ تسمع ـ أو قال: أوَلم تعلم، أولم تسمع ـ أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «إنّ الميت ليُعذَّبُ ببعض بكاء أهله عليه»؟.

فأتيتُ عائشة فذكرت لها قولَ عمر، فقالت: لا والله[1]، ما قاله رسول الله ﷺ، أن الميت يعذب ببكاء أحدٍ، ولكن رسول الله ﷺ قال «إن الكافرَ ليَزيدُه الله ﷻ ببُكاء أهَلِهِ عذاباً» وإن الله لَهو أضحكَ وأبكى، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ [الأنعام: 164].

قال أيوب: وقال ابنُ أبي مليكة: حدثني القاسمُ قال: لما بَلَغ عائشةَ قولُ عمر وابن عمر، قالت: إنكم لتحدّثوني عن غير كاذبين ولا مكذّبين، ولكن السمعَ يخطئ.

❀ ❀ ❀

(1) قولها: «لا والله»، قال السندي: حَلَفَت على الظن، ولا إثم على الظن، وهي زعمت أن الحديث معارض للقرآن، فلا يمكن أن يكون من قوله ﷺ، وقد سمعت حديثاً آخر فزعمت أن هذا الحديث تغير منه، والحديث قد جاء من طرق كثيرة عن صحابة جديدة، فلا يمكن القول بأنه مما غلط فيه عمر أو ابنه، ولا معارضة بينه وبين القرآن بأن يحمل على ما إذا أوصى بالبكاء، أو علم من حال أهله أنهم يبكون ولم يوص بتركه، وقد ذكر العلماءُ له محاملَ أخر أيضاً.

لا تحزن إن لم تُصب من الدنيا ما أصابه غيرك

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: 22 ـ 23].

لا تحزن أخي الكريم، إن لم تكن مثل أصحاب الغنى والجاه والسلطان، فكُلٌّ محاسب على قدر ما رُزق من نِعم، مادية كانت أم معنوية. واقنع بما قسمه الله تعالى لك من الخير والنِّعَم التي لا تُعَّد ولا تُحصى. واشكر مولاك على ما حباك به واصطفاك به على غيرك. وبالشكر تدوم النعم، وتزيد. وبالكفران تذهب وتضمحل. ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

روى «الصحيح» من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدرُ أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»**[1].

وفي لفظ للبخاري: **«إذا نظر أحدكُم إلى من فُضِّلَ عليه في المال والخَلْقِ، فلينظُرْ إلى من هو أسفل منه مِمن فُضِّلَ عليه»**.

قال ابن بطال ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا الحديث جامع لمعاني الخير لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهداً فيها إلا وجد من هو فوقه، فمن طلبت نفسه اللحاق به استقصر حاله فيكون أبداً في زيادة تقربه من ربه، ولا يكون على حال خسيسة من الدنيا إلا وجد من أهلها من هو أخس حالاً منه، فإذا تفكَّر في ذلك علم أن نعمة الله إليه دون كثير ممن فضل بذلك من غير أمر أوجبه، فيلزم نفسه الشكر، فيعظم اغتباطه بذلك في معاده. وقال غيره: في هذا الحديث دواء الداء لأن الشخص إذا نظر إلى من هو فوقه لم يأمن أن يؤثر ذلك فيه حسداً، ودواؤه أن ينظر إلى من هو أسفل منه ليكون ذلك داعياً إلى الشكر.

قال في «الفتح»: وقد وقع في نسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه قال: «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً: من نظر في دنياه إلى من هو دونه

---

(1) رواه الإمام أحمد (7449) والبخاري (6490) ومسلم (2963)، وغيرهم واللفظ لأحمد.

فحمد الله على ما فضله به عليه، ومن نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به». وأما من نظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته فإنه لا يكتب شاكراً ولا صابراً.

❀ ❀ ❀

الكذب وأمراض النفس والجسد

إن من أسوء ما يتصف به المرء من صفات، صفة الكذب. فهو ممقوت عند رب السماء والأرض، وساقط من أعين الناس، مضطرب في نفسه، يكاد لا يهدأ له بال. ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [التوبة: 42]. ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [التوبة: 107]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: 3].

وفي «الصحيحين» قوله ﷺ: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنّة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً**».

وفي «السنن» قوله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الكذب ريبة والصدق طمأنينة**».

لقد أثبت علم النفسي الحديث أن الإنسان السوي هو الذي يحيا على الفطرة السليمة الخالية من الشوائب التي تعكر صفو المناخ الفطري، فتعكر صفو النفس والجسد والعقل... ومن تلك الشوائب الكذب الذي يلجأ إليه الشخص، ليحقق بعض أغراضه ومطامعه، فيصير في حالة من القلق والهموم التي هي بالتالي تحدث تغيرات عضوية وأمراضاً حقيقية تضر بالصحة ضرراً بالغاً.

وقد جاء في تقرير علمي: إن القلق والضغوط النفسية لا تسهِّل الإصابة بالسرطان فحسب، بل إنها تساعد المرض على الانتشار إلى بقية أجزاء الجسم؛ ولذلك فإن منع مسببات التوتر العصبي والقلق هو الحل الأمثل لمنع الإصابة بالأمراض.

وحيث إن القلق والضغوط أحد مسبباتها الرئيسية الكذب برغم ما يتصوره الكاذب على أنه هداية للطريق السليم والخلاص من المواقف المعقدة والتصرف تجاهها بيسر وسهولة. ويعتبر علماء النفس المحدثون أن الكاذب الذي يتخذ من الكذب وسيلة

لتحقيق مطامعه ومآربه. مريض؛ لأنه لم يستطع أن يحقق ذلك عن طريق الصدق، ولو عالج نفسه بنفسه، وصلحت حالته النفسية لم يلجأ إلى الكذب الذي يجر عليه متاعب نفسية وهو لا يدري، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 9].

وتشير التقارير النفسية إلى أن حياة الكاذب تتسم بالقلق والاضطراب النفسي، وباعثه على ذلك هو الخوف الدائم من افتضاح أمره.. ويظل هذا الباعث بداخله يستأصل من نفسه الطمأنينة والسكينة.. وذلك على النقيض من الإنسان الصادق الذي يتحرّى الصدق في أقواله وأفعاله، حيث يستمتع بحياة نفسية مطمئنة سعيدة.

ويخلص علم النفس الحديث إلى تلك النتيجة وفحواها:

أن الكاذب بعيد عن الطمأنينة النفسية؛ لأن النفس الإنسانية بطبيعتها جبلت على الفطرة.. ورغم أن الكاذب يتمادى في كذبه حتى يتصور أن الكذب هو الأسلوب الأمثل فإن طبيعة النفس الفطرية تصطرع معه، فتشعره بالقلق وعدم الاطمئنان لمسلكه الذي سلكه بالكذب، فضلاً عن ذلك، فإن الكاذب يعيش في شك لا يثق في أحد، ويتصور أن الناس مثله يكذبون.

ويضيف أحد البحوث العلمية من أمريكا هذه النتيجة:

أنه كلما كانت الكذبة شنيعة كان التأثير أشد وأنكى على الجسد.. فضلاً عن أن الكذب في عمومه. قد يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم وأمراض عضوية أخرى.

من ذلك كله نتبين أثر الكذب في النفس وسلبها سكينتها وطمأنينتها، وبالتالي يمكننا أن ندرك الأثر الطيب للصدق عندما تتحراه النفس في حياتها، وهذا ما سبق أن قرره الرسول ﷺ في أحاديثه الشريفة من أكثر من أربعة عشر قرناً. (ك) بتصرف.



فصاحة وموعظة

الحمدُ لله الذي بسط الأرض الأريضة الفسيحة، وقدّر الأعمال والأقوال الفصيحة، الحسنة والقبيحة، وخاطب فتكاليفه خاطرة ومبيحة، وحمّل عبء التعب، فما نفس عاقل مستريحة، حرّم الميتة والمخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، وتدارك جسدَ

الآدمي لئلا ينحلَ وينحلّ فأحلَّ له الذبيحة، أفقرَ وأغنى فمن شكر فمعينة، تشكو العطش وتشكو الغرقَ البطيحة، أنْعَمَ فكم أسدى نعمةً وكم أعطى منيحة، وزجر فردّ بمواعظه إلى الصواب القلوب المشيحة، وعرَّض العبادَ لمعاملته فمتاجرته ربيحة، جزيل العطا فربّما وُهب الجنّة بتسبيحة، قضى الديونَ وفكّ الرهون فأقرّ العيون القريحة، وفارقَ بين الخلائق في الأحداق فأبلد وذو قريحة، أقام البراهين على وحدانيّته فالدلالات مريحة، ظاهرة للأبصار بادية للأفكار صريحة، لقد تجلّى لخلقه بخلقه فَجَحْد وجوده فضيحة، الصامت يدلّ بحالاته والناطق بمقالاته الفصيحة، كم أبرز عروس غروس على عروش مليحة، وكم أخرج وجوهاً من النبات على اختلاف الألوان صبيحة، وكم أقام الوُرْقَ على الوَرَقِ تصدح وتمدح فاسمع تمديحه، والنرجسُ متبرج والجُنبذُ يكتم ريحَهْ، وطيبُ الربيع مختلف والبدوي يحبّ الشيحة، والطير في بحر الهدى تخرق بمجاذيف أجنحتها ريحة، وما من منذر إلاّ وتصيح على باب دار الهوى نصيحة، وكلّ مخلوقٍ في الأرض والطول والعرض، «﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾» [النور: 41]. (ج).

❀ ❀ ❀



قصة وطرفة

كم وكم هي عظيمة رحمة النَّبيِّ ﷺ، وما أوسعها من رحمة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، ﴿. . . بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

لم يكن ـ عليه الصلاة والسلام ـ معنِّفاً، ولا متعنتاً، ولا صخَّاباً، ولا لعَّاناً، ولا فاحشاً، ولا مُتفحشاً، كان مُسامحاً رحيماً جوَّاداً كريماً. . .كان ولم يكن أحد مثله، ولن يأتي أحد مثله، ولم ولن يخلق الله مثله.

فعن المقداد بن الأسود ـ ؓ ـ قال: أقبلتُ أنا وصاحبانِ لي قد ذَهَبَت أسماعُنا وأبصارُنا من الجَهْد، قال: فجعلنا نَعرِضُ أنفُسَنا على أصحاب رسول الله ﷺ ليس أحد يَقبَلُنا، قال: فانطَلَقْنا إلى رسول الله ﷺ، فانطلق بنا إلى أهلِه، فإذا ثلاثةُ أَعنُزٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**احتَلِبُوا هذا اللَّبَنَ بينَنا**» قال: فكنَّا نَحتلِبُ فيشرب كلُّ إنسانٍ نَصِيبَه، ونَرفَعُ لرسول الله ﷺ نصيبَه، فيَجِيءُ من الليل فيُسلِّمُ تسليماً لا يُوقِظُ نائماً، ويُسمِعُ اليَقْظانَ، ثم يَأْتي المسجدَ فيُصلِّي، ثم يأتي شرابَه فيَشربُه.

قال: فأتاني الشيطانُ ذاتَ ليلةٍ، فقال: محمَّدٌ يأتي الأنصارَ فيتحِفُونَه، ويُصِيبُ عندَهم، ما به حاجَةٌ إلى هذه الجُرْعةِ، فاشْرَبْها. قال: ما زال يُزيِّنُ لي حتى شربتُها، فلما وَغَلَتْ في بطني، وعَرَفَ أنه ليس إليها سَبيل، قال: نَدَّمَني، فقال: وَيْحكَ ما صنعتَ، شربتَ شرابَ محمَّدٍ، فيَجيءُ ولا يَراه، فيَدعُو عليك فتَهلِكُ، فتَذْهَبُ دُنْياك وآخِرتُك؟!

قال: وعَليَّ شَمْلةٌ من صوفٍ كلما رُفِعَت على رأسي خَرجت قدَمايَ، وإذا أُرسِلَت على قدمي، خَرَج رأسي، وجعل لا يَجِيءُ لي نوم. قال: وأمَّا صاحباي فناما، فجاءَ رسولُ الله ﷺ فسَلَّمَ كما كان يُسلِّمُ، ثم أَتى المسجدَ فصلَّى، فأَتَى شرابَه فكشَفَ عنه فلم يَجِدْ فيه شيئاً، فرَفَعَ رأسَه إلى السماء.

قال: قلتُ: الآنَ يدعو عليَّ فأهلِكُ، فقال: «اللهُمَّ أَطعِمْ مَن أطعَمَني، واسْقِ مَن سَقَاني» قال: فعَمَدْتُ إلى الشَّمْلة، فشَدَدْتُها عليَّ، فأخذتُ الشَّفرةَ فانطلقتُ إلى الأَعنُزِ أجسُّهُنَّ أيُّهنَّ أسمنُ، فأذبَحُ لرسول الله ﷺ، فإذا هُنَّ حُفَّلٌ كلُّهنَّ.

فعَمَدْتُ إلى إناءٍ لآل محمدٍ ما كانوا يَطمَحُونَ أن يَحلُبُوا فيه، فحَلَبتُ فيه حتى عَلَتْه الرَّغْوة، ثم جئتُ به إلى رسول الله ﷺ فقال: «أمَا شَرِبتُم شَرابكُم الليلةَ يا مِقْدادُ؟» قال: قلتُ: اشرَبْ يا رسول الله، فشَرِبَ، ثم ناوَلَني، فقلتُ: يا رسول الله، اشرَبْ، فشربَ ثم ناوَلَني، فأخذتُ ما بَقِيَ فشربتُ، فلما عرفتُ أن رسول الله ﷺ قد رَوِيَ فأصابَتْني دعوتُه، ضَحِكتُ حتى أُلقِيتُ إلى الأرض، قال رسول الله ﷺ: «إحْدى سَوْآتِكَ يا مِقدادُ».

قال: قلتُ: يا رسول الله، كان من أَمري كذا، صنعتُ كذا، فقال رسول الله ﷺ: «ما كانَتْ هذه إلا رَحْمةً مِن الله، أَلا كنتَ آذَنتني نُوقِظُ صاحِبَيكَ هذَينِ فيُصيبانِ منها» قال: قلتُ: والَّذي بَعَثَك بالحقِّ، ما أُبالي إذا أَصَبْتَها وأَصبتُها معك، مَن أصابها من الناسِ[1].



(1) رواه الإمام أحمد (23873) ومسلم (2055) والترمذي (2719)، وغيرهم.

لا تحزن فإنك من أمّة باقية حتى قيام الساعة

كم من أُمَّة هلكت ومضت، وتلك آثارهم تشهد عليهم. أما أمَّة الإسلام فباقية بقاء الأرض والسماء. فعن عامر بن سعدٍ، عَن أَبِيه؛ أَن رسُول الله ﷺ أَقبلَ ذاتَ يَوم مِن العَالِية، حتَّى إذَا مَرّ بِمسجِدِ بِني مُعاوية، دَخَلَ فركع فِيه ركعتَين، وصلّينَا معَه. وَدَعَا رَبّه طَوِيلاً، ثُم انصرَفَ إِلَينا. فقال ﷺ: **«سألت ربّي ثلاَثاً. فَأعَطانِي ثِنتينِ وَمَنعنِي واحِدةً. سَألتُ ربّي أن لاَ يُهلك أُمّتي بالسنَة فَأعطانِيهَا. وسأَلتُهُ أَن لا يُهلكَ أُمّتي بالغرَق فَأعطانِيهَا. وَسألتُهُ أَن لاَ يجعلَ بَأسَهم بَينهُم فمَنَعنِيها»**[1].

❀ ❀ ❀

ليس بالأماني تنال الجنة

تفاخر المؤمنون في المدينة المنورة، واليهود. فقالت اليهود: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أحق بالله منكم!

وقال المؤمنون: نبينا خاتم النبيين، وكتابنا يقضي على سائر الكتب! فأنزل الله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 123].

روى الإمام أحمد (7390)، ومسلم (2574)، والترمذي (3038) وغيرهم، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: لما نزلت: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: 123]، بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً. فقال رسول الله ﷺ: **«قارِبوا وسَدِّدوا، ففي كل ما يُصابُ به المسلم كفّارةٌ. حتى النكبة يُنكَبُها أو الشوكةِ يُشاكُها»**.

ومعنى قوله ﷺ: **«قاربوا»** أي اقتصدوا، فلا تغلوا ولا تقصروا بالعمل، بل توسطوا **«وسددوا»** أي اقصدوا السداد، وهو الصواب، وأما النكبة: فهي مثل العثرة يعثرها المرء برجله، وربما جرحت إصبعه، عافانا الله تعالى من ذلك وعفا عنا.

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: من وقف على موجب الحس

(1) رواه الإمام أحمد (1516) ومسلم (2890)، وغيرهما.

هلك. ومن تبع العقل سلم، لأن مجرد الحس لا يرى إلا الحاضر وهو الدنيا. وأما العقل فإنه ينظر إلى المخلوقات، فيعلم وجود الخالق ويعلم أنه قد منح وأباح وأطلق وحظر، وأخبر أني سائلكم ومبتليكم ليظهر دليل وجودي عندكم بترك ما تشتهون طاعة لي. وإني قد بنيت لكم داراً غير هذه لإثابة من يطيع وعقوبة من يخالف. ثم لو ترك الحس وما يشتهي مع أغراضه قرب الأمر، إنما يزني فيُجلد، ويشرب الخمر فيُعاقب، ويسرق فيُقطع ويفعل ذلة فيُفضح بين الخلق، ويعرض عن العلم إلى البطالة فيقع الندم عند حصول الجهل.

ثم إنا نرى الكثير ممن عمل بمقتضى عقله قد سلمت دنياه وآخرته، وميز بين الخلق بالتعظيم، وكان عيشه في لذاته غالباً خيراً من عيش موافق للهوى. فليعتبر ذو الفهم بما قلت، وليعمل بمقتضى الدليل وقد سلم.

لا خير في لذة من بعدها النار:

قال: تذكرت في سبب دخول جهنم فإذا هو المعاصي. فنظرت في المعاصي فإذا هي حاصلة من طلب اللذات. فنظرت في اللذات فرأيتها خدعاً ليست بشيء وفي ضمنها من الأكدار ما يصيِّرها نغصاً فتخرج عن كونها لذّات. فكيف يتبع العاقل نفسه ويرضى بجهنم لأجل هذه الأكدار؟ فمن اللذات الزنا، فإن كان المراد إراقة الماء فقد يراق في حلال. وإن كان في معشوق فمراد النفس دوام البقاء مع المعشوق، فإذا هي ملكته فالمملوك مملول.

وإن هو قاربه ساعة ثم فارقه فحسرة الفراق تربو على لذة القُرب. وإن كان ولد له من الزنا فالفضيحة الدائمة والعقوبة التامة، وتنكيس الرأس عند الخالق والمخلوق.

وأما الجاهل فيرى لذته في بلوغ ذلك الغرض، وينسى ما يجني مما يكدر عَيْش الدنيا والآخرة. ومن ذلك شرب الخمر، فإنه تنجيس للفم والثوب، وإبعاد للعقل، وتأثيراته معلومة عند الخالق والمخلوق. فالعجب ممن يؤثر لذة ساعة تجني عقاباً وذهاب جاه، وربما خرج بالعربدة إلى القتل. وعلى هذا فقس جميع المذوقات، فإن لذاتها إذا وُزنت بميزان العقل لا تفي بمعشار عشير عواقبها القباح في الدنيا والآخرة. ثم هي نفسها ليست بكثير شيئ فكيف تباع الآخرة بمثل هذا! سبحان من أنعم على أقوام، كلما لاحت لهم لذة نصبوا ميزان العقل ونظروا فيما يجنى وتلمحوا ما يؤثر

تركها فرجحوا الأصلح. وطمس على قلوب فهي ترى صورة الشيئ وتنسى جناياته. ثم العجب أن نرى من يبعد عن زوجته وهو شاب ليعدو في الطريق فيقال: ساعٍ فيغلب هواه لطلب ما هو أعلى وهو المدح. كيف لا يترك محرماً ليمدح في الدنيا والآخرة؟.

ثم قدِّر حصول ما طلبت من اللذات وذهابها واحسب أنها قد كانت وقد هانت وتخلصت من محنها أين أنت من غيرك؟ أين تعب عالم قد درس العِلم خمسين سنة؟ ذهب التعب وحصل العلم، وأين لذة البطال؟ ذهبت الراحة وأعقبت الندم.

❀ ❀ ❀

لا تحزن... فمهما حاولوا السخرية من شخصية رسولك ﷺ فسوف يبقى هو وحده الرجل الأول في الدنيا والآخرة

صلى الله تعالى عليك يا سيدي يا رسول الله. يا من أرسلك الله تعالى رحمة للعالمين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]. لقد كنت وما زلت وسوف تبقى النموذج البشري الأوحد للمُثل العليا ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، ومهما حاول أعداء الدين من اليهود والنصارى والمجوس والمنافقين، تشويه صورة رسول الله ﷺ وتعاليمه، فسوف يبقون أقزاماً أمام شخصه ﷺ. فقد شهد له بالمثالية مفكّريهم وقادتهم وساستهم.

روى الإمام أحمد (2370) والبخاري (7) ومسلم (1773)، وغيرهم، واللفظ للبخاري، من طريق شُعَيب عَن الزهري قال: أخبَرَني عُبَيدُ الله بنُ عبدِ الله بن عُتبَةَ بنِ مَسعُود أن عبدَ الله بنَ عباس أخبرهُ أنَ أبا سُفيانَ بنَ حَرب أخبرَهُ أن هِرَقلَ أرسَل إِلَيهِ في رَكْب مِنْ قُرَيْشٍ، وكانوا تجاراً بالشامِ في المُدّةِ التي كان رسولُ الله ﷺ مادّ فيها أبا سُفيَانَ وكُفارَ قُريشٍ، فأتوهُ وَهُم بإيلياءَ، فدعاهُم في مَجلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَماءُ الرّومِ، ثم دَعاهُم وَدعَا بِتَرجُمانِهِ فقالَ؛ أيّكم أقرَبُ نَسَباً بِهذا الرّجُلِ الذي يَزعُمُ أنّهُ نَبِيٌّ؟

فقال أبو سُفيانَ: فقلتُ أنا أقرَبُهم نَسَباً. فقال: أدنوهُ مِني وَقَرّبوا أصحابه فاجعَلُوهُم عندَ ظَهْرِهِ. ثم قال لِتَرجُمانِهِ: قُل لهم إنّي سائِل هذا الرّجُلَ، فإن كَذَبَني

كذِّبوه. فَوالله لَولا الحَياءُ مِن أن يأثِروا عَلَيّ كَذِباً لَكَذَبتُ عنهُ. ثُمَّ كانَ أَوّلَ ما سَألَني عنهُ أن قال: كَيفَ نَسَبُهُ فيكم؟ قلتُ: هوَ فينا ذُو نَسَب.

قال: فهل قال هذا القَولَ منكم أحَد قَطّ قَبلَه؟ قلتُ: لا. قال: فهل كانَ مِنْ آبائِه مِن مَلِكٍ؟ قلت: لا. قال: فأشرافُ الناس يَتبعونَهُ أم ضُعَفاؤهُم؟

فقلتُ: بَل ضُعَفَاؤهُم. قال: أيَزيدونَ أم يَنقُصون؟ قلتُ: بَل يَزِيدون. قال: فهل يَرتَدّ أحَد منهم سَخطَةً لِدِينهِ بعدَ أن يَدخُلَ فيه؟ قلتُ: لا. قال: فهل كُنتم تتهمونه بالكذِبِ قبلَ أن يقولَ ما قال؟ قلتُ: لا.

قال: فهل يَغدِرُ؟ قلتُ: لا، ونحنُ منهُ في مُدّةٍ لا نَدرِي ما هو فاعِل فيها. قال: ولم تُمكِنّي كلِمة أُدخِلَ فيها شَيئاً غير هذِهِ الكلمة. قال: فهل قاتَلتُموهُ؟ قلتُ: نعم. قال: فكيفَ كان قِتالُكم إيّاهُ؟ قلت: الحربُ بَينَنا وبينَهُ سِجالٌ، يَنالُ مِنا وَننالُ منه.

قال: ماذا يَأمُرُكم؟ قلتُ: يَقولُ اعبُدُوا الله وَحدَهُ ولا تشرِكوا بِهِ شيئاً، واترُكوا ما يَقولُ آباؤكم. وَيَأمرنا بالصلاةِ وَالصِّدقِ وَالعَفافِ والصّلَة.

فقال للترجمان: قُل له سألتك عن نسبه فذكرتَ أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرُّسُل تُبعثُ في نسبِ قومها، وسألتك هل قال أحدٌ منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت لو كانَ أحَدٌ قال هذا القولَ قَبلَهُ لقُلتُ رَجُل يَأتَسِي بقولٍ قيلَ قبلَه.

وسألتُكَ هل كان مِن آبائه مِنْ مَلِكٍ؟ فذكرت أن لا، قلتُ فلو كان مِن آبائِه مِن مَلِكٍ قلتُ رَجُل يَطلُبُ مُلكَ أبيهِ. وسألتُكَ هل كنتم تتهمونَهُ بالكَذِبِ قبلَ أن يَقولَ ما قالَ؟ فذَكرتَ أن لا، فقد أعرفُ أنهُ لم يكن ليذَرَ الكَذِبَ على الناسِ ويكذِبَ على الله.

وسألتُكَ أشرافُ الناس اتّبعوهُ أم ضُعَفاؤهُم؟ فذكرتَ أن ضُعَفاءَهُم اتَّبعوه، وهم أتباعُ الرّسُل، وسألتُكَ أيَزيدُونَ أم يَنْقُصون؟ فَذكرتَ أنهم يَزيدُون، وكذلِكَ أمرُ الإيمانِ حتى يَتمّ. وسألتُكَ أيَزيد أحدٌ سَخطَةً لِدِينهِ بعدَ أن يَدخُلَ فِيهِ؟ فذكرتَ أن لا، وكذَلِكَ الإيمانُ حِينَ تُخالِط بَشاشَتُه القلوب.

وسألتُكَ هل يَغدِرُ فذكرتَ أن لا، وكذلك الرُّسُل لا تَغدِرُ. وسألتُكَ بما يَأمُرُكم فذكرتَ أنه يأمُرُكم أن تعبُدوا الله ولا تُشرِكوا به شيئاً ويَنهاكم عن عِبادةِ الأوثانِ ويأمُرُكم بالصَّلاةِ والصّدقِ والعَفافِ.

فإن كانَ ما تقولُ حَقاً فسَيَملِكُ مَوضِعَ قَدَميَّ هاتَين. وقد كنتُ أَعلمُ أنه خارجٌ لم أكُن أظُنُّ أنه منكم، فلو أني أعلَمُ أنِّي أخلُصُ إليه لَتَجَشَّمتُ لِقاءَه، ولو كنتُ عندَهُ لَغَسَلتُ عن قَدَمَيهِ...» الحديث.

❀ ❀ ❀



فوائد وعبر

ـ إنما يجد المشقة في ترك المألوفات والعوائد مَن تركها لغير الله. أما من تركها صادقاً مخلصاً من قلبه لله، فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلة لِيُمْتَحَنَ أصادق هو في تركها أم كاذب؛ فإن صبرَ على تلك المشقة قليلاً استحالت لذة. قال ابن سيرين[1]: سمعت شريحاً[2] يحلف بالله ما ترك عبد لله شيئاً فوجد فقده. وقولهم: مَن ترك لله شيئاً عوّضه الله خيراً منه حق. والعوض أنواع مختلفة، وأجَلّ ما يُعوّض به: الأنسُ بالله، ومحبتُه، وطمأنينة القلب به، وقوّتُه، ونشاطه، وفرحه، ورضاه عن ربه تعالى.

ـ أغبى الناس مَن ضَل في آخر سفره وقد قارب المنزل.

ـ العقول المؤيدة بالتوفيق ترى أن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق الموافق للعقل والحكمة. والعقول المضروبة بالخذلان ترى المعارضة بين العقل والنقل وبين الحكمة والشرع.

ـ أقرب الوسائل إلى الله: ملازمة السنّة، والوقوف معها في الظاهر والباطن، ودوام الافتقار إلى الله، وإرادة وجهه وحده بالأقوال والأفعال، وما وصل أحد إلى الله إلا من هذه الثلاثة، وما انقطع عنه أحد إلا بانقطاعه عنها أو عن أحدها. (ق).

❀ ❀ ❀

(1) هو محمد بن سيرين البصري مولى مالك بن أنس، تابعي اشتهر بالفقه وتفسير الأحلام (ت 110 هـ).

(2) هو شريح بن الحارث الكندي تولى القضاء لعمر وعلي (ت 78 هـ).

آهات حزين

تَقَطَّعَ قلبُه أسفاً ... فأضحى للأسى هدفاً

وباح بكلِّ ما أخفى ... فليس بما أجنّ خفا

وما يُجدي الجُحودُ له ... إذا ما دمعُه اغترفا

زفيرٌ لا ينني وحشاً ... إذا ذُكر الفراقُ هفا

وعينٌ دمعُها جارٍ ... إذا نهنهته وكفا

لها دمعانِ ورديٌّ ... وآخر كالجُمان صفا[1]



أساس الخير

«اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا رادّ لما قضيت، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ». كلمات اعتاد رسول الله ﷺ أن يقولها عقب كل فريضة، وليسنَّها لأمته، سُنَّةً تزيد من إيمانهم، وتقوي يقينهم على خالقهم، ومُدبّر أمورهم.

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: أساسُ كل خير: أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. فتتيقن حينئذٍ أن الحسنات من نِعَمِه، فتشكره عليها وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يَكِلْكَ[2] في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك.

وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبده. وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكِلَك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك.

---

(1) الأبيات لمرشد بن المقلد بن نصر.

(2) **يكلك: يتركك.**

فإذا كان كل خير، فأصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد؛ فمفتاحه الدعاء والافتقار وصِدْقُ اللجأ والرغبة والرهبة إليه. فمتى أعطى العبدَ هذا المفتاح فقد أراد أن يفتحَ له، ومتى أضلّه عن المفتاح بقي بابُ الخير مُرتجاً[1] دونه.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: إني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكن همّ الدعاء، فإذا أُلهمت الدعاء فإن الإجابة معه.

وعلى قدرِ نيّةِ العبد وهمّته ومراده ورغبته في ذلك، يكون توفيقه سبحانه وإعانته. فالمعونة من الله تنزل على العبد على قدر هِمَمِهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك.

فالله سبحانه أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به، والخذلان في مواضعه اللائقة به، وهو العليم الحكيم.

وما أُتيَ من أُتي إلا من قِبَلِ إضاعة الشكر، وإهمال الافتقار والدعاء. ولا ظَفِرَ مَن ظَفِرَ بمشيئة الله وعونه إلا بقيامه بالشكر، وصدق الافتقار والدعاء. وملاك ذلك الصبر؛ فإنه من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس فلا بقاء للجسد. (ق).



لا تحزن فكاشِفُ الهمّ والكُربِ سميعٌ مجيبٌ

الحمد لله الذي أجزل النعم وبثَّها بَثّا، فكم كشف كَرْباً وكم رفعَ بَثّا، وكم قوّى أَمَلاً كان قد رَثّا، أنزل من السماء ماءً فسقى حرثا، وأخرج لَبَناً قد جاوَرَ دماً وفرثا، فردّى به نفوساً كانت عطشى غرثى، أنشأ الجبال صُمّاً ثم يعيدها هباءً مُنْبَثّا، كَمَّلَ الرجلَ ونقّص وحَيَّر الخنثى، وكم سلب طفلاً وما بلغ بعد حِنْثا، وجازى بالأعمال فيها يثنى ويثنى، أقام العابدون يبعثون نوق الجد يحذرون بعثا، فكلّما حرّكهم الخوفُ زادوا المطيّ حَثّا، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: 195]. (ج).

❁ ❁ ❁

دع التثاقل... وامشِ قُدماً

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: 11].

وفي «الصحيحين» عن حديث أبي هريرة ـ ﷺ ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«قال الله أنا عند ظن عبدي بي»**، وفي لفظ عند ابن حبان بزيادة: **«إن ظنَّ بي خيراً فلهُ، وإن ظنَّ شراً فلهُ»**. كن واثقاً بالله تعالى، واقبل ولا تردد. فإن أقبلت على ربك، أقبل الله تعالى عليك، وضمّك إلى زمرة عباده المجتهدين.

أخي الكريم زاحمْ باجتهادك المتقين، وسِرْ في سَرَب أهل اليقين، هل القومُ إلا رجال طرقوا بابَ التوفيق ففتح لهم، وما نيأس لك من ذلك.

إذا أعجبتك خصالُ امرئ ... فكُنْه يكن منك ما يُعْجبكْ

فليس على الجُود والمكرمات ... إذا جئتها حاجبٌ يَحْجبكْ

لقد رضيت لنفسك الغَبينة، وبعتَ الدار الشريفة بالدار المهينة، وأعجبك مع عقلك ما يعجب الأطفال من الزِّينة، أتراك ما علمت أن الدنيا صحبة سفينة، إن ذُكر الصالحون فلست فيهم، وإن عُدَّ الأبرار فما أنتَ معهم، وإن قام العُبَّاد لم تُرَ بَيْنهم، ويحك أتطمع في الحصاد ولا بَذْر لك، أترجو الأرباح ولا تجارة معك، تَبني بلا أساس ولا يثبت البناء، وتحمل على عسكر الهوى بلا عَزْم فلا تصل إلى مراد، ويحك دُمْ على الحِمْيَة يَزُلْ أثرُ التخليط، واستوثق من عَقْد العَزْم خوفاً أن ينحلّ، فإن عرض تقصير يوهِن فاستدرك تُعَنْ.

إذا ما عقدتَ العَقْد ثم تركتَه ... ولم تَثْنه عَقْداً وهَى ذلك العقدُ

وما اليدُ لولا أختها بقويةٍ ... ولا الرِّجْل لولا الرِّجل تمشي ولا تَعْدو

ولا كل محتاج إلى ما يَشُدُّه ... فيَعْسِف إلا والوَهَاء له وَكْدُ

ترفَّع عن التَّعْذير غير مذمَّم ... إلى شرف الإعذار يَخْلص لك الحمدُ

ويحك ضاق الوقت فمتى تتزود، تعب الرائض وما تترك المتعوَّد.

عجبتُ للطالب الأمرِ البصير بما فيه ... من الغيّ إذ يسعى لها طلبَا

وللمُكبِّ على مالٍ يثمِّره ... وسوف يصبح منه المالُ منتَهبَا

وللمداوي ضَنى جسمٍ عرّاه وقد ... دعا إلى نفسه الأوجاعَ والوصبَا

فـذكِّـر الـنـفـسَ هَـوْلاً أنـت راكـبـه وكُـرْبـةً سـوف تـلـقـى بـعـدهـا كُـرَبَـا
لا تَـحْـقـرن مـن الآثـام مـحـتـقـراً كل امرئ سوف يُجْزَى بالذي اكتسبَا
إذا أتـيـت الـمـعـاصـي فـاخـشَ غـايـتَـهـا مـن يَـزْرع الـشـوكَ لا يَـحْـصـد بـه عِـنـبَـا

لتَعْظمن على أهل المخالفات الآفات، ولتقطعنّ أفئدة المفرّطين بالزفرات، وليشْتهرنّ الفاجر في الخلوات بالجلوات، ولتَمُورنّ السُّوق يوم السَّوْق إلى سُوق المحاسبات، ولتسيلَنَّ الدماء بعد الدموع على الوجنات، وليتحسرنّ أهل المعاصي إذا لاحت درجاتُ الجنات، وليناديَن منادي الجزاء يُخْبر بتفاوت العطاء ووقوع السيئات ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [الجاثية: 21] (ج) بتصرف.

حذار حذار من أكل مال الحرام

«يا بني آدم إني حرَّمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا..» وأكل مال الغير بغير حق، من الحرام المحرم الذي حرمه الشارع الكريم، وتوعّد صاحبه بمصير شاق وصعب، وعذاب شديد.

ففي «الصحيح» من حديث أبي هُرَيرَةَ رَضيَ الله عَنهُ، أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«أَتَدْرُونَ مَا المُفلِسُ»؟**

قَالُوا: المُفلِسُ فِينَا مَن لا دِرهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، فَقَالَ: **«إن المُفلِسَ من أُمَّتي، يَأتي يوم القِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَام وَزَكَاة، وَيَأْتِي قد شَتَمَ هذَا، وَقَذَفَ هذَا، وَأَكَلَ مَالَ هذَا، وَسَفَكَ دَمَ هذا، وَضَرَب هذَا، فَيُعطي هذَا من حَسَنَاتِهِ، وَهذا من حَسَناتِهِ، فَإن فَنِيَت حَسَنَاتُهُ، قبلَ أَن يُقضَى مَا عَلَيهِ، أُخِذَ من خَطَايَاهُم فَطُرِحَت عَلَيهِ، ثُمَّ طُرِحَ في النّارِ»**[1].

ـ وعن المستَورِد بنِ شَدّادٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، أن النبيّ ﷺ قَالَ: **«مَن أكل بِرَجُلٍ أَكلَةً، فَإِنَّ اللهَ يُطعِمُهُ مِثلَهَا من جَهَنَّمَ، فإن كُسِيَ بِرَجُل ثَوباً، فَإن الله يَكسُوهُ مِثْلَهُ من جَهَنَّم، وَمَن قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سُمعَةٍ، فَإن الله يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سُمعَةٍ وَرِيَاءٍ يَومَ القِيَامَةِ»**[2].

---

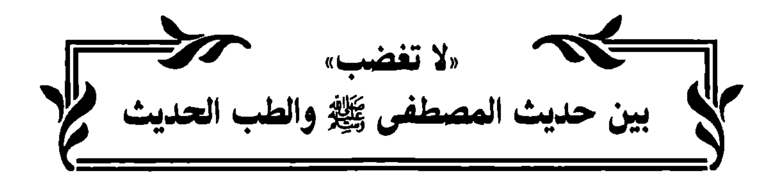
(1) رواه الإمام أحمد (8422) ومسلم (2581)، وغيرهما.

(2) رواه أبو داود (4881) وأبو يعلى (6858)، وإسناده حسن.

قوله ﷺ: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة. .**» الحديث. معناه: أن هذا حقيقة المفلس. وأما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلساً وليست هي حقيقة المفلس، لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته، وربما انقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته.

وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث، فهو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه، ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه. والله تعالى أعلم. قاله الإمام النووي رحمه الله تعالى.

وقوله ﷺ: «**من أكل برجل أكلة. .**» أي من وشى لدى السلطان بمظلوم ليأكل منه بعطيته مكافئة له. «**فإن الله يطعمه مثلها من جهنم**» وهو من باب الجزاء من جنس العمل لقوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: 123]. والله تعالى أعلم.



«لا تغضب»
بين حديث المصطفى ﷺ والطب الحديث

روى الأحنف بن قيس، عن ابن عم لهُ ـ وهو جارية بن قدامة ـ أنه قال: يا رسول الله، قُل لي قولاً ينفعني الله به، وأَقْلِلْ لعلِّي لا أغفِلهُ، قال ﷺ: «**لا تغضب**» فعاد له مِراراً، كُلُّ ذلك يَرْجِعُ إليه رسول الله ﷺ: «**لا تَغْضَبْ**».

قال ابن حبان ـ رحمه الله تعالى ـ: قوله ﷺ: «**لا تغضب**» أراد به أن لا تعمل عملاً بعد الغضب مما نهيتك عنه، لا أنه نهاهُ عن الغضب، إذ الغضب شيءٌ جِبِلَّةٌ في الإنسان. ومحال أن يُنهى المرء عن جبلته التي خُلِقَ عليها بل وقع النهي في هذا الخبر عما يتولد من الغضب مما ذكرناه. وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: أوصني يا رسول الله. قال: «**لا تغضب**». (متفق عليه).

وروى «الصحيح» من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما تقولون في الصُّرعة**»؟ قال: الذي لا يَصرعُهُ الرجال! قال: «**الصُّرعة الذي يمسك نفسه عند الغضب**».

ولم يترك رسول الله ﷺ الأمر بغير علاج ودواء، بل أرشدنا إليه، وذلك فيما رواه البخاري (3282) ومسلم (2610)، وغيرهما، من حديث سليمان بن صرد ـ رضي الله عنه ـ قال: استبَّ رجلان عند النَّبيِّ ﷺ، ونحن جلوسٌ، وأحدهما يسبُّ صاحبه مغضباً قد احْمَرّ وجهه. فقال رسول الله ﷺ: **«إني لأعلمُ كلمةً لو قالها، لذهبَ عنهُ ما يجدُ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»**[1].

فقالوا للرجل؛ ألا تسمعُ ما يقولُ رسُول الله ﷺ. قال: إني لستُ بمجنون!!

يقول الدكتور حسان شمسي باشا ـ حفظه الله تعالى ـ: أوصانا عليه السلام بأن لا نغضب، فهو يعلم ما في الغضب من مساوئ تضر بالجسم وقد تضر بالآخرين. ولكن رسول الإنسانية يعلم طبيعة النفس البشرية، ويعلم أن الإنسان في لحظة غضبه قد لا يقوى على كتم غضبه ولا يستطيع أن يكبح جماح شرارة الغضب، فإذا به يصف العلاج للحالة قبل أن تستفحل، وقبل أن يقدم الإنسان على فعل يندم عليه ولات حين مندم.

فما هو العلاج يا رسول الله؟

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: **«إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»**[2].

فما هي تأثيرات الغضب على جسم الإنسان؟

ولماذا وصف لنا النبي عليه السلام هذا العلاج؟

وكيف يؤثر الوقوفُ والاضطجاع على الغضب؟

ثلاثة أسئلة للإجابة عليها لا بدَّ من أن نتوقف عند الغدة الكظرية التي تقع فوق الكليتين، ومن إحدى وظائف هذه الغدة إفراز هرمون الأدرينالين والنوادرينالين.

يفرز هرمون الأدرينالين من لب الكظر كاستجابة لأي نوعٍ من أنواع الشدة

---

(1) رواه الإمام أحمد (5964) وابن حبان (5689) والحاكم (6578)، وغيرهم، بإسناد صحيح على شرط مسلم.

(2) أخرجه أبو داود (4783) وابن حبان (5688) والبغوي (3584) من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النَّبيِّ ﷺ، به وإسناده صحيح.

أو الضغوط Stress كالخوف ونقصٍ في السكر أو غضب أو مرض أو مرض جراحي أو غير ذلك.

أما هرمون النور أدرينالين فيفرز من لب الكظر، ومن نهايات الأعصاب الودية Sympathetic Nerve Endings والأخيرة هي المصدر الرئيسي لهذا الهرمون.

وعادة ما يفرز الهرمونان معاً. ومعظم النورادرينالين في الدم يأتي من الأعصاب الودية في القلب حيث أن جريان الدم الكثير هناك يسوقه إلى مختلف أعضاء الجسم.

إن كان لديك اضطراب في نظم القلب فلا تغضب:

فهرمون الأدرينالين يمارس تأثيره الأساسي على القلب، فيسرع القلب في دقاته وقد يضطرب نظم القلب ويحيد عن طريقه السوي.

ولهذا فإن الانفعال والغضب يسببان اضطراباً في ضربات القلب. وكثيراً ما نشاهد من يشكو من الخفقان في القلب حينما يغضب أو ينفعل أو يتضايق من أمرٍ ما.

وإن كنت تشكو من ارتفاع في ضغط الدم فلا تغضب:

فإن الغضب يرفع مستوى هذين الهرمونين في الدم مما يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم. والرسول عليه السلام يكررها ثلاثاً «لا تغضب» والأطباء ينصحون المرضى المصابين بارتفاع ضغط الدم أن يتجنبوا الانفعالات والغضب والاستياء.

وإن كنت مصاباً بمرض في شرايين القلب فلا تغضب:

فهرمون الأدرينالين يزيد من استهلاك العضلة القلبية للأوكسجين لأنه يزيد من تقلص القلب وحركته فمن كان مصاباً بتضيق في شرايين القلب (ذبحة صدرية أو جلطة في القلب) فلا يغضب فإن ذلك قد يهيئ لحدوث أزمة في القلب.

وإن كنت مصاباً بالسكري فلا تغضب:

فإن الأدرينالين يزيد من سكر الدم وحين يتعرض المصابون بداء السكري لأزمة نفسية أو عملية جراحية أو التهاب في أي مكان من الجسم، فإن سكر الدم قد يرتفع لفترة معينة حسب المسبب للحالة.

كيف يؤثر الوقوف والاضطجاع على الغضب؟

جاء في كتاب هاريسون الطبي الشهير طبعة 1987: (من الثابت علمياً أن كمية هرمون النورادرينالين في الدم تزداد نسبة ضعفين إلى ثلاثة أضعاف لدى الوقوف لمدة خمس دقائق وقفة هادئة. أما الأدرينالين فإنه يرتفع ارتفاعاً بسيطاً بالوقوف. إلا أن الأنواع المختلفة من الشدة النفسية Mental Stress يمكن أن تسبب زيادة مستوى الأدرينالين في الدم بكميات كبيرة).

فإذا كان الوقوف وقفة هادئة ولمدة خمس دقائق يضاعف كمية النورادرينالين وإذا كان الغضب أو الانفعال يزيد مستوى الأدرينالين في الدم بكميات كبيرة فكيف إذا اجتمع الاثنان معاً: (غضب ووقوف)، فَمَنْ علَّمَ النبي عليه السلام أن هذه الهرمونات تزداد بالوقوف؟ ومن علَّمه أنها تنخفض بالاستلقاء حتى يصف لنا هذا العلاج؟

«إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع».

فإذا ازداد مستوى هذه الهرمونات في الدم ازداد تقلص العضلة القلبية، وتسرُّع القلب، وازداد استهلاك عضلة القلب للأوكسجين، كل هذا نتيجة لحظة غضب أو انفعال.

قال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»**. (متفق عليه).

وقال رسول الله ﷺ: **«من كظم غيظاً وهو قادر على أن يُنْفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يُخَيِّرُهُ من الحور العين، يزوِّجه منها ما شاء»**[1] انتهى.

اللَّهُمَّ اهدنا لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسن الأخلاق إلا أنت، واصرف عنا سيئها، فإنه لا يصرف عنا سيئها إلا أنت. واعلم أخي الكريم، أن أثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة، الخُلق الحسن. جعلنا الله تعالى ممن يتخلقون بالأخلاق

(1) رواه الإمام أحمد (15637) وأبو داود (4777) والترمذي (2021) وابن ماجه (4186) وأبو يعلى (2021)، وغيرهم، من طريق سهل بن معاذ عن أبيه، عن النَّبيِّ ﷺ، به، وإسناده حسن.

الحسنة، وممن يتأسى برسول الله ﷺ والذي نزل فيه قول الله العظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

وأختم كلامي بذكر قول الله جل وعلا: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 133 ـ 134].

لا تحزن... فإن الإسلام في ازدياد وانتشار

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: 8]

مصطفى كُمورا. مسلمٌ ياباني، وُلِدَ سنة 1912 م في كيوتو عاصمة اليابان القديمة لألف سنة تقريباً إلى ما قبل مائة سنة، كان مع أبيه في كوريا عندما كان عمره خمس سنين، كان في المدرسة الابتدائية في سيئول. ودرس المرحلة المتوسطة في كيوتو، ودرس المرحلة الثانوية في مدينة نارا باللغة الصينية. قابل في هذا الوقت أحمد أريجا ـ ويرى أنه أول مسلم ياباني ـ وتعرف منه على الإسلام كما تعرف والد الحاج مصطفى على أحمد أريجا وفهم الإسلام وأسلم وتسمّى عمر.

وذهب الحاج مصطفى إلى منشوريا قبل خمسين سنة (شمال شرق الصين) وكانت المساجد في الصين كثيرة، وزار بعض أئمتها وسلم عليهم واستمع إليهم، مكث في منشوريا ثلاث سنين، ثم ذهب إلى منغوليا الداخلية (الصين) ليساعد حركة استقلال تركستان الشرقية.

وكان الشيوعيون من الروس والصينيين لهم نشاط، واليابانيون لهم مصالح في هذه المنطقة الحساسة.

وكان المسلمون الأتراك «الويغور» يحاربون الروس والصين فانكسروا وعبروا جبال الهيمالايا إلى الهند، ووصلوا إلى كلكتا وشانغهاي، وتلقّفهم اليابانيون فدرّبوهم وكوّنوا منهم مقاومة، وكانت اليابان ترفع شعار آسيا الكبرى. وكان يحفظ القرآن الكريم فتكلم مع الشيخ الصبان، واستدعت الرابطة عمرميتا في سنة 1962 م، وبعد أن قضى عمرميتا مدّة في مكة استدعاني عن طريق الرابطة لمساعدته.

(وقال الدكتور صالح السامرائي: في سنة 1964 م ذهب عمرميتا وأرشد

ومصطفى إلى المدينة، وفي رجوعهم منها إلى مكة أحرموا بالعمرة ورأوا رجلين باكستانيين في الطريق وكان يسوق السيارة أرشد، فأراد أحد الباكستانيّين أن يساعده في القيادة وحصل حادث انقلاب ومات عبد الرشيد، وانكسرت ترقوة عمرميتا وتجرح مصطفى، وأدخلوا المستشفى في مكة، وقد تعرفت عليه عن طريق الشيخ أبي الحسن الندوي).

قال الحاج مصطفى: ورجعنا من مكة بعد أن انتهت مسودة الترجمة، وفي اليابان تم ترتيبها وتنقيحها، وطبعت أول طبعة لها في سنة 1972 م وساعد الملك فيصل رحمه الله بمبالغ ما زالت إلى الآن تنفق على طباعة الترجمة كلما نفدت طبعتها.

ثم بدأت مرحلة النشاط، فاتصلنا، أنا وعمرميتا، بالدكتور صالح سنة 1966 م، وبدأت الدعوة في اليابان، وكنا نقضي الليالي والأيام في جنوب اليابان نحاول نشر الإسلام بين الناس، وهم يطردوننا مثل الكلاب، وصبرنا حتى استطعنا أن نتغلغل في جامعات اليابان، بسبب النظام العلماني. وبدأ العمل باسم التبليغ ولا يوجد مركز ولا مساعدات، وكان كل واحد ينفق على نفسه من كيسه.

وبعد حرب البترول بدأ الناس يتساءلون عن الإسلام، وتذاكرنا مع السامرائي، واتفقنا على إنشاء قاعدة تدعم العمل للإسلام، وكان ذلك فكرة إنشاء المركز الإسلامي، فكانت أولاً اجتماعات وتخطيطات في سنة 1974 م، وفي أول سنة 1975م فتح مقر المركز في غرفتين متجاورتين، ودعونا إلى المركز عمرميتا وخالد كيبا، وأنشأ الحاج مصطفى ـ يتحدث هو عن هذا كله ـ مسجداً صغيراً في أوساكا مع مشاركته في العمل في طوكيو.

وهكذا تمّ إنشاء المركز لعمل اتحاد آسيوي كبير، وكان الحاج مصطفى ضمن من استقبل هؤلاء المسلمين، وكانت اليابان ذات قوة عسكرية عظمى، فالتقوا بهؤلاء وذهبوا إلى حرب الصين لمحاربة الصينيين ولكن المؤسف أن هذا التخطيط فشل بعد قنبلة هيروشيما، فاندحرت اليابان ولم تتحقق الآمال.

قال الحاج مصطفى: وقبض الشيوعيون على بعض المسلمين وعددهم ستة وعشرون وقتلوهم، ونحن انسحبنا من منغوليا الداخلية، أنا وعمرميتا، وسودا، ورجعنا إلى اليابان، هذه مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية 1945 م، وفي العشر سنين التي تلت احترقت طوكيو، ولم يكن يوجد قوت، فأكل الناس أوراق الشجر وغيرها،

ولم تكن توجد ملابس ولا غيرها من الحاجات الضرورية، وبذلك لم توجد دعوة إلى الإسلام، لأن الناس مهتمون بالطعام وغيره مما يحتاجون.

وبعد عشر سنين أخرى بدأ الناس يتنفسون، وأسست أول جمعية إسلامية سنة 1953 م، وبدأنا نفكر في الإسلام والدعوة إليه.

وفي منطقتي «كيوتو» في غرب اليابان عزمتُ على فعل شيء للإسلام فيها فكونت جمعية سميت بجمعية الصداقة الإسلامية اليابانية، لجمع الناس، وبدأت بذلك صحوة، وكانت جماعة التبليغ تعمل في اليابان، ولكنهم في سنة 1960 م (قال الدكتور صالح السامرائي: وهي السنة التي جئت فيها) رجعوا إلى باكستان، وذهبت معهم إلى لاهور، وملتان وبشاور. (**قال الدكتور صالح**: كأني أراه الآن وهو يحمل حقيبته ويخرج من اليابان إلى باكستان مع جماعة التبليغ).

قال الحاج مصطفى: وبعد أن رجعت من باكستان ذهبت إلى السعودية مع عمرميتا سنة 1964 م ـ 1965 م، وفي مكة المكرمة ترجم عمرميتا معاني القرآن الكريم بإشراف رابطة العالم الإسلامي، وكنت معه أساعده في ذلك، وكان الشيخ محمد سرور الصبان والشيخ القزاز في الرابطة، والذي كان يحركهم هو المهندس عبد الرشيد أرشد من كبار جماعة التبليغ، وقد جاء إلى اليابان سنة 1959 م، واهتدى على يده خيرة الناس في اليابان. فلما سمع أن عمرميتا بدأ في ترجمة معاني القرآن للغة اليابانية أراد أن تتم الترجمة تحت إشرافه. وحضر الإمام الجندول، وإمام الحرم المكي عبد العزيز آل الشيخ إلى مسجد أوساكا ومعهم أحمد التوتنجي، وأقيم احتفال جيد بهذه المناسبة وتوليت رئاسة المركز في الفترة الثانية، وكنت بعدها مستشاراً، وذهبت مرتين إلى السعودية، والى ليبيا، وزرت منطقة الشرق الأوسط، كان الهدف في المرة الأولى من زيارة السعودية لطلب مساعدة المركز، وفي المرة الثانية لمساعدة المسجد في أوساكا.

ومكثت ثماني سنوات أكتب عن تاريخ اليابان فيما يتعلق بالإسلام، وكان معي اثنان يساعدانني، وأنهيت الكتاب وهو جاهز للطبع، وكان أول كتاب يُكتب عن تاريخ الإسلام في اليابان من مسلم ياباني، ولم يكتب أحد مثله ولا يستطيع أحد أن يكتب مثله ـ هكذا قال ـ ثم ابتسم.

فقال الدكتور صالح: إن هذه ابتسامة أسف، لتعبه وعدم مساعدته في الطبع،

والياباني يبتسم في أحرج الظروف على حد قول الشاعر:

لا تحسبن رقصي في الهوى طرباً فالطير يرقص مذبوحاً من الألم

وقال الدكتور صالح: لقد فتشت عن وثائق في جامعة واسيدا، ووجدت أربعة صناديق مملوءة بوثائق باللغة اليابانية عن المسلمين في اليابان، وقد اختار الحاج مصطفى منها ما يخصه في كتابه.

وقال الحاج مصطفى: إن كياشي ـ أحد المسلمين اليابانيين ـ ذهب إلى الأزهر قبل خمسين سنة ودرس هناك، وذهب إلى أندونيسيا عندما استعمرها الأوروبيون، وأصيب بضربة طائرة هناك واستشهد.

ويحمل الحاج مصطفى معه في حقيبته ـ التي ينتقل بها أين ما ذهب ـ خرائط وصوراً لشخصيات إسلامية يابانية وغير يابانية، والخرائط للأماكن التي زارها أو لها صلة بالمسلمين، وهي تنبئ عن جهود بذلها هو وزملاؤه لنشر الإسلام.

وقال الحاج مصطفى: إنه يشعر بالألم أن المسلمين اليابانيين الآن أسماؤهم إسلامية ولكن بعضهم لا يحمل غير الإسم، بخلاف جيلنا قبل الحرب العالمية الثانية. وكان عددنا قليلاً ولكن كان عند هذا الجيل همة ونشاط، وكان هدفنا الإسلام لا الماديات، وأن من المؤسف أن الشباب المسلمين اليابانيين الذين يذهبون إلى بلدان المسلمين لدراسة اللغة العربية والدين الإسلامي، كثير منهم يحمل العربية كتابة وتحدّثاً ولكنه يستخدمها لحسابه الخاص، ولا نرى منهم من يضحي في سبيل الإسلام كما كنا نضحي، إنهم يجرون وراء الفلوس وليس وراء العمل الصالح، وأعتقد أن الإخلاص في العمل ومراقبة الله هو أهم الصفات للداعية في اليابان، ولا بأس أن يتعلم الياباني اللغة العربية ويعمل في شركة، ولكن لا بد أن يخصص شيئاً من وقته للدعوة إلى الإسلام.

أين الإخلاص الموجود في الشباب الآن من الإخلاص الذي كان يحمله الجيل السابق، الذي ذهب للحج على حساب نفسه وتعرض للمخاطر خلال ستة أشهر ذهاباً وإياباً، أين هذا الإخلاص؟.

إن على المسلم أول ما يأتي من الخارج أن يتصل بالمسلمين الأوائل في اليابان ليأخذ منهم الحقائق في الإسلام والمسلمين في اليابان، وأنا واحد من هؤلاء، وسأعطي ما عندي من معلومات.

انتهى ما أدلى به الحاج مصطفى كمورا من معلومات في أحد المطاعم اليابانية في طوكيو، وكان المترجِم الدكتور صالح السامرائي، وقد يترجم بعض الجمل الأخ عبد العزيز التركستاني الذي جاء أثناء الحديث وبقي معنا.

وبعد أن فرغ الحاج مصطفى من الإدلاء بهذه المعلومات وختمها بإظهار أسفه الشديد على انقراض جيله المخلص ووجود شباب ذي عدد أكثر من ذلك الجيل القليل، وقد تعلم بعض هذا الشباب اللغة العربية والدين الإسلامي في بعض بلدان المسلمين، ولكنهم لم يخططوا كالأوائل ولم يضحوا مثلهم، وإنما غلب على أكثرهم حب الدنيا، حمل حقيبته وودعنا وذهب، ولم تظهر منه أي قرينة دالة على أنه يريد مساعدة مالية، لا تصريحاً ولا تلويحاً، على الرغم مما هو فيه من الفقر والعوز، وعدم وجود مصدر مادي لرزقه، كما ذكر لنا الإخوة الدكتور صالح وغيره، بل ذكروا لنا أنه لا يجد المأوى الذي يسكن فيه.

الفرحة بعد التوبة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [التحريم : 8].

الإحساس بالفرحة بعد التوبة، وبالسعادة بعد الندم، وبالانتصار على الذات، بعد الذنب، لهو من أجمل ما يعيشه المرء بالرجوع إلى ربه جلَّ وعلا. قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: ومتى أراد العبدُ شاهِدَ هذا من نفسه فلْيَنظُر إلى الفرحة التي يجدها بعد التوبة النّصوح، والسّرُورِ واللذة التي تحصل له، والجزاءُ من جنس العمل، فلمّا تاب إلى الله فرحَ الله بتوبته فأَعقَبَهُ فَرَحاً عظيماً.

وها هنا دقيقة قل مَن يتفطن لها إلا فقيه في هذا الشأن، وهي أنَّ كُل تائب لا بُدَّ له في أوّل توبته من عَصرَةٍ وضَغطَةٍ في قلبه، من همّ أو غمّ أو ضيقٍ أو حزنٍ، ولو لم يكن إلاّ تألّمه بفراق محبوبه فيضغط لذلك وينعصر قلبه ويضيق صدره، فأكثرُ الخلق رجعوا من التوبة ونكسوا على رؤوسهم لأجل هذه المحبّة، والعارفُ الموفقُ يعلَمُ أن الفرحةَ والسّرورَ واللذةَ الحاصلةَ عقيب التوبة تكون على قدر هذه العصرة. فكلّما كانت أقوى وأشدّ، كانت الفرحةُ واللذةُ أكملَ وأتمَّ. ولذلك أسباب عديدة:

منها: أن هذه العصرة والقبضَ دليلٌ على حياة قلبه وقوّة استعداده، ولو كان قلبُه ميّتاً واستعداده ضعيفاً، لم يحصل له ذلك.

وأيضاً: فإن الشيطان لصّ الإيمان، واللصُّ إنما يقصد المكان المعمورَ، وأمّا المكانُ الخرابُ الذي لا يرجَو أن يظفر منه بشيء فلا يقصده، فإذا قويت المعارضاتُ الشيطانيةُ والعصرةُ دلَّ على أن في قلبه من الخير ما يشتدّ حِرصُ الشيطان على نزعه منه.

وأيضاً: فإن قوّة المعارِض والمُضاد تدلّ على قوّة معارضةٍ وضدّه. ومثلُ هذا إمّا أن يكونَ رأساً في الخير أو رأساً في الشرّ، فإن النفوسَ الأبية القوية إن كانت خَيّرةً رَأَسَت في الخير، وإن كانت شِريرةً رَأَسَت في الشَرّ.

وأيضاً: فإن بحسب موافقته لهذا العارض وصبره عليه يُثمِر له ذلك من اليقين والثبات والعزم ما يوجب زيادة انشراحه وطمأنينته.

وأيضاً: فإنه كُلَما عَظُمَ المطلوبُ كَثُرَت العوارضُ والموانع دونه؛ هذه سُنّةُ الله في الخلق. فانظر إلى الجنة وعِظَمِها، وإلى الموانع والقواطع التي حالت دونها حتّى أوجبت أن ذَهَبَ من كل ألفِ رجل واحد إليها. وانظر إلى محبّة الله والانقطاع إليه والإنابة إليه والتبتّل إليه وَحدَهُ، والأُنس به واتخاذه ولياً ووكيلاً وكافياً وحسيباً، هل يكتَسب العبدُ شيئاً أشرفَ منه؟! وانظر إلى القواطع والموانع الحائلة دونه، حتى قد تعلّق كُل قوم بما تعلّقوا به دونه. والطالبون؛ منهم الواقف مع عمله، والواقف مع علمه، والواقف مع حاله، والواقف مع ذوقه وجَمعِيّته وحَظِّهِ من ربّه؛ والمطلوب منهم وراء ذلك كُلّه.



لا تحزن... ولكن ساعة وساعة

رَوِّحْ عن نفسك أخي الجاد، فإنما الحياة ساعة وساعة، فإن النفس قد تمل من الدأب في الجدِّ، وترتاح إلى بعض ما هو مُباح. ففي «الصحيح» من طريق أبي عثمان النهدي، عن حَنظَلَةَ الأُسَيّدِيِّ (وَكَانَ من كُتَّاب رَسُولِ الله ﷺ) قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكرٍ فَقَالَ: كَيفَ أَنتَ يَا حَنظَلَةُ؟ قَالَ: قُلتُ: نَافَقَ حَنظَلَةُ. قَالَ: سُبحَانَ اللهِ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلتُ: نكونُ عِندَ رَسُولِ الله ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالجنّةِ، حَتى كَأَنا رَأيُ عَينٍ، فإذا خَرَجنَا من عِندِ رَسُولِ الله ﷺ، عَافَسنا الأَزوَاجَ وَالأَولاَدَ وَالضّيعَاتِ. فَنَسِينَا كَثِيراً.

قَالَ أَبُو بَكرٍ: فَوَاللهِ، إِنَّا لَنَلقَى مِثلَ هَذَا. فَانطَلَقتُ أَنَا وَأَبو بَكرٍ، حَتى دَخَلنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ. قُلتُ: نَافَقَ حَنظَلَةُ. يَا رَسُولَ اللهِ.

فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلت: يَا رَسُولَ الله، نَكُونُ عِندَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنّارِ وَالْجنَّةِ، حَتى كَأَنّا رَأيُ عَينٍ، فإذا خَرَجنَا من عِندِكَ، عَافَسنَا الأزوَاجَ وَالأَولاَدَ وَالضّيعَاتِ. نَسِينَا كَثِيراً.

فَقَالَ رَسولُ الله ﷺ: «وَالذي نَفسِي بِيَدِه، إن لَو تَدُومُونَ علَى مَا تَكُونُونَ عِندِي وَفِي الذِّكرِ، لَصَافحَتكُمُ المَلاِئكَةُ عَلَى فُرُشِكم وَفِي طُرُقِكُم. وَلَكِن، يَا حَنظَلَةُ، سَاعةً وَسَاعَةً» ثَلاَثَ مَرّاتٍ[1].

وقال عليّ بن أبي طالب: روِّحوا القلوب واطلبوا لها طرف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان، وقال أيضاً: إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فالتمسوا لها من الحكمة طرفاً. وعن أسامة بن زيد قال: روِّحوا القلب تعي الذِّكر. وعن الحسن قال: إن هذه القلوب تحيى وتموت فإذا حييت فاحملوها على النافلة، وإذا ماتت فاحملوها على الفريضة. وعن الزهري قال: كان رجل يجالس أصحاب رسول الله ﷺ ويحدثهم، فإذا كثروا وثقل عليه الحديث قال: إن الأذن مجاجة وإن القلوب حمضة فهاتوا من أشعاركم وأحاديثكم.

وقال أبو الدرداء: إني لأستجم نفسي ببعض الباطل[2] كراهية أن أحمل عليها من الحق ما يملها. وعن محمد بن إسحاق قال: كان ابن عباس إذا جلس مع أصحابه حدثهم ساعة ثم قال: حمضونا[3]، فيأخذ في أحاديث العرب، ثم يعود يفعل ذلك مراراً. وعن الزهري أنّه كان يقول لأصحابه: هاتوا من أشعاركم، هاتوا من حديثكم، فإن الأذن مجة والقلب حمض.

وقال ابن إسحاق: كان الزهري يحدث ثم يقول: هاتوا من ظرفكم، هاتوا من أشعاركم، أفيضوا في بعض ما يخفف عليكم وتأنس به طباعكم، فإن الأذن مجاجة

---

(1) رواه الإمام أحمد (17621) ومسلم (2750) والترمذي (2452) وابن ماجه (4239)، وغيرهم. ومعنى قوله: عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات: أي عالجنا حظوظن. واشتغلنا بها. والضيعة: هي معاش الرجل من مال أو حرفة أو نحو ذلك.

(2) يريد من اللهو المباح.

(3) **يقال: أحمض القوم: أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والمسامرة والكلام.**

والقلب ذو تقلب. وعن مالك بن دينار قال: كان الرجل ممن كان قبلكم إذا ثقل عليه الحديث، قال: إن الأذن مجاجة والقلب حمض فهاتوا من طرف الأخبار.

عن ابن زيد قال: قال لي أبي: إن كان عطاء ابن يسار ليحدثنا أنا وأبا حازم حتى يبكينا، ثم يحدثنا حتى يضحكنا، ثم يقول: مرة هكذا ومرة هكذا.

قلت: وما زال العلماء والأفاضل يعجبهم الملح ويهشون لها، لأنها تجم النفس وتريح القلب من كد الفكر. وقد كان شعبة يحدث، فإذا رأى المريد النحوي (قال: إنه أبو زيد):

اسْتَعْجَمَتْ دَارُ نَعَم مَا تُكَلِّمُنَا ... وَالدَّارُ لَوْ كَلَّمَتْنَا ذَات أَخْبَارِ

وقد روينا عن ابن عائشة[1] أحاديث ملاحاً في بعضها رفث، وإن رجلاً قال له: أيأتي من مثلك هذا؟ فقال له: ويحك، أما ترى أسانيدها؟ ما أحد ممن رويت عنه هو أفضل من جميع أهل زماننا، ولكنكم ممن قبح باطنه فرأى ظاهره، وإن باطن القوم فوق ظاهرهم.

ووصف رجل من النساك عند عبيد الله ابن عائشة فقالوا: هو جد كله، فقال: لقد أضاق على نفسه المرعى وقصر لها طول النهى، ولو فككها بالانتقال من حال إلى حال لتنفس عنها ضيق العقدة، وراجع الجد بنشاط. وعن الأصمعي[2] قال: سمعت الرشيد يقول: النوادر تشحذ الأذهان وتفتق الآذان. عن حماد بن سلمة أنه كان يقول: لا يحب الملح إلا ذُكرانَ الرجال ولا يكرهها إلا مؤنثهم. وعن الأصمعي قال: أنشدت محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة ـ وما رأيت في القضاة أعقل منه ـ:

يا أَيُّها السائلُ عَنْ مَنْزلي ... نَزَلْتَ فِي الخَانِ عَلَى نَفْسِي

يغدُو عليَّ الخبز من خَابِزٍ ... لا يَقْبلُ الرَّهْنَ ولا ينسى

آكل من كيسي ومن كِسْوَتي ... حتّى لقد أَوْجَعَنِي ضِرْسِي

---

(1) هو أبو عبد الرحمن عبيد الله بن محمد بن حفص بن معمر التيمي، المعروف بابن عائشة، أحد الفصحاء الأجواد، عالم بالحديث والسير، توفى سنة 228 هـ.

(2) هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. تصانيفه كثيرة، منها «الخيل» و«الأضداد» وغيرها. ولد سنة 122 هـ وتوفى سنة 216 هـ.

فقال: اكتبه لي، قلت: أصلحك الله إنما يكتب هذا إلا الأحداث، فقال: ويحك أكتبه، فإن الأشراف يعجبهم الملاحة.

فقد بان مما ذكرنا أن نفوس العلماء تسرح في مباح اللهو الذي يكسبها نشاطاً للجد فكأنها من الجد لم تزل، قال أبو فراس:

أروِّحُ القَلْبَ ببعضِ الهزْلِ ... تجاهلاً منّي، بغير جهْلِ

أمزَحُ فيه، مزْحَ أهل الفضْلِ ... والمزحُ، أحياناً، جلاءُ العَقْلِ

❀ ❀ ❀

أختاهُ... كوني كأم سُليم

روى الإمام أحمد (14051) ومسلم (1809)، وغيرهما، من طريق حَمّادُ بنُ سَلَمَةَ، عَن ثَابِتٍ، عَن أَنَسٍ؛ أن أُمّ سُلَيم اتّخَذَت يومَ حُنَينٍ خنجَراً. فَكَانَ مَعَهَا. فَرَآهَا أَبُو طَلحَةَ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هذِهِ أم سُلَيم مَعَهَا خِنجَرٌ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: «ما هذَا الخِنجَرُ؟» قَالَتِ: اتّخَذتُهُ. إن دَنَا مِني أَحَدٌ مِنَ المشرِكِينَ بَقَرتُ بِهِ بَطنهُ. فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَضحَكُ. قَالَت: يَا رَسُولَ اللهِ! اقتُل من بَعدَنَا مِنَ الطّلَقَاءِ انهَزَمُوا بِكَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أُم سُلَيم! إن الله قد كَفَى وَأَحسَنَ».

❀ ❀ ❀

نظرة من مُحمدٍ ﷺ أحب إليّ من الدنيا وما فيها

كان ذو البِجادين يتيماً[1] في الصغر، فكفله عمه، فنازَعته نفسه إلى اتباع الرسول، فهمّ بالنهوض، فإذا بقية المرض مانعة، فقعد ينتظر العم، فلما تكاملت صحته نَفِدَ الصبر فناداه ضمير الوجد:

إلى كم حبسها تشكو المضيقا ... أثِرها ربما وجدت طريقا

---

(1) هو عبد الله بن نهم المزني، منعه عمّه من الذهاب إلى الرسول ﷺ للإيمان به وجرّده من ثيابه، فقسم بجاداً أعطته لهَ أمّه إلى رداء وإزار وذهب ليُسلمَ. والبجاد: ثوب مخطط يشتمل به الأعراب.

فقال: يا عم طال انتظاري لإسلامك، وما أرى منك نشاطاً. فقال: والله لئن أسلمتَ لأنتزعن كل ما أعطيتك. فصاح لسان الشوق: نظرة من محمد أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها.

ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها ... تريد أم الدنيا وما في طواياها
لقال غبار من ترابِ نِعالِها ... ألذ إلى نفسي وأشهى لبلواها

فلما تجرّد للسير إلى الرسول جرّده عمه من الثياب، فناولته الأم بجاداً، فقطعه لسفر الوصل نصفين اتزر بأحدهما وارتدى بالآخر. فلما نادى صائح الجهاد قنع أن يكون في ساقة الأحباب، والمحب لا يرى طول الطريق لأن المقصود يعينه.

ألا بلَّغ الله الحمى مَن يريده ... وبلّغ أكناف الحمى مَن يريدها

فلما قضى نحبه نزل الرسول ﷺ يمهّد له لحده، وجعل يقول: **«اللهم إني أمسيت عنه راضياً فارضَ عنه»**. فصاح ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب القبر[1]

❁ ❁ ❁

الزواج من الأباعد أفضل

شاب أراد أن يتزوج، ما هو الأصلح له؟ الزواج من داخل عائلته أي: الأقرباء، أم أن يبتعد فيتزوج من خارج عائلته؟ وما هي الحكمة من ذلك.

أجاب عن هذا السؤال فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله تعالى ـ قائلاً: لقد نصحنا رسول الله ﷺ أن نتجنب الأقرباء في حالة الزواج حين قال: **«اغتربوا لا تضووا»** لأن القريبات حين يتزوج منهن الإنسان يؤول أمر النسل إلى ضعف أما إذا اغترب فإن النسل يؤول إلى قوة.

وفى العلم التجريبي الحديث أجريت التجارب في عالم النبات على أن يكون النوعان بعيدين، وكانت النتيجة سارّة (أتت من الذرة في أمريكا) أضعاف أضعاف ما كانت تؤتيه قبل تفرق الذكورة والأنوثة، وتسمى هذه التجربة (تربية التهجين) أي كلما أبتعد الجنسان (الذكورة والأنوثة) كلما كانت الحصيلة أقوى. إذاً نلمح بواسطة العلم

---

(1) «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني، ترجمة رقم (4795)

التجريبي أن القرآن حينما حرم زواج الأمهات وزواج البنات، وزواج القريبات من الأدنى، إنما حرص على أن يوجد النسل الأقوى، وإذا ما ابتعد الإنسان بهذه القرابة كان ذلك معناه إيجاد نسل قوي.. وقول الرسول ﷺ. **«اغتربوا لا تضووا»** أي: لا تهزلوا وتضعفوا، ولذلك شاع على ألسنة الشعراء في العرب قولهم:

أنصح من كان بصيراً لهم ... تزويج بنات أولاد العم

وأيضاً:

* فليس ينجو من ضوى وسقم *

ويقول في وصف الشجاع:

فتى لم تلده بنت عم قريبة ... فيضوى وقد يضوى سليل الأقارب

فحين يوجهنا القرآن وتوجهنا السنَّة إلى هذا يكون قد لوحظ أول شيء في التربية، أن يكون الوليد الذي يؤمل عطاؤه من الله تعالى أن يكون وليداً قوياً في خصائصه، لأنه يجمع خاصية جنس واحد، لا نوعاً واحداً، الذي يكره إذا تزوج قريبة، ولكنه حين يتزوج من بعيدة يأخذ خصائص القوة من هنا، وخصائص القوة من هنا، فينشأ ذلك الوليد القوي. والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

تأهب للرحيل

ألا يا غافلاً يُحْصى عليه ... من العمل الصغيرةُ والكبيرَه

يصاح به ويُنْذَر كلَّ يوم ... وقد أَنْسَتْه غفلتُه مَصيرَه

تأهَّبَ للرحيل فقد تدانىَ ... وأنذرك الرحيلَ أخٌ وجِيرَه

وأنت رَخِيّ بال في غرور ... كأن لم تقترفْ فيها صَغِيرَه

وكم ذَنْبٍ أتيت على بصيرة ... وعينُك بالذي تأتي قريره

تحاذر أن تراك هناك عينٌ ... وإنّ عليك لَلْعَيْنُ البصيره

وكم حاولتَ من أمرٍ عظيم ... مُنعتَ برحمةٍ منه وخيرَه

وكم من مَدْخل لو مِتّ فيه ... لكنت به نَكَالاً في العشيره

وُقيتَ السوءَ والمكروه فيه ... ورُحْتَ بنعمة فيه سَتيره
وكم من نعمةٍ لله تُمْسي ... وتصبح ليس تعرفها كثيره (ج)

❁ ❁ ❁

لا تجزع ما دمت شجاعاً

كان إذا حمي الوطيس، وكشفت المعركة عن ساق، احتمى الصحابة الكرام برسول الله ﷺ. وهكذا رحل رسول الله ﷺ وترك فينا تلك الشجاعة النادرة، والتي لا يكاد أن يكون لها مثيلاً على وجه الأرض. ومن ذلك ما رواه عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ قال:

غزونا غزوةً إلى طرفِ الشام، فأُمِّر علينا خالدُ بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ قال: فانضّم إلينا رجلٌ من أمدادِ حُمير، فأوى إلى رحلنا، ليس معه شيءٌ إلا سيفٌ، ليس معهُ سلاحٌ غيرُه، فنَحَرَ رجل من المسلمين جَزُوراً، فلم يَزَلْ يَحتالُ حتى أَخَذَ من جلدِه كهَيْئة المِجَنِّ، حتى بَسَطَه على الأرض، ثم وَقَدَ عليه حتى جَفَّ، فجعل له مَمْسكاً كهَيْئة التُّرْس، فقُضِيَ أَنْ لَقِينا عدوَّنا فيه أَخلاطٌ من الرُّوم والعرب من قُضَاعةَ، فقاتلونا قتالاً شديداً، وفي القوم رجلٌ من الرُّوم على فرسٍ له أشقرَ، وسَرجٍ مُذَهَّبٍ ومِنْطَقة مُلطَّخة ذهباً وسيفاً مثل ذلك، فجعل يَحمِلُ على القومِ ويُغري بهم، فلم يَزَلْ ذلك المَدَدِيُّ يحتالُ لذلك الرُّومي حتى مرَّ به فاستَقْفاه، فضربَ عُرْقوبَ فرسه بالسيف فوَقَعَ، ثم أَتبَعه ضرباً بالسيف حتى قَتَلَه، فلما فتَحَ الله الفتحَ أَقبَلَ يسأَلُ للسَّلَب، وقد شَهِدَ له الناس بأنه قاتِلُه، فأَعطاه خالدٌ بعضَ سَلَبِه، وأَمسَكَ سائرَه، فلمَّا رَجَعَ إلى رَحْلِ عوفٍ ذَكَره، فقال له عوف: ارجِعْ إليه، فليُعطِكَ ما بقيَ. فرجع إليه فأَبَى عليه، فمشى عوفٌ حتى أَتى خالداً، فقال: أمَا تَعلَمُ أن رسول الله ﷺ قَضَى بالسَّلَبِ للقاتلِ؟ قال: بَلَى. قال: فما يَمنعك أن تَدفَعَ إليه سَلَبَ قتيلِه؟ قال خالد: استَكثَرتُه له. قال عوفٌ: لَئِن رأيتُ وجهَ رسول الله ﷺ لأَذكُرَنَّ ذلك له. فلما قَدِمَ المدينةَ بعثَه عوفٌ فاستَعْدَى إلى النبيِّ ﷺ، فدعا خالداً وعوف قاعد، فقال رسول الله ﷺ: **«ما يَمنعكَ يا خالدُ أَنْ تَدْفَعَ إلى هذا سَلَبَ قَتيلِهِ؟»** قال: استَكثَرتُه له يا رسول الله. فقال: **«ادفَعْهُ إليهِ»** قال: فمَرَّ بعوفٍ، فجَرَّ عوفٌ بردائِه، فقال: أنجَزتُ لك ما ذكرتُ لك من رسول الله ﷺ. فسمعه رسولُ الله ﷺ فاستُغضِبَ فقال: **«لا تُعطِه يا خالدُ، هَلْ أَنتم تارِكُو أُمَرائي، إنَّما مَثَلُكم ومَثَلُهم كمَثَلِ**

رجلٍ اشتَرَى إبلاً وغَنَماً، فرَعَاها ثم تَحَيَّنَ سَقْيَها، فأَورَدَها حَوْضاً فشَرَعَت فيه فشَرِبَتْ صَفْوَةَ الماءِ وتَرَكَتْ كَدرَه، فصَفْوة أَمْرِهم لكم، وكَدَرُه عليهم»[1]

❀ ❀ ❀

فلذات الأكباد والفطرة الإنسانية

قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه. .». (متفق عليه).

لقد قرر علماء التربية المحدثون أهمية دور الوالدين في التربية وعظم تأثيرهما؛ ولذلك فعليهما حسن التربية والتوجيه، لأنهما أكثر الناس التصاقاً بالطفل وأبلغ تأثيراً عليه؛ ولذا فالحديث يتضمن توجيهاً تربوياً يحث على ضرورة الاهتمام بالتربية الأولية للإنسان منذ صغره، والحرص على توجيهه الوجهة السليمة وعدم إهمال أمره، وبذل الجهد اللازم لتنميته وتشكيله، ولاسيما أن الأب والأم هما حجر الزاوية في بناء شخصية الطفل.

يضاف إلى ذلك أن الطفل يتأثر بالتلقين والتقليد والمحاكاة لمن هم حوله في المجتمع وخاصة الأسرة ومن فيها من أفراد، لما لهم من التأثير المباشر توجيهاً وإرشاداً وتنشئة.

وهذا أصل أصيل تقوم عليه التربية بصفة عامة، وهو أن التربية عملية مكتسبة وليست وراثية. وهذا ما سبق أن قرره الرسول ﷺ في حديثه الشريف الذي لم يرد فيه «يؤسلمانه» لأن الإنسان في أصل خلقه مستعد بفطرته لقبول الخير والإخلاص لله.
وهذه حقيقة ثابتة نستنتج منها أن كل سلوك طيب وأفعال خيرة مردها إلى الفطرة التي خلق عليها الإنسان. وهي فطرة الإسلام. أما ما سوى ذلك من سلوك سيئ وصفات شريرة عارضة فردها إلى ما اكتسبه الإنسان من احتكاكه بالآخرين، وتعامله معهم وتأثره بهم.[2] والشواهد حولنا ترينا كيف يكون خلق الإنسان في بدايته خلقاً كاملاً لا نقص

---

(1) رواه الإمام أحمد (23987) والبزار (2746) وسعيد بن منصور في «سننه» (2697) والطبراني في «الكبير» (18 ـ 84)، وغيرهم، بإسناد صحيح على شرط مسلم.
(2) وهذا يذكرنا، بقول الشاعر صالح بن عبد القدوس:

واختر قرينك واصطنعه تفاخرا ... إن القرين إلى المقارن ينسب =

فيه ولا تشويه ولا قصور، إلا أن الظروف البيئية المحيطة به من فساد وانحراف تجعل منه منحرفا عن الفطرة السوية.

وبهذا أثبت الحديث الشريف حقيقة تربوية أيدتها النظريات التربوية الحديثة. (ك).

❁ ❁ ❁

كيف تدخل في سجلات العظماء؟

أن تكون إنساناً عظيماً.. فهذا شيءٌ عظيم. والعظمة الإنسانية، لا تتحصل إلا عن طريق التضحية والبذل والعطاء. وهذا ما حصل مع أبي طلحة الأنصاري وزوجته ـ رضي الله عنهما ـ فقد روى البخاري (4889). ومسلم (2054) وغيرهما من حديث أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصَابَنِي الْجَهد، فَأَرسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَم يَجِد عِندَهُنَّ شَيئاً، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيلَةَ، يَرحَمُهُ الله». فَقَامَ رَجلٌ مِنَ الأَنصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، فَذَهَبَ إِلَى أَهلِهِ فَقَالَ لامرأَتِهِ: ضَيفُ رَسُولِ الله ﷺ، لا تَدّخِرِيهِ شَيئاً، قالَت: وَاللهِ ما عِندِي إلا قُوت الصِّبيَةِ، قالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصبيَةُ العَشَاءَ فَنَوّمِيهِم وَتَعَالَي، فَأَطفِئِي السرَاجَ، وَنَطوِي بُطُونَنَا اللّيلَةَ، فَفَعَلَتْ، ثُم غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «لَقَد عَجِبَ الله عَزّ وَجَل، أَو: ضَحِكَ من فُلاَنٍ وَفُلانَة»[1]. فَأَنزَلَ الله عَزّ وَجَل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9].

❁ ❁ ❁

= واحذر مصاحبة اللئيم فإنه ... يعدي كما يعدي الصحيح الأجرب

(1) وقوله ﷺ: «لقد عجب الله ﷻ ـ أو ـ ضحك...» هو من أحاديث الصفات الإلهية والتي لا نخوض في معناها أو تأويلها، بل نمررها ونثبتها كما جاءت بلا تمثيل، وبتنزيه بلا تعطيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]. وهذا الذي كان عليه رسول الله ﷺ وكذا صحابته من بعده ومن تبعهم إلى يوم الدين.

الإقتصاد في متاع الدنيا

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 14 ـ 15].

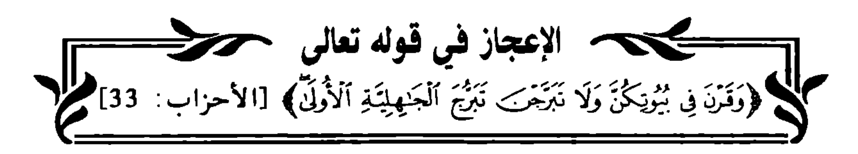
العجب لمؤثِرِ شهوات الدنيا ألاّ يتدبر أمرها بالعقل قبل أن يصير إلى منقولات الشرع! إن أعظم لذات الحس الوطء، فالمرأة المستحسنة إنما يكون حال كمالها من وقت بلوغها إلى الثلاثين، فإذا بلغتها أثر فيها ما مضى من عمرها في الولادة وغيرها. وربما ابيضت شعرات من رأسها فينفر الإنسان منها. وقد يقع الملل قبل ذلك، وطول الصحبة يكشف العيوب. وما عيب نساء الدنيا بأبلغ من قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: 25].

فلو تفكر الإنسان في جسد مملوء بالنجاسة ما طاب له ضمه، غير أن الشهوة تغطي عين الفكر. فالعاقل من حفظ دينه ومروءته بترك الحرام، وحفظ قوته في الحلال فأنفقها في طلب الفضائل من علم أو عمل. ولم يسع في إفناء عمره وتشتيت قلبه في شيء لا تحسن عاقبته:

ما في هوادجكم من مهجتي عوض إن مت شوقا ولا فيها لها ثمن

وعموم من رأينا من الكبار غلبت عليهم شهوة الوطء فانهدمت أعمارهم، ورحلوا سريعا. وقد رأينا من العقلاء من زجر نفسه عن هذه المحنة ولم يستعملها إلا وقت الحاجة، فبقي لهم سواد شعورهم وقوتهم حتى تمتعوا بها في الحياة وحصلوا المناقب، وعرفت منهم النفوس قوة العزيمة فلم تطالبهم بما يؤذي. (ج) بتصرف.





الإعجاز في قوله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: 33]

إن ما يشهده العالم في زماننا الحاضر من عولمة عارمة تكاد أن تذهب بالصالح والطالح، وتأكل بنيرانها الأخضر واليابس. والسلعة الرئيسية في هذه العولمة الهدامة

الخطرة، هي المرأة، فقد جعلوها تخرج من خدرها المصون، إلى الإباحية الماجنة.

قالت الكاتبة الإنجليزية اللادي كوك: إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها: وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا وههنا البلاء العظيم على المرأة. . . . إلى أن قالت: علموهن الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد.

وقال الفيلسوف الألماني شوبنهور: قل هو الخلل العظيم في ترتيب أحوالنا الذي دعا المرأة لمشاركة الرجل في علو مجده وباذخ رفعته، وسهل عليها التعالي في مطامعها الدنيئة حتى أفسدت المدنية الحديثة بقوى سلطانها ودنيء آرائها.

وقال اللورد بيرون: لو تفكرت أيها المطالع فيما كانت عليه المرأة في عهد قدماء اليونان لوجدتها في حالة مصطنعة مخالفة للطبيعة ولرأيت معي وجوب إشغال المرأة بالأعمال المنزلية مع تحسن غذائها وملبسها فيه وضرورة حجبها عن الاختلاط بالغير. اهـ.

وقال ساموبل سمايلس الإنجليزي: إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية، لأنه هاجم هيكل المنزل، وقوض أركان الأسرة، ومزق الروابط الاجتماعية، فإنه يسلب الزوجة من زوجها والأولاد من أقاربهم فصار بنوع خاص لا نتيجة له إلا تسفيل أخلاق المرأة، إذ إن وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية مثل ترتيب مسكنها وتربية أولادها والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات البيتية، ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل خالية وأضحَت الأولاد تشب على عدم التربية، وتلقى في زوايا الإهمال وطفئت المحبة الزوجية وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والقرينة المحبة للرجل، وصارت زميلته في العمل والمشاق، وباتت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالباً التواضع الفكري والأخلاقي الذي عليه مدار حفظ الفضيلة.

وقالت الدكتورة إيد آيلين: إن سبب الأزمات العائلية في أمريكا وسر كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق ثم قالت: إن التجارب أثبتت أن عودة المرأة إلى الحريم هو الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي يسير فيه.

وقال أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي: إن المرأة تستطيع أن تخدم الدولة حقاً إذا بقيت في البيت الذي هو كيان الأسرة.

وقال عضو آخر: إن الله عندما منح المرأة ميزة إنجاب الأولاد لم يطلب منها أن تتركهم لتعمل في الخارج بل جعل مهمتها البقاء في المنزل لرعاية هؤلاء الأطفال.

وقال شوبنهور أيضاً: اتركوا للمرأة حريتها المطلقة كاملة بدون رقيب ثم قابلوني بعد عام لتروا النتيجة، ولا تنسوا أنكم سترثون معي للفضيلة والعفة والأدب، وإذا مت فقولوا: أخطأ أو أصاب كبد الحقيقة. [ذكر هذه النقول كلها الدكتور مصطفى حسني السباعي رحمه الله في كتابه المرأة بين الفقه والقانون].

ولو أردنا أن نستقصي ما قاله منصفو الغرب في مضار الاختلاط التي هي نتيجة نزول المرأة إلى ميدان أعمال الرجال لطال المقال ولكن الإشارة المفيدة تكفي عن طول العبارة.

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ: إن استقرار المرأة في بيتها والقيام بما يجب عليها من تدبيره بعد القيام بأمور دينها هو الأمر الذي يناسب طبيعتها وفطرتها وكيانها، وفيه صلاحها وصلاح المجتمع وصلاح الناشئة فإن كان عندها فضل ففي الإمكان تشغيلها في الميادين النسائية كالتعليم للنساء والتطبيب والتمريض لهن ذلك مما يكون من الأعمال النسائية في ميادين النساء وفيها شغل لهن شاغل وتعاون مع الرجال في أعمال المجتمع وأسباب رقيه، كل في جهة اختصاصه. ولا ننسى هنا دور أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ومن سار في سبيلهن، وما قمن به من تعليم للأمة وتوجيه وإرشاد، وتبليغ عن الله سبحانه وعن رسوله ﷺ فجزاهن من الله عن ذلك خيراً، وأكثر في المسلمين اليوم أمثالهن مع الحجاب والصيانة والبعد عن مخالطة الرجال في ميدان أعمالهم.

أقول: وهكذا يتضح لنا، مدى عمق المفهوم المعنوي والأُسري والاجتماعي والمادي، والإعجاز الإلهي في قوله جل وعلا: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ الآية [الأحزاب: 33]. والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

أختاهُ... لا تحزني فالإسلام جعل لك دوراً مع من يُجاهد في سبيل الله تعالى

أن تكوني مع من يجاهد في سبيل الله تعالى، فهذا شرف عظيم عند الله جل وعلا قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 2].

روى البخاري (2880) ومسلم (811)، وغيرهما، واللفظ للبخاري، من طريق عبد الوارث، قال حدثنا عبدُ العزيز عن أنسٍ ﷺ قال: «لمّا كانَ يومُ أُحُدٍ انهزَمَ الناسُ عن النبيّ ﷺ. قال ولقد رأيتُ عائشة بنتَ أبي بكرٍ وأُمَّ سُلَيم وإنهما لمَشمِّرتان أرى خَدَمَ سُوقِهِنَّ تَنقُزان القِرَب ـ وقال غيرُهُ: تَنقُلانِ القِرَبَ ـ علىٰ مُتونِهما ثمَّ تُفرغانِهِ في أفواهِ القوم، ثمَّ ترجعانِ فتملآنِها ثمَّ تَجيئانِ فتُفْرغانه في أفواهِ القَوم.

ورواه مسلم، بأتم منه، من طريق عَبدِ اللهِ بنِ عَمرو (وَهُوَ أَبُو مَعمَرٍ المِنْقَرِي). حَدّثنا عَبدُ الوَارِثِ. حَدّثنَا عَبدُ العَزِيزِ (وَهُوَ ابنُ صُهَيبٍ) عَن أنَسِ بنِ مَالِكٍ. قَالَ: لَمَّا كَانَ يَومُ أُحُدٍ انْهزَمَ نَاسٌ مِنَ الناسِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وأبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَي النبيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيهِ بِحَجَفَةٍ[1]

قَالَ: وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلاً رَامِياً شَدِيدَ النزع[2] وَكَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوسَيْنِ أَوْ ثَلاثاً. قَالَ: فَكَانَ الرَّجلُ يَمُرّ مَعَهُ الجَعبَةُ مِنَ النبلِ. فَيَقُولُ: انثُرهَا لأَبِي طَلحَةَ.

قَالَ: وَيشرِفُ نَبِيّ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوم. فَيَقُولُ أَبُو طَلحَةَ: يَا نَبِيّ الله! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! لا تُشرِف، لِيُصِبْكَ سَهمٌ من سِهَامِ القَوْمِ. نَحرِي دُونَ نَحرِكَ.

قَالَ: وَلَقَد رَأيتُ عَائِشَةَ بِنتَ أَبِي بَكرٍ وَأُمَّ سُلَيمٍ وإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ. أَرَى خَدَمَ سُوقِهِما[3] تَنقُلانِ القِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا ثُم تُفْرِغَانِهِ في أَفوَاهِهِم. ثُمَّ تَرجِعَانِ فتملآنِهَا ثُمَّ تَجِيئَانِ تُفرِغَانِهِ فِي أفوَاهِ القَومِ.

وَلَقَد وَقَعَ السّيفُ من يَدَي أَبِي طَلحَةَ إِمَّا مَرّتَينِ وإمّا ثَلاثاً، مِنَ النُّعَاس.

---

(1) قوله: (مُجَوِّبٌ عليه بحجفةٍ» أي مترس عنه ليقيه سلاح الكفار.

(2) قوله: «كان أبو طلحة رامياً شديد النزع» أي شديد الرمي.

(3) قوله: «أرى خدم سوقها» هو بفتح الخاء المعجمة والدال المهملة الواحدة خدمة وهي الخلخال، وأما السوق فجمع ساق، وهذه الرؤية للخدم لم يكن فيها نهي لأن هذا كان يوم أُحُد قبل أمر النساء بالحجاب وتحريم النظر إليهن، ولأنه لم يذكر هنا أنه تعمد النظر إلى نفس الساق فهو محمول، على أنه حصلت تلك النظرة فجأة بغير قصد ولم يستدمها. قوله: «نحري دون نحرك» هذا من مناقب أبي طلحة الفاخرة. قوله: «على متونهما» أي على =

حمل النساء للماء لسقاية المجاهدين:

روى البخاري (2881)، من طريق يونُسُ عنِ ابنِ شِهاب قال ثَعلبَةُ بنُ أبي مالِكٍ: إن عمرَ بنَ الخَطّاب ﷺ قَسَمَ مُروطاً بينَ نساءٍ من نساءِ المدينة، فبَقِيَ مِرْطٌ جَيّد، فقال له بعضُ من عِندَه: يَا أَميرَ المؤمنينَ أَعطِ هذا ابنةَ رسولِ الله ﷺ التي عندَك ـ يُريدونَ أمَّ كلْثومِ بنتَ عليّ ـ فقال عمرُ: أم سَليطٍ أحقُّ. وأمُّ سَليطٍ من نِساءِ الأنصار ممن بايعَ رسولَ الله ﷺ، قال عمرُ: فإنها كانت تَزفِرُ لنا القِرَبَ يومَ أُحُدٍ[1].

= ظهورهما، وفي هذا الحديث اختلاط النساء في الغزو برجالهن في حال القتال لسقي الماء ونحوه. «شرح صحيح مسلم» (6/ 438).

وقال الحافظ ابن حجر ـ (رحمه الله تعالى) ـ في «الفتح» (6/ 172): وقوله: «خدم سوقهما بفتح الخاء المعجمة والدال المهملة وهي الخلاخيل، وهذه كانت قبل الحجاب، ويحتمل أنها كانت عن غير قصد للنظر، وقوله: «تنقزان» بضم القاف بعدها زاي، و«القرب» بكسر القاف وبالموحدة جمع قربة، وقوله: «وقال غير تنقلان القرب» يعني باللام دون الزاي وهي رواية جعفر بن مهران عن عبد الوارث أخرجها الإسماعيلي، وقوله: «تنقزان» قال الداردي: معناه تسرعان المشي كالهرولة، وقال عياض: قيل: معنى تنقزان تثبان، والنقز: الوثب والقفز، كناية عن سرعة السير.

(1) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (6/ 173): قوله: «يريدون أم كلثوم» كان عمر قد تزوج أم كلثوم بنت علي وأمها فاطمة ولهذا قالوا لها بنت رسول الله ﷺ وكانت قد ولدت في حياته وهي أصغر بنات فاطمة (ع).

وقوله: «أم سليط» كذا فيه بفتح المهملة وكسر اللام وزنِ رغيف، ولم أرَ لها في كتب من صنف في الصحابة ذكراً إلا في الاستيعاب فذكرها مختصرة بالذي هنا، وقد ذكرها ابن سعد في طبقات النساء وقال: هي أم قيس بنت عبيد بن زياد بن ثعلبة من بني مازن، تزوجها أبو سليط بن أبي حارثة عمرو بن قيس من بني عدي بن النجار فولدت له سليطاً وفاطمة، يعني فلذلك يقال لها أم سليط، وذكر أنها شهدت خيبر وحنيناً، وغفل عن ذكر شهودها أحداً وهو ثابت بهذا الحديث.

وذكر في ترجمة أم عمارة الأنصارية شبيهاً بهذه القصة من وجه آخر عن عمر لكن فيه: فقال بعضهم أعطه صفية بنت أبي عبيد زوج عبد الله بن عمر، وقال فيه أيضاً: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما التفت يميناً ولا شمالاً يوم أُحُد إلا وأنا أراها تقاتل دوني**» فهذا يشعر بأن القصة تعددت.

وقوله: «تزفر» بفتح أوله وسكون الزاي وكسر الفاء أي تحمل وزناً ومعنى.

وقوله: «قال أبو عبد الله: تزفر تخيط» كذا في رواية المستملي وحده، وتعقب بأن ذلك لا يعرف في اللغة وإنما الزفر الحمل وهو بوزنه ومعناه، قال الخليل: زفر بالحمل زفراً =

فائدة جليلة في فضل الإنشغال بالله تعالى

إذا أصبح العبد وأمسى وليس همُّه إلا الله وحده، تحمّل الله سبحانه حوائجه كلها، وحَمَل عنه كل ما أهمّه، وفرَّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته.

وإن أصبح وأمسى والدنيا همّه، حمّله الله همومَها وغمومها وأنكادها، ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم؛ فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره، كالكير يُنفخ بطنه ويُعصر أضلاعه في نفع غيره.

فكل مَن أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: 36].

قال سفيان بن عيينة: لا تأتون بمثل مشهور للعرب إلا جئتكم به من القرآن. فقال له قائل: فأين في القرآن أعطِ أخاكَ تمرة فإن لم يقبل فاعطِه جمرة؟ فقال في قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ الآية. [الزخرف: 36].

❀ ❀ ❀

لا تحزن.... ما دام عندك زوجة تلاعبها وتلاعبك

«هلاّ تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك» إرشاد من رسول الله ﷺ لجابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ ولأمته للترويح عمّا يُواجههم من مصاعب الحياة وشدائدها. ولكن ما هي حدود تلك المداعبة المشروعة بين الرجل وزوجته؟

يقول الشيخ محمد صالح العثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: يقول الله ﷻ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: 5 ـ 6] فقد بين الله في هذه الآية أن الرجل لا يلام على عدم حفظ فرجه عن امرأته. وقال النبي ﷺ في استمتاع الرجل بِزَوْجَتِه حال الحيض: **«إصْنعُواْ كُلَّ شيء إلا النكاح فلكل واحد من الزّوجين أن يَسْتَمْتِع من الآخر بما شاء إلاَّ في حال الحيض فلا يحلّ للرجل أن يجَامع زوجته وهي حائض لقوله تعالى** ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ

فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222].

ومع هذا فله في حال الحيض أَنْ يَسْتَمْتِع من زَوْجته بما دُون الفرج كما سبق في الحديث ولا يحلّ أن يجامعها أيضاً حال النّفاس، ولا أن يطأها في دبرها لقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 223] ومحل ـ الحرث هو الفرج فقط. انتهى.

تنبيه: على كتمان ما يحصل بين الزوجين في الجماع ما لم تكن هناك ضرورة

روى الإمام مسلما (1437)، وغيره من حديث أبي سعيد الخدريَ ﷺ، قال: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «إن مِن أَشَرّ الناسِ عِندَ الله ـ مَنزِلَةً يَومَ القيامَةِ، الرّجل يُفضِي إلى امرَأتِهِ، وتُفْضِي إِلَيهِ، ثُم ينشُرُ سِرَّهَا».

وفي لفظ له ولأحمد (11655) وأبي داود (4870) وغيرهم: «إنَّ مِن أَعظَمِ الأَمَانَة عِندَ الله يَومَ القِيَامَةِ، الرجُل يُفْضِي إلى امرَأتِهِ، وتُفْضي إِلَيهِ، ثُم يَنشُرُ سِرّها».

وروى الإمام أحمد (10977)، وأبو داود (2174)، والترمذي عقب الحديث (2787)، وغيرهم من حديث أبى هريرة ﷺ، وفيه... فَصلى رسولُ الله ﷺ ولم يَنسَ مِن صَلاتِهِ شيئاً، فَلمّا سلَّمَ أَقبَلَ عَلَيهِم بِوَجهِهِ، فَقَالَ: «مجالسكم، هل فيكم رجل إذا أَتى أهلَة أغلَقَ بابَه، وَأَرْخَى سِتْرَهُ، ثُم يَخرُج فيَحدث، فيقول فَعَلت بِأهلي كَذَا، وفَعلتُ بِأَهلِي كَذَا»؟

فسَكتوا. فأقبل عَلى النسَاءِ فَقَالَ: «هل مِنكُن مَن تُحدّثُ»؟ فَجَثَتْ فَتَاةٌ كعابٌ[1] عَلَى إحدَى رُكبَتيهَا، وَتَطَالت لِيَرَاهَا رَسُول الله ﷺ ويَسمَعَ كَلامَها.

فقالت: أَي وَالله، إِنَّهُم لَيحَدّثونَ، وإنَهُنّ لَيُحَدّثنَ!

قال ﷺ: «فَهَل تَدرُونَ مَا مَثَلُ مَن فَعَلَ ذلِكَ؟ إِنَّ مَثَلَ من فَعَلَ ذلِكَ، مَثَل شيطان وشيطانة، لقي أحدهما صاحبهُ بالسكّة، فقضى حاجته منها، والناس ينظرون إليه».... الحديث.

❀ ❀ ❀

---

(1) الكعاب: بالفتح ـ المرأة حين يبدو ثديها للنهود. وجمعها: كواعب.

مُعجزة الوضوء

روى «الصحيح» من حديث عثمان بن عفان ـ ﷺ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من توضأ فأحسنَ الوضوء، خرجت خطاياهُ من جسدِه، حتى تخرُج من تحت أظفاره»**[1].

وقال ﷺ: **«إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرّاً محَجَّلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعلْ»**[2].

أثبت العلم الحديث بعد الفحص الميكروسكوبي للمزرعة الميكروبية التي عملت للمنتظمين في الوضوء ولغير المنتظمين:

أن الذين يتوضّؤون باستمرار.. قد ظهر الأنف عند غالبيتهم نظيفاً طاهراً خالياً من الميكروبات؛ ولذلك جاءت المزارع الميكروبية التي أجريت لهم خالية تماماً من أي نوع من الميكروبات.

في حين أعطت أنوف من لا يتوضّؤون مزارع ميكروبية ذات أنواع متعددة وبكميات كبيرة من الميكروبات الكروية العنقودية الشديدة العدوى.. والكروية السبحية السريعة الانتشار.. والميكروبات العضوية التي تسبب العديد من الأمراض.

وقد ثبت أن التسمم الذاتي يحدث من جراء نمو الميكروبات الضارة في تجويف الأنف ومنهما إلى داخل المعدة والأمعاء ولإحداث الالتهابات والأمراض المتعددة، ولاسيما عندما تدخل الدورة الدموية. لذلك شرع الاستنشاق بصورة متكررة ثلاث مرات في كل وضوء.

أما بالنسبة للمضمضة فقد ثبت أنها تحفظ الفم والبلعوم من الالتهابات، ومن تقيح اللثة وتقي الأسنان من التنخر بإزالة الفضلات الطعامية التي قد تبقى فيها.

فقد ثبت علمياً أن تسعين في المائة من الذين يفقدون أسنانهم لو اهتموا بنظافة الفم لما فقدوا أسنانهم قبل الأوان، وأن المادة الصديدية والعفونة التي تتكون في الفم لا يقتصر ضررها على تقيح اللثة، بل تدخل المعدة مع اللعاب والطعام فتمتصها

---

(1) رواه الإمام أحمد (476) ومسلم (245) وغيرهما.

(2) متفق عليه من حديث أبي هريرة ـ ﷺ ـ.

المعدة، وتسري إلى الدم. . ومنه إلى جميع الأعضاء وتسبب أمراضاً كثيرة[1].

وأن المضمضة تنمي بعض العضلات في الوجه وتجعله مستديراً. . وهذا التمرين لم يذكره من أساتذة الرياضة إلا القليل لانصرافهم إلى العضلات الكبيرة في الجسم.

ولغسل الوجه واليدين إلى المرفقين والقدمين فائدة إزالة الغبار، وما يحتوي عليه من الجراثيم، فضلاً عن تنظيف البشرة من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية بالإضافة إلى إزالة العرق.

وقد ثبت علمياً أن الميكروبات لا تهاجم جلد الإنسان إلا إذا أهمل نظافته. .

فإن الإنسان إذا مكث فترة طويلة بدون غسل لأعضائه، فإن إفرازات الجلد المختلفة من دهون وعرق تتراكم على سطح الجلد محدثة حكة شديدة. وهذه الحكة بالأظافر. . التي غالباً ما تكون غير نظيفة، تدخل الميكروبات إلى الجلد.

كذلك فإن الإفرازات المتراكمة هي دعوة للبكتريا كي تتكاثر وتنمو[2].

بهذا فإن الوضوء بأركانه قد سبق علم البكتريولوجيا الحديثة، والعلماء الذين استعانوا بالمجهر على اكتشاف البكتريا والفطريات التي تهاجم الجلد الذي لا يعتني صاحبه بنظافته التي تتمثل في الوضوء والغسل.

ومع استمرار الفحوص والدراسات. . أعطت التجارب حقائق علمية أخرى. . فقد أثبت البحث أن جلد اليدين يحمل العديد من الميكروبات، التي قد تنتقل إلى الفم أو الأنف عند عدم غلسهما. . ولذلك يجب غسل اليدين جيداً عند البدء في الوضوء. . وهذا يفسر لنا قول الرسول ﷺ:

«إذا استيقظ أحدكم من نومه. . فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً»[3].

كما قد ثبت أيضاً أن الدورة الدموية في الأطراف العلوية من اليدين والساعدين، والأطراف السفلية من القدمين والساقين، أضعف منها في الأعضاء الأخرى لبعدها عن

(1) وقاية الأسنان وصحة الأبدان: د. غرزوزي.

(2) نظرات إسلامية على الأمراض الجلدية والتناسلية: د. محمد عبد المنعم عبد العال.

(3) الحديث بتمامه رواه الإمام مالك في «موطئه» (40) والإمام أحمد (7438) والبخاري (162) ومسلم (278)، وغيرهم من حديث أبي هريرة - ﷺ - عن النبي ﷺ، بأتم منه.

المركز الذي هو القلب، فإن غسلها مع دلكها يقوى الدورة الدموية لهذه الأعضاء من الجسم مما يزيد في نشاط الشخص وفعاليته.

من ذلك كله يتجلى الإعجاز العلمي في شرعية الوضوء في الإسلام.



النظافة من الإيمان

قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222].

قال عطاء وغيره: المتطهرون هنا: هم الذين يُبالغون في التطهر بالماء من الجنابة والأحداث. وقال مجاهد: الذين يتطهرون عن إتيان النساء في أدبارهن. قال ابن عطية: كأنه نظر إلى قوله تعالى حكاية عن قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: 82].

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: تلمحت على خلق كثير من الناس إهمال أبدانهم، فمنهم من لا ينظف فمه بالخلال بعد الأكل، ومنهم من لا ينقي يديه في غسلها من الزَّهم، ومنهم من لا يكاد يستاك، ومنهم من لا يكتحل، ومنهم من لا يراعي الإبط، إلى غير ذلك، فيعود هذا الإهمال بالخلل في الدين والدنيا.

أما الدين فإنه قد أمر المؤمن بالتنظف والاغتسال للجمعة لأجل اجتماعه بالناس، ونهى عن دخول المسجد إذا أكل الثوم، وأمر الشرع بتنقية البراجم، وقص الأظفار، والسواك، والاستحداد، وغير ذلك من الآداب.

فإذا أهمل ذلك، ترك مسنون الشرع، وربما تعدى بعض ذلك إلى فساد العبادة، مثل أن يهمل أظفاره فيجمع تحته الوسخ المانع للماء في الوضوء أن يصل.

وأما الدنيا فإني رأيت جماعة من المهملين أنفسهم، يتقدمون إلى السِّرار[1] والغفلة التي أوجبت إهمالهم أنفسهم، أوجبت جهلهم بالأذى الحادث عنهم. فإذا أخذوا في مناجاة السر، لا يمكن أن أصدف عنهم؛ لأنهم يقصدون السر، فألقى الشدائد من ريح أفواههم.

---

(1) السرار: مصدر؛ سَّار، وهي المناجاة في السر والخفاء.

ولعل أكثرهم من وقت انتباههم ما أمر أصبعه على أسنانه. ثم يوجب مثل هذا نفور المرأة، وقد لا تستحسن ذكر ذلك للرجل، فيثمر ذلك التفاتها عنه.

وقد كان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول: إني لأحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي. وفي الناس من يقول: هذا تصنع. وليس بشيء، فإن الله تعالى زَيّننا لَمّا خلقنا. لأن للعين حظّاً في النظر، ومن تأمل أهداب العين، والحاجبين، وحسن ترتيب الخلقة، علم أن الله زين الآدمي.

وقد كان النبيّ ﷺ أنظف الناس وأطيب الناس، وفي الحديث عنه ﷺ: يرفع يديه حتى تبين عفرة إبطيه[1]، وكان ساقه ربما انكشفت فكأنها جمارة. وكان لا يفارقه السواك، وكان يكره أن يشم منه ريح ليست طيبة. وفي حديث أنس الصحيح: **«ما شانه الله ببيضاء»**[2].

وقد قالت الحكماء: من نظف ثوبه قل همه، ومن طاب ريحه زاد عقله.

وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: **«ما لكم تدخلون علي قلحاً، استاكوا»**[3]. وقد فضلت الصلاة بالسواك، على الصلاة بغير سواك، فالمتنظف ينعم نفسه، ويرفع منها قدرها. وقد قال الحكماء: من طال ظفره قصرت يده. ثم إنه يقرب من قلوب الخلق وتحبه النفوس؛ لنظافته وطِيبه.

وقد كان النبي ﷺ يحب الطِّيْب. ثم إنه يُؤنس الزوجة بتلك الحال **«فإن النساء شقائق الرجال»**، فكما أنه يكره الشيء منها فكذلك هي تكرهه، وربما صبر هو على ما يكره وهي لا تصبر.

وقد رأيت جماعة يزعمون أنهم زهاد وهم من أقذر الناس، وذلك أنهم ما قوّمهم العلم.

---

(1) رواه البخاري (6636)، وغيره من حديث أبي حميد الساعدي - رضي الله عنه -.

(2) رواه مسلم في الفضائل (2341/ 105)

(3) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (1835) والبزار (498) والطبراني (1301)، وغيرهم، من طريق جعفر بن تمام بن عباس عن أبيه قال: أتوا النبي ﷺ فقال: **«ما لي أراكم تأتوني قُلحاً؛ لولا أن أشق على أمتي، لفرضت عليهم السواك كما فرضت عليهم الوضوء»** وفي إسناده أكثر من مقال. وقوله ﷺ: **«قلحاً»** جمع أقلح، والقلح: صفرة تعلو الأسنان، ووسخ يركبها.

وأما ما يحكى عن داود الطائي أنه قيل له لو سرحت لحيتك، فقال: إني عنها مشغول، فهذا قول معتذر عن العمل بالسنة، والإخبار عن غيبته عن نفسه بشدة خوفه من الآخرة، ولو كان مُفيقاً لذلك لم يتركه، فلا يحتج بحال المغلوبين.

ومن تأمل خصائص الرسول ﷺ رأى كاملاً في العلم والعمل، فبه يكون الاقتداء وهو الحجة على الخلق.

❀ ❀ ❀

عليك بالعفو والصفح فهو خير لك

هل أنت ممن يعفو ويصفح؟ فإن كنت كذلك فاحمد الله جل وعلا على ما حباك به من خصلة، قد حُرِم منها كثير من الخلق. وهي من أخلاق الأنبياء والمرسلين ـ عليهم السلام ـ وقد أُمر بها رسول الله ﷺ، وتحلى بها. قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199].

قال عبدالله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ أمر الله تعالى نَبِيَّهُ ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس[1]. وقال مرة أخرى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ الآية ما أنزل الله إلا في أخلاقِ الناس[2].

وروي عن جعفر الصادق وقال: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها. ووجهوه بأن الأخلاق ثلاثة بحسب القوى الإنسانية: عقلية وشهوية وغضبية، فالعقلية الحكمة ومنها الأمر بالمعروف، والشهوية العفة ومنها أخذ العفو، والغضبية الشجاعة ومنها الإعراض عن الجاهلين. وروى الطبري مرسلاً وابن مردويه موصولاً من حديث جابر وغيره «لما نزلت ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: 199] سأل جبريل فقال: لا أعلم حتى أسأله ثم رجع فقال: **إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك**. اهـ.

وقد عَمِلَ رسول الله ﷺ بأمر ربه جل وعلا. حيث أنه ﷺ كان قرآناً يمشي على

---

(1) رواه البخاري (4644)

(2) رواه البخاري (4643)

الأرض - كما قالت السيدة عائشة - رضي الله عنها - وكذلك عمل صحابة رسول الله ﷺ بما جاءهم من الحق، وبما سنّهُ رسول الله ﷺ. وفي «الصحيح» من طريق الزهري، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَة أن ابن عَبّاس رَضي الله عنهما قال: قدِم عيَيْنةُ بن حِصْن بن حُذيفة فنزل عَلَى ابن أخيه الحرّ بن قيس وكان من النفر الذين يُدْنيهم عمر، وكانَ القراءُ أصحاب مَجالس عُمَرَ وَمشاورتهِ كهُولاً كانُوا أوْ شباناً فقال عيَيْنةُ لابن أخيهِ: يا ابنَ أخي لك وجْهٌ عنْدَ هذا الأمير فَاسْتأذِنْ لي علَيْهِ قالَ: سأسْتَأذِنُ لَك عليْهِ، قال ابنُ عبّاس: فاسْتَأذن الحرُّ لعُيَيْنَةَ فَأذن لَهُ عُمر.

فَلمّا دخلَ عليه قالَ: هِيْ يا ابنَ الخَطّاب فَوالله ما تعطينا الجزلَ وَلا تحكم بيْنَنا بالعدل، فَغضب عُمَر حَتّى هم بهِ فقالَ لهُ الحرّ: يا أمِيرَ المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيّه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عُمرُ حتّى تلاها علَيْه وكانَ وقّافاً عِنْد كِتاب الله[1].

كيف تلجم نفسك؟

ولكن إن استُغضبت، وبلغ منك الأمر مبلغاً، فما العمل؟ قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 200 - 201].

وفي «الصحيحين» من حديث سُليمان بن صُردْ - رضي الله عنه - قالَ: اسْتَبَّ رَجُلانِ عِنْدَ النبيّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوس وَاحدُهُما يَسُبّ صاحِبَهُ مُغْضَباً قَدِ احْمَرَّ وجْهُهُ فَقالَ النَبِيّ ﷺ: «إنّي لأعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قالَها لَذَهَبَ عَنْهُ ما يَجدُ، لَوْ قال: أعُوذُ بِالله مِنَ الشّيْطانِ الرجِيمِ» فَقالُوا لِلرَّجُلِ: ألا تَسْمَعُ ما يَقُولُ النَبِيّ ﷺ قالَ: إنّي لَسْتُ لِمَجْنُونٍ[2].

وعن أبِي هُرَيْرَة رَضِيَ الله عَنْه أن رَسُول الله ﷺ قالَ: «ليس الشّديد بِالصُّرْعَةِ، إنّما الشّديد الذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عند الْغَضب»[3].

(1) رواه البخاري (4642)

(2) رواه البخاري (6115) ومسلم (2610)

(3) رواه البخاري (6114)

وعنه رضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَ رجلاً قال لِلنبيّ ﷺ: أوْصِنِي، قالَ: «لا تغْضَبْ» فرَدّد مِراراً قالَ: «لا تَغْضبْ»[1].

قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ: معنى قوله ﷺ: «لا تغضب» اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه. وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه لأنه أمر طبيعي لا يزول من الجبلة، وقال غيره: ما كان من قبيل الطبع الحيواني لا يمكن دفعه، فلا يدخل في النهي لأنه من تكليف المحال، وما كان من قبيل ما يكتسب بالرياضة فهو المراد. وقيل معناه لا تغضب لأن أعظم ما ينشأ عنه الغضب الكبير لكونه يقع عند مخالفة أمر يريده فيحمله الكبر على الغضب، فالذي يتواضع حتى يذهب عنه عزة النفس يسلم من شر الغضب. وقيل: معناه لا تفعل ما يأمرك به الغضب.

وقال ابن بطال: في الحديث الأول أن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو، لأنه ﷺ جعل الذي يملك نفسه عند الغضب أعظم الناس قوة. وقال غيره: لعل السائل كان غضوباً، وكان النبي ﷺ يأمر كل أحد بما هو أولى به، فلهذا اقتصر في وصيته له ـ على ترك الغضب. وقال ابن التين: جمع ﷺ في قوله «لا تغضب» خير الدنيا والآخرة لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومع الرفق، وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين.

وقال البيضاوي: لعله لما رأى أن جمع المفاسد التي تعرض للإنسان إنما هي من شهوته ومن غضبه، وكانت شهوة السائل مكسورة فلما سأل عما يحترز به عن القبائح نهاه عن الغضب الذي هو أعظم ضرراً من غيره، وأنه إذا ملك نفسه عند حصوله كان قد قهر أقوى أعدائه. انتهى. ويحتمل أن يكون من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى، لأن أعدى عدو للشخص شيطانه ونفسه، والغضب إنما ينشأ عنهما، فمن جاهدهما حتّى يغلبهما مع ما في ذلك من شدة المعالجة كان لقهر نفسه عن الشهوة أيضاً أقوى.

وقال ابن حبان بعد أن أخرجه: أراد لا تعمل بعد الغضب شيئاً مما نهيت عنه، لا أنه نهاه عن شيء جبل عليه ولا حيلة له في دفعه. وقال بعض العلماء: خلق الله الغضب من النار وجعله غريزة في الإنسان، فمهما قصد أو نوزع في غرض ما اشتعلت

---

(1) رواه البخاري (6116)

نار الغضب وثارت حتى يحمر الوجه والعينان من الدم، لأن البشرة تحكي لون ما وراءها، وهذا إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه.

وإن كان ممن فوقه تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب فيصفر اللون حزناً، وإن كان على النظير تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويترتب على الغضب كغِير الظاهر والباطن كتغير اللون والرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن غير ترتيب واستحالة الخلقة حتى لو رأى الغضبان نفسه في حال غضبه لكان غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته.

هذا كله في الظاهر، وأما الباطن فقبحه أشد من الظاهر، لأنه يولد الحقد في القلب والحسد وإضمار السوء على اختلاف أنواعه، بل أولى شيء يقبح منه باطنه، وتغير ظاهره ثمرة تغير باطنه، وهذا كله أثره في الجسد.

وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش الذي يستحي منه العاقل ويندم قائله عند سكون الغضب، ويظهر أثر الغضب أيضاً في الفعل بالضرب أو القتل، وإن فات ذلك بهرب المغضوب عليه رجع إلى نفسه فيمزق ثوبه ويلطم خده، وربما سقط صريعاً، وربما أغمي عليه، وربما كسر الآنية وضرب من ليس له في ذلك جريمة.

ومن تأمل هذه المفاسد عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ «لا تغضب» من الحكمة واستجلاب المصلحة في درء المفسدة مما يتعذر إحصاؤه والوقوف على نهايته، وهذا كله في الغضب الدنيوي لا الغضب الديني، ويعين على ترك الغضب استحضار ما جاء في كظم الغيظ من الفضل، وما جاء في عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد، وأن يستعيذ من الشيطان كما جاء في حديث سليمان بن صرد، وأن يتوضأ كما تقدمت الإشارة إليه في حديث عطية، والله أعلم.

وقال الطوفي: أقوى الأشياء في دفع الغضب استحضار التوحيد الحقيقي، وهو أن لا فاعل إلا الله، وكل فاعل غيره فهو آلة له، فمن توجه إليه بمكروه من جهة غيره فاستحضر أن الله لو شاء لم يمكِّن ذلك الغير منه اندفع غضبه، لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه جل وعلا وهو خلاف العبودية.

قلت: وبهذا يظهر السر في أمره ﷺ الذي غضب بأن يستعيذ من الشيطان لأنه إذا توجه إلى الله في تلك الحالة بالاستعاذة به من الشيطان أمكنه استحضار ما ذكر،

وإذا استمر الشيطان متلبساً متمكناً من الوسوسة لم يمكنه من استحضار شيء من ذلك، والله أعلم[1].

أقول ناصحاً نفسي أولاً، أنه ليس هناك أفضل من حسن الخُلق، فبه يحيا المرء مرتاحاً آمناً وبغير ذلك يشقى. وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أثقل ما وُضع في ميزان المؤمن يوم القيامة، خُلقٌ حسن. وأن الله يبغضُ الفاحش البذيءَ»**.

وفي لفظ له آخر: **«ما من شيء يُوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق، ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»**[2].

وفي التنزيل: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8].

لا تُخرِّب خلاياك الدماغية بما حرّمه الله تعالى عليك

الخمر والدخان والمخدرات والتلوث.. عوامل سلبية تؤثر على جهازك العصبي، والذي هو قوام حياتك.

فالْجِهَازُ العصبي هو الْمُشرِفُ العامّ على أعمال جسم الإنسان، لا يَتُمُّ فيه شيءٌ إلاّ بمشيئَتِهِ وإشْرافِهِ؛ منها ما يتمّ بإرادَةِ الإنسان كَحَرَكاتِ الأطراف مثلاً، ومنها ما يتمّ بدون إرَادِتِهِ كضربات القلب، وعمليّةِ الهضم، وإفرازِ البول وغيرها، كلها تتمّ تحت إشْرَافِ الجِهَازِ العَصَبِي.

يتألّف الجهاز العصبي من المخ، والمخيخ، والساقّ المخية، والحدبة الحلقيّة، والبصلة السِّيسَائِيَّةِ، والنُّخَاع الشوكي، والْعُقَد العصبية، والأعصاب.

يَقَعُ المخُّ والمُخَيْخ والساقُ المخية والحدبةُ الحلقيةُ داخل الجمجمة، وتبدأ البصلةُ السيسائيةُ بالخروج من الثُّقْبَةِ القفرية الكائنة في قاعدة الجمجمة لِتَتَمادَى مع النخاع الشوكي الذي ينزل في القناة الفقرية.

---

(1) - «فتح الباري» (12/ 150 - 151)

(2) الحديث بألفاظه رواه الإمام أحمد (27587) والبخاري في «الأدب المفرد» (270) وأبو داود (4799) والترمذي (2003) وغيرهم بإسناد جيد.

يتألف المخ والمخيخ من قِشْرَةٍ سِنْجَابِيَّةِ اللَّوْن في المحيط، فيها الخلايا العصبية، ومن لُب أبيض اللون في الوسط هو عبارة عن مَحَاوِرِ الأعْصَاب الواردة إلى الخلايا العصبية، والصادرة عنها.

أما بقية أجزاء الجهاز العصبي فتتألف من نَسِيج أبيض اللون في المحيط، هو عبارة عن الأعصاب الصاعدة والنازلة، ومن نسيج سنجاني اللون في الوسط، وهو عبارة عن الخلايا والمراكز العصبية.

يُسَيْطِرُ المخيخُ على حركات التوازن في الإنسان، لذلك فهو ذو علاقة وثيقة بالأذن الداخلية.

أما المخ والمراكز الأخرى، فَتُسَيْطِرُ على أعمال الجسم الأخرى كلها، الإرادية وغير الإرادية، وعلى الذاكرة، والذكاء، والفهم، والإدراك.

المخ: عندما يولد الطفل يكون وَزْنُ مُخِّهِ 350 غ، ثم تنمو الجمجمة وينمو المخ بنمو جسم الطفل، حتى يصبح متوسط وزن المخ 1390 غ تقريباً في الرجل، و1230 غ تقريباً في المرأة. وهو من أكثر الأنسجة في الإنسان تميُّعاً، فيه 75 ـ 80% من وزنه ماء.

يعيش المخُّ على أكسجين وسكر الغلوكوز، لا يستطيع الاستغناء عنهما أبداً، فهو يستهلك 15 ـ 25% من أوكْسِجين الداخل إلى جسم الإنسان، أي يحتاجُ كلَّ يوم إلى 75 ـ 100 لتر من أوكسجين، وإلى 150 غراماً من سكر الغلوكوز. ويأتيه ذلك كلّه بواسطة الدم الذي يَجُولُ فيه، إذ يَمُرُّ فيه، في كلِّ يوم، 15% من دم الإنسان. وإذا انْقَطَعَ الدم عنه دقيقة واحدة تبدأ خلاياه بالتخرب، وإذا استمر الانقطاع 4 ـ 5 دقائق تخرّبت خلاياه كلّها، ولا تعودُ إليها الحياةُ بعد ذلك أبداً، ويموتُ دِمَاغُ المصاب، ويُحْسَبُ من الأموات، لأنَّ خلايا المخ لا تَنْقَسِم ولا تَتَجدَّدُ مُطْلَقَاً، وما يموت منها لا يُعَوَّضُ أبداً. وإذا أمكن إنْقَاذُ المصابُ قبل موته نهائياً فكثيراً ما يكون مُصاباً بشلول وآفَاتٍ عصبيةٍ مختلفة لِتَخَرُّبِ خلايا بَعْضِ المراكزِ العصبيّة بسبب انْقِطَاع الدم عنها.

في قِشْرَة المخ 13 ـ 14 مليار خلية عصبية (عَصْبُون neuron) و 100 مليار خلية دِبْقِيَّة، وظيفتَهُا حمايَةُ الخلايا العصبية، وفي سنِّ الشيخوخة، ابتداءً من سنّ السبعين من العمر، تبدأ خلايا المخ بالتَّخَرُّبِ والاندِثَار، حتى يبلغ ما يتخرب منها، كل يوم، 50 ألف خلية أو أكثر، ولكنْ لا خَوْف من ذلك على قُدْراتِ الشخص العصبية، لأنَّ عَدَدَ

الخلايا العصبية الموجودة في مخه تكفيه 200 سنة، إذا لم يسَاعِدْ هو على تخريبها أيضاً بالْغَوْل (الخمر) والمخدرات والدخان والتلوث وغيرها، كما يمكن الشخص أنْ يبطئ تَخَرُّبَ خلاياه العصبيّة، إذا استطاع أنْ يؤمن لنفسه الرّاحَةَ النفسيَّةَ، بعيداً عن الحُزْنِ والْغَضَب والهموم، وأنْ يعيش في جَو خال من التلوث، وأن يعتنَي برياضَتِهِ وغِذَائه، لكي لا يُصاب بِتَصَلُّبِ الشرايين باكراً، فَتَقِلّ كميّةُ الدم الواردة إلى المخ، ويزداد بالتالي تخرُّبُ الخلايا فيه.

«لا ضرر ولا ضرار»

والقاعدة المثالية للمحافظة على أجسامنا، وما خلق الله تعالى فيها من أجهزة وأنظمة دقيقة وبالغة الحساسية، هي القاعدة التي تركها لنا رسول الله ﷺ، وأرشدنا إليها قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار».

فهلمّ أخي لنكون من أهل تلكم النصيحة النبوية العظيمة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.



حال عظماء أهل العلم ومآلهم

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76]

مهما بلغت من درجات العلوم والمعرفة، فأنت قاصر عن علم غيرك، جاهل بكثير من المعارف التي وهبها الباري سبحانه وتعالى لمن هو دونك.

ومع ذلك كله فقد طُلب منك أن تزداد من العلوم لتعرفه، وتعرف مقدار عظمته، وعَظَم صنعته، وبديع كونه وما خلق فيه من مخلوقات، وأبدع فيه من مكنونات.

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: قلت يوماً في مجلس: لو أن الجبال حُمِّلَتْ ما حُمِّلْتُ لعجزتْ.

فلما عُدت إلى منزلي، قالت لي النفس: كيف قلت هذا؟ وربما أوهم الناس أن بك بلاء، وأنت في عافية في نفسك وأهلك!! وهل الذي حملت إلا التكليف الذي يحمله الخلق كلهم! فما وجه هذه الشكوى؟

فأجبتها: إني لما عجزت عما حُملتُ، قلت هذه الكلمة لا على سبيل الشكوى، ولكن للاسترواح.

وقد قال كثير من الصحابة والتابعين قبلي: ليتنا لم نخلق! وما ذاك إلا لأثقال عجزوا عنها، ثم من ظن أن التكاليف سهلة فما عرفها، أترى يظن الظان أن التكاليف غسل الأعضاء برطلٍ من الماء، أو الوقوف في محراب لأداء ركعتين؟ هيهات! هذا أسهل التكليف، وإن التكليف هو الذي عجزت عنه الجبال، ومن جملته: أنني إذ رأيت القدر يجري بما لا يفهمه العقل، ألزمت العقل الإذعان للمقدر، فكان من أصعب التكليف، وخصوصا فيما لا يعلم العقل معناه كإيلام الأطفال، وذبح الحيوان، مع الاعتقاد بأن المقدر لذلك والآمر به، أرحم الراحمين. فهذا مما يتحير العقل فيه، فيكون تكليف التسليم، وترك الاعتراض، فكم بين تكليف البدن وتكليف العقل!.

ولو شرحت هذا لطال، غير أني أعتذر عما قلته، فأقول عن نفسي ـ وما يلزمني حال غيري ـ:

إني رجل حُبِّبَ إليَّ العِلم من زمن الطفولة فتشاغلتُ به، ثم لم يُحَبَّبُ إليّ فنٌّ واحد منه، بل فنونه كلها، ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه، والزمان لا يسع، والعمر أضيق، والشوق يقوى، والعجز يظهر فيبقى وقوف بعض المطلوبات حسرات. ثم إن العلم دلَّني على معرفة المعبود، وحثَّني على خدمته.

ثم صاحت بي الأدلة عليه إليه، فوقفت بين يديه، فرأيته في نعته وعرفته بصفاته، وعاينت بصيرتي من ألطافه ما دعاني إلى الهيمان في محبته، وحركني إلى التخلي لخدمته.

وصار يملكني أمر كالوجد كلما ذكرته، فعادت خلوتي في خدمتي له، أحلى عندي من كل حلاوة، فكلما ملت إلى الانقطاع عن الشواغل إلى الخلوة، صاح بي العلم أين تمضي؟ أتُعرِض عني وأنا سبب معرفتك به؟ فأقول له: إنما كنتَ دليلاً وبعد الوصول يُستغنى عن الدليل.

قال: هيهات! كلما زدتَ زادت معرفتك بمحبوبك، وفهمت كيف القرب منه. ودليل هذا أنك تعلم غداً أنك اليوم في نقصان. أَوَ ما سمعته يقول لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].

ثم ألستَ تبغي القرب منه؟ فاشتغل، بدلالة عباده عليه، فهي حالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أما علمت أنهم آثروا تعليم الخَلْقِ، على خلوات التعبُّد، لعلمهم أن ذلك آثَرُ عند حبيبهم؟ أما قال الرسول ﷺ لعلي ـ ﷺ ـ: **«لأن يهدي الله بك رجلاً، خير لك من حُمْرُ النَّعَمْ»**[1].

فلما فهمتُ صدق هذا المقالة، تهوست على تلك الحالة، وكلما تشاغلت بجمع الناس، تفرق همي، وإذا وجدت مرادي من نفعهم، ضعت أنا، فأبقى في حيز التحير متردداً، لا أدري على أي القدمين أعتمد، فإذا وقفت متحيراً صاح العلم: قم لكسب العيال، وادأب في تحصيل ولد يذكر الله، فإذا شرعتُ في ذلك قلص ضرع الدنيا وقت الحلب، ورأيت باب المعاش مسدوداً في وجهي؛ لأن صناعة العلم شغلتني عن تعلم صناعة.

فإذا التفت إلى أبناء الدنيا، رأيتهم لا يبيعون شيئاً من سلعها إلا بدين المشتري. وليت من نافقهم أو راءاهم نال من دنياهم، بل ربما ذهب دينه ولم يحصل مراده، فإن قال الضجر: اهرب. قال الشرع: **«كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»**[2].

---

(1) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (22884) والبخاري (2942) ومسلم (2406)، وغيرهم، من حديث سهل بن سعد ـ ﷺ ـ أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ يومَ خَيبَرَ: **«لأُعطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفتَحُ اللَّه عَلَى يَدَيه. يُحبّ الله وَرَسُولَهُ. وَيُحِبّهُ الله وَرَسُولُهُ»** قَالَ: فَبَاتَ النّاسُ يَدُوكُونَ لَيلَتَهُم أَيّهُم يُعطَاهَا. قَالَ: فَلَمّا أَصبَحَ النّاسُ غدُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ. كُلّهُم يَرجُونَ أَن يُعطَاهَا. فَقَالَ: **«أَينَ عَلِيّ بنُ أَبِي طَالِب؟»** فَقَالُوا: هُوَ، يَا رَسُولَ اللهِ، يَشتَكِي عَينَيهِ. قالَ فَأَرسِلُوا إِلَيهِ. فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَينَيهِ. وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ. حَتى كَأَن لَم يَكُن بِهِ وَجَع. فَأَعطَاهُ الرّايَةَ. فَقَالَ عَلِيّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُقَاتِلُهُم حَتّى يَكُونُوا مِثلَنَا. فَقَالَ: **«انفُذ عَلَى رَسلِكَ حَتى تَنزِلَ بِسَاحَتِهِم، ثُم ادعُهُم إِلَى الإِسلاَمِ، وَأَخبِرهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيهِم من حَق الله فِيهِ. فَوَاللّه، لأن يَفدِيَ الله بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيرٌ لَكَ من أَن يَكُونَ لَكَ حمرُ النّعَم»**.

وقولُه ﷺ: **«حُمر النعم»** هي الإبل الحُمر، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه وتشبيهه ﷺ أمور الآخرة بأعراض الدنيا، إنما هو لتقريب الأفهام، وإلا فالدنيا كلها لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة.

(2) رواه الإمام أحمد (6505) وأبو داود (1692) والحاكم (1515) وابن حبان (4240)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ ﷺ ـ به، عن النبي ﷺ. ورواه مسلم (996)، بلفظ: **«كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يَملك قوته»** أي أن يمنع عمن تلزمه نفقتهم قوتهم.

وإن قال العزم: انفرد، قال فكيف بمن تعول؟ فغاية الأمر أنني أشرع في التقلل من الدنيا، وقد ربيت في نعيمها، وغذيت بلبانها، ولطف مزاجي فوق لطف وضعه بالعادة. فإذا غيرت لباسي وخشنت مطعمي؛ لأن القوت لا يحتمل الانبساط، نفر الطبع لفراق العادة، فحل المرض فقطع عن واجبات، وأوقع في آفات، ومعلوم أن لين اللقمة بعد التحصيل من الوجوه المستطابة ثم تخشينها لمن لم يألف سعيٌ في تلف النفس.

فأقول: كيف أصنع وما الذي أفعل؟

وأخلو بنفسي في خلواتي، وأتزيد من البكاء على نقص حالاتي وأقول: أصف حال العلماء، وجسمي يضعف عن إعادة العلم؟ وحال الزهاد، وبدني لا يقوى على الزهد؟ وحال المحبين، ومخالطة الخلق تشتت همي، وتنقش صور المحبوبات من الهوى في نفسي؟ فتصدأ مرآة قلبي؟

وشجرة المحبة تحتاج إلى تربية في تربة طيبة، لتسقي ماء الخلوة من دولاب الفكرة، وإن آثرت التكسب لم أطق، وإن تعرضت لأبناء الدنيا ـ مع أن طبعي الأنفة من الذل وتَدَيُّني يمنعني ـ فلا يبقى للميل مع هذين الجاذبين أثر، ومخالطة الخلق تؤذي النفس مع الأنفاس! ولا تحقيق التوبة أقدر عليه، ولا نيل مرتبة أو عمل أو محبة يصح لي. فإذا رأيتني كما قال القائل:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

تحيرت في أمري، وبكيت على عمري، وأنادي في فلوات خلواتي بما سمعته من بعض العوام، وكأنه وصف حالي:

واحسرتي كم أداري فيك تعثيري ... مثل الأسير بلا حبل ولا سيري

ما حيلتي في الهوى قد ضاع تدبيري ... لما شكلت جناحي قلت لي طيري[1]

❀ ❀ ❀

(1) يقال: شكل الدابة: شد قوائمها بحبل، واسم ذلك الحبل: الشكال.

مآل العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك

إعلم أن الكبر والإعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل، وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأديب، والكبر يكسب المقت، ويمنع من التآلف. قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر»**، وقال رسول الله ﷺ: **«من جرّ ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه»**. وقال الأحنف بن قيس: ما تكبَّر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه. ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه.

وقال الأحنف: عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر. ومر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يتبختر في مشيه، فقال له مالك: يا بني لو تركت هذه الخيلاء لكان أجمل بك، فقال: أو ما تعرفني؟ قال: أعرفك معرفة أكيدة أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة، فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه. وقالوا لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة، وأعظم من ذلك أن الله تعالى حرَّم الجنة على المتكبرين، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: 83]، فقرن الكبر بالفساد. وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ قال بعض الحكماء: ما رأيت متكبراً إلا ما تحول ما به بي، يعني أتكبر عليه.

واعلم أن الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله، والعرب تجعل جذيمة الأبرش غاية في الكبر، يقال إنه كان لا ينادم أحداً لتكبره ويقول إنما ينادمني الفرقدان. وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبراً. روي أنه قال لغلامه: اسقني ماء، فقال نعم، فقال: إنما يقول نعم من يقدر أن يقول لا، اصفعوه، فصفع ودعا أكاراً فكلمه، فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقداراً لمخاطبته، ويقال: فلان وضع نفسه في درجة لو سقط منها لتكسر.

قال الجاحظ: المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم، وبنو أمية، ومن العرب ـ بنو جعفر بن كلاب، وبنو زرارة بن عدي، وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدون الناس إلا عبيداً وأنفسهم إلا أرباباً، وقيل لرجل من بني عبد الدار: ألا تأتي الخليفة، فقال: أخاف أن لا يحمل الجسر شرفي. وقيل للحجاج بن أرطأة: ما لكَ لا تحضر لجماعة؟ قال: أخشى أن يزاحمني البقالون. وقيل: أتى وائل بن حجر إلى النبي ﷺ فأقطعه

أرضاً، وقال لمعاوية: أعرض عن هذه الأرض عليه واكتبها له، فخرج معه معاوية في هاجرة شديدة، ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس، فقال له: أردفني خلفك على ناقتك، قال: لست من أرداف الملوك، قال: فاعطني نعليك. قال: ما بخل يمنعني يا ابن أبي سفيان، ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبستَ نعلي. ولكن امش في ظل ناقتي فحسبك بها شرفاً، وقيل: إنه لحق زمن معاوية ودخل عليه، فأقعده معه على السرير وحدثه.

وقال المسرور بن هند لرجل: أتعرفني؟ قال؟ لا، قال: أنا المسرور بن هند، قال: ما أعرفك. قال: فتعساً ونكساً لمن لم يعرف القمر. قال الشاعر:

قولا لأحمقَ يلوي التيهُ أخدَعه[1] لو كنت تعلم ما في التيه لم تَتِهِ[2]

التيه مفسدة للدين منقصة للعقل مهلكة للعرض فانتبهِ

وقيل: لا يتكبر إلا كل وضيع، ولا يتواضع إلا كل رفيع، والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. (غ).



فائدة جليلة
في العالِم الذي لا ينفعه علمه

كل مَن آثر الدنيا من أهل العلم واستحبّها، فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه، في خبره وإلزامه؛ لأن أحكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولا سيما أهل الرياسة. والذين يتبعون الشهوات فإنهم لا تتمّ لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيراً. فإذا كان العالِم والحاكم محبين للرياسة، متبعين للشهوات، لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضادّه من الحق، ولا سيما إذا قامت له شبهة، فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى؛ فيخفى الصواب، وينطمس وجه الحق.

وإن كان الحق ظاهراً لا خفاء به ولا شبهة فيه، أقدم على مخالفته وقال: لي

(1) أي يلوي رأسه إعجاباً بنفسه واستصغاراً لمن حوله، والأخدع عرق بارز في الرقبة.

(2) أي لو كنت تعلم عاقبة التكبر لم تتكبر، وجاء في الحديث أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرّة في التكبر.

مخرج بالتوبة. وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [مريم: 59]. وقال تعالى فيهم أيضاً: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: 169].

فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العَرَضَ الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سيغفر لنا، لان عَرَضَ لهم عَرَضٌ آخر أخذوه، فهم مُصِرُّون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق، فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك، أوَلاَ يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه؟ فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه.

وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا؛ فلا يحملهم حبّ الرياسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة. وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنّة، ويستعينوا بالصبر والصلاة، ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخِسّتها، والآخرة وإقبالها ودوامها.

وهؤلاء لا بد أن يبتدعوا في الدين مع الفجور في العمل، فيجتمع لهم الأمران؛ فإن اتباع الهوى يعمي عين القلب، فلا يميز بين السنة والبدعة، أو ينكسه فيرى البدعة سنّة والسنّة بدعة.

فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرياسات والشهوات. وهذه الآيات فيهم إلى قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: 175 ـ 176]. فهذا مثل عالِم السوء الذي يعمل بخلاف عِلْمه.

وتأمّل ما تضمّنته هذه الآية من ذمّه، وذلك من وجوه:

أحدها: أنه ضل بعد العلم، واختار الكفر على الإيمان؟ عمداً لا جهلاً.

وثانيها: أنه فارق الإيمان مفارقة مَن لا يعود إليه أبداً؛ فإنه انسلخ من الآيات بالجملة، كما تنسلخ الحيّة من قشرها، ولو بقي معه منها شيء لم ينسلخ منها.

وثالثها: أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال: ﴿فَأَتْبَعَهُ

ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، ولم يقل تبعه، فإن في معنى أتبعه أدركه ولحقه، وهو أبلغ من تبعه لفظاً ومعنى.

ورابعها: أنه غوى بعد الرشد. والغيّ: الضلال في العلم والقصد، وهو أخص بفساد القصد والعمل، كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد. فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإن اقترنا فالفرق ما ذكر.

وخامسها: أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم، فكان سبب هلاكه، لأنه لم يرفع به، فصار وبالاً عليه. فلو لم يكن عالماً كان خيراً له وأخف لعذابه.

وسادسها: أنه سبحانه أخبر عن خِسّة هِمّتِه، وأنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى.

وسابعها: أن اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس، ولكنه كان عن إخلاد إلى الأرض، وميل بكليته إلى ما هناك. وأصل الإخلاد اللزوم على الدوام، كأنه قيل: لزم الميل إلى الأرض، ومن هذا يقال: أخلد فلان بالكمان إذا لزم الإقامة به، قال مالك بن نويرة:

بأبناء حيّ من قبائل مالك ... وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا

وعبّر عن ميله إلى الدنيا بإخلاده إلى الأرض؛ لأن الدنيا هي الأرض وما فيها وما يستخرج منها من الزينة والمتاع.

وثامنها: أنه رغب عن هداه واتبع هواه؛ فجعل هواه إماماً له يقتَدي به ويتبعه.

وتاسعها: أنه شبّهه بالكلب، الذي هو أخَسّ الحيواناتِ هِمّة، وأسقطها نفساً، وأبخلها، وأشدّها كَلَباً؛ ولهذا سمي كلباً.

وعاشرها: أنه شبّه لهثه على الدنيا، وعدم صبره عنها، وجزعه لفقدها، وحرصه على تحصيلها، بلهث الكلب في حالتي تركه والحمل عليه بالطرد، وهكذا.. هذا إن ترك فهو لهثان على الدنيا، وإن وعظ وزجر فهو كذلك. فاللهث لا يفارقه في كل حال كلهث الكلب.

قال ابن قتيبة: كل شيء يلهث، فإنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب؛ فإنه يلهث في حال الكلال[1]، وحال الراحة، وحال الريّ، وحال العطش؛ فضربه الله مثلاً

(1) الكلال: التعب والإرهاق.

آياته؛ فهذه مواريث الإيمان بالمعاد، وتلك مواريث عدم الإيمان به والغفلة عنه. والله تعالى أعلم. (ق).

❀ ❀ ❀

الإعجاز النبوي في التقويم القمري

روى الأئمة واللفظ لمسلم، من حديث أبي بكر ـ ﷺ ـ عَنِ النبيّ ﷺ أنهُ قَالَ: **«إن الزّمَانَ قَدِ استَدَارَ كَهَيئَتِهِ يَومَ خلَقَ الله السمَاوَاتِ وَالأرضَ. السّنَةُ اثنَا عَشَرَ شَهراً مِنهَا أَربَعَةٌ حُرُم. ثَلاَثَةٌ متَوَالِيَات: ذُو القِعدَةِ وَذُو الحِجّةِ وَالمُحَرّمُ. وَرَجَب، شَهرُ مُضَرَ، الذِي بَينَ جُمَادَى وَشَعبَانَ»**. ثم قَالَ: **«أي شَهر هذَا؟»** قُلنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعلَمُ. قَالَ: فَسَكَتَ حَتّى ظَنَنا أَنّهُ سَيُسَميهِ بِغَيرِ اسمِهِ. قَالَ: **«أَلَيسَ ذَا الحِجّةِ؟»** قُلنَا: بَلَى. قَالَ: **«فَأي بَلَدِ هذَا؟»** قُلنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَسَكَتَ حَتَى ظَنَنا أَنّهُ سَيُسَميهِ بِغَيْرِ اسمِهِ. قَالَ: **«أَلَيسَ البَلدَةَ؟»** قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: **«فَأي يَوْم هذَا؟»** قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعلَمُ. قَالَ: فَسَكَتَ حَتّى ظَنَنّا أَنّهُ سَيُسَميهِ بِغَيرِ اسمِهِ. قَالَ: **«أَلَيس يَومِ النحرِ؟»** قُلنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: **«فَإن دِمَاءَكم وَأَمْوَالَكُمْ (قَالَ مُحَمّدٌ: وَأَحسِبُهُ قَال) وَأعرَاضَكُم حَرَامٌ عَلَيكُم. كَحُرمَةِ يَومِكُم هذَا، فِي بَلَدِكُم هذَا، فِي شَهرِكم هذَا. وَسَتَلقَونَ رَبّكُم فَيسأَلُكُم عَن أَعمالِكُم. فَلاَ تَرجِعَنَّ بَعدِي كُفّاراً (أَو ضُلاَّلاً) يَضرِبُ بَعضُكُم رِقَابَ بَعضٍ أَلاَ لِيُبَلّغ الشاهِدُ الغَائِبَ. فلعلَّ بعضَ من يُبلِّغه يكونُ أوعى لهُ من بعضِ من سَمِعهُ»** ثُمَّ قال: **«ألا هَلْ بلَّغتُ»**[1].

تحت عنوان: صيدلي مصري يكتشف أسرار الدورة القمرية. ذكرت صحيفة الأهرام المصرية ـ عدد أكتوبر/ تشرين الأول سنة (1986) ـ المقال التالي:

كشفت البحوث العلمية الأخيرة أن الدورة القمرية مرتبطة بأيام الأسبوع، وتتكرر بنفس هيئتها على طول الزمان.. حيث تبدأ بيوم أحد وتنتهي بيوم سبت.. كما أن بدايات كل الشهور فيها معروفة وثابتة تتكرر كما هي في كل دورة، مما يؤكد أنها دورة أزلية بدأت مع نشأة الكون.

---

(1) رواه الإمام أحمد (20408) والبخاري (67) ومسلم (1679) وأبو داود (1947) والترمذي (1520)، وغيرهم بألفاظ متقاربة.

ففي السنة الأولى لأي دورة قمرية يكون أول يوم في رمضان يوم جمعة. . ووقفة عرفات يوم الأحد. وفي السنة الثانية يكون أول رمضان يوم الثلاثاء. . وتأتي وقفة عرفات يوم أحد. . وفي السنة الثالثة يأتي أول رمضان يوم السبت. . . ووقفة عرفات يوم الجمعة. . وفي السنة الرابعة يأتي أول رمضان يوم الخميس. . . ووقفة عرفات يوم الثلاثاء. . . وفي السنة الخامسة يأتي أول رمضان يوم الاثنين. . . ووقفة عرفات يوم السبت. . . وفي السنة السادسة يأتي أول رمضان يوم الجمعة. . . ووقفة عرفات يوم الخميس. . . وفي السنة السابعة يأتي أول رمضان يوم الأربعاء. . ووقفة عرفات يوم الاثنين. . . وفي السنة الأخيرة من كل دورة يأتي أول رمضان يوم الأحد. . وتكون وقفة عرفات يوم السبت.

وبذلك يتفق يوما الصيام والنحر في السنوات الثالثة والسادسة والثامنة من هذه الدورة. . وهي السنوات الثلاث الكبيسة التي بلغ عدد أيام كل منها 366 يوماً. . ويتفق ذلك مع حديث الرسول ﷺ عن العلاقة بين يومي الصيام والنحر[1]. . . والذي ذكره ﷺ في إحدى السنوات الكبيسة، وهي التي قصدت بالحديث المذكور. . وهكذا ترتبط أيام الأسبوع في هذه الدورة ارتباطاً وثيقاً بالتقويم الهجري بما لا يدع مجالاً للشك. . وهذه الدقة لا ترتبط وتختص بشهر رمضان فقط[2] ولكن بكل الشهور الهجرية الإثني عشر:

وقد نشأ الباعث على التفكير في هذه الدورة لدى أحد الباحثين[3] من حديث الرسول ﷺ حيث قال: **«إن الزمان قد استدار كهيئته يوم أن خلق الله السموات والأرض. .»** وهكذا تولد التفكير بأن هناك دورة قمرية ثابتة تتكرر كل عدد معين ثابت من السنوات، فأخذ البحث الاحتمالات المختلفة حتى وصل إلى نتائج مذهلة يرتبط فيها التاريخ الحسابي مع اليوم نفسه وتتكرر منذ الأزل.

وبذلك أبطل العلم الحديث الدعاوى المغرضة الحاقدة القائلة بأن من المستحيل وضع تقويم سليم للسنة القمرية، وأنه ليس هناك قاعدة يعتمد عليها لمعرفة بدايات الشهور القمرية، وبالتالي فإنه من المستحيل وضع تقويم قمري مضبوط. . . إلخ.

---

(1) يريد ما روى عن رسول الله ﷺ: **«يوم صومكم يوم نحركم»** وإسناده شديد الضعف.
(2) ذكر شهر رمضان على سبيل المثال لا الحصر.
(3) هو الباحث أنور قدري.

إن الذين يزعمون أن التقويم القمري السنوي غير مبني على قاعدة سليمة إنما يكشفون للناس سِرَّ جهلهم بعلم التقويم القمري وافتقارهم إلى قواعده الحتمية وقوانينه اليقينية. . . لقد نسوا أو تناسوا أن الله ﷻ جمع الشمس والقمر في آية واحدة وحكم عليهما بحكم واحد فقال:

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: 5].

فكيف يستقيم القول بأن الشمس بحسبان. .وأن القمر ليس بحسبان!؟

وإذا كانت الصلاة منوطة أوقاتها بحساب النظام الشمسي فإن جميع العبادات والمعاملات والأحكام في الإسلام منوطة مواقيتها بنظام القمر.

بل لقد أصبح للحكم على صحة رؤية الهلال أو إمكان رؤيته شروط توصل إليها علماء الفلك منها:

ـ أن تكتمل الدورة القمرية الشهرية حول الأرض ومقدارها: (44 د/ 12 س/ 29 ي)[1]

ـ أن يتم القران فعلاً بين الشمس والقمر بعد ذلك.

ـ أن تمضي فترة من الزمن على مولد الهلال تتراوح بين (8/ 14 ساعة).

ـ أن يكون غروب الهلال تالياً لغروب الشمس، وليس العكس.

ـ أن تخلو السماء من معوقات الرؤية من غيم أو دخان أو غبار أو أي شوائب أخرى تعكر صفو الجو وتحول دون رؤية هلال وليد ضعيف النور هزيل الجسم قليل المكث في الفضاء سريع الزوال[2].

وهذه الشروط وغيرها إنما هي من اختصاص علماء الفلك كما سبق وأشرنا. .

---

(1) رموز فلكية اتفق عليها علماء الفلك.

(2) تحديد أوائل الشهور العربية بين العلم والشريعة: محمد كاظم حبيب (بحث منشور بمجلة منبر الإسلام) عدد يوليو/تموز 1991 (بتصرف).

ولقد توصل علماء التقويم الرياضي أخيراً إلى قواعد حسابية وقوانين رياضية حتمية لا تحتاج إلى المراصد وقياساتها ولا إلى الأبراج وأجهزتها..... ومن هذه القواعد في معرفة أوائل الشهور القمرية ـ بعد التأكد من صحة الأول من المحرم ومن المعرفة اليقينية لليوم الأسبوعي الذي بدأت به السنة القمرية ـ:

ـ أن يكون اليوم الأسبوعي للأول من صفر هو نفس اليوم الأسبوعي للثالث من المحرم.

ـ أن يكون اليوم الأسبوعي للأول من ربيع الأول هو نفس اليوم الأسبوعي للرابع من المحرم.

ـ أن يكون اليوم الأسبوعي للأول من ربيع الآخر هو نفس اليوم الأسبوعي للسادس من المحرم.

ـ أن يكون اليوم الأسبوعي للأول من جمادى الأولى هو نفس اليوم الأسبوعي للسابع من المحرم.

ـ أن يكون اليوم الأسبوعي للأول من جمادى الآخرة هو نفس اليوم الأسبوعي للثاني من المحرم.

ـ أن يكون اليوم الأسبوعي للأول من رجب هو نفس اليوم الأسبوعي للثالث من المحرم.

ـ أن يكون اليوم الأسبوعي للأول من شعبان هو نفس اليوم الأسبوعي للخامس من المحرم.

ـ أن يكون اليوم الأسبوعي للأول من رمضان هو نفس اليوم الأسبوعي للسادس من المحرم.

ـ أن يكون اليوم الأسبوعي للأول من شوال هو نفس اليوم الأسبوعي للأول من المحرم.

ـ أن يكون اليوم الأسبوعي للأول من ذي القعدة هو نفس اليوم الأسبوعي للثاني من المحرم.

ـ أن يكون اليوم الأسبوعي للأول من ذي الحجة هو نفس اليوم الأسبوعي للرابع من المحرم.

هذا، ولما كان اليوم في الحسابات الفلكية الإسلامية يبدأ من المغرب وينتهي

عنده من اليوم الثاني، فإن الليل يسبق النهار؛ ولذلك فإن هلال الشهر الذي أوله (السبت) يرى بُعيْدَ مغرب يوم الجمعة. وإن هلال الشهر الذي أوله (الاثنين) يرى بُعَيْدَ مغرب يوم الأحد. وهكذا[1]

ومن هنا ندرك أن الحساب القويم هو الذي يحدد مواقيت ظهور الأهلة الشهرية، بحيث تتطابق مع الرؤية الشرعية للهلال الوليد.[2]

❁ ❁ ❁



لطيفة

ـ من اشتغل بالله عن نفسه كفاه الله مؤونة نفسه، ومن اشتغل بالله عن الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن اشتغل بنفسه عن الله وكَّلَهُ اللهُ إلى نفسه، ومن اشتغل بالناس عن الله وكله الله إليهم. (ق).

لا تحزن إن كنت ممن يتصف بالحياء

تروي لنا كتب «الصحيح» من حديث عبدالله بن عمر ـ ﵄ ـ أن رجلاً من الأنصار كان يعظُ أخاهُ في الحياء. فقال النبي ﷺ: **«دَعْهُ، فإن الحياءَ من الإيمان»**[3]

وعن أبي قَتادة العَدَوي، قال: دَخَلنا على عِمران بن حُصَين في رَهطٍ من بني عَدِي فينا بُشَير ابن كعب، فحدَّثنا عِمرانُ بن حُصَين، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«الحَياءُ خَير كُله»** أو **«إنَّ الحَياءَ خَير كُلُه»**.

فقال بُشَير بن كعب: إنا لَنَجِدُ في بعض الكُتُب ـ أو قال: الحِكْمة ـ: أنَّ منه سَكِينةً ووَقاراً لله، ومنه ضَعفاً، فأعاد عِمرانُ الحديثَ، وأعاد بُشَير مقالتَه، حتى ذَكَر

---

(1) المرجع السابق (بتصرف).

(2) غنيٌّ عن البيان أن الهلال الوليد في أول الشهر يُرى جهة الغرب بُعيد غروب الشمس. أما هلال آخر الشهر الذي وصفه الله ﷻ بأنه كالعرجون القديم فإنه يرى من جهة الشرق قبيل شروق الشمس ثم يكون محاقاً لا يرى حتى يولد من جهة الغرب من جديد.

(3) رواه الإمام أحمد (5183) والبخاري (24) وأبو داود (4795)، وغيرهم.

ذاك مرتين أو ثلاثاً، فغضِبَ عِمرانُ حتى احْمَرَّتْ عيناه، وقال: أحدّثُك عن رسولِ الله ﷺ وتعرِضُ فيه لحديثِ الكُتُب؟! قال: فقلنا: يا أبا نُجَيد، إنهُ لا بأسَ به، وإنه مِنّا، فما زلنا حتى سكن(1).

وفي «الصحيحين» من حديث أبي واقِدٍ اللَّيْثِيِّ أن رسولَ الله ﷺ بَينما هوَ جالسٌ في المسجدِ والناسُ معهُ إذْ أقبَلَ ثلاثةُ نَفَر، فأقبَلَ اثنانِ إلى رسولِ الله ﷺ وذهبَ واحد. قال: فوقفا عَلَى رَسولِ الله ﷺ فأمّا أحَدُهما فرأى فُرْجَة في الحَلْقةِ فجلَسَ فيها، وأمّا الآخَرُ فجلَسَ خَلْفَهُمْ، وأمّا الثالثُ فأدْبَرَ ذاهباً. فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ قال: **«ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعْرَضَ فأعْرَضَ الله عنه»**(2).

وقالت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث، وصدق اللسان، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والمكافأة بالصنيع، وبذل المعروف، وحفظ الذمام للجار، وحفظ الذمام للصاحب وقري الضيف ورأسهن الحياء. قال رسول الله ﷺ: **«الحياء شعبة من الإيمان»**. وقال أيضاً ﷺ: **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**. وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: من كسا بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

قال أبو موسى الأشعري ﷺ: إني لأدخل البيت المظلم أغتسل فيه من الجنابة فأحني فيه صلبي حياء من ربي. وقال بعضهم: الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء. وقال الخواص: إن العباد عملوا على أربع منازل، على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء، فأرفعها منزلة الحياء لما أيقنوا أن الله يراهم على كل حال قالوا: سواء علينا رأيناه أو رآنا، وكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه. ويقال: القناعة دليل الأمانة، والأمانة دليل الشكر، والشكر دليل الزيادة، والزيادة دليل بقاء النعمة، والحياء دليل الخير كله. جعلنا الله تعالى ممن يتصف بالحياء منه جل وعلا.

❁ ❁ ❁

---

(1) رواه الإمام أحمد (19999) ومسلم (37) وأبو داود (4796)، وغيرهم.

(2) رواه الإمام مالك في «موطئه» (1791) والبخاري (66) ومسلم (2176) وغيرهم.

سرعة بديهة

قيل: إن جارية عرضت على الرشيد ليشتريها، فتأملها وقال لمولاها: خذ جاريتك، فلولا كلف بوجهها وخنس بأنفها لاشتريتها، فلما سمعت الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة:

يا أمير المؤمنين اسمع مني ما أقول، فقال: قولي، فأنشدت تقول:

مـا سلـم الـظـبـيُ عـلـى حُـسْـنـه ... كـلا ولا الـبـدرُ الـذي يـوصـفُ

الـظـبـي فـيـه خَـنـسٌ بـيِّـنٌ ... والـبـدرُ فـيـه كـلـفٌ يُـعـرفُ[1]

قال: فعجب من فصاحتها وأمر بشرائها. وقيل: عرضت على المأمون جارية بارعة الجمال فائقة في الكمال، غير أنها كانت تعرج برجلها، فقال لمولاها: خذ بيدها وارجع، فلولا عرج بها لاشتريتها فقالت الجارية: يا أمير المؤمنين إنه في وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه، فأعجبه سرعة جوابها وأمر بشرائها.

❀ ❀ ❀

الأصول الثلاثة المتضادة

ـ الأصول التي تُبنى عليها سعادة العبد ثلاثة، ولكل واحد منها ضد، فمَن فَقَدَ ذلك الأصل حصل على ضدّه: التوحيد رضاه الشرك، والسنّة وضدّها البدعة، والطاعة وضدّها المعصية. ولهذه الثلاثة ضد واحد، وهو خُلوّ القلب من الرغبة في الله وفيما عنده ومن الرهبة منه ومما عنده. (ق).

❀ ❀ ❀

لن تحزن إن كان لك من تزورهم

من أراد أن يطيب عيشه، وأن يحظى برضى الرحمن فليزر إخوانه في الله. ألم يقل رسول الله ﷺ: **«من عاد مريضاً، أو زار أخاً، نادى مناد: أن طبتَ وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً»** فقوله ﷺ: **«أن طبت»** أي طاب وسعُد عيشك، وعشت طيِّباً

---

(1) الخنس تأخر قصبة الأنف وارتفاع قليل في أرنبة الأنف، والكلف بقع تغير لون جلد الوجه.

سعيداً مسروراً. وفي زيارة الإخوان تنال محبة الله تعالى، وعفوه ورضاه. كما جاء في الحديث القدسي: **«وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتباذلين فيَّ، والمتزاورين فيَّ. اليوم أُظِلُّهُم في ظِلِّي، يوم لا ظِلَّ إلا ظلِّي»**.

وقيل: إن الحب في الله تعالى، شجرة أصلها الزيارة.

قال الشاعر:

زُرْ من تحبّ وإن شطّتْ بكَ الدارُ ... وحال من دونه حجبٌ وأستار

لا يمنعنك بُعد من زيارته ... إن المحبّ لمن يهواه زَوّارُ

ومن كلام العرب: زر غباً تزدد حباً[1]

قال الشاعر في معنى ذلك:

عليك بإغباب الزيارة إنها ... إذا كثرت صارت إلى الهجر مسلكا

ألم تر أن الغيث يسأم دائماً ... ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

ويقال الإكثار من الزيارة ممل، والإقلال منها مخل.

وكتب صديق إلى صديقه هذا البيت:

إذا ما تقاطعنا ونحن ببلدةٍ ... فما فضل ترب الدار منا على البعد

وقال الآخر:

وإن مروري بالديار التي بها ... سُليمى ولم ألمم بها لجفاء

وقال آخر:

قد أتانا من آل سعدى رسولٌ ... حبّذا ما يقول لي وأقول

وقال آخر:

أزور بيوتاً لاصقاتٍ ببيتها ... وقلبي في البيت الذي لا أزوره

---

(1) لم يثبت في هذا القول حديث عن رسول الله ﷺ وأما ما رواه البزار (1922) و(2107)، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«يا أبا هريرة، زر غباً تزدد حباً»** فهو حديث موضوع. في إسناده طلحة بن عمرو، وهو متروك. وانظر الحاكم (3/ 347) و«العلل المتناهية» (2/ 253) و«الضعفاء» للعقيلي (2/ 138) وابن عدي (2/ 448) والفوائد (260)، غيرهم.

وزار محمد بن يزيد المهلبي المستعين ووهب له مائتي ألف درهم، وأقطعه أرضاً فقال:

وخصصتني بزيارةٍ أضحى لنا ... مجدي بها طول الزمان مؤثل

وقضيت ديني وهو دين وافرٌ ... لم يقضه مع جوده المتوكّل

وكتب المأمون إلى جاريته الخيزران يستدعيها للزيارة:

نحن في أفضل السرور ولكنْ ... ليس إلا بكم يتمّ السرور

عيب ما نحن فيه يا أهل ودي ... أنكم غبتم ونحن حضور

فأجدّوا المسير بل إن قدرتمْ ... أن تطيروا مع الرياح فطيروا

وقيل لفيلسوف: أي الرسل أنجح؟ قال: الذي له جمال وعقل. وقيل: إذا أرسلتم رسولاً في حاجة، فاتخذوه حسن الوجه حسن الاسم. وقال رجل لابنه: يا بني لا تبعث رسولاً جاهلاً، فإن لم تجد حكيماً عارفاً، فكن رسول نفسك، وقال بعضهم:

إذا أبطأ الرسول فقل نجاحٌ ... ولا تفرح إذا عجل الرسول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❁ ❁ ❁

الإعجاز الطبي في الحديث النبوي

روى البخاري (5782)، وغيره من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إذا وقع الذباب في إناءِ أحدكم فليغمسهُ كُلَّهُ، ثُمَّ ليطرحهُ، فإن في إحدى جناحيه داءً، وفي الآخرِ شفاءً»**.

وجاء عنه ـ رضي الله عنه ـ في الحديث الآخر، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا وقع الذُّباب في إناءِ أحدكم، فإن في أحد جناحيه داء، وفي الآخر شفاء، وإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء، فليغمسهُ كُلَّه»**[1].

(1) رواه الإمام أحمد (7141) وأبو داود (3844) وابن خزيمة (105) وابن حيان (1246)، وغيرهم بإسناد قوي.

وثبت عنه ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ قال: «**إن أحد جناحي الذُّباب سُمٌّ والآخر شفاء. فإذا وقع في الطعام فامقلوه، فإنه يُقدِّم السُّمَّ، ويؤخِّر الشفاء**»[1].

جاء في كتاب «الإعجاز العلمي في الإسلام»: من معجزاته الطبية ﷺ التي يجب أن يسجلها له تاريخ الطب بأحرف ذهبية ذكره لعامل المرض، وعامل الشفاء محمولين على جناحي الذبابة قبل اكتشافهما بأربعة عشر قرناً.. وذكره لتطهير الماء إذا وقع الذباب فيه وتلوث بالجراثيم المرضية الموجودة في أحد جناحيه، نغمس الذبابة في الماء لإدخال عامل الشفاء الذي يوجد في الجناح الآخر الأمر الذي يؤدى إلى إبادة الجراثيم المرضية الموجودة بالماء. وقد أثبتت التجارب العلمية الحديثة الأسرار الغامضة التي في هذا الحديث..

إن هناك خاصية في أحد جناحي الذباب، هي أنه يحول البكتريا إلى ناحيته.. وعلى هذا فإذا سقط الذباب في شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه في ذلك الشراب أو الطعام.. فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم، وأول واحد منها هو «مبيد البكتريا» الذي يحمله الذباب في جوفه قريباً من أحد جناحيه.

فإذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه.. ولذا فإن غمس الذباب كله وطرحه كاف لقتل الجراثيم التي كانت عالقة به، وكاف في إبطال عملها.

مما أنه قد ثبت علمياً أن الذباب يفرز جسيمات صغيرة من نوع الإنزيم Enzyme تسمى «باكتر يوفاج».. أي مفترسة الجراثيم.

وهذه المفترسة للجراثيم «الباكتر يوفاج» Bacteriophage أو عامل الشفاء صغيرة الحجم يقدر طولها بـ 20 ـ 25 ميلى ميكرون..

فإذا وقعت الذبابة في الطعام أو الشراب وجب أن تغمس فيه كي تخرج تلك الأجسام الضدية فتبيد الجراثيم التي تنقلها.

من هنا فالعلم قد حقق ما أخبر عنه النبيّ ﷺ بصورة إعجازية لمن يرفض الحديث

---

(1) رواه الإمام أحمد (11643) وابن ماجه (3504) والطيالسي (2188) وغيرهم. بإسناد جيد.

وقد كتب الدكتور أمين رضا أستاذ جراحة العظام بكلية الطب جامعة الإسكندرية بحثاً عن حديث الذبابة أكد فيه أن المراجع الطبية القديمة فيها وصفات طبية لأمراض مختلفة باستعمال الذباب.

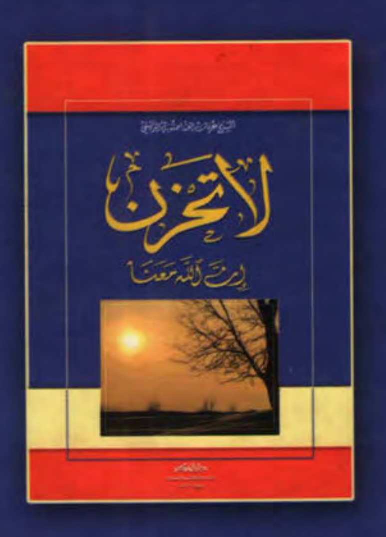
وفى العصر الحديث صرح الجراحون الذين عاشوا في السنوات العشر التي سبقت اكتشاف مركبات السلفا.. أي في الثلاثينيات من القرن الحالي بأنهم قد رأوا بأعينهم علاج الكسور المضاعفة، والقرحات المزمنة بالذباب.

من هنا يتجلى أن العلم في تطوره قد أثبت في نظرياته العلمية موافقته وتأكيده على مضمون الحديث الشريف مما يعد إعجازاً علمياً قد سبق به العلماء الآن.



الفهرس


منتدى إقراء الثقافي


لا تحزن
إن الله معنا


دار المعرفة
40 شارع فيكتور هيجو
ص. ب: 4150
فاكس: 022 441049
هاتف: 022 441050
022 309520
الدار البيضاء - المغرب


دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان